المجدد

د. علي جمعة

إمام المفتين وحامل لواء المصلحين

الكتاب: المجدد د علي جمعة ، إمام المفتين وحامل لواء المصلحين

المؤلف: مصطفى رضا الأزهري

الطبعة: الأولى / ٢٠٢٠

بلد الطباعة: القاهرة – مصر

الناشر: دار الإمام الرازي للنشر والتوزيع

رقم الإيداع: ٢٥٨٤٥/ ٢٠١٩

المجدد

د . علي جمعة

إمام المفتين وحامل لواء المصلحين

تأليف

مصطفى رضا الأزهري

دار الإمام الرازي

إهـــداء

إلى حضرة الحبيب المصطفى والنبي المجتبى سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

ثم إلى مشايخي الكرام الذين تتلمذت عليهم حفظهم الله تعالى ورضي عنهم أجمعين .

ثم إلى أبي صاحب الجناب الأجل، والكهف الأظل، ملجأ الفقراء والأغنياء، ومحط رحال المهمشين والبسطاء، الذي لم يفرح بالموجود، ولم يحزن على المفقود، الذي كان يحب الخير للغير، وكان يرفع الضيق عن الغريب والصديق، كان يحب الصالحين، ويبغض الطالحين، كان يقدم مصلحة الناس على مصلحته، كان يحب الفرح والمرح، رحمه الله تعالى .

ثم إلى إخواني من طلاب العلم الشريف في أصقاع الأرض.

رسالة شكر

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال :«مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ»[١]،فمن هذا المنطلق أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان، إلى القائد الإنسان سيادة اللواء أ ح / أحمد محمد عبد العزيز، الذي وقف بجواري في محنتي، فلما شاء رب العباد أن ألتحق بصفوف خير الأجناد، تركتُ الكُتبَ والدفاتر، وأصبحتُ معدودًا في جملة العساكر، فضاقت بي الأحوال، ومع هذا لم أتوقف عن إكمال هذا الكتاب رغم كل ما يواجهني من صعوبات، فقلة المال قد شغلت البال، وجعلتني أسرح في عالم الخيال، وأهيم في الأسواق من أجل البحث عن قوت العيال، ومع هذا كله لم أنفصل عن العلم وتحصيله بأي حال، ففقدتُ الأمل في إخراج ترجمة شيخنا الإمام في معرض هذا العام؛ لأنه يحتاج لدقة واهتمام، وصار حالي بين أداء الخدمة في الجيش، والسعي في الأسواق من أجل طلب لقمة العيش.

ففوضتُ أمري لمولاي، على يقين أنه سيتولاني، فجاءتني وظيفة أعمل فيها مدرسًا للغة العربية وعلومها، لكنها تحتاج لمُتسعٍ من الوقت يطول، وأنا كما عرفتَ مُكبلٌ بالأثقال والهموم، فذهبتُ للقائد الإنسان سيادة اللواء أ ح/ أحمد عبد العزيز، صاحب الفضل والجود، الذي كان لي مساعد حينما تركني الأقارب والأباعد، فصدَّق لي بالسماح على الذهاب إلى هذا العمل الجديد، فسترني أنا وعيالي رضي الله عنه .
ثم جاء من بعد سيادته خير خلف لخير سلف القائد الحنون سيادة العميد أ ح / أكرم صلاح الدين محمود، فلما تقهقرت بي الأحوال، وكنتُ في حاجة أنا وعيالي إلى قليل من المال، لم أطرق بابًا سوى باب مكتبه، فأكرمني من فيض جوده وكرمه، وصدّق لي بالخروج من أجل العمل، فكنتُ أحصل في كل شهر من وظيفتي على المال الذي يَسُد

(١) أخرجه الترمذي في سنن (١٩٥٥) وأحمد في مسنده (١١٧٠٣) .

حاجتي أنا والعيال، فرضي الله عنهما قد حفظوا وجهي من ذلة السؤال.

وأقول فيهما من أبيات :

هو أحمدُ قائدنا فَاعرفوه		قائدٌ مخلصٌ عني خذوه
وابنُ عَبد العزيزِ من خيرِ الرجالِ		وجهُهُ فيه نورٌ كالهلالِ
سلوا الضعفاءَ عنه يا رفاقي		فإحسانُه مزيلٌ للآلامِ
عطوفٌ إخوتي يَهوى المعالي		يحبُ الخيرَ يسعى للوئامِ
فَزِدْهُ رَبَّنَا مِنْ كُلِّ خَيْر		وَصُنْهُ إِلَهَنَا عَنْ كُلِّ ضَيْرِ
وقائدنا أكْرَمُ هو ابنُ صَلاح		قائدٌ يَسعى للخيرِ والفلاحِ
حُبُّ الخّيْرِ دَيْدَنَهُ صَدِيقِي		صَفُوحٌ مُحْسِنٌ صَادِقٌ رَفِيقِي
هُوَ الإِحْسَانُ مَبْدَأُوهُ فَصِدِّقْ		وَفِعْلُ الخَيْرِ عَادَتُهُ فَحَقِّقْ
وَأَيِّدْهُ يَا إِلَهِي بِالرِّعَايَه		فَيَا اللهُ يَا مُعْطِي البَرَايَا

ولم أنس في نهاية هذه الرسالة أنْ أتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى الأخ والصديق رقيب أ/ رياض طلب رياض، الذي تحمل من أجلي الكثير والكثير، ووقف بجواري في كثير من المواقف، فكان نعم الأخ ونعم الصديق، فرضي الله عنهم أجمعين، واللهَ أسألُ أن يجعل ما قدموه للفقير في ميزان حسناتهم يوم القيامة، فإنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله الذي أَعْلى مراتبَ العلماء، وجعلَهُمْ ورثةَ الأنبياءِ، وقُرَّة عين الأولياء، رفعهم الله بالعلم، وزينهم بالحلم، بهم يُعرفُ الحلالُ من الحرام، والحقُّ من الباطل، والضارُ من النافع، والحسنُ من القبيح، هم أركانُ الشريعةِ، وحُماةُ العقيدةِ، ينفون عن دين الله تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويلَ الجاهلين، فكم من طالب علمٍ علموه، وتائهٍ عن صراط الرُّشد أرشدوه، وحائرٍ عن سبيل الله بصَّره، يكفيهم شرفًا وفضلًا اقترانُهم باسم المولى– سبحانه وتعالى – واسم ملائكته قال تعالى :﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [آل عمران:٨١].

قال الإمام القرطبي[1] رحمه الله: هذه الآية دليلٌ على فَضْل العِلْم وشرفِ العُلماء، فإنَّه لو كان أحدٌ أشرف من العلماء، لقرنهم الله باسمه،واسم ملائكته[2].

وهؤلاء العلماء قد رفع الله منزلتهم، كما قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[المجادلة:١١]، وهم أهل خشية الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٨٢].

(١) أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي. فقيه مفسر عالم باللغة وُلد في مدينة قرطبة، وقد رحل بعد سقوطها إلى الإسكندرية، ثم إلى صعيد مصر حيث استقر فيه،كان القرطبي عالمًا كبيرًا منقطعًا إلى العلم منصرفًا عن الدنيا، فترك ثروة علمية تقدر بثلاثة عشر كتابًا مابين مطبوع ومخطوط، أبرزها تفسيره الكبير «الجامع لأحكام القرآن الكريم»، وهو تفسير كامل عُني فيه بالمسائل الفقهية إلى جانب العلوم الأخرى، و كتاب «التذكرة بأحوال الموتى؛ أحوال الآخرة»،وكتاب «التذكار في أفضل الأذكار»،وكتاب«التقريب لكتاب التمهيد»، توفي القرطبي ودفن في صعيد مصر سنة ٦٧١ هـ .

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للإمام القرطبي (٤/ ٤١)، طبعة دار عالم الكتب الرياض

وقد ذكر الإمام ابن عبد البر(١) في «جامع بيان العلم وفضله»، أبياتًا(٢) نسبها إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يقول فيها:

النَّاسُ فِي جِهَةِ التَّمْثِيلِ أَكْفَاءُ	أَبُـوهُـمُ آدَمٌ وَالْأُمُّ حَـوَّاءُ
نَفْسٌ كَنَفْسٍ وَأَرْوَاحٌ مُشَاكِلَةٌ	وَأَعْظُمٌ خُلِقَتْ فِيهِمْ وَأَعْضَاءُ
فَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ أَصْلِهِمْ حَسَبٌ	يُفَاخِرُونَ بِهِ فَالطِّينُ وَالْمَـاءُ
مَا الْفَضْلُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمُ	عَلَى الْهُدَى لِمَنِ اسْتَهْدَى أَدِلَّاءُ
وَقَدْرُ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ	وَلِلرِّجَالِ عَلَى الْأَفْعَالِ أَسْمَاءُ
وَضِدُّ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَانَ يَجْهَلُهُ	وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ
فَفُزْ بِعِلْمٍ تِعِش حَيًّا بِه أَبَدا	النَّاسُ مَوتى وأَهلُ العِلمِ أَحْيَاءُ

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل في السماءِ بروجا، وجعل في سماء قلوب علمائِهِ بروجا، فبروجُ السماءِ معدودة، وبروجُ القلبِ مشهودة، شمسُ السماءِ تُشرق وتغيب، وشمسُ القلب أبدًا لا تغيب، وأشهد أنّ سيدنا محمدًا عبده ورسولُهُ، النبي العربي الذي أعطاه الله جوامعَ الكلم ، وفُجرتْ له ينابيعُ الحكم، فهو إمامُ البلغاءِ، وسيدُ الفصحاءِ، ورائدُ الأدباءِ، أرسله الله إلى أهل الأرض ليعلمهم العبادة، وعُرِج بحضرته إلى السمواتِ العُلا ليعلمَ الملائكةَ آدابَ العبادة، فاللهم صلِّ وسلّم وبارك عليه ، وعلى آله، وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

---

(١) هو الإمام : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، من أئمة السادة المالكية، ألف الكثير من التصانيف والكتب في مختلف العلوم منها: «جامع بيان العلم وفضله»، وكتاب «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»،وكتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب »، وكتاب «الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار»،وغير ذلك من المؤلفات ، توفى رحمه الله تعالى سنة (٤٦٣هـ).

(٢) انظر: كتاب (جامع بيان العلم وفضله) للإمام ابن عبد البر ، صـ ٢٢٠، طبعة دار ابن الجوزي.

أما بعد،

فلما كان شيخي وشيخ مشايخي قدوتنا إلى الله تعالى؛ الإمام الرباني العلامة المجدِّد أبي الحسن نور الدنيا والدين علي بن جمعة بن محمد بن عبد الوهاب، فقيه العصر و مفتي أهل مصر - حفظه الله ورعاه وفي درجات الجنة رقاه- له عليَّ من الحقوق المتكاثرة، ما لا أستطيع إحصاءها؛ بعثني ذلك على أن أجمع كتابًا أتحدث فيه عن سيرته ومسيرته، وجوانب عطائه المتعددة .

ولما كان من آداب التأليف والتصنيف أن يكون الموضوع الذي يكتب فيه الكاتب مطلوبًا بالحال، أي : حال المجتمع يحتاجه ويطلبه ، أو أن يكون مطلوبًا باللسان، أي: يُطلب من الكاتب أن يكتب في هذا الموضوع، فمن هنا رأيتُ أنّ المجتمع في حاجة شديدة لمعرفة سيرة ومسيرة هذا الإمام المجدِّد، الذي اجتمعت فيه علوم الدين والدنيا، فصنفتُ هذا الكتاب إيمانًا مني بأنّ فضيلة الإمام العلامة الأستاذ الدكتور علي جمعة من «الشخصيات النادرة» التي تظهر في التاريخ على فترات متباعدة؛ لتجدِّد للناس أمور دينها ودنياها .

وقد دفعني الانبهار بشخصية فضيلة الإمام المجدِّد ، بأنْ اتتبع نتاجه العلمي الكبير، فعكفتُ بضع سنوات أجمع ما خطّه قلم فضيلة الإمام المجدِّد من «كتب وأبحاث ومقالات»، كما قمتُ بجمع ما قدّمه فضيلة الإمام من مادة إعلامية سواء «مسموعة أو مرئية» من دروس، و برامج، ولقاءات، وخطب.

وقد وفقني الله لقراءة وسماع هذا الإنتاج الذي قدّمه فضيلة الإمام المجدِّد للمجتمع بعقليته المستنيرة، فتبلور في ذهني معالم هذه الشخصية العظيمة، مما دعاني أن أقول :

إذا ذُكرتْ أسماء العلماء اتجه الفكر إلى ما امتازوا به من فروع العلم، وشعب المعرفة، فإذا ذُكر ابن سينا أو الفارابي خطر بالبال فيلسوفان عظيمان من فلاسفة الإسلام، وإذا ذُكر البخاري ومسلم وأحمد، خطر بالبال رجال لهم أقدارهم في الحفظ والصدق والأمانة والدقة ومعرفة الرجال .

أما إذا ذُكر فضيلة الإمام العلامة الأستاذ الدكتور علي جمعة فقد تشعبت النواحي، ولم يخطر بالبال رجل واحد، بل يخطر بالبال رجال متعددون، لكل واحد قدره وقيمته، فيخطر بالبال علي جمعة الأصولي الحاذق الماهر، وعلي جمعة الفقيه الحر، وعلي جمعة المفتي البارع، وعلي جمعة المتكلم ناصر السنة وقامع البدعة، وعلي جمعة الاجتماعي الخبير بأحوال الواقع ومتغيراته، نعم عند ذكر فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة يخطر بالبال رجل هو دائرة معارف عصره، رجل متعطش إلى معرفة كل شيء يتعلق بفروع المعرفة .

ثم لم يكن اختلاف الناس على منزلة فضيلة الإمام العلامة ومكانته، حاجزًا بيني وبين قلمي، بل إنّ هذا الاختلاف كان من أبرز الدوافع التي جعلت قلمي يسبح في بحار أنوار فضيلته؛ ليقتبس من درره، وجواهره، ويواقيته، ويقدّمها للقراء من خلال هذا الكتاب الذي سميته بـــ «المجدِّد »، ولعلي في هذا المقام أذكر ما قاله المنفلوطي في نظراته : «إنْ رأيتَ شاعرًا من الشعراءِ، أو عالِمًا من العلماءِ، أو نبيلاً في قومِهِ، أو داعيًا في أمته قد انقسم الناسُ في النظر إليه وفي تقدير منزلته انقسامًا عظيمًا ، وانفرجت مسافةُ الخُلْفِ بينهم في شأنه، فافتَتَنَ بحبه قومٌ حتى رفعوه إلى رتبة المَلَكِ، ودان ببغضه آخرونَ هَبَطُوا به إلى منزِلةِ الشيطانِ، فاعلم أنَّه رجلٌ عظيم ».

وقد قسمتُ هذا الكتاب إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة .

المقدمة، وتشمل :

١ـ أهمية الموضوع .

٢ـ أسباب اختيار الموضوع .

الفصل الأول : كلمة حول التجديد .

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : مفهوم التجديد في الإسلام .

المبحث الثاني : آليات التجديد .

المبحث الثالث : مفهوم التجديد عند فضيلة الدكتور علي جمعة .

الفصل الثاني : شذرات من حياة الأستاذ الدكتور علي جمعة .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : التعريف بفضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة .

المبحث الثاني: المسيرة العملية لفضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة .

الفصل الثالث :جهود فضيلة الدكتور علي جمعة في التأليف والكتابة .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: مدخل إلى دراسة مؤلفات الدكتور علي جمعة.

المبحث الثاني: جهود الدكتور علي جمعة في التحقيق والنشر.

الفصل الرابع : جهود فضيلة الدكتورعلي جمعة في خدمة التراث وعلومه.

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : التراث «إشكالياته فهمه تطبيقه » عند فضيلة الدكتور علي جمعة.

المبحث الثاني : جهود الدكتورعلي جمعة في خدمة الفقه الإسلامي .

المبحث الثالث : جهود الدكتور علي جمعة في الإفتاء .

المبحث الرابع : جهود الدكتور علي جمعة في علم أصول الفقه .

المبحث الخامس : جهود الدكتور علي جمعة في خدمة السنة النبوية وعلومها.

المبحث السادس : جهود الدكتور علي جمعة الدعوية .

الفصل الخامس : جهود فضيلة الدكتور علي جمعة في خدمة المجتمع .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أدوات بناء المجتمع عند فضيلة الدكتور علي جمعة .

المبحث الثاني : العمل المجتمعي عند فضيلة الدكتور علي جمعة .

الخاتـــمة.

وفيها ذكر أهم النتائج .

الفهارس، وتشمل :

١ـ فهرس المصادر والمراجع .

٢ـ فهرس الموضوعات .

وقد مكثتُ بضع سنوات من أجل إخراج هذا الكتاب، ولولا ما أعانيه من ظروف لكتبتُ أكثر من هذا، فأسأل الله أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه

مصطفى رضا الأزهري

الفصل الأول
كلمة حول التجديد

ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

مفهوم التجديد في الإسلام

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف التجديد.

المطلب الثاني : حديث التجديد

المطلب الثالث: المعاني المستفادة من الحديث

المبحث الثاني

آليات التجديد

المطلب الأول: ضوابط التجديد

المطلب الثاني: مجالات التجديد

المطلب الثالث: التجديد عند دعاة التنوير

المبحث الثالث

مفهوم التجديد عند فضيلة الدكتورعلي جمعة

الفصل الأول

كلمة حول التجديد

تمهيد:

يُعدُّ مصطلح «**التجديد**» من أكثر المصطلحات إثارةً وشيوعًا في الفكر الإسلامي المعاصر، وأعني «**بالمعاصر**» هنا كل التيارات الراهنة دون استثناء، وفي الوقت نفسه يثير هذا المصطلح حساسية بالغة في بعض الأوساط؛ نتيجة لسوء استخدامه والتلاعب بالدين تحت عباءته، وقد عُقد في الآونة الأخيرة كثير من المؤتمرات حول قضية التجديد وكان من آخرها المؤتمر الثالث عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية تحت عنوان : «**التجديد في الفكر الإسلامي**» ،وكذلك المؤتمر الأول لكلية الدراسات الإسلامية والعربية بالقاهرة، يكون تحت عنوان:«**تجديد الخطاب الديني بين دقة الفهم وتصحيح المفاهيم**»،فإنه بذلك يثبت مدى إلحاح هذا المصطلح وانتشاره من جهة، ويدفع به إلى حيز التداول الشرعي من جهة أخرى، وقد يكون في التغيّرات الحاصلة في المنطقة العربية خصوصًا ما يحفز على استخدام وشيوع ذلك المصطلح(١)؛ لذلك سنتناول في هذا الفصل الحديث عن مفهوم التجديد، والروايات الواردة في التجديد من حيث ثبوتها وصحتها، والمعاني المستفادة من هذه الروايات، وضوابط التجديد ومجالاته، ومفهوم التجديد عند دعاة التفلت من الشريعة وتكاليفها، ثم أردف ذلك ببيان مفهوم التجديد عند فضيلة الدكتور علي جمعة، وسيكون ذلك بمشيئة الله تعالى في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : مفهوم التجديد .

المبحث الثاني : آليات التجديد .

المبحث الثالث : مفهوم التجديد عند فضيلة الدكتور علي جمعة .

وفيما يلي بيان ذلك :

(١) انظر: مقال بعنوان « مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي »،للأستاذ عبد الرحمن الحاج إبراهبم .

المبحث الأول

مفهوم التــجديد

يُعدُّ مفهوم التجديد من أكثر المفاهيم التي تنازعتها التيارات الثقافية والفكرية المختلفة خلال الآونة الأخيرة؛ لذلك لابد أن نقوم بتحرير و تحليل هذا المصطلح حتى نفهمه فهمًا صحيحًا يتلائم مع الواقع المُعاش، وسنتناول بمشيئة الله تعالى في هذا المبحث ثلاثة مطالب وهي :

المطلب الأول : تعريف التجديد .

المطلب الثاني : حديث التجديد .

المطلب الثالث: المعاني المستفادة من الحديث .

وفيما يلي بيان ذلك:

۞۞۞

المطلب الأول

تعريف التجديد

أولًا: التجديد في اللغة.

الجديد في لغة العرب :نقيض الخَلِق، والخَلِق: هو القديم، فالجديد خلاف القديم(١).

يقول ابن منظور: جدد الشيء يجدده: صيَّره جديدًا،أي: حول القديم فجعله جديدًا (٢).

ثانيًا : التجديد في الاصطلاح الشرعي .

التجديد في الاصطلاح الشرعي هو: الاجتهاد في فروع الدين المتغيرة ، وفق أصوله الثابتة ، قال ﷺ:« إِنَّ اللهَّ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا »(٣).

وقد عرَّف العلماء التجديد فى الحديث بأنه هو :«إحياء ما اندرس من معالم الدين، وانطمس من أحكام الشريعة وما ذهب من السنن، وخفي من العلوم الظاهرة والباطنة»(٤).

وقيل هو:« إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما»(٥).

(١) انظر: كتاب «مختار الصحاح» لمحمد ابن أبي بكر الرازي (١/ ٥٤)،طبعة دار المكتبة العصرية بيروت.

(٢) انظر: كتاب « لسان العرب»لابن منظور (٣/ ٧١)،طبعة دار الكتب العلمية بيروت .

(٣) أخرجه أبوداود في سننه (٤٢٩١)،والحاكم في مستدركه (٨٥٩٢).

(٤) انظر: كتاب « فيض القدير شرح الجامع الصغير » لعبد الرؤوف المناوي (٢/ ٢٨١)،طبعة المكتبة التجارية الكبرى مصر .

(٥) انظر: كتاب « عون المعبود شرح سنن أبي داود» للعظيم آبادي(١١/ ٣٩١)، طبعة المكتبة السلفية المدينة المنورة .

ويقول المناوي عند شرحه لقولهﷺ «يجدد لها دينها»:أي يبين السنة من البدعة ويكثر العلم، وينصر أهله، ويكسر أهل البدعة ويذلهم. قالوا:« ولا يكون إلا عالمًا بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة»[1] ،فمن خلال هذه المفاهيم اللغوية والاصطلاحية «للتجديد» يمكن القول: بأنها تبعث في الذهن تصورًا تجتمع فيه ثلاثة معانٍ متصلة:

١- أنّ الشيء «**المُجدَّد**» قد كان في أول الأمر موجودًا وقائمًا وللناس به عهد.

٢- أنّ هذا الشيء أتت عليه الأيام فأصابه البلى وصار قديمًا.

٣- أنّ ذلك الشيء قد أُعيد إلى مثل الحالة التي كان عليها قبل أن يصير قديمًا على يد المُجدِّد الذي يبعثه الله رحمة منه ومنَّة على هذه الأمة .

وقد استخدم القرآن الكريم لفظ «الجديد» وليس لفظ«التجديد» بمعنى الإحياء والبعث بعد الموت، وإعادة الناس أحياء، وردهم إلى ما كانوا عليه قبل الموت، وقد أنكر الكفار بعثهم بعد موتهم، فيما حكاه القرآن عنهم من قولهم:﴿أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ [**السجدة:١٠**]،أي:قالوا مكذبين مستنكرين: أبعد ما صرنا ترابًا وعظامًا نرجع مرة أخرى كما كنا**!**

قال الطبري- رحمه الله- في تفسير قولهم السابق الذي حكاه عنهم القرآن: «منكرين قدرة الله على إعادتهم خلقًا جديدًا بعد فنائهم وبلائهم»[2].

والخلاصة : أنّ تجديد الشيء هو إعادته وإرجاعه إلى ما كان عليه، ومن هنا يتبين أنّ تجديد الدين لا يعني تغييره أو تبديله، وإنما يعني المحافظة عليه ليكون غضًّا طريًّا كما

---

(١) انظر: كتاب « فيض القدير شرح الجامع الصغير » لعبد الرؤوف المناوي (٢/ ٢٨١)،طبعة المكتبة التجارية الكبرى مصر .

(٢) انظر : كتاب « جامع البيان في تأويل القرآن» المعروف بتفسير الإمام الطبري (١٦/ ٣٥٨)،طبعة دار مؤسسة الرسالة .

أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ، كما أنّ الشيء إذا مرت عليه أحوال حتى صار قديمًا فإنما يأتيه التغير والاختلاف عما كان عليه أول أمره من أحد ثلاثة أوجه:

١- إما أن تُطمس بعض معالمه، حتى لا تتضح لمن ينظر فيها.

٢- وإما أن يُقتطع منه شيء، فتنقص بذلك مكوناته.

٣- وإما أن يضاف إليه ويزاد فيه، حتى تختلف صورته.

فالتجديد في تلك الأحوال يكون بإظهار ما طُمس، وإعادة ما نُزع ونقص، وإزالة ما أضيف إليه، وعلى ذلك فإن مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي يهتم بإحياء ما اندرس، وتقويم ما انحرف، ومواجهة الحوادث والوقائع المتجددة، من خلال فهمها وإعادة قراءتها؛ امتثالًا للأمر الإلهي المستمر بالقراءة : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق:١]، ومن هنا يتبين أنّ عملية التجديد عملية إصلاحية محافظة، وليست عملية تخريبية متفلتة؛ لأنّ التجديد المقصود ليس تغييرًا في حقائق الدين الثابتة القطعية لتلائم أوضاع الناس وأهوائهم، ولكنه تغيير للمفاهيم المترسبة، ورسم للصورة الصحيحة الواضحة، ثم هو بعد ذلك تعديل لأوضاع الناس وسلوكهم حسبما يقتضيه هذا الدين.

ثالثًا: تعريف المُجَدِّد :

عرَّف العلماءُ المجدِّد بأنه: من له حنكة رد المتشابهات إلى المحكمات، وقوة استنباط الحقائق والدقائق والنظريات من نصوص الفرقان وإشاراته ودلالاته[1] .

وعلى هذا فإنّ المجدِّد هو الذي يقوم بقمع بدع المبتدعين،ويعمل على إعادة الصورة الصحيحة لفهم الدين على كما جاء به النبي ﷺ، وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين، ومن تبعهم من الأئمة الراسخين ،كما يقوم المُجدد بنفي تحريف المبطلين، وغلو المتنطعين، وتفلت الفاسقين.

(١) انظر: « فيض القدير شرح الجامع الصغير » لعبد الرؤوف المناوي (١/ ٩)،طبعة المكتبة التجارية الكبرى مصر .

المطلب الثاني

حديث التجديد

أولًا: نص الحديث.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ:« إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»[1]

ثانيًا: ثبوت الحديث .

أخرج هذا الحديث جمع غفير من المحدثين منهم: أبو داود في «سننه»، والحسن بن سفيان في «مسنده»، والبزار في «مسنده»،والطبراني في «معجمه الأوسط»، وابن عدي في «مقدمة الكامل»،والحاكم في «المستدرك» ،وأبو نعيم في «الحلية»، والبيهقي في «المدخل»،كلهم من طريق خالد بن وهب، عن سعيد بن أبي أيوب، عن شَرَاحِيلَ بن يزيد المعافري، عن أبي علقمة، عن أبي هريرة، عن النبيﷺ.

ثالثًا: صحة الحديث .

صحح هذا الحديث جمع من الحفاظ والمحدثين منهم: الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني كما في «توالي التأسيس»[2]، والحافظ زين الدين العراقي كما في رسالة «التنبئة للسيوطي»، وحكى الإمام السيوطي الاتفاق على صحة هذا الحديث فقال: اتفق الحفاظ على أنه حديث صحيح، وممن نص على صحته من المتأخرين الحافظ أبو الفضل العراقي،والحافظ أبو الفضل ابن حجر في «مناقب الشافعي»، فأما المتقدمون فكلهم لهجوا بذكر هذا الحديث، فأخرجه الحاكم في مستدركه عقب روايته الحديث عن ابن

(١) سبق تخرجه .

(٢) انظر: « توالي التأسيس لمعالي محمد بن ادريس»،لابن حجر العسقلاني، صـــ ٤٩ ،طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت .

وهب، عن يونس، عن الزهري، قال: «فلما كان رأس المائة مَنَّ الله على هذه الأمة بعمر بن عبد العزيز »، قال الحافظ ابن حجر :«وهذا يشعر بأن الحديث كان مشهورًا في ذلك العصر،ففيه تقوية لسنده، مع أنه قوي لثقة رجاله»[١].

---

(١) انظر: « التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة» ،للإمام جلال الدين السيوطي،صـ ٤، طبعة دار الكتب والوثائق القومية.

المطلب الثالث

المعاني المستفادة من الحديث

إنّ المتأمل في رسالة هذا الحديث وموضعه في كتب السنة، يجد أن الحديث قد حوى بين طيات كلماته الكثير من المعاني والفوائد التي تصلح أن تُفرد في مصنف على حدة، وسنتناول بمشيئة الله تعالى في هذا المطلب الحديث عن بعض المعاني المستفادة من هذا الحديث، كموضع الحديث في كتب السنن، ورسالته، ولطائفه، وفيما يلي بيان ذلك :

أولًا : موضع الحديث في سنن أبي داود

إنّ الناظر في موضع هذا الحديث في كتب السنة، وخصوصًا في سنن أبي داود، يجد أنّ الإمام أبا داود قد صدره في أول باب من «كتاب الملاحم»، فقال :«كتاب الملاحم»، باب «ما يُذكر في قرن المائة»،وذكر الحديث، وهذا الفعل يحتاج لوقفة منا نتأمل فيها ما وجه العلاقة بين المُجَدِّد و الملاحم، حتى يذكر الإمام أبو داود هذا الحديث في «كتاب الملاحم»، والملاحم جمع ملحمة ، ويُراد بها المعارك والأحداث الجسام التي تقع في المستقبل بين المسلمين وأعدائهم، مأخوذة من التحام الجيشين المتحاربين؛ لذا يذكر أئمة الحديث في هذا الباب الأحاديث النبوية الواردة في قتال المسلمين للترك والرومان واليهود وغيرهم.

والسؤال هنا : لماذا وضع أبو داود هذا الحديث في هذا الباب ؟

الإجابة : إنّ هذا الصنيع الذي قام به أبو داود من فقه أئمة الحديث وبراعتهم في التصنيف، ويتجلى ذكر الحديث في هذا الموضع في لطائف ذكرها العلماء منها[(١)]:

١ـ أنّ المجدِّد ليس بعيدًا عن الأحداث الجسام التي تتعرض لها الأمة ، وعن

---

(١) انظر: بحث بعنوان: « نظرات في حديث التجديد»،لمحمد مسعد ياقوت .

الحروب المُعلنة على الإسلام ، فليس مكان المجدد الأبراج العالية بعيدًا عن الأحداث التي تعصف بالمسلمين ، كما أنه ليس بعيدًا عن ذروة السنام : الجهاد . وليس المجدد بالذي لا يضع يده في يد المسلمين في جهادهم ضد أعداء الإسلام.

٢ـ أنّ من معاني تجديد الدين انتصار الدين في تلك الملاحم والحروب التي قامت وستقوم لمحاولة هدم الدين ، فكأن الإمام أبا داود بتقديمه هذا الحديث على كل أحاديث الملاحم ، يريد أن يؤكد السنن الربانية القائلة بانتصار الدين الإسلامي في نهاية تلك الحروب، فأورد حديث التجديد الذي يبشر بالمكانة والريادة لأمة المسلمين .

٣ـ أنّ الملاحم والحروب التي أخبر عنها الرسول ﷺ تهدف بالأساس إلى القضاء على هذا الدين ، أو تشويهه، فمن ثَم يأتي دور المجددين للدفاع عن هذا الدين، وعن ثوابته ، بإحيائهم ما اندرس منه من المعالم بفعل أعداء الإسلام وحروبهم .

٤ـ أنّ عملية تجديد الدين عملية جهادية من الدرجة الأولى ، وهي تُغضب أعداء الإسلام، لما يقوم به المجددون من إحياء الفرائض الغائبة والسنن المغيبة ومحق البدع والخرافات الدخيلة ، لا سيما تلك الأفكار الخبيثة التي دسها أعداء الإسلام في عقول العرب وسلوكياتهم وأخلاقهم، لذا كان الإمام أبو داود فقهيًا حقًا عندما كتب هذا الحديث في باب يتحدث عن الجهاد ضد رايات الكفر.

٥ـ حاجة الأمة الإسلامية إلى المجدِّدين تكون أشد وأعظم في زمان الفتن والملاحم ، لا سيما تلك الحروب المعلنة على الإسلام . إذ وظيفة المجدد هو النهضة بهذه الأمة، والخروج بالأمة من عثراتها، سالمة غانمة منتصرة .

ثانيًا : رسالة الحديث .

يحمل هذا الحديث بين طياته رسالة عظيمة ألا وهي : «بعث الأمل في نفوس الأمة الإسلامية»، فالرسولﷺ يريد أن يرسل رسالة إلى أمته مفادها أن هذا الدين لن

يموت، وأن الله يقيض لهذه الأمة كل فترة زمنية من يجدد فهمها وأفكارها نحو هذا الدين ، وأنّ الله عز وجل لن يدع هذه الأمة تتيه بعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، لكنه يرسل لها من يوقظها من سبات ، ويجمعها من شتات، وينصرها من هزيمة، ويحررها من طغيان، وبالتالي فإنَّ هذا الحديث الجليل يقف ضد موجة اليأس والانهزام والقنوط، التي يبثها المثبطون والمعوقون، الذين يوحون إلى الناس بأنَّ الإسلام في إدبار، والكفر في إقبال، وأنه لا فائدة و لا أمل في التمكين للمسلمين في الأرض، كما مكّن الله الرعيل الأول من أتباع الحبيب المصطفى ﷺ.

ثالثًا : لطائف الحديث .

١ـ إنّ أول ما يستوقفنا في هذا الحديث الشريف ؛ هو قول النبيﷺ:« إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ »، فكأنَّ النبي ﷺ يقذف في قلب المستمع لهذا الحديث من أول وهلة سيلًا من الثقة والإيمان بعناية المولى سبحانه وتعالى «للمُجَدِّد»، وكلمة البعث هنا توحي بأنَّ الله تعالى يرسل لهذه الأمة من يصطفيه ويجتبيه من عباده ليحمل أمانة التجديد والنهضة ومسؤولية الإحياء،ونفع الأنام،والعمل على نشر الأحكام، فكأنّ المجدِّدين هم رسل الله بعد الأنبياء غير أنه لا نبي بعد سيدنا محمد ﷺ.

فإنّ هذا المبعوث لم يعد همه نفسه فحسب بل تجاوز ذلك ليعيش لهذه الأمة كي يقودها نحوالتقدم والازدهار.

٢ـ حينما ينظر المتأمل في الحديث إلى قوله ﷺ :«لِهَذِهِ الْأُمَّةِ»، يجد أنّ التجديد الإسلامي يهدف في أصله إلى مصلحة هذه الأمة في شتى مناحي الحياة، سواء السياسية، أو الاقتصادية، أو الفكرية أوالتربوية ... إلخ.

كما يُفهم من هذا أنّ المجدِّد ليس بالذي يعيش لنفسه، أو يعيش معزولًا عن أمته، أو معزولًا عن واقعه المُعاش، حبيس الكتب والمكتبات، فإنه بذلك يعيش من أجل

نفسه ،لكن المجدد الحقيقي هو الذي يعيش بكل كيانه لهذه الأمة ، ولأبناء هذه الأمة مهما كان مكانهم ومهما كان حالهم ومهما كانت أرضهم، فإننا نعيش لأنفسنا أعمارًا فوق أعمارٍ حينما نعيش للآخرين.

والمراد بالأمة في الحديث : أمة الإجابة،ويحتمل أمة الدعوة ،كما قاله: الشيخ القاري[1].

٣ـ قوله ﷺ:«على رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ»، فإنّ المقصود بالرأس في الحديث كان محل خلاف بين العلماء، وقد أشار إلى هذا الخلاف الشيخ المناوي في مقدمة كتابه «فيض القدير»؛ حيث قال: واختُلِف في رأس المائة هل يعتبر من المولد النبوي أو البعثة أو الهجرة أو الوفاة ولو قيل بأقربية الثاني لم يبعد ، لكن صنيعالسبكيوغيره مصرح بأنّ المراد الثالث، أي: الهجرة.

ذلك لأنّ العلماء في حديثهم عن المجددين اعتبروا التاريخ الهجري هو الأساس ، وهو معقول ؛ لأنه التاريخ الذي ألهم الله المسلمين منذ عهد عمر أن يؤرخوا به دون غيره ، فلم يعتمدوا المولد ولا البعثة ولا الوفاة .

ومن هنا بدأ الشراح يتساءلون هل المقصود «بالرأس» في الحديث أول المائة أم آخرها؟

اختلف العلماء في المعنى المقصود «بالرأس» في الحديث على عدة آراء، وفيما يلي بيان ذلك:

الرأي الأول: ما ذهب إليه جماعة من العلماء إلى أنّ المقصود بالرأس هو: «أول المائة» .

(١) انظر: « مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح » لملا علي القاري(١/ ٣٢١)، طبعة دار الفكر ــ بيروت

واستدل أصحاب هذا الرأي بما ورد عن العرب في استعمالهم «الرأس» بمعنى «الأول» ، حيث يقولون: «أعد عليَّ كلامك من رأسه»، أي: من أوله،ويقولون أيضًا: «رأس الأمر الإسلام»،أي: أوله وأسه، ويقولون أيضًا: «رأس الشهر »، أي: أوله .

الرأي الثاني: ما ذهب إليه جماعة آخرون من العلماء إلى أن المقصود بالرأس هو:« آخر المائة».

واستدل أصحاب هذا الرأي بما جاء في قوله ﷺ:« قَدْ كَانَتْ إِحْدَاكُنَّ تَرْمِي بِالْبَعْرَةِ عِنْدَ رَأْسِ الْحَوْلِ »[1]، أي: آخره،ومثله قوله ﷺ:«أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ؟ فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ»[2]،فإنه لا مرية في أنّ المراد من رأس المائة في هذا الحديث هو «آخر المائة».

والمتأمل في أدلة الرأيين يجد أنهما قد استدلا باللغة؛ لأن أصل مادة رأس في اللغة: تدل على التجمع والارتفاع وتستعمل هذه المادة في الوجهين في أول الشيء وآخره، قال صاحب «تاج العروس» : «رَأْسُ الشَّيْءِ: طَرَفُه، وَقيل: آخِرُه»[3] .

والراجح من الرأيين : هو أنّ المراد «برأس المائة» في الحديث «آخرها» .

والدليل أنّ المراد «برأس المائة» هو «آخرها» لا أولها، أنالزهريوأحمد بن حنبلوغيرهما من الأئمة المتقدمين والمتأخرين اتفقوا على أن منالمجددينعلى «رأس المائة الأولى»عمر بن عبد العزيزرحمه الله ، وعلى رأس المائة الثانية الإمام الشافعي رحمه الله ، وقد توفي عمر بن عبد العزيزعام (١٠١هجريًا)، وله أربعون سنة ومدة خلافته سنتان ونصف، وتوفي الشافعي(عام٢٠٤هجريًا)، وله أربع وخمسون سنة .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٣٧٢٦)،وابن ماجه في سننه(٢٠٨٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢١٧)،وأبو داود في سننه(٤٣٤٨).

(٣) انظر: « تاج العروس من جواهر القاموس » للمرتضى الزبيدي(١٦/ ١٠٩)،طبعة دار الهداية .

فلو لم يكن المراد من رأس المائة «آخرها»، لما عدواعمر بن عبد العزيز من المجدِّدين على رأس المائة الأولى، ولا الإمام الشافعي على رأس المائة الثانية؛ لأنه لم يكن ولادة عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى فضلًا عن أنّ يكون مجدِّدًا عليها في وجود من هم أفضل منه، وكذلك لم تكن ولادة الشافعي على رأس المائة الثانية ، فكيف يصح كونه مجددًا عليها .

ويقول الحافظ ابن حجر العسقلاني: « رأس مائة سنة، أي: عند انتهاء مائة سنة»(١) .

ونقل الشيخ شمس الحق العظيم آبادي عن الإمام الطيبي أنه قال »: الرأس مجاز عن آخر السنة، وتسميته رأسًا باعتبار أنه مبدأ لسنة أخرى» (٢)، وعليه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الذي كان يصف فيه رسول الله ﷺ حيث قال:«بَعَثَهُ الله عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ، وَتَوَفَّاهُ اللهُ عَلَى رَأْسِ سِتِّينَ سَنَةً »(٣)، قال شراح الحديث توفاه على رأس ستين ، أي: «آخره»(٤) .

إذن ظهر حق الظهور أنّ المراد من رأس كل مائة آخرها،وعليه فيكون معنى البعث على رأس المائة حينئذٍ هو: من انقضت عليه المائة وهو حي عالم مشهور ، وهذا هو ما أشار إليه الإمام السيوطي في منظومته: «تحفة المهتدين بأخبار المجددين»،حيث قال:

(١) انظر: « فتح الباري شرح صحيح البخاري» للحافظ ابن حجر العسقلاني(١/ ٢١٢)، طبعة دار المعرفة بيروت .

(٢) انظر: « عون المعبود شرح سنن أبي داود» للعظيم آبادي(١١/ ٣٨٩)، طبعة المكتبة السلفية المدينة المنورة .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٩٠٠)،ومسلم في صحيحه (٦١٥٩) .

(٤) انظر: « عون المعبود شرح سنن أبي داود» للعظيم آبادي(١١/ ٣٨٩)، طبعة المكتبة السلفية المدينة المنورة .

وَالشَّرْطُ فِي ذَلِكَ أَنْ تَمْضِيَ الْمِائَةْ   وَهُـوَ عَـلَى حَيَاتِـهِ بَـيْنَ الْفِئَـةْ
يُشَـارُ بِالْعِلْـمِ إِلَى مَقَامِـهِ   وَيَنْـصُرُ السُّـنَّةَ فِي كَلَامِـهِ

تتمة:

ذهب جماعة من أهل العلم إلى عدم اشتراط «الأولية أو الآخرية »، في بعث «المُجدِّد»، وقالوا: إنّ المجدِّد يظهر كلما دعت الحاجة إليه؛ ذلك لبعد الناس عن عهد النبوة، أو لبعدهم عن عصر المجدِّد السابق، لاسيما في أزمنة النكبات والفتن التي نعيشها الآن، ومن ثَمَّ يظهر المجددون في أي يوم من أيام السنة ، وفي أي سنة من سنوات القرن، وذلك فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء .

٤ـ أما قوله ﷺ:« مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»،فإنه يدل على أنّ الدين المُجدَّد هو الدين الذي يعتقده الناس ، وهو «الإسلام»؛ لذلك قال :« يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»،فنسب الدين إلى الأمة ، ولم يقل مثلاً : يجدد لها الدين أو يجدد لها دين الله ! فوظيفة المجدِّد هو تجديد الدين الذي يتصوره ويعتقده الناس بحيث يتفق مع قواعد وأصول الدين الذي أنزله الله غضًّا طريًّا على نبيه ﷺ.

أما بشأن كلمة:« مَنْ » في الحديث، فقد قال العلماء : إنّ كلمة: « مَنْ » هنا اسم موصول تفيد الإطلاق ، فيحتمل أنّ يكون المجدِّد فردًا ، ويحتمل أنّ يكون طائفة من الناس ، ويحتمل أن تكون مدرسة إسلامية تجدد في المجال التربوي أوتقوم على تنقية السنة من البدع والخرافات، أوتعمل على التجديد في فهم كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وبناءً عليه فلا يلزم تتبع أسماء أفراد من العلماء في كل قرن والمفاضلة بينهم لتمييز المجدِّد فيهم ، فقد يكون كلهم ساهم في تجديد هذا الدين وبعثه الله في الأمة، وقد وقع الخلاف بين العلماء في هذه المسألة على رأيين:

الرأي الأول : أن المجدد على رأس المائة يكون فردًا واحدًا، وهذا ما ذهب إليه الجمهور كما نسبه السيوطي إليهم، في منظومته «تحفة المهتدين بأخبار المجددين» حيث قال:

وكـونـه فــردًا هــو المشهور   قد نطق الحديث والجمهور

الرأي الثاني : ذهب جمع من العلماء إلى أنه لا يلزم أن يكون على رأس كل مائة سنة مجدِّد واحد فقط ، بل يمكن أن يكون أكثر من واحد، وهذا ما ذهب إليه الحافظ ابن حجر العسقلاني، وابن الأثير، والحافظ الذهبي، والإمام ابن كثير، والإمام المناوي، وغيرهم.

يقول الحافظ الذهبي رحمه الله:«الذي أعتقده من الحديث أنّ لفظ «مَنْ يُجَدِّدُ » للجمع لا للمفرد»[1] .

ويقول الحافظ ابن حجر : « لا يلزم أن يكون في رأس كل مائة سنة واحد فقط بل يكون الأمر فيه كما ذكر في الطائفة وهو متجه؛ فإنّ اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير ولا يلزم أنّ جميع خصال الخير كلها في شخص واحد إلا أن يدعى ذلك في عمر بن عبد العزيز فإنه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى باتصافه بجميع صفات الخير وتقدمه فيها ومن ثم أطلق أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث عليه وأما من جاء بعده فالشافعي وإن كان متصفًا بالصفات الجميلة إلا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد والحكم بالعدل، فعلى هذا كل من كان متصفًا بشيء من ذلك عند رأس المائة هو المراد سواء تعدد أم لا»[2] .

---

(١) انظر: «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» للحافظ الذهبي (٢٣/ ١٨٠)،طبعة دار الكتاب العربي بيروت

(٢) انظر : « فتح الباري شرح صحيح البخاري» للحافظ ابن حجر العسقلاني(١٣/ ٢٩٥)، طبعة دار المعرفة بيروت.

وقد تكلم العلماء في هذا الأمر كلامًا طويلًا،كما ذكر صاحب «جامع الأصول»؛ حيث قال: إنّ كل قائل قد مال إلى مذهبه وحمل تأويل الحديث عليه، والأولى أن يحمل الحديث على العموم، فإن قوله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنةٍ من يُجدِّد لها دِينَها»، لا يلزم منه أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلاً واحدًا، وإنما قد يكون واحدًا، وقد يكون أكثر منه فإن لفظة «مَنْ» تقع على الواحد والجمع[١].

تنبيه:

لابد لكل إنسان أنْ يعلم أنّ التجديد لا يختص بالفقهاء فقط، كما ذهب إليه بعض العلماء، فإن انتفاع الأمة بالفقهاء، وإن كان نفعًا عامًا في أمور الدين، فإن انتفاعهم بغيرهم أيضًا كثير مثل: أولي الأمر، وأصحاب الحديث والقُرَّاء والوعَّاظ، وأصحاب الطبقات من الزّهاد، فإن كل قوم ينفعون بفنّ لا ينفع به الآخر، إذ الأصل في حِفْظِ الدِّين حفظُ قانون السياسة، وبث العدل والتناصف الذي به تحقن الدماء ويتمكَّن من إقامة قوانين الشرع، وهذه وظيفة أُولي الأمر، وكذلك أصحاب الحديث: ينفعون بضبط الأحاديث التي هي أدلّة الشرع، والقُرَّاء ينفعون بحفظ القراءات وضبط الروايات، والزُّهاد ينفعون بالمواعظ والحث على لزوم التقوى والزهد في الدنيا، فكل واحد ينفع بغير ما ينفع به الآخر[٢].

وعليه فإنّ المراد بمن يجدِّد ليس شخصًا واحدًا ، بل المراد به جماعة يجدد كل واحد منهم في بلد، أو في فن أو فنون من العلوم الشرعية ما تيسر له من الأمور التقريرية أو التحريرية ، ويكون سببًا لبقائه وعدم اندراسه وانقضائه إلى أن يأتي أمر الله .

---

(١) انظر : « جامع الأصول في أحاديث الرسول»لمجد الدين ابن الأثير (١١/ ٣١٩)، طبعة دار البيان .
(٢) المصدر السابق .

فائدة:

وقد بينَّ العلماء أسماء المجددين الماضين ، فصنف الإمام السيوطي في ذلك أرجوزة أسماها «**تحفة المهتدين بأخبار المجددين** »[1] : وأذكرها هنا لتمام الفائدة، قال رحمه الله تعالى:

الْحَـمْـدُ للهِ الْعَظِيمِ الْمِنَّـةِ ... الْمَانِحِ الْفَضْلِ لِأَهْـلِ السُّنَّةِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نَلْتَمِسْ ... عَـلَى نَبِيٍّ دِينُهُ لَا يَـنْـدَرِسْ
لَـقَـدْ أَتَـى فِي خَـبَرٍ مُشْتَهِرْ ... رَوَاهُ كُـلُّ حَـافِـظٍ مُعْتَبَرْ
بِـأَنَّـهُ فِي رَأْسِ كُـلِّ مِـائَـةٍ ... يَبْعَثُ رَبُّـنَـا لِهَـذِي الْأُمَّـةِ
مَـنًّـا عَـلَـيْـهَـا عَـالِمًـا يُجَـدِّدُ ... دِيـنَ الْهُـدَى لِأَنَّـهُ مُجْتَهِدُ
فَـكَـانَ عِـنْـدَ الْمِـائَـةِ الْأُولَى ... عُمَرْ خَلِيفَةُ الْعَدْلِ بِإِجْمَاعٍ وَقَرْ
وَالشَّافِعِيُّ كَـانَ عِنْدَ الثَّانِيَةِ ... لِمَا لَـهُ مِـنَ الْعُلُومِ السَّامِيَةِ
وابـن سُرَيْـجٍ ثَـالِـثُ الْأَئِـمَّـةْ ... وَالْأَشْـعَـرِيُّ عَـدَّهُ مَـنْ أَمَّـهْ
والباقلاني رابـع أو سهل أو ... الاسفراني خَلَفٌ قَدْ حَكَوْا
وَالْخَـامِـسُ الْحَـبْرُ هُوَ الْغَزَالِي ... وَعَـدَّهُ مَـا فِيهِ مِـنْ جِـدَالِ
وَالسَّادِسُ الْفَخْرُ الْإِمَامُ الرَّازِي ... وَالـرَّافِـعِـيُّ مِـثْـلُـهُ يُـوَازِي
وَالسَّابِعُ الرَّاقِي إلى المراقي ... ابـن دَقِـيـقِ الْعِيدِ بِاتِّفَاقِ
وَالثَّامِنُ الْحَـبْرُ هُوَ الْبُلْقِينِي ... أَوْ حَافِظُ الْأَنَـامِ زَيْنُ الدِّينِ
وَالشَّرْطُ فِي ذَلِكَ أَنْ تَمْضِيَ الْمِائَةْ ... وَهُـوَ عَلَى حَيَاتِهِ بَـيْنَ الْفِئَةْ
يُـشَـارُ بِالْعِلْمِ إِلَى مَقَامِهِ ... وَيَـنْـصُرُ السُّنَّةَ فِي كَـلَامِـهِ
وَأَنْ يَكُونَ جَامِعًا لِكُلِّ فَنِّ ... وَأَنْ يَعُمَّ عِلْمُهُ أَهْـلَ الزَّمَنِ

(١) انظر: « التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة» ،للإمام جلال الدين السيوطي،صـ ٣٢، طبعة دار الكتب والوثائق القومية.

وَأَنْ يَكُونَ فِي حَدِيثٍ قَدْ رُوِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمُصْطَفَى وَقَدْ قَوِي
وَكَـوْنُـهُ فَـرْدًا هُـوَ الْمَشْهُورُ قَدْ نَطَقَ الْحَدِيثُ وَالْجُمْهُورُ
وَهَـذِهِ تَاسِعَةُ الْمِئِينَ قَدْ أَتَتْ وَلَا يُخْلَفُ مَا الْهَـادِي وَعَدْ
وَقَـدْ رَجَـوْتُ أَنَّنِي الْمُـجَـدِّدُ فِيهَا فَفَضْلُ اللهَّ لَيْسَ يُجْحَدُ
وَآخِــرُ الْمِـئِـينَ فِـيـمَا يَـأْتِي عِيسَى نَبِيُّ اللهَّ ذُو الْآيَـاتِ
يُجَــدِّدُ الـدِّيـنَ لِهـذي الأمـة وفي الصلاة بعضنا قد أمه
مُـقَـرِّرًا لِـشَرْعِـنَـا وَيَحْـكُـمُ بِحُكْمِنَا إِذْ فِي السَّماءِ يُعْلَمُ
وَبَـعْـدَهُ لَمْ يَـبْـقَ مِـنْ مُجَـدِّدِ وَيُرْفَعُ الْقُرْآنُ مِثْلَ مَا بُدِي
وَتَكْثُرُ الْأَشْرَارُ وَالْإِضَـاعَـةْ مِـنْ رَفْعِهِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَهْ
وَأَحْمَــدُ اللهَّ عَـلَى مَـا عَلَّمَا وَمَـا جَـلَا مِـنَ الْخَفَا وَأَنْعَمَا
مُصَلِّيًا عَـلَى نَـبِـيِّ الـرَّحْـمَـةْ وَالْآلِ مَعْ أَصْحَابِهِ الْمُكْرُمَةْ

يقول الشيخ العظيم آبادي في شرحه على سنن أبي داود[1] : وقد عدَّ العلماء من المجدِّدين على

رأس المائة العاشرة: شمس الدين بن شهاب الدين الرملي .و على **رأس الحادية عشر**: إبراهيم بن حسن الكردي الكوراني خاتمة المحققين، وعمدة المسندين نزيل المدينة.

وعلى رأس الثانية عشر: الشيخ صالح بن محمد بن نوح الفلاني نزيل المدينة،والسيد المرتضى الحسيني الزبيدي.

وعلى رأس الثالثة عشر : القاضي حسين بن محمد الأنصاري الخزرجي السعدي اليماني، انتهى كلامه.

---

(١) انظر: كتاب « عون المعبود شرح سنن أبي داود» للعظيم آبادي(١١/ ٣٩٥)، طبعة المكتبة السلفية المدينة المنورة .

وقلتُ: وعند رأس المائة الرابعة عشر، الموافقة عام ١٤٠٠من الهجرة، وعام ١٩٧٩ من الميلاد، تخرج شيخنا العلامة الحجة الفقيه الأصولي المفسر غرة الزمان مجدِّد العصر، مفتي الديار المصرية الأستاذ الإمام فضيلة الدكتور علي جمعة، في الأزهر الشريف ؛ ليكون حصوله على شهادة التخصص في علوم الشريعة عند «رأس المائة» إشارة على ظهور نجمه، وأنه أحد المجدِّدين، الذين سيملؤون طباق الأرض علمًا.

المبحث الثاني

آليات التجديد

إنّ أشد ما نحتاج إليه اليوم هو وضع آليات تضبط عملية التجديد في الفكر الإسلامي ذلك؛ لأنّ الآراء والأفكار أصبحت ترد الآن على الأمة الإسلامية من جميع الحضارات، وخاصة الحضارة الغربية الحديثة، التي هي محل إعجاب الغالبية العظمى من المسلمين، وقد سهل انتشار تلك الأفكار والحضارات في المجتمعات الإسلامية، بسبب ما يعيشه العالم الحديث من ثورة معلوماتية ليس لها نظير من قبل ، وتتمثل هذه الثورة في القنوات الفضائية، والإنترنت وطرق الاتصال اللاسلكي، وشتى وسائل التواصل الإجتماعي ، وهذه الأفكار الواردة تختلف عن الفكر الإسلامي من حيث منطلقاتها وأهدافها، فهي تنطلق من مبدأ يعزل الدين عن الحياة، وتهدف إلى توفير الرفاهية والحرية المطلقة للفرد، وسنتناول بمشيئة الله تعالى في هذا المبحث ثلاثة مطالب، وهي :

المطلب الأول: ضوابط التجديد .

المطلب الثاني: مجالات التجديد .

المطلب الثالث: التجديد عند دعاة التنوير.

وفيما يلي بيان ذلك :

المطلب الأول

ضوابط التجديد

يتضح لنا مماسبق أنه لابد من وضع ضوابط تغربل الأفكار التي يتبناها بعض المسلمين لتجديد فكرنا الإسلامي[(١)]، ويمكننا أن نُقسم تلك الضوابط إلى قسمين، قسم لابد أن يتوفر في «المُجدِّد»، وقسم لابد من وجوده في «المُجَدَّد». وسنتناول في هذا المطلب الحديث عن هذه الضوابط وفيما يلي بيان ذلك:

أولًا: ضوابط «المُجَدِّد» سواء كان فردًا أو جماعة:

الضابط الأول: أنّ يكون المُجَدِّد على عقيدة أهل السنة والجماعة« الأشاعرة والماتريدية ».

الضابط الثاني: أنّ يكون المُجَدِّد عالمًا متبحرًا في علوم الشريعة.

الضابط الثالث: أن يكون المُجَدِّد صاحب إرادة في التغيير، ينطلق بالأمة من واقعها المرفوض المنحرف إلى طريق الصلاح والنجاح وفق رؤية ومنهجية معتمدة.

الضابط الرابع: أن يكون المُجَدِّد مدركًا لواقعه المُعاش، عالمًا بما يدور فيه من أحداث.

الضابط الخامس: أن يكون المُجَدِّد عالمًا باللغة وفروعها؛ لأن بها يُعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها، فلا يمكن أن يكون المُجَدِّد مُجَدِّدًا وهو جاهل بلغة العرب ،التي هي وعاء الشرع ومحوره، ومن غيرها لا يُفهم الشرع.

الضابط السادس: أن يكون المُجَدِّد عالمًا بالنحو، لأن المعنى يتغير ويختلف

(١) مقال بعنوان «ضوابط تجديد الفكر الإسلامي« للدكتور/ يوسف على فرحات.

باختلاف الإعراب فلا بد من اعتباره ،فالنحو له أهمية عظيمة ، حتى قال بعضهم : «النحو للسان كالملح للطعام» .

الضابط السابع: أن يكون المُجَدِّد عالمًا بالتصريف؛ لأن به تُعرف الأبنية والصيغ.

الضابط الثامن: أن يكون المُجَدِّد عالمًا بالاشتقاق؛ لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما كالمسيح هل هو من السياحة أو المسح؟ .

الضابط التاسع: أن يكون المُجَدِّد عالمًا بعلم المعاني؛ لأن به يعرف خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى.

الضابط العاشر: أن يكون المُجَدِّد عالمًا بعلم البيان؛ لأن به يعرف خواص تراكيب الكلام من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها.

الضابط الحادي عشر: أن يكون عالمًا بعلم البديع؛ لأن به يعرف وجوه تحسين الكلام ، وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة وهي من أعظم أركان المفسر لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز وإنما يدرك بهذه العلوم .

الضابط الثاني عشر: أن يكون المُجَدِّد عالمًا بعلم العقائد بما في القرآن من الآيات الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى ، و ما يستحيل وما يجب وما يجوز .

الضابط الثالث عشر: أن يكون المُجَدِّد عالمًا بأصول الفقه، لأنه به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط .

الضابط الرابع عشر: أن يكون المُجَدِّد عالمًا بالناسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره .

الضابط الخامس عشر: أن يكون المُجَدِّد عالمًا بعلم الفقه، وبخلاف العلماء في فروعه ومسائله؛ إذ بإحاطة الجزئيات تُعرف الكليات .

الضابط السادس عشر: أن يكون المُجَدِّد عالمًا بالأحاديث التي وردت كتفسير للآيات المجملة .

فهذه الضوابط هي التي تحفظ فكرنا التجديدي من الفوضى الفكرية التي قد تكون سببًا لنشوء النزاعات وهدم المجتمعات.

ثانيًا : ضوابط «المُجَدَّد» :

الضابط الأول : عدم تصادم التجديد مع أصول الشريعة وثوابتها، بل يقتصر على فقه الشريعة وآليات فهمها، ولهذا فإنّ التجديد ليس خروجًا عن الدين أو تجاوزاً له، بل هو مجرّد استجابة طبيعية لحاجات التديّن وسط مستجدات العصر وتقنياته المتعددة.

الضابط الثاني: عدم وقوع التجديد في مواطن النصوص قطعية الثبوت والدلالة، كنصوص القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، قطعية الدلالة على معانيها،لكن التجديد يقع في المسائل الظنيّة، التي وقع حولها اختلاف العلماء، والفقهاء ، والتي فيها فسحة للاجتهاد والرأي بما لا يتعارض مع ثوابت الدين.

الضابط الثالث : أنّ يكون للتجديد مرجعية علمية يستمد شرعيته منها؛ لأنّ التجديد القائم على الخلط بين العام والخاص والمطلق والمقيد والمعاني الاصطلاحية والمعاني اللغوية، أو على التفسير وفقًا لفهمه للغة بدون مرجعية يرجع إليها من كتب اللغة العربية، بحجة أن هذه الكتب دُونت بعد نزول القرآن فهي متأثرة فيه ، هو مجرد ضرب من العصارة الفكرية الضارة غير قابلة للحياة فكيف تعطي تجديدًا لأمة.

الضابط الرابع : عدم مخالفة التجديد لأصول الشرع الشريف وضوابطه بدعوى التيسير على الناس؛لأنّ هذا الدين يسر وهو في الوقت نفسه دين تكليف، فالتجديد القائم على الانحلال من تكاليف هذا الدين بدعوى التيسير على الناس هو باب عريض لخروج الناس من هذا الدين فاليسر قائم في الدين، موجود فيه؛ فمن القواعد المقررة

عند العلماء أن المشقة غير المحتملة تجلب التيسير.

الضابط الخامس: أن يكون القصد من التجديد هو إصلاح الفكر الديني لدى الأمة، والسعي لإحيائه وبعثه وإعادته إلى صورته الصحيحة، فإنّ الإصلاح كان مهمة الأنبياء والرسل فليس التجديد ترفًا فكريًّا وإنما رسالة أعظم خلق الله ﷺ،فإن دور المجدد لا ينحصر في جلب القيم الجديدة التي لا تخالف الشرع فحسب، وإنما في الإبقاء على القيم التي جاء بها الأنبياء مع التوظيف الأمثل لهذه القيم وتطبيقها علي المجتمع، فالتجديد لا يكون بشئ يخالف الشريعة ومقاصدها، وليس قائم على الهوى وإنما يكون الدافع إليه تحقيق المصالح المعتبره التي تعود علي الأمة بالخير في أمر الدنيا والآخرة؛ لذلك كان التجديد سمة من سمات الشريعة الإسلامية باعتبارها خاتمة الشرائع السماوية.

الضابط السادس: مراعاة الاختصاص في التجديد، فكما لا نجد في علوم الهندسة والطب وغيرها إلا المتخصصون، فكذلك أيضًا يجب أن يكون تجديد الخطاب الديني شأن علماء الدين، فهذه حقيقة قررها كتاب الله تعالى في قوله: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء:٧]، ويفهم من هذا النص أن مراعاة الاختصاص والتخصص شرط بديهي لأهل هذه التخصصات، فإن مَثل الذي يتحدث عن التجديد في الإسلام من غير أهله، مَثل الذى يشتغل بعلاج المريض وهو لا يعرف عن الطب والجراحة سوى نزع الأسنان، والإسلام قد أقر هذا المبدأ مبدأ التخصص واعتبره مطلبًا شرعيًّا وعقليًّا لقوله تعالي: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأنبياء:٧]، والمقصود لا يفتي في كل اختصاص إلا أهله، وإلا صار الأمر من الاجتهاد إلى الفوضى.

المطلب الثاني

مجالات التجديد

إنّ مفهوم التجديد يقوم على العلم النافع والاستزادة من علم الشريعة الظاهرة والباطنة ومعرفة النصوص والمقاصد والمآلات، كما يقوم علىإحياء ما غاب عن الناس من مفاهيم، فأول مراحل التجديد بعد العلم هو إزالة الغربة عن الدين بمفاهيمه وأحكامه ورسم الصورة الصحيحة الواضحة له، وإحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما، والرد على أهل الباطل وأهل البدع وكسر شوكتهم والبراءة منهم ،وتعديل أوضاع الناس وسلوكهم حسبما يقتضيه هذا الدين؛ لذلك لابد للإنسان أن يعرف المجالات التي يكون فيها التجديد؛لكي يكون على بصيرة من أمره ، وللتجديد مجالات متعددة . وسنتناول في هذا المطلب الحديث عن هذه المجالات وفيما يلي بيان ذلك:

أولًا:تنقية العقيدة الإسلامية من جميع ما علق بها من آراء دخيلة.

ثانيًا:العمل على إحياء الآثار القلبية النابعة من صدق الإيمان ومن أعمال القلب: كالحب والبغض والخوف والرجاء والإنابة والخشوع.

ثالثًا:رفض الانحرافات التي يلصقها المتشددون والمتفلتون بالعقيدة الإسلامية.

رابعًا:إحياء الحركة العلمية التي تهدف إلى دراسة القضايا الشرعية ، دراسة تأصيلية مبنية على المنهجية العلمية المنضبطة.

خامسًا:صياغة المنهج السليم للتعلم من خلال استقراء مناهج السلف الصالح لا مسائلهم.

سادسًا:العمل على نشر القيم والأخلاق وتزكية السلوك الفردي والاجتماعي.

سابعًا:نشر العلم الشرعي وربط الناس بالنصوص الشرعية تعظيمًا وامتثالًا ولا يُكتفى بالوعظ فقط.

ثامنًا: بيان حال المناهج والاتجاهات والمبادئ المخالفة للإسلام وبيان خطرها على الأمة وكيفية دحرها.

تاسعًا:إزالة الالتباس الذي يحدثه المتفلتون، على أنهم دعاة للتجديد وهم دعاة للهدم والتبعية لأعداء الإسلام.

وأختم الحديث في هذا المطلب بما ذكره الإمام النووي رحمه الله تعالى عن وظيفة المجدِّدين قال :«ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين، منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض»(١).

---

(١) انظر : «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»،للإمام النووي(١٣/ ٦٧) طبعة دارإحياء التراث العربي بيروت .

المطلب الثالث

مفهوم التجديد عند دعاة التنوير

إن دعاة التنوير في هذا العصر قد ملؤوا الدنيا ضجيجًا، برغبتهم في التجديد وبضرورة فتح باب الاجتهاد على مصراعيه، وأنهم هم أصحاب الفكر الديني المستنير،والذي ظهر من أن التجديد لديهم يعني تطوير الدين على طريقة عصرنة الدين عند اليهود والنصارى؛ لذلك سنتناول بمشيئة الله تعالى في هذا المطلب ماذا يعني «التجديد» عند دعاة التنوير في هذا العصر و فيما يلي بيان ذلك:

أولًا: التخلص من العلوم المعيارية «علوم الآلة» التي بها يستطيع الإنسان أن يفهم النصوص الشرعية فهمًا صحيحًا،فتجدهم يهدمون علوم اللغة، و علم التفسير وأصوله، وعلم أصول الفقه، وعلم مصطلح الحديث، ويطالبون بتغييرها حتى تلائم العصر.

ثانيًا:رفض الأحاديث الصحيحة جزئيًّا أو كليًّا بحجة ملائمة ظروف العصر الحاضر.

ثالثًا:رفض السنة فيما يخص شؤون الحكم والسياسة وأمور الحياة والمجتمع عمومًا، ودعوى أنها ليست من الدين.

رابعًا: الدعوة إلى التحرر من كهنوت الشريعة إلى بحبوحة القوانين الوضعية التي تحقق الحرية والتقدم حتى قيل: إنّ العالم اليوم قد بلغ سن الرشد وليس بحاجة إلى وصاية السماء.

خامسًا: فتح باب الاجتهاد بحيث يدخل فيه كل الناس وأن يكون الفقه فقهًا شعبيًا.

سادسًا: إنكار الإجماع بدعوى لا وصاية لأحد على أحد.

سابعًا: التجديد عندهم المعاصرة وتحقيق روح العصر ، دون النظر لمرجعية يرجعون إليها، حتى قال أحدهم:« وما يهمنا هو ورح العصر، وما نهتم به من مشاكل

العصر فلذلك فنحن نهتم بالأمثال العامية وبسير الأبطال كما نفعل تمامًا مع النصوص الدينية وبالأغاني الشعبية».

ثامنًا:التجديد عندهم الاجتهاد على ما يراه الشعب قال المستشرق جيب:«تعود الكلمة الفصل إلى ضمير الشعب بمجموعه، إن صوت الشعب معترف به في الإسلام الحنيف على أنه يأتي بعد صوت الله وصوت النبي، ليكون المصدر الثالث لليقين الديني»[(١)].

ولكي تتم الفائدة سوف أذكر أهم البواعث التي دفعت «دعاة التنوير» من المعاصرين إلى الكلام في التجديد :

١ـ التحرر من الأحكام وكره الحق.

٢ـ تبني أفكار المعتزلة،وهم لايعرفون ماهي الأصول التي قام عليها الفكر الإعتزالي، كما أنهم ينادون براية التجديد من خلال المدرسة الإصلاحية المزعومة لديهم.

٣ـ الجهل بالسنة وبمناهج السلف.

٤ـ الغرور وحب الشهرة والانهزام النفسي.

٥ـ الإعجاب المفرط بالغرب والتقليد الأعمى له.

وأختم الحديث في هذا المطلب بالكلام عن وسائل «دعاة التنوير» المُستخدمة في الوصول إلى تجديد الدين :فوسائل التجديد عندهم هي:

١ـ رفع الشعارات الزائفة وإثارة الشبه.

٢ـ بلبلة الأفكار والطعن والتشكيك في الأصول والقواعد الشرعية.

٣ـ الاستخفاف والسخرية والتطاول على العلماء من السلف والمعاصرين.

٤ـ الإعجاب بكل جديد والبغض لكل قديم.

---

(١) انظر: «العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب»،لمحمد حامد الناصر،صــ ٣٥٤،طبعة دار الكوثر الرياض .

المبحث الثالث

مفهوم التجديد عند فضيلة الدكتور علي جمعة

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ «التجديد » أداة من « أدوات بناء الحضارات»،فقد جاءت الشريعة الإسلامية بمدح التجديد، وبيان أهميته، بل إنّ نصوص الشرع الشريف نفسها تؤكد ذلك المعنى، فتارة يحدثنا الشرع الشريف عن التجديد باعتباره أمرًا واجب التنفيذ، ويحث عليه المسلمين، وذلك في مقام الإيمان، فإن الإيمان نفسه يبلى ويخلق ويحتاج إلى أنْ يجدد في قلوب الموحدِّين، وذلك في قول النبي ﷺلأصحابه: «جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ» ، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَكَيْفَ نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا؟ قَالَ: «أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[1]، وتارة يحدثنا الشرع عن التجديد على أنه نعمة يمنُّ الله بها على هذه الأمة الخاتمة، ومن هذا قول النبي ﷺ[2]: « إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَىَ رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا »[3].

ويرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ «التجديد» أمر ديني ونعمة من نعم الله علينا، كما يرى فضيلته أنّ «التجديد» لم يكن قط موضع اتهام وريب في العصور السابقة؛ لذلك ظل «التجديد» موجودًا وحاضرًا في الغالب طول تاريخ الإسلام، كل زمن حسب مقتضياته وأدواته، وطبقًا لظروفه، وأحواله، وذلك ما جعل هذا الدين صالحًا لكل زمان ومكان، حتى أظلنا العصر الحاضر فصارت لمصطلح التجديد دلالات سلبية عند كثير من الملتزمين التراثيين لما شاع عندهم من أنّ «التجديد» معناه التفلت من تكاليف الشرع كلها أو بعضها، أو الأخذ بالشاذ من الأقوال ومخالفة ما استقر عليه

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٨٧١٠)، والحاكم في مستدركه (٧٦٥٧) .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) انظر: مقال بعنوان: «تجديد الخطاب الديني» لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

العلماء المخلصون، أو أنّ المراد من التجديد هو الانتقاء من النصوص الشرعية، ما يتفق والأهواء والمصالح الشخصية، أو أنّ «التجديد» يشمل الثوابت والمتغيرات، لكل ذلك شاع عند العامة من المتدينين تلك السمعة السيئة عن «التجديد» وأهله ودعاته، وواجه علماء الإسلام المخلصون في دعوتهم «للتجديد» أشد الصعوبات في بيان ما يقصدونه من كلمة التجديد[١].

والناظر في كلام فضيلة الدكتور علي جمعة يجد أنّ فضيلته يرى أنّ معنى «التجديد» الوارد في الكتاب والسنة، هو: البعث والإحياء والإعادة، وليس بمعنى الإنشاء والخلق، وقد أكد فضيلته أنّ هذا ما أثبتته التجربة التاريخية عند علماء المسلمين؛ حيث نجد فطنة الإمام الغزالي وبراعته حين رأى أنّ الفقه قد انفصل عن المقاصد النفسية والشعورية التي تدعو المؤمن للتقوى والخشوع والورع إلى عبادة الله بعد أن غفل الفقه عن هذا وخلا منه وأصبح جسدًا بلا روح وشكلًا بلا مضمون عكف على الخروج من هذه الحالة بتجديد علوم الدين والرجوع بالخلق إلى مقصود الشرع منهم، وهو عبادة الله عز وجل، وعمارة الأرض، وتزكية النفس، فألف كتابه الماتع «إحياء علوم الدين» مع ما في كلمة إحياء من دلالة تؤيد ما نقصده من تجديد، وهو أننا نعني به تجديد القوالب، والوسائل التي نعرض فيها الفقه الإسلامي بمعناه الشرعي والحضاري، وهو ما نسميه إدراك الواقع ونستدل بهذا على أنّ الفهم في النصوص متجدد، ولا يكون كذلك إلا عن طريق أدوات الفهم الواردة في التراث مع ما يقتضيه الواقع من متغيرات وتعقيدات.

ويرى الدكتور علي جمعة أنّ واجب الوقت يحتم علينا أن نقتدي بما فعله الأعلام المسلمون على مر التاريخ في قضايا التجديد، وأن نراعي أنهم التزموا بضوابط كثيرة ينبغي علينا أن نتأملها وأن نتدبرها وأن نجرد ما فيها من معان، وأن نحولها إلى مناهج متبعة حتى ولو تجاوزنا بها أزمانهم ومسائلهم التي كانت تشغل بالهم أو التي كانت

(١) انظر: المصدر السابق.

محل نزاعهم وجدالهم؛ لأن هذا لا يعنينا كثيرًا أن نقف عند مسائل كل عصر فإن لكل عصر واجبًا، وينبغي علينا أن ندرك واجب عصرنا ونعيش فيه وله وبه، ومن الممكن أن نستفيد من مناهجهم دون أن نقف عند مسائلهم(١).

وحتى تؤتي عملية التجديد ثمارها يرى الدكتور علي جمعة أنه لا بد من توافر شروط في كل من التجديد والمجددين، أما التجديد فيجب مراعاة المزج بين ثلاثة عناصر في التراث الإسلامي، وهي: المصادر، وإدراك المصادر في ظل الواقع، وربط المصادر بالواقع.

فمن حيث المصادر يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ القرآن والسنة مصدران معصومان، وهناك مصادر أخرى كباقي أدلة الفقه المعتبرة كالإجماع والقياس والمصالح المرسلة وهناك مصادر تعدُّ التطبيق العملي لاستنباط الأحكام من هذه المصادر، وهي التراث الفقهي الموروث. فالمجدِّد يضع هذه المصادر أمامه ولا تغيب عنه في أثناء قيامه بعملية التجديد، وكذلك عليه ألا يغيب عن الواقع، وهو العنصر الثاني المتمثل في إدراك المصادر في ظل الواقع بعوالمه الأربع التي تتغير بها الفتاوى والأحكام، وهي: عالم الزمان والمكان والأشخاص والأحوال. والعنصر الثالث -وهو الأهم- الربط بين المصادر، وإدراكها، وإدراك الواقع، حتى لا يوقع المجتهد كلاما مكتوبا في الكتب على واقع قد تغير تغيرًا شديدًا، ولم يعد هو المذكور في الكتب، وهو ما سماه الإمام القرافي ضلال مبين ومن يفعله ضال مضل.

وأما من حيث شروط المجددين فالمحققون من العلماء رأوا أن المجدد الوارد في الحديث النبوي لا يختص بفرد وإنما قد يكون جماعة، ولعل ما ذهبوا إليه لا ينطبق على عصر كما ينطبق على عصرنا الذي كثرت فيه التخصصات وتعددت فيه الرؤى

(١) المصدر السابق.

والثقافات، وتلاحمت فيه دول العالم عن طريق التقنيات الحديثة المتمثلة في ثورة المعلومات ودقة وسائل المواصلات والاتصالات بجوانبها المختلفة، ولذلك فالتجديد لا يقوم بأعبائه شخص واحد أو عدد قليل من المجتهدين، وإنما تقوم به المؤسسات العلمية كل في تخصصه، على أن يتم ذلك في تعاون وتكامل مع المؤسسات الدينية في العالم الإسلامي، وفي مقدمتها الأزهر الشريف الذي كان له قصب السبق في هذا الميدان منذ إنشائه في القرن الرابع الهجري حتى يومنا هذا، خاصة مع ما يتمتع به من سمة طيبة ووسطية واعتدال وتوازن وانفتاح على كل من يريد الخير والنفع للإنسان والكون والحياة.

وعليه فإنّ قضية «التجديد »عند فضيلة الدكتور علي جمعة ليست قضية طارئة، ولا خارجة عن الإطار الإسلامي، لا في مصادره ، ولا في التجربة التاريخية التي مر بها الإسلام، بل هى قضية لها ضوابطها ووسائلها ، وتفصيل ذلك كله سنتعرف عليه من خلال صفحات هذا الكتاب .

۞۞۞

الفصل الثاني

شذرات من حياة الأستاذ الدكتور علي جمعة

ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول

التعريف بفضيلة الأستاذ الدكتورعلي جمعة

وفيه ثمانية مطالب :

المطلب الأول : اسمه ولقبه وكنيته

المطلب الثاني : مولده ونشأته وأسرته

المطلب الثالث: طلبه للعلم ومؤهلاته

المطلب الرابع: شيوخه

المطلب الخامس : منهجه العلمي

المطلب السادس : شخصيته

المطلب السابع: مكانته العلمية

المطلب الثامن: مواقفه

المبحث الثاني

المسيرة العملية لفضيلة الأستاذ الدكتورعلي جمعة

المطلب الأول : وظائفه .

المطلب الثاني : مدرسته.

الفصل الثاني
شذرات من حياة الأستاذ الدكتور علي جمعة

تعددت جوانب العطاء ومناحي النبوغ في شخصية فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة، وساعدت في ذلك جوانب عديدة؛ منها نضجه الفكري، وتكوينه العلمي، وجمعه بين الأصالة والمعاصرة، وأصالة رأيه وسمو خلقه، وظروف نشأته؛ لذلك سنتناول بمشيئة الله تعالى في هذا الفصل الحديث عن أسرته، ونشأته، ورحلته العلمية ،ومسيرته العملية، ومنهجه العلمي، وثناء العلماء عليه وسيكون ذلك في مبحثين:

المبحث الأول : التعريف بفضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة .

المبحث الثاني: المسيرة العلمية والعملية لفضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة .

وفيما يلي بيان ذلك :

المبحث الأول

التعريف بفضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة

يُعدُّ فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعةمن الشخصيات النادرة التي تظهر في التاريخ على فترات متباعدة، فإنَّ الناظر إلى شخصيته الجليلة، يجد أنه أمام شخصية فريدة «ضَنَّ الزمان أن يجود بمثلها»، هذه الشخصية التي انشغلت بكيفية تَلقي هذا الدين كاملًا عن من قبلنا، ولتحقيق هذا الهدف قام فضيلة الدكتور علي جمعة، بإجراءات كثيرة، فخالط العلماء والمشايخ، وغاص في التراث الإسلامي ، حتى أدرك نسقه، ودوائر علومه، ومقاصده، ومعالمه، حيث استطاع فضيلته من أن يُحول النصوص الشرعية إلى برامج عمل يعيش بها، وسوف أتناول الحديث عن هذا بمشيئة الله تعالى في ثمانية مطالب، هي :

المطلب الأول : اسمه ولقبه وكنيته .

المطلب الثاني : مولده ونشأته وأسرته .

المطلب الثالث: طلبه للعلم ومؤهلاته.

المطلب الرابع: شيوخه .

المطلب الخامس : منهجه العلمي .

المطلب السادس : شخصيته.

المطلب السابع: مكانته العلمية .

المطلب الثامن: مواقفه .

وفيما يلي بيان ذلك:

المطلب الأول

اسمه ولقبه وكنيته

لما كان الاسم عند العرب ينقسم إلى ثلاثة أقسام، هي :«العَلَم، والكنية، واللقب»، أحببتُ أنْ أتناول التعريف بفضيلة الدكتور علي جمعة من هذا المنطلق؛ حيث تناولتُ في هذا المطلب التعريف باسمه، ولقبه، وكنيته، وفيما يلي بيان ذلك :

أولاً: اسمه .

هو الإمام العلامة الحجة الأصولي، الفقيه، المفسر، غرة الزمان مُجَدِّد العصر، مفتي الديار وحامي الزمار، عضو هيئة كبارالعلماء ، من أحيا الله تعالى به العلم وحلقاته في الأزهر الشريف بعد طول موات، شيخنا وشيخ مشايخنا فضيلة الأستاذ الدكتور علي بن جمعة بن محمد بن عبد الوهاب بن سليم بن عبد الله بن سليمان الأزهري منهجًا، الأشعري عقيدة ،الشافعي مذهبًا، الشاذلي طريقًة، متع الله به وبارك في عمره،ونفعنا به وبعلومه في الدارين آمين.

ثانيًا: لقبه .

إنّ مَن يُقلِّب أوراق كتب التراجم يجد أنها حفلت بأوصاف وألقاب كثيرة تطلق على العلماء، فلا نجدها نفسها تتكرّر مع كلّ عالم ، بل تختلف في الأغلب فيما يلقى على كل واحد منهم من الألقاب ،ويرجع هذا إلى ما اتَّصف به كلّ واحد من الصّفات التى تميّز بها عن الآخرين ، وإلى طبيعة البيئة والزّمان الذي وجد فيه ، إذ لكل بيئة وزمان ألقابهم الخاصّة بهم(١)، فمن هذا المنطلق اشتهرفضيلة الدكتور علي جمعة، بعدة ألقاب، منها :

(١) انظر:«المنهج الفقهي للإمام اللكنوي» للأستاذ صلاح محمد سالم أبو الحاج، صــ٢٣، طـ دار النفائس الأردن .

١.الإمام العلامة .

أُطلق هذا اللقب على فضيلة الدكتور علي جمعة؛ لسعة اطلاعه وغزارة علمه، وتبحره في العلوم والفنون، ويؤكد هذا ما قاله عنه فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عمارة[١] حيث قال :« إن الدكتور علي جمعة قد عرفتُه مُفكرًا وعالمًا، صاحب عقلية متميزة تميزًا ملحوظًا، حيث منحه الله ذاكرة قوية يَغارُ منها «الحاسب الآلي»، وقد استوعب الدكتور علي جمعة، تراث أمته بمذاهبها الفقهية المختلفة، ومذاهبها الفلسفية المتعددة ، وهذا الاستيعاب جعله يرى هذا التراث في ضوء الواقع الذي يعيشه»ا.هـ .

ولقبُ «الإمام العلامة»، معناه : «العالم المُتَّبَع الذي يصح الاقتداء به لكثرة علمه»، ولا شك أن هذا الكلام ينطبق على فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة، حيث استُعين بفضيلته في وضع مناهج كلية الشريعة بسلطنة عمان، وجامعة العلوم الإسلامية والإجتماعية بواشنطن، كما عُيِّن فضيلته مشرفًا مشاركًا بجامعة هارفرد، وجامعة أكسفورد، والجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

٢.نور الدين .

اشتُهر عند المتأخرين من العلماء أنّ كل شخصٍ اسمه «علي» يكون لقبه «نور الدين»[٢]، والعلماء يقولون :«لكل إنسان من اسمه نصيب إذا عمل به»، والناظر في

---

(١) الأستاذ الدكتور محمد عمارة، عضو هيئة كبار العلماء.

(٢) إن قول العلماء النور، والشهاب، والشمس، والبرهان، هذه الألقاب كلها في الأصل مضافة إلى الدين، قال الإمام السيوطي في كتابه «الوسائل إلى معرفة الأوئل»: «إن أول حدوث التلقيب بالإضافة للدين كان في أثناء القرن الرابع؛ وسبب ذلك أن الترك لما تغلبوا على الخلافة كانوا يُسمون «بشمس الدولة»، و «ناصر الدولة»، و «نجم الدولة»، و «سيف الدولة»، فاشتاقت نفوس بعض العوام إلى التسمية بتلك الأسماء لِما فيها من تعظيم وفخر، فلم يجدوا لذلك سبيلاً لعدم دخولهم «الدولة» فرجعوا إلى «الدين»، ثم فشا ذلك وزاد حتى أنس به بعض العلماء فتواطئوا عليه» ا.هـــ . وتجد هذا التواطؤ الذي أشار إليه السيوطي واضحًا في ألقاب علماء المسلمين؛ حيث يطلقون

وجه الإمام المُجدِّد يجد النور في وجهه،فكان له من لقبه نصيب، عرف ذلك من عرف وجهله من جهل .

٣.صانع العلماء .

لما كان بناء العقول نحو التفكير هو أول طريق التجديد، قام فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة، بإنشاء وتأسيس جيل يفهم الشرع ويطبقه تطبيقًا يلائم زمانه ومكانه وحاله وأشخاصه، حيث اهتم في تربيتهم على بناء عقولهم،وحثهم على عدم الوقوف عند النص؛لأنّ من طلب الحق من الألفاظ هلك، أما من طلب الحق من المعاني رشد؛ ثم قام فضيلته بنشر علومه بين تلاميذه واهتم بالمنهجية العلمية،فبارك الله في هؤلاء التلاميذ، وأصبحوا أئمة كبار وعلماء أجلاء، حملوا على عواتقهم هم الدعوة ونقل علوم شيخهم وفق المنهج الأزهري الرصين ، وقد أقامهم الله خير مقام، فتجد فيهم من هو مشتغل بالتدريس ، وتجد فيهم من هو مشتغل بالخطابة والوعظ، وتجد فيهم من هومشتغل بالإفتاء، وتجد فيهم من هو مشتغل بالتأليف والتحقيق، ومن بركة الإمام العلامة أن صار لتلاميذه تلاميذ؛ بل صارلتلاميذ تلاميذه تلاميذ؛ لذلك لُقب فضيلته «بصانع العلماء».

٤.مقبرة المتشددين .

أَطْلَق هذا اللقب على فضيلة الدكتور علي جمعة، « أحد زعماء المتشددين بمصر »، وكان يحذر تلاميذه من الحضور لفضيلته، والسبب في إطلاق هذا اللقب على فضيلته يرجع لعدة أمور منها:

على محمد «شمس الدين»، وأحمد «شهاب الدين»، وعلي «نور الدين»، وإبراهيم «برهان الدين»، ويوسف «جمال الدين»، ويحيى «شرف الدين»، ثم تجد العلماء يختصرون هذه الألقاب فيقومون بحذف «المضاف إليه» ويُعوضون عنه «بأل»، فيقولون: الشمس، والشهاب، والنور، والبرهان، والجمال، والشرف، وقد اهتم العلماء بهذه الألقاب إهتمامًا عظيمًا، فقاموا بدوينها على كتاباتهم، وذكروها في أحاديثم، وأمثلة هذا مشهورة ومعروفة في كتب السير والتراجم.

أ-أنّ فضيلة الدكتور علي جمعة ، قد تعامل مع عقول المتشددين فأخرج منها السطحية، وأحيا وأدخل فيها المنهجية، حيث كان الشيخ يعرض في مجلسه كل الآراء،وبعد انتهائه يقول للحاضرين: «من كان عنده اعتراض فليظهره»، فكان الشيخ لا يعالج المسائل، ولكنه كان يعالج العقول، حيث كان يعطيهم المناهج التي يفكرون بها تفكيرًا سليمًا ،ويصلون بها إلى الحقيقة .

ب - أنّ كل من جاء إلى مجلس فضيلته وحضر درسه من المتشددين ، تاب ورجع عن فكره المتشدد، ولم يرجع إليه مرة أخرى، لذلك لُقب فضيلته «بمقبرة المتشددين» .

ثالثًا :كنيته .

كما اشتُهر فضيلة الدكتور علي جمعة بعدة ألقاب،كذلك اشتُهر بعدة كُنى، منها :

١.أبو الحسن .

قد اشتُهر لدى العلماء أن أبا الحسن كنية من كان اسمه «علي»، وعللوا ذلك بأنّ الإمام علي رضي الله عنه ولده هو الإمام الحسن عليه السلام؛ لذلك كُنِّي فضيلته «بأبي الحسن».

٢.أبو عبادة .

اختار فضيلته، هذه الكنية لنفسه؛حبًا في الصحابي الجليل سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، كما أن الله سبحانه وتعالى قد رزق فضيلته بطفلٍ مات جنينًا، عام«١٩٩٢م»، وقد سماه فضيلة الدكتور «عبادة »؛فكُنِّي فضيلته «بأبي عبادة ».

٣.أبو دعاء .

كُنِّي فضيلته بهذه الكنية؛ لأن ابنته الكبرى هي «السيدة دعاء»، وكان فضيلة الدكتور علي جمعة يكتب في نهاية رسائله لوالده رحمه الله تعالى له ويقول :« نورُ الدينِ ذو الكنى، أبو الحسن، وأبو عبادة، وأبو دعا ».

المطلب الثاني

مولده ونشأته وأسرته

لقد حظي فضيلة الدكتور علي جمعة بنشأة طيبة؛ حيث وُلد في أسرة كريمة تحترم العلم وتُجِلُّ أهله، فنشأ فضيلته محبًا للعلم منذ نعومة أظفاره، فهيأت له هذه النشأة سبل الوصول إلى أعلى المراتب، والاتصال بخيرة أساتذة عصره،حتى فاق أهل عصره، وأثبت تفوقه العلمي أمام أساتذته وأقرانه وتلاميذه، حتى نال أعلى الدرجات العلمية والعملية، وسنتناول بمشيئة الله تعالى في هذا المطلب الحديث عن مولده، ونشأته، وأسرته، وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً: مولده :

ولد فضيلة الدكتور علي جمعة، في قرية «طنسا» التابعة لمركز «ببا» بمحافظة «بني سويف» من أعمال «صعيد مصر»، في فجر يوم الاثنين الموافق السابع من شهر جمادى الآخر سنة« ١٣٧١ هـ » الموافق الثالث من شهر مارس سنة« ١٩٥٢م»، وكما أنّ عام «١٩٥٢م»، عام فصل بين عهدين، فكذلك محافظة «بني سويف» مدينة تفصل بين الوجهين «البحري والقبلي»، فتألفت لشخصية فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة، مزايا لم تتألف لغيره من اعتدال المزاج واستواء النفس.

ثانيًا: نشأته :

نشأ فضيلة الدكتور علي جمعة في بيت علم وتقوى، فتربى على فضائل الأخلاق والقيم الحميدة، التي غرست فيه المبادئ النبيلة، فقد وجد فضيلته منذ نشأته مكتبة عامرة لأبيه الذي كان حريصًا على الاطلاع والثقافة، فقد انعكست على شخصيته آثار تلك الشجرة الطيبة، فكانت بمثابة لبنة في بناء شخصيته، وهذا ما أكده فضيلته

عندما كان يتحدث عن والده رحمه الله تعالى، فقال فضيلته :«كان أبي رحمه الله تعالى سببًا لوجودي في هذه الحياة، وكان سببًا في إخراجي من الظلمات إلى النور، كان رحمه الله تعالى يدفعني إلى طريق العلم الشرعي الشريف، فهو الذي دفعني إلى حفظ القرآن وأكده في صدري وأنا في سن العاشرة، وكان رحمه الله يُحضر لي المراجع من أجل أن أقرأ وأستغل شغفي وهمتي في حب المعرفة، التي تولدت في قلبي لعلوم الشرع الشريف»ا.هـ.

بدأ الأستاذ الدكتور علي جمعة في تلقي دراسته النظامية منذ كان عمره خمس سنوات، حيث حصل على الشهادة الابتدائية سنة « ١٩٦٣م»، وعلى الشهادة الإعدادية سنة« ١٩٦٦م» من مدينة بني سويف، ثم انتقل إلى القاهرة، فحصل على الشهادة الثانوية سنة « ١٩٦٩م»، وعندما انتقل فضيلته مع أبويه إلى القاهرة، جذبت القاهرة عقله بمساجدها القديمة، فتعلق بشيوخها الذين يرابطون أعمدتها، وارتاد فضيلته مكتبات القاهرة العامرة ليصل ماضيه في مكتبة أبيه بحاضره في مكتبات القاهرة ، فلما رأى والده رحمه الله تعالى تعلقه بعلوم الإسلام قام بتشجيعه للدخول في معترك البحث الرصين،كما شجعه على الالتحاق بالأزهر الشريف، بين أن والدته رحمها الله رأت أن يأخذ حظه من العلوم الدنيا فاختار كلية التجارة، فحصل على بكالوريوس التجارة من جامعة عين شمس في مايو سنة « ١٩٧٣م»،ثم التحق فضيلته بعد ذلك بجامعة الأزهر، فحصل على الإجازة العالية «الليسانس» من كلية الدراسات الإسلامية والعربية سنة« ١٩٧٩م» .

ثالثًا أسرته :

١-والده .

وُلد الدكتور علي جمعة لأبٍ يشتغل بالمحاماة، متخصص في «الشريعة والقانون»، وهو : الأستاذ جمعة بن محمد بن عبد الوهاب، وهو أكبر أبناء محمد بن عبد الوهاب،

وقد ولد رحمه الله بقرية «طنسا»، في يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان سنة «١٣٣٣ هـ»، الموافق السادس من أغسطس سنة «١٩١٥م»، وسجل بدفتر المواليد تحت رقم«٧٣» في ١١ أغسطس سنة« ١٩١٥م»، الذي أصبح يوم مولده الرسمي، تخرج الأستاذ جمعة محمد رحمه الله في كلية الحقوق جامعة القاهرة، واشتغل بالمحاماة، وتخصص في الجانب الشرعي من القانون «الأحوال الشخصية» حتى برع فيها، وصار حجة يرجع إليه في دقائقها، واشتهر بها، كما عُرف عنه الدفاع عن الحق بالحجة القوية، والبيان الناصع، وانتقل إلى رحمة الله تعالى في يوم الاثنين السادس عشر من ربيع الآخر سنة« ١٤٠٨ هـ » الموافق ٧ من ديسمبر سنة« ١٩٨٧م»، ودفن رحمه الله بمقابر العائلة في القاهرة.

٢- أمه .

وُلد الدكتور علي جمعة لأمٍ عُرفت بالصلاح والتقوى، وهي: السيدة الفاضلة التقية النقية فتحية هانم بنت علي بن عيد بن سالم بن سالم الجندي الحموي، التي ولدت في محافظة «بني سويف» في الثالث من شهر جمادى الآخر سنة« ١٣٣٥هـ »الموافق ٢٤ أبريل سنة« ١٩١٧م»، كانت رحمها الله محافظة على صلاتها وصيامها ابتداء من سن تسع سنوات، وحتى يوم وفاتها، اشتُهرت بالكرم، وحسن الخلق، وهدوء النفس، والأستاذ الدكتور علي جمعة هو ابنها الوحيد لم تنجب من الذكور سواه، وقد ورث منها ومن أبيه هذه المعاني القيمة ، ماتت وهي تدعو له بالخير والعلم والقبول، وكان مما يرويه الثقاتُ عن فضيلة الدكتور علي جمعة، أن من دعاءها رحمها الله له : «اللهم اجعل في وجهه جوهرة، وفي فمه سُكْرة»، وقد استجيبت دعوتها رحمها الله بشهادة كل من لقيه وسمعه، انتقلت إلى رحمة الله تعالى، يوم السبت الثالث من شوال سنة« ١٤٢٣هـ »، الموافق السابع من شهر ديسمبر سنة« ٢٠٠٢ م»، ودفنت بمقابر العائلة بمحافظة «بني سويف» شرق النيل.

٣- زوجته وأولاده وأحفاده .

خاض فضيلة الدكتور علي جمعة تجربة الزواج في سن مبكر، والزواج في سن مبكر له فوائد متعددة، منها أنّ من تزوج مبكرًا يشاهد مالم يشاهده من تأخر في الزواج، حيث إنه يرى أبنائه في جميع مراحل الحياة، كما أن الزواج المبكر يخفف من أعباء الحياة، فلو تأخر شخص في الزواج وأنجب طفلًا وقد كبر في السن فهذا الطفل سيكون حِملاً وعِبئًا عليه، بخلاف من تزوج في سن مبكر وأنجب في الصغر، فإنّ ولده هذا سيكون له عونًا في الكِبر .

تزوج فضيلته من السيدة عفاف بنت علي بن عبده بن عبد اللطيف بن إسماعيل في ٨ شعبان « ١٣٩٤هـ » الموافق ٢٤ أغسطس سنة« ١٩٧٤م»، وهي من أسرة حسيبة نسيبة، تحب العلم وتجل أهله، يدل على ذلك ما كتبه الأستاذ علي عبده أبو إسماعيل، في يوم زفاف كريمته على فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة؛ حيث قال:

عَلِيّ العلى والفضل والأخلاق ... بُوركتَ من رجل طويل الساق
وشربت من خمر الجِنانِ منعما ... ورزقت من حُور النعيم الباقي
وهُديت للخير العميم مُكرما ... ووقيت شر الفقر والإملاق
ووعيت علما من تراث محمد ... تسمو به في ذروة الأخلاق
إني لوجهك مشتاق لطلعته ... في مطلع الإصباح والإشراق
زوَّجتكَ البكر الوحيدة قربة ... لوصال قربك يا أعز رفاقي
فهي العفاف وأنت أمجد سامق ... فاهنأ بذات الفضل في الأفاق
أعفاف بنت الأكرمين تحية ... من والديك لزوجك العملاق
أحظي به زوجا ودودًا طيبا ... بين الرجال موصل الأعراق
ترنو إليه بنات جنسك رغبة ... في حمل بطن مشبه العملاق

يـا ليتها ولــدت كثيرا مثله يرضون رغبة جده المشتاق
فأتت به فــردًا وحـيـدًا طيبا تهفو إليه بدمعة الإشفاق
يا خير من مدح الرجال خِصَالُه ورمـاه أهل الـزور بالإخفاق
أغضض بطرفك عن سُوء يردده أهل الوشاية في لهفٍ وإلحاق
لهفي عليك ولا لهفي على أحد سوى من يُدَانيك في تقوى وإنفاق
فاصِغي إليه عَفَاف حين قولته حتى تنالين عزًا ورضوانًا من الباقي
واستمسكي بالحق دائما أبدًا وارضي بقِسمة رَبك الخلاق

وقد أنجب فضيلة الدكتور علي جمعة من السيدة عفاف، ثلاث بنات تزوجن وأنجبن له أحفادًا.

الابنة الأولى : هي السيدة دعاء، ولدت في ١ يوليو سنة« ١٩٧٥م»، وأنجبت يوسف ماجد محمد عبد الفتاح .

الابنة الثانية : هي السيدة إيمان، ولدت في ٢٨ مايو سنة« ١٩٧٦م»، وأنجبت نور ثم عبد الرحمن ثم هيا وليد عادل إبراهيم الأنصاري.

الابنة الثالثة : هي السيدة أميرة، ولدت في ١٥ سبتمبر« ١٩٧٧ م»، وأنجبت محمد ثم رقية حسام الدين مصطفى علي .

لم يكن الزواج عائقًا لفضيلة الدكتور علي جمعة، بل وجد فضيلته في زوجه حفظها الله، السكن الذي هيأهُ للاطلاع على مسؤلياته الجسام، ووجد فيها المودة التي زودته بالطاقة والعطاء .

وتقول السيدة عفاف عن زوجها فضيلة الدكتور علي جمعة : « إنّ الدكتور علي جمعة هو شيخي وزوجي الفاضل، بدأت حياتنا الزوجية من حوالي أربعين سنة، رزقنا الله خلال هذه الفترة بثلاث بنات، تمتعوا بنا وتمتعنا بهم، كان هو نعم الأب، ونعم

الزوج، ونعم المعلم، علمنا أشياء كثيرة، من أهمها: أنّ السعادة في العفو والمسامحة والعطاء،كما علمنا أنّ الأسرة هي نواة المجتمع، فإذا صلحت صلح المجتمع، وكان يعلمنا بالقدوة وليس بالأوامر أو التعليمات، منتهجًا منهج التربية الإسلامية الشاملة، لكي يساعدنا على حسن التبصرة بالطريق القويم دون تعصب أو إرغام، أسأل الله أن ينفعنا به ويديم علينا نعمة وجوده؛لأنه نعم الأب ونعم الزوج ونعم المعلم ونعم الأستاذ»[١].

وتقول السيدة إيمان علي جمعة، عن والدها فضيلة الدكتور علي جمعة : « الشيء المهم الذي أريد أن أتحدث فيه هو «المبدأ» الذي ربانا عليه والدي فضيلة الدكتور علي جمعة، وهذا «المبدأ» هو أن «الدين المعاملة»،علمنا كيف نتعامل مع الأسرة، وكيف نتعامل مع الأصدقاء، وكيف نتعامل مع المجتمع، هذا «المبدأ» يجعل الإنسان متوازنًا في تعاملاته، وناجحًا في مختلف مجالات الحياة»[٢].

(١) لقاء تلفزيوني مسجل بعنوان: «قصة حياة الإمام علي جمعة».

(٢) المصدر السابق .

المطلب الثالث

طلبه للعلم ومؤهلاته

ذكرتُ سابقًا أن جوانب العطاء ومناحي النبوغ في شخصية فضيلة الدكتور علي جمعة، ترجع إلى جوانب عديدة؛ منها نضجه الفكري، وتكوينه العلمي، وجمعه بين الأصالة والمعاصرة، وأصالة رأيه وسمو خلقه، وظروف نشأته كما سبق بيانه؛ والذي يهمنا هنا هو التكوين العلمي لهذه الشخصية الفريدة؛ لذلك سنتناول بمشيئة الله تعالى في هذا المطلب الحديث عن تكوينه العلمي، ومؤهلاته ، وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً. طلبه للعلم .

عندما انتهى فضيلة الدكتور علي جمعة من تحصيل علوم الدنيا في سن مبكر، لم يتخلَّ عن حبه القديم «للعلم الشرعي» ورجاله فاتصل بالعلماء والمشايخ، وجلس إليهم ينهل من فيضهم فالتقى بكبار علماء عصره، وأخذ عنهم «العلوم الشرعية»، هذا وقد انتبه فضيلته إلى أنّ العلم إنما يكون بين « الأستاذ، والطالب، والكتاب، والمنهج، والمناخ العلمي»، وأنه لا بد «للطالب» من سلوك ما يُسمي في عصرنا بالدراسة النظامية «الأكاديمية»؛ لذلك التحق فضيلته «بجامعة الأزهر»،وقد قام فضيلته بدراسة مقررات «المناهج الأزهرية» في مراحل ما قبل الجامعة «الابتدائية، والإعدادية،والثانوية»، من البداية وفي جميع العلوم وبكل أنواعها على أيدي المشايخ حتى تتم له العملية التعليمية الصحيحة، كما حفظ فضيلته كثيرًا من المتون المقررة في «الأزهر الشريف»، فحفظ متن «تحفة الأطفال» في علم التجويد، و«ألفية ابن مالك» في علم النحو، ومتن «الرحبية» في علم المواريث، و«متن أبي شجاع» في الفقه الشافعي، و«المنظومة البيقونية» في علم الحديث، وغير ذلك كثير من المتون والشروح التي أثرت تأثيرًا واضحًا في علمه واستحضاره، فبذلك يكون فضيلته قد بدأ «الدراسة الأزهرية» من الخطوة الأولى،

وصولاً إلى «العالمية» ثم درجات الأُستاذية المختلفة.

وقد سلك فضيلة الدكتور علي جمعة سُبل «تلقي العلم الشرعي» على وفق «المنهج الأزهري الرشيد» الذي تلقته الأمة الإسلامية بالقبول على مر العصور وكر الدهور؛ ذلك لأنّ فضيلته فَطِن إلى أنّ كمال «المنهج العلمي» لا يتحقق إلا باكتمال علوم الدراية والرواية، ثم الارتقاء في معراج «التزكية» التي تُعدُّ «غاية الغايات»من التعليم، فكان «المنهج الأزهري» كفيلاً بتحقيق هذا الكمال وتحصيل هذه الغاية؛ لأنه يربي الطالب «دراية، ورواية، وتزكية» ، وهذه «الثلاثية» هي التي تجعل «المنهج الأزهري» هو الأقدر على أنّ يعيش هذا العصر الذي نحن فيه؛ لأنّ علوم الرواية مبنية على التوثيق و التأكد، وعلوم الدراية مبنية على الفهم الصحيح بأدواته المُعتبرة، وبالعلوم المساعدة التي تُوصل إلى هذا الفهم الصحيح، فالعلم لا ينفصل أبدًا تثبتًا وفهمًا عن الأخلاق و التربية، فتميز «المنهج الأزهري» بهذه «الثلاثية»؛ لذلك اختاره فضيلة الدكتور علي جمعة منهجًا له، دون سائر المناهج التي انتشرت بين الناس؛ لأنه كان أقدر وأقوم وأحسن في الوصول إلى الحق والحقيقة، لقيامه على عبادة الرحمن، وعمارة الأكوان، وتزكية الإنسان، وتلاوة القرآن، والحفاظ على الأوطان.

ثانيًا. مؤهلاته العلمية .

حصل فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة، بعد الثانوية العامة على بكالوريوس التجارة من جامعة عين شمس سنة« ١٩٧٣م».

ثم التحق فضيلته بكلية الدراسات الإسلامية والعربية، بجامعة الأزهر،فرع القاهرة، وحصل منها على الإجازة العالية «الليسانس» سنة« ١٩٧٩م».

ثم أكمل فضيلته مرحلة الدراسات العليا في تخصص «أصول الفقه» في كلية الشريعة والقانون.

ثم حصل فضيلته على شهادة الماجستير في «أصول الفقه» من كلية الشريعة والقانون، بتقدير امتياز سنة « ١٩٨٥م»، وكانت رسالته بعنوان : دراسة وتحقيق مباحث الخاص والخصوص والتخصُّص والظاهر والمؤول عن أبحاث الكتاب الكريم من كتاب «البحر المحيط» للإمام الزركشي رحمه الله تعالى ، «ت ٧٩٤ هـ» .

ـ وقد أشرف على فضيلته في هذه «الرسالة» فضيلة الأستاذ الدكتور شعبان إسماعيل، أستاذ أصول الفقه بجامعة الأزهر، وناقشه كلٌ من:

١ـ فضيلة الأستاذ الدكتور محمد محمود فرغلي، أستاذ أصول الفقه، وعميد كلية الشريعة والقانون الأسبق بالقاهرة .

٢ـ فضيلة الأستاذ الدكتور صبري محمد عبد الله معارك، عميد كلية الشريعة والقانون الأسبق بطنطا .

ثم حصل فضيلته على الدكتوراه في «أصول الفقه» من كلية الشريعة والقانون، بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف الأولى سنة« ١٩٨٨م»، وكانت رسالته بعنوان : دراسة وتحقيق كتاب «بيان المختصر» للإمام أبي الثناء شمس الدين محمود بن عبد الرحمن الأصبهاني «ت ٧٤٩ هـ».

وقد أشرف على فضيلته في هذه «الرسالة» فضيلة الأستاذ الدكتور محمد محمود فرغلي، أستاذ أصول الفقه، وعميد كلية الشريعة والقانون الأسبق، وناقشه كلٌ من:

١ـ فضيلة الأستاذ الدكتور السيد صالح عوض، أستاذ أصول الفقه، وعميد كلية الشريعة والقانون الأسبق.

٢ـ فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الحميد ميهوب، أستاذ الشريعة بكلية الحقوق جامعة بني سويف، الذي شهد بالعلم والتمكن لفضيلة الدكتور علي جمعة، فقد

رُوي[١] عن فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الحميد ميهوب، أنه قد خلص في حياته بثلاث رسائل استوفت المنهج العلمي منها رسالة الأستاذ الدكتور علي جمعة، التي ناقشه فيها، والرسالة الثانية للدكتور أسامة كحيل، والرسالة الثالثة للدكتور علي بن سعد بن صالح الضويحي.

(١) انظر: مقال بعنوان: «فضيلة الدكتور علي جمعة مفتي الجمهورية السابق»، موقع قناة أزهري.

المطلب الرابع

شيوخه

إنّ المتأمل في كلام فضيلة الدكتور علي جمعة في حديثه عن شيوخه وأساتذته، يجد أنّ فضيلته قد اعتبر كل من تلقى عليه العلم الشرعي، والاجتماعي من مشايخه وأساتذته؛ لذلك ترى فضيلته في سيرته الذاتية يحكي لنا عمّن درس عليهم في الأكاديميات سواء في كلية التجارة، أو في كلية الشريعة أو سواء أكان خارج الأكاديميات؛ حيث إن فضيلته قد طاف الأرض وأخذ الإجازات، وقرأ الكتب، وجمع الفوائد، واطلع على مشكلات الناس، وعلى حياتهم حتى صار حجة في ذلك، وإذا سمعته شعرت أنّ العالَم بين يديه، وأنه يعرف أكثر مما كنت تتخيل أنه يعرف، ذلك لأنّ فضيلة الدكتور علي جمعة قد تلقى علوم الدين والدنيا عن كوكبة من كبار علماء عصره؛ لذلك أحببتُ أن أذكر في هذا المطلب نبذًا تعريفية بشيوخ فضيلته، وفيما يلي بيان ذلك:

الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري

فمنهم[(١)] :العلامة المحدث فضيلة الشيخ عبد الله بن السيد بن محمد بن الصديق الغماري ، محدث العصر بلا منازع، كان يحفظ أكثر من خمسين ألف حديث بأسانيدها، وُلد رحمه الله تعالى «بطنجة من أعمال المغرب»، عام ألف وتسعمائة وعشرة من الميلاد «١٩١٠م»، لأسرة علمية ينتهي نسبها إلى الإمام الحسن ابن الإمام علي وسيدتنا فاطمة الزهراء بنت مولانا رسول الله ﷺ ، حفظ القرآن والمتون العلمية في بلده وهو صغير ، ثم رحل إلى فاس حيث حضر عدة شروح في جامعة القرويين منها : شرح الخرشي، وشرح القسطلاني لصحيح الإمام البخاري، وشرح المحلي على جمع الجوامع من أوله

---

(١) هذه اللفظة اخترتها لتكون في أول كل تعريف، منهم : أي من شيوخه، اقتداءً بالإمام القشيري في «رسالته»، والإمام الشعراني في «طبقاته الصغرى» .

إلى كتاب السُّنة، وقد أجازه السيد مهدي العزوزي، ثم رجع الشيخ الغماري إلى مسقط رأسه «طنجة» فدَرس بالزاوية الصديقية ، ثم رحل إلى مصر عام ألف وتسعمائة وواحد وثلاثين من الميلاد «١٩٣١م»؛ ليدرس في الأزهر الشريف حيث تخرج فيه وحصل على العالمية منه ، وللشيخ رحمه الله تعالى مؤلفات كثيرة تناول من خلالها مناقشة الكثير من القضايا التي تشغل الأمة الإسلامية منها:

١ـ حسن البيان في ليلة النصف من شعبان «مطبوع» .

٢ـ الأربعون حديثًا الصديقية في مسائل اجتماعية «مطبوع» .

٣ـ إعلام النبيل بجواز التقبيل « مطبوع » .

٤ـ الرأي القويم في وجوب إتمام المسافر خلف المقيم «مطبوع» .

٥ـ الصبح السافر في تحرير صلاة المسافر «مطبوع» .

٦ـ إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة «مطبوع» .

٧ـ الإعلام بأن التصوف من شريعة الإسلام «مطبوع ».

وغير ذلك من البحوث النافعة التي لا يتسع المقام لذكرها، توفى الشيخ الغماري عام ألف وتسعمائة واثنين وتسعين من الميلاد « ١٩٩٢ م» بطنجة ودُفن بها .

وقد لازم فضيلة الدكتور علي جمعة الشيخ الغماري مدة من الزمان قرأ فيها عليه صحيح «الإمام البخاري» كله، و«الموطأ»للإمام مالك، وكتاب «اللمع في أصول الفقه» للإمام أبي إسحاق الشيرازي ، وقرأ عليه أوائل الحديث، وأجازه بالرواية، والإفتاء، ونصح تلامذته بالجلوس إلى فضيلته والأخذ عنه، والتلقي منه، فقد أشار في كتابه «سبيل التوفيق في ترجمة ابن الصديق»،أنّ فضيلة الدكتور علي جمعة من نجباء طلبته في مصر، فكان رحمه الله تعالى يرشد الشباب إلى الالتزام به كمرشد ومربي، وكان يعتز به كثيرًا.

الشيخ عبد الفتاح أبو غدة

ومنهم : علم الأعلام، الغني عن البيان، الذي ملأ الأرض تحقيقًا وتدقيقًا وعِلمًا وخيرًا، صاحب العلم الوفي، والخلق الجلي، محي مآثر الصالحين الأولين من العلماء الفقهاء، العلامة الأصولي الفقيه الأديب المسند المحدِّث فضيلة الشيخ عبد الفتاح بن محمد بن بشير بن حسن أبوغدة ، ولد في مدينة حلب الشهباء شمالي سورية، في ١٧ رجب ١٣٣٥ الموافق ٩ مايو ١٩١٧م في حي الجبيلة .

كان والده محمد – يرحمه الله – رجلاً مشهورًا بين معارفه بالتقوى والصلاح والمواظبة على الذكر وقراءة القرآن، وكان يعمل في تجارة المنسوجات التي ورثها عن أبيه، حيث كان جده لأبيه من تجار المنسوجات في حلب، وينتهي نسب الشيخ رحمه الله تعالى من جهة والده إلى الصحابي الجليل خالد بن الوليد رضي الله عنه.

وعن طلبه للعلم فقد شعر جده أنّ حفيده عبد الفتاح سيكون له شأن آخر ولمس ذكاءه وتطلعه لطلب العلم فألحق الشيخ بالمدرسة العربية الإسلامية في حلب؛ حيث درس فيها أربع سنوات ثم التحق من تلقاء نفسه سنة١٣٥٦هـ/ ١٩٣٦م بالمدرسة الخسروية التي بناها خسرو باشا أحد ولاة حلب أيام الدولة العثمانية، وتخرج فيها سنة ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٢م،وبعد تخرجه رحل الشيخ في طلب العلم إلى مصر عام ١٣٦٤/ ١٩٤٤ للدراسة في الأزهر الشريف، فالتحق بكلية الشريعة ودرس فيها على يد نخبة من كبار علمائها في الفترة ما بين ١٣٦٤–١٣٦٨هـ/ ١٩٤٤–١٩٤٨م، ثم تابع دراسته فتخصص في علم النفس أصول التدريس في كلية اللغة العربية في الأزهر أيضاً وحاز على شهادتها سنة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م.

وقد تتلمذ الشيخ أبو غدة على كوكبة من كبار علماء الأمة في عصره مثل :

١ـ الشيخ راغب الطباخ.
٢ـ الشيخ أحمد بن محمد الزرقا .
٣ـ الشيخ عيسى البيانوني.
٤ـ الشيخ محمد الحكيم .
٥ـ الشيخ أسعد عبجي.
٦ـ الشيخ أحمد بن محمد الكردي.
٧ـ الشيخ مصطفى الزرقا .
٨ـ الشيخ محمد أبو زهرة .
٩ـ الشيخ محمد الخضر حسين .
١٠ـ الشيخ يوسف الدجوي .
١١ـ الشيخ أحمد محمد شاكر .
١٢ـ الشيخ محمود بن محمد شلتوت.
١٣ـ الشيخ مصطفى صبري .
١٤ـ الشيخ عبد الحليم محمود.
١٥- الشيخ عيسى منون .
١٦- الشيخ زاهد الكوثري .
١٧ـ الشيخ عبد الوهاب خلاف.

وعن جهود الشيخ أبو غدة العلمية فإنّ فضيلته يُعدُّ من العلماء الثقات، الذين يفخر بهم العالم الإسلامي في هذا القرن، فقد أحاط بالعلوم الشرعية، و ملك زمام اللغة العربية والشعر والتاريخ، وتبحر في علمي الفقه والحديث، حيث أكب منذ بداية حياته العلمية على تحقيق ونشر الكتب النفيسة في هذين الفنين وغيرهما، فمن مؤلفاته:

١- مسألة خلق القرآن وأثرها في صفوف الرواة والمحدثين وكتب الجرح والتعديل
٢- صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل.
٣- كلمات في كشف أباطيل وافتراءات.
٤- العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج.
٥- قيمة الزمن عند العلماء.
٦- لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث.
٧- أمراء المؤمنين في الحديث.
٨- من أدب الإسلام.
٩- الإسناد من الدين ومعه: صفحة مشرقة من تاريخ سماعات الحديث عند المحدثين.

١٠- منهج السلف في السؤال عن العلم وفي تعلم ما يقع وما لم يقع.

١١- السنة النبوية وبيان مدلولها الشرعي والتعريف بحال سنن الدارقطني.

١٢- تحقيق اسمي الصحيحين واسم جامع الترمذي .

١٣- الرسول المعلم وأساليبه في التعليم.

١٤- نماذج من رسائل أئمة السلف وأدبهم العلمي.

وغير ذلك من التحقيقات والمؤلفات التي يطول ذكرها،وتُوفي الشيخ أبو غدة فجر يوم الأحد التاسع من شوال ١٤١٧هـ، الموافق ١٦ من فبراير ١٩٩٧م عن عمر يناهز الثمانين عاماً.

وقد صاحب فضيلة الدكتور علي جمعة الشيخ أبو غدة وقرأ كتاب «الأدب المفرد » للإمام البخاري، وأجازه برواية العلم، ولما حقق فضيلته كتاب «أصول الفقه» لشيخه محمد أبو النور زهير، ووضع في صدره إجازة الرواية لهذا الكتاب الذي أعطاها له الشيخ زهير، قال له الشيخ عبد الفتاح : «قبلنا الإجازة منك»، وهذا عند العلماء شرف كبير يتشرف به الدكتور علي جمعة أن يروي عنه شيخه، وأستاذه، وهو معروف عند علماء الحديث بالتدبيج، وكان الدكتور علي جمعة يفخر بها، ويعدها أعظم من شهادة العالمية التي نالها بجدارة، وذلك من فرط أدبه وحبه لمشايخه، وأساتذته ومزيد تعظيمه لهم في نفسه.

الشيخ محمد أبو النورزهير

ومنهم: العلامة الكبير شيخ الأصوليين في زمانه فضيلة الشيخ محمد أبو النور زهير، وكيل جامعة الأزهر، وأستاذ أصول الفقه بكلية الشريعة، وعضو لجنة الفتوى، وهو من كبار علماء الأمة في عصره، ولد عام ١٣٢٦هـ وتوفي عام ١٤٠٨هـ.

قرأ عليه فضيلة الدكتور علي جمعة كتابه في « علم أصول الفقه» كاملاً في أربعة

مجلدات ببيته، وأجازه بالتدريس والإفتاء، كما أنه قبل ذلك كان قد قرأ بعضه عليه أثناء دراسته بجامعة الأزهر بالإجازة العالية، أو بالدراسات العليا.

وقد تأثر الدكتور علي جمعة بالشيخ زهير؛ لسعة اطلاعه، وتفننه في مختلف العلوم، ولعظيم وفضله، ولمعرفته بالمنطق والمعقول، أما أصول الفقه فكان الدكتور علي جمعة يصف شيخه بأنه لو جُمع عرقه لكان من أصول الفقه، مدحًا فيه وفي علمه، واختلاط ذلك العلم بلحمه ودمه.

ومن المواقف الخالدة التي سطرها التاريخ في حياة فضيلة الدكتور علي جمعة أنه قد تغيب مرة عن الدرس، فيحكي زملاؤه أن الشيخ زهير تعكر لذلك جدًا، وأخذ يردد قول أبي فراس الحمداني :

سَيَذْكُرُني قومي إذا جَـدَّ جِـدُّهُـمْ وفـي اللّيلةِ الظَّلْماءِ يُفْتَـقَـدُ البدر

فيستشهد بقوله : « يُفْتَـقَـدُ البدر» قاصدًا بذلك تلميذه الدكتور علي جمعة .

الشيخ جاد الحق علي جاد الحق

ومنهم : فضيلة الشيخ الإمام الأكبر شيخ الأزهر جاد الحق علي جاد الحق، ولد رحمه الله تعالى يوم الخميس ١٣ من جمادى الآخرة عام ١٣٣٥هـ الموافق ٥ من إبريل عام ١٩١٧م ببلدة بطرة مركز طلخا محافظة الدقهلية في أسرة صالحة فحفظ القرآن الكريم وجوَّده وتعلَّم القراءة والكتابة في كُتَّاب القرية على يد شيخها الراحل سيد البهنساوي، ثم التحق بالجامع الأحمدي بطنطا في سنة ١٩٣٠م، واستمر فيه حتى حصل على الشهادة الابتدائية سنة ١٩٣٤م، وواصل فيه بعض دراسته الثانوية، ثم استكملها بمعهد القاهرة الأزهري حيث حصل على الشهادة الثانوية سنة ١٩٣٩م، بعدها التحق بكلية الشريعة الإسلامية، وحصل منها على الشهادة العَالِية سنة ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٣م، ثم التحق بتخصص القضاء الشرعي في هذه الكلية، وحصل منها على الشهادة العَالِية مع الإجازة في القضاء الشرعي سنة ١٩٤٥م.

عُيِّن فور تخرجه موظفًا بالمحاكم الشرعية في ٢٦ من يناير سنة ١٩٤٦م، ثم أمينًا للفتوى بدار الإفتاء المصرية بدرجة موظف قضائي في ٢٩ من أغسطس سنة ١٩٥٣م، ثم قاضيًا في المحاكم الشرعية في ٢٦ من أغسطس ١٩٥٤م، ثم قاضيًا بالمحاكم من أول يناير سنة ١٩٥٦م بعد إلغاء المحاكم الشرعية، ثم رئيسًا بالمحكمة في ٢٦ من ديسمبر سنة ١٩٧١م، وعَمِلَ مُفتشًا قضائيًّا بالتفتيش القضائي بوزارة العدل في أكتوبر سنة ١٩٧٤م، ثم مستشارًا بمحاكم الاستئناف في ٩ من مارس سنة ١٩٧٦م، ثم مفتشًا أول بالتفتيش القضائي بوزارة العدل.

عُيِّن مفتيًا للديار المصرية في ٢٢ من رمضان سنة ١٣٩٨هـ الموافق ٢٦ من أغسطس سنة ١٩٧٨م، كما اختير فضيلته عضوًا بمجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٨٠م، وتم تعيين فضيلته وزير الدولة للأوقاف بالقرار رقم ٤ لسنة ١٩٨٢م بتاريخ ٩ من ربيع الأول ١٤٠٢هـ الموافق ٤ من يناير ١٩٨٢م.

مكث الشيخ في الوزارة أشهرًا قليلة ما لبث بعدها أن تولَّى مشيخة الأزهر في ٢٢ جمادى الأولى ١٤٠٢هـ الموافق ١٧ من مارس سنة ١٩٨٢م، بالقرار الجمهوري رقم ١٢٩ لسنة ١٩٨٢م. فأصبح هو الشيخ الثاني والأربعين من سلسلة شيوخ الأزهر.

وقد شهد الأزهر الشريف في عهد الإمام الراحل نهضة كبيرة، فقد انتشرت المعاهد الأزهرية في كل قرى ومدن مصر، كما لم تنتشر من قبل، فقد بلغ عدد المعاهد الأزهرية في عهده أكثر من ستة آلاف معهد.

وكان الإمام الراحل حريصًا على الدفاع عن علماء الأزهر الشريف، وإبراز الوجه المشرق لهم، انطلاقًا من إيمانه الكامل بعظمة الرسالة التي يقومون بها، كما دعا الإمام الراحل إلى ضرورة قيام علماء الأزهر الشريف بمحاورة الشباب المتطرف الذي يفهم الإسلام فهمًا خاطئًا.

وللشيخ عدة مؤلفات، منها:

١ – مع القرآن الكريم.

٢ – النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن.

٣ – الفقه الإسلامي: مرونته وتطوره.

٤ – أحكام الشريعة الإسلامية في مسائل طبية عن الأمراض النسائية.

٥ – بيان للناس.

٦ – رسالة في الاجتهاد وشروطه ونطاقه والتقليد والتخريج.

٧ – رسالة في القضاء في الإسلام.

توفي الإمام الراحل فجر الجمعة ٢٥ من شوال ١٤١٦هـ الموافق ١٥من مارس ١٩٩٦م بعد حياة حافلة بالعطاء وخدمة الإسلام رحمه الله رحمة واسعة.

وقد استفاد فضيلة الدكتور علي جمعة من الإمام الأكبر استفادة كبيرة ؛ حيث لازمه مدة من الزمن، وقد عينه الإمام الأكبر عضوًا في لجنة الفتوى، وكان أصغر عضو بها، وذلك بطلب رئيسها الشيخ عطية صقر، وطلب أعضائها، الشيخ عبد الرازق ناصر، والشيخ الحملي، وغيرهم، وعينه باحثًا في مجمع البحوث الإسلامية لحضور جميع جلساته ولجانه.

كما أرسل الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق فضيلة الدكتور علي جمعة مبعوثًا شخصيًا في أركان الأرض من مشرقها إلى مغربها لحضور اللقاءات والمؤتمرات، وما طُلب من الأزهر أن يكون حاضرًا فيه على مستوى العالم، فكان الدكتور علي جمعة واحدًا من كبار قيادات الأزهر باختيار الإمام الأكبر له، وتمكينه من أداء هذه المهمة، وكثيرًا ما سمعنا فضيلة الإمام وهو يصف الإمام الأكبر ويقول :« كان رجلًا والرجال قليل».

الشيخ عبد العزيز الزيات

ومنهم: شيخ قراء العصر، فضيلة الشيخ العلامة المقريء المعمر أحمد عبد العزيز بن أحمد بن محمد الزيات، ولد بالقاهرة عام« ١٩٠٧م»، كان رحمه الله تعالى ضعيف البصر منذ صغره، و لما بلغ الأربعين فقد بصره كليةً، عمل مدرِّسًا للقراءات بقسم تخصص القراءات التابع لكلية اللغة العربية بالأزهر، ثم عيِّن مدرِّساً بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية عام« ١٤٠٥ هـ»، ثم اختير عضوًا في اللجنة العلمية للاستماع لمصاحف المدينة النبوية المرتلة و المسجلة بمجمع الملك فهد، ثم اختير عضواً للهيئة الاستشارية العليا بالمجمع المذكور، و قد قرأ عليه الكثير وقت وجوده في المدينة النبوية، ثم رجع إلى مصر عام« ٢٠٠٠م»، و ظلَّ يقريء بها إلى أن توفي عام«٢٠٠٤م».

تتلمذ الشيخ الزيات على أكابر علماء عصره، مثل :

١. الشيخ حنفي السقا.

٢. الشيخ خليل غنيم الجنايني « ت ١٣٤٧ هـ » : قرأ عليه العشر الصغرى إلى سورة التوبة الآية ٧٥ ، و قرأ عليه العشر الكبرى إلى سورة الدخان الآية ٢١ ، و لم يكمل.

٣. الشيخ عبد الفتاح هنيدي « ت ١٣٦٩ هـ »: قرأ عليه العشر الصغرى ثم الكبرى، و أجازه.

٤. الشيخ محمد بن إبراهيم بن علي بن محمد السمالوطي « ١٢٧٣ – ١٣٥٣ هـ »: تلقى عنه الحديث، و من ضمن ما تلقى صحيح مسلم و جامع الترمذي و بعض صحيح البخاري.

وعن صحبة فضيلة الدكتور علي جمعة له فقد قرأ الدكتور علي جمعة عليه قطعة صالحة من كتاب «مغني المحتاج شرح المنهاج» في فقه السادة الشافعية، وكان يزوره بعد صلاة الفجر كل يوم في منزله العامر بدرب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف، ولم يقرأ فضيلة الدكتور علي جمعة شيئًا من القرآن على هذا الشيخ العلم الفرد.

فضيلة الشيخ الدكتورمحمد محمود فرغلي

ومنهم : العلامة الكبير فضيلة الشيخ محمد محمود فرغلي، ولد في قرية بني زيد بمحافظة أسيوط عام ١٩٣٢م، التحق بكلية الشريعة والقانون، وحصل منها على الدكتوراة عام ١٩٧١م، عُيّن مدرسًا بكلية الشريعة والقانون، أعير إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٩٧٨م، ثم عاد إلى القاهرة وعُيّن بعد ذلك عميدًا لكلية الشريعة والقانون بالقاهرة عام ١٩٩٠م، للشيخ فرغلي مؤلفات عدة منها:

١ـ حجية الإجماع .

٢ـ النسخ بين الإثبات والنفي .

٣ـ بحوث في السنة المطهرة .

٤ـ بحوث في القياس .

٥ـ بحوث في أصول الفقه.

٦ـ دراسات في أصول الفقه .

توفي الشيخ محمد محمود فرغلي سنة ١٩٩٤ م رحمه الله تعالى رحمة واسعة .
وقد لازم فضيلة الدكتور علي جمعة الشيخ الدكتور محمد محمود فرغلي مدة من الزمن، استفاد فيها منه الكثير والكثير لاسيما وأنّ الشيخ فرغلي هو الذي أشرف على رسالته التي قدّمها لنيل درجة العالمية «الدكتوراه».

الشيخ أحمد مرسي النقشبندي

ومنهم: فضيلة الشيخ أحمد محمد مرسي النقشبندي، وهو من التلامذة الأوائل المتقدمين للإمام محمد أمين البغدادي(١) ،وقد لازمه فضيلة الدكتور علي جمعة ملازمة تامة لمدة سنتين متتاليتين، وقد تأثر به، وبأخلاقه، ومشربه، وعلمه، ووصفه بأنه تجسيد للحب، والرحمة، والجمال والخلق القويم يمشي على رجليه.

وقد قيل لفضيلة الدكتور علي جمعة من أحد طلبته:« إن كل ما قرأناه في كتب السادة الصوفية وأخلاقهم نراه متمثلا فيكم، بل ونفهمه من خلالكم، ومن خلال تصرفاتكم ومواقفكم». فقال له وهو يبتسم : «الشيخ أحمد مرسي». أي: أن الشيخ أحمد مرسي رحمه الله تعالى هو الذي طبع عليه هذا الذي ترونه.

الشيخ محمد الحافظ التيجاني(٢)

ومنهم: العلامة المحدِّث الولي التقي فضيلة الشيخ محمد الحافظ بن عبد اللطيف بن سالم التجاني؛ ولد في بلدة كفر قورص التابعة لمركز أشمون بحافظة المنوفية عام (١٨٩٧م)، وهو شريف حسيني من جهة أبيه، وحسني من جهة جدته لأبيه، وقد نشأ الشيخ الحافظ بين أبوين كريمين عفيفين حريصين على تربيته وتعليمه أحسن تربية وتعليم، وقد حبب الله إليه الاشتغال بطلب العلم منذ نعومة أظفاره ، فقرأ القرآن الكريم واللغة والتفسير والفقه والحديث والأصول وغيرها على كبار علماء عصره، وصحب الكثيرين من العلماء، وكان يلازم العالم حتى يحصل على كل ما معه من العلم ويدخل مكتبته فلا يخرج منها إلا بعد أن يقرأ جميع ما فيها مما لم يسبق له قراءته.

(١) فضيلة الإمام محمد أمين البغدادي النقشبندي، دخل مصر مربيًا ومرشدًا في سنة ١٩١٤م، ومات بها سنة ١٩٤٠م، ودفن بعد ذلك بمسجد الظاهر جاشنكير بحي الجمالية بالقاهرة، وضريحه معروف يزار.

(٢) هذه شذرات من ترجمة الإمام المجدد شيخ علماء عصره السيد محمد الحافظ التجاني ، ومن أراد المزيد يذهب إلى ترجمته التي ترجمها له نجله فضيلة الشيخ أحمد الحافظ التجاني ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

وهب الله الشيخ التجاني ذاكرة عجيبة، وحافظة واعية، إضافة إلى ذكائه، فكان لا يسمع شيئًا ولا يقرأ شيئًا إلا حفظه ووعاه كأنما أورثه الله حال سيدنا أبى هريرة : حيث قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ، إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنْسَاهُ؟ قَالَ: «ابْسُطْ رِدَاءَكَ» فَبَسَطْتُهُ، قَالَ: فَغَرَفَ بِيَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «ضُمَّهُ» فَضَمَمْتُهُ، فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا بَعْدَهُ[1].

وقد أفاض الله عليه من العلم اللدني ما أفاضه على أكابر أوليائه وهو فى سنة المبكرة ، وذكر الشيخ إبراهيم المرسي رحمه الله أن أحد السادة العلماء من أساتذة الأزهر الشريف وهو الشيخ محمد المصيلحي خليل إمام وخطيب مسجد الأمير الماس الحاجب بحي الحلمية الجديدة، كان يجلسه على حجرة في صحن الأزهر ويقول : من أراد أن يسأل عن شيء فليسأل هذا الفتى الصغير، فيفيض الله عليه من العلوم ما تقر به أعين السادة العلماء والطلاب مع اندهاشهم من سعة علمه مع صغر سنه .

كان يعيش متواضعًا زاهدًا لا يمتاز عن جلسائه ومريديه، يجلس ولا مجلس، يدخل على الأمراء بلباسه الذي يلبسه مع الفقراء لا يتصنع لأحد بالغًا، ولا تأخذه في الله لومة لائم، لا يقر على مكر، ولا يتواضع لغنى لغناه، ولا يقبل لهدية إلا ممن علم صدقه، ويكافئه عليها، تأسيًا بجده ﷺ؛ فإنه كان يقبل الهدية، ويكافئ عليها، ولما في ردها من كسر خاطر مهديها، وهو لا يقابل أحدًا بما يسوؤه، وهو من حسن الخلق والكرم بالمكانة آلتي لا تدرك. لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه ما أنفقت شماله. متأدب بآداب السنة مجانب كل بدعة وضلالة، ولا يظن كل أصحابه أنه أحب إليه من غيره ويبش في وجوههم كلهم، يرحم صغيرهم ويوقر كبيره ويعظهم بالمواعظ التي تنشق لها الحجارة؛ لأن كل قول يخرج عليه كسوة القلب الذي خرج منه فما خرج من القلب بصدق نية، دخل القلب، وما خرج من اللسان لا يجاوز الآذان .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٩).

وكما حبب إليه الاشتغال بطلب العلم وتدريسه، كذلك حبب إليه الاشتغال بالذكر والعبادة وسلوك طريق الصوفية، فكان من صغره كثير الذكر يقوم الليل، ويصوم النهار، ولا يفطر إلا على لقمة صغيرة من الخبز الجاف، وسلك عدة طرق، كالطريقة الخلوتية، وكانت طريقة أجداده، والنقشبندية والشاذلية والبيومية، واشتغل بأذكار هذه الطرق حتى حصل على أعلى مقاماتها، وأجيز من كبار مشايخها في إعطائها وتلقينها، وهكذا بلغ من كثرة ذكره أنه كان يذكر على السرير مع والدته رحمها الله تعالى، فكانت كلما تستيقظ تجده مشغولاً بالذكر، وكانت تخاف عليه، فتطلب منه أن يريح نفسه، وينام قليلًا، وربما اشتدت عليه في بعض المرات، فلم تشعر إلا وكأن النار قد اشتعلت في السرير، وهو يذكر جالسًا في وسط النار، فقالت له: اذكر ما شئت و اسهر ما شئت لا أعارضك، ولا أطلب منك شيئًا بعد الآن، وقد لبس الخشن من الثياب، وتجرد من الدنيا، وانقطع في الخلوات والصحراء للذكر والعبادة وظهرت عليه آثار الفتح في صغره .

ومن مؤلفات العلامة المحدث الشيخ الحافظ التجاني :

١ـ الحق في الحق والخلق– في التوحيد فريد في نوعه .

٢ـ سبيل الكمال– رسالتان إلى ألمانيا في الإسلام– وترجمت بالألمانية ونشرت بألمانيا.

٣ـ رسول الإسلام ورسالته الجامعة.

٤ـ رد أوهام القاديانية في قوله تعالى: «وخاتم النبيين» .

٥ـ أهل الحق العارفون بالله السادة الصوفية.

٦ـ سلطان الدولة التجانية بغرب أفريقيا الحاج عمر بن سعيد الفوتي وجهاده مع الكفار.

٧ـ سنة الرسول – طبع بمجمع البحوث الإسلامية.

٨ـ رد أكاذيب المفترين على أهل اليقين.

٩- علماء التزكية هم أعلم الناس بالكتاب والسنة- وهو عبارة عن ثلاث رسائل في الرد على المنكرين على أهل الحق.

١٠ـ قصد السبيل في الطريقة التجانية.

١١ـ أصفي مناهل الصفاء في مشرب خاتم الأولياء.

١٣ـ فصل المقال فيما يرفع الإذن في الحال.

١٤ـ شروط الطريقة التجانية.

١٥ـ مجموع الأوراد في الطريقة التجانية.

تُوفي الشيخ ليلة الاثنين ٢٩ جمادى الآخر« ١٣٩٨هـ» الموافق ٥ يونيه سنة « ١٩٧٨م»، ودُفن بزاويته الكائنة بحي المغربلين رحمه الله تعالى ـ.

وقد تلقى فضيلة الدكتور علي جمعة من الحافظ التجاني «الحديث الشريف وعلومه»، وقد أجازه الشيخ التجاني بالرواية والإسناد .

الشيخ أحمد حمادة

ومنهم: العلامة الفقيه الولي الصالح فضيلة الشيخ أحمد حمادة، ولد في مدينة جرجا بمحافظة سوهاج، من بيت يُسمى ببيت داود ،تخرج الشيخ أحمد في الأزهر الشريف على النظام القديم،كان رحمه الله تعالى شافعي المذهب، نقشبندي الطريقة، تتلمذ على يد الشيخ محمد أمين البغدادي رحمه الله تعالى،وكان الشيخ أحمد مجاب الدعوة.

سمعتُ فضيلة الدكتور علي جمعة يقول عنه:« كان شيخنا الشيخ أحمد حمادة النقشبندي رحمه الله رجلاً تقيًّا نقيًّا مستجاب الدعاء، وكنا نرى الناس على بابه بالطوابير يلتمسون منه الدعاء ».

وقد أخبرني فضيلة الشيخ علي صالح أنه قصد الشيخ أحمد في أمورٍ كثيرة فتحققت واستجاب الله لدعائه، فكان رحمه الله من الزاهدين في الدنيا، عَمَّر طويلًا

ولم يتزوج، وكان رضي الله عنه يقول: « تفرغت للعلم والعبادة ،فأنا أعمل لمستقبلي »، وكان الشيخ يعتكف في شهر رمضان بمسجد بحي الجمالية.

وقد لازمه فضيلة الدكتور علي جمعة مدة من الزمان، سمع منه الكثير في فنون مختلفة،لا سيما في الفقه الشافعي؛حيث كان الشيخ حماده رحمه الله تعالى يقرأ «كتاب المجموع»للإمام النووي وكان الدكتور علي جمعة يزوره كثيرًا في بيته بحي السيدة سُكينة رضي الله عنهاـ، تُوفي الشيخ أحمد حماده في نهاية السبعينات من القرن الماضي رحمه الله تعالى ـ.

الشيخ عوض الله حجازي

ومنهم: فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عوض الله جاد حجازي، تخرج في الأزهر الشريف، وحصل على العالمية «الدكتوراه» في العقيدة والفلسفة عام «١٩٤٧م»، عين وكيلاً للأزهر الشريف في عام « ١٩٧٩م»، ثم رئيسًا لجامعة الأزهر في عام«١٩٧٩م»، كان عضوًا بمجمع البحوث الإسلامية، قام بالتدريس بكلية اللغة العربية، وكلية أصول الدين، وشارك بالعديد من المؤتمرات والندوات العلمية بالعالم الإسلامي، وناقش العديد من الرسائل الجامعية، ومن مؤلَّفاته:

١ـ ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامي.

٢ـ الأزهر وأثره في العالم الإسلامي.

٣ـ العقيدة الإسلامية.

٤ـ المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم.

٥ـ مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام.

٦ـ تحقيق كتاب «القول السديد في علم التوحيد» للشيخ محمود أبو دقيقة.

لازمه فضيلة الدكتور علي جمعة مدة من الزمان، قرأ فيها عليه الكثير من العلوم

العقلية، لاسيما «علم المنطق» الذي ألف فيه الشيخ عوض الله كتابه الماتع « المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم »، كان الشيخ عوض الله رحمه الله تعالى متواضعًا يحب العطف على الطلاب، توفي سنة «٢٠٠٦م» بعد أن عَمَّر طويلاً رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد زكي الدين إبراهيم

ومنهم: الإمام الرائد العالم الأزهري ، مجدد التصوف الإسلامي في هذا العصر، الإمام الفقيه المحدث الشاعر، بقية السلف الصالح، فضيلة الشيخ محمد زكي الدين إبراهيم، رائد العشيرة المحمدية، ولد في محافظة القاهرة عام «١٩١٦م»، بمنزل والده العالم الأزهري فضيلة الشيخ إبراهيم الخليل بن علي الشاذلي، كان من كبار علماء عصره، وجَدّ الشيخ لأمه هو الشيخ محمود أبو عليان، الذي تتلمذ على يد الشيخين الجليلين الشيخ حسن العدوي الحمزاوي، والشيخ عليش شيخ مالكية عصره، وقد أثنى عليه ومدحه وترجم له الدكتور عبد المنعم خفاجي في كتابه عن التصوف .

حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ جاد الله عطية بالقراءات المختلفة، بـمسجد السلطان أبي العلاء؛ حيث كانت تقيم أسرته، وأتم حفظه عن ظهر قلب على يد الشيخ أحمد الشريف بـمسجد سيدي معروف، وكان حينئذٍ بين التاسعة والعاشرة من عمره، التحق بالأزهر الشريف، وتخرج فيه وحصل على الشهادة العالمية، بعد أن حصل رحمه الله على العالمية الأزهرية لم يجد عملًا في ذلك الوقت، حتى تقدم للتدريس بالمدارس الأميرية بمحافظة بني سويف، وظل هناك مؤديًا عمله عدة سنوات، ثم عاد إلى القاهرة مدرسًا أيضًا، وظل يتدرج في وظائف التعليم المختلفة، حتى أصبح رئيسًا للسكرتارية العامة للتعليم الحر المسمى بالتعليم الخاص الآن، ثم عين مفتش قسم، وكان القسم وقتها يعني القسم الإداري . وقد عمل أيضًا: أستاذًا ومحاضرًا للدراسات العليا بالمعاهد العالية، ومعهد الدراسات الإسلامية، ومعهد إعداد الدعاة، وحاضر أيضًا بالدراسات

العليا في بعض الكليات الأزهرية، ودورات إعداد الأئمة والوعاظ والبعوث الإسلامية، وعمل بعض الوقت مديرًا لمؤسسة «الزفاف الملكي »، والتي سميت بعد الثورة « مؤسسة البر الأميرية »، كما كان أمينًا عامًّا لجمعيات الشبان المسلمين، ومرشدًا دينيًّا، وعمل بعدة مناصب أخرى، وأخيرًا تفرغ لإدارة جمعية العشيرة المحمدية، ونشر فكرتها ودعوتها ومنهجها .

عُيّن الإمام الرائد عضوًا بـالمجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية، و عضوًا بالهيئة العليا للدعوة بالأزهر برئاسة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود، كما كان عضوًا إداريًّا عاملًا في أكثر من جماعة وهيئة ولجنة إسلامية واجتماعية وثقافية: عامة وخاصة، رسمية وشعبية، بمصر والخارج، منها: جماعة أبوللو للشعراء بدعوة المرحوم أحمد شوقي أمير الشعراء.

للإمام الرائد رحمه الله العديد من المؤلفات النافعة، أذكر بعضها مثالاً لا حصرًا :

١ـ أبجدية التصوف الإسلامي .

٢ـ الأربعون حديثاً الحاسمة ردعًا للطوائف المكفِّرة الآثمة .

٣ـ أصول الوصول.

٤ـ أهل القبلة كلهم موحدون.

٥ـ تفسير آيات مختارة من كتاب الله تعالى .

٦ـ حكم العمل بالحديث الضعيف.

٧ـ ديوان البقايا: شعر صوفي واجتماعي فني معاصر عميق «وهو مطبوع في مجلدين».

٨ـ ديوان المثاني: الجزء الأول، والجزء الثاني: مثاني من الأبيات الشعرية تستغرق أغراضًا مختلفة، وحكمًا وتوجيهات، وآداباً وصوفيات رائعة .

٩ـ مراقد أهل البيت في القاهرة: يحقق أن رأس الإمام الحسين رضي الله عنه، وجثمان السيدة زينب.

١٠ـ يا ولدي .

١١ـ قضية الإمام المهدي بين الرفض والقبول.

وقد لازم فضيلة الدكتور علي جمعة مجالس الإمام الرائد الحديثية والأدبية، وقد أجازه الإمام الرائد بالرواية والإسناد، كان الإمام الرائد متواضعًا، لينَ الجانب، يحب الطلاب ويعطف عليهم، كان هذا ديدنه حتى انتقل إلى رحمة الله تعالى، في ٧ أكتوبر«١٩٩٨م»، ودفن بجوار أبيه وجده بقايتباي بالقاهرة « مسجد العشيرة المحمدية» وهو معروف ومشهور رحمه الله تعالى .

الشيخ صالح الجعفري

ومنهم: العارف بالله العالم الهمام الزاهد الإمام فضيلة الشيخ صالح بن محمد صالح بن محمد رفاعي الجعفري الصادقي الحسيني، الذي يتصل نسبه العالي بالإمام جعفر الصادق ابن سيدنا محمد الباقر ابن سيدنا علي زين العابدين ابن سيدنا و مولانا الإمام الحسين رضي الله عنهم أجمعين، ولد الشيخ الجعفري ببلدة «دنقلا» بشمال السودان عام« ١٩١٠ م»، وبها حفظ القرآن وأتقنه فى مسجدها العتيق ، ثم وفد إلى مصر ؛ ليتلقى العلوم بالأزهر الشريف ، واتصل بأهله المقيمين بقرية «السلمية » بمركز الأقصر من محافظة قنا، وقد أخذ الشيخ الجعفري طريق سيدي أحمد بن إدريس –رضى الله تعالى عنه – عن سيدى محمد الشريف – رضى الله تعالى عنه – وعن ذلك يقول الشيخ صالح الجعفري: «وقد أجازنى بهذا الطريق شيخي وأستاذي مربي المريدين الشريف السيد محمد عبد العالي، عن والده السيد عبد العالي ، عن شيخه العلامة السيد محمد بن علي السنوسي عن شيخه العارف بالله تعالى السيد أحمد إدريس رضى الله تعالى عنه».

ثم كان حضوره إلى مصر للالتحاق بالأزهر بإشارة من شيخه السيد محمد عبد العالي ، وعن ذلك يقول الشيخ الجعفري :« قبل مجيئي إلى الأزهر جاء أحد أهل البلد بأول جزء من شرح النووي على صحيح مسلم ، فاستعرته منه، وصرت أذاكر فيه ، فرأيت سيدي عبد العالي الإدريسي جالساً على كرسي ، وبجواره زاد للسفر، وسمعت من يقول: إن السيد يريد السفر إلى مصر ، إلى الأزهر ، فجئتُ وسلمتُ عليه ، وقبلتُ يده ، فقال لي مع حدة : « العلم يؤخذ من صدور الرجال لا من الكتب » وكررها، فاستيقظت من منامي ، وقد ألهمني ربى السفر إلى الأزهر ، تلقى الشيخ الجعفري العلم بالأزهر الشريف على يد نخبة من كبار العلماء العاملين ، الذين جمعوا بين الشريعة والحقيقة ، ومنهم الشيخ محمد إبراهيم السمالوطي ، والشيخ محمد بخيت المطيعي ، والشيخ حبيب الله الشنقيطي، العالم المحدث المشهور صاحب «زاد مسلم » وغيره من المصنفات المفيدة، الذى كان للشيخ معه لقاءات، ومن شيوخه أيضًا الشيخ يوسف الدجوي ، و الشيخ على الشايب ،والشيخ حسن مدكور ، والشيخ عبد الرحمن عليش ، والشيخ محمد أبو القاسم الحجازي ، والشيخ عبد الحي الكتاني، والشيخ أبو الخير الميداني شيخ علماء سوريا، والشيخ أحمد بن الصديق الغماري ، وأخوه الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري ، والشيخ علي أدهم المالكي السوداني ، والشيخ حسن المشاط من علماء مكة المكرمة، والشيخ مصطفى صفوت، والشيخ عبد الحليم إبراهيم ، والشيخ أبو يوسف ، والشيخ محمد الحلبي ، والسيد عبد الخالق الشبراوي، والشيخ محمد عطية البقلي ، والشيخ محمد حسنين مخلوف العدوي المالكي، والشيخ محمد العناني شيخ السادة المالكية ، والشيخ الدليشني، والشيخ سلامة العزامي، والشيخ صادق العدوي، والشيخ حسن أفندي، والشيخ علي بن عوف، والشيخ أحمد النجار المدرسان بمسجد دنقلا-رحمهم الله – وغيرهم من المشايخ بالأزهر الشريف».

هذه الكوكبة من العلماء العاملين العارفين كان لها عظيم الأثر في سعة علم الشيخ

، مع ما وهبه الله من ذكاء وقوة حافظة، فأكب الشيخ على دروسه وجاهد وثابر، حتى نال الشهادتين العالية والعالمية من الأزهر الشريف ، ثم أصبح صاحب حلقة ومدرسًا بالأزهر الشريف، وكانت حلقة درسه الشهيرة بعد صلاة الجمعة بالأزهر الشريف ، فكانت هذه الدروس مظهرًا للحقيقة الصوفية، صار –رضى الله تعالى عنه- لسانًا لهداية الخلق؛ حيث فجر للناس من ينابيع الحكمة وكنوز العلم والمعرفة وأسرار القرآن الكريم ، فجاء بالجديد والغريب من التفسير الذي لم يسبقه إليه الأوائل ؛ ذلك لأنه – رضي الله تعالى عنه- لم يكن يملك عقلاً مكتسبًا، وإنما كان يملك عقلًا موهوبًا ملهمًا من الله – عز وجل – فكان الشيخ يُعطي من كنوز عقله ، ومواهب فكره ، وفيوضات قلبه ، وروحانية روحه ، ومن إنسانية نفسه ، فكان يخاطب الخواطر والضمائر ، ويجيب على تساؤلات العقول ، وهواجس النفس ، فكانت حلقة درسه جامعة إسلامية ، علمية المذهب ، صوفية المشرب ، تربط بين الشريعة والحقيقة ، والظاهر والباطن، والنفس والروح، والعقل والخاطر.

وقد لازم فضيلة الدكتور علي جمعة الإمام الجعفري مدة من الزمان في رحاب الجامع الأزهر الشريف، سمع له الكثير من الدروس في التربية والوعظ، كان الشيخ الجعفري رحمه الله من كبار أولياء عصره ، وقد اشتملت دروسه على كثير من الحكم والفوائد؛ حيث كان رحمه الله تعالى يأتي بالطرائف والمُلح مما كان له أثرًا واضحًا في شخصية الدكتور علي جمعة، توفي الشيخ الجعفري عام «١٩٧٩م» رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد العزيز الغماري

ومنهم: العلامة المحدِّث السيد عبد العزيز بن محمد بن الصديق بن أحمد بن عبد المؤمن الغماري الإدريسي الحسني.

ولد في طنجة بالمغرب الأقصى عام «١٩١٩م»، وتعاهده والده من صغره فبعد

قراءة القرآن الكريم وحفظه على الفقيه سيدي محمد بودرة اشتغل بالطلب عليه، وكان والده مهتماً به غاية الاهتمام، وذلك بالرعاية والنصح والإرشادات التي قربت إليه الأقصى في كثير من المسائل لما كان عليه من سعة الاطلاع وحسن البيان والتعليم والتبليغ، وكان والده يوصيه وقت الطلب بألا يراجع شيئاً من الحواشي والتقريرات وقت الطلب ويقول له: إذا حصلت الملكة بالكتاب الصغير في أي فن من الفنون صار الفن كله بكتبه المطولة وحواشيها في متناول اليد يسهل فهمها، وأخذ عنه الطريقة الشاذلية الدرقاوية، وأذن له في تلقين وردها المعروف، فله منه الأخذ التام، والمدد الخاص والعام.

سافر بعد وفاة والده رحمه الله تعالى إلى القاهرة ، والتحق بالأزهر الشريف فأخذ عن عدد من علماء الأزهر، كالشيخ عبد المعطي الشرشيمي من كبار علماء الهيئة، والشيخ محمود إمام، والشيخ عبد السلام غنيم الدمياطي الشافعي، وانتفع به كثيراً، والشيخ محمد عزت، وآخرين من كبار شيوخ الأزهر، قرأ عليهم علوم الأزهر المتداولة والفقه على مذهب الإمام الشافعي وحضر في ألفية الحديث بشرح العراقي على شقيقه السيد عبد الله وحضر عليه شرح جمع الجوامع كاملاً في الأصول، وبالأخص في علم الحديث، وتدرب ببعض كتبه.

رجع إلى طنجة وكانت مدة إقامته في مصر نحو اثني عشر عاماً. اشتغل في طنجة بالتدريس والخطابة والتصنيف وملازمة الزاوية الصديقية مع الاشتغال بالذكر والأوراد، وحجَّ واعتمر أكثر من مرة .

بقي الشيخ على حاله من الإقبال على الله وإفادة الناس ولا سيما أهل العلم ، والقيام بأعباء الزاوية الصديقية ، وبعد وفاة شقيقيه السيد عبد الله والسيد عبد الحي ازداد إقبالاً على الله تعالى وملازمة للذكر، ثم قبيل وفاته بسنة تقريبًا مرض ولازم

بيته إلى أن انتقل إلى رحمة الملك العلام سنة «١٩٩٨م» ودفن بجوار والده في الزاوية الصديقية بطنجة.

وقد لازمه فضيلة الدكتور علي جمعة وانتفع به، وقد أجازه الشيخ عبد العزيز بما في ثبته: « فتح العزيز».

الشيخ عبد الحكيم عبد اللطيف

ومنهم : العلامة المقرئ المتقن فضيلة الشيخ: عبد الحكيم بن عبد اللطيف بن عبد الله بن سليمان، أصله من بلد اسمها الطويرات في صعيد مصر، والنسبة إليها الطويري، وُلِد في مصر بمنطقة الدمرداش أمام مسجد المحمدي، يوم «١٧/ ٩/ ١٩٣٦م »، نزح والده من الصعيد وعمر الوالد نحو ١٧ سنة، وكان يُتاجر في الخشب، وكان له محلات بقالة، وكان يُقاول على العمائر المراد هدمها، فيهدمها ويأخذ ما فيها من الخشب والحديد والحجارة، ويُسلِّمها أرضًا لصاحبها.

بدأت رحلة الشيخ مع القرآن في سن مبكر؛ حيث بعث به والده ووالدته وعمره أربع سنوات أو خمس إلى مكتب المحمَّدي بمنطقة الدمرداش، فحفظ القرآن الكريم وعمره نحو ١٢ أو ١٣ سنة. وكان شيخ المكتب الشيخ إمام عبده حلاوة، وقد تلقَّى الشيخ إمام القرآن الكريم عن الشيخ حسن الجريسي عن أبيه الشيخ حسن الجريسي -أيضًا- الشهير ببدير، عن الشيخ المتولي، برواية حفص، وأخذ -أيضًا- عن شيخ من شيوخ المتولي. وكان الشيخ إمام معتنيًا بتلاميذه، يُصحح عليه القرآن الكريم بعد الكتابة في الألواح أو على أخيه إن كان غائبًا، وكان مع الشيخ إمام أخوه عبد الله عبده حلاوة، وقد قرأ على الجريسي المذكور أيضًا.

وبعد أن أتم الحفظ قرأ الشيخ عبد الحكيم على تلميذ شيخه الشيخ علي مصطفى عرفة عدَّة ختمات إعادة، وعلى غيره من مشايخ هذا المسجد.

ثم التحق بالمعهد الديني الابتدائي بـ الأزهر، وبعد أن انتظم في الدراسة أصرَّ والده على أن ينتقل إلى معهد القراءات بالأزهر، وكان ذلك نحو سنة ١٩٥٠م.

وكان المعهد قسمين؛ قسمًا في مبنى أمام الجامع، وقسمًا في الرواق العباسي للشهادة العالية والتخصُّص، وحضر على مشايخ المعهد، وكانوا على جانبٍ كبيرٍ من العلم، وكان لا يُدرِّس بالمعهد إلَّا من قرأ القراءات العشر، وناظمة الزهر في العد، والعقيلة في الرسم، مع حصوله على العالميَّة في القراءات.

ومن المشايخ الذين حضر لهم واستفاد منهم في مرحلة إجازة حفص:

الشيخ محمود علي بِسَّة، وكان محاميًا شرعيًّا، واعتزل المحاماة واشتغل بالتدريس، وكان يحمل الابتدائيَّة الأزهريَّة، والثانويَّة الأزهريَّة، والعالميَّة، وتخصَّص القضاء الشرعي، وتخصَّص التدريس، وتلقَّى القراءات العشر، ودرس الرسم والفواصل. أخذ عنه الشيخ عبد الحكيم إجازة التجويد، فقرأ عليه عدَّة ختمات، وحضر له شرح التحفة والجزريَّة.

وألَّف كتابًا حافلًا في التجويد سمَّاه: العميد في علم التجويد. وكان حنبليًّا؛ قال الشيخ عبد الحكيم: « وهو الذي حنبلني، وحبَّبني في هذا المذهب، وأرشدني إلى كتب الحنابلة، كالمقنع».

وفي هذه المرحلة وفي أوَّل التي تليها عَشِق القراءات، وأجراها الله في دمه، وهذا سبب تلقِّيه لها عن مشايخ خارج المعهد.

بعد أن أتمَّ المرحلة الأولى وهي إجازة التجويد بحفص، انتقل إلى المرحلة الثانية؛ وهي مرحلة عالية القراءات، وهي تتضمَّن دراسة الشاطبية والدُّرَّة، وغير ذلك من التفسير والرسم والفواصل والنحو والصرف والفقه.

وفي هذه المرحلة حضر شرح الشاطبيَّة والدُّرَّة على الشيخ محمد عيد عابدين، وقد حصل الشيخ محمد عيد على الدكتوراه بعد ذلك وهو في التدريس، وله مثل مؤهِّلات الشيخ محمود علي بِسَّة، غير أنَّ الشيخ عابدين كان حنفيًّا، وكان عالمـًا فذًّا، وكان يعتني بتلاميذه، وخصوصًا في حفظ متن الشاطبيَّة والدُّرَّة، والذي يُقصِّر في الحفظ من الطلاب يقسو عليه جدًّا، وكان هذا في مصلحة الطالب.

وحضر على الشيخ أحمد مصطفى أبو حسن، في العرض والتطبيق للشاطبيَّة والدُّرَّة، فكان لهم شيخٌ يشرح ويُعرَض عليه المتن، وشيخ يُقرأ عليه للتطبيق.

وحضر علي الشيخ أحمد علي مرعي، والشيخ متولي الفقاعي، والشيخ أحمد الأشموني الحنفي بمعهد القراءات، وبالمعهد الديني حين كان فيه.

ثم انتقل إلى المرحلة الثالثة، وهي مرحلة التخصص، وحضر فيها:

على الشيخ عامر السيد عثمان شيخ المقارئ المصرية، والشيخ حسن المري وهو من تلاميذ الشيخ الزيات، والشيخ أحمد عيطة وكان من المشايخ الأجلاء، والشيخ أحمد عبد العزيز الزيات، قرأ عليه في المعهد، وقرأ عليه في بيته ختمةً كاملةً من الطيِّبة. والشيخ خميس نصَّار، والشيخ عبد المنعم السيد، والشيخ محمود بكر قرأ عليه لحفص مرَّةً أخرى.

قرأ الشيخ رحمه الله غالب القرآن على الشيخ إبراهيم علي شحاتة السمنُّودي، وكان حضر له في المعهد، ولـمَّا كان الشيخ عبد الحكيم مفتِّشًا كان يطلب التفتيش في سمنود ليقرأ عليه، واختبره اختبارًا شاقًّا في متون القراءات، وعلم أنَّه أجازه الشيخ الزيات فأجازه إجازةً مكتوبةً بالكتب الثلاثة الشاطبيَّة والدُّرَّة والطيِّبة.

وقرأ على الشيخ محمد إسماعيل الهمداني، وعلى الشيخ عامر السيد مراد ثلاثة أجزاء لورش بالجامع الأزهر، وهو صاحب السلسبيل الشافي، وقرأ ثلاثة أجزاء على

الشيخ خليل الباسوسي، وقرأ على الشيخ أحمد هاني شيخ مقرأة السيدة نفيسة مرارًا بالقراءات، وكان يطوف على المقارئ يقرأ على المشايخ.

بعد أن تخرَّج الشيخ رحمه الله في المعهد عُيِّن أوَّلًا في التعليم الابتدائي في الإسكندريَّة، فبقي فيها سنةً واحدة، ثم انتقل إلى التدريس في التعليم الابتدائي بالقاهرة، وعلَّم بالمعهد الإعدادي والثانوي بالفيوم، ثم انتقل إلى التعليم بمعهد القراءات بالقاهرة، وتتلمذ عليه كثيرون من المصريِّين وغيرهم، ثم وصل إلى مدرِّس أوَّل بالمعهد، ثم انتقل إلى تفتيش المعاهد الأزهريَّة بالإدارة العامة، ثُمَّ رُقِّي إلى مفتِّش أوَّل عام، إلى أن أُحيل على المعاش سنة ١٩٩٧م.

وعُيِّن شيخًا لعدَّة مقارئ؛ أوَّلًا مسجد الهجيني بشبرا، ومسجد عين الحياة الذي كان يخطب فيه الشيخ عبد الحميد كشك، وكان يحِلُّ الشيخ عبد الحكيم، ويحضر المقرأة من أوَّلها إلى آخرها (قال الشيخ عند ذكره: ...، ورضي عنه، ونوَّر قبره، وأسكنه فسيح جناته)، ثم مقرأة مسجد الشعراني، ثم شيخًا لمقرأة مسجد السيِّدة نفيسة، ومقرأة مسجد السيِّدة سكينة، ثم شيخًا لمقرأة الأزهر إلى الآن، وكان وكيلًا للجنة تصحيح المصاحف بالأزهر.

وعُرِضَت عليه مشيخة المقارئ أيَّام الشيخ رزق حبَّة، فقال: لا أكون شيخًا لها والشيخ رزق حبَّة موجود، وبعد وفاة الشيخ رزق نزل عنها رسميًّا، فتقلَّدها تلميذه الشيخ أحمد المعصراوي.

وهو اليوم الموجِّه الأوَّل لعلوم القرآن والقراءات بالإدارة المركزيَّة لشئون القرآن الكريم بالأزهر الشريف، وشيخ مقرأة الجامع الأزهر، وشيخ جمعيَّة أهل القرآن بالأزهر الشريف، وعضو لجنة تصحيح المصاحف بمجمع البحوث الإسلاميَّة، وعضو لجنة المسابقات السنويَّة بالإذاعة والتلفزيون وإذاعة القرآن الكريم.

للشيخ عبد الحكيم عدة مؤلفات منها:

١- «إكمال كتاب الكوكب الدُّرِّي» الذي لم يُكمله الشيخ قمحاوي،

٢ـ «شرح منظومة قراءة الكسائي» للشيخ الضباع، سمَّاها: «حديقة الرائي»، وقد ضاع هذا الشرح عند بعض تلاميذه.

لقد سجَّل الشيخ رحمه الله ختمتين لحفص إحداهما بقصر المنفصل، وختمة لشعبة، وشرع في ختمةٍ مصوَّرةٍ لأبي جعفر في قناة الفجر بلغ فيها إلى: {**فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ**} [مريم: ٢٢] في مريم (عام ٢٠٠٨م).

– وله في إذاعة القرآن الكريم بمصر:

١ – برنامج اقرؤوا القرآن، في التجويد التطبيقي.

٢ – وثماني حلقات في التجويد العلمي.

٣– وشرع في تسجيل متن الشاطبية.

٤ – وشرح حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف.

٥ – وقدَّم لختمتي قالون والدوري عن أبي عمرو للشيخ الحصري.

توفي رحمه الله يوم الجمعة الموافق « ٩ سبتمبر ٢٠١٦م»، عن ثمانين عامًا قضاها في رحاب القرآن الكريم وخدمته.

وقد لازم فضيلة الدكتور علي جمعة الشيخ عبد الحكيم وقرأ رواية «ابن كثير» من .أول سورة البقرة إلى سورة مريم

الشيخ إسماعيل صادق العدوي

ومنهم : العالم المحدث الفقيه الأصولي المشارك في علوم المنقول والمعقول فضيلة الشيخ إسماعيل بن صادق بن حسوب العدوي المالكى ، كان من قمم العلماء الأجلاء.

ولد الشيخ العدوي يوم السادس من أغسطس عام «١٩٣٤م» ببنى عدي بمحافظة أسيوط فى صعيد مصر، والده هو : الشيخ صادق العدوي كان من علماء الأزهر الشريف و قطبًا من أقطاب الصوفية صاحب حال كبير وكرامات شديدة و سبب تسميته الحسوب لإتقانه علم الميراث .

نشأ الشيخ العدوي فى بيت من بيوت العلم بين القراء والفقهاء والمحدثين المترددين على أبيه وقد عني به والده عناية فائقة مبكرًا في الدراسة وحفظ القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ، فأتم حفظ القرآن فى سن صغيرة ثم ألحقه والده بالمدارس الأميرية و في المرحلة الثانوية بمعهد القاهرة الديني ثم بكلية الشريعة بالأزهر وحصل على العالمية بامتياز والتي تعادل الدكتوراه في علوم أصول الدين والشريعة والفتوى عام «١٩٦٤م»، لُقب الشيخ عند حداثة سنه « بالشيخ المصارع »؛ لأنه حقق انتصارات عديدة فى رياضة المصارعة الرومانية ، وظل محتفظًا بهذا اللقب؛ لأنه صارع الباطل بدعوته إلى الله عز وجل .

تميزت شخصية الشيخ العدوي بقوة الشكيمة والتفكر وكثرة الاطلاع والتبصر بأمور الدنيا والدين وكان دائم التبسم لا يغضب إلا للحق هادئ الطباع يتعامل مع الجميع برفق ولين ، يجيد اللغة العربية وأسلوبها البديع

عُين الشيخ إمامًا وخطيبًا للجامع الأزهر بعد تخرجه ولكنه طلب تعينه لمسجد سيدي أحمد الدردير رضي الله عنه بعد وفاة أبيه الشيخ صادق الذى كان إمامًا للمسجد ثم انتدب فضيلته من مسجد سيدي الدردير ، مديرًا للدعوة والإرشاد بأبي ظبي ، فكان دائم العطاء والجهد ، إسلامًا متحركًا بنور وهدي القرآن الكريم والسنة المطهرة داعيًا إلى حب الله تعالى ورسوله ﷺ، وكانت حياته كلها مثالًا للجهاد والعطاء المتواصل ، ثم نقل إمامًا وخطيبًا للجامع الأزهر الشريف ، فكان رضي الله عنه فقيهًا مجيدًا، وعالمًا

محدثًا بليغًا، وخطيبًا صادقًا، وكان لا يخشى في الله لومة لائم .

توفي الشيخ العدوي عند آذان العشاء يوم الأربعاء ٢٣ رمضان عام « ١٤١٨هـ» الموافق ٢٢يناير«١٩٩٨م ».

وقد لازم فضيلة الدكتور علي جمعة الشيخ العدوي وحضر مجالسه العامرة بالأنوار ، فانتفع كثيرًا من دروسه الفقهية، والحديثية، والتربوية .

الشيخ محمد علوي المالكي

ومنهم: العلامة الكبير الفقيه المحدِّث فضيلة الشيخ محمد بن علوي بن عباس المالكي، ولد بمكة المكرمة عام« ١٩٤٧م» ونشأ بها نشأة إسلامية علمية صوفية في كنف والده الإمام علوي بن عباس المالكي، وترعرع في رحاب حلقات العلم بالمسجد الحرام، فحضر كبار العلماء بالحرمين الشريفين وتوجه إلى تحصيل العلوم الشرعية الإسلامية حتى أضحى من أهم علماء الحديث في عصره.

درس في حلقات العلم بالمسجد الحرام وبمدرسة الفلاح بمكة المكرمة، ثم بمدرسة تحفيظ القرآن الكريم، وتوجه إلى خارج موطنه لطلب العلم فسافر إلى مصر، والمغرب، والهند، وباكستان، ثم تلقى دراساته النظامية في جامعة الأزهر وحصل على الماجستير والدكتوراه من كلية أصول الدين ثم رحل إلى المغرب ليأخذ عن كبار علمائها.

عُين مدرسًا بكلية الشريعة بمكة المكرمة عام «١٩٧٠ م»، ثم عُين مدرسًا بالمسجد الحرام عام« ١٩٧١م »بعد وفاة والده، وكان عضوًا بهيئة التدريس بجامعة الملك عبد العزيز قسم الدراسات الإسلامية.

للشيخ محمد علوي مكانة كبيرة في نفوس العلماء؛ حيث يعتبره كثير من المتخصصين والمهتمين بالتعليم الديني أنه من كبار المحدثين المعاصرين ويلقبونه بـ«محدث الحرمين».

كانت له حلقة شهيرة في المسجد الحرام بمكة المكرمة تعتبر امتدادًا لأكثر من ٦٠٠ سنة من تدريس أجداده، ويعتقد البعض أن سبب توقفها يرجع إلى إقصائه من قبل علماء آخرين من السعودية على علاقة بالمؤسسة الدينية الرسمية لكونه لا يتفق مع منهجهم، وقد تعرض للتحقيق والمتابعة أكثر من مرة من قبل هذه الجهة، وربما يؤكد هذا أن أغلب مؤلفاته طبعت خارج السعودية.

للشيخ مؤلفات عديدة في أصول الدين، والشريعة، والفقه، والسيرة النبوية، ومن أبرز مؤلفاته التي اقتربت من المئة:

١ـ دراسات حول الموطأ.

٢ـ فضل الموطأ وعناية الأمة الإسلامية به.

٣ـ التحقيق والتعليق على المرفوع من رواية ابن القاسم للموطأ.

٤ـ دراسة مقارنة عن روايات موطأ الإمام مالك.

٥ـ شبهات حول الموطأ وردها.

٦ـ إمام دار الهجرة مالك بن أنس.

٧ـ أسماء الرجال.

٨ـ علم الأسانيد.

٩ـ القواعد الأساسية في علم مصطلح الحديث.

١٠ـ العقود اللؤلؤية في الأسانيد العلوية.

١١ـ إتحاف ذوي الهمم العلية برفع أسانيد والدي السنية.

١٢ـ الطالع السعيد المنتخب من المسلسلات والأسانيد.

١٣ـ القواعد الأساسية في علوم القرآن.

١٤ـ القواعد الأساسية في أصول الفقه.

١٥ـ زبدة الإتقان في علوم القرآن. وغير ذلك مما يطول ذكره من المصنفات النافعة.

توفي –رحمه الله – في بيته بمكة المكرمة فجر الجمعة ١٥ رمضان في سنة ١٤٢٥ هـ. وقد صُلي عليه صلاة الجنازة في المسجد الحرام ودفن في مقبرة المعلاة في جنازة مهيبة، كما حضر مراسم الدفن والعزاء الكثيرين من وجهاء البلاد وأصدقاء الشيخ وتلاميذه، وقد قام الملك عبد الله بن عبد العزيز عندما كان ولياً للعهد بتعزية أسرته شخصيًا نيابة عن الملك فهد بن عبد العزيز.

لازم فضيلة الدكتور علي جمعة السيد محمد علوي المالكي مدة من الزمان، سمع فيها منه الكثير من العلوم والفنون، كما أجازه الشيخ بالرواية .

فضيلة الشيخ محمد ياسين الفاداني

ومنهم: مُسند العصر العلامة المُحَدِّث المربي أبو الفيض علم الدين محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني ، الأندونيسي أصلاً ، المكي ولادة ونشأة ووفاة ، الشافعي مذهبًا ، وفادان أو بادان ، إقليم في أندونيسيا ، وهو من أعلام المُحَدِّثين ، ومسند الدنيا في زمانه .

ولد في مكة المكرمة عام «١٩١٦م »، ونشأ في أسرة متديِّنة ومتعلمة ، فكان ابتداء تحصيله العلمي على والده ، وعمه الشيخ محمود ، ثم التحق بالمدرسة الصولتية الهندية، وتعلم في مدرسة دار العلوم الدينية في مكة المكرمة عام تأسيسها ، وأكمل دراسته على علمائها الأوائل ، وغيرهم ، ثم عُيِّن مشرفًا ومديرًا بها حتى وفاته.

درس الشيخ الفاداني على علماء كثيرين في عصره ، وأخذ عنهم ، واجتمعت لديه الكثير من الأسانيد فكان هو مسند مكة ، وشيخ دار العلوم الدينية بها رحمه الله تعالى ـ، ومن شيوخه :

الشيخ محمد علي بن حسين بن إبراهيم المالكي المكي ، وقد طالت ملازمته له،

وجمع له أسانيده في جزء سماه : المسلك الجلي في أسانيد فضيلة الشيخ محمد علي ، وضمنه ترجمة موسعة للشيخ.

وقرأ على الشيخ أبي علي حسن بن محمد المشاط ، ومحدث الحرمين الشيخ عمر بن حمدان المحرسي ، وجمع للأخير ثبتًا ضخمًا سماه : مطمح الوجدان من أسانيد عمر حمدان ، ثم اختصره في إتحاف الإخوان.

وقرأ على المؤرخ محمد غازي المكي ، واستفاد منه فوائد كثيرة ، وتخرج به ، وبقرينه عبد الستار بن عبد الوهاب الصديقي الهندي المكي كما قرأ على مفتي الشافعية الشيخ عمر باجنيد ، والشيخ محسن بن علي المساوي الفلمباني ، ولازم الأخير ملازمة تامة ، وجمع له في ترجمته وأسانيده : فيض المهيمن في ترجمة وأسانيد السيد محسن وحضر على المقرئ الشهاب أحمد المخللاتي الشامي ثم المكي ، وجمع أسانيده وترجمته في مجلد سماه : الوصل الراتي في أسانيد وترجمة الشهاب أحمد المخللاتي .

وقد باشر الشيخ الفاداني التدريس في دار العلوم الدينية بمكة المكرمة عام ١٣٥٦هـ ، وكان يلقي دروسًا مختلفة بالمسجد الحرام ، وكذا في منزله ومكتبه الخاص ، وكان له اهتمام بتعليم البنات ، حتى أنشأ في عام ١٣٧٧هـ معهدًا للمعلمات ، وشارك في تأسيس مدارس البنات، وللشيخ الفاداني مؤلفات كثيرة زادت على المائة كتاب ورسالة ، في الحديث والفقه والعربية والمنطِق والفلك ، ومنها :

١ـ إتحاف الإخوان باختصار مطمح الوجدان في أسانيد الشيخ عمر حمدان

٢ـ إتحاف أولي النهى بإجازة الأخ الشيخ محمد طه ، انظر إتحاف المستفيد بغرر الأسانيد

٣ـ إتحاف أولي الهمم العالية بالكلام على الحديث المسلسل بالأولية

٤ـ إتحاف الباحث السري بأسانيد الوجيه الكزبري « الصغير » طبع مع ثبت محمد بن عبد الرحمن الكزبري المتوفى ١٢٢١هـ .

٥ـ إتحاف البررة بأسانيد الكتب الحديثية العـشرة .

٦ـ إتحاف الخلان توضيح تحفة الإخوان في علم البيان للدردير .

٧ـ إتحاف المستفيد بغرر الأسانيد ، ويسمى : إتحاف أولي النهى بإجازة الأخ الشيخ محمد طه.

٨- اختصار رياض أهل الجنة من آثار أهل السنة لعبد الباقي البعلي الحنبلي.

٩ـ الأربعون البُلدانية : أربعون حديثاً عن أربعين شيخا من أربعين بلدا.

١٠ـ أربعون حديثًا مسلسلة بالنحاة إلى الجلال السيوطي.

١١ـ أربعون حديثًا من أربعين كتابًا عن أربعين شيخًا.

١٢ـ الإرشادات السوية في أسانيد الكتب النحوية والصرفية.

١٣ـ أسانيد أحمد بن حجر الهيتمي المكي.

١٤ـ أسانيد الكتب الحديثية السبعة.

١٥ـ أسمى الغايات في أسانيد الشيخ إبراهيم الخزامي في القراءات.

١٦ـ إضاءة النور اللامع شرح الكوكب الساطع نظم جمع الجوامع.

١٧ـ بغية المريد من علوم الأسانيد ، (وهو ثبته الكبير)، في أربعة أجزاء.

١٨ـ بغية المشتاق شرح لمع الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، في أصول الفقه ، جزءان.

١٩ـ بلغة المشتاق في علم الاشتقاق.

٢٠ـ تتميم الدخول : تعليقات على مدخل الوصول إلى علم الأصول.

٢١ـ تذكار المصافي بإجازة الفخر عبد الله بن عبد الكريم الجرافي.

٢٢ـ تشنيف السمع : مختصر في علم الوضع.

٢٣ـ تعليقات على كفاية المستفيد ، للشيخ محفوظ الترمسي.

٢٤ـ تعليقات على لمع الشيخ أبي إسحاق.

٢٥ـ تنوير البصيرة بطرق الإسناد الشهيرة.

٢٦ـ الجامع الحاوي في مرويات الشرقاوي : عبد الله بن حجازي ، المتوفى سنة ١٢٢٧هـ.

٢٧- جني الثمر : شرح منظومة منازل القمر.

٢٨ـ حاشية على الأشباه والنظائر في الفروع الفقهية للسيوطي.

٢٩ـ حاشية على التلطف شرح التعرف في أصول الفقه.

٣٠ـ حسن الصياغة : شرح كتاب : دروس البلاغة.

٣١ـ حسن الوفا لإخوان الصفا ، ثبت لمحمد فالح بن محمد الظاهري المهنوي ، المتوفى سنة : ١٣٢٨هـ ، تعليق وتصحيح الفاداني.

٣٢ـ الدر الفريد من درر الأسانيد.

وغير ذلك مما يطو ذكره، فإنّ الشيخ الفاداني - رحمه الله تعالى -، ممن تصعب ترجمته ، فهو بحر لا يدرك غوره، توفي في مكة المكرمة ، سحر ليلة الجمعة ٢٨ ذي الحجة سنة ١٤١٠ من الهجرة الشريفة ، الموافق ٢١ يوليو «١٩٩٠م» ، وصلي عليه يوم الجمعة بعد الصلاة ، ودفن في مقبرة المُعلاة بمكة المكرمة ، رحمه الله رحمة واسعة .

وقد صاحب فضيلة الدكتور علي جمعة الشيخ الفاداني مدة من الزمن ، وانتفع به وبعلومه ، وهو يروي عنه الحديث وعلومه بأسانيده المتصلة التي أجازه بها كما هي في أثباته المشهورة .

فضلية الشيخ إبراهيم أبو الخشب

ومنهم: فضيلة الشيخ الدكتور إبراهيم علي أبو الخشب، ولد في محلة بشر التابعة لمركز شبرا خيت بمحافظة البحيرة، عام«١٩٠٥م» ، حفظ القرآن في سن مبكر، ثم التحق بمعهد الإسكندرية الديني، حصل على العالمية من كلية اللغة العربية جامعة الأزهر عام «١٩٣٣م»، عمل مدرسًا بالمعاهد الأزهرية، وخطيبًا بوزراة الأوقاف، عُيّن أستاذًا بكلية اللغة العربية عام «١٩٧٠م»، ومنها أعير للعمل بكليات مناظرة بالأقطار العربية حيث سافر إلى كل من : «ليبيا، والأردن، والعراق، والسعودية».

عُرف الدكتور أبو الخشب بشعره العذب الرائق، فله ديوان شعر مخطوط، أما عن قصائده فقد عرفتها الصحف المصرية والعربية، منها: صحيفة الأخبار، ومجلة الهدي النبوي، والمجلة العربية، والبلاغ، وكوكب الشرق، والرسالة، والأزهر، والأهرام، وقد تنوعت القصيدة عنده حتى شملت أهم موضوعاتها المأثورة: من المديح والرثاء، والوطنية، والعقيدة، والوصف، والغزل، والشكوى، والإخوانيات، وغيرها.

وللدكتور أبو الخشب مؤلفات ماتعة تربو على عشرين عنوانًا تدور في محورين؛ العقيدة الإسلامية : فكرًا ورجالاً وتاريخًا، و اللغة العربية: أدبًا وبلاغة وعروضًا.

لازمه فضيلة الدكتور علي جمعة مدة من الزمن ، سمع فيها منه الكثير من المحاضرات في علم « الأدب»، و « العروض»و«البلاغة». توفي الشيخ أبو الخشب بالقاهرة عام «٢٠٠٠م»، رحمه الله تعالى ـ.

فضيلة الشيخ إسماعيل الزين اليمنى

ومنهم : فضيلة الشيخ إسماعيل بن إسماعيل بن عثمان بن الزين الضحوي، اليماني، ثم المكي، الشافعي. ولد بمدينة الضحى من بلاد اليمن عام «١٩٣٣م»، وتلقى المبادئ على والده وغيره، ولما بلغ ثماني عشرة سنة أقبل على العلم إقبالًا كليًّا، فدرس

عند الشيخ إبراهيم شويش، وأخذ أيضًا عن السيد الحسين بن محمد الزَّواك، والشيخ أحمد محمد عامر وغيرهما،كما أخذ عن السيد محمد بن يحيى الأهدل.

ثم دخل بلاد الحجاز ودرس على علمائها ، فأخذ عن السيد علوي المالكي، والشيخ حسن المشاط، والعربي التباني وغيرهم .

رحل الشيخ إلى بلاد عديدة فسافر إلى جاوه، ومصر، والسودان، وأخذ عن علماء هذه البلاد، عقد الشيخ دروسًا للعلم ببيته، فانتفع به الخلق، كان صالحًا لطيفًا حسن الخلق والمعاملة، متواضعًا عابدًا.

له مؤلفات عدة منها:

١ـ ثبته «صلة الخلف بأسانيد السلف».

٢ـ الفتاوى.

٣ـ إسعاف الطلاب بشرح نظم قواعد الإعراب.

٤ـ ضوء الشمعة في خصوصيات الجمعة.

٥ـ ترجمة شيخه حسين الزواك.

يروي فضيلة الدكتور علي جمعة الفقه الشافعي عن طريقه بسند مسلسل بالشافعية، كما أجازه الشيخ إسماعيل بالرواية بها في ثبته المشهور: «صلة الخلف بأسانيد السلف»، توفى الشيخ عام «١٩٩٤م».

فضيلة الدكتورشعبان محمد إسماعيل

ومنهم : العلامة المتفنن المقرئ الأصولي فضيلة الشيخ الدكتور شعبان محمد إسماعيل، ولد في محافظة الشرقية عام « ١٩٣٩م»، حفظ القرآن الكريم وجوّده، ثم التحق بالأزهر فدرس في معهد القراءات حتى حصل على شهادة «التخصص» في

القراءات وعلوم القرآن، ثم التحق بكلية الشريعة بجامعة الأزهر فحصل على «الإجازة العالية» في الدراسات الإسلامية والعربية ثم على الماجستير والدكتوراه في أصول الفقه.

عمل مدرسًا للتجويد والقراءات بالمعاهد الأزهرية ثم بكلية الدراسات الإسلامية والعربية –جامعة الأزهر– حتى وصل الى درجة أستاذ ورئيس لقسم الشريعة الإسلامية.

أعير للعمل ببعض الجامعات الإسلامية في المملكة العربية السعودية و والسودان وقطر، عمل عضوًا في لجنة مراجعة المصاحف بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ولجنة موسوعة الفقه الإسلامي بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر، أشرف على العديد من الرسائل العلمية «الماجستير والدكتوراه» كما شارك في بعض المؤتمرات العلمية داخل جمهورية مصر العربية وخارجها.

وللشيخ العديد من الكتب والبحوث في التفسير وعلوم القرآن والقراءات والسنة والثقافة الإسلامية والفقه والأصول، منها :

١–المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية.

٢–المدخل إلى علم القراءات.

٣–الأحاديث القدسية ومنزلتها في التشريع.

٤–الثقافة الإسلامية في ضوء القرآن والسنة.

٥–مصادر التشريع الإسلامي وموقف العلماء منها.

٦–أصول الفقه تاريخه ورجاله.

٧–من خصائص الرسول وشمائله.

٨–القراءات أحكامها ومصادرها.

٩-رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة.

١٠-تهذيب شرح الإسنوي في أصول الفقه.

١١-نظرية النسخ في الشرائع السماوية.

١٢-قول الصحابي وأثره في الفقه الإسلامي.

١٣-التشريع الإسلامي مصادره وأطواره.

١٤-دراسات حول القرآن والسنة.

١٥-دراسات حول الإجماع والقياس.

وقد لازمه فضيلة الدكتور علي جمعة مدة من الزمان؛ حيث استفاد منه الكثير والكثير، لاسيما أنه هو الذي أشرف عليه في الرسالة التي قدَّمها لنيل درجة «الماجستير»، متع الله الشيخ بالصحة والعافية .

فضيلة الشيخ محمد شمس الدين المنطقي

ومنهم: فضيلة الشيخ الدكتور محمد شمس الدين إبراهيم سالم السَّكندري المعروف بـ«شمس الدين المنطقي»، ولد بمحافظة الإسكندرية في مارس عام «١٩١٠م»، حفظ القرآن الكريم، ثمَّ التحق بمعهد الإسكندرية، وحصل على الثَّانويَّة الأزهريَّة عام «١٩٣١م»، ثمَّ التحق بكلية أصول الدِّين، وكان من طلَّاب الدُّفعة الأولى التي التحقت بالكلية عند إنشائها، وحصل على الشهادة العالية عام«١٩٣٥م»، ثمَّ حصل على العالمية عام «١٩٤٦م»، عُين أستاذًا بكليَّة أصول الدِّين، ثم عين رئيس قسم العقيدة والفلسفة بالكلية، وكان عضوًا في اللَّجنة الدائمة للترقيات بجامعة الأزهر، وقام بالتدريس بالبلاد العربية و الإسلامية مثل ليبيا والسُّعوديَّة، وشارك في العديد من المؤتمرات، وكتب في كثير من المجلَّات الدِّينيَّة، وأشرف على العديد من الرَّسائل الجامعيَّة، وعُين عضوًا في مجمع البحوث الإسلامية ، وحصل على وسام العلوم

والفنون من الطَّبقة الأولى في العيد الألفي للأزهر، تتلمذ الشيخ شمس على كوكبة من أكابر علماء عصره، منهم: الشَّيخ محمود أبو دقيقة، والشيخ عبد المجيد اللَّبَّان، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمَّد عبد الله دراز ، وغيرهم، ومن مؤلَّفاته: «الغزالي وقيمة نقده في الفلسفة»، وهي رسالته لنيل درجة الدكتوراه.

وممن تتلمذ عليه أيضًا فضيلة الدكتور علي جمعة؛ حيث تلقى عنه «العلوم العقلية»، لاسيما علم المنطق ، فكان الشيخ محمد شمس إذا شرح المنطق جعلك تشعر أنّ الذي يشرح لك هو «أرسطو أو أفلاطون»، فكان شرحه بديعًا يأتي فيه بالعجائب والغرائب، توفي الشيخ رحمه الله تعالى في شهر يوليو عام «١٩٩٢م».

فضيلة الشيخ أحمد جابر اليمني

ومنهم : فضيلة الشيخ أحمد بن جابر جبران ولد عام «١٩٣٣م» بمدينة الضحي «بفتح الضاء المعجمة وكسر الحاء المهملة فياء»، بلدة مشهورة في تهامة اليمن، بوادي سردود ، بمحافظة الحديدة .

نشأ الشيخ يتيمًا؛ حيث توفي والده وهو في الثالثة من عمره فاحتضنته والدته ورعاه عمه عبدالله فحفظ القرآن الكريم ، ثم انتظم في سلك التعليم بالمعهد المكتبي « الكُتَّاب » فتلقى المبادئ ومقدمات العلوم . وقد كان ذكيًّا فطنًا حريصًا على الطلب حتى برع وتقدم على أقرانه. ثم زاحم بالركب وجلس عند جملة من العلماء في اليمن وفي الحجاز وأخذ عنهم .

تتلمذ الشيخ أحمد على شيوخ من شتى بقاع الأرض من اليمن والحجاز والشام ومصر والجزائر والمغرب وغيرها . ومن أكثر الذين نال شرف خدمتهم وفضلهم الشيخ إبراهيم بن أحمد المعلم الشويش الضحوي «في اليمن » والشيخ حسن بن محمد المشاط بمكة المكرمة .

كان الشيخ عالي الهمة لا يكل ولا يمل في نشر العلم وفعل الخير في اليمن وفي مكة المكرمة التي قدِم إليها عام ١٣٨٦ هـ فقد شارك العلماء في التدريس في مدرسة دار العلوم الدينية ولمدة ٢٣ سنة ثم باحثًا في إدارة الثقافة برابطة العالم الإسلامي . ثم محاضرًا بالمعهد العالي لإعداد الأئمة والدعاة . ثم مشرفًا على رسائل الماجستير ولمدة أربعة سنين . بالإضافة إلى التدريس في منزله في جميع العلوم والمعارف . وكان ينظم الشعر وله الكثير من القصائد . و آخر درس له يوم الجمعة ١٧/ ١٢/ ١٤٢٥ هـ في مستشفى أم القرى أي قبيل وفاته بدقائق معدودة .

وللشيخ مؤلفات عدة، منها :

١- دروس أصول الفقه المكية .

٢- التعليقات السنية على متن الطحاوية .

٣- فتح الودود شرح اللؤلؤ المنضود في علم الصرف .

٤- نظم مثلثات قطرب .

٥- فتح الكريم المنان في شعب الإيمان .

٦- النفحات المكية في الفوائد الفقهية .

٧- تحفة المريد ببعض مالي من الأسناد.

توفي رحمه الله في مكة المكرمة مساء الجمعة السابع عشر من ذي الحجة عام ١٤٢٥ هـ ودفن بمقبرة المعلاة .

وقد لازمه فضيلة الدكتور علي جمعة واستفاد منه، وقد أجازه الشيخ أحمد برواية ما له من أسانيد .

فضيلة الشيخ محمد مصطفى أبو العلا [1]

ومنهم: فضيلة الشيخ محمد مصطفى أبو العلا «الشهير بحامد»ولد عام «١٩٠٩ م»، من أفاضل علماء مصر، حضر على عدد من العلماء، منهم: محمد بخيت المطيعي، ومحمود خطاب السبكي، ومحمد حسنين مخلوف، وعلي محفوظ، ويوسف الدجوي، وقدكان له به اختصاص وصحبه، من طريق خاله الشيخ علي داود، الذي كان ملازمًا للدجوي.

وللشيخ عدد من المؤلفات ، منها:

١ـ نور الإيمان في تفسير القرآن .

٢ـ شرح حِكَم ابن عطاء الله السكندري .

٣ـ حديث الإسلام .

٤ـ مجموع الخطب المنبرية .

٥ـ شرح أسماء الله الحسنى .

وقد أجاز الشيخ أبو العلا فضيلة الدكتور علي جمعة، وهو يروي عن عدد من العلماء، منهم :

١ـ الشيخ يوسف الدجوي .

٢ـ الشيخ محمد حبيب الشنقيطي .

٣ـ الشيخ محمد عبد الحي الكتاني .

توفي الشيخ أبو العلا عام«١٩٨٦م» .

---

(١) انظر: «أسانيد المصريين»، للدكتور أسامة السيد الأزهري، صـ ٧٤٨، طبعة دار الفقيه الإمارات .

فضيلة الشيخ عبد الله بن سعيد عبادي اللحجي

ومنهم: عبد الله بن سعيد بن محمد عُبادي اللحجي الحضرمي الشحاري المراوعي المكي الشافعي، ولد رحمه الله تعالى بقرية نوبة عياض من قرى لَحْج باليمن عام«١٣٤٣هـ» .

نشأ في حجر والديه فحفظ القرآن الكريم وبعض المتون على والده ثم أدخله والده مدينة الحوطة عند الأستاذ حسن عبد الله إبراهيم فأخذ عنه مبادئ الكتابة والحساب وحفظ المتون إلى ١٣٥٤هـ حيث توفي والده يرحمه الله . فأخذ قوامة المسجد بدل والده مؤذنًا وإمامًا وخطيبًا، إلا أنه كان يقدم غيره للإمامة لازدرائه لنفسه، الأمر الذي أعانه وحفزه على التسخير في طلب العلم . وفي عام ١٣٥٨ هـ رحل شيخنا إلى المراوعة للأخذ عن علمائها الأعلام فمكث فترة ثم عاد إلى أمه وإخوانه وفي عام ١٣٦١هـ رحل إلى زبيد فأخذ عن علماءها إلى نهاية ١٣٧٢هـ حيث توفي شيخه . وفي عام ١٣٧٤هـ حج ومكث بمكة المكرمة عامًا واحدًا، عاد بعدها إلى اليمن ثم قصد الحج والمجاورة عام ١٣٧٧هـ فمكث بمكة إلى وفاته .

تتلمذ الشيخ رحمه الله تعالى على والده يرحمه الله ثم الأستاذ حسن عبد الله إبراهيم والسيد عبد الرحمن بن محمد الأهدل والعلامة عبد الله بن علي العمودي والسيد عبد الله بن أحمد الهدار والسيد علوي مالكي والشيخ حسن المشاط والشيخ محمد العربي التباني والشيخ محمد ياسين الفاداني والسيد محمد أمين كتبي والشيخ حسن بن سعيد يماني والشيخ عبد الرحمن بن حسن معوضه الأهدل والسيد محمد حسن الأهدل والشيخ محمد يحيى أمان الحنفي والشيخ أمين طرابلسي والشيخ إسحاق الصامولي وغيرهم رحمهم الله رحمة الأبرار وجمعنا وإياهم في دار القرار في جنات تجري من تحتها الأنهار .

للشيخ عبد الله مؤلفات عدة، منها :

١- إيضاح القواعد الفقهية لطلاب المدرسة الصولتية .

٢- إعانة ربِّ البرية على جمع تراجم رجال الحديث المسلسل بالأولية.

٣- المرقاة إلى الرواية والرواة .

٤- رسالة جمع فيها أربعين حديثًا.

٥- منتهى السول على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول .

٦- إسعاف أهل الخبرة بحكم استعمال الصائم للإبرة .

٧- حديقة الأبرار شرح بهجة الأنوار .

٨- نظم في الغزوات .

٩- فتح المنان في شمائل شيخنا عبد الرحمن .

١٠- نظم في القيلات المعتمدة في المنهاج للنووي .

١١- الأجوبة المكية عن الأسئلة الجاوية .

١٢- حسنات الزمن في تراجم علماء اليمن .

توفي الشيخ بمستشفى النور التخصصي بمكة المكرمة الساعة العاشرة والنصف من ليلة الأحد ٢٦/ ٥/ ١٤١٠هـ ودفن بمقبرة المعلاة عقب صلاة الظهر بجوار شيخه السيد علوي المالكي، وشيخه السيد محمد أمين كتبي رحمهم الله تعالى ـ وقد لازمه فضيلة الدكتور علي جمعة، وأجازه الشيخ أحمد بأسانيده ومروياته .

الشيخ جاد الرب رمضان(١)

ومنهم : العلامة الجليل فضيلة الشيخ الدكتور جاد الرب رمضان جمعة علي الشافعي الأزهري، عميد كلية الشريعة والقانون، الملقب بـ «الشافعي الصغير»؛ ذلك لشدة تبحره واطلاعه على كتب الشافعية، بصورة لم ير تلامذته مثلها في عصره .

(١) انظر «جمهرة أعلام الأزهر الشريف» لفضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري (٨/ ٢٧)، طبعة مكتبة الإسكندرية .

ولد الشيخ جاد الرب عام «١٩٠٧ م »، في قرية سنجرج، مركز ملوي، محافظة المنيا، حفظ القرآن وجوده، والتحق بمعهد أسيوط الأزهري عام «١٩٢١ م »،فتلقى علوم الأزهر بمناهجها التي كانت في ذلك الحين، ثم تابع الدراسة بالقسم الثانوي حتى حصل على شهادة الثانوية الأزهرية عام «١٩٢٨ م »، ثم التحق بالقسم العالي في هذه السنة، وكانت الدراسة بالأزهر الشريف ومدتها أربع سنوات .

نال الشيخ جاد الرب شهادة العالمية النظامية عام «١٩٣٢م»، ثم آثر الالتحاق بقسم من أقسام التخصص التي كانت موجودة في ذلك العهد، وهو قسم الفقه وأصوله، حتى نال شهادة التخصص في الفقه والأصول عام «١٩٣٥م».

ثم عُيّن مدرسًا في معهد طنطا، ثم نقل إلى معهد القاهرة، ومكث فيه يدرس العلوم المختلفة ، حتى اختارته كلية الشريعة مدرسًا بها عام «١٩٤٨م»، فقام بتدريس مادة التخصص وغيرها، ثم عيّن وكيلاً للكلية، ثم عميدًا لها، حتى أحيل إلى المعاش عام «١٩٧٢م» .

عُيّن الشيخ جاد الرب بعد المعاش أستاذًا متفرغًا بالكلية، وظل يدرس بالدراسات العليا سنين عددًا، وكان يدرس علم القواعد الفقهية، وعلم تخريج الفروع على الأصول، وكان كتاب الأشباه والنظائر للإمام السيوطي على طرف لسانه يكاد ألا يخرم منه حرفًا.

كان الشيخ جاد الرب من طبقة الأزهريين الأماجد المتمكنين، ذوي التحقيق العلمي الرفيع في الفقه وأصوله، وقد تتلمذ للشيخ عدد من العلماء الأجلاء منهم : صاحب هذه الترجمة فضيلة الدكتور علي جمعة الذي لازمه مدة من الزمان درس عليه فيها فقه السادة الشافعية أثناء مرحلة الإجازة العالية، ودرس عليه أيضًا كتاب «الأشباه والنظائر» للإمام السيوطي في علم القواعد الفقهية.

وقد شهد الشيخ جاد الرب لفضيلة الدكتور علي جمعة بالعلم والتمكن فقال له أمام مجموعة من زملائه : «قلمك خير من قلمي»، وكان الشيخ جاد الرب ضنينًا بالمدح، مقلًّا منه جدًا، دقيقًا غاية الدقة في ألفاظه، وفي تصحيحه للأوراق.

توفي الشيخ إلى رحمة الله تعالى يوم ١٢ ربيع الثاني، عام «١٤١٥هـ»، الموافق ١٨ سبتمبر سنة «١٩٩٤م» رحمه الله تعالى.

الشيخ عبد الجليل القرنشاوي[(١)]

ومنهم: علامة الدنيا الفقيه الأصولي فضيلة الشيخ عبد الجليل سعد القرنشاوي المالكي، أستاذ الفقه بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة، ولد فضيلته عام «١٩٠٨م» بقرية على أطراف مدينة كفر الدوار، حفظ القرآن الكريم صغيرًا، والتحق بمعهد الإسكندرية الأزهري ، وترقى في مراحل التعليم حتى حصل على الإجازة العالية من كلية الشريعة عام «١٩٣٨م»، ثم حصل على العالمية من درجة أستاذ، ممهورة من القصر الملكي عام «١٩٤٦م» وتسلم بعدها منصبه أستاذًا بكلية الشريعة والقانون إلى وفاته.

للشيخ القرنشاوي عدة مؤلفات، منها : «الموجز في أصول الفقه»، و«دراسات في أصول الفقه» و«المدخل في الفقه».

لازم فضيلة الدكتور علي جمعة العلامة الكبير فضيلة الشيخ عبد الجليل القرنشاوي مدة من الزمان قرأ عليه شرح «العضد على مختصر ابن الحاجب» في أصول الفقه، وكان الشيخ القرنشاوي يحب فضيلة الدكتور علي جمعة جدًا، ويثني عليه، ويقول : لو كان الأمر بيدي لأعطيته الأستاذية من مناقشته أثناء الدرس.

توفي الشيخ القرنشاوي إلى رحمة الله تعالى عام «٢٠٠١م».

(١) انظر «جمهرة أعلام الأزهر الشريف» لفضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري (٨/ ١٦٤)، طبعة مكتبة الإسكندرية .

الشيخ الحسينى يوسف الشيخ[(١)]

ومنهم: شيخ الشافعية العلامة الفقه فضيلة الشيخ الحسينى يوسف محمد الشيخ، ولد في قرية كتامة الغابة، بمركز بسيون، بمحافظة الغربية.

التحق بالأزهر الشريف حتى حصل على الإجازة العالية من كلية الشريعة عام «١٩٣٩م»، وحصل على العالمية عام «١٩٤٧م»، واشتغل بالتدريس في كلية الشريعة ، وابتعث للتدريس في السودان، كان الشيخ إمامًا في الفقه وأصوله .

للشيخ الحسيني مؤلفات عديدة، منها : «مدخل الفقه الإسلامي»، و«مختارات الباجوري» و«المختصر في أصول الفقه»كل ذلك بالاشتراك مع غيره، و«بحوث في أصول الفقه لغير الحنفية».

تتلمذ على يد الشيخ الحسيني جماعة من العلماء الأجلاء؛ منهم : فضيلة الدكتور علي جمعة الذي قرأ عليه «شرح المحلي على المنهاج» في فقه السادة الشافعية أثناء الإجازة العالية، وفي مرحلة الدراسات العليا قرأ عليه كتاب «التمهيد في تخريج الفروع على الأصول» للإمام الإسنوي، فكان الشيخ الحسيني آية في حل العبارة، وتوجيهها على الطريقة الأزهرية الأصيلة.

وكان أيضًا يحفظه حفظًا، وقد درَّسه فضيلة الإمام أيضًا في أروقة الأزهر الشريف، فكان آية من آيات الله في ربط التراث بالمعاصرة من خلال هذا الكتاب، ودرب به عقول طلبته على كيفية الفهم الدقيق، والتخريج المستقيم.

وقد توفي الشيخ الحسيني إلى رحمة الله تعالى في يوم ٢٢ شعبان سنة «١٤٢٠هـ»،الموافق ٦ ديسمبر سنة عام «١٩٩٩م».

---

(١) انظر «جمهرة أعلام الأزهر الشريف» لفضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري (٨/ ١١٧)، طبعة مكتبة الإسكندرية .

الشيخ الدكتورعلي أحمد مرعي[(١)]

ومنهم: العلامة الفقيه عميد كلية الشريعة فضيلة الشيخ الدكتور علي أحمد علي مرعي، ولد في قرية الشرفا الغربي، بمركز تلا، بمحافظة المنوفية.

التحق بالأزهر الشريف حت تخرج في كلية الشريعة واشتغل بالتدريس فيها وتولى قسم أصول الفقه، ثم تولى عمادة الكلية عام «١٩٩٣م».

للشيخ مرعي مؤلفات عديدة، منها: «فسخ العقد في الشريعة الإسلامية»، و«بحوث في البيع» و«الخيارات في الفقه الإسلامي» و«خيار الشرط في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة».

لازم فضيلة الدكتور علي جمعة، العلامة الكبير فضيلة الشيخ علي مرعي مدة من الزمان يقرأ عليه ويحضر دروسه ومجالسه العامرة، وقد انتفع به وبعلومه لاسيما في علم الفقه، وقد توفي الشيخ مرعي إلى رحمة الله تعالى عام «٢٠٠٧م».

الشيخ محمد إسماعيل الهمداني

ومنهم: شيخ القراء العلامة الكبير فضيلة الشيخ محمد إسماعيل محمد يوسف الهمداني، كان مدرسًا بقسم تخصص القراءات بالأزهر، ومقرئًا بالجامع الأزهر الشريف.

قرأ بالعشر الصغرى على الشيخ عبد العزيز بن مصطفى السحار، وبالعشر الكبرى على الشيخ أحمد عبد العزيز الزيات، كان رحمه الله تعالى من أئمة القراء أصحاب التحريرات على الشاطبية والطيبة، بما يحاكي تحريرات الشيخ المتولي الكبير، قرأ عليه فضيلة الدكتور علي جمعة القرآن الكريم في ساحة الجامع الأزهر الشريف، وأخذ عنه طرفًا من علم النحو.

(١) انظر موسوعة «جمهرة أعلام الأزهر الشريف» لفضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري (٨/ ٢٦٥)، طـ مكتبة الإسكندرية.

وقد وصف فضيلة الدكتور علي جمعة حال شيخه العلامة الشيخ محمد إسماعيل الهمداني مع القرآن الكريم فقال:«كان سيدنا الشيخ محمد إسماعيل الهمداني يجلس بجوار رواق الاتراك وكان صاحب آيات، قال لي : والله يا شيخ علي : أنا لم أقرأ القرآن من حوالى ٥٠ سنة ، فقلت له : كيف ٥٠ سنة لم تقرأ القرآن ؟!

فقال لى : أسمعه من طلابي فهذا يسمع في البقرة وآخر يسمع في آل عمران وأخر يسمع في المائدة فأنا أسمعه كاملاً مرة كل ثلاثة أيام من التسميع اللي بيتسمع عليَّ . وقال لى : القرآن الكريم كالسطر الواحد أمامي لا يغيب ، واختبرني قل لي : كام عزيز حكيم وأنا أقول لك عددهم وأين هم، ولكنى لم أقم بذلك تأدبًا مع الله .

كما تلقى فضيلة الدكتور علي جمعة غير العلوم الشرعية على عدد من الأساتذة المتخصصين في تخصصات أخرى نذكر منها :علم الاقتصاد الإسلامي، حيث تلقه فضيلتها على يد الدكتور عيسى إبراهيم عبده، كما تلقى أسس علم الاقتصاد الغربي، على يد الدكتور يحيى عويس والدكتور علي لطفي، ودرس فضيلته «النقود والبنوك»، على يد الأستاذ الدكتورعلي عبد الجليل راضي.

وقد درس فضيلة الدكتور علي جمعة «علم القانون الوضعي»، على يد الدكتور سامي مدكور، والدكتور حمدي عبد الرحمن، والدكتور حسن النوري وغيرهم.

كما درس فضيلته «علم الإدارة »،على يد الدكتور ماهر عليش، والدكتور علي عبد الوهاب، والدكتور سيد الهواري وغيرهم.

كما درس «علم المحاسبة»، على يد الدكتور محمد الجزيري، والدكتور إبراهيم العشماوي وغيرهم، ودرس علم «الرياضيات العليا»على يد الدكتور فتحي محمد علي وغيرهم.

المطلب الخامس

منهجه العلمي

إذا أردنا أن نتعرّف على شخصية ما، وأن نلم بملامحها، كان لا بد لنا أن نتعرف على حقيقة «المنهج» الذي سلكته وتبنته وارتضته هذه الشخصية لنفسها؛ ذلك لأنّ «المنهج» هو الذي سيحدد ملامح أفكارها، ويُظهر كنوز أسرارها. والمتأمل في شخصية الدكتور علي جمعة، يجد أنّ فضيلته يتمتع بشخصية نادرة لا تظهر في التاريخ إلا على فترات متباعدة؛ ذلك لما تميز به فضيلته من «منهج علمي» يجمع بين أصالة الفكر ومعاصرة الواقع، والموازنة فيما بينهما بما لا يخل بالثوابت والقيم، وعن هذا «المنهج» يقول فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عمارة: «إنّ المنهجية العلمية التي يتميز بها فضيلة الدكتور علي جمعة، هي جزء من مدرسة فكرية معاصرة، ترى أنّ الله سبحانه وتعالى طلب منا في طلائع آيات الوحي أن نقرأ قرائتين قراءة «كتاب الله المنظور»، أي: «الكون» المشتمل على سنن الله المبثوثة في الآفاق والأنفس، وأن نقرأ « كتاب الله المسطور»،أي: «الوحي»، وأن نجمع بين القرائتين »[1].

وقد أضاف فضيلة الدكتور علي جمعة، قراءة ثالثة إلى القراءتين السابقتين، لتصبح هذه المدرسة تقرأ في ثلاثة كتب، هي:

١ـ كتاب الله المسطور . «الوحيان»

٢ـ كتاب الله المنظور . «الأكوان»

٣ـ كتاب الله المقدور. «الإنسان»

فيجب على كل إنسان أن يعرف هذه «الكتب» وأن يتأمل ما جاء في طياتها ،وأن يفهم ما جاء فيها؛ لأنها تبصره وترشده إلى معرفة المقاصد التي من أجلها خلقه الله؛ لأن

(١) لقاء تلفزيوني مسجل بعنوان: «قصة حياة الإمام علي جمعة».

الله سبحانه وتعالى جعل «الكتاب المسطور والكتاب المنظور» من مصادر المعرفة ، أما الكتاب الثالث، وهو الإنسان ،فخلقه الله ليدرك ما جاء في الكتابين السابقين .

ثم يصف فضيلة الدكتور محمد عمارة منهجية هذه المدرسة التي ينتمي إليها الدكتور علي جمعة فيقول : «هذه مدرسة متميزة في المنهجية الإسلامية؛ حيث لا تقف فقط عند النص، ولا تقف فقط عند الواقع، وإنما تجمع بين النص والواقع، ثم اتبع حديثه قائلاً: إنّ «منهجية» الدكتور علي جمعة في النظر إلى التاريخ، و إلى الواقع، و إلى الفكر في معالجة المشكلات ، تدل على أنّ فضيلته «مفكر منهجي»»[1].

وأرى أنّ الذي ساعد الدكتور علي جمعة، في الوصول إلى ما أشار إليه الدكتور محمد عمارة هو:« عقليته التحليلية، ومنهجه العلمي في فهم نصوص التراث وتحليله، ورؤيته الدقيقة لتفاصيل الواقع المعيش»؛ لذلك سنتناول بمشيئة الله تعالى في هذا المطلب الحديث عن حقيقة «المنهج العلمي» ومعالمه عند فضيلة الدكتور علي جمعة، ورؤيته التجديدية، وفيما يلي بيان ذلك:

أولًا. حقيقة المنهج عند الدكتورعلي جمعة :

١.المنهج في اللغة :

قال الراغب الأصفهاني في مفرداته: «النهج: الطريق الواضح، ونهج الأمرُ وأنْهَجَ:وَضَحَ، ومنهجُ الطريقِ ومنهاجه؛ قال تعالى : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة: ٤٨].

فالمنهج في اللغة العربية إذن، هو: الطريق الواضح، الذي لا يتيه سالكه، بل يصل إلى غايته من ورائه مباشرة، بلا التواء ولا تعرج، وعليه فالمنهج في اللغة هو:

---

(١) المصدر السابق .

الطريق الواضح الذي يتم الانطلاق فيه من نقطة البدء إلى نقطة الختام، من أجل إنجاز عمل معين على أتم حال، وهذا ما ذهب إليه فضيلة الدكتور علي جمعة[١] .

٢ المنهج في رؤية فضيلة الدكتورعلي جمعة :

يتميز العقل العلمي عند المسلمين بأنه حريص على تحديد مصادر المعرفة، والتفرقة الدقيقة بين مجالاتها المختلفة، فهناك المجال الحسي كالكمياء والطبيعة، يختلف عن المجال العقلي كالرياضيات وهو بدوره يختلف عن المجال النقلي كشأن اللغة، والشريعة، وقد تتداخل هذه المجالات كما هو الشأن في العلوم الاجتماعية والإنسانية، ولكل مجال منهج بحثه، وترتيب أدلته[٢].

كما يحرص العقل العلمي أيضًا على تحديد طرق البحث وشروط الباحث، وترتيب الأدلة، والرؤية الكلية، وعدم إهمال الجزئيات، وتأصيل المسائل، وتفصيلها، ووضع المصطلحات بإزاء المفاهيم، والاعتماد على الحقائق دون الانطباعات والرغبات والأوهام، وهذا هو المنهج المستقيم.

وعليه فالمنهج العلمي عند فضيلة الدكتور علي جمعة هو: «رؤية كلية ينبثق عنها إجراءات»، وهذه الرؤية الكلية عبّر عنها فضيلة الدكتور علي جمعة في كثير من كتاباته بكلمة «النموذج المعرفي»، وعبّر عنها أيضًا بكلمة «العقيدة»، كما عبّر عنها ببعض« القضايا الكبرى» اختزالًا لهذه الرؤية الكلية في أهم قضاياها، إذن فالرؤية الكلية عند الدكتور علي جمعة هي: «النموذج المعرفي »[٣] ، أما الإجراءات عند الدكتور علي جمعة

---

(١) انظر:«مكونات العقل المسلم» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ ١٥١،طبعة دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر .

(٢) انظر: مقال بعنوان : «العقل العلمي عند المسلمين » لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

(٣) انظر:«مكونات العقل المسلم» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ ١٥١،طبعة دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر .

فهي: منهج البحث العلمي الذي نراه عند الأصوليين، حيث يُعرِّف الرازي ومدرسته أصول الفقه بأنه : «معرفة دلائل الفقه إجمالا، وكيفية الاستفادة منها، وحال المستفيد» يعني تكلم عن مصادر البحث ، ثم تكلم عن كيفية البحث وطرقه، ثم تكلم عن شروط الباحث، وهي الأركان الثلاثة بحالها التي اتُخذت فيها بعد منهجًا علميًا كما قرره «روجرز بيكون» المصادر، والطرق، وشروط الباحث؛ لذلك سوف تجد «المعالم» التي قام عليها المنهج العلمي لفضيلة الدكتور علي جمعة مبثوثة في مباحث هذا الكتاب، وسوف أقتصر في السطور التالية على ذكر أهم معالم منهج فضيلته، وفيما يلي بيان ذلك :

ثانيًا معالم «المنهج العلمي» عند فضيلة الأستاذ الدكتورعلي جمعة

١- منهجه الأزهري[1] .

ذكرتُ سابقًا أنّ الهم الأكبر الذي شغل فكر فضيلة الدكتور علي جمعة، على مدى عمره الكريم، ومشروعاته العلمية، وإنجازاته الجليلة ، هي أنه كيف نتلقى هذا الدين كاملًا عمن قبلنا؟ وكيف نوصله كاملًا إلى من بعدنا؟ ولتحقيق السؤال الأول، قام فضيلته بإجراءات كثيرة ، منها: سلوكه سُبل «تلقي العلم الشرعي» على وفق «المنهج الأزهري »، الذي هو الأقدر على مواكبة العصر الذي نعيشه .

---

(١) أجمع الأزهريون شيد الله أركانهم أنّ منهجهم يقوم على ثلاثة أركان، وهي:

١- «العقيدة»؛ حيث اعتمد الأزهر الشريف في مناهجه عقيدة أهل السنة والجماعة على طريقة السادة « الأشاعرة والماتريدية ».

٢- «الشريعة»؛ حيث لابد لكل طالب أزهري أن يكون على مذهب من المذاهب الفقهية الأربعة المعتمدة « الحنفي المالكي الشافعي الحنبلي».

٣- «الأخلاق»؛ حيث لابد أن يكون الطالب الأزهري متخليًا عن كل خلقٍ قبيح، مُتحليًا بكل خلق مليح وصحيح،« وهذا هو التصوف الرشيد الخالي من البدع والخرافات والخزعبلات المقيد بكتاب الله وسنة سيدنا رسول الله ﷺ».

يقول فضيلة الدكتور علي جمعة عن اختياره «لمنهجه العلمي» وفق منهج الأزهر الشريف:« منذ بدأت طلب العلم من أربعين سنة أو أكثر، شغلني كثيرًا منهج التفكير، وكنا نبحث عن هذا المنهج، باعتبار أنه مفتاح العلوم وكنوزها، وأنه هو الذي سيحدد ملامح الفكر المستقيم، وبعد بحث استمر سنين اتضح معه أن المنهج الأزهري لفهم الدين، بل الدنيا، هو المنهج الأعدل والأكثر إنصافًا، وفي مقابلة «المنهج الأزهري» عُرض علينا منهج آخر لم نقبله لا في فهم الدنيا ولا في فهم الدين، شعرنا معه بأنه سطحي ليس عميقًا، وبأنه جزئي ليس شاملًا»[1].

ومن الأشياء التي تميز بها «المنهج الأزهري » عن غيره من «المناهج»، اعتنائه بدوائر العلوم قاطبة، فإنّ دوائر العلوم في «الأزهر الشريف» متكاملة، فظل «المنهج الأزهري » على مدى قرون وهو يعتني بتدريس المنقول والمعقول، والفروع والأصول، فدرّس «علوم العربية» من النحو والصرف والمعاني والبديع والبيان، ودرّس «الحديث الشريف» رواية ودراية ، ودرّس «علوم المعقول» من علم الكلام وعلم المنطق وعلم الوضع وعلم المقولات، ودرّس كتب الفقه على المذاهب الأربعة، ودرّس علم أصول الفقه، و كتب تخريج الفروع على الأصول، إلى غير ذلك من أنواع العلوم والفنون.

وعن اهتمام «المنهج الأزهري» بدوائر العلوم، يقول فضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري[2] : «إنّ المنهج الأزهري يربي أبنائه على أن يأخذوا طرفًا وحظًّا وافرًا من كل فن وعلم، وأن تكتمل في أذهانهم دوائر هذه العلوم؛ لأنه ما من دائرة من دوائر العلوم إلا وهي تربي في عقل الطالب عينًا ينظر بها إلى «النص الشرعي»، فإذا ما تعددت دوائر العلوم في ذهن طالب العلم، صار كأنه ينظر إلى «النص الشريف» بعيون متعددة، فيرى زواياه وخباياه ، ويدرك حجيته ، وطرق وروده وثبوته ، ويعرف قطعيه وظنيه،

(١) انظر : مقال بعنوان: «اختيار المنهج »، بقلم : فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة .

(٢) أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهرالشريف،والمستشار الديني لرئيس الجمهورية .

ويعرف ناسخه ومنسوخه، ويقتدر على الغوص وراء مدلولات ألفاظه، فيقتدر بذلك على استخراج ما أُودع في «النص الشريف» من فروع وأحكام وآداب، فإذا بالوحي الشريف قد تفتحت خزائنه عما أُوع فيها من مكنون الجواهر والعلوم والحِكَم».

وفي مقابلة «المنهج الأزهري»، تجد منهجًا بينه وبين النصوص إشكال، وبينه وبين فهم هذه النصوص إشكال، وبينه وبين إدراك الواقع إشكال، وبينه وبين اعتبار المآلات إشكال، وبينه وبين ما تؤل إليه الأمور إشكال، وبينه وبين فهم مقاصد الشريعة إشكال، وبينه وبين مصالح العباد والبلاد إشكال، هذه الإشكاليات هي التي جعلت «أتباعه» لا يفهمون النصوص فهمًا صحيحًا، وجعلتهم يهرفون بما لايعرفون، ويتكلمون بغير علم فيما لا يتقنون، وينعزلون عن واقعهم المعاش .

فبعد هذا العرض الموجز، يتضح لك كمال التوفيق[1] الذي منحه الله تعالى لفضيلة الدكتور علي جمعة في اختياره «المنهج الأزهري منهجًا علميًّا له »؛ ذلك المنهج الذي يسعى إلى عبادة الله على بصيرة، وإلى عمارة الأكوان على علم، وإلى تزكية النفس على هدي خير العباد ﷺ.

٢ـ موسوعيته المعرفية :

قد وهب الله تعالى فضيلة الدكتور علي جمعة عقلية متميزة تميزًا ملحوظًا، كما منحه الله ذاكرة قوية يَغارُ منها «الحاسب الآلي»، فاستطاع فضيلته أن يخرج بهذه العقلية من الحصر الزماني والمكاني؛ لتتسعَ الدوائر المعرفية لديه، فقد درس فضيلته العلوم الطبعية والرياضيات في المرحلة الثانوية؛ حيث كان في القسم العلمي، ودرس الاقتصاد والإدارة والمحاسبة في كلية التجارة، ودرس الشريعة بعلومها المختلفة في الأزهر الشريف، ثم لم يقتصر فضيلته على ذلك، بل درس القانون في جامعة القاهرة، واطلع اطلاعًا واسعًا

(١) التوفيق هو: خلق القدرة على الطاعة، فيرزق الله الإنسان نجاح في السَعْي وإصابة في العَمَل.

على العلوم الاجتماعية والإنسانية واهتم اهتمامًا واضحًا بالفنون والآداب والتاريخ.

إن الموسوعية التي يتسم بها «المنهج العلمي» لفضيلة الدكتور علي جمعة، هي التي جعلت فضيلته يستوعب تراث أمته بمذاهبها الفقهية المختلفة، ومذاهبها الفلسفية المتعددة ، وهذا الاستيعاب جعله يرى هذا التراث في ضوء الواقع الذي يعيشه، فكان فضيلته مفكرًا إسلاميًّا متميزًا، وعن هذه الموسوعية التي تميز بها فضيلته، يقول الدكتور أسامة السيد الأزهري : « وعند الشيخ الأستاذ من الاطلاع الواسع، والمعرفة التامة، والمكتبة الواسعة العامرة بغرائب المصنفات، وعجائب المؤلفات، التي تقدر بأربعين ألف عنوان، وقد اطلع الشيخ عليها اطلاعًا تامًا، مع ما تهيأ له من مصادر المعرفة، والثقافة المتشعبة، والإلمام بالاقتصاد، والفكر المعاصر، والفلسفة، والمناهج الفكرية المختلفة، على نحو قلَّ أن يتهيأ أو يجتمع لأحد»[1].

إنّ موسوعية فضيلة الدكتور علي جمعة، تجعلني أقول أنه قد غاص في مكتبته العامرة التي تحتوي على «ثمانين ألف عنوان»، والتي تُعدُّ من أكبر المكتبات الشخصية في مصر والعالم، وتظهر موسوعية فضيلة الدكتور علي جمعة، عند حديثه ، فتراه إذا تكلم في موضوع من الموضوعات، جاء بالفوائد والفرائد، وأتحف المستمعين بالعجائب والغرائب؛ ذلك لأن فضيلته إذا أراد أن يبحث شيئًا، أو أراد أن يتكلم في موضوع من الموضوعات، تتبعه وجمع مادته، وقرأ كل ما يتعلق به، ومن المعروف عن فضيلته أنه شغوف بمعرفة المعلومة البسيطة قبل الكبيرة، وبالغريبة قبل القريبة، فهو لا يقنع بالدُّن.

يقول فضيلة الأستاذ الدكتور محمد رأفت عثمان[2] رحمه الله تعالى : « ما تكلمتُ في موضوع مع فضيلة الدكتور علي جمعة، إلا وظننتُ أنه قد قرأ عن هذا الموضوع قبل

(١) انظر: «أسانيد المصريين»، للدكتور أسامة السيد الأزهري، صـ ٥٣٩، طبعة دار الفقيه الإمارات .

(٢) هو فضيلة العالم العلامة الفقيه الكبير فضيلة الأستاذ الدكتور محمد رأفت عثمان، عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، وعميد كلية الشريعة والقانون الأسبق .

أن نتحدث فيه؛ ذلك لما يأتي به أثناء كلامه من درر وفوائد» ا.هــ ، وهذه الموسوعية هي التي تجعلنا نجزم بأنّ فضيلة الدكتور علي جمعة قد اتطلع على ما ضمته مكتبته من نوادر الكتب اطلاعًا كاملًا، وقد أكد هذا فضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري حينما قال:«وأنا على يقين أنّ فضيلته قد طالع ما في مكتبته مطالعةً تامة عن معرفة واحتكاك»[١].

وقد ذكر فضيلة الدكتور علي جمعة، أنه سأل العلامة الشيخ محمد خاطر[٢]، عن المقادير المذكورة في كتب الفقه، وخصوصًا: « الدرهم والدينار » ، فقال له الشيخ لا أدري، ولكن سل الصاغة، فإن عندهم خبرة بالموازيين والمقاييس.

وهنا يظهر لك الفرق بين «العقلية العلمية المنضبطة» التي تهتم بالمطالعة وموسوعية المعرفة، وبين «العقلية السطحية » التي لا تهتم بالمطالعة.

فلما سأل فضيلة الدكتور علي «الصاغة» لم يعرفوا، فانتبه فضيلته من يومها إلى أمر في غاية الأهمية، وهو : «أن كل مسألة شرعية يتوقف فهمها على أصل في علم آخر»، فكان «منهجه» الذي يتسم بالموسوعية، حافزًا له على قراءة ودراسة المسألة في علمها أولاً، ثم يرجع فضيلته لقراءتها ودراستها في كتب العلم الشرعي، فبناء على ذلك قام فضيلته بدراسة الكيمياء، و الرياضيات، و فلسفة المعادلات، والفلك، والموسيقا، و علوم الإدارة، و القانون، وغير ذلك من العلوم .

---

(١) لقاء تلفزيوني مسجل بعنوان: « معرض انجازات دار الإفتاء ٣٦٥٠ يوم - كلمة د. أسامة السيد الأزهري».

(٢) هو العلامة الفقيه مفتي الديار المصرية فضيلة الشيخ محمد خاطر محمدالشيخ ولد في عام «١٩١٣م » في قرية الضهير مركز المنزلة محافظة الدقهلية ، تخرج في كلية الشريعة«١٩٣٩م » ،وبعد ذلك حصل على شهادة التخصص في القضاء الشرعي سنة « ١٩٤١م» ، تم اختياره مفتيًا للديار المصرية في أول رمضان عام«١٩٧٠ م » ، وظل يشغل هذا المنصب حتى بلغ سن التقاعد ، توفي في سنة «٢٠٠٤م».

وقد سمعتُ أنّ فضيلته عندما اهتم بدراسة «الدرهم والدينار»، جمع كل ما يتعلق بعلم «النُّمِّيَّات» (١)، هذا العلم الذي يهتم بتاريخ النقود المعدنية، وأوزانها، وأنواعها، وما كُتب عليها، فضمت مكتبة فضيلته أكثر من أربعين كتابًا في ذلك العلم.

وكثيرًا ما أسمع فضيلة الدكتور علي جمعة وهو يتحدث عن «علم الجوديسيا»(٢)، و «علم الهيئة»(٣) أثناء دروسه الفقهية، فهذه العلوم تساعد الفقيه في تحديد مواقيت الصلاة في أجزاء العالم المختلفة، وفي تحديد سمت القبلة واتجاهها، وفي تحديد أهلة الأشهر العربية، التي تتعلق بالعبادات، كالصيام والحج.

و قد أدهشني اهتمام فضيلته «بعلم التشريح»، وأخذتُ أفكر ما العلاقة بين «علم التشريح» و «علوم الشريعة» ؟ فوجدتُ الإجابة على هذا السؤال عندما قرأتُ قول الله تعالى : ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾[المائدة:٤٥]، ففهمتُ حينئذٍ أنه لا بد للفقيه من مراجعة «علم التشريح» من أجل أن يفهم بعمق ما الذي يجوز وما الذي لا يجوز في قضية القصاص، في تصنيف أنواع الجروح، فهذه المراجعة تجعل الفقيه يفهم النص فهمًا سديدًا ، كما تعينه على تطبيق النص وتنزيله على أرض الواقع تنزيلًا صحيحًا ، فهذه العقلية الموسوعية لا تردد ما تجده في كتب التراث دون فهم كالببغاوات؛ لأنها عقلية

---

(١) يطلق أيضًا على «علم النُّمِّيَّات»، «علم العملات»، و «علم المسكوكات» بالإنجليزية: «numismatics».

(٢) علم الجيوديسيا : علم يبحث في الموضوعات التي تتصل بحجم الأرض و شكلها و أبعادها بواسطة القياسات المباشرة و كثير من الموضوعات التي تتعلق بدراسة القشرة الأرضية. و تتكون كلمة الجيوديسيا من كلمتين يونانيتين معناهما «الأرض و تقسيم».

(٣) يبحث علم الهيئة عن أحوال الأجرام البسيطة السماوية من حيث الكمية والكيفية والوضع والحركة اللازمة لها وما يلزم منها. بعبارة اخرى هو علم يبحث فيه عن ظواهر الأجرام السماوية وضوابط حركاتها الظاهرية والحقيقية ومقاديرها وفواصلها وخواصها الطبيعية.

وثمرة هذا العلم هي معرفة مقادير الأيام والشهور والسنوات والأهلة وأحوال الشمس والقمر كالكسوف والخسوف ومسير الكواكب ومعرفة الجهات واستخراج التقاويم السنوية وغيرها.

مجدِّد ومجتهد توافرت لديها الآت العلم، وأركانه، وأدواته المساعدة، حتى صارالعلم من ملكات هذه العقلية، فيقول الشيخ زروق : «الآت العلم أربع، وهي: شيخ فتاح، وعقل رجاح، وكتب صحاح، ومداومة وإلحاح؛ لأن العلوم إن لم تكن منك ومنها كنت بعيدًا عنها، فمنك بلا منها جهل وضلال، ومنها بلا منك جمود وتقليد، ومنك ومنها تحقيق وصواب. ولذلك قيل : قف حيث وقفوا، ثم فسر، ومن عرف الحق بالرجال أصبح في غاية الجهل والضلال ؛ اعرف الحق تعرف أهله »[(١)].

والمتأمل في عقلية الدكتور علي جمعة، التي تتسم بالموسوعية والتفنن وشغف المطالعة وحب المعرفة، يجد أنّ فضيلته يشبه الأكابر من علماء الأزهر الشريف، أمثال : الإمام الدمنهوري، والشيخ حسن الجبرتي، والإمام الأكبر شيخ الإسلام الشيخ حسن العطار، يشبههم في قوتهم في العلوم الشرعية، مع سعة اطلاعهم، وثقافتهم، ومعارفهم، واطلاعهم على ثقافات الأمم، وإحاطتهم بأحوال زمانهم، وتصديهم للشأن العام، مع شدة تجردهم للحق، وإخلاصهم لهذا الدين.

وخذ مثالاً على ذلك الحديث الشريف، وقد شهد له المتحصصون فيه بالتكمن والتفنن، فهذا هو فضيلة المحدث الدكتور أسامة السيد الأزهري، الذي عُرف عنه الدقة في الوصف وعدم المبالغة والمجاملة، يصف حال شيخه فضيلة الدكتور علي جمعة في «علم الحديث»، فيقول : وقد كان شأن الشيخ فيه وعلمه به عجبًا، مع أنّ الحديث ليس من فنونه الأولى، التي استغرق فيها وقته وزمانه وفكره، وقد استوقفني في معرفة الشيخ به أمور، منها:

أني سمعته مرة في مجلس علميٍّ حافل بالعلماء يذكر أنه قرأ في «علوم الحديث وحدها مائتي مصنف»، حتى إنّ واحدًا من الحاضرين - وقد كان رئيسًا لقسم الحديث

(١) انظر:« اغتنام الفوائد شرح قواعد العقائد»للشيخ أحمد زروق، صـ ٢٥،طبعة دار الكراز مصر .

بكلية أصول الدين- وهو مشهود له بالعلم في فنه، والتصانيف الجيدة فيه، خرج معي وهو يقول لي: «سبحان الله!! أنا لا أعرف أسماء مائتي تصنيف في علوم الحديث، فأي قراءة قرأ هذا الرجل!!».

فهذا هو شأن فضيلة الدكتور علي جمعة في «علوم الحديث»، ولم يكن منصرفًا إليها، فكيف به فيما هو متلبس به ليل نهار من الفقه والأصول وغيرهما من العلوم والفنون.

وقد طاف فضيلة الدكتور علي جمعة، العالم من واشنطن إلى طوكيو مرات كثيرة، فلم يكتف ببلده كما هو شأن كثير من العلماء، وهذا السفر المتواصل أتاح له الالتقاء بأصناف البشر، والاطلاع على أحوال الناس، وعلى أحوال المسلمين، وعلى مشكلاتهم، ومكن له أن يتحاور مع الآخرين، وأن يفيد وأن يستفيد مما جعل له رؤية متميزة شاملة عالمية، تشعر بها وهو يتحدث أو يكتب، دون تكلف ولا عناء، فهو حاضر للعصر، مدرك لمقتضياته. وفي هذا الصدد يقول الداعية الإسلامي الكبير الحبيب علي الجفري: «إنّ النشاط الهائل، والإنتاج المتواصل، لفضيلة الدكتور علي جمعة، يرجع إلى متابعة فضيلته لمستجدات العلوم والآراء، رغم مسؤلياته الإدارية والاجتماعية، وكثرة أسفاره فيما ينفع الأمة في دينها وعمرانها، كما يرجع الفضل في ذلك إلى «المنهجية العلمية» التي يتبعها فضيلته، وما يتمتع به من ذكاء، وفهم عميق بجوهر الشرع، ومراد الشارع سبحانه وتعالى»[(١)].

ومن الجدير بالذكر عند ختم الكلام على موسوعية المعرفة لدى الدكتور علي جمعة، أنّ هذه الموسوعية هي التي جعلت أساتذته يشهدون له بالعلم، ويثنون عليه الثناء الحسن، كما سنعرف لاحقًا، وقد أخبرني الفقيه المربي فضيلة الشيخ أحمد صلاح الدين الهجين، أنه رأى فضيلة الدكتور علي جمعة، يتناقش مع محدث الدنيا فضيلة الشيخ

(١) لقاء تلفزيوني مسجل بعنوان: «قصة حياة الإمام علي جمعة».

عبد الله بن الصديق الغماري ، في مسألة أصولية، فقال لي : في بداية الحديث كنا نفهم ما يقولون، ولما طالت المناقشة بينهما لم نعد نفهم أو ندرك ما يتكلمون فيه ؛ حيث توسعا في الحديث والكلام، وجاءوا بما يبهر العقول، ويسحر الألباب ، وما هذا إلا لموسوعية الدوائر المعرفية لدى الإمام العلامة فضيلة الدكتور علي جمعة .

٣ـ احترامه للمصادر الإسلامية :

إنّ المنهج العلمي المنضبط الذي يتمتع به فضيلة الدكتور علي جمعة، جَعَلَ فضيلته يحترم المصادر الإسلامية، ويحدد حجيتها، وطريقة توثيقها، وأدوات فهمها، ومساحة القطعي والظني، والثابت والمتغير فيها، وطريقة الإلحاق بها، وكيفية الترجيح فيما بينها عند التعارض الذي يرد على ذهن المجتهد، والسقف الذي يجب على المجتهد أن يلتزم به، وما شروط ذلك المجتهد(١).

ولما وجد الدكتور علي جمعة أنّ المجتمع في حاجة شديدة للحديث عن المصادر بين الحين والآخر؛ لأنّ كثيرًا من الناس يحتاجون إلى ذلك، ولا تستقر هذه المعاني في الأذهان إلا بتكرار القول فيها، ولأن هناك دقائق في ذلك العلم تحتاج دائمًا إلى مراجعة وإيضاح لمقتضيات العصر المتغيرة المتطورة، قام فضيلته بكتابة سلسلة من المقالات تحدَّث فيها عن تلك المصادر، وعن كيفيه التعامل معها، وكيفيه استنباط الأحكام الشرعية منها، وكيفيه تطبيقها في الواقع المعاش(٢).

ولعظيم أهمية المصادر في تكوين معالم المنهج العلمي لدى فضيلة الدكتور علي جمعة، ترى فضيلته يؤلف في توثيق المصادر، ويؤلف في أدوات فهمها بالتفصيل، ثم

---

(١) انظر:«مكونات العقل المسلم»لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ١٥١،طبعة دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر.

(٢) انظر: سلسلة مقالات بعنوان «مصادر التشريع الاسلامي» لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

يؤلف في الترجيح الذي يحدث عند التعارض، ويؤلف في الاجتهاد وشروطه، وأيضًا هو يطبق ذلك الذي قد بحثه نظرًا، وقرره فكرًا.

إنّ هذه الأسس والمكونات التي يتكون منها «المنهج العلمي» لفضيلة الدكتور علي جمعة، هي تمام مكونات العقل العلمي عند الإسلام، وبخلاف ذلك يكون العقل الخرافي الذي ينكر أول ما ينكر حجية المصادر، وهذا ناتج في غالب الأحيان من الجهل، وفي بعض الأحيان من الهوى، ومعرفة أنّ الالتزام بالمصادر سوف يكون ثقيلا على نفس المنكر، كما أنّ العقل الخرافي ينكر ثانيًا طرق البحث، ومن هنا يختلط عنده العلم بالممارسة، يعترف في ظاهر القول بالعلم ويدعو إليه، ولكنه بمفهوم آخر يقصره على المجال الحسي، ويجعل ما فوق الحس شيئًا مختلفًا وليس علمًا، مرة يسميه بالإيمان ومرة يسميه بالعقل الخرافي، وهذا نتيجة خطأ في تعريف العلم، وفي إدراك مجالاته وتطرق بحثه.

٤- صياغته للنموذج المعرفي:

إنّ قيام فضيلة الدكتور علي جمعة بإعادة «صياغة النموذج المعرفي» يُعدُّ من أهم معالم منهجه العلمي؛ حيث إنّ فضيلته رأى أنّ «الأمة» في حاجة ضرورية لصياغة «النموذج المعرفي» الذي يُكَوِّن عقل المسلم بناءً على عقيدته، ورويته الكلية للإنسان، والكون، والحياة، وما قبل ذلك وما بعده، وذلك النموذج يمثل عند الدكتور علي جمعة الإطار المرجعي، والمعيار المعتمد في عقل المسلم ونفسيته، وهو المكون الأساسي لشخصية المسلم والضابط لفكره، وهو ما يُسَمَّى بالإنجليزية: «**paradigm**»؛ والنموذج المعرفي هو الذي تحكَّم -كما يقول كوين- في الثورات العلمية المختلفة التي نقلت البشر نُـقلة نوعية في مسارها وتطورها(١).

(١) انظر: «وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ ٢٠٥، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع.

والسر في اهتمام فضيلة الدكتور علي جمعة بإعادة صياغة ذلك النموذج هو أنّ إدراك هذا النموذج ومعرفته سيساعدنا في أنْ نجيب به على الأسئلة الكلية الكبري في حياة الإنسان، ورويته لنفسه ولما حوله، وحتى نواجه به متطلبات العصر وحتى يفهمنا الآخرون على أقل تقدير إذا لم ينبهروا بهذا النموذج ويسعوا إلى اعتناقه والإيمان به وتبنيه، والنموذج المعرفي هذا سنراه موجودًا في وجداننا، ومصادر بنائه في عقائدنا وأحكامنا، ولكن إعادة الصياغة ستمكننا من تفعيله ومن جعله أساسًا للحياة.

ومن خلال التأمل في كتابات الدكتور علي جمعة عن «النموذج المعرفي» وجدتُ أنّ فضيلته قد قام برحلة في عقل المسلم استكشف فيها أسس تفكيره، ومميزات عقله ووجدانه، وبيَّن كيف أثر ذلك في الآداب والفنون والحياة، وكيف يمكن أنْ يوثر مرة ثانية فيخرج المسلم من حزنه ويمارس عمارة الأرض مع الآخرين وليمنحهم ما هم في أشد الحاجة إليه[١].

فرؤية الدكتور علي جمعة «للنموذج المعرفي في الإسلام» أنّ هذا النموذج له مصادر تكوَّن منها وبُني عليها، وله مفردات كثيرة وروافد تغذيه، من هذه المصادر: الكتاب، والسُّنَّة، واجتهادات الأئمة في سائر العلوم الإسلامية، سواء علم الكلام، أو علم العقيدة، أو علم التوحيد، أو علم الفقه، أو علم التصوف والأخلاق والقيم... إلخ. من هذه المصادر تكوَّن النموذج المعرفي الإسلامي، ومن خلالها تـميَّـز المسلم عن غيره في اعتقاداته وسلوكياته وتصرفاته، ومن خلالها أجاب الدكتور علي جمعة على الأسـئلـة الكبـرى، تلك الأسـئلة التي حـيَّـرت الغـرب حـتى أسـمـوها بـ «الأسئلة النهائية»، وهي الأسئلة الثلاثة: من أين نحن؟ وماذا نفعل هنا؟ وماذا سيكون بعد الموت؟ فهي أسئلة عن الماضي والحاضر والمستقبل[٢].

---

(١) انظر: سلسلة مقالات بعنوان: «النموذج المعرفي الاسلامي وتجديد الخطاب الديني ١»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

(٢) انظر: المصدر السابق .

أمَّا السؤال الأول فهو سؤال متعلق بالماضي، وقد نشأ من حيرة الإنسان وجهله الحسي بنشأته ومبتدئه، كالطفل الصغير يسأل: من أين أتيت؟ إنَّه لا يتذكر يوم ولادته، ولم تكن عنده القدرة على ذلك، قال تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾[الكهف:٥١]، والإجابة عندنا: أنَّه قد خلَقنا ربٌّ كريم، وأنَّه هو الرزاق المحيي المميت، وهذا الخالق لم يخلقنا عبثًا، ولم يتركنا سدًى؛ بل أرسل الرسل وأوحى بالوحي، وتعبدنا بطاعته، فهناك شرائع وكتب ووحي، قال سبحانه وتعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾ [المائدة: من الآية ٤٨]، ولكنه جعل الإسلام اسمًا للديانة التي ارتضاها عبر التاريخ من لدن آدم إلى سيدنا مُحَمَّدٍ ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾[آل عمران: من الآية ١٩]، وقال سبحانه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[المائدة: من الآية ٣]. والتكليف يجعلنا نلتزمُ بالأوامر وننتهي عن النواهي، فبَيْنَ الأمرِ والزجرِ يعيشُ المؤمن عندما يتوثق من أنَّ هذا أمر وأنَّ هذا نهي أو زجر، وقضية التكليف تجيب -أو ينبغي أن تجيب- عن السؤال الثاني: ماذا نفعل هنا؟ ثم بعد ذلك نعود إلى ربنا في يومٍ للحساب؛ فإمَّا الجنة أو النار، والله -سبحانه وتعالى- لا يضيع أجر من أحسن عملًا، وهذه هي إجابة السؤال الثالث المتعلق بالمستقبل، وهذا الإيمان باليوم الآخر يتحكم في سلوك الإنسان، ويتحكم في أفعاله، ويتحكم في اتخاذ قراراته فتراه يقدم على شيء -وإن كانت فيه مشقة أو فوات لذة- إذا رأى أنَّ ذلك يقربه من الجنة ويترتب عليه الثواب، وتراه يمتنع عن شيء -وإن كانت فيه لذة- ويحجم عنه؛ لأنَّه يراه يقرب إلى النار، وهذا مرتبط بقضية الإيمان بالله والإيمان بالتكليف، فلِمَ يُحجم الإنسان عن الزنا أو السرقة أو القتل؟ إنَّه يخاف الله ويأتمر بأمره، وليست القضيةُ قضيةً أخلاقية فقط، وليست تَفَضُّلًا من ذلك الإنسان الذي امتنع عن الزنا والخنا والفاحشة والسرقة؛ بل هي قضية الإيمان باليوم الآخر الذي ربط الله -سبحانه وتعالى- فيه الخير

بالثواب، والشر بالعقاب، وهذا الإيمان يؤثـر أيضًا على الحياة، ويجب أن يؤثـر عليها بصورة إيجابيـة؛ وإلَّا تحول الخوف والرجاء إلى أسبابٍ لإعاقة الحياة، والحقيقة: أنَّ الله شرعها لحماية الحياة، ولدفعها، فإذا كانت تصرفاتنا قد حولتها إلى عائق للحياة؛ كان ذلك ضد مقصود الشرع الشريف؛ فالحج -مثلًا- شُرع لحفظ النفس في كل صورها، فلا ينبغي أن نحوله إلى ما يكون سببًا في قتل النفس التي حرم الله قتلها إلَّا بالحق؛ حيث يجب علينا أن ندرك الزمان وما حدث فيه، والمكان وسعته، والأشخاص ومدى علمهم بدينهم، والأحوال وما طرأ عليها من تغير؛ فنحقق مقصود الشرع منه[1].

وعليه فيرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ من مجمل ذلك كله تتكون عقلية المسلم ونفسيته؛ لتكون شخصية متميزه ترى أنّ الدعوة عامة وأنّ الله سبحانه وتعالى كما أرسل الرسل بالعهد القديم والعهد الجديد فقد ختمهم برسول الله ﷺالذي أُنزل معه العهد الأخير وجعل الله سبحانه وتعالى الأمه واحدة من لدن آدم إلى يومنا هذا، كما يرى فضيلته أنّ «النموذج المعرفي» ينبغي أنْ يكون منطلقًا للتقويم ومعيارًا لقبول ما هنالك من أفكار البشر وتوجهاتهم ومبدءًا لتجديد الخطاب الذي يتوافق مع إدراك الواقع بعوالمه المختلفه.

فبكل وضوح هذه هى رؤية الدكتور علي جمعة التي يـراها في نَمُوذَجِنَا المعرفي الـذي يـؤمـن بأنَّ هـنـاك خالقًا لهذا الكون، بخـلاف النمـوذج الآخــر الذي نَحَّى قضيــة الألوهية واليـوم الآخـر جانبًا، وجعلها من مجال الإيمان لا مجال العلم؛ ولذلك فليؤمن بــه من آمن وليكفر بـه من كـفــر، فهذه حـريـةٌ شخصية عندهم لا يُسـأل عنها الإنسـان، وليفعـلْ ما يشـاء في هذا المجال،وعلى ذلك فإنّ إعادة صياغة النموذج المعرفي هو من أبرز معالم المنهج العلمي لفضيلة الدكتور علي جمعة .

---

(١) انظر: المصدر السابق .

٥. إلمامه و إحاطته بمقاصد الشريعة :

قد نتج من طول مصاحبة فضيلة الدكتور علي جمعة لأكابر العلماء و من تحصيله لعلوم الآلة أن تفتحت بصيرته على إدراك مقاصد الشرع الشريف، و أنّ دين الله تعالى جاء من أجل تحقيق عبادة الله جل شأنه و تزكية النفس، وتطهيرها وعمارة الأرض و هداية الأمم و وراثة النبيين، و بناء الإنسان على الربانية و البصيرة و الإنابة إلى الدار الآخرة، و تحصيل مكارم الأخلاق، و بناء الحضارة و صناعة النهضة.

وقد ظهر أثر إلمام وإحاطة فضيلة الدكتور علي جمعة بمقاصد الشريعة في فهمه الواسع لدين الله، وسعة نظره في الفروع الفقهية والمسائل الجزئية .

٦. اهتمامه بالقواعد الفقهية الكبرى:

إنّ الاهتمام بالقواعد جزء لا يتجزأ من تمام العملية العلمية المنضبطة، يقول الشيخ أحمد زروق: «ضبط العلم بقواعده مهم، لأنها تضبط مسائله، وتُفهم معانيه، وتدرك مبانيه، وينتفي الغلط من دعواه، وتهدي المتبصر فيه، وتعين المتذكر عليه، وتقيم حجة المناظر، وتوضح المحجة للناظر، وتبين الحق لأهله، والباطل في محله. واستخراجها من فروعه عند تحققها، أمكن لمريدها لكن بُعدَ الأفهام مانع من ذلك، فلذلك اهتم بها المتأخر والمتقدم»[١]

من هنا يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ بناء الحضارة عملية فكرية في مقامها الأول تبدأ فور إدراكنا محور هذه الحضارة حيث يجب أن تسير عملية البناء في فلك هذا المحور، فلا تشذ عنه ولا تتعارض معه، وتبدأ عملية البناء من تحديد القواعد وتنتهي عند تحقيق الغايات، فلكل حضارة قواعد أساسية يقوم عليها البناء، وغايات عليا تسعى لتحقيقها، وهذه القواعد وتلك الغايات هما طرفا عملية البناء الدائرة حول المحور.

(١) انظر: «قواعد التصوف» للشيخ أحمد زروق، صـ٥٢، طبعة دار البيروني سوريا .

وقد اهتم فضيلة الدكتور علي جمعة اهتمامًا كبيرًا بمسألة «القواعد»؛لأنّ فضيلته يرى أنّ حضارة الإسلام تبدأ عملية بنائها الفكري بتحديد القواعد الكلية التي سيتم تنظيم الفكر وفقًا لها، ثم تحديد الغايات المقصودة من بناء هذه الحضارة، ثم رسم خطًا مستقيمًا بين القواعد والغايات وهو الخط الفكري للحضارة، ثم يبدأ بعد ذلك البناء المادي الذي يكون في حقيقته انعكاسًا واقعيًّا لما تم بناؤه في الفكر، فمع تحديد القواعد يتكون عقل المسلم فيعرف كيف يفكر؟ وبم يفكر؟ وما القواعد الضابطة له في التفكير؟ وكيف يتعامل مع الأحكام ومع الشريعة، ومع الواقع، ومع الآخر، بل مع نفسه؟ ويتعلم كيف ينظم علاقته مع ربه، ومع الكون، ومع الإنسان، ويتعلم كيف يرى ماضيه، وحاضره، ومستقبله، فإذا أدرك كل هذا استطاع أن يبني حضارة تجوب الآفاق[1].

ولما أرسل الله نبيه ﷺ؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، أتى ﷺ بأحكام كثيرة جدًا كالوضوء، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والبيوع، والزواج، والطلاق، والقضاء والشهادات والجهاد.. إلخ .

فجلس العلماء يتأملون في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حتى يستنبطوا أوصافًا للأفعال البشرية؛«الواجب، الحرام، المندوب، المكروه، المباح» وهذا ما يسمونه بالأحكام الخمسة، ونتج من خلال هذه الأحكام مجموعة كبيرة من الفروع والمسائل يرى الدكتور علي جمعة أنها قد وصلت إلى «مليون ومئتين ألف مسألة»، فلما اتسع الأمر إلى هذا الحد صعب حفظه،فأتى العلماء يتدبرون هل هناك شيء وراء هذه المسائل نستطيع من خلاله أن نعلم حكم هذه المسائل دون حفظها؟ كمعادلة نصوغ بها هذا الكم الهائل من المسائل، فوجدوا من خلال البحث والنقتيب والتتبع والاستقراء لهذه الفروع والمسائل أنّ من ورائها خمسة أبواب هي : القواعد الفقهية الكبرى:«الأمور بمقاصدها، والضرر يزال، والعادة محكمة، والمشقة تجلب التيسير، واليقين لايزول

(١) انظر: مقال بعنوان :« مقوِّمات بناء الحضارة: القواعد»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

بالشك»، وهذه القواعد يدور عليها معظم أحكام الشريعة الإسلامية[١]، وقد نظمها بعضهم في قوله:

خمسٌ محـرَّرة قواعد مذهب ... للشافعي بها تكون خبيرا
ضررٌ يُزَالُ وعادةٌ قد حُكِّمَتْ ... وكـذا المشقةُ تجلب التيسيرا
والشـك لا ترفع بـه متيقنا ... والنية أخلص إن أردت أجورا

وقد تناول الدكتور علي جمعة تفصيل هذه القواعد في كثير من كتاباته، حتى نرى كيف كان يُفكر فقهاء المسلمين، وإتمامًا للفائدة سأذكر تفصيل هذه القواعد الخمس بإيجاز حتى يظهر لك مدى أهميتها في عملية البناء العلمي المستقيم، وفيما يلي بيان ذلك:

القاعدة الأولى: الضرر يزال:

وهذه القاعدة مسوقة لبيان وجوب إزالة الضرر إذا وقع، وأصل هذه القاعدة قوله ﷺ: « لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»[٢] ، ويرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّه يتعلق بهذه القاعدة قواعد فرعية مهمة تؤسس الفكر والحضارة معًا منها: الضرورات تبيح المحظورات، بشرط عدم نقصانها عنها، ومن ثم جاز أكل الميتة عند المخمصة، وجاز التلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه، وأخذ مال الممتنع من أداء الدين بغير إذنه، وغير ذلك، ومنها: ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها، ومن ثم فلا يأكل من الميتة إلا بقدر سد الرمق، ومنها: الضرر لا يزال بالضرر، ومنها: إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما، ومنها: درء المفاسد أولى من جلب المصالح، فإذا تعارضت مفسدة ومصلحة، قدّم دفع المفسدة غالبًا؛ لأنّ اعتناء الشارع بالمنهيات أشد من اعتنائه

---

(١) انظر:«مكونات العقل المسلم» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ٢٤٩،طبعة دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر.

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه (٢٣٤٠).

بالمأمورات، ولذلك قال ﷺ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»(١).

القاعدة الثانية: العادة محكمة:

وأصل هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩]، ويقول ابن مسعود، رضي الله عنه: «ما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحًا فهو عند الله قبيح» وهو حديث حسن، وإن كان موقوفًا عليه فله حكم المرفوع؛ لأنه لا مدخل للرأي فيه، وفي السيرة النبوية عدة نماذج توضح لنا كيفية التعايش مع العادات المختلفة، فهناك النموذج المكي قبل بعثته صلى الله عليه وسلم، وهناك النموذج المكي بعد بعثته، وهناك نموذج الحبشة مع قوم يدينون بدين المسيحية، وهناك نموذج المدينة في عهدها الأول مع تعدد الديانات من يهودية ومسيحية وإسلام، وهناك أخيرًا نموذج المدينة في عهدها الأخير قبل وفاته ﷺ، وكيف انفتح المسلمون على الشعوب المختلفة فتعايشوا معها واندمجوا بها دون أن يفقدوا هويتهم.

القاعدة الثالثة: المشقة تجلب التيسير:

والأصل في هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ الله بِكُمُ اليُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨]، وقوله ﷺ: « إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ »(٢)، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: « اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٢٨٨)، ومسلم في صحيحه (١٣٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٩٤).

بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ »[١] ، وعن أبى الدّرداء، رضي الله عنه، عن النّبيّ ﷺ قال: « مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الخَيْرِ»[٢]

القاعدة الرابعة: اليقين لا يُزَالُ بالشك:

واليقين في الاصطلاح: الاعتقاد الجازم المطابق للواقع الثابت عن دليل، أما الشك فهو التردد بين النقيضين، بلا ترجيح لأحدهما على الآخر، ودليل هذه القاعدة قوله ﷺ: «إِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ فِي بَطْنِهِ شَيْئًا، فَأَشْكَلَ عَلَيْهِ أَخَرَجَ مِنْهُ شَيْءٌ أَمْ لَا، فَلَا يَخْرُجَنَّ مِنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا، أَوْ يَجِدَ رِيحًا»[٣] ، وهوية الإسلام وأصوله من الأمور اليقينية فلا شك فيها، فعدد صلوات اليوم والليلة هي خمس، وعدد ركعات كل صلاة أمر متفق عليه، ومقدار الزكاة محدد ومعلوم، والصيام الواجب في شهر رمضان أمر ثابت، والحج إلى بيت الله الحرام في مكة وغير ذلك من ثوابت الدين أمور يقينية لم يشذ عنها عاقل عبر العصور، أما الخلاف في المسائل الفرعية فهو سعة ورحمة تؤكد عالمية الإسلام وشموليته.

القاعدة الخامسة: الأمور بمقاصدها:

والأصل في هذه القاعدة قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»[٤] ، ويندرج تحت هذه القاعدة قضية كبيرة ومحورية في بناء الحضارة وهي قضية التغيّر والتغيير، فالفرق بينهما هو القصد والإرادة التي يلزم منهما وضع الخطة والتنفيذ. حيث إن التغيّر يحدث تلقائيًا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٨٢٨).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه(٢٠١٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٧٧)، ومسلم في صحيحه (٣٦٢) واللفظ له .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١)واللفظ له، ومسلم في صحيحه (١٩٠٧).

بتبدل الزمان وتغير الناس بالحياة والموت، وجريان الأحداث وتشابكها، أما التغيير فهو ينظر إلى الواقع ويرى فيه شيئًا لا بد أن يتبدل، وهنا يظهر القصد والإرادة لذلك التبديل، ويسعى الإنسان لوضع خطة مناسبة ويقوم بتنفيذها حتى يتم مراده أو بعض مراده من هذا التغيير. وتحت عنوان التغيير يقع المصطلحان «الإصلاح والتجديد»، وهما ليسا ضدين لا يجتمعان، ولا يفرح أحدنا بل ينبغي ألا يصنف نفسه مع الإصلاح في مقابلة التجديد أو مع التجديد في مقابلة الإصلاح، أو أن نصنف الناس بأن هذا مصلح وهذا مجدد. لأن التغيير المنشود يحتاج إلى الإصلاح والتجديد معًا، وفي بعض الأحيان تختلف النسبة فنحتاج إلى الإصلاح بنسبة أكبر من التجديد أو العكس، أو نكون على حد سواء في الاحتياج إليهما معًا وبنسبة متساوية.

٧ـ إعادة ترتيبه لمقاصد الشريعة :

إنّ الرؤية التي قدَّمها فضيلة الدكتور علي جمعة في إعادة ترتيبه للمقاصد الكلية للشريعة الإسلامية، من أهم معالم منهجه، فلما قام فضيلته بالتتبع والاستقراء لكتب العلماء القدامى والمُحدَثين حول ترتيبهم«للمقاصد الخمسة»، وجد أنهم لم يتفقوا على ترتيب مُعين لهذه المقاصد؛ حيث منهم من قدَّم الضروريات الدينية على الضروريات الدنيوية، ومنهم من قال: بالعكس، ومنهم من لم يهتم بالترتيب أصلًا، بل منهم من رفض فكرة الترتيب بالكلية، وقد عرض فضيلته نصوص العلماء في ذلك[1].

فمن هذا المنطلق قام فضيلة الدكتور علي جمعة بتقديم رؤية جديدة في ترتيب المقاصد الخمسة باعتبار التشغيل في الواقع المعيش، وهذا الترتيب هو: «حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ الدين، حفظ العِرض، حفظ المال»، وقد بيَّن فضيلته أنّ المقصود «بالدين» هنا هو الشعائر لا «الدين» بمعنى العقيدة، ثم ذكر فضيلته منطقية هذا

(١) للمزيد انظر : «رؤية حضارية لترتيب المقاصد الشرعية» للأستاذ الدكتور علي جمعة ، صـ ٢٥، طبعة دار نهضة مصر.

الترتيب ؛ حيث إنه يجب المحافظة أولًا على النفس التي تقوم بها الأفعال، ثم العقل الذي به التكليف، ثم الدين الذي به العبادة، ثم النسل الناتج بالإنسان وما يتعلق به من حقوقه وكرمته، ثم الحفاظ على المال الذي أساس الحياة.

وقد ذكر فضيلته في كتابه الماتع «رؤية حضارية لترتيب المقاصد الشرعية» فوائد هذا الترتيب في علاقتنا مع الآخر بالداخل والخارج، كما ذكر فضيلته أمثلة تقوي مذهبه وعدم مخالفة هذا الترتيب المُستحدث لما عليه المتقدمون من أهل العلم[1] .

وقد أكد فضيلته أنّ «المقاصد» كلها بمثابة شبكة واحدة، لابد للمجتهد أن يراعيها جميعها عند بنائه لفتواه، أو عند تبليغه لدعوته، كما أكد فضيلته على أنّ الخلاف في قضية «ترتيب المقاصد» ليس من اختلاف التضاد، بل هو من اختلاف التنوع، المبني على قاعدة «اختلاف العبارات باختلاف الاعتبارات»[2].

٨ـ احترامه للتراث الإسلامي:

سيأتي الحديث عن احترام فضيلة الدكتور علي جمعة للتراث الإسلامي باستفاضة في الفصل الرابع بمشيئة الله تعالى فلا حاجة لإطالة الكلام به هنا، فهذا الأمر من أبرز معالم منهجه؛ لكني أريد أن أنبّه على شيء وهو أنّ الدكتور علي جمعة يرى أنه من ألزم اللازمات وأوجب الواجبات أن نحترم تراثنا، وألا نتخلى عنه، وإلا كنا أُضحوكةً في وسط العالم، ولكن بالتوازي وفي نفس الوقت يجب علينا أن نقوم بواجب وقتنا، وأن ندرك هذا الواجب، وأن نطلع على عصرنا، وأن نعرف كيف نتعامل معه[3] .

---

(١) انظر: المصدر السابق .

(٢) انظر: المصدر السابق .

(٣) انظر : « وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، صـــ ١٨٣ ، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع.

٩ـ احترامه للزمان وأنه دائم التغير:

من خلال رحلة البحث عن المعالم التي قامت عليها شخصية فضيلة الدكتور علي جمعة، وجدتُ أنّ من أهم هذه المعالم احترامه للزمان، وأنه دائم التغير؛ حيث يرى فضيلته أنّ الاتصالات والمواصلات والتقنيات الحديثة غيرت البرنامج اليومي للإنسان، ولم يعد يعيش أمسه في يومه ولا يومه في غده، فهو إذن يتعامل مع نسبي غاية في النسبية[١].

(١) انظر: «المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ٧، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع مصر.

المطلب السادس

شخصيته

إنّ الشخصية في علم النفس الحديث تعني جميع الصفات الجسمية والوجدانية، والخلقية، والعقلية التي تتفاعل مع بعضها بعضًا لتكوِّن طبيعة الإنسان ونفسيته؛ لذلك في هذا المطلب نريد أنْ نقف على معالم شخصية فضيلة الدكتور علي جمعة من خلال المكونات السابقة .

يتمتع فضيلة الدكتور علي جمعة بشخصية محببة جذَّابة، تنفذ إلى قلوب الآخرين بكل حب وتقدير واحترام، وإجلال وهيبة، سواء أكان الآخرون يخالفونه الرأي أم يوافقونه، فمهما اختلف فضيلته في الرأي مع بعض زملائه أو تلاميذه واحتدَّ النقاش بدافع الحماس لم يخرج فضيلته قط عن أصول الحوار الموضوعي البنَّاء، ودائمًا نراه يتعامل مع إساءة المسيء بالعفو والصفح .

وقد أخبرني فضيلة الدكتور أحمد كريمة أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر- :« أنه لم يرَ على وجه الأرض من يماثل فضيلة الدكتور علي جمعة في الجود والعفو،فمن يقصده في قضاء حاجة لم يخب، ومن أساء إليه عفا عنه لله ، وما انتقم لنفسه أبدًا، وإذا غضب لا يغضب إلا لله ولرسوله ».

إنّ الذي يتصل بفضيلة الدكتور علي جمعة لا يستطيع أنْ ينصرف عنه كلية مهما كانت مشاغله الأخرى فإن قلبه يظل معلقًا بفضيلته، فشخصية الدكتور علي جمعة الجذابة، وعلمه الفريد، يُرغم تلاميذه ومريديه على مداومة الاتصال بفضيلته .

وشخصية فضيلة الدكتور علي جمعة شخصية جديرة بالذكر والتنويه؛ لأنها شخصية ترشح بالهيبة والوقار، شهد لهذه الشخصية القاصي والداني: بالتمكن في العلم، واللباقة في الحديث، وقوة الحجة، وسرعة البديهة، وخفة الظل .

وتستند شخصية الدكتور علي جمعة إلى مقومات أساسية، وهى المواهب التي أودعها الله فيه: كالذكاء، وسرعة البديهة، ووفرة العلم، وهيبته ووقاره، وأخلاقه الرفيعة المتعالية عن سفاسف الأمور، وسوف أتحدث عن ذلك بمشيئة الله تعالى في نقطتين هما: صفاته، وأخلاقه ، وفيما يلي بيان ذلك :

أولاً صفاته ومواهبه :

قد أوتى فضيلة الدكتور علي جمعة صفات ومواهب متعددة ساعدت فضيلته على أنْ يحتل مكانة مرموقة في أوساط الناس، على جميع المستويات من علماء وطلاب وعموم الناس، كما ساعدته هذه الصفات والمواهب أنْ يتبوأ أشرف الوظائف من تدريس جامعي وتولي مناصب رفيعة، ومن هذه الصفات والمواهب حدة الذكاء، وقوة الحافظة والذاكرة، وحضور البديهة، ونفاذ البصيرة وسعة الأوفق، وفيما يلي بيان ذلك :

١- حدة الذكاء:

إنّ فضيلة الدكتور علي جمعة يتمتع بعقل وقَّاد وذكاء حاد مكنه من تحصيل العلم واستيعابه لتراث الأمة في العلوم و المجالات المختلفة، وجعله في اتصال مع ذلك التراث يعرف له أصالته و قيمته ، و يعرف كيف ينتقي منه كل مفيد و جليل ، و يعرف كيف يبني عليه و كيف يضيف إليه، وكيف يدرك الواقع، وكيف يُطَبِّق ويُنَزِّل هذا النص على الواقع المعيش .

٢- قوة الذاكرة :

لم أكن مغاليًا حين أقول : إنّ واقعنا المعاصر لم يشهد عالمًا فذًّا أوتي ما أوتيه فضيلة الدكتور علي جمعة من ذكاء نادر، وخصوبة ذهن، وبسطة في العلم، وقوة إدراك وملاحظة، وغزارة مادة في أسلوب سليم، ووفرة إنتاج في مختلف العلوم والفنون

والمجالات، تمثلت في كتب، وأبحاث، ومقالات، وبرامج، ودروس، وندوات في الداخل والخارج .

يقول فضيلة الشيخ أحمد صلاح الدين الهجين: «إنّ فضيلة الدكتور علي جمعة كان يبهرنا في مجالسه بذاكرته وذكائه الوقَّاد، فعلى سبيل المثال كانت تثار أثناء الدرس بعض المسائل الأصولية ونحن نقرأ الحديث، فكان الشيخ يبهرنا بحديثه؛ حيث يستعين بالذاكرة دون مذاكرة، فلا تغيب عن ذهنه شاردة ولا واردة مما تناوله الأصوليون في هذه المسألة».

ويقول فضيلة الدكتور محمد عمارة عضو هيئة كبار العلماء :«إنّ فضيلة الدكتور علي جمعة قد وهبه الله ذاكرة يغار منها الحاسوب»، ويقول فضيلة الدكتور محمد رأفت عثمان عضو هيئة كبار العلماء ـ: « لا أذكر أنني تحدثتُ مع الدكتور علي جمعة في موضوع من الموضوعات إلا وتكلم فيه كما لو كان معدًّا له قبل أن أفاتحه فيه »، ولم يقف دور فضيلة الدكتور علي جمعة عند هذا الحد، بل كان يأتي فضيلته بكل ما هو جديد ومفيد ويضيف من النوادر والفرائد ما تقاصرت عنه الهمم، وادَّخرها الله لهمته لينبئ ذلك عن غزير علمه، وعميق فقهه وسعة أوفقه، وطول باعه وعمق اطلاعه .

٣ـ البشاشة وحب الفكاهة وسرعة البديهة :

إنّ فضيلة الدكتور علي جمعة يتمتع بطلاقة الوجه وبشاشته عند لقاء غيره من زملائه وطلابه ومحبيه، ويبادرهم بالفكاهة والمزاح والمرح والدعابة، كما أنّ محاضراته ومجالسه ولقاءاته لا تخلو من ذلك كله، فهو يضفي عليها من روحه المرحة الفكاهة والدعابة المتزنة، لذلك تعلَّق به الناس وأحبوه على اختلاف أعمارهم وأفكارهم، ومستوياتهم الاجتماعية والمعيشية.

٤ـ الهيبة والوقار والأناقة :

قد رزق الله فضيلة الدكتور علي جمعة هيبة ووقارًا، بالإضافة إلى جمال الخِلْقة، وحسن الهندام و المظهر، فالدكتور علي جمعة حفظه الله ، يهتم بأناقته، ونظافة لباسه ورونقه، فمن رأى فضيلته عرف ذلك، فهو حسن الجوهر، وحسن المظهر، وحسن الكلام.

فكما جمَّل الله خُلُقه جمَّل خَلْقه فالدكتور علي جمعة ليس بالطويل وليس بالقصير ، أبيض اللون مشربًا بحمرة، واضح النبرات، شديد الإيمان بما يقول، حلو الحديث، جميل الشمائل، حاضر النكتة، وناصع الظرف، كيّس العقل، حر الفكر، مستقل الرأي، يمزج في مجالسه العلم الجاد الوقور بالدعابة الحلوة الخفيفة .

ثانيًا أخلاقه :

حينما ننظر إلى أخلاق فضيلة الدكتور علي جمعة نجد أنّ فضيلته من المتخلقين بأخلاق القرآن، كما أنّ فضيلته ضابطًا لنفسه، مستوليًا على مشاعره، لا تعبث به الكلمات البذيئة، ولا تبعده عن الحق العبارات النابية، ومن هذه الأخلاق الإخلاص، والوفاء، والتواضع، والشجاعة في الحق، والوفاء بالوعد، والانضباط في المواعيد، والشعور بالمسؤولية، وغير ذلك من الأخلاق التي أكسبته التقدير والاحترام والإجلال. وفيما يلي بيان لبعض هذه الأخلاق :

١ـ الإخلاص في العمل:

الإخلاص في العمل هو الأساس الأول للأخلاق الإسلامية والفضائل، وبه يُحكم على العمل بأنه خير أو شر، قال النبي ﷺ : «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ

هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[١]

فلما كان الإخلاص عند فضيلة الدكتور علي جمعة من القيم التي ترسم لنا طريق الرحمة، وأنّ بناء العقلية الواعية يحتاج إلى الإخلاص والصواب، وعنوان الإخلاص الصبر ، ومفتاح الصواب العلم .

من هنا سيطَّر الإخلاص على قلب فضيلته في كل ما يصنع، فكان سمعه الذي يسمع به، وعينه التي يبصر بها، فكان كل ما يصدر عن فضيلته خالصًا لله تعالى .

ومما يدل على إخلاص فضيلته في العمل، ما قام به من إنجازات وتطويرات في دار الإفتاء المصرية، فلما تولي فضيلته منصب الإفتاء عام «٢٠٠٣م» طبعها بمنهجه المؤسسي، وأعلى من دورها في المجتمع، كما أعلى من دورها وبنيانها واستقل بها حتى غطى وسائل الاتصالات الحديثة، فلم يربط الدكتور علي جمعة ما قام به من إنجازات بشخصه وإنما ربطه بالمؤسسيَّة التي تدوم بعد زوال الأشخاص، فعن هذا الأمر يقول فضيلته : « إذا كنا نريد أنْ نحيا عصرنا وأنْ نخدم مصرنا، يجب علينا أن نبني مؤسسة، وعندما توليتُ دار الإفتاء كان الهاجس الذي يسيطر عليَّ هو: تحويلها إلى مؤسسة تنفصل عن الأشخاص تدوم بعد زوالهم، تستطيع أن تمارس مهامها في قوة وفي خطوات ثابتة إلى الأمام»[٢]

٢ـ التواضع :

لما كان التواضع من الأخلاق الإسلامية العظيمة، شهد بفضله كل عاقل ودعا إليه كل مصلح لما فيه من الفوائد الجليلة على الفرد والمجتمع وقد حث الله سبحانه وتعالى عليه وأمر به في كتابه وعلى لسان حبيبه ﷺ بل كان التواضع سيرته الغالبة وسنته الراشدة.

(١) سبق تخريجه .

(٢) لقاء تلفزيوني مسجل بعنوان : «قصة حياة الإمام علي جمعة».

وقد أمر الله تعالى عباده بالتواضع وحث عليه ومدح المتخلق به في أكثر من موضع في كتابه العزيز فقال عز من قائل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ﴾ [الفتح:٢٩].

وقد أخبر الله سبحانه أنّ التواضع للمؤمنين من صفات أحبائه الكرام الذي يستبدل بهم المرتدين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤].

كما أخبرنا أنّ التواضع لله في السير من صفات عباد الصالحين فقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣].

وبالمقابل ذم الله الكبر وأهله وهو ضد التواضع وتوعد للمتخلق بهذا الخلق البغيض بالعذاب الشديد فقال سبحانه: ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[النحل:٢٩] وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر:٣٥].

وقال سبحانه وتعالى حكاية عن لقمان في نصائحه لابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[لقمان:١٨].

وفي سنة النبي الأكرم المصطفى ﷺ وصايا بالتواضع أكثر من أن تحصى يرشد فيها الأمة إلى التخلق بهذا الخلق العظيم الذي يعود بالخير على الفرد والمجتمع المسلم كله

فمن هذه النصوص ما رواه عياض بن حمار عن النبي ﷺ قال: « إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ

أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»[١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ »[٢] .

وقد بين الصحابة الكرام والسلف الصالح رضوان الله عليهم حقيقة التواضع واتبعوا هدي نبيهم في الحث عليه فقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: « إِنَّ مِنَ التَّوَاضُعِ الرِّضَا بِالدُّونِ مِنْ شرف الْمَجَالِس، وأنْ تُسَلِّمَ على من لقيت»[٣].

فمن هذا المنطلق رأى فضيلة الدكتور علي جمعة أننا نحتاج في هذا العصر الذي ظهر فيه المتكبرون والجبابرة أن نُري الناس عظمة الإسلام في قيادة العالم بالتواضع إليه وليس بالتكبر عليه وليس بتحدي كل الخلق والاستخفاف بكل ضعيف كما يفعل بالمسلمين من المتكبرين المتجبرين[٤].

وكان فضيلته أول من يطبق هذا الخلق الرفيع، فقد سمعته غير مرة في مجالسه المباركة يدعو تلاميذه ومريديه إلى التحلي بهذا الخلق، فكان يقول : « توضعوا لجميع الخلق الكبير منهم والصغير، فعلى المرء منا أنْ ينظر إلى الكبير ويقول: هو أفضل مني سبقني إلى الإسلام، وينظر إلى الصغير ويقول: هو أفضل مني سبقته إلى المعصية».

إنّ الدنيا قد جاءت لفضيلة الدكتور علي جمعة راكضة فلم يغتر بها، فكانت الدنيا في يده لا في قلبه، يقول فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم[٥] عن تواضع الدكتور علي جمعة : « إنّ الحديث عن فضيلة الدكتور علي جمعة يستوجب أولًا أنْ نتحدث عن

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٨٦٥) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٨٨) .

(٣) أخرجه عبد الواحد المقدسي في مستخرجه (٨٤١) .

(٤) انظر: مقال بعنوان: « بناء المنظومة الأخلاقية: خلق التواضع » لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

(٥) شيخ علماء الحديث بالديار المصرية، وعضو هيئة كبار العلماء .

شخصيته، والحديث عن أي شخصية يحتاج إلى التعرف عن مفتاح هذه الشخصية، ومفتاح شخصية الدكتور علي جمعة الخلق الرفيع، والتواضع الجم، والذوق العالي فقد عرفته قبل أن يكون أستاذًا، وبعد أنْ كان أستاذًا، وعرفته قبل أنْ يكون مفتيًا، وبعد أن أصبح مفتيًا فما تغيرت شخصيته في حال من الأحوال، فكان فضيلته صاحب شخصية واحدة، لا يتغير بالمناصب بل تزيده المناصب تواضعًا ورفقًا، فتلك شخصية العلماء النبلاء الذين نعتز بهم »[١].

٣ـ الشعور بالمسئولية :

إنّ الشعور بالمسئولية من الأخلاق الإسلامية السامية التي حث عليها الشرع الشريف، قال ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[٢]

فيرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ المسئولية في الإسلام غير مقتصرة على الحاكم أو جماعة المسئولين؛ بل هي مهمة الجميع من أفراد المجتمع؛ للحفاظ على القيم الأخلاقية والجمالية التي بها تعم السكينة والسلام في الحياة، ولا بد أن يدرك الجميع أهمية تربية الناشئة على ممارسة المسئولية في حياتهم، سواء في البيت أو المدرسة أو الشارع، كما يرى فضيلته أنّ مسئوليات الفرد في مجتمعه تتلخص في ثلاثة محاور رئيسية وهي: «مسئوليته تجاه المجتمع، ومسئوليته في وقت الأزمات، ومسئوليته في القيام بدوره»[3].

فإنّ المتأمل في هذه المحاور الثلاثة التي وضعها فضيلة الدكتور علي جمعة؛ لكي

---

(١) لقاء تلفزيوني مسجل بعنوان: «قصة حياة الإمام علي جمعة».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٥٥٨).

(٣) انظر: مقال بعنوان : « خلق المسئولية » لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

يطبق كل مسلم مفهوم المسئولية تطبيقًا صحيحًا، يجد أنّ فضيلته قد التزم في أقواله وأفعاله بهذه المحاور، وفيما يلي بيان ذلك :

المحور الأول : مسئولية الفرد تجاه مجتمعه :

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ مسئولية الفرد تجاه مجتمعه تكمن في «أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر»، فعن تميم الداري أن النبيﷺ قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»(١)، وقال ﷺ: « إِنَّ أَحَدَكُمْ مِرْآةُ أَخِيهِ، فَإِنْ رَأَى بِهِ أَذًى فَلْيُمِطْهُ عَنْهُ. »(٢)، وقال ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ»(٣)

أخذ فضيلة الدكتور علي جمعة من هذه الأحاديث بيان مسئولية التقويم والنصح على الفرد، وبيان كيفية النصرة بشكل إيجابي سواء كان المنصور ظالمًا أو مظلومًا فإنْ كان مظلومًا أعانه على أخذ حقه، وإنْ كان ظالمًا رده ومنعه من الظلم، وهذا ما جعل فضيلة الدكتور علي جمعة عضوًا مشاركًا في مجتمعه ذا فاعلية في تصرفاته جميعًا.

المحور الثاني : مسئولية الفرد في وقت الأزمات :

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ تحمل المسئولية في الأوقات العصيبة يتمثل في «بذل الفرد أقصى جهده»، فعن حذيفة. قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٩٥).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (١٩٢٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٩٥٢).

النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا»[(١)]، والإمعة هو الرجل التابع الذي لا يثبت على رأي.

فيرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ هذا الحديث فيه تدريب على الاستقلالية في اتخاذ المواقف الإيجابية في كل أمر وعدم اتباع كل ناعق بظلم أو إساءة، وفيه تدريب على ممارسة الاجتهاد واستخدام العقل لمعرفة الإحسان ومجاهدة النفس على اتباعه وإشاعته وعدم الاستسلام لروح اللامبالاة والانهزامية أمام الظلم والشر في القول والعمل[(٢)]. وفضيلة الدكتور علي جمعة هو صاحب المواقف الحاسمة في وقت ا لأزمات، والذي يدل على ذلك أفعاله، فمن أراد أن يقف على حقيقة هذا الأمر ينظر إلى جهوده المبذولة من خلال مؤسسة مصر الخير .

المحور الثالث : مسئولية الفرد في القيام بدوره:

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ مسئولية الفرد في القيام بدوره تتمثل في «إتقانه لعمله» وقد لخص النبي ﷺ فيما روته عنه السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أنه قال: « إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ»[(٣)]

فمن هذا المنطلق ما قام فضيلة الدكتور علي جمعة بعمل إلا أتقنه؛ لأنّ الإسلام دين يبغض الفقر، ويكافحه ويسد روافده، ويدعو إلى العمل الدؤوب في تنمية إمكانيات وطاقات الأمة، والعمل الصحيح والأمل الفسيح هما عنصران أساسيان في بناء الدولة، ونهضة المجتمع فيذكر الماوردي في : «أدب الدنيا والدين» أنّ قواعد السياسة لصلاح المجتمع والدولة أولها دين متبع والمقصود به التزام كل فرد القيام بمسئولياته وآخرها

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٠٠٧).

(٢) انظر: مقال بعنوان : « خلق المسئولية » لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

(٣) أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط (٨٩٧).

أمل فسيح وهو الثقة في الله تعالى للخروج ببلدنا مما يحيط بها من أزمات وصعاب. والشعور بالمسئولية من أهم عوامل بناء النفس عند فضيلة الدكتور علي جمعة(١).

٤ـ الحلم والأناة وسعة الصدر :

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ «الحلم، والأناة، وسعة الصدر، ورحمة الخلق» من أدوات بناء الحضارة ، فقد قال رسول ﷺ لِلأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ»(٢)،كما يرى فضيلته أنّ هناك أُناسًا كثيرين من خلق الله فقدوا هاتين الصفتين، وسبب ذلك أنهم فقدوا العفاف الظاهر، مع أنّ المسلمين بنوا علومهم على التدقيق والتحقيق والتثبت وهي صفات تنبثق عن الحلم والأناة اللذين يجعلان الإنسان يرى الحقيقة على ما هي عليه، ولا يتسرع في تهمة الآخرين ولا في تأويل تصرفاتهم وأفعالهم بصورة ظالمة تخالف الواقع والحقيقة، ولا بصورة متحيزة، ولقد نهانا الله سبحانه وتعالى عن التحيز في آيات كثيرة، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهَّ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٨]، وقال سبحانه:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ للهَّ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ [النساء:١٣٥]، وهذا يقتضي الصدق أولًا: مع الله ومع النفس، ويقتضي ثانيًا: معرفة حقيقة الدنيا وأنها إلى زوال، وأنها مزرعة للآخرة، والآخرة هي الحياة الحقيقة الدائمة؛ ولذلك نرى أنّ العفاف الباطني متعلق أيضًا بالعقيدة التي إذا ما فقدت فإنّ الدنيا بأثرها والأخلاق بجملتها قد لا تعني شيئًا عند الإنسان(٣).

إذا كان هذا هو معتقد فضيلة الدكتور علي جمعة، فهو أيضًا فعله وديدانه فإنّ

(١) انظر: مقال بعنوان : « من عوامل بناء النفس » لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥).

(٣) انظر: مقال بعنوان : « من أدوات بناء الحضارة: أن يصبح الإنسان إنساناً» لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

فضيلته يتخلق بأخلاق النبي ﷺ في العفو عمن ظلمه، وإعطاء من حرمه، ووصل من قطعه، فقد سمعتُ فضيلته كثيرًا ما يقول : « إِنِّي أَتَصَدَّقُ في كل يوم بِعِرْضِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي».

ومما يدل على سعة صدر فضيلة الدكتور علي جمعة : تنازله عن كافة الدعاوى القضائية المرفوعة ضد خصومه، ومن بينها دعوى السَّب ضد أحد رموز التيار المتشدد بمصر ، حيث قال فضيلته: «أُشهد الله، ثم أُشهدكم، وأُشهد من يستمع إليَّ، أنني خلعت عباءة الخصومة مع أي أحد، وأنني قد ألغيتُ كل جدال وخصام بعد أذيتي وسبي وشتمي، محاولةً أن أتحلى بحلية النبي ﷺ في العفو والصفح الجميل، ألغيت كل قضية قبل أن تبدأ، وألغيت كل خصومة، حتى نبدأ صفحة جديدة، وحتى عندما أقف بينكم أنصحكم أكون قد بدأت بنفسي ».

٥- الصراحة في قول الحق والشجاعة في إعلانه:

إنّ الصراحة في قول الحق من الصفات الجميلة التي يجب أن يتحلّى بها كل إنسان؛ حيث به يُنال شرف القرب من الله سبحانه وتعالى، وبه ترفع الدرجات وتحطّ السيئات.

ففضيلة الدكتور علي جمعة عُرف بين أساتذته وتلاميذه ومريديه بالصراحة في قول الحق والشجاعة في إعلانه، ومواقف فضيلته في هذا الصدد لا تُعدُّ ولا تُحصى؛ لذلك سوف أقتصر على موقفين من مواقف فضيلته التي تدل على أنّ فضيلة الدكتور علي جمعة لا يخشى في الله لومة لائم، وفيما يلي بيان ذلك :

الموقف الأول : إفتائه بحرمة توريث الحكم في عهد مبارك :

أصدرت دار الإفتاء المصرية في عهد فضيلة الدكتور علي جمعة عام « ٢٠٠٨ م» فتوى بحرمة توريث الحكم، وكان وقتها يتولى الحكم الرئيس محمد حسني مبارك

وكان يُشاع في الأوساط السياسية أنه سيكون هناك توريث للحكم لابنه جمال مبارك، وبينت الفتوى أنّ حكم مصر لا بد أن يكون بالانتخابات، وأن الالتزام بالدستور ونظام الدولة المتفق عليه بين أفراد الشعب هو أمر واجب شرعًا، وقد اعتبرت بعض الأوساط السياسية الفتوى إنجازًا كبيرًا من المؤسسة الدينية، التي يُعَين رئيس الدولة أفرادها، كما اعتبروا أنّ الفتوى قوّت من موقف الرافضين للتوريث.

الموقف الثاني : رأيه في كلام محمد مرسي أثناء الانتخابات الرئاسية عام ٢٠١٢:

خَرَجَ فضيلة الدكتور علي جمعة من أعلى منبره محذرًا وناصحًا وذلك قبل إعلان نتيجة الجولة الثانية بين الفريق أحمد شفيق والدكتور محمد مرسي فقال: «وما سمعته خلال هذه الأيام ليس فيه من السلام شيء ليس فيه من السلام شيء أبدًا، بل كله تحدي ومنافسة تتألّى على الله؛ ينقل لي أحدهم أن أحد المرشحين يسأله سائل فيقول له: ماذا لو فاز المرشح الآخر؟ قال لن يكون!! من ذا الذي يتألى على الله؟! يقول: «مستحيل! «وما الاستحالة في هذا؟! ألا يعلم أن الله يفعل ما يشاء؟! وأنه لا يكون في كونه إلا ما أراد؟!! ألا يعلم أن المستقبل بيد الله؟! تجاوزت حدودي وقلت له: فماذا قال المرشح الآخر؟ وهل سألوه هذا السؤال؟ قال: نعم سألوه فأجاب: «أذهب إلى بيته وأهنئه» إذن هذا أقرب من هذا عند الله».

لم يخش فضيلة الدكتور علي جمعة من صولة الإخوان ولا حشودهم في قوله للحق وإعلانه على رؤوس الأشهاد.

٦ـ الصبر على البلاء والشكر على السراء :

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ خلق الصبر من أهم قواعد بناء المنظومة الأخلاقية، وأنّ الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بالصبر عند نزول البلاء فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[آل عمران:٢٠٠]، فرتب الفلاح على الامتثال للأمر بالصبر والمصابرة وأخيرًا بأنّ الصبر خير لنا فقال سبحانه: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النساء:٢٥]، وقد جعل الله الصابرين في معيته سبحانه فيقول: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦].وعن مطلق الخيرية في الصبر قال رسول الله ﷺ: « عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ »[١] .

وقد ابتُلي فضيلة الدكتور علي جمعة بالافتراء والتطاول على شخصه الكريم ممن لم يفهموا كلامه، أو من قبل المبتدعة الذين قام بالرد عليهم ودحض شبههم؛ لأنه كان مُظهرًا للسنة داعيًا إليها محرضًا عليها، فقد قاسىٰ فضيلته قَصْدَ الحسادِ في كل وقت، وسعوا في إزهاق رُوحِه مرارًا، وعمدوا إلىٰ إهلاكه أطوارًا، فوقاه اللهُ شرهم، وجعل قصدهم أقوىٰ سبب لارتفاع شأنه، فكان رضي الله عنه في كل هذه الحالات صابرًا راضيًا شاكرًا لله على ما أصابه من بلاء .

۞۞۞

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٦٤).

المطلب السابع

مكانته العلمية

حظي فضيلة الدكتور علي جمعة في الأوساط العلمية المحترمة بمكانة علمية مرموقة ومتميزة، احتلت موقعًا متقدمًا بين علماء عصره، وشهد بذلك أساتذته وأقرانه وتلاميذه من العلماء المتمكنين، ويدل عليها حرص الجهات العلمية على تكريمه والاستفادة منه، وتشهد لها منابر المؤتمرات العلمية التي شارك فيها بأبحاث علمية متخصصة مرتجلة ومداخلات جديدة مفيدة، وفيما يلي بيان لأهم العلامات الدالة على مكانة فضيلة الدكتور علي جمعة العلمية، وهي شهادة العلماء بمكانته العلمية :

١.العلامة المحدث الأصولي الفقيه السيد عبد الله بن الصديق الغماري

شهد السيد عبد الله بن الصديق الغماري، لتلميذه فضيلة الدكتور علي جمعة بالعلم والتبحر؛ حيث أجازه بالرواية، والإفتاء، وقد نصح الشيخ الغماري تلامذته بالجلوس إلى فضيلة الدكتور علي جمعة والأخذ عنه، والتلقي منه، فقد أشار في كتابه «سبيل التوفيق في ترجمة ابن الصديق»: أنّ فضيلة الدكتو علي جمعة من نجباء طلبته في مصر، وأنه عالم فاضل، كريم الخلق(١).

وقد أخبرني أحد الثقات أنه سمع فضيلة الدكتور يسري رشدي جبر يقول: سأل أحدنا الشيخ عبدالله بن الصديق الغماري: إذا وقف أمامنا شيء في العلم وأنت خارج مصر أين نذهب؟ فقال الشيخ الغماري: عليكم بالدكتور علي جمعة .

٢.العلامة المحدث فضيلة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة

عندما حقق فضيلة الدكتور علي جمعة كتاب «أصول الفقه» للشيخ محمد أبي النور

---

(١) انظر :« سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصديق »صـ ٦٣، طبعة مكتبة القاهرة .

زهير، وصدَّر الكتاب بإجازة الرواية التي أعطاها له الشيخ زهير، فقال له فضيلة العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة : قبلنا الإجازة منك، وهذا عند العلماء شرف كبير، أن يروي الأستاذ عن تلميذه، وهو معروف عند علماء الحديث بالتدبيج، وما كان للشيخ أبو غدة أن يقول لفضيلة الدكتور علي جمعة، هذا الكلام إلا لعلمه بمكانته العلمية المرموقة .

٣. فضيلة الدكتورعبد الحميد ميهوب

شهد فضيلة الدكتور عبد الحميد ميهوب(١) بالعلم والتمكن لفضيلة الدكتور علي جمعة، فقد رُوي عن الدكتور ميهوب أنه قال: «قد خلصتُ في حياتي بثلاث رسائل استوفت المنهج العلمي منها رسالة الدكتور علي جمعة، التي قدَّمها لنيل درجة «الدكتوراه» والتي ناقشته فيها».

٤. العلامة الشيخ محمد أبو النور زهير

أجاز العلامة الأصولي فضيلة الشيخ محمد أبي النور زهير، تلميذه فضيلة الدكتور علي جمعة بالتدريس، والإفتاء، وشهد له بالعلم والتمكن، ومما يدل على شهادة الشيخ زهير لفضيلة الدكتور علي جمعة بالمكانة العلمية المرموقة، أنّ الدكتور علي جمعة تغيَّب مرة عن الدرس، فيُروى أنّ الشيخ زهير قد تعكر لذلك جدًا، وأخذ يردد قول أبي فراس الحمداني :

سَيَذْكُرُني قومي إذا جَدَّ جِدُّهُمْ وفي اللّيلةِ الظَّلْماءِ يُفْتَقَدُ البدر

فيستشهد بقوله : « يُفْتَقَدُ البدر» على تغيب فضيلة الدكتور علي جمعة عن مجلسه .

٥. العلامة الفقه فضيلة الشيخ جاد الرب رمضان

شهد فضيلة العلامة الأصولي الفقيه فضيلة الشيخ جاد الرب رمضان، لتلميذه فضيلة الدكتور علي جمعة بالمكانة الفقهية العالية أمام مجموعة من زملائه؛ ذلك حينما قال

(١) هو: فضيلة أ.د/ عبد الحميد ميهوب رحمه الله تعالى كان أستاذًا للشريعة بكلية الحقوق جامعة بني سويف.

له: «قلمك خير من قلمي»، وكان الشيخ جاد الرب ضنينًا بالمدح، مُقلًّا منه جدًا، دقيقًا غاية الدقة في ألفاظه، وفي تصحيحه للأوراق.

ويقول شيخنا فضيلة الدكتور عصام أنس الزفتاوي: «سمعتُ شيخنا العلامة الفقيه شيخ السادة الشافعية جاد الرب رمضان – رحمه الله تعالى– يقول: «الشيخ علي أمةٌ وحده».

٦.العلامة الأصولي الفقيه فضيلة الشيخ عبد الجليل القرنشاوي

أخبرني مجموعة من أهل العلم أنهم سمعوا غير مرة من عدد من المشايخ الذين أدركوا العلامة الأصولي الفقيه فضيلة الشيخ عبد الجليل القرنشاوي وقرأوا عليه وأخذوا عنه، أنّ فضيلته كان دائم الثناء على فضيلة الدكتور علي جمعة، وعلى علمه، وتبحره في علمي الأصول والفقه،وقد أخبرني بعض الثقات ممن عاصروا الشيخ القرنشاوي أنه قال في حق فضيلة الدكتور علي جمعة: لو كان الأمر بيدي لأعطيته الأستاذية من مناقشته أثناء الدرس.

٧.الإمام الأكبر فضيلة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق

أرسل الإمام الأكبر شيخ الأزهر فضيلة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، فضيلة الدكتور علي جمعة مبعوثًا شخصيًا له في أركان الأرض من مشرقها إلى مغربها لحضور اللقاءات والمؤتمرات، والدافع وراء ثقة الإمام الأكبر في فضيلة الدكتورعلي جمعة هو: علمه بمكانته العلمية التي تمكنه من أداء هذه المهمة على أفضل وجه.

٨ العلامة الفقيه فضيلة الشيخ عطية صقر

طلب العلامة الفقيه فضيلة الشيخ عطية صقر، من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق بتعين فضيلة الدكتور علي جمعة عضوًا في لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، عندما كان الشيخ صقر رئيسًا لها، فوافق الإمام الأكبر على تعينه، فكان

فضيلة الدكتور علي جمعة أصغر عضو بها، لكن ثقة الشيخ صقر بمكانة وقيمة الدكتو علي جمعة، جعلته لم يتردد في طلب تعينه .

٩. فضيلة الشيخ عبد الحكيم عبد اللطيف

سمعتُ شيخنا وشيخ مشايخنا فضيلة الشيخ عبد الحكيم عبد اللطيف شيخ عموم المقارئ المصرية، يُثني على فضيلة الدكتور علي جمعة الثناء الحسن، ففي يوم من الأيام رأيتُ الدكتور علي جمعة يُسلم على فضيلته «برواق الجبرتي بالجامع الأزهر الشريف»، فقال الشيخ عبد الحكيم لنا وكنا مجموعة من الطلاب :«لا تتركوا مجالس الدكتور علي جمعة فإنه من كبار العلماء»، فلما انصرف الدكتور علي جمعة، قال الشيخ عبد الحكيم: «أنا أختلف مع الدكتور علي جمعة في بعض الأمور، لكن هذا الاختلاف لا يمنعني من قول الحق، فإن الرجل عالم ومن كبار الفقهاء».

١٠. العلامة الفقيه فضيلة الدكتورمحمد ر أفت عثمان

يقول العلامة الفقيه فضيلة الدكتور محمد رأفت عثمان رحمه الله تعالى ـ(١)،وهو من طبقة أساتذة فضيلة الدكتور علي جمعة:«إنّ فضيلة العلامة الفقيه الأصولي الدكتور علي جمعة، فقيه موسوعي فأنا لا أذكر أنني تكلمتُ معه في موضوع من الموضوعات إلا وتكلم فيه كما لو كان معدًّا له قبل أن أفاتحه فيه، كما أشهد لفضيلته بالابتكار، بجانب علمه، وفضله، وتوسعه في الثقافة، وتمكنه في علمي الأصول و الفقه، فهو فقيه أصولي موسوعي، أدار فضيلته دار الإفتاء حتى أصبحت بهذا الشكل العالمي الذي ينظر إليها العالم كله باحترام وتقدير».

---

(١) هو: أ.د/ محمد رأفت عثمان، عميد كلية الشريعة والقانون بالقاهرة، وعضو هيئة كبار العلماء، رحمه الله تعالى .

١١.العلامة المعمر فضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم

يقول شيخنا وشيخ مشايخنا العلامة المعمر شيخ علماء الأزهر الشريف فضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم رحمه الله تعالى : «إنّ الدكتور علي جمعة عالم متبحر في شتى مسائل العلم بالله وبرسوله وبالقرآن الكريم، وهو فقيه العصر ومفتي كنانة الله في أرضه مصر، ونقرر بصوت عالٍ أنه استكمل كل دروب العلم والحكمة، مضيفًا أنّ دار الإفتاء في عهد الدكتور علي جمعة نُقلت نقلة نوعية بإضافة لبنات جديدة لترسيخ ريادتها في كل شئون الحياة، فقد أعد لها العدة لتنتقل من دار إفتاء قائمة على شخص المفتي إلى دار ذات دور مؤسسي بجاهزية أربعة أجيال».

وأذكر أني ذهبتُ في صحبة مجموعة من طلبة العلم والفضلاء لزيارة شيخنا فضيلة الشيخ معوض ببيته المعمور، فقام أحدنا بسؤال فضيلته قائلاً: مولانا هل فضيلة الدكتور علي جمعة فقيه؟ فأجابه الشيخ معوض قائلاً:« إن لم يكن الدكتور علي جمعة من الفقهاء فمن الفقيه حينئذٍ».

وقد قام شيخنا بكتابة قصيدة عصماء يمدح فيها فضيلة الدكتور علي جمعة عندما كان مفتيًا للديار المصرية، قال في ديباجتها :«إني أتقدم بهذه الأبيات شاهدة ودٍ وأخوةٍ لفضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة مفتي الديار المصرية» ثم قال :

الدينُ والعلمُ والأعمالُ والأدبُ ... زانت عليًّا وسارت بِاسْمِهِ الكتبُ
شرقًا وغربًا مسيرَ الشمسِ مُذْ طَلَعت ... لم يُخفها الغيمُ في يومٍ ولا السُحُبُ
وجمعةُ العلمِ تسبينا فضائلُه ... ودينُهُ خيرُ ما تَعلو به الرُتَبُ
في عاجلٍ كانْبِلاجِ الصُبحِ في دَعةٍ ... وآجلٍ لجنانِ الخُلدِ ينقلبُ
فالدينُ بالله جلَّ اللهُ مانحُهُ ... والعلمُ بالجِد والإخلاص يُكتَسَبُ
فقهًا وحكمةَ تشريعٍ وُسنةَ من ... إليه كُل خِلالِ الفضل تَنْتَسِبُ

ويومَ كان رضا الرحمنِ غَايتَنَا ... كنا أُسَـاةَ حياةٍ ساءها الوصَبُ
بالطب جاوز جالينوس مُشتملاً ... والمالُ طابَ وليس يطيبُ مُغتَصَبُ
وبالحضارة طالت واعتلَت صُعُدا ... في طيِّها الدينُ والإرشادُ والأدبُ
يضُمُ ذلكُم القرآن في نسقٍ ... من الطلاوة لم يَعْلَقْ به وشبُ[1]
وكيف واللهُ كاليهُ[2] ومُنزلُهُ ... نورًا على النور يَهدي للذي يجبُ
أحبَبتُهُ من ضُحى عُمري وبي شَغَفٌ ... وأسعفتنيَ فيه الأينُقُ النُجُبُ
والأَيْنُقُ النُجُبُ إيمانٌ ومعرفةٌ ... وحكمةٌ دُونَهَا الياقوتُ والذهبُ
والدينُ والعلمُ عزٌ إن هما اتفقا ... فإن هما افترقا فالذُّلُ والكُرَبُ
ومن أراد بغير الدينِ أمنيةً ... رامَ المُحالَ ولم يَسلمْ له أربُ
إلا بهارجُ أفكارٍ وفلسفةٌ ... أطواؤُها الوهمُ وايمُ الله والرِّيَبُ
وانظر مَصارعَ أهليها بما أفِكُوا ... وخالفوا الدينَ والبُهتانُ يُجْتَنَبُ
وحين أُوثِرَ بالفتوى الحفيُّ بها ... أَتَتَهُ بالتهنئاتِ العجمُ والعربُ
برقًا وبرًا وبحرًا والطوائرَ قدْ ... كادت لكثرتِهَا تَخْفَى بها الشُهُبُ
تَطوي إليه المسافاتِ التي اتَّصَلت ... والشوقُ يدفَعُهَا أضعافَ من قَرُبُوا
وقد لقيتُ أبا العرفانِ من زمنٍ ... من ثُلْثِ قرنٍ وذكرى الخيرِ تجتذبُ
في دارةٍ لحديثِ المصطفى ارتفعت ... يُديرُهَا حَسنٌ يَزكو به اللقبُ
أعادهُ الله عيدًا واللِقا قدر ... آثارُهُ البِشْرُ والشُكرانُ والطرَبُ
والشكرُ لله حقٌ حيثُ جَمَّعنا ... على الهُدى والتُقى والودُ ينسكبُ
وثَبَّت الله للإفتاءِ كوثَرَهُ ... بالدينِ والعلمِ مُذْ سارت به الكُتُبُ
وفي الصلاةِ على خير الورى نَسَبٌ ... وفيه صِهْرٌ لمن قد فَاتَهُ النسبُ

---

(١) الوشب: الدخيل .

(٢) كاليه : أي كالئه، حافظه .

١٢. العلامة الفقيه فضيلة الدكتور نصر فريد واصل

يقول العلامة الفقيه فضيلة الدكتور نصر فريد واصل[(١)]: «إنّ دار الإفتاء المصرية قد منحها الله تعالى بعلماء أجلاء، كان آخرهم قبل أن يتولى المفتي الجديد فضيلة الدكتور شوقي علام، فضيلة الدكتور علي جمعة، وهو كما قال المفتي الجديد: «لقد أتعب من يأتي بعده»، وأنا أوكد ذلك، فقد بنى العالم الجليل فضيلة الدكتور علي جمعة، من الفضل، والعلم، والتوجيه السليم إلى «دار الإفتاء المصرية» وأحدث فيها ما حقق الهدف المنشود؛ لتحقيق الأمن، والسلام الاجتماعي الذي دعا إليه الإسلام».

١٣. العلامة المحدث فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم

يقول شيخنا العلامة الكبير شيخ علماء الحديث بالديار المصرية فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم :

« إنّ فضيلة الدكتور علي جمعة من الشخصيات النادرة التي تظهر في التاريخ على فترات متباعدة، و مصر في هذه المرحلة تحتاج لمثله، فنحن الآن في مرحلة سادها التفرق والتشرذم والاختلاف والانقسام، ثم أكد فضيلته أننا الآن نحتاج لمن يفتى عن علم، وعمن يقرب لا يبعد، و يوحد لا يفرق، نحتاج إلى الشيخ على جمعة في هذا المعترك الكبير لأننا نحتاج لرأب الصدع وتوحيد الصف وجمع الكلمة، مضيفًا أن التاريخ يشهد له برجاحة العقل والعمل والحرص المستمر على التطوير» .

ويقول فضيلته في موضع آخر: «إنّ الحديث عن فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة مفتي الديار المصرية يستوجب أولًا أنْ نتحدث عن شخصيته، والحديث عن أي شخصية يحتاج إلى التعرف عن مفتاح الشخصية، ومفتاح شخصية الأستاذ الدكتور علي جمعة الخُلق الرفيع، والتواضع الجم، والذوق العالي، عرفتُه قبل أنْ يكون أستاذًا وبعد أنْ كان أستاذًا،

(١) هو: أ.د/ نصر فريد واصل، مفتي الديار المصرية الأسبق، وعضو هيئة كبار العلماء.

وعرفتُه قبل أنْ يكون مفتيًا وبعد أنْ أصبح مفتيًا فما تغيرت شخصيته في حال من الأحوال، كان صاحب شخصية ولا يزال واحدة لا يتغير بالمناصب بل يزيده المنصب تواضعًا ورفقًا تلك شخصية العلماء النبلاء الذين نعتز بهم وهو في طليعتهم».

١٤. الدكتور محمد صابر عرب

يقول الدكتور محمد صابر عرب وزير الثقافة الأسبق: « إنّ فضيلة الدكتور علي جمعة ظاهرة إنسانية مهمة في حياتنا، تستحق المتابعة، ويمتاز بالتسامح والوعي الاجتماعي على المستوى الإنساني، فهو قارئ في معارف متعددة ولديه وعي كبير بالتاريخ والثقافة، وهو مختلف في تقديره، فقد حول المؤسسة الإفتائية بعد أن كان دورها ثانويًا وكانت لها قدر في المحدودية؛ فأصبحتْ مؤسسة حاضرة في ذهن المسلمين الآن في كثير من دول العالم، فلم أتصور أن يهتم شيخ أزهري بالتراث والسجلات، ولكن المفتي بادر بحفظ التراث، فهو مؤمن بأن الفتاوى هي: مصدر مهم للباحثين في علم الاجتماع، وحولها لوسيط إلكتروني، وهو أمر يحدث في المكتبات الكبرى في العالم».

١٥. المفكر الإسلامي الكبير فضيلة الدكتور محمد عمارة

يقول المفكر الإسلامي الكبير فضيلة الدكتور محمد عمارة : « تعرَّفتُ على الأستاذ الدكتور علي جمعة حفظه الله بالمجلس العلمي الذي كان يرأسه شيخنا الشيخ محمد الغزالي بالمعهد العالي الإسلامي ، ومنذ ذلك التاريخ أدركتُ أنّ الدكتور علي جمعة مفكر وعالم صاحب عقلية إسلامية متميزة تميزًا ملحوظًا ، فالدكتور علي جمعة قد وهبه الله ذاكرة قوية كأنه كمبيوتر، فقد أستوعب فضيلته تراث أمته بمذاهبها الفقهية المختلفة»[1].

ويقول في موضع آخر: « إنّ الدكتور علي جمعة هو امتداد متطور لمدرسة الإحياء والتجديد، فقد حوَّل دار الإفتاء إلى مؤسسة عصرية تستخدم علوم العصر وتقنياته، وأنا

(١) لقاء تلفزيوني مسجل بعنوان: «قصة حياة الإمام علي جمعة».

منذ أنْ عرفت الدكتور علي جمعة وأنا أتابع عطائه العلمي، وعطائه في مختلف الميادين، فالدكتور علي جمعة قارئ ماهر، وليس مجرد قارئ إنما : «عقل وقلب»، فإذا كنا نقرأ النقل بالعقل، ونحكم العقل بالنقل . فالدكتور علي جمعة جمع في قلبه وعقله ووجدانه ما سماه الإمام محمد عبده بالهدايات الأربع: «هداية العقل، والنقل، والتجربة، والوجدان» فالدكتور علي جمعة جزء من هذه المدرسة، والسلسلة الذهبية التي تجمع هذه الملكات و الهدايات الأربع التي تحدث عنها الإمام محمد عبده كنظرية إسلامية في المعرفة. فالدكتور علي جمعة ليس مجرد قارئ، وليس مجرد عالم أحاط إحاطة كبيرة بتراث الأمة، بل وأطلّ إطلالات كبيرة على مواريث الحضارات الأخرى المعاصرة والتاريخية، وقد حابه الله ذاكرة حافظة يغار منها الكمبيوتر؛ لذلك كان ملجئنا في كثير من الأمور، في أسماء الكتب، وأسماء العلماء، وفي القضايا، والأبحاث، في كل هذه الأمور كانت ذاكرته هي المُسعف لنا في حلها، فالحديث عن الدكتور علي جمعة يطول؛ لأنه عاش حياته للعلم، وقد حابه الله بمواهب كثيرة »(١)

١٦.العلامة الكبير فضيلة الشيخ علي صالح الأزهري

يقول شيخنا العلامة اللغوي فضيلة الشيخ علي صالح الأزهري :« إنّ الله سبحانه وتعالى قد بعث فضيلة الدكتور علي جمعة في هذا العصر ؛ ليكون إحياء المجالس العلمية بالأزهر الشريف على النظام القديم على يديه، فقد عُرف فضيلته بغزارة العلم وسعة الاطلاع، أضف إلى ذلك حبه شديد للعلم وأهله، ولا أنسى في هذا المقام الحديث عن جوده وكرمه، فأنا أرى أنه في الكرم أكرم من حاتم الطائي، وقد مدحته بقصيدة سميتها : بــ «الكنز البهي في مدح الشيخ علي» أقول فيها:

ببســـم الله أبـــدأ بالـــكلام وحمـــد الله زخـــر لـــلأنـــام
صـــلاة الله عـــلى طـــه النبـــي محـــمـــد المـظـلـــل بـالـغـــمام

(١) لقاء تلفزيوني مسجل بعنوان :« المشوار ..... إنجازات ٣٦٥٠ يومًا ».

ورضي الله عـن كل الصحابـة ... رجـال مخلصين على الـدوام
كلامـي بعـد ذاك عـلى الإمـام ... عـليٍّ مخلصٍ عـذبِ الكلام
يحـب الخـير قـد فتـح المجـال ... لـطـلابٍ فعملوا في وئـام
لقـد شرح الكثـير مـن العلـوم ... سواءٌ في الأصول وفي الكلام
كتابُ شـيخنا الشيخ الباجوري ... إمـــامٌ زيـــن شرح الإمـــام
هــي الحكــم العطائيــة كذلـك ... فجاء الشيخ ببديع الكلام
رأيتــه عنــد خربــوش كثــيرًا ... يحب الكتب يسعى للسلام
سـلوا الضعفـاء عنـه يـا رفاقـي ... فـإحسـانـه مـزيـلٌ لـلآلامِ
فمفتــي بلادنــا بهــر القلــوب ... كنور البدر في وقـت التمام
أشـــبهه بأشـــياخ قدامـــى ... أضـــاءوا للعباد في الظلام
عطـوف إخـواتي يهـوى المعـالي ... يحـب الخـير يسعى للوئام
فيـــا الله بالطاعـــات زده ... وضـع حبه في قلوب الأنـام
كتبـت قصيـدة الشـيخ الأبيـة ... فقالوا أعـاد حسان التحية
فقلــت بــل جواهــر لؤلؤيــة ... فقام المفتي حيا بالسلام
رأيـت الشـيخ في الحـرم الأمين ... يصافح يـا رفـاقـي باليمين
ويبتهـــل لـــرب العالمـــين ... وكيف النفي وهو من الكرام
محـــب للنبـــي يـــا ثقـــاتِ ... بحق شفيعنا يـوم الزحام
لقـد قـرأ البخاري كذا النسـائي ... ومسلم سـادتي حقق رجائي
موطـأ والخريـدة هـي البهيـة ... فـأيـده بـدرجـات علية
كـذا الإقنـاع وهـو للخطيـب ... هو الشربيني ربي يا مجيب
كـذا الكشـاف للشـيخ الإمـام ... فــزده يـا إلهـي مـن الـوئـام
صـــلاة الله في أزكـــى ســـلام ... محمد سـيـدي خـيرُ الأنـام

١٧.فضيلة الدكتورعصام أنس الزفتاوي

يقول شيخنا فضيلة الدكتو عصام أنس الزفتاوي: وقد تمت له علوم المقاصد والآلات جميعًا، واعتنى بمعارف العصر الحديثة، وما يؤثر منها في الفتوى، مع سعة الاطلاع جدًّا، وفقه النفس، وهي أخص صفات المجتهد، كما يقول شيخ الإسلام التقي السبكيّ، ولست أشبه شيخنا إلا به، مع سلامة القلب، وحسن المقصد، ما رأيته يعمل لغرض نفسه قطّ، أما الفضائل والكمالات التي كانت حبيسة الأسطر والأوراق فأحياها، تخلقًا، وتحققًا، ونشرًا، فلا يحصيها إلا الله، مع سعة الدائرة في تربية مريديه، فإن عامة المشايخ اليوم يربون على طريقة واحدة قلما تختلف، فربما لم تصادف من المريد موضع العلاج، فيضل على آفته، أو يعتمدون على مدد الطريق وبركة السلسة وحسب، أما شيخنا فشأنه شأن كبار القوم، ينوعون للمريد بحسب استعداده، وراثة محمديّةً، فإنه ﷺ كان يعالج كل شخص بما يناسبه.

وأصعب ما رأيت من تربية شيخنا الجليل أنه يُدخِل المريد في الدنيا، ويفتحها عليه، لتخرج من قلبه، ويصير المريد لا يأبه لها، ولا يبالي إن جرى وراءها، أو جرت وراءه، أو تدابرا خصمين، ويصير إن دالت له لم يدل، وإن زالت عنه لم يزل.

وما رأيتُ أكثر عيونًا منه، وهذا من كماله نفعنا الله به، فبينما الناس لا يكادون يبصرون فلا يزال هو يرى الأمر الواحد من جهات كثيرة رضي الله عنه وما يزال الولي يزداد عيونا كلما زاد كماله حتى يصير كله عيونا.

وقد رأيت مولانا شيخ الإسلام عبد الله الغماري يجله إجلالًا عظيمًا، وسمعت شيخنا العلامة الفقيه شيخ السادة الشافعية جاد الرب رمضان الشافعي - رحمه الله تعالى- يقول: «الشيخ علي أمةٌ وحده» ومات من مات من شيوخ الوقت ممن أدركتهم وهم عنه راضون، وهذا من علامات التوفيق كما يقول العارف الشعراني، فمنهم مولانا

شيخ الإسلام عبد الله الصديق، ومولانا شيخ الإسلام ضياء الكردي، ومولانا العلامة المحقق الحسيني الشيخ، ومولانا الشيخ جاد الرب رمضان، ومولانا الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الجامع الأزهر، ومولانا العارف الكبير أحمد مرسي النقشبندي، وغيرهم.

ومن علامات التوفيق أن جمع الله له من الطلبة والمريدين من صاروا فضلاء وعلماء، من حوله بين عالم ومتعلم، فالله يكثر من أمثالهم، وهذا ما لم يحصل لغيره من أكابر الوقت رضي الله عن الجميع، ولم أرَ أو أسمعْ بمثله في القدرة على تربية الرجال، وصنع الكوادر العلمية، وإنشاء المؤسسات، التي ترقى بها الأمة.

١٨.العلامة الأصولي الفقيه فضيلة الدكتورأسعد الكفراوي

يقول شيخنا العلامة الأصولي الفقيه فضيلة الدكتور أسعد الكفراوي :« إنّ شيخنا فضيلة الدكتور علي جمعة يأتيه الجميع فيجدون عنده بغيتهم من أراد أبًا وجده، ومن أراد أخًا فهو الأخ عند الشدة ومن أراد ابنًا فنعم الابن البار، هو البحر من أي الوجوه أتيته، فلجته المعروف والجود ساحله، شيخي نسيج وحده، بارك الله له وعليه».

١٧.الداعية الإسلامي الكبيرالحبيب علي الجفري

يقول الداعية الإسلامي الكبير الحبيب علي الجفري :«إنّ فضيلة الإمام العلامة المفتي الشيخ علي جمعة حفظه الله تعالى جمع الله له بين تأسيس علمي صحيح فيه أَخْذٌ عن العلماء، وقراءة للمتون تحقيقًا مع الشروح والمراجع، والأخذ بخلاصات ما وصل إليه هؤلاء العلماء من ثمرات أعمار طويلة تراكمت مع من كان قبلهم؛ لتجتمع فيما أخذه عنهم ، إضافة إلى ذلك أتقن الأخذ الأكاديمي فبلغ أعلى الدرجات وهي الأستاذية، أضف إلى ذلك أنه مع الأخذ العلمي ربط هذا الأخذ بمسلك في التزكية فأخذ مشربًا في التزكية عن أحد المربيين المرشدين؛ ليمتزج نور العلم بنور الإقبال على الله في ذاته وفي نفسه، ولم يقف

عند ذلك فتوجه فضيلته إلى شأن معرفة الواقع الذي يحيط به؛ لأن الحكم على الشئ فرع عن تصوره، فلم يرضَ أن يتوقف دون أن ينهل بالقراءة في معين الفلسفة في مختلف مدارسها، وعلم النفس بمختلف توجهاته، معرفة فيها نوع من الاطلاع الواسع على الاقتصاد وما يترتب عليه ، وهنا تأتي صناعة المفتي الرباني، والمفتي الرباني هو: الذي إنْ اختلفتَ معه أو اختلف معه بعض كبار العلماء الذين هم في طبقته، أوفي طبقة من سبقوه، أو طبقة من بعده، إن رأوا أنه أخطأ في مسألة، أو رأى هو أنهم أخطأوا في مسألة يبقي هو المفتي الرباني»[١]

١٩.العلامة الأصولي الفقيه فضيلة الدكتور أحمد ممدوح

يقول شيخنا العلامة الأصولي الفقيه فضيلة الدكتور أحمد ممدوح :« إنّ مولانا فضيلة الدكتور علي جمعة عالم في نفس وأمة في شخص، رأيتُ فيه عيانًا ما كنتُ أظنه لا يكون إلا في كتاب، جمع الله تعالى له من الفضائل ما لم يجتمع لغيره في العلم والأدب والبصيرة والحكمة ومعرفة الناس والحياة وبُعد النظر والذكاء الحاد والذهن المتوقد والرجولة والشهامة والنخوة والنجدة، وكأني أمامه أتمثل ما قاله ابن دقيق العيد في ابن تيمية: ما كنتُ أظن أن الله بقي يخلق مثلك».

٢٠.العلامة المحدث فضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري

يقول شيخنا فضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري : « كلما تأملتُ عقل الشيخ وفقهه، ورأيتُ قوة نظره في الحوادث، وكيفية إلحاقها بنصوص العلماء وكلامهم، تذكرتُ العلامة زين الدين الشافعي عمر بن محمد البلفيائي، حيث قال عنه شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر في ترجمته في كتاب: «الدرر الكامنة»: قال الإسنوي: كان إمامًا في الفقه، غواصًا على المعاني، منزلا للحوادث على القواعد والنظائر تنزيلًا عجيبًا، لم أرَ مثله في هذا الباب، قلتُ: وكأني به يصف شيخنا- حفظه الله ورعاه»[٢].

---

(١) لقاء تلفزيوني مسجل بعنوان: «قصة حياة الإمام علي جمعة».

(٢) انظر: كتاب «أسانيد المصريين»، للدكتور أسامة السيد الأزهري، صـ ٥٤٥، طبعة دار الفقيه الإمارات.

ثم يقول فضيلته : « بل كأني بالإمام الخطيب البغدادي – رحمه الله تعالى– يصف شيخنا الإمام العلامة حين قال في: «الفقيه والمتفقه»: لأن الفقيه يحتاج أن يتعلق بطرف من معرفة كل شيء من أمور الدنيا والآخرة، وإلى معرفة الجد والهزل، والخلاف والضدّ، والنفع والضرر، وأمور الناس الجارية بينهم، والعادات المعروفة منهم. فمن شرط المفتي النظر في جميع ما ذكرناه، ولن يدرك ذلك إلا بملاقاة الرجال، والاجتماع مع أهل النحل، والمقالات المختلفة، ومساءلتهم، وكثرة المذاكرة لهم، وجمع الكتب ودرسها، ودوام مطالعتها. فكأني به قد نظر إلى الشيخ، وجعل يعبر عنه وصفًا وصفًا، لشدة انطباق تلك الأوصاف على الشيخ، وقد عايشناه فرأينا فيه ذلك عيانًا»(١).

٢١.العلامة الفقيه فضيلة الدكتور أحمد كريمة

يقول شيخنا العلامة الفقيه فضيلة الدكتور أحمد كريمة: « إنّ فضيلة الدكتور علي جمعة له رؤية في تطوير علم أصول الفقه، لم يسبقه إليها أحد، ومنذ أنْ عرفت الدكتور علي جمعة أعرف أنه رجل وهب حياته للعلم، فكان فضيلته يسكن في شارع محيي الدين أبو العز بالدقي، كان يبدأ يومه بصلاة الفجر، وشقته كانت مفتوحة لطلاب الدراسات العليا، لاسيما الوافدون منهم، فيعرضون عليه الخطط البحثية سواءً هو مشرف عليها أو لا، ثم يتوجه إلى الجامع الأزهر في الضحى، وفي أحد الأروقة بالجامع كان يستقبل جموع الناس للإفتاء تطوعًا»، بعدها كان يتوجه إلى جامعة الأزهر لعمله بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، ثم يذهب للمعهد العالمى للفكر الإسلامى بالزمالك، ثم يذهب إلى أنشطة اجتماعية خيرية، كان لا ينام قبل منتصف الليل ويستيقظ مع أذان الفجر»، وكان ولا يزال عامل خير مع كل المحيطين به، فلم تصدر عنه إساءة لزميل، حتى المختلفين معه في قضايا معينة لم يتعرض لهم، ثم تُوج بأن صار من الدعاة المبرزين في العمل الخيرى لنفع البلاد والعباد، بخبرته الموسعة وثقافته الأزهرية التي فيها التعدد، كما يتصدى مع شرفاء

(١) المصدر السابق .

الوطن للتطرف والغلو، وأنا لم أر على وجه الأرض من يماثله في الجود، والعفو، فمن يقصده في قضاء حاجة لايخيب، ومن يسيء إليه يعفو عنه، وما ينتقم لنفسه أبدا».

٢٢.العلامة الفقيه المربي فضيلة الشيخ أحمد الهجين

يقول شيخنا فضيلة الشيخ أحمد الهجين : «إنّ شيخنا فضيلة الدكتور علي جمعة قد فاق القِدْح المُعَلّى[١] في كل العلوم فهو مشرف على كل العلوم وليس مشاركًا، بل إنه متمكنٌ في معظم العلوم، سواء المقاصد أو علوم الوسائل، والشيخ أعجوبة من عجائب الزمان ، وأعتقد أنّ فضيلته هو أعلم أهل الأرض؛ لأني لم أر مثله في العلم» .

٢٣.العلامة المحدث فضيلة الدكتورمحمد إبراهيم العشماوي

يقول فضيلة الدكتور محمد إبراهيم العشماوي: بغض النظر عن اختلافنا معه في بعض مواقفه وآرائه اختلاف التلميذ مع من هو في مقام شيخه؛ فإن الشيخ علي جمعة يبقى نموذجًا فريدًا لشيخ أزهري معمم استطاع أن يقهر مرحلة الشيخوخة؛ ليظل صاحب رؤية ثاقبة، وفكر متجدد، وعطاء متنوع، ومواهب فذة، لا يمتلكها كثير من الشيوخ، بل كثير من الشباب؛ فإن الرجل إذا جاوز الستين أصبح أداؤه في الحياة – غالبًا – أداء روتينيا مملا، لا فكر فيه ولا رؤية ولا تجديد ولا عطاء، وهذا أحد أسباب تدهور الأوضاع في كثير من المؤسسات التي كانت تعتمد على الشيوخ فوق الستين، وتهمش دور الشباب القادر المبدع! لكن الشيخ علي جمعة يثبت لنا يومًا بعد يوم أنه لا يزال شابًا ممتعًا بعقله وجوارحه، قادرًا على العطاء والإنجاز في مختلف الميادين! ولو كان في شيوخ الأزهر كثير من أمثال الشيخ علي في شبابه وحيويته وعقله وفكره؛ لتغير حال الأزهر كثيرًا إلى ما هو أفضل! ونظرًا لكثرة مزايا الرجل وهو في هذه السن التي أشرف فيها على السبعين؛ صار ملء السمع والبصر، فكثر حساده ونقاده! .

(١) معنى القِدْح المُعَلّ : الحظ الأوفر .

ويقول فضيلته أيضًا : الشيخ علي جمعة هو مؤسس دار الإفتاء المصرية الحديثة، وباعث نهضتها، ومحيي سنة التدريس في الجامع الأزهر بعدما اندرست، وباعث الروح الأزهرية الأشعرية الصوفية الوسطية في نفوس المصريين بعدما همدت، وحامل لواء التصوف المعاصر، وكاشف زيف أدعياء الدين، ومصحح المفاهيم، وصاحب المدرسة الكبرى التي يسير عليها الآلاف من تلامذته في الداخل والخارج.

٢٤. فضيلة الدكتور مختار محسن

يقول شيخنا الفقيه فضيلة الدكتور مختارمحسن :«من فضل الله على أهل هذا الزمان مولانا الأستاذ الدكتور علي جمعة العالم المجدد الذي استطاع أن ينشر مرة أخرى المنهج الأزهري في صورته المكتملة عقيدة الأشاعرة أهل السنة وفقه المذاهب الأربعة والتصوف السني بعد أن انزوى ذلك المنهج فترة من الزمن وشوش عليه أهل الأهواء والبدع، لكن كان لجهود الشيخ ولما بثه في تلاميذه أكبر الأثر على إحياء المنهج الأزهري، فأحيا مرة أخرى تعلق الناس بالأزهر الشريف وعلمائه وأرجع بما قدمه معنى وأهمية العلم ،وقيمة مجالس العلم التي يتصل فيها الجيل الحالي بالأجيال التي سبقته من العلماء، ولولا ما كان من تلك الجهود لظل كثيرون –وأنا منهم – تائهًا بعيدًا كل البعد عن نور العلم وهداية المنهج الأزهري ؛فجزاه الله خير الجزاء على ما أنفقه علينا من وقته وجهده وماله من أجل أن يبقى الدين حيًا في قلوب الناس وفي واقعهم».

٢٥. فضيلة الدكتور أحمد سمير الأزهري

يقول صديقنا العزيز العالم الجليل فضيلة الدكتور أحمد سمير الأزهري :«إنّ شيخنا الإمام العلامة فضيلة الدكتور علي جمعة أطال الله عمره وهو بخير رجل العصر المدرك لوقته حكمًا وآدبًا وفقهًا، وهو ولي ظاهر نوراني ممدود قائم بحقوق الله وبحقوق العباد بصورة عزيزة جسدت واقعًا، أخلاق الإنسان الكامل ﷺ ، ولما يدرك أهل العصر حقيقته الشريفة بعد؛ فما ظهر منها فهو كالقمة في جبل الجليد!»

وقد وقفتُ على عدد من القصائد التي كُتبت بقلم المحبة في مدح فضيلة الدكتور علي جمعة، وليس بغريب على شخص مثل فضيلته أن يُكتب فيه هذا الكم الكبير من القصائد؛ فقد كتب الله لفضيلته القبول في الأرض؛ لأنه رجل أحبّ كل شيء فأحبه كل شيء، وفيما يلي ذكر بعض هذه القصائد :

قصيدة لفضيلة الدكتور أشرف سعد الأزهري الشافعي

يقول فضيلة الدكتور أشرف سعد الأزهري الشافعي: هذه قصيدة في مدح عمدة المفتين نور الدين علي جمعة حفظه الله تعالى ـ:

قوموا لساح المجد يوما كي نرى شيخاً جليلاً قد أنار الأزهرا
بالحوزة الغراء ينثر دره وبساحة السلطان زان المنبرا
قد كان نور العلم ينعي الأزهرا لولا إمام في العلوم تبحرا
هذي المآذن تستعيد شبابها قد لاح فجر في سما الدنيا سرى
تحت القباب العامرات توافدت أجناس شتى الراغبين من الورى
أقمار هذي يستنير ضياؤها من شمس من حاز الجبين الأزهرا
يرقى بهم نحو المعالي سلما يزجي لهم درر المعاني أبحرا
فجبال موج هائجات تنثني أعطافها، والبحر هاج مزمجرا
قد هابه من رام مجداً زائفاً قد خاضه من كان يرجو الكوثرا
من لازم الأشياخ عمرا عامراً من رافق (الجادين) ثم (تغمرا)
حاز التبرك والتورك بعدما من مسند الدنيا (الفدان) تبحرا
قد زاده نبلاً وفضلاً أنه من آل من بالحق جاء مبشراً
يا جامع النهرين قد أرشدتنا لطريق من يعطى الجزيل الأوفرا
فجزاك ربي رفقة لنبينا وحباك من يده الشريفة عنبرا

إن المـعـالي تنتقي أبناءها ... إن المفاخر تحتفي أن تذكرا
في مدح من للناس قام مربيا ... في حق من للعلم كان مفسراً
بـارك إلهـي عمره واجعل له ... في رحب فردوس الجنان الأنهرا
إن المديح جـزاؤه في شرعنا ... حثو الثرى قد قاله خير الورى
يا سيدي إن الثرى لو أن طيـ ... بك مسه سيصير مسكاً أذفرا

قصيدة للعلامة المربي فضيلة الشيخ مخلف العلي القادري:

يَا سَائِلِي عَنْ أَرْضِ مِصـْرَ وَقُطْبِهَا ... هَـذَا سُـؤَالٌ طَـالَمَا أَعْـيَـانِي
فَبَذَلْتُ فِي هَذَا جَمِيعَ وَسَائِلِي ... وَقَضَيْتُ فِي البَحْثِ الدَّقِيقِ زَمَانِي
فَوَجَدْتُ فِي أَرْضِ الكِنَانَةِ مَطْلَبِي ... لَمَّا قَصَدْتُ العَارِفَ الرَّبَّانِي
الْأَزْهَرِيَّ الْقُطْبَ مُفْتِي دِيَارِهَا ... مُغْنِي اللَّبِيبِ وَوَارِثَ العَدْنَانِ
فَبِهِ نَجَتْ أَرْضُ الكِنَانَةِ مِنْ لَظَى ... وَبِـهِ تَهَـاوَتْ كِفَّةُ الشَّيْطَانِ
وَبِـهِ أَنَـارَ اللهُ دَرْبَ عِبَادِهِ ... وَأَبَـانَ نَهْجَ الفَوْزِ وَالرِضْوَانِ
أَعْنِي عَلِيّاً شَيْخَ كُلِّ شُيُوخِهَا ... نُـورٌ لِدِينِ السَّالِكِ الحَـيْرَانِ
نُورٌ لِدِينِ الدَّارِسِينَ شَرِيعَةً ... شَمْسُ الحَقِيقَةِ صَاحِبُ البُرْهَانِ
نـورٌ أَفَـادَ الطَّالِبِينَ بِعِلْمِهِ ... فَغَدَوا جُنُودَ الحَقِّ وَالفُرْقَانِ
يَتَتَبَّعُـونَ عُلُومَـهُ وَسُـلُوكَهُ ... بِمَجَالِسِ الأَذْكَـارِ وَالعِرْفَانِ
فَإِذَا تَحَدَّثَ فَالْحَدِيثُ جَوَاهِرٌ ... مِـنْ سُنَّةِ المُخْتَارِ وَالـقُـرْآنِ
يَنْسَابُ عَذْباً كَالنَّسِيمِ حَدِيثُهُ ... يَشْفِي فُؤَادَكَ مِنْ أَسَى الْأَحْزَانِ
وَيَشِعُ نُـوراً كَالنُّجُومِ كَلَامُهُ ... فَيُضِـيءُ قَلْبَ السَّامِعِ الوَلْهَانِ
شَيْخٌ جَلِيلٌ وَالْـوَقَـارُ لِبَاسُهُ ... وَعِـمَـامَـةٌ تَعْلُو عَلَى التِّيجَانِ
تَكْسُوهُ مِنْ شَرَفِ الوِلَايَةِ هَيْبَةٌ ... وَغَـزِيـرُ عِلْمٍ مُنْفِقٌ بِتَفَانِي
عِلْـمٌ وَحِلْـمٌ شَـأْنُهُ وَتَوَاضُـعٌ ... يَعْلُو عَلَى الأَصْحَابِ وَالْأَقْرَانِ

يَا سَيِّدِي يَا ابْنَ الْكِرَامِ تَحِيَّةً ... يَا نُورَ دِينٍ طَاهِرَ الوُجْدَانِ
بِكُمُ الطَّرِيقَةُ أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهَا ... وَغَـدَتْ مَحَافِلُهَا بِكُلِّ مَكَانِ
يَا شَـاذِلِيَّ الوَقْتِ أَنْتَ إِمَامُهَا ... بَـدْرٌ تَعَالَى فِي سَـمَا الأَكْـوَانِ
طُوبَى لِعَبْدٍ فَازَ مِنْكَ بِنَظْرَةٍ ... يَحْظَى بِهَا بِالرَّوْحِ وَالرَّيْحَانِ

قصيدة لفضيلة الشيخ عبد الرحيم محمد العزازي «شيخ الطريق العزازية عضو المجلس الصوفي الأعلى»

الله أكـبر جـاء الخـير بالدار ... دار الهـدي والـسر والأنـوار
أهدي السلام إليكم عاطرًا نضرًا ... لحنا طروبًا على أنغام أوتاري
أدعـوا الإلـه لنا حبًا يؤلفنا ... كم وحدا لحب من صحب وأنصار
توحدت في سبيل الله شرعتنا ... حتى غدونا دعاة أهل إيثار
إن الشيوخ هداة أنجم سطعت ... تهدي الحيارى بنور الواحد الباري
هم الهـداة هم الأنـوار لامعة ... حماهموا الله من زيف وأوزار
هم الزهور شذاها طيب عبق ... مسكا يفوح بأروع الأعطار
فكلنا أهـل تهذيب ومرحمة ... وكلنا أهل أنساب لأطهار
من آل بيت رسول الله منبتنا ... ومن سلالته من نبع أخيار
قيثارة الشعر غنت في محبتنا ... لحنا يوحدنا في هـذه الـدار
دار التصوف قد جئنا لنبنيها ... يا رب وفقنا في خير إعمار
مفتى الديار آتى ترسي قواعدها ... مرحى به بيننا نسمو بمقدار
سعد الشيوخ جميعًا عند مقدمه ... وتـعـانـقـوا فـرحـا بـزوار
بسيد الرسل يا رب توفقنا ... وتجـود بالخيرات كالأمطار
صلى الإلـه على طه وسيلتنا ... خـير الـبرايـا منبع الأنـوار

قصيدة للشهيد العلامة فضيلة الدكتور عماد عفت

عجز اللسان عن الثنا بفضلكم ... وهـو الـذي جربته سباقا
في كل ملحمة يصول بيانه ... هزم الكلام وقطع الأوراقـا
لكن فضلكم العميم وجدكم ... أعيا البليغ وأرهـق الحُذاقا
أتعبث أهل الجود بعدك اسم ... بلغو الإياس وأعلنوا الإشفاق
وكـانهـم يلهثون وراءكـم ... يرجزن سبقا : قيدوا أوثاقا
من ذا الـذي يرجو مكانك ... إنـه ثكلته أم لو أراد لحاقا
قل للحسود: ارفق بنفسك إنه ... رب عليم قسم الأرزاقـا
العلم والشرف الحسيب شعاركم ... ودثاركم طيب الخلاق طباقا
أزهـرت أزهرنا بعلم حكمة ... بلغا الـذرا يتعانقان عناقا
قم يا علي وأعل شأن شعوبنا ... فالكل يرقب وجهك البراقا
جـدد لهـا مجـدا تليدا دارسـا ... لا تخشى إلا الواحد الخلاقا
وانفض سنين العار وامح مذلة ... عـن أمـة وارفـع لهـا خفاقا
آن الأوان لعزنا وفخارنا ... ولكشف هم بالبلاد أحاقا
قد للسنا والفخر جندا عطلوا ... سـق للجنان أحبة عشاقا
يا ملة الإسـلام يهنيك العلي ... كحل العيون ونور الأحداقا

قصيدة لمعالي المستشار حسن الحفناوي

شهر الصيامِ بنورهِ يتجدَّدُ ... للعِلْم فيه والمواعظِ مَوْعِدُ
بركاتُهُ مَعْـروفـةٌ ، وسِـماتُـهُ ... بالخيْرِ والأنوار ليستْ تُجْحَدُ
فيه نرى العُلماءَ يسطعُ نورهمْ ... وإمامُهمْ قرآنُنا ، ومُحَـمّـدُ
ويَزينُهمْ مُفْتي الديارِ بعلمِهِ ... يسمو به خُلُقٌ ونبلٌ أمْجـدُ

هم كالكواكبِ تزْدهي بضيائها   أمّا (علِيٌّ) فهو بدرٌ أوحدُ
يزدان بالفقهِ العميق مُوَثَّقاً   مُتَفَتِّحٌ في فكرهِ مُتَسَدِّدُ
آراؤهُ في كُلِّ بحثٍ   وحديثُهُ في كلِّ أمْرٍ أرشدُ
مولايَ إنَّ الشرعَ أصبح عُهْدةٌ   وغَدَا بعلمِكَ في الورى يتجدَّدُ
أمْلى عليك أبو حنيفةَ علمَهُ   فَفَقِهْتَهُ صَفواً فلا يتبدَّدُ
وحنا عليك الشافعيُّ بفقْهِهِ   فنَهَلْتَ منه مَنْهلاً لا يَنفدُ
وَوَعِيتَ عِلمًا للحنابلةِ الأُلى   وغَذاكَ بالفقه المُؤَصَّلِ أحمدُ
وشربتَ من علمِ المُحَدِّثِ مالكٍ   عَلَمِ المدينة في المحافلِ يُحْمد
لو كانَ للنَّظَّام علمُك في الورى   ما كان عن سُبُل الهُدَى يتردَّدُ
أو كان عِلمُ أبي عليٍّ عَنْكمُ   ما كان في الفتوى يميلُ ويشردُ
أو مُدَّ يومًا لابن تيميةَ المدَى   فرآك لم يعْرفْ خلافًا يُبْعِدُ
شَرَّفْتَ مَنْصِبَك الشريفَ بقوةٍ   الرأيِ لا تُغْضي ولا تَتَشدَّدُ
أعطاك ربُّ العالمين فصاحةُ   وبَلاغَةً ، أنت بها مُتَفَرِّدُ
فإذا تمثَّلتِ الفصاحةُ صورةً   هُرِعَتْ إلى المُفْتيِ تَحِنُّ وتسْجُدُ
فإذا اعتلى هامَ المنابرِ خاطبا   وسَمِعْتَهُ، خِلتَ المكانَ يُرَدِّدُ
وإذا تكلَّمَ في المحافلِ كِلْمَةً   لَحَسِبْتَهُ يشْدو بها ويُغَرِّدُ
لا زِلْتَ وِرداً للشريعةِ والهُدى   ومَلاذَها تَأْوِي إليكَ وتخْلُدُ
والشكرَ نزجيه لفضل سفيرنا   جَمَعَ الأحبَّةَ ، فضله لا يُكْنَدُ
وسألتُ ربي أن يُبارك خَطْوَهُ   وتحوطَهُ آيُ الهُدى والسُّؤْدَدُ

قصيدة لفضيلة الشيخ محمد حامد أبو مسلم «الواعظ بالجمعية الشرعية»

فضيلة الشيخ الجليل علي جمعة//السلام عليك من الله والرحمة
يا مفتي الديار يا صادق الكلمة//أخلصت العمل فنطقت بالحكمة

مفتي وخطيب وعالم ذلك همه//تقول قول الحق لصالح الأمة
مفتي هنا وهناك وبرئ من العلة//بالجبة والقفطان ومحافظ على العمة
الفتوى عندك من كتاب الله والسنة//النطق عندك سليم بكلام له معنى
عدل ونظيف وكمان طاهر الذمة//ولا عندك عمارة ولاطين ولا ترعة
أستاذ فضيلة وخالي من العيبة//امشي في طريقك واصبر على الجهلة
مفيش مصلح بعيد عن الأذى يا ولد جمعة// سيدك محمد صبر ولم يشكو ولا مرة
وكان يدعو لقومه لأنه كان رحمة//اصبر يا مفتي الديار وحافظ على العمة
واجهر بقول الحق واحذر الآخرة//وعلم أهل الهوى الخريج من الجامعة
اللي عمل صحفي لتجارة الكلمة//قاعد يكتب لكي يبحث عن الشهرة
ولا يعرف حلال ولا حرام وهمه// في السمعة يا مفتي الديار يا إمام يوم الجمعة
احذر انت مسئول عن منكرات الأمة//يوم القيامة من ينفعك وانت في الزحمة
لكن الأمل في الله كبير هو واسع الرحمة//يشفّع فينا محمد لكي ندخل الجنة
يا مفتي الديار ادعو الله لي مرة في الجمعة// لأني جارك والجار في الفقه أولى بالشفعة
وفقك الله وأعانك يا ولد جمعة//ونور قلبك وأعانك من كل شيطان وهامة

قصيدة للدكتورة حورية البدري «عضو اتحاد الكتاب المصريين»

مُهداة إلى فضيلة الدكتور علي جمعة

وجئت إلينا على رأس حقبة هذا الزمان
عليٌ .. أبيٌ .. كريمٌ .. حكيمٌ .. نفيس البيان
إذا ما تفكّرت ؛ تهمي إليك قطوف المعاني
بفكر سديد ذكي ونَبْض رشيد الجنان
فبوركت ظلاً بقيظ وترياق ليس بفان

كموج يسابق موج إلى نور قُدس تدانى

فكيف تغيب الفتوحات عَمّن يرى الرضوان ؟!

وكيف تغيب الفيوضات عن صُحبة الرحمن ؟!

لفضيلتكــم جُــل تقديــري واحترامــي

قصيدة لفضيلة الدكتور عبد الرحيم محمود زلط «عميد كلية آداب طنطا الأسبق»

سبحان منْ علمَ الإنسان حكمته ... وأرسل الهَدْيَ في القرآن نتلوهُ

ربٌ رءوفٌ كريمٌ لا شريك له ... قد وزَّعَ العفوَ في الآفاق نرجوهُ

وأرسلَ الرُّسل تترى كي تنيرَ لنا ... سبيلَ نور إذ الأجيالُ تخطوهُ

ونعمة قد حباها مصرَ في زمنٍ ... الحقُّ ضاعَ وبعضُ الناس سرقوهُ

إمـام تقوى وفتيا نستظلُّ به ... «عليّ جمعة» وفودُ القوم تحدوهُ

الرأيُ حيثُ كتابُ الله حكّمهُ ... فيما يقولُ منَ الآراءِ يتلوهُ

فلا خـداعَ و لا تسيسَ بغتيهُ ... القول فصلٌ وأهلُ العلم قالوهُ

ويعرفُ القدرَ للعلماءِ بجّلهُم ... ففيهِ بشرٌ منَ الرحمن يعلوه

قدأحسنَالقولَحينالوصفَدبّجهُ ... ينعي إلى الناس صوفيّ ويجلوهُ

« حسنٌ سعيدٌ وشناويّ» أسرتهُ ... في ذمة الله أهلُ الطرُق ذكروهُ

زميلُ عمري وصهري حين أندبهُ ... أجدهُ دومَا لشطر العدل يرسوهُ

إنْ قالوا عنهُ فقولُ المفتي أعلنهُ ... دراسة فيهِ نسبُ الشيخ ورثوهُ

مشى بسلسلةِ الأنسابِ متبعاً ... حتى إلى الهادي موصولٌ ومندوهُ

الصدق في رأيكم والعدلُ متقدٌ ... لا تخزننه مـع الأيــام تخبوهُ

أضيئوا للناس مصباحاً بظلمتهم ... يهدي إلى الحقِّ ليس الحق يعدوهُ

الناس في حيرةٍ والفكرُ شتّتهم ... جهلاءُ أمتنا للبغيِّ نـشروهُ
تقوّلوا عَـبْرَ أبـواق تشجّعُهُم ... لا للتصوّفِ كلّ الحق حذفوهُ
واللهُ أحبط ما يأتيهِ قولهُم ... هذا « ابنُ جمعة « للقرآن يعزوهُ
أدعـوكَ ربي بحفظٍ ثم تكرمه ... مع النبيينَ في الفردوس هنّوهُ
أتمِمْ له نعمة في الأرض تحفظهُ ... أنِر لهُ صفحة للسوءِ تمحوهُ
«عليٌّ» من عليةِ العلماء منزلة ... و« جمعة» نورُها القرانُ يشدوهُ
دامت حمايتكمْ للدين تحرُسُه ... وتنصح الناسَ بالإسنادِ تحدوه

المطلب الثامن

مواقفه

إنّ من الأسباب الرئيسية لتعلّق الناس بفضيلة الدكتور علي جمعة هو مواقفه الصلبة الفعالة في الحياة والقضايا العامة التي تتعلق بالمجتمع سواء أكانت سياسية، أم اجتماعية، أم اقتصادية، أم علمية؛ لأنّ فضيلته كان يتخذ من كل قضية موقفًا، وتمتزج شخصيته كلها بهذا الموقف، ويودع في الدفاع عن ذلك الموقف كل ما آتاه الله من قوة حجة، وسهولة عرض وبيان، وقلم مبدع لا يخشى في الله لومة لائم؛ لذلك سوف أتناول في هذا المطلب الحديث عن بعض مواقف فضيلة الدكتور علي جمعة من عدد من القضايا التي شغلت أذهان الناس في الآونة الأخيرة، وفيما يلي بيان ذلك :

أولاً. موقفه من القضية الفلسطينية

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أن القدس بمسجده الأقصى وطرقها وأزقتها وتاريخها وحضارتها جزء من تاريخ الإسلام والمسلمين وحضارتهم المنتشرة في العالم العربي والإسلامي، وأن اليهود قد اغتصبوها بغير حق، وأنه لا بد من المطالبة بهذه الحقوق، وكثيرًا ما كان يدعو للقدس وفلسطين في ختام دروسه بالأزهر الشريف وفي مسجد السلطان حسن وفي المحافل المحلية والعالمية، وكثيرًا أيضًا ما شارك الدكتور علي جمعة في المحافل الدولية التي تتعلق بقضية القدس وقضية فلسطين.

واهتم فضيلة الدكتور علي جمعة أيضًا بنشر الوعي بين الناس في هذه القضية، بل وقام بذلك بنفسه، حيث قام بكتابة بعض المقالات المتعلقة بالقضية الفلسطينية ببعض الجرائد واسعة الانتشار، وأكد عليها في برامجه ولقاءاته التلفزيونية[1].

(١) انظر: سلسلة مقالات بعنوان:«القدس في الحضارة الإسلامية ١ـ ١٠» لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

ليس هذا فحسب بل قام الشيخ بزيارة القدس ميدانيًّا؛ ليكون تأكيدًا عمليًّا على أنّ القدس حق من حقوق المسلمين، وجزء من تاريخها وحضارتها، وقد تنكب لذلك بعض الجماعات المنحطة ورأوا أنّ ذلك تطبيعًا، ولكن الشيخ لم يعبأ بهم، بل رأى ذلك من واجب الوقت.

ثانيًا موقفه من الشيعة

دائمًا ما يؤكد فضيلة الدكتور علي جمعة على أن الشيعة فرقة من فرق المسلمين، بل إنّ بعض فرقهم -كالزيدية- أقرب إلى أهل السنة من غيرهم.

إلا أنه يرى أيضًا أنه لا يصح أن يشيع التشيع في غير بلاده الأصلية، ولا يرغب أن يشيع التشيع في مصر، وأنّ ذلك من بوادر الانقسام بين أهل البلد، ومن مسببات الإحن والمحن والقتال.

ويرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ الخلاف بين أهل السنة والشيعة – وخاصة الإمامية- يدور على أمور خمسة[1] وهي:

١-عقيدة البداءة، فقد ذكروها في كتبهم، إلا أن أهل السنة لا يقبلونها، وهي تعني عندهم أن الله -جل شأنه- قد بدا له شيء فغير ما كان من أمره الأول.

وهو كلام مرفوض عند أهل السنة، فالله -عز وجل- علام الغيوب، وهو سبحانه قد كشف له الغيب انكشافًا تامًّا، يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

٢-تحريف القرآن، وقد استعملت هكذا «تحريف القرآن» في كتب الأقدمين منهم، ويقصدون به أن ما وصل إلينا من القرآن ناقص.

(١) ذكرها في إحدى محاضراته المهمة، والتي أقامها مجمع البحوث الإسلامية، بقاعة الإمام محمد عبده بجامعة الأزهر بالقاهرة، بتاريخ: ٢٣ ذي القعدة ١٤٣٣هـ.

ولا شك أن أهل السنة لا يقبلون بمثل هذا الكلام، بل إن بعض المحدثين منهم يرى أن هذا الكلام مرفوض ولا ينبغي تكراره، وقد وقف الأستاذ الدكتور على بعض الكتب التي ألفها بعضٌ من كبار مراجعهم في بيان تحريف القرآن، والتي أثبت فيها هذا الكلام.

٣-سب الصحابة، وقد حاول بعض المحدثين من الشيعة بيان أن هذا ليس سوى انتقادًا، لكن يؤكد فضيلة الدكتور علي جمعة أن هذا السب موجود في كتابات كبارهم مثل كتاب «بحار الأنوار» والتي ذكر أنهم أسقطوا في طبعاتها المتأخرة بعض أجزائها التي تتعلق بسب الصحابة رضي الله عنهم.

٤-التقية، وهي أن تُظهر للناس ما لا تؤمن به، بل يصل الأمر عندهم إلى الكذب، ومحاولة مداراة عقيدتهم بشتى أنواع السبل، وهو أمر لا شك غير مقبول.

٥- العصمة، وهي تتعلق بأئمتهم الاثني عشر.

ومعلوم أنّ أهل السنة يعظمون أهل البيت، ويرون أنهم محفوظون بحفظ الله لهم، لكن هناك فرق كبير بين العصمة والحفظ، لكنهم يرون لهم العصمة، بل ويرون أنهم مصدر للتشريع. وهذا كلام غريب لا يقبل به أهل السنة أصلًا.

هذا هو موقف فضيلة الدكتور علي جمعة من الشيعة والخلاف الذي بينهم وبين أهل السنة، وذكر أنه قد كانت هناك محاولة للتقارب بين أهل السنة وأهل الشيعة، في عشرينيات القرن الماضي، وقد قادها من أهل السنة بعض كبار علماء الأزهر، ويرى أنه لا بد من حل هذه النقاط الخمسة أولًا.

ثالثًا موقفه من المتشددين

لعل مواجهة فضيلة الدكتور علي جمعة للمتشددين من أهم القضايا التي اعتنى بها في حياته، وقد تسبب ذلك في قيام هذه الجماعات المتشددة بتشويه صورته تارة،

ومحاولة اغتياله تارة أخرى، بل إنني كلما رأيتُ مواقف الشيخ نحو هؤلاء المتشددين تذكرتُ الإمام الهروي صاحب منازل السائرين ـ؛ حيث قال عنه الحافظ أبو النضر الفامي: « كان شيخ الإسلام أبو إسماعيل بِكْر الزمان، وواسطة عقد المعاني، وصورة الإقبال في فنون الفضائل وأنواع المحاسن، منها نصرة الدين والسنة، من غير مداهنة ولا مراقبة لسلطان ولا وزير، وقد قاسى بذلك قصد الحساد في كل وقت، وسعوا في رُوحه مرارًا وعمدوا إلى إهلاكه أطوارًا، فوقاه الله شرهم، وجعل قصدهم أقوى سبب لارتفاع شأنه »، قلت: وكأني به يصف فضيلة الدكتور علي جمعة – حفظه الله ورعاه ، وما كان من فضيلة الدكتور علي جمعة إلا أنه قابل ذلك بما لا يفعله إلا المخلصون، فإنه قد قال لنا مرة –عندما سُئل عن ذلك–: إني قد تصدقت بعِرضي في سبيل الله.

وقد كان سبب هذا الاهتمام ظهور الجماعة الإسلامية، وجماعة التكفير والهجرة، وخطورة هذه الجماعات على الدين والمجتمع معًا، فقد شوَّهوا صورة الدين التي عرفها الناس، وقاموا بعمليات تفجير كبيرة في البلاد، ثم ظهور جماعة الإخوان وتحولها إلى الإرهاب، كما يوضح ذلك في كتابه «حكاية الإرهاب».

ولعل من أهم الكتب التي ألفها الشيخ في ذلك كتاب «المتشددون» وقد كان له وقع كبير على هذه الجماعات، فقد قاموا بشراء جميع نسخه من السوق في أول صدور؛ لما رأوا من أثره الكبير في مواجهتهم وبيان أصولهم الخبيثة.

وكثيرًا ما كان يصف الدكتور علي جمعة هذه الجماعات بأنهم خوارج، وأنهم كلاب النار، ووقف مع قواتنا المسلحة في حربها ضد الإرهاب، ولم يكن ذلك منه إلا اتباعًا لسنة سيدنا رسول الله ﷺ وكلامه كما جاء في الحديث: «طوبى لمن قتلهم وقتلوه».

وقام الشيخ في سبيل ذلك بنشر التصوف الرشيد بين شباب الأمة، ويرى أنه الحل الأمثل للخروج من براثن هذه الجماعات، وحماية الشباب من خطرها.

رابعًا موقفه من المتطاولين على السنة النبوية المطهرة

وقف فضيلة الدكتور علي جمعة في وجه المتطاولين على السنة النبوية المطهرة، وناقشهم دفاعًا عن المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وهؤلاء ليسوا صنفًا واحدًا؛ بل منهم من قال بثبوت السنة وأنكر حجيتها، ومنهم من أنكر ثبوتها وحجيتها ويزعم أنّ القرآن هو المصدر الوحيد للتشريع، ومنهم من افتقد منهج التعامل مع السنة النبوية المطهرة فوقع في لغط وغلط كبير.

فمن هنا رأى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ كل ما يثار حول السنة النبوية يتلخص في مسائل ثلاث :

المسألة الأولي : حجية السنة . والمسألة الثانية: ثبوت السنة، والمسألة الثالثة: فهم السنة .

وهذه المسائل الثلاث يخلط بينها كثير من الناس ، فحجية السنة لم يرد عالم من علماء المسلمين سلفًا وخلفًا على مر الأعصار أنْ أنكرها لأنّ معني إنكارها بالكلية أنه ينكر البيان القرآني وأنه ينكر ما يصل بنا إلي عدم وضوح الدين بل ولفقد الدين لمعناه.

ثم بيّن فضيلته أنّ معتقد المسلمين على مر العصور والدهور هو:

أن السنة هي المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله، والبعْدية هنا في الفضل، أما في الاحتجاج فحجية السنة كحجية الكتاب، وإفادة العلم بأن ذلك صدر من الشارع طالما أنه قد تواتر، أما الآحاد فله حجية التشريع إن صح ولم يعارض المتواتر من السنة والقرآن وأصول الشريعة، ولكنه مع ذلك يفيد الظن ولقد دل القرآن الكريم، والسنة النبوية نفسها، والإجماع على أن السنة مصدر أساسي في التشريع الإسلامي(١).

ففي القرآن الكريم كثير من الآيات التي تؤكد على حجية سنة النبي ﷺ في التشريع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ

---

(١) انظر: مقال بعنوان: « حجية السنة النبوية»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل :٤٤]، وفي هذه الآية دليل على أن السنة النبوية وحي من الله تعالى، وقد سماها ربنا الذكر، وطالما أن السنة النبوية هي الذكر الذي أنزله الله على نبيه ﷺ ليبين للناس ما نزل إليهم فإنه قد حفظها كما أخبر – سبحانه – بذلك في قوله – تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر :٩]، وفيها دليل على حفظها بما ألهم الله أتباعه من توثيقها وابتكار العلوم التي حفظتها إلى يومنا هذا.

ومن الآيات التي تؤكد على حجية السنة قوله سبحانه: ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَّ ﴾ [النساء :٨٠]، وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ [الحشر :٧]، ومنها قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُّ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُّبِينًا﴾[الأحزاب :٣٦]. وقوله تعالى: ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء :٦٥]، وقوله سبحانه: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾ [الأعراف :١٥٧]. فدلت تلك الآيات على حجية كلام النبي وفعله، وضرورة الالتزام به، لأنه صدر من الوحي، ونفس المشكاة التي صدر منها القرآن الكريم.

وقد دلت الأحاديث النبوية على حجيتها من ذلك قول النبي ﷺ: « أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ »[(١)] ، فقد أخبر النبي ﷺ على أن ما يقوله من السنة هو مثل القرآن في الاحتجاج به، ويؤكد ذلك المعنى قوله ﷺ : « يُوشِكُ أَحَدُكُمْ أَنْ يُكَذِّبَنِي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ يُحَدِّثُ بِحَدِيثِي ، فَيَقُولُ : بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ الله ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلاَلٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ ، أَلاَ وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللهُّ »[(٢)] ، فينعي ﷺ على هذه الصورة التي تريد هدم الدين بحجة التمسك بالقرآن وحده، ويحذر من هذا المسلك منذ بداية الأمر.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٧١٧٤) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٧٣٢٦) .

أما الإجماع فقد أجمعت الأمة على حجية السنة، وتتبعنا آثار السلف ابتداء من عهد الخلفاء الراشدين فمن بعدهم، ولا يعلم مخالف في ذلك من المسلمين على الإطلاق. وفي سلم الوصول: «الإجماع العملي من عهد الرسول إلى يومنا هذا على اعتبار السنة دليلا تستمد منه الأحكام، فإن المسلمين في جميع العصور استدلوا على الأحكام الشرعية بما صح من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يختلفوا في وجوب العمل بما ورد في السنة»

مما سبق يتبين وجوب الاحتجاج بالسنة والعمل بها، فالمستغني عنها هو مستغنٍ في الحقيقة عن القرآن، وأن طاعة الرسول ﷺ هي طاعة لله وعصيانه عصيان لله تعالى، وأن العصمة من الانحراف والضلال إنما يتحقق بالتمسك بالقرآن والسنة جميعًا.

وقد تناول فضيلة الدكتورعلي جمعة الحديث عن المسائل الثلاث التي يدور عليها كل ما يثار حول السنة النبوية المطهرة في عدة محاضرات، وبعض المقالات؛ ليبين موقفه نحو هؤلاء المتطاولين[١]:

المسألة الأولى : حجية السنة في التشريع؛ يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنه لم ينكر أحد من المسلمين حجية السنة «بالكلية» عبر العصور سوى شخص واحد يدعى محمد نجيب كان رئيسًا لهيئة التليفونات المصرية، في الستينيات من القرن الماضي، وقد باع ٤٠ فدانًا وأنفقها على طباعة ٢٠ كتابًا حاول فيها أنْ يقدم الإسلام من خلال القرآن الكريم فقط، فانتهى إلى «هذيان» مثل أنّ الصلاة عشر ركعات وليست خمسًا، وأنّ السجود قبل الركوع ...إلخ. هذه الأقوال التي اعتبرها علماء المسلمين عند صدورها مهاترات لا ترقى إلى المناقشة، كما أكد فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ إنكار السنة النبوية «بالكلية» أمر يؤدي إلى السذاجة والسفالة، فينبغي علينا أنْ نعرف وأنْ نتأكد أنّ إنكار

(١) محاضرة لفضيلة الدكتور علي جمعة بعنوان :«السنة النبوية وضوابطها» ألقاها عام ١٩٩٣ بالمعهد العالي للفكر الإسلامي .

السنة النبوية سيؤدي بنا إلى طريق مظلم وإلى دين آخر غير دين الإسلام .

المسألة الثانية : ثبوت السنة؛ وضح فضيلة الدكتور علي جمعة موقفه من هذه المسألة حيث قال : قد وضع العلماء ضوابط للتأكد من ثبوت الحديث النبوي من حيث الرواية والمتن، وإن كان الأئمة قد اختلفوا حول الحديث الضعيف، فبعضهم رفضه رفضًا قاطعًا، وبعضهم أخذ به في الترغيب والترهيب، فقضية الثبوت عند فضيلة الدكتور علي جمعة تقتضي فهم العلوم التي وضِعت وابتُكرت من أجل هذه القضية على غير مثال سابق(١) .

المسألة الثالثة: فهم السنة ؛ وهنا قد حذّر فضيلة الدكتور علي جمعة من ثلاث آفات في التعامل مع السنة المطهرة وهى: التحريف، والانتحال؛ أي: ابتداع ما لم يقله الرسول ﷺ سواء أمرًا أو نهيًا، والتأويل؛أي: ليّ النصوص عن مقصدها.

من هنا حذَّر فضيلة الدكتور علي جمعة هؤلاء المتطاولين على السنة النبوية والمتنصلين منها، مما يذهبون إليه من محاولات لاستنباط الأحكام، دون وعي والتفات منهم للمبادئ التي لا بد أن تُراعى عند فهم السنة النبوة والتعامل معها، ومن أهم هذه المبادئ :

١ـ الاستيثاق من ثبوت الحديث، وذلك من خلال الاحتكام إلى القواعد التي وضعها علماء الحديث في هذا الصدد .

٢ـ حسن فهم النص: وذلك من خلال القراءة الدقيقة والمتانية للنص .

٣ـ التأكد من عدم تعارض نص الحديث مع ما هو أقوى منه من النصوص سواء كانت آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أخرى (٢).

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

المبحث الثاني

المسيرة العملية لفضيلة الدكتور علي جمعة

إنّ مسيرة فضيلة الدكتور علي جمعة « العملية» تُعدُّ مشروعًا تجديديًا معاصرًا؛ حيث خاض فضيلته قضايا عصره بعقلية الإمام المجدد، ذلك لما توافر له من رؤية تجديدية، وملكات علمية، تلقها عن مشايخه بالأسانيد المتصلة، فمكنته صحبة الأكابر من العلماء في التعرف على أمراض المجتمع ومشاكله الداخلية والخارجية، بنفس المستوى الذي خاضت به مدرسة التجديد والإحياء مواجهة القضايا عبر العصور؛ لذلك سوف أتناول في هذا المبحث الحديث عن الوظائف التي شغلها فضيلة الدكتور علي جمعة، وعن مدرسته التي أسسها؛ لتكون امتدادًا لمدرسة الإحياء والتجديد، تلك المدرسة التي تقرأ النقل بالعقل، وتحكم العقل بالنقل، وسيكون هذا بمشيئة الله تعالى في مطالبين، وهما:

المطلب الأول : وظائفه .

المطلب الثاني : مدرسته وتلاميذه .

وفيما يلي بيان ذلك :

المطلب الأول

وظائفه

الوظائف جمع «وظيفة» وهي تطلق في اللغة على ما يقدر للإنسان من مال يسدُّ به حاجته، وكذلك أُطلقت هذه الكلمة على ألسنة الصحابة والفقهاء السابقين، فيقال: « لفلان وظيفة في بيت المال إذا كان له عطاء مقدر مستمر منتظم».

والوظيفة في نظر فضيلة الدكتور علي جمعة تُعدُّ تكليفًا وقربة إلى الله تعالى، وليستْ مغنمًا يغنمه، ومتعة يستمتع بها، وقد شغل فضيلة الدكتور علي جمعة عدة وظائف كلها ذات علاقة بالعلم والثقافة ونشر الوعي والفكر المستنير، وخدمة المجتمع.

ومن هذه الوظائف التي شغلها فضيلته: التدريس الجامعي، وعضوية لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، وعضوية المجامع الفقهية، وتوليه منصب الإفتاء، وعضوية هيئة كبار العلماء، ورئاسة مجلس أمناء مؤسسة مصر الخير، وعضوية المجلس الأعلى لمكافحة الإرهاب، وفيما يلي بيان ذلك:

أولًا. التدريس الجامعي :

إذا كانت الجامعة في كل مجتمع هي مركز إشعاع الأخلاق والقيم الروحية، وكل جديد من الفكر والمعرفة، والمنبر الذي تنطلق منه آراء المفكرين والعلماء ورواد الإصلاح والتطوير؛ فإنّ التدريس الجامعي هو عملية معايشة يومية بين الأستاذ الجامعي وطلابه، تهدف هذه العملية إلى بث روح البحث العلمي والتمحيص، وأساليب العلم والتغذية العصرية، ونشر أخلاق العلم والعلماء، وتأصيل القيم والمبادئ التي تحكم العمل الجامعي، وإعداد الكفاءات البشرية المطلوبة كسد حاجات المجتمع .

وهذا يتطلب أستاذًا جامعيًا متمكنًا في مجال تخصصه، ويطلع على كل جديد

فيه، ولديه مهارةُ التحدث، وله سمات شخصية فريدة من الإيمان بعقيدته، والانتظام في مواعيده، والثقة بنفسه، والتعاون مع الآخرين، وتقبل آرائهم، والإصرار على البحث العلمي ، وعنده القدرة على الإسهام بفاعلية في الأنشطة الثقافية والاجتماعية ، فهو يعي ما يدور حوله من أمور ومشكلات، ويسهم في حلها، وهو يشارك زملاءه وطلابه الأنشطة المختلفة .

ولما كان فضيلة الدكتور علي جمعة مؤهلًا للقيام بهذه الوظيفة بكل كفاءة واقتدار، تم تعينه في عام «١٩٨٥م » للقيام بمهمة تدريس «علم أصول الفقه» بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة جامعة الأزهر.

ثانيًا عضوية لجنة الفتوى بالأزهر الشريف :

في عام «١٩٩٥م » أصدر الإمام الأكبر فضيلة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر قرارًا بتعيين فضيلة الدكتور علي جمعة، عضوًا بـــ «لجنة الفتوى بالأزهر الشريف»، وكان ذلك بطلب من رئيس اللجنة آنذاك، فضيلة الشيخ عطية صقر -رحمه الله- وطلب أعضائها: الشيخ عبد الرازق ناصر، والشيخ الحملي، وغيرهم، فكان الدكتور علي جمعة أصغر عضو باللجنة، وظل فضيلته بها حتى عام «١٩٩٧م ».

وما كان ذلك القرار من الإمام الأكبر، وذاك الطلب من الشيخ عطية صقر؛ إلا لثقتهما في علم فضيلة الدكتور علي جمعة وتمكنه في علم الإفتاء .

ثالثًا عضوية مجمع البحوث الإسلامية :

مجمع البحوث الإسلامية هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية، وتقوم بالدراسة في كل ما يتصل بهذه البحوث، وتعمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب وآثار التعصب السياسي والمذهبي، وتجليتها في جوهرها الأصيل الخالص، وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفي كل بيئة، وبيان الرأي فيما يَجِدُّ من

مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتعلق بالعقيدة، وحمل تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وتحدد اللائحة التنفيذية للقانون الصادر بشأن المجمع، واجبات مجمع البحوث الإسلامية بالتفصيل الذي يساعد على تحقيق الغرض من إنشائه، ومجمع البحوث الإسلامية يؤدي رسالته في إطار الرسالة الشاملة للأزهر الشريف من خلال مجلسه ولجانه وإداراته المتعددة .

ويتألف من عدد لا يزيد على خمسين عضوًا من كبار علماء الإسلام، يمثلون جميع المذاهب الإسلامية، ويكون من بينهم عدد لا يزيد على العشرين من غير مواطني جمهورية مصر العربية، وهذا يجعل لمجلس المجمع ميزة عالمية التشكيل التي تجعل له المرجعية فيما يتعلق بالبحوث الإسلامية.

وقد عُين فضيلة الدكتور علي جمعة عضوًا بمجمع البحوث الإسلامية عام «٢٠٠٤ م» حتى الآن .

رابعًا توليه منصب الإفتاء:

إنّ مسيرة الإفتاء في مصر ثرية بقدر ثرائها الحضاري الممتد منذ القدم، منذ نزلها صحابة رسول الله ﷺ، ونشروا فيها علومهم المستقاة من مدرسة النبوة، ثم استمر العلم فيها يضرب بأطنابه حتى نشأت أكبر جامعة إسلامية عرفها المسلمون بالجامع الأزهر الشريف. وما زالت مدرسة الفتوى في مصر تخرج أئمة الفقه وتتطور عبر القرون من مذهب لكل مفتٍ، ثم إلى مفتٍ لعموم الديار المصرية حتى استقرت بشكلها المؤسسي الذي انتهت إليه الآن كطليعة للمؤسسات الدينية المعنية بالإفتاء على مستوى العالم الإسلامي والأكثر تعبيرًا عن حقيقة المنهج الوسطي لعلماء المسلمين الجامع بين أصالة التراث وحضارة العصر.

وقد تم تعين فضيلة الدكتور علي جمعة مفتيًا للديار المصرية عام«٢٠٠٣ م » وحتى عام « ٢٠١٣م»، وقد شهدت دار الإفتاء في عصر فضيلته نهضة غير مسبوقة، وسيأتي بمشيئة الله تعالى الحديث عن هذا الأمر بالتفصيل في الفصل الرابع .

خامسًا عضوية هيئة كبار العلماء :

هيئة كبار علماء الأزهر هي أعلى مرجعية دينية تابعة للأزهر الشريف بمصر، أنشئت عام «١٩١١م» في عهد مشيخة الشيخ سليم البشري، ثم تم حلها عام«١٩٦١م» في عهد الرئيس جمال عبد الناصر، وأعيد إحياؤها عام«٢٠١٢م» في عهد شيخ الأزهر أحمد الطيب، ففي هذا العام تم اختيار فضيلة الدكتور علي جمعة عضوًا بهيئة كبار العلماء.

المطلب الثاني

مدرسته وتلاميذه

ظل الأزهر عبر القرون منارة للعلم ينقله غضًا طريًا من جيل إلى جيل حتى مدحه شوقي في قصيدته العصماء وهو يفتتحها بقوله:

قم في فم الدنيا وحيي الأزهرا   وانثر على سمع الزمان الجوهرا

وخاطب الأزهر مبجلاً له في تلك القصيدة، حيث قال:

يا مَعهَدًا أَفنى القُرونَ جِدارُهُ   وَطَوى اللَيالِيَ رَكنُهُ وَالأَعصُرا

وَمَشى عَلى يَبَسِ المَشارِقِ نورُهُ   وَأَضاءَ أَبيَضَ لُجِّها وَالأَحمَرا

قد أحيا الله تعالى بفضيلة الدكتور علي جمعة «العلم وحلقاته» في الأزهر الشريف بعد طول موات، فعادت تقرأ فيه عيون الكتب حديثًا، وفقهًا، وأصولًا، وعربية، ومعقولًا على عدد من العلماء كان قد انقطع منذ زمن.

فإنّ تعدد جوانب العطاء عند فضيلة الدكتور علي جمعة لم تقتصر على القراءة والكتابة والبحث العلمي، بل امتدت إلى التدريس، فتراه يبدأ التدريس في الحوزة الأزهرية عام«١٩٩٨م » فكان فضيلته على موعد مع إنشاء مدرسة تمتد جذورها إلى مئات السنين.

فقد أحيا الله بفضيلة الدكتور علي جمعة ما اندثر من مأثر الأكابر من علماء الأزهر الشريف على مر العصور وكر الدهور، فقرأ فضيلته عيون كتب التراث، وقام بربطها بقضايا العصر، كما اهتم فضيلته ببناء العقلية الناقدة العصرية التي تنظر في النصوص فتفهمها بقواعد ومناهج رصينة، وتنظر إلى الواقع فتدركه، وتتربى لديها الملكة بكيفية الوصل بين هذا المطلق وذلك النسبي بما يحقق المقاصد العليا والمصالح المرعية الشرعية.

نعم قد أبهرت هذه المدرسة العقول لما قدّمته في ميدان العلم والعمل؛ لأنها مدرسة تجمع بين الأصالة والمعاصرة، مدرسة تقرأ النقل بالعقل، وتحكم العقل بالنقل؛ لذا سوف أتناول الحديث في هذا المطلب عن المدرسة التي أسسها فضيلة الدكتور علي جمعة في نهاية الألفية الثانية، وعن منهج هذه المدرسة، والنهضة العلمية التي أحدثتها ،وتلاميذ هذه المدرسة وفيما يلي بيان ذلك :

أولاً : إنشاء المدرسة

يقول فضيلة الدكتور علي جمعة : «إنّ مع كل تطور للأزهر كان هناك شوق كامن للعصر السابق، وكان كل تطور لمناسبة العصر ولتحقيق مهمة الأزهر وكان الشوق للمنهج القديم لعظمته وشدة إبهاره، ولقد بدأ التطوير منذ زمن ليس بالقريب، بدأ من الشيخ حسن العطار الذي كان له موقف واضح من الحملة الفرنسية، ورأى أنّ هناك نقطة فارقة على وشك الحدوث بين الشرق والغرب سيتفوق فيها الغرب على الشرق، فأنشأ حوزة أزهرية يحاول فيها معرفة هذا الأمر وكيف سنتعامل مع تراثنا ومع واقعنا الجديد، وأرسل تلميذه رفاعه رافع الطهطاوي إلى باريس مع البعثات العلمية التي أرسلها محمد علي باشا، وأمره أن يكتب له عن كل شيء عن الطعام، والشراب والملابس والعادات والتقاليد والآراء والمفاهيم، فكتب له ما صار بعد ذلك «الإبريز في محاسن باريز»[(١)].

تمر الأيام والسنون ويشتاق العلماء إلى الأزهر القديم، فتم افتتاح كلية «الدراسات الإسلامية والعربية» في الجامع الأزهر، وظلت تدرس الكتب القديمة والمناهج الرصينة في نفس المسجد على نظام الحلقات «التي انتهت بإنشاء مباني الكليات الثلاث الشرعية سنة« ١٩٣٦م».

---

(١) انظر: مقال بعنوان: «الحوزة الأزهرية»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

واستمرت كلية «الدراسات الإسلامية والعربية» كذلك حتى سنة «١٩٨٠م»؛ حيث انتقلت من المسجد إلى الحرم الجامعي؛ لتصبح في مبنى معهد القاهرة قديمًا، ورجع المسجد مرة أخرى من غير دروس كانت قائمة فيه، حتى رآه الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق أن يعود للأزهر بريقه التراثي، فأنشأ الدراسات الحرة بالجامع الأزهر والتي كانت تبدأ قبل العصر وجعل الدكتور محيي الدين الصافي عميد كلية أصول الدين حينئذٍ مشرفًا عليها والذي قام باختيار جماعة من العلماء للتدريس في هذه الدراسات وظلت تعمل حتى دخل مبنى الجامع الأزهر في دور التجديد والإصلاح ثم تم تجديده وافتتاحه عام «١٩٩٧م».

وفي شهر سبتمبر عام « ١٩٩٨م » كان الجامع الأزهر الشريف على موعد مع بداية عصر من أزهى عصوره؛ حيث قام فضيلة الدكتور علي جمعة في هذا العام بإعادة وإحياء المدرسة الأزهرية الأصيلة، وذلك بعد موافقة وزير الأوقاف فضيلة الدكتور محمود حمدي زقزوق، الذي منح فضيلة الدكتور علي جمعة تصريح الخطابة في مسجد السلطان حسن، والتدريس في الجامع الأزهر الشريف[١]، فأعاد الدكتور علي جمعة للأروقة الأزهرية بريقها، ولما لا وفضيلة الدكتور علي جمعة عنده من الاطلاع الواسع، والمعرفة التامة، والمكتبة الواسعة العامرة بغرائب المصنفات، وعجائب المؤلفات، وقد اطلع الشيخ عليها اطلاعًا تامًا، مع ما تهيأ له من مصادر المعرفة، والثقافة المتشعبة، والإلمام بالاقتصاد، والفكر المعاصر، والفلسفة، والمناهج الفكرية المختلفة، على نحو قلَّ أن يتهيأ أو يجتمع لأحد[٢].

---

(١) المصدر السابق .

(٢) انظر : «أسانيد المصريين» لفضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري، صـ٥٤٢ ، طبعة دار الفقيه الإمارات .

ثانيًا: التعريف بالمدرسة

سار فضيلة الدكتور علي جمعة في مدرسته العلمية على درب الأكابر من علماء الأزهر الشريف؛ فأحيا ما اندثر ممن مآثرهم، وقرأ ما قد أوشك على النسيان والضياع من مناهجهم، فأقرأ فضيلته صحيحي البخاري ومسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وموطأ مالك، وقطعة من سنن النسائي، والشفا للقاضي عياض، وتشنيف المسامع للزركشي على جمع الجوامع في أصول الفقه، وابن عقيل على الألفية في النحو، ومتن السلم للأخضري في علم المنطق، ومتن الخريدة في علم الكلام، والإقناع للخطيب الشربيني، والباجوري على حاشية ابن قاسم في فقه السادة الشافعية، والأشباه والنظائر للسيوطي، والتمهيد للإسنوي، وقطعة من الكشاف للزمخشري، وأقرأ غاية الوصول لشيخ الإسلام زكريا أكثر من مرة وغير ذلك كثير، كما كان له درس في مسجد السلطان حسن عقب صلاة الجمعة من كل أسبوع، فأقرأ فيه ابن قاسم على متن أبي شجاع ومتن الزبد لابن رسلان وغيرها.

والهدف من ذلك كله أنه يريد تخريج جيل يقوم بواجب وقته، فكان دائمًا يقول لأبنائه في هذه المدرسة:

«أنا لا أريدكم أن تحفظوا كلام الصحابة فقط، بل أريدكم أن تعيشوا عصركم كما عاش الصحابة في عصرهم، حتى تقوموا بواجب وقتكم كما قاموا بواجب وقتهم».

وفي هذا الصدد أترك فضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري يصف لنا كيف كانت مجالس هذه المدرسة، فيقول: «كان فضيلة الدكتور علي جمعة يأتي إلى الأزهر الشريف عقب الشروق بقليل، فيجلس نحوًا من ثلاث ساعات أو تزيد، فيلتحق طلاب العلم من الأقطار المختلفة، حتى يمتلئ بهم رواق الأتراك، وتوضع بين يديه في المجلس مبخرةٌ يفوح منها الطيب والبخور، فكأنّ المجلس روضة من رياض الجنة، ثم يشرع القارئ في قراءة مجلس الحديث، وبعده مجلس الأصول، وبعده حظ من

الفقه، وبعدها قراءات أخرى في فنون مختلفة، فتارة من الشفا للقاضي عياض، وتارة من الكشاف للزمخشري، والشيخ في كل ذلك يسمع، فإذا عرضت مسألة أو قضية أو مبحث، أو استشكل أحد شيئًا، شرع الشيخ في الكلام، فيأتي بالتدقيقات الباهرة، والفهوم الدقيقة، مُستعملًا الأدوات العلمية من أصول ومنطق ولغة، ثم إنه يأذن للطلبة بالسؤال والمباحثة، فلا تزال تنفتح البحوث والمسائل، ولربما شارك في النقاش غير واحد، والشيخ يرقب نقاشهم، ثم يعقب على الجميع، فيأتي بما لم يخطر لهم على بال، ولربما احتاج الأمر إلى اجتلاب النصوص من الحواشي والمطولات، فترى من سعة اطلاع الشيخ، ومعرفته بمظان المسائل العجب العجاب، والأعجب من ذلك كله أنه يتغلغل في المبحث العلمي الدقيق، فلا يزال به حتى ينزله على الفكر المعاصر، والنوازل المستجدة، فنتعلم منه كيف يدرس الواقع على ضوء القواعد، وله في ذلك التفرد الذي لا يلحقه فيه أحد من المعاصرين، ولا نحصي كم سمعناه يقول: أنا لا أريدكم أن تحفظوا كلام الصحابة فقط، بل أريدكم أن تعيشوا عصركم كما عاش الصحابة في عصرهم، حتى تقوموا بواجب وقتكم كما قاموا بواجب وقتهم»[١].

ثالثًا: إحياء المدرسة لمعالم المنهج الأزهري

قد أحيا الله تعالى بفضيلة الدكتور علي جمعة ومدرسته معالم المنهج الأزهري ، فقد قامت هذه المدرسة بحمل أمانة هذا الدين، فكتب الله تعالى لها القبول ، وتلقتها الأمة بالإقرار ، فصارت تلك المدرسة عينًا يرى بها المجتمع الأحداث و المناهج ، و تصدر الأمة من خلالها الرأي فيما يقبل و يرد، فقد أمدّت هذه المدرسة المجتمع بأئمة و علماء نشروا العلم والإيمان في ربوع أنحاء المحروسة، و حفظت لهم مصر المواقف الجليلة ، و سرت منهم أنوار العلم و المعرفة والهداية إلي الأمة كلها في المشارق و المغارب.

---

(١) انظر : «أسانيد المصريين» لفضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري، صـ ٥٤٥، طبعة دار الفقيه الإمارات .

و قد جاء أحد أبناء هذه المدرسة، وهو : فضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري؛ ليقف على حقيقة هذه المعالم التي قام فضيلة الدكتور علي جمعة بإحيائها في هذه المدرسة، فأخذ الدكتور أسامة يتأمل «المنهج الأزهري» ، من أين ينبع ، و مم يتكون ، حتي استخرج من خلال تأمل في طبقات أعيانه و علمائه ، و علومه و كتبه ، و أثره في الناس عبر القرون، عددًا من السمات و الخصائص و المكونات ، التي كانت بمثابة الروح السارية في نشاط علمائه ، وفي مؤلفاتهم و مواقفهم، وهي عين السمات والمكونات التي قام فضيلة الدكتور علي جمعة بتعليمها ونشرها في مدرسته، التي هى امتداد لمدرسة الأكابر من علماء الأزهر الشريف.

فقام فضيلة الدكتور أسامة الأزهري بتجريد تلك المكونات، حتى يسهل حفظها على طلبة العلم ، و حتى تكون معيارًا يفرقون به بين المناهج المستقيمة ، و بين غيرها، ومن وراء تلك المكونات ، تأصيل و استدلالات ، و أمثلة و نماذج ، و كيفيات للتطبيق [1]، وفيما يلي بيان ذلك :

المكون الأول اتصال السند رواية و دراية و تزكية :

قَالَ سفيان الثوري : « الإسناد سلاح المؤمن ، إذا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ سلاح فبأي شيء يقاتل ؟ »، وَقَالَ عَبْد الله بن المبارك : «الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء » .

كان «الإسناد» من أول المعالم التي قام فضيلة الدكتور علي جمعة بإحيائها؛ لأنّ من خصائص المنهج الأزهري أنّ علومه و معارفه متوارثة منقولة، متصلة الإسناد يتلقاها كل جيل عن الجيل الذي قبله ، بإسناد موصول و فهم متسلسل و لا يتصدر أحد من أبناء ذلك المنهج إلا بعد التلقي و الصحبة الطويلة للعلماء، إلى أن يقع منهم

(١) انظر: «الإحياء الكبير لمعالم المنهج الأزهري المنير»، لفضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري .

الإذن و الإجازة له بالرواية و بالتدريس و التأليف و تعليم العلم و إذا سألت أحدهم عن مشايخه ذكر لك عددًا منهم ، و إذا سألته: كم صحبت شيخك أو شيوخك ؟ ذكر لك أنه صحبهم زمانا طويلا ، حتى فهم و وعي عنهم منهج الفهم ، و مداخل المعرفة.

وذلك بخلاف المناهج الأخري فإنها مقطوعة مبتورة ، يتصدر فيها أحدهم دون مصاحبة للعلماء، و إذا سألت أحدهم : كم صحبت شيخك ؟؟ ذكر لك أنه لقيه مرة، أو صحبه ساعات معدودات، فآني يتحصل له العلم و آني يوثق بفهمه؟

المكون الثاني العناية بتحصيل علوم الآلة :

قد ظهر اهتمام فضيلة الدكتور علي جمعة بالعناية بتحصيل علوم الآلة، عند قراءة فضيلته لعلم المنطق، وعلوم اللغة في رواق الأتراك بالجامع الأزهر الشريف؛ حيث إنّ منهج الأزهر الشريف يعتني بتربية أبنائه على الإلمام و الاستيعاب و التضلع في علوم الآلة، من النحو، و الصرف، و الاشتقاق، و البلاغة بفنونها، و أصول الفقه، و علوم الحديث ،و غير ذلك من العلوم التي تعين المتعلم وتؤهله و تمكنه من الخوض في فهم الكتاب و السنة عن معرفة و دراية و بصيرة ، مع السير في تلك العلوم على منهج معتمد يرتقي به الطالب من المقدمات إلى الدقائق.

و كأنَّ المكون الأول و الذي هو طول الزمان في مرافقة العلماء قد نتج عنه المكون الثاني؛ حيث أثمرت المصاحبة الطويلة تلقينًا للعلوم و نقلًا للفهوم؟

المكون الثالث الإلمام و الإحاطة بمقاصد الشريعة :

اهتم فضيلة الدكتور علي جمعة في شروحه بربط العلوم بمقاصد الشريعة؛ لأنّ هذا المكون قد نتج من طول مصاحبة العلماء، و من تحصيل علوم الآلة، أن تفتحت البصيرة على إدراك مقاصد الشرع الشريف، و أنّ دين الله تعالى جاء من أجل تحقيق

عبادة الله جل شأنه، و تزكية النفس و تطهيرها، و عمارة الأرض و هداية الأمم، و وراثة الأنبياء، و بناء الإنسان على الربانية و البصيرة و الإنابة إلى الدار الآخرة، و تحصيل مكارم الأخلاق، و بناء الحضارة و صناعة النهضة، حتى تكون الأمة المحمدية رحمة للعالمين ، كما كان النبي ﷺ رحمة للعالمين.

و عندما يحصل لطلبة العلم حظ من إدراك مقاصد الشريعة فإنّ فهمه لدين الله يتسع، ونظره في الفروع الفقهية والمسائل الجزئية يستنير، و يخرج من التشنج والغلظة، و يُعلِّم الجاهل و المخالف برفق و يتخلق بالخلق النبوي العظيم.

المكون الرابع تنزيل القرآن الكريم على مواضعه :

لم يكن فضيلة الدكتور علي جمعة في معزل عن التعامل مع الوحي الشريف، الذي وصفه بأنه هو محور الحضارة الإسلامية، أي: منه المنطلق وإليه المنتهى، فمن خلال ملازمة العلماء، و معرفة علوم الآلة ، و الإلمام بمقاصد الشريعة، نتج أثر مهم جدًا و هو أن يتمكن صاحب ذلك المنهج من قراءة القرآن فينزل آياته الكريمة على مواضعها، فلا ينطلق إلى آية نزلت في الكافرين فينزلها على المؤمنين، و لا لآية نزلت في المؤمنين فينزلها على الكافرين، و لا ينطلق لآية نزلت في أمر عام فينزلها على خاص، و لا لآية نزلت في خاص فينزلها على عام ... و هكذا ، بل يكون شأنه حسن الفهم للقرآن، و حسن تنزيله على الواقع دون لبس أو اشتباه، بخلاف عدد من المناهج التي تخوض في فهم القرآن دون أدني بصيرة، فتنتج فهمًا مشوهًا.

المكون الخامس تعظيم شأن الأمة المحمدية :

وينتج من كل ما سبق أنّ طالب العلم يدرك عظمة شأن الأمة المحمدية، و أنها وعاء الإسلام و أنها أمة علم و هداية، ومرحمة و وراثة للنبيين، وأنها أمة بلاغ

عن الله، وأنها مؤتمنة على الشرع الشريف وأنّ لها وظيفة بين الأمم، وأنّ وظيفتها هي الهداية، وتبليغ الشرع إلى الأمم، وأنها ينبغي أنّ تشارك في صناعة ثقافة العالم مشاركة مؤثرة لافتة للنظر، بحيث تكون الأمة دالة على الله بعلومها و فنونها و آدابها و قيمها و معارفها، في مجالات العلوم المختلفة الإنسانية و التجريبية و العقلية و غيرها.وهذا من أهم المعالم التي أحياها فضيلة الدكتور علي جمعة في نفوس طلابه؛ لأنه إذا أدرك الإنسان ذلك عظم شأن الأمة و لم يعتدِ عليها بتفسيق و لا تشريك و لا تبديع و لا بغضاء و لا شحناء للمسلمين.

المكون السادس حمل هم الهداية العامة:

إذا أحاط طالب العلم بذلك كله التفت إلى أنّ مخاطبة العالمين بمحاسن الشرع الشريف من أوجب الواجبات ، وأن المنهج النبوي الشريف كان مفعمًا بالحرص على هداية الخلائق أجمعين، و إيصال أنوار الهداية إلى كل إنسان مع كمال الحرص و الشفقة على الخلق و الرحمة بهم ، فمن أهم سمات المنهج الأزهري أن يغرس في نفوس أبنائه هذا المعني الجليل ، بخلاف المناهج الأخري التي ليس في خطابها أي التفات إلي حقوق الأمم علينا، وهذا المعنى هو الذي جعل فضيلة الدكتور علي جمعة يبدأ مجالسه أول ما يبدأ بالحديث المسلسل بالأولية «حديث الرحمة»؛ ليعلِّم تلاميذه أنّ أول طريق العلم هو الرحمة .

المكون السابع المكونات الكاملة للعلم :

إنّ المنهج الأزهري ظل على مدى قرون طويلة و هو يربي أبنائه على أنّ العلم مركب من ثلاثة أمور ، أولها : المصادر و الأدلة ، من الكتاب و السنة و الإجماع و القياس ، ثانيها المنهج المعتمد و المنضبط في فهم النصوص، وكيفية تحليلها ، واستخراج معانيها ، ثالثها : المواصفات والملكات والمواهب التي لابد من توافرها في الشخص القائم بالتبحر والتخصص في علوم الشريعة ، فالمصادر وحدها لا تصنع العلم ولا

الهداية ، حتى يصحبها منهج معتمد في الفهم ، يقوم به شخص مؤهل .

أما المناهج الأخرى فقد مزقت العلم ، وجعلته أشلاء ، وصار الواحد منهم لا يفهم من العلم إلا كلمة الدليل ، دون معرفة بوجه الدلالة، ولا بكيفية جمع الأدلة الواردة في كل مسألة، ثم كيفية مزجها وتركيبها ، ثم كيفية فهمها وتحليلها ، مع مراعاة حال الشخص القائم بالفهم .

كما أنه من المكونات الكاملة للعلم أن يجمع صاحبه بين العلوم النقلية والعلوم العقلية ، حتى يبصر بعينين، ويقتدر على التواصل والفهم والاستيعاب للنماذج المعرفية التي تتكون منها ثقافة العالم ، فيستطيع توصيل معالم هذه الدين إلى العالمين.

المكون الثامن الاستفادة من تراث الأمة و الانفتاح عليه و التواصل معه و البناء عليه :

لقد قام فضيلة الدكتور علي جمعة بمدِّ جسور من الثقة والتواصل بين المعاصرين والقدامى؛ لأنّ من أهم خصائص المنهج الأزهري أنه منهج مستوعب لتراث الأمة في العلوم و المجالات المختلفة متواصل مع ذلك التراث يعرف له أصالته و قيمته، و يعرف كيف ينتقي منه كل مفيد و جليل، و يعرف كيف يبني عليه و كيف يضيف إليه بخلاف عدد من المناهج الأخرى، التي تصنع قطيعة و هجرًا و تضليلًا للتراث الإسلامي.

هذا غيض من فيض بحر علوم فضيلة الإمام المجدِّد فضيلة الدكتور علي جمعة، يقول فضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري الذي صاغ هذه المعالم التي قام شيخه الإمام العلامة بإحيائها: « فهذه ثمانية من المكونات الجليلة جاءت على عدد أبواب الجنة ، لعلّ الله تعالى أن يفتح بها أبواب الفهم و العلم و البصيرة، و انظر إلى مقدار ما يملأ الصدر من السعة و الرفق إذا ما امتزجت فيه تلك المكونات، و إلى مقدار ما يعمر به العقل من مناهج الهداية، و مسالك الربانية إذا تحقق بتلك المكونات واتصف بتلك الصفات»[1].

(١) انظر: «الإحياء الكبير لمعالم المنهج الأزهري المنير»، لفضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري .

رابعًا: منهج المدرسة

إنّ لكل منهج معالم، ومعالم « منهج مدرسة الإمام العلامة» نموذجًا للمنهج العلمي المنضبط، الذي تلقته الأمة بالقبول؛ لأنه منهج يقوم على التعلم قبل التكلم، والتأمل قبل التبرم، والوعي قبل السعي، والحوار قبل القرار، وبناء الإنسان قبل البنيان، والبشر قبل الحجر، والكيف قبل الكم، والكل قبل الجزء، والأصل قبل الفرع، وبناء الساجد قبل المساجد، والفكر قبل الذكر، والإنارة قبل الإثارة، كما يتميز هذا المنهج بأنه رباني المصدر والغاية، عالمي الوجهة، إنساني المنطلق، وسطي المنهج، أخلاقي المحتوى، إيجابي البناء، يرتبط بالأصل، ويتصل بالعصر، واقعي بلا تسيب، صادق بلا تضخيم، متنوع بلا تضاد، متطور بلا جمود.

وتتمثل وسطية هذه المدرسة في رسالتها العلمية المنضبطة، وأسانيدها المتصلة عبر القرون، وهذا ما يفتقده كثير من المدارس العلمية المخالفة لمنهج الأزهر الشريف، وقد قام فضيلة الشيخ سيد شلتوت(١)، وهو أحد أبناء هذه المدرسة المباركة بجمع بعض المعالم المنهجية لهذه المدرسة، فذكر فضيلته عددًا من السمات والمعالم التي يتميز بها منهج مدرسة الإمام العلامة فضيلة الدكتور علي جمعة، فقال:

١ـ هو منهج يقوم على اعتبار دوائر الفهم المختلفة، دائرة السياق، والسباق واللحاق، ودائرة النزول، فهو منهج لا يجرد النص من معتبرات فهمه كما يفعل الخوارج الذين يتهورون في فهم النصوص

٢ـ هو منهج يعتمد الممارسة والمعايشة مع الفنون المختلفة، فلا ينتهي من فن ثم يقطع صلته به، بل يظل يُديم النظر فيه وفي موضوعاته ومسائله وعلاقته بالفنون الأخرى، والتأمل في الروابط المنهجية المختلفة مع بقية العلوم والفنون.

(١) هو شيخنا الفقيه الأصولي فضيلة الشيخ / سيد جمال شلتوت، أمين الفتوى بدار الإفتاء المصرية.

٣ـ هو منهج إقناعي حيث يُذكر فيه الحكم مُعللًا ومُدللًا بما يُؤدي إلى اطمئنان النفس إلى الحكم فيكون أسرع للامتثال.

٤ـ هو منهج يُراعي تواصل الأجيال بمعنى: أن الأواخر لا ينكرون فضل الأوائل بل يكمل الأواخر ما بدأه الأوائل، وآية ذلك المدارس الفقهية التي أصلَّت لفقه المتقدمين، فجاءت الشروح والحواشي والتعليقات على متون وكتب المتقدمين، فهذه أمة يحفظ أخرها جميل وفضل أولها، ولسان حالها يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[الحشر: ١٠].

٥ – هو منهج يعلم التفكير لا التكفير، ويعتمد على الإنارة لا الإثارة.

٦– هو منهج ينشئ الذهنية الفارقة التي تجمع المتشابهات في إطار واحد، وتفرق المختلفات، وإن كان ظاهرها الاتحاد.

٧– هو منهج لا يعتبر كل خلاف، بل لابد من توافر ضوابط الخلاف المعتبر وهي:

أـ لا بد أن يكون الخلاف له حظ من النظر الشرعي، ولذلك قال أرباب هذا المنهج:

وليس كلُّ خِلافٍ جاء مُعتبرَا إلا خلافٌ له حظٌ من النَّظرِ

ب– أن لا يخالف سنة صحيحة صريحة، وإلا فلا اعتبار له.

ج – أن يكون الخلاف صادرًا من أهل الاختصاص، وهم العلماء المجتهدين، الراسخين المعتبرين، وأن يكونوا أهل اختصاص، ورحم الله تعالى من قال: «ولو سكت من لا يعلم لقلَّ الخلاف»

٨ـ هو منهج يقرأ النصوص على مستوى الحروف والسطور[١] بطريقة منهجية

---

(١) فالمتأمل في طريقة علماء الأزهر يجد أنهم حينما يتعاملون مع النصوص يتبعون منهج التحقيق والتدقيق والترقيق والتنميق فلهذا رزقهم الله التوفيق

دقيقة مناسبة لا اعوجاج فيها، أي: بلا إفراط ولا تفريط بحمل الشيء على ما لا تقتضيه القواعد والأدوات.

٩ـ هو منهج لا يحول الظني إلى قطعي، ولا القطعي إلى ظني، بل يقيم كل حكم في محله، ويبني عليه مقتضياته.

١٠ـ هو منهج يحول العلم من دائرته العقلية إلى دائرته العملية، أي: يحول العلم إلى منهج حياة .

١١ـ هو منهج يعتمد الجدال والمناقشة والمحاورة بين الأطراف المختلفة، من أجل الوصول إلى الحق لا من أجل نصرة الذات، فهو منهج يسعى للتواصل، ولا يعرف احتكار الحق .

١٢ـ هو منهج له أدوات منهجية ووسائل علمية لفهم النصوص، وله أدوت دقيقة للتطبيق، تراعي اختلاف الجهات الأربعة: الأحوال والأشخاص والأزمنة والأمكنة، كما أن له أدوات في الربط بين النصوص والواقع[1] .

١٣ـ هو منهج ينشئ العقلية المجردة التي تعمل بلا تأثر بالشواغل والمشاغل والاتجاهات النفسية أوالبيئية، فهو منهج العدل والإنصاف ولو على النفس

١٤ـ هو منهج قائم على أن إعمال الكلام أولى من إهماله، وأن حمل الكلام على معنى بعيد يحتمله الكلام، أولى من حمله على معنى قريب يَفسُدُ به .

والتحقيق: هو ذكر المسالة بدليلها

والتدقيق : هو أن يذكر المسألة بأكثر من دليل

والترقيق: هو صياغة المسألة بأسلوب بلاغي

والتنميق: هو أن تُدخِل في المسألة المحسنات البديعية.

(١) وهذا هو تقسيم الواقع المعُاش، كما ذهب إليه مالك بن نبي في سلسلته الماتعة «مشكلات الحضارة».

١٥ـ هو منهج ينشئ العقلية الاحتمالية الافتراضية، التي تقلب الشيء على وجوهه العقلية التي يمكن أن يكون عليها، وتبني على حكمه بما يقضي بسعة الفكر وثراء النقل.

١٦ـ هو منهج يعتني بضبط التعريفات، وتنمية الملكات، وتوسيع المُدركات، وموسوعية المطالعات، ويعتني بشرحها وإخراج ما عساه أن يدخل في الحد، وهو ليس منه، كما أنه يعتني بإبراز الاختيارات اللفظية في تعبيره عن الحقائق المختلفة بما يُبرز صناعة عالية ودقة متناهية.

١٧ـ هو منهج التفصيل بعد الإجمال، وشاهد ذلك أنه اهتم بمبادئ العلوم، وقسَّمها وحددها بما يُعطي المريد صورة كلية عامة عن العلم، من حيث موضوعه وحده ومسائله وفائدته وثمرته والواضع وغيرها، كما أنه يعطي تصورًا إجماليًا يدفع به المريد الجهل عن نفسه شيئًا ما، ثم يفصل له هذه المبادئ ويجسدها له في أبدع صورة،بما يوحى بالتفصيل بعد الإجمال.

١٨ـ هو منهج يضبط السلوك والأخلاق العامة[١]، بما يتناسب مع قواعد الشريعة العامة، ومن ضمن قواعده الضابطة المناسبة أنه ليس كل مباح متاح .

١٩ـ هو منهج يقوم على تربية العقل، وصقل المواهب، وتنمية الملكات، وتوسيع المدركات، وموسوعية المطالعات.

٢٠ـ هو منهج يتميز بمرونته التطبيقية، حتى جاز للمتمذهب المحافظ على اتباع آراء إمامه وأقواله أن يقلد من أجاز، خروجًا من الإثم.

٢١ـ هو منهج متوزان فهو يُكوِّن العقلية والشخصية المستقيمة المستنيرة، التي تُقبل ولا تُدبر، التي تُبشِّر ولا تُنفِّر، التي تُيسِّر ولا تُعسِّر، التي تُغير ولا تتغير.

---

(١) تعلمنا من شيوخ الأزهر أن منهج الأزهر يقوم على العلم والأدب وأن العلم من غير أدب لا قيمة له.

٢٢ـ هو منهج ينقلك من ضيق العبارة إلى رحابة المعنى وسعة الفكرة .

٢٣ـ هو منهج منضبط، أي: أصوله لا تناقض فروعه، وفروعه لا تناقض أصوله.

٢٤ـ هو منهج يعتبر المآلات، فهو يتعامل مع الحال والمستقبل بعين الاعتبار، ويجاري كلًا منهما، ويضع له ما يصلح له .

٢٥ـ هو منهج لا يُحول المسائل إلى قضايا ولا القضايا إلى مسائل، فهو منهج الحكمة والوعي، فيعطي لكل شيء ما يستحقه .

٢٦ـ هو منهج يعتمد الانفتاحية على الآخر، بمعنى: أنه يخاطب ويتواصل مع غير المسلمين، ومن أجل ذلك نشأت علوم وفنون للجدل والمناقشة والمحاورة على أسس وقواعد منهجية مع غير المسلمين، فهو منهج لاينغلق ويدور حول نفسه، بل عالمي[1] يخترق الأزمنة والأمكنة والأحوال والأفكار.

٢٧ـ هو منهج لا تتعارض فيه النكات، ولا تتزاحم فيه الفوائد النفيسات، فما زال العقل يسبح في إبداعياته.

٢٨ـ هو منهج يعتمد التدرج في التعلم، فهو يعطي لكل مرحلة ذهنية ما يناسبها، فلديه ثلاث مستويات ذهنية ولكل مرحلة خطابها وكتبها ومدرسيها، فلديه مرحلة المبتدئين ولها كتبها في شتى أنحاء العلوم، ثم مرحلة التوسط وكذلك لها مؤلفاتها وخطابها، ثم مرحلة الانتهاء ولها كتبها ومدرسيها، فلا يتجاوز الطالب مرحلة حتى يتقن التي قبلها، ولا بد في كل مرحلة من المشافهة والتوثيق، ولا ينتقل من مرحلة إلا بعد الإجازة المعتمدة التي تثبت قدرته على التي بعدها.

(١) والمتأمل في حال علماء الأزهر، يجد أنهم حملوا مشاعل النور والهداية إلى جميع أصقاع الدنيا فنشروا العلم من غانا إلى فرغانة، ومن طنجة إلى جاكرتا، ومن سيبيريا إلى نيجيريا.

٢٩ـ هو منهج يعتمد التعددية المذهبية، بمعنى: قبوله لكثرة الاجتهادات ممن هو أهل للاجتهاد، ووحدة عقيدته، حيث اعتمد عقيدة أهل السنة والجماعة عقيدة إمام الدنيا أبي الحسن الأشعري، وما ذلك إلا لتوفيق رب العالمين.

وفي هذا الصدد يقول فرد آخر من أفراد هذه المدرسة، وهو : فضيلة الدكتور مختار محسن :«إنّ لهذه المدرسة الفريدة التي شرفنا الله بالانتساب إليها، والجلوس تحت أقدام شيخها الإمام العلامة، مجدِّد العصر بلا منازع، مجموعة من المعالم المنهجية التي تميزها عن غيرها من المدارس فمن أهم هذه المعالم :

١ – اتباع مناهج السلف لا مسائلهم، والدعوة إلى أن نعيش منهج النبي ﷺ لا زمنه.

٢ – الدعوة إلى الاختيار الفقهي المنضبط بالمقاصد الشرعية وأنه هو الأنسب لزماننا.

٣ – الدعوة إلى فهم النموذج المعرفي الإسلامي ونشره بين المسلمين .

٤ – الاهتمام بالتراث في كلياته ونظرياته وقواعده فهمًا وتفعيلًا وفق متطلبات العصر.

٥ – كتاب الله هو محور الحضارة الإسلامية فمنه المنطلق وله المرجعية وبه التقويم.

٦ – الدعوة إلى الاهتمام بالدراسات القرآنية التي تبرز مقاصد القرآن الكريم : كالمبادئ القرآنية، ومنظومة القيم، وعلم حفريات القرآن الكريم، وغيرها من الدراسات التي تخدم كتاب الله في عصرنا.

٧ – الدعوة إلى فهم النماذج الأربعة كأساس للتعايش وتفاعل المسلم مع العالمين: «مكة – الحبشة – المدينة ١ – المدينة ٢» .

٨ – الدعوة لفقه حب الحياة والإنسانية .

٩ - إبراز معالم و أركان المنهج الأزهري : العقيدة الأشعرية، والمذهبية الفقهية، والتصوف الرشيد.

١٠ - الأخذ بمسلك البيان وتقديمه على مسلك الرد والمهاجمة في التعامل مع التيارات والأفكار المخالفة .

إنّ الحديث عن منهج مدرسة فضيلة الدكتور علي جمعة يحتاج إلى مؤلَّف مستقيل؛ لذلك في هذا القدر كفاية، لمن أراد الهداية ، و الله تعالى أعلى و أعلم .

خامسًا : جهود المدرسة

قد كتب الله تعالى لمدرسة فضيلة الدكتور علي جمعة القبول في الأرض؛ حيث تخرج في هذه المدرسة عدد كبير أصبحوا من كبار العلماء، وكان لهم من الأثر الواضح في خدمة المجتمع ونشر العلوم، ما شهد به القاصي والداني.

يقول الأستاذ عبد الحميد منصور : «من جمال مدرسة الإمام العلامة ومن توفيق الله لها، أنّ سبحانه وتعالى كأنّه نظر إلى قلب مؤسسها وإلى إخلاصه لله، فجعل منها نموذجًا فريدًا عجيبًا، وبارك في انتشارها أيما انتشار، فتجد ولله الحمد أنّ تلاميذ الإمام العلامة أصبحوا أئمة وعلماء كبار، يقصدهم الطلاب ويُسمع لهم في المشارق والمغارب، ويقدمون في المحافل العلمية في مصر وخارجها، ومن الطبيعي أن يكون لهؤلاء المشايخ طلاب كحال شيخهم ولكن من توفيق الله لهم ومما يعدُّ كرامة لصاحب المدرسة - رضي الله عنه - أنّ طلاب الطلاب أصبحوا من المشايخ ولهم طلاب يتصدرون للناس، بل ومنهم من يحمل أمانة الإفتاء في بلاده لقومه في بعض بلدان جنوب شرق أسيا، ومنهم من يُستقبل استقبال أكابر العلماء في المحافل الدولية، وكنا نسمع في أروقة الأزهر قديمًا عن شيخ المشايخ وهو الشيخ الذي صار طلابه مشايخ أما طلاب الطلاب يصبحون مشايخ فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء » .

وقد علق فضيلة الدكتور عصام أنس الزفتاوي على هذا الكلام فقال: «ونحن على ذلك من الشاهدين، مولانا الإمام العلامة على جمعة، تخرج على يديه عدة أجيال، وأكثر من جيل منهم صار لهم تلاميذ، وبعضهم خاصة المتقدمين منهم صار لهم أحفاد في المدرسة، يعنى صار لتلاميذهم تلاميذ، وهذا صحيح أيضًا بالنسبة للفقير، فالحمد لله صار لتلاميذنا تلاميذ،والحمد لله كل أبنائنا أبناء مدرسة الإمام العلامة ناجحون؛ حيث وجههم الله، وقائمون خير قيام بما أقامهم الله فيه بين تدريس، وخطابة، وإفتاء، وتأليف، فى بلاد كثيرة»

وعليه فإنّ جهود هذه المدرسة، أكثر من أنْ تحصى؛ لذا سوف أقتصر هنا الحديث عن أحد جهود هذه المدرسة وهو :«حفظ ونشر التراث الإسلامي »، وفيما يلي بيان ذلك :

يعدُّ مشروع حفظ ونشر التراث العلمي الإسلامي الأزهري، بمرحلتيه، من أهم جهود مدرسة فضيلة الدكتور علي جمعة؛ حيث إنّ المشروع يهدف إلى عدة مقاصد سامية، من أهمها :

١ـ نشر الإسلام الوسطي بالعلم والفكر الأزهري الواسعين.

٢ـ حفظ ونشر دين الله في العالمين.

٣ـ هداية الناس إلى رسالة الإسلام وهي إصلاح الأرض وإعمارها سعيًا للخلود بالجنة.

٤ـ علاج التطرف والقضاء على الإرهاب المتبادل وتحقيق الاستقرار والأمان ومن ثَمَّ الازدهار بالعالم.

٥ـ البناء المتنامي للعلماء والدعاة دعمًا وتوسيعًا للقاعدة العلمية الشرعية.

٦ـ تدعيم الأمن القومي بالحفاظ على كون الأزهر وعلومه مرجعية المسلمين العلمية والفكرية والفقهية والدينية حول العالم.

٧ـ إعداد نخبة متميزة من العلماء ومن الدعاة يتقنون مهارات الدعوة والتعليم والترجمة والبحث والتأليف، ويجيدون بتميز وفاعلية استخدام الوسائل التقنية الإلكترونية المعاصرة وفنون الاتصال والإلقاء والحوار والإقناع والتأثير وبأساليب فعالة وجذابة.

٨ـ الإسهام في سد ثغرة كبيرة من حاجة مراكز الدعوة ومكاتب توعية الجاليات والجهات المعنية بالدعوة إلى الله لدعاة يتميزون بصفات متميزة وقدرات عالية ومهارات فاعلة.

٩ـ تصميم وإعداد البرامج والكتب والمناهج التعليمية والدراسات والأبحاث المتعلقة بالدعوة إلى الله.

١٠ـ تحليل ودراسة وإعداد مواد وبرامج ووسائل دعوية تناسب عقليات ونفسيات شعوب العالم «مختلف الجاليات».

١١ـ بناء جسور الحوار والتواصل مع شعوب العالم من خلال وسائل التقنية الإلكترونية الحديثة من أجل الدعوة إلى الله والتعريف بمحاسن الإسلام

١٢ـ توظيف المنهج الأزهري بكونه ركنًا أساسيًا من أركان الرقي الإنساني بالتنمية البشرية والفكرية والروحية والمادية للمتلقين على غرار ما هو معمول به في الدول المتقدمة التي راهنت على الثقافة لتنمية شعوبها والتقدم بها نحو الأفضل.

١٣ـ دعم دارسي العلوم الأزهرية وهم ينتشرون في ٥٤ دولة حول العالم والتفاعل معهم لتعظيم الاستفادة.

١٤ـ نشر التراث الإسلامي بكل علومه بشرح كبار العلماء المتخصصين بمختلف لغات العالم الإسلامي .

١٥ـ تأهيل طالب العلم الأزهري حول العالم ليكون عالمًا شرعيًا متمكنًا حقيقيًا.

١٦ـ رفع الدروس مترجمة على» الإنترنت «تمكينًا لكل إنسان مسلم»وغير المسلم أيضًا «في أي مكان في العالم من معرفة ما يحتاج إليه من مختلف العلوم الإسلامية والعربية بشرح كبار العلماء المتخصصين المتقنين الثقات وبلغاتهم.

وقد شارك أبناء المدرسة في ظهور هذا المشروع العالمي ، الذي يتم من خلاله تصوير وتسجيل لبرنامج علمي عملي وفق المنهج الأزهري؛ حيث وضع في كل علم من العلوم مجموعة من الكتب للمستويات الثلاثة المبتدئ والمتوسط والمنتهى، يقوم بشرحها أحد الشيوخ المتقنين في كل فن من الفنون.

ويستهدف هذا المشروع داخل مصر وخارجها ما يزيد عن عشرات الملايين، فهو مشروع يخاطب كل من يريد أن يتعلم دينه ويربي نفسه وأولاده عليه، منهجيًا أو انتقائيًا .

وقد تم تسجيل ما يزيد عن مائة وخمسين كتابًا في مختلف الفنون والعلوم، ويعدُّ هذا العمل صدقة جارية لكل من شارك فيه؛ لاسيما شيخ هذه المدرسة الذي يشرف على هذا المشروع، وأبنائه الذين قاموا بالتنفيذ وفق ما رسمه لهم .

الفصل الثالث

جهود فضيلة الدكتور علي جمعة في التأليف والكتابة

ويحتوي على مبحثين :

المبحث الأول

مدخل إلى دراسة مؤلفات الدكتور علي جمعة

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول: دوافع التأليف و الكتابة عند الدكتور علي جمعة

المطلب الثاني: المراحل والخطوات التي تمر بها الكتابة عند الدكتور علي جمعة

المطلب الثالث: منهج الدكتور علي جمعة في التأليف والكتابة.

المطلب الرابع: مصادر الكتابة عند الدكتور علي جمعة

المطلب الخامس : التعريف بمؤلفات وأبحاث الدكتور علي جمعة

المبحث الثاني

جهود الدكتور علي جمعة في التحقيق والنشر

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تحقيقات الدكتور علي جمعة العلمية .

المطلب الثاني : الموسوعات التي أشرف الدكتور علي جمعة على إخراجها

المطلب الثالث: الرسائل العلمية التي أشرف عليها الدكتور علي جمعة

الفصل الثالث

جهود فضيلة الدكتور علي جمعة في التأليف والكتابة

استطاع فضيلة الدكتور علي جمعة أن يثري المكتبة الإسلامية والعربية بل العالمية، بمؤلفاته وأبحاثه التي خطَّها قلمه، فكانت ثروة ضخمة، وكنزًا علميًا كبيرًا؛ حيث زادت على مائة كتاب وبحث، فضلاً عن مقالاته التي تنشرها المجالات والصحف، ومشاركاته في تحرير المجلات العلمية، والفتاوى التي يحررها، والندوات الثقافية التي يشارك فيها؛ لذا سيشتمل هذا الفصل بمشيئة الله تعالى على مبحثين :

المبحث الأول: مدخل إلى دراسة مؤلفات الدكتور علي جمعة.

المبحث الثاني: جهود الدكتور علي جمعة في التحقيق والنشر.

وفيما يلي بيان ذلك :

المبحث الأول

مدخل إلى دراسة مؤلفات الدكتور علي جمعة

تُعدُّ المؤلفات العلمية التي يؤلفها العالم في حياته من الباقيات الخالدات التي يبقى نفعها بعد رحيل صاحبها، وهي إما أن تكون نافعة، وإما أن تكون غير نافعة، غير صحيحة المشرب والتوجه، مشحونة بالآراء المنحرفة الشاذة، التي تحيدُ بالقارئ عن الصراط المستقيم.

أما المؤلفات النافعة فهي التي يهتدي بها الناسُ إلى طريق الحق، والصراط المستقيم، كما يصلون من خلالها إلى سعادة الدارين«الدنيا والآخرة»، فمن ترك للناس مؤلفات ينتفعون بها في دينهم ودنياهم فعمله صالحٌ خالدٌ ، لا ينقطع برحيله عن الدنيا، وثوابه مستمر باستمرار انتفاع الناس بعلمه، كما أخبر رسول الله ﷺ :« إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ »[١]

وقد كتب الله لمؤلفات فضيلة الدكتور علي جمعة القبول لدى الباحثين والمتخصصين في المجالات الشرعية والاجتماعية؛ بل تجاوز الأمر إلى غير المتخصصين من عموم الناس، على مختلف فئاتهم المعيشية، والعمرية؛ ذلك لما تميزت به مؤلفات فضيلته من وضوح العبارة وسهولتها، ولا أكون مبالغًا حينما أقول: «إنّ مؤلفات فضيلة الدكتور علي جمعة تمتاز بأنها صالحة لكل قارئ، فلم يقصد فضيلته وضعها لطائفة معينة أو فريق خاص، وإنما وضعها لجمهور المسلمين»، وسوف يكون هذا المبحث مدخلاً تعريفيًا بكتب فضيلة الدكتور علي جمعة، وأسباب كتابتها، ومنهج فضيلته في الكتابة،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٦٣١).

وسيكون ذلك بمشيئة الله تعالى في خمسة مطالب، وهي :

المطلب الأول: دوافع التأليف و الكتابة عند الدكتور علي جمعة

المطلب الثاني: المراحل والخطوات التي تمر بها الكتابة عند الدكتور علي جمعة.

المطلب الثالث: منهج الدكتور علي جمعة في التأليف والكتابة.

المطلب الرابع: مصادر الكتابة عند الدكتور علي جمعة.

المطلب الخامس: التعريف بمؤلفات وأبحاث الدكتور علي جمعة.

وفيما يلي بيان ذلك :

المطلب الأول

دو افع التأليف و الكتابة عند الدكتورعلي جمعة

إنّ مذاهب العلماء في التأليف والكتابة متعددة، ودوافعها كثيرة، وأسبابها مختلفة؛ حيث إنّ لكل كاتب أسباب ودوافع تحثه على التأليف والكتابة، فالمُطالع لمؤلفات وكتابات فضيلة الدكتور علي جمعة يجد أنّ هناك أسبابًا دفعتْ فضيلته إلى الكتابة، من أهمها:

أولاً. الإجابة على سؤال، أو دفع شبهة وإزالة إشكال .

فقد قام فضيلة الدكتور علي جمعة بالرد على آلاف «الأسئلة والفتاوى» التي وردت إليه سواء كان ذلك في محاضراته الجامعية، أو دروسه العامة، أو الخاصة ، أو في عمله كعضو بلجنة الفتوى بالأزهر الشريف، أو كمفتٍ للديار المصرية، فقام فضيلته بجمع وتدوين الأسئلة التي وردت إليه؛ من أجل تصحيح المفاهيم المغلوطة لدى بعض فئات المجتمع، وسعيًا منه في جمع كلمة الأمة ونبذ الفُرقة، وقيامًا بحق العلم ونشره بين الناس من باب : «خيركم من تعلم العلم وعلمه»؛ وبناءً على ذلك قام الدكتور علي جمعة بتصنيف الكتب الآتية:

١ـ الدين والحياة.

٢ـ الفتاوى الرمضانية.

٣ـ الفتاوى العصرية لمفتي الديار المصرية.

٤ـ الكلم الطيب.

٥ـ فتاوى النساء.

٦ـ فتاوى المرأة المسلمة.

٧ـ البيان لما يشغل الأذهان.

٨ ـ فتاوى البيت المسلم .

ثانيًا .تصحيح المفاهيم :

قد سخَّر فضيلة الدكتور علي جمعة قلمه في دحض شبه المشككين في الإسلام وتعاليمه، والتصدي لكل ما يُثار حول الإسلام من تهم باطلة؛ حيث قام فضيلته بتفنيد ما جاء به هؤلاء والرد عليهم بالحجج الساطعة، والبراهين القاطعة، والأفكار المستنيرة الماتعة، فما استطاع أصحاب هذه الشبه الرد على تفنيده لشبههم؛ لأن فضيلته أزال بقلمه الإبهام وصحح الأفهام، وبناءً على ذلك قام الدكتور علي جمعة بتصنيف الكتب الآتية:

١ـ الجهاد في الإسلام.

٢ـ النقاب عادة وليس عبادة.

٣ـ ختان الإناث ليس من شعائر الإسلام.

٤ـ حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين.

٥ـ المرأة في الحضارة الإسلامية.

٦ـ المرأة بين إنصاف الإسلام وشبهات الآخر .

٧ـ قضايا المرأة في الفقه الإسلامي.

٨ـ حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين.

ثالثًا .عرض الإسلام بصورة لافتة للنظر:

إذا كان «التنوير الغربي» هو تنوير علماني، يستبدل العقل بالدين، ويقيم قطيعة بين التراث، فإنّ فضيلة الدكتور علي جمعة قد فَطِنَ لهذا الأمر، وانتبه للمخاطر التي تحيط بالأمة الإسلامية، فقام فضيلته بتقديم الكثير من الرؤى والأفكار، التي لا تجعل بين أبناء العصر وبين التراث قطيعة؛ لأنه يرى أننا مطالبون أن نعيش بمناهج السلف، ولسنا مطالبين بأن نعيش حياة السلف. فكان ما قدَّمه الدكتور علي جمعة في هذا الميدان هو من باب عرض الإسلام بصورة لافتة للنظر؛ لأنَّه قدَّم لنا «تنويرًا إلهيًا» يبني العقول

ويجلي القلوب. وبناءً على ذلك قام الدكتور علي جمعة بتصنيف الكتب الآتية:

١ـ الكامن في الحضارة الإسلامية .

٢ـ أمن المجتمع واستقراره من منظور إسلامي.

٣ـ المساواة الإنسانية في الإسلام بين النظرية والتطبيق.

٤ـ التجربة المصرية .

٥ـ سمات العصر .. رؤية مهتم.

٦ـ القول المبين في أحكام الدنيا والدين.

رابعًا. الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة ،والرد على أهل البدع:

إنّ المتأمل في حال المتشددين والمتفلتين، يجد أن بينهم وبين النصوص إشكال، وبينهم وبين فهم النصوص إشكال، وبينهم وبين إدراك الواقع إشكال،وبينهم وبين اعتبار المآلات إشكال،وبينهم وبين ما تؤل إليه الأمور إشكال،وبينهم وبين فهم مقاصد الشريعة إشكال،وبينهم وبين مصالح العباد والبلاد إشكال، هذه الإشكاليات هي التي جعلتهم لا يفهمون النصوص فهمًا صحيحًا ،وجعلتهم يهرفون بما لا يعرفون ويتكلمون بغير علم فيما لا يتقنون، فكان لزامًا على الدكتور علي جمعة أن يتصدى لتلك الأفكار، وأن يقوم بتفنيدها، ومناقشتها، والرد عليها، دفاعًا عن بيضة الدين، وحفاظًا على عقيدة أهل السنة والجماعة، ومصدقًا لقوله ﷺ «يحمل هذا العلم من كل خلفٍ عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين،وتأويل الجاهلين»[1]. بناءً على ذلك قام فضيلته بتصنيف الكتب الآتية:

١ـ حكاية الإرهاب .

٢ـ المتشددون .. منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم .

---

(١) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى(٢٠٩١١).

٣ـ عقيدة أهل السنة والجماعة .

٤ـ عقيدة الدين الخالص .

خامسًا . إنارة القلوب وتزكية النفس:

لاحظ الدكتور علي جمعة ما وصلتْ إليه الأمة الإسلامية من تأخرٍ؛ حيث وجد فضيلته المجتمع يعاني مما أصابه من الفساد في العقائد، والانحراف في الأخلاق، والخطأ في العبادة والمعاملة، فكانت هذه الأمور دافعة لفضيلته في تقديم بعض الحلول التي تساعد على الخروج من تلك الأزمات التي تعيشها الأمة الإسلامية الآن، فقرر أن يرشد الناس إلى الصراط المستقيم في عقائدهم، وأخلاقهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، بأن يكتب لهم كتبًا تعلمهم كيف يعبدون الرحمن، وكيف يعمرون الأكوان، وكيف يحترمون قيمة الإنسان، فبناءً على ذلك قام الدكتور علي جمعة بتصنيف الكتب الآتية:

١ـ سبل المبتدئين في شرح البدايات من منازل السائرين.

٢ـ الوحي والقرآن الكريم.

٣- التربية والسلوك .

٤ـ الطريق إلى الله.

٥ـ محاضرات في الفقه الصوفي لأحكام الشريعة .

٦ـ الاستعداد لرمضان.

٧ـ خطوات الخروج من المعاصي.

٨ـ مجالس الصالحين الرمضانية .

٩ـ الدعاء والذكر .

١٠ـ حاكموا الحب.

١١- برنامج التربية الأخلاقية في السنة النبوية.

١٢- النبراس في تفسير القرآن الكريم .

١٣- تيسير النهج في شرح مناسك الحج.

١٤- الحج والعمرة أسرار وأحكام .

سادسًا .تعريف الخلق بنبي الرحمة وسيد الخلق ﷺ :

أدرك فضيلة الدكتور علي جمعة أنه لا يوجد مخرج، ولا منفذ للخروج من الفتن والأزمات التي تعيشها الأمة الإسلامية الآن، إلا من باب رسول الله ﷺ ، فكان لِزامًا على كل مسلم أن يعرف سيرة الحبيب المصطفى ﷺ، وأن يعرف هديه، حتى يعيش به ويكون نبراسًا له في هذه الحياة، ولكي يكون سببًا في خروجه من الضيق إلى السعة . فمن هذا المنطلق بناءً على ذلك قام الدكتور علي جمعة بتصنيف الكتب الآتية:

١ـ من نبيك ! هو سيدنا محمد المصطفى ﷺ.

٢ـ اعرف نبيك المصطفى ﷺ.

٣ـ سيدنا محمد رسول الله للعالمين.

٤ـ النبي ﷺ.

سابعًا .وضع مناهج للسير عليها في العلم والعمل:

رأى فضيلة الدكتور علي جمعة من خلال تنقلاته حول العالم، وموسوعيته العلمية، وقيامه بالتدريس والإفتاء في مصر وخارجها، وحمله هم الأمة، وحرصه على تصحيح صورة الإسلام، أنّ أبناء العصر من الباحثين والدارسين في حاجة إلى روئ مستنيرة، وأفكار مستقيمة، ومناهج صحيحة ليسيروا عليها أثناء رحلتهم في محاولاتهم لتحصيل العلوم والمعارف، وصولاً إلى سعادة الدارين، وبناءً على هذا كتب فضيلته «الكتب » الآتية :

١ـ ضوابط التجديد الفقهي .

٢ـ المنهجية الإسلامية .

٣ـ وقال الإمام .. المباديء العظمى .

٤ـ المدخل لدراسة المذاهب الفقهية الإسلامية .

٥ـ مكونات العقل المسلم .

٦ـ الإمام الشافعي ومدرسته الفقهية.

٧ـ الإمام البخاري وجامعه الصحيح.

٨ـ الحكم الشرعي عند الأصوليين.

٩ـ أثر ذهاب المحل في الحكم.

١٠ـ الأوامر والنواهي عند الأصوليين.

١١ـ الإجماع عند الأصوليين.

١٢ـ القياس عند الأصوليين.

١٣ـ تعارض الأقيسة عند الأصوليين.

١٤ـ قول الصحابي عند الأصوليين.

١٥ـ آليات الاجتهاد.

١٦ـ مدى حجية الرؤيا عند الأصوليين.

١٧ـ تاريخ أصول الفقه.

١٨ـ التجديد في أصول الفقه.

١٩ـ قضية المصطلح الأصولي مع التطبيق على شرح تعريف القياس.

٢٠ـ النسخ عند الأصوليين.

٢١ـ علم أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة الإسلامية.

٢٢ـ صناعة الإفتاء.

٢٣ـ المكاييل والموازين .

٢٤ـ البيئة في المنظور الإسلامي.

٢٥ـ رؤية فقهية حضارية لترتيب المقاصد الشرعية.

٢٦ـ فقه حب الحياة.

٢٧ـ النماذج الأربعة من هدي النبي في التعايش مع الآخر.

٢٨ـ الكتب المكونة للعقلية الإسلامية.

وقد يُعدُّ هذا السبب وهو : «وضع مناهج للسير عليها في العلم والعمل»، من أهم الأسباب التي دفعت الدكتور علي جمعة إلى الكتابة والتأليف، بل إنّ بعض الكتب في الأسباب السابقة تدخل في هذا السبب، فيمكننا أن نقول: إن مؤلفات الدكتور علي جمعة تدور حول هذا السبب، فهذا يؤكد لنا أنّ فضيلته عالم منهجي في أفكاره، وأفعاله، واضح في معالجة القضايا والمشكلات من خلال كتاباته.

المطلب الثاني

المراحل والخطوات التي تمربها الكتابة عند الدكتورعلي جمعة

إنّ المؤلفات و البحوث العلمية ـ على اختلاف أنواعها ـ تحتاج إلى عدة مراحل يمر بها «الكاتب» حتى يصل إلى إتمام بحثه على النحو المطلوب، وهذه المراحل التي يقطعها «المؤلف» بدءًا من التفكير في كتابة بحثه وحتى الانتهاء منه، ليس ترتيبها واحدًا، وإنما هي تتفاوت من حيث ترتيبها حسب طبيعة البحوث[1]، ومن ثَمَّ فليست هذه المراحل التي سأذكرها فكرًا جامدًا، أو قالبًا لا يتغير، وإنما هي إرشادات وخطوط عريضة تساعد على تنظيم العمل، وإعداده وإتمامه على نحو سليم، وقد يستغني «المؤلف» عن بعضها وقد يقدم مرحلة على أخرى، وقد يدمج واحدة في أخرى حسب ما يراه، وحسب طبيعة بحثه، ومع ذلك تبقى هذه المراحل إطارًا عامًّا لمن أراد أن يسلك سبيل الكتابة والتأليف، ومن خلال هذا التمهيد يمكننا أن نقول : إن خطوات الكتابة عند فضيلة الدكتور علي جمعة ، قد اشتملت على الأطر والمراحل التي أجمع عليها «المؤلفون والباحثون»، فمن خلال مطالعة «مؤلفات، وأبحاث» فضيلته، تبين أنها تمر بعدة مراحل وخطوات، تتلخص فيما يأتي:

أولاً ـ اختيار الموضوع وتحديد المشكلة.

ثانيًا ـ التتبع والرصد وجمع المصادر المتعلقة بالقضية التي سيتناول الكتابة عنها.

ثالثًا ـ دراسة وتحليل المصادر.

رابعًا ـ الالتزام بالمنهجية العامة للكتابة.

وفيما يلي بيان ذلك:

---

(١) انظر : كتاب «مناهج البحث العلمي وضوابطه في الإسلام» ـ للأستاذ الدكتور حلمي عبد المنعم النمر، صـ ١٥٦، طبعة مكتبة الإيمان ـ القاهرة.

أولاً. اختيار الموضوع وتحديد المشكلة:

إنّ عملية اختيار موضوع البحث، هي الخطوة الأولى من خطوات الكتابة، وهذه الخطوة هي التي تُظهر شخصية «الكاتب»، وتكشف عن قدراته العلمية، ثم يلي هذه الخطوة، جزء لا ينفصل عنها وهو: تحديد المشكلة التي سيكتب عنها «الكاتب»، فإنّ معالجة القضايا، ومناقشاتها، تحتاج إلى تصور تام لجميع عناصرها قبل الخوض في الحديث عنها بالإيجاب أو السلب، وهذا ما اتفق واستقر عليه العلماء على مر العصور؛ حيث إنهم لا يتكلمون في موضوع من الموضوعات، ولا يناقشون مسألة من المسائل، إلا بعد «تصورهم» لجزئيات وكليات هذه القضايا، أما الذي يتكلم دون تصور لما يتحدث عنه، فهذا لا محالة سيقع في غلط ولغط؛لأنه قام بقلب الحقائق؛ حيث إنّ «التصور» الذي هو : «حصول صورة الشيء المُتَصور في الذهن من غير الحكم عليه بالنفي أو الإثبات»، لابد أن يكون سابقًا «للتصديق» الذي هو: الحكم على الشيء بالنفي أو الإثبات.

لذلك يقول صاحب السلم المنورق:

إدْرَاكُ مُـفْـرَدٍ تَـصَـوُّرًا عُلِمْ وَدَرْكُ نِسْبَةٍ بِتَصْدِيقٍ وُسِمْ
وَقَــدِّمْ الأَوَّلَ عند الْـوَضْـعِ لأَنَّـهُ مُـقَـــدَّمٌ بِالطَّـبْعِ

وعليه فإنّ تقرير المشكلة التي هي موضوع الرسالة، وتصورها تصورًا جيدًا يؤهل «الكاتب» أن يضع حلولاً لمعالجة القضية التي سيتناول الحديث عنها، وهذه الخطوة تظهر ظهورًا جليًا في مؤلفات الدكتور علي جمعة؛ حيث إنّ فضيلته لا يكتب في قضية إلا إذا كان المجتمع في حاجة ماسة لها؛ فتعددت موضوعات «كتبه وأبحاثه» بتعدد النوازل التي يعيشها المجتمع الآن، فتميزت«كتبه وأبحاثه » بمواكبتها لحاجة العصر، وتصحيحها لصورة الإسلام السمحة، ذلك لحسن اختيار موضوعات «كتاباته» وتحديده للمشكلة التي سيكتب عنها .

فإنّ قضية التصور عند الدكتور علي جمعة تُعدُّ أداة من أدوات فهم النصوص؛ لذلك عدَّ فضيلته فقد «التصورات الكلية للنصوص» من الإشكاليات الكبيرة في فهم ما تحويه هذه النصوص فيقول فضيلته في كتابه الماتع «الطريق إلى التراث الإسلامي»: إنّ القارئ المعاصر قد فَقَدَ التصور الكلي الذي كان شائعًا لدى مؤلفي كتب التراث عبر الزمان والمكان. وعلى ذلك، فمن الممكن أن نقول: إنّ الفهم الواعي للتراث الذي يمكننا من الإكمال والاستنباط، أو القبول والرفض، أو التمييز والاختيار أمام هذا التراث، هذا الفهم يتطلب إدراك التصورات الكلية التي كانت قائمة في أذهانهم، وحاكمةً عليها.... إلى أن قال: وبالتالي فإنّ فقد هذه التصورات أوعدم استيعاب المعاصرين واستحضارهم لها عند قراءة التراث، يجعل خيرًا كثيرًا يفوتنا، وفهمًا دقيقًا يعوزنا(١). أ.هـ.

ثانيًا. التتبع والرصد وجمع المصادر المتعلقة بالقضية التي سيتناول الكتابة عنها:

تعدُّ مرحلة حصر «مصادر البحث وجمعها» خطوة مهمة في عمل الباحث؛ حيث إنّ الباحث إذا أراد أن يتحدث عن عصرٍ من العصور، أوحادثة من الحوادث، أو قضية من القضايا، وجب عليه أولاً: أن يجمع الوثائق المتعلقة بموضوعه، وأن ينظمها بصورة عقلية دقيقة من حيث الترتيب الزمني، ومن حيث المكان، ومن حيث الموضوع، فيجمع كل ذلك حتى يتكون لديه الإطار المحدد لبحثه فلا يشرد بعيدًا عن هدفه وموضوعه.

فمن خلال مطالعة مؤلفات الدكتور علي جمعة يمكننا أن نحصي المئات من كتب التراث ومصادره الأصلية التي اطلع عليها فضيلته، وعاد إليها مفسرًا وشارحًا ومقتبسًا منها؛ حيث تدل مصادر فضيلته على عمق ثقافته التراثية، وأيضًا على عمق اطِّلاعه على الثقافات الأخرى، ممّا أعطاه ثقافة موسوعية رفيعة، انطلق من خلالها ليحلِّق في آفاق الإحياء الفكري والتجديد.

(١) انظر: «الطريق إلى التراث الإسلامي» لفضيلة أ.د/ علي جمعة صـ١٨٩، طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

ومما شدَّ انتباهي، وأثار إعجابي أنّ فضيلة الدكتور علي جمعة إذا أراد أن يبحث شيئًا تتبعه وجمع مادته، وقرأ كل ما يتعلق به، وكان شغوفًا بالمعلومة البسيطة قبل الكبيرة، وبالغريبة قبل القريبة، فعلى سبيل المثال لا الحصر، عندما اهتم فضيلته بدراسة «الدرهم والدينار»، جمع كل ما يتعلق بعلم «النُّمِّيَّات»، وهو الاسم الذي لا يعرفه كثير من المشتغلين بعلوم الشريعة؛ بل لم يسمعوا به من قبل، وعلم «النُّمِّيَّات» كما ذكرتُ في الفصل الثاني هو: «العلم الذي يهتم بتاريخ النقود المعدنية، وأوزانها، وأنواعها، وما كُتب عليها، وبرصدها في المتاحف العالمية»، فجمع فضيلته في مكتبته الشخصية أكثر من أربعين كتابًا، حول هذا الموضوع، ومع ذلك لم يكتفِ فضيلته بجمعه لمعظم المراجع والمصادر التي كُتبت في هذا الموضوع ، بل ذهب فضيلته بنفسه يسأل الصاغة وصناعها عن وزن الدرهم والدينار؛ لأن فضيلته يؤمن بأن الواقع لا يؤخذ إلا من الواقع، وأنه لابد «للباحث» من إدراكه للواقع وتنزيله للنصوص على هذا الواقع تنزيلاً صحيحًا.

فبعد هذه الدراسة التي قامت على الاستقراء والتتبع والجمع لمصادرها، قام الدكتور علي جمعة بكتابة بحثه الماتع «المكاييل والموازين الشرعية»، فهذا غيض من فيض، وقطرة من غيث فإنّ الكلام بإسهاب عن قضية حصر «مصادر البحث وجمعها» عند الدكتور علي جمعة من خلال مؤلفاته، أمر يحتاج إلى مبحث مستقل، والمقام في هذا المطلب لا يناسب هذا الإسهاب، فأسأل الله التوفيق والسداد في إفراد الحديث عن مؤلفات الدكتور علي جمعة في كتاب مستقل فهي جديرة بذلك .

ثالثًا. دراسة وتحليل المصادر:

إنّ منهج توثيق المصادر والتحقق من صحتها، يقوم على دراسة هذه المصادر وتمحيصها في ضوء النقد الداخلي والخارجي للنصوص، وعن طرق التحليل والتركيب التاريخية وفحص الوثائق، واستقراء الحوادث، وهذا المنهج قد اهتم به علماء الأمة

الإسلامية اهتمامًا بالغًا دون غيرهم؛ حيث لا يوجد لهذا المنهج نظير في المناهج الأخرى التي تبحث في تحقيق النصوص والأخبار.

والمتأمل في مؤلفات الدكتور علي جمعة يجد أنّ دراسة المصادر وتحليلها عنده لم تقف عند التحقق من صحتها فقط، بل تجده يقوم بدراسة تاريخية للموضوع الذي تتبعه وجمع مصادره، ثم يبحث عن سبب المشكلة؟ ومتى بدأت ؟ وما تطورها؟ ومن أي الزوايا دُرست؟ ومن هؤلاء الذين بحثوا فيها؟ وإلى أي نتيجة وصلوا؟ ثم ما هي النقطة التي سيبدأ منها دراسته الجديدة؛ لأنها لم تبحث أو لم تستوفَ بحثًا من قبل؟

فلو نظرنا إلى كتاب «حكاية الإرهاب» نجد فضيلة الدكتور علي جمعة يُطبق ما ذكرتُه آنفًا؛ حيث قام فضيلته بتحديد الموضوع أولاً، ثم تتبع ورصد مصادر ومراجع هذا الموضوع والتي بلغت «ثمانية وتسعين مصدرًا ومرجعًا»، ثم يتكلم عن سبب ظهور الإرهاب، والمكونات الفكرية الشكلية للجماعات المتطرفة الإرهابية، وكذلك سمات التكوين المعرفية لديهم، ثم يتناول الحديث عن الموضوع بنظرة تاريخية من خلال حديثه عن مشاريع النهضة الحضارية التي بفقدها ظهر الإرهاب، ثم يغوص فضيلته في قلب هذا الفكر المتطرف ومصادره؛ ليبين للناس أن هذا الفكر يقوم على نظرية الهرم المقلوب، ثم يواصل فضيلته الحديث عن الرؤوس المؤسسة لهذه الجماعات فيتناولها بالعرض والتحليل حتى يصل إلى النتائج التي تزيل الإشكال، وترفع الالتباس[1].

رابعًا. الالتزام بالمنهجية العامة للكتابة:

لم تخرج مؤلفات فضيلة الدكتور علي جمعة عن نمط الكتابة المُتعَارف عليه بين الكُتَّاب والمؤلفين على مر العصور، فإن المُطالع لمؤلفات فضيلته يجد أنها لم تخل من أربعة عناصر هي غاية في الأهمية عند جميع الكُتَّاب، وهي :

(١) انظر: «حكاية الارهاب» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ٢٦٢وما بعدها، طبعة دار النهار للنشر والتوزيع ـ مصر .

١. تحديد عنوان البحث .

يُعد تحديد العنوان «موضوع البحث» من أهم أركان مقدمة الكتاب، وهو الأمور المهمة بالنسبة للقارئ؛ حيث إنّ عنوان البحث من أهم الدوافع التي تدفعه إلى قراءة البحث، وتجعله على بصيرة بما يقرأ، وتدفع عن ذهن القارئ الجهل بالموضوع الذي سيقرأ فيه، وقد تكلم العلماء قديمًا وحديثًا عن هذا الأمر كثيرًا، إما في المصنفات التي أُفردت للحديث عن مناهج البحث خصوصًا، أو في أوائل الكتب عند كلام «الكتَّاب» على مقدمة الكتاب.

وتحديد عنوان الموضوع لدى الدكتور علي جمعة يظهر للقارئ بشكل مباشر وصريح، من غير سجع وتنميق ، رغم أنّ فضيلته يمتلك مقومات لغوية تساعده على اختيار عناوين ذات أسماء رنانة؛ لكنه يُفضل الدخول إلى جوهر الموضوع ولُبِّه بعنوان مباشر؛ لأنّ العبرة عنده تكمن في الجوهر لا في الشكل والمظهر.

٢ .المقدمة .

والمراد بالمقدمة هنا «مقدمة الكتاب» حتى لا ينصرف الذهن إلى مقدمة العلم(١)

---

(١) مقدمة العلم هي : ما يتوقف عليه الشروع في ذلك العلم، وتُعرف هذه المقدمة «بالمبادئ العشرة»، وقد نظم هذه المبادئ العشرة بتمامها الشيخ أبو العرفان الصبان في حاشيته على شرح الملوي على متن «السلم المنورق» في علم المنطق، فقال:

إن مبادِي كل فنٍّ عشرهْ ... الحدُّ والموضوعُ ثم الثمرة
ونسبةٌ وفضلُهُ والواضعْ ... والاسمُ الاستمدادُ حكمُ الشارعْ
مسائلٌ والبعضُ بالبعضِ اكتفى ... ومن درى الجميعَ حازَ الشرفا

فهذه المبادئ التي تجعل من يعرفها يتشوق ويتشوف إلى دراسة هذا العلم الذي عرف مبادئه، ومعرفة «مقدمة العلم» يدفع ما يُسمى بالجهالتين والعبثين. وللمزيد من التفصيل حول معرفة الفرق بين «مقدمة العلم» و «مقدمة الكتاب»، يُنظر كتابنا «الطرق المنهجية في تحصيل العلوم الشرعية»، طبعة مكتبة المجلد العربي ـ مصر .

، ومقدمة الكتاب هي: «طائفة من الكلام يُذكر قبل الشروع في المقصود»[١]،

فمقدمة الكتاب هي: خطبة الكتاب التي يستهل بها المؤلِّف كتابه؛ حيث يذكر فيها البسملة، والحمدلة، والصلاة والسلام على سيدنا رسول اللهﷺ، والشهادتين، وذكر اسمه حتى لا يكون الكتاب لمؤلف مجهول، وتسمية الكتاب، والإتيان بما يشعر بالمقصود[٢]، والإتيان بكلمة «أما بعد»، وذكر المنهج الذي سلكه في الكتاب، وخطته في تقسيم الكتاب وترتيبه، والمقارنة بين كتابه وبين ما سبق كتابته في هذا الموضوع، ومستوى الكتاب[٣]، والغرض الذي دفعه لتأليف الكتاب، والمنفعة التي تعود على القارئ من خلال مطالعة الكتاب، وختام المقدمة يكون غالبًا بطلب المغفرة من الله، وطلب الدعاء من القراء .

فمقدمة الكتاب عند الدكتور علي جمعة تختلف من حيث الإسهاب والاختصار باختلاف الموضوعات وما تقتضيه بلاغة الكلام نظرًا إلى حجم الكتاب، فمثالاً لا حصرًا: مقدمة كتاب «حكاية الإرهاب» جاءت في أربع عشرة صفحة، ومقدمة كتاب «المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية» جاءت في صفحة واحدة، ومقدمة كتاب «المتشددون» جاءت في تسع صفحات، ومقدمة كتاب «آليات الاجتهاد» جاءت في صفحة واحدة، ومقدمة كتاب«أمن المجتمع واستقراره من المنظور الإسلامي» جاءت في ست صفحات.

(١) انظر: كتاب «دستور العلماء» للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول (٣/٢١٧)، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) والإتيان بما يُشعر بالمقصود في أول الكلام يُسمى عند البلاغيين: ببراعة الاستهلال، أو براعة المطلع.

(٣) لا يوجد على ظهر الأرض من يستطيع أن يحصر عدد الكُتب التي قام العلماء بتأليفها ؛لكن بعض العلماء قاموا بحصرها من حيث «مستوى الكتابة»، فقالوا : تنحصر جميع الكُتب في ثلاثة مستويات، هي:«كتب وجيزة مختصرة، وكتب متوسطة الحجم والمضمون، وكتب مطولة كبيرة الحجم والمضمون». وقد جاء هذا التقسيم باعتبار المستويات الثلاثة التي يمر بها طالب العلم: «المبتدئ، والمتوسط، والمنتهي»، وعلى هذا الاعتبار قام العلماء بتأليف الكتب والأبحاث .

وهذا هو صنيع البلغاء؛ حيث إنّ قدرة الكاتب على الإخبار بشيء سوف يتكلم فيه دون أن يتكلم فيه، نوع من أنواع البراعة في الكلام، وبراعات الكلام عند البلغاء ثلاثة :

أوَّلًا- براعة المطلع، وهي: ذكر شيء في أول الكلام يُشعر بالمقصود، وتُسمى أيضًا: ببراعة الاستهلال .

ثانيًا - براعة المقطع، وهي : ذكر شيء في آخر الكلام يُشعر بالانتهاء، وتُسمى أيضًا : ببراعة الانتهاء.

ثالثًا- براعة المطلب، وهي: تقديم الثناء بين يدي الطلب، وتُسمى أيضًا: ببراعة الطلب .

وقد اشتملت مؤلفات فضيلة الدكتور علي جمعة عليها جميعًا .

٣. العرض .

العرض هو : عبارة عن الأفكار والرؤى والحلول التي يقدمها الكاتب في كتابه لمعالجة القضية التي هو بصدد الحديث عنها، وقد تختلف طرق العرض والتقسيمات لدى الكُتَّاب باختلاف مناهجهم و مشاربهم ، ومدارسهم الفكرية، فمنهم من يجعل كتابه على وتيرة واحدة ، ومنهم من يجعله عناصر حتى تسهل القراءة على القارئ، ومنهم من يجعل الكتاب أبوابًا وفصولاً، للتخفيف على القارئ ومنحه فرصة للاستراحة وتنشيط الذهن؛ لأن القارئ كالمسافر يحتاج إلى قسط من الراحة.

لما كان لكل مقام مقال، اختلفت طرق العرض والتقسيمات لدى فضيلة الدكتور علي جمعة في مؤلفاته،فطريقة العرض والتقسيم تختلف لديه باختلاف الموضوعات وما يناسبها من حيث مقام الكلام، فها هو كتاب «المكاييل والموازين الشرعية» يقسِّمه إلى مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة؛ وذلك نظرًا لما يقتضيه الموضوع.

وإذا نظرنا إلى كتاب «حاكموا الحب » نجد أنّ فضيلته قد جعل الكتاب «وحدة واحدة»، وهذا صنيع بديع من فضيلته؛ حيث إنّ تركه للتقسيم البحثي المتعارف عليه، جعل الكتاب جملة واحدة تمس شِغاف القلب، وتتغلل في أعماق النفس، فيعيش القارئ حالة الحب التي عاشها كل من رأى رسول الله ﷺ، وقد ذكر فضيلته في مقدمة الكتاب سبب عدوله عن التقسيم البحثي المتعارف عليه بين الكُتَّاب، فقال: «وقد آثرنا ألَّا نقسم الكتاب إلى فصول أو مباحث، بل تركناه كما هو وحدة واحدة، تمثل حالة الحب في دائرة حياة رسول الله ﷺ »[1].

وإذا نظرنا إلى كتاب «حكاية الإرهاب » نجد أنّ فضيلته قد قسَّم الكتاب إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، وهذا التقسيم قد جاء لمناسبة مقام الموضوع، من حيث الأهمية، والبيان، والتفصيل، ونظير هذا ما فعله فضيلته في كتاب «المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية»؛ حيث قسَّم الكتاب إلى مقدمة وعشر فصول وخاتمة. وختام الكلام أنّ منهج فضيلة الدكتور علي جمعة في العرض والتقسيم من المناهج البديعة؛ لأنه يتعامل مع كل قضية بما يناسبها، ولذلك كانت مؤلفات فضيلته سهلة المنال، لا يصعب تحصيل ما جاء فيها، فإن طريقته في العرض والتقسيم جعلت أهل التخصص يجدون فيها بغيتهم، وكذلك المثقفين وعموم الناس، فلما كانت قضية التشدد من أخطر القضايا التي أصابت الأمة في الآونة الأخيرة ، شعر الدكتور علي جمعة بواجبه نحو المجتمع فقام بكتابة كتابه الماتع «المتشددون» وقام بعرضه في صورة عناصر؛ ليكون مناسبًا لجميع الفئات؛ ليؤكد فضيلته ما ذهبنا إليه من أنّ كتب فضيلته صالحة لكل قارئ، فلم يقصد فضيلته وضعها لطائفة معينة أو فريق خاص، وإنما وضعها لجمهور المسلمين.

(١) انظر : «حاكموا الحب» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ٦، طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ـ مصر .

٤. الخاتمة

درج علماء أهل السنة في ختام مؤلفاتهم على الخروج من حولهم وقوتهم، والاعتراف بأن ما كتبوه وقدموه إنما هو بحول الله وقوته وتوفيقه، كما أنهم يسألون الله القبول وأن يجعل ما قدموه خالصًا لوجهه الكريم، وأن يكون سببًا في دخولهم جنات النعيم، ويلتمسون أيضًا من القارئ العذر والعفو عن الزلَّات والهفوات؛ حيث إن الإنسان محل للخطأ والنسيان، ولا يسلم من الخطأ إلا كلام الله تعالى ورسوله المؤيد بالعصمة ﷺ، ولله در الحريري إذ يقول في ختام ملحته:

وَإِنْ تَجِـدْ عَيْبًا فَسُدَّ الخَلَلَا فَجَلَّ مَنْ لا فِيهِ عَيْبٌ وَعَلَا(١)

وفي نهاية الخاتمة يذكر بعض العلماء النتائج المهمة التي تُستفاد من البحث كله، وقد يذكر بعض العلماء في الخاتمة ملخصًا للبحث يبذلون فيه منتهى العناية في التنظيم والتدبيج، فقد يغلب أن يطلع عليه القارئ قبل اطلاعه على الرسالة، فيقر ما إذا كانت تستحق القراءة أو لا(٢).

وقد يشتمل هذا الملخص على مواطن الكشف وبيان النقاط الجديدة التي جاءت بها الرسالة، فهو يعد صورة سريعة لما استطاع المؤلف أن يسهم به في خدمة القضية أو الموضوع الذي تناوله في بحثه، وخواتيم الكتب عند فضيلة الدكتور علي جمعة مختلفة باختلاف ما يراه فضيلته ملائمًا ومناسبًا لخدمة الموضوع، وبالمثال يتضح المقال: ففي خاتمة كتاب «المرأة في الحضارة الإسلامية»، جعل فضيلته الخاتمة عرض لبعض الإحصائيات التي تؤكد إهانة المرأة في الحضارات الغربية، مما يؤكد تكريم الحضارة الإسلامية للمرأة وإعطاءها ما لم تأخذه من غيرها .

(١) انظر منظومة :«ملحلة الإعراب»، للإمام الحريري، صـ ٤٨، طبعة مكتبة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر.

(٢) انظر : كتاب «كيف تكتب بحثًا أو رسالة لفضيلة أ.د/ أحمد شلبي، صـ ١٦٨، طبعة مكتبة النهضة المصرية.

وفي كتاب «وقال الإمام» لم يكتب فضيلته خاتمة لما جاء في الكتاب؛ ذلك لتنوع وتعدد موضوعات الكتاب.

وإذا نظرنا إلى كتاب «مدى حجية الرؤيا عند الأصوليين» نجد أنّ فضيلته قد جعل الخاتمة ملخصًا لما قدمه في الكتاب، فجاءت الخاتمة تحت عنوان:«الخلاصة» فمما جاء فيها :«تبين مما سبق أن الرؤيا ليست بحجة شرعية يؤخذ بها في الحلال والحرام، ولا الإقدام والإحجام عما تقرر في القرآن والسنة الصحيحة، وإن كانت من المبشرات يراها العبد الصالح، أو ترى له، وإن كانت جزءًا من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، وإن كانت في حق الأنبياء تشريع، وإن كانت رؤيا النبي ﷺ لا يقر بها الشيطان، ولا يتمثل به ﷺ لعلو شأنه»[1].

وقد تأتي الخاتمة في صورة نتائج، وهذا ما فعله الدكتور علي جمعة في كتابه الماتع: «رؤية حضارية لترتيب المقاصد الشرعية»، فقال : بعد هذه المسيرة مع المقاصد الشرعية وترتيبها نتوصل إلى مجموعة من النتائج تتمثل في :

١ـ أهمية المقاصد الشرعية باعتبارها مدخلاً منهجيًا للتعامل مع الواقع المعاصر.

٢ـأن العلماء اختلفوا في الترتيب الأمثل للمقاصد.

٣ـ أن هذا الاختلاف من اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد، وأن اختلافهم من باب اختلاف العبارات باختلاف الاعتبارات.

إلى غير ذلك من النتائج التي ذكرها فضيلته في نهاية الكتاب[2]

---

(١) انظر: « مدى حجية الرؤيا عند الأصوليين » للأستاذ الدكتور علي جمعة، صـــ ١٠٨، طبعة دار الرسالة.

(٢) انظر : «رؤية حضارية لترتيب المقاصد الشرعية» للأستاذ الدكتور علي جمعة ، صـ ٥٧، طبعة دار نهضة مصر. للطباعة والنشر والتوزيع.

وقد تشتمل الخاتمة على توصيات يقدِّمها المؤلف حول بعض النقاط المهمة التي تستحق البحث ولم يتمكن هو لظرف ما من القيام بها، فيوصي من تمكنه أهليته وظروفه أن يسير بها مرحلة جديدة إلى الأمام، وهذا ما فعله الدكتور علي جمعة عندما كتب عن «التجربة المصرية»، فجاء الدكتور/ علي عمر، أمين الفتوى بدار الإفتاء المصرية؛ ليسير على درب شيخه فضيلة الدكتور علي جمعة ويُكمل ما قد بدأه فيؤلف كتابًا ضخمًا تحت عنوان: «التجربة المصرية»[1].

۞۞۞

(١) طُبع هذا الكتاب ضمن «سلسلة البيان» التي أصدرتها دار النهار للنشر والتوزيع، تحت إشراف فضيلة أ.د/ علي جمعة.

المطلب الثالث

منهج الدكتورعلي جمعة في التأليف والكتابة

إنّ قيام فضيلة الدكتور علي جمعة بوظيفة التدريس الجامعي، ومنصب مفتي الديار، وعنايته بتحصيل علوم المقاصد والوسائل، كل هذا جعل فضيلته يدرك قيمة الكلمة، وأثرها في بناء الشخصية وتكوين الرأي العام، من هنا جاء اهتمامه بالتأليف وكتابة الكتب والمقالات والبحوث وإعداد المحاضرات العلمية ، ولم يكن فضيلته مجرد كاتب يكتب ما يوحي إليه قلمه، وإنَّما هو صاحب فكر ودعوة ومنهج متميز في التأليف والكتابة، ومن أهم سمات منهجه في التأليف والكتابة:

أولاً ـ التوثيق.

ثانيًا ـ الجمع بين الأصالة والمعاصرة.

ثالثًا ـ عقلانية الفكر في نقل الأقوال وعرضها ومناقشتها.

رابعًا ـ الإقبال على الكتابة في موضوعات بكر.

خامسًا ـ الاتجاه إلى لب الموضوع لا إلى شكله .

سادسًا ـ الصياغة الرصينة السهلة

وفيما يلي بيان ذلك :

أولًا: التوثيق:

تُعدُّ قضية التوثيق عند فضيلة الدكتور علي جمعة من أبرز سمات شخصيته العلمية عمومًا، ومن أهم سمات منهجه في التأليف والكتابة خصوصًا؛ حيث إنّ فضيلته يحترم المصادر الإسلامية، ويحدد حجيتها، وطريقة توثيقها، وأدوات فهمها، ومساحة القطعي والظني، والثابت والمتغير فيها، وطريقة الإلحاق بها، وكيفية الترجيح فيما بينها عند التعارض الذي يرد على الذهن، فترى فضيلته يتكلم عن أهمية توثيق المصادر في بداية كتابه الماتع «المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية»، حيث نبّه فضيلته على أن وجود «النص» يقتضي وجود مسألة «التوثيق»، فالتوثيق هو السؤال الأول الذي يطرح نفسه على الإنسان الذي يسعى إلى معرفة الحق، هل «النص» الذي بين يديَّ الآن هو الذي نطق به الشخص المنسوب إليه هذا «النص» أم شخص غيره ؟ فمن أجل الإجابة على هذا السؤال وُجِدَ لدى علماء الإسلام ما يقرب من عشرين علمًا، كلها تخدم قضية التوثيق .(١)

ويؤكد الدكتور علي جمعة أنّ قضية التوثيق من أبرز المعالم التي تتميز بها العقلية المنهجية؛ حيث إنّ فضيلته يعتبر قضية «التوثيق» من المفاتيح المهمة في إدارة عجلة التنمية، وإحدى الأدوات الأساسية في بناء الحضارة، وإذا فُقِدَ التوثيق، تَكَوَّن «العقل الخرافي» الذي ينكر أول ما ينكر حجية المصادر، وطرق البحث، والتخصص، والهروب من الأدلة، وفصل المسائل عن أصولها، والتعميم، والخلط بين المصطلحات، والتلبيس في المفاهيم، والاعتماد على الأوهام و الانطباعات و الرغبات.

فمنهج الدكتور علي جمعة في قضية «التوثيق » يظهر لنا ظهورًا واضحًا فيما كتبه في إحدى مقالاته حيث قال :« ونحن ندعو الشباب إلى التوثيق القائم على العقلية

(١) انظر: «المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ١١، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع ـ مصر.

العلمية، ونحذرهم من العقلية الخرافية وتداعياتها، وننبههم إلى أن هذا النمط القديم الجديد إنما يبرز كل حين فيحدث جلبة وضوضاء من أجل أن يلفت لنفسه الأنظار، غافلا أن الحكماء والعلماء والعقلاء يدركون أن عقلية الخرافة سوف تؤدي -حتمًا وبلا تردد- إلى السطحية التي ينهار معها البناء الفكري، وتنهار بها الحضارة، فالبناء الحضاري لا يقوم إلا على أسس عميقة قوية يُنشئها التوثيق، وهو أداة إذا فقدناها، فقدنا عمق هويتنا وجذور حضارتنا»[1]

ثانيًا: الجمع بين الأصالة والمعاصرة:

تمتاز مؤلفات الدكتور علي جمعة بأنها تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

أما الأصالة : فيجد المطالع لمؤلفات فضيلته أنها تعتمد اعتمادًا كليًا على المصادر التشريعية المتفق عليها « الكتاب ـ السنة ـ الإجماع ـ القياس»، وكذلك المصادر المختلف فيها بين الأئمة مثل «الاستحسان ـ والعرف ـ وعمل أهل المدينة»، وغير ذلك من النصوص والمصادر التشريعية، فلا يوجد قضية من القضايا التي يطرحها فضيلته، أو مسألة من المسائل التي يتحدث عنها في مؤلفاته، إلا ويستدل لها بالنصوص الشرعية؛ لأن روح العلم الشرعي الاستدلال.

كما يغوص الدكتور علي جمعة في كتب التراث بمختلف مشاربها الفكرية، وتعدد ألوان موضوعاتها الرئيسية والفرعية، فيستخرج لنا بعقيلته «الما ورائية» التي لم تقف فقط عند بنية النص «اللفظ»، بل تنتقل إلى المغزى «المراد من النص» دررًا وكنوزًا نستطيع من خلالها أن نفوز بسعادة الدارين، والدكتور علي جمعة في اقتباسه من هذه المصادر لا ينقل فقط، بل يستخدم مقوماته العلمية، وثقافته، وعقله في التحليل، وهو ما يمكن أن نسميه: «امتزاج المعارف». وأما المعاصرة : فإن المُطالع لمؤلفات فضيلته يجد أنه لم

(١) انظر: مقال بعنوان: «من أدوات بناء الحضارة: التوثيق» لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

يغفِلْ ثقافة العصر في كتاباته من : لغة، ومصطلحات علمية حديثة، وأساليب معاصرة، فهو يعمل دائمًا على تأصيل المصطلحات الحديثة، والعودة إلى جذورها التراثية، كما هو صنيعه في الكلام عن «النموذج المعرفي» الذي يُكون عقل المسلم بناء على عقيدته ورؤيته الكلية للإنسان، والكون والحياة، وما قبل ذلك، وما بعده، ذلك النموذج الذي يمثل الإطار المرجعي، والمعيار المعتمد في عقل المسلم ونفسيته، وهو المكون الأساسي لشخصية المسلم والضابط لفكره.

فمصطلح «النموذج المعرفي» لم يكن موجودًا في كتب القدامى رغم أن مكوناته قتلها العلماء بالبحث والكتابة؛ لكن تحت عناوين أخرى، فلما تناول الدكتور علي جمعة الحديث عن تلك المكونات جمعها تحت هذا المصطلح المعاصر، إيمانًا منه على عدم الوقوف عند مسائل من سبقنا من العلماء، وإنما الوقوف يكون عند مناهجهم.

ثالثًا: عقلانية الفكر في نقل الأقوال وعرضها ومناقشتها:

لقد رزق الله فضيلة الدكتور علي جمعة مواهب كثيرة، فمن أهم هذه المواهب «عقليته العلمية» في تناول القضايا ومعالجة المشكلات وحلها من خلال كتبه وأبحاثه ومقالاته؛ حيث إنّ فضيلته لايقبل الأقوال بسهولة ويسر، ولكنه ينظر إليها بعين ورح المحقق المدقق، والقاضي العادل، كما يقوم بعرض هذه الأقوال على مصادر التشريع المعتبرة، ومقاييس المنطق والعقل، فما كان موافقًا لهذه الضوابط قبله، وإلا رفضه ونقده وفنَّده بكل ما أوتي من قوة حجة وبرهان، والذي ساعد فضيلته على ذلك، هو: «معرفته الموسوعية، وتبحره في مختلف الفنون والعلوم».

من هنا كانت عقلانية الفكر في نقل الأقوال وعرضها ومناقشتها، من أهم سمات التأليف والكتابة عند الدكتور علي جمعة؛ لأنّ فضيلته يتمتع كما ذكرتُ سابقًا بعقلية علمية، والعقلية العلمية دائمًا تكون حريصة على تحديد مصادر المعرفة، والتفرقة الدقيقة

بين مجالاتها المختلفة، فعلى سبيل المثال هناك المجال الحسي كالكيمياء والطبيعة، يختلف عن المجال العقلي كالرياضيات، وهو بدوره يختلف عن المجال النقلي كشأن علوم اللغة، والشريعة، وقد تتداخل هذه المجالات كما هو الشأن في العلوم الاجتماعية والإنسانية، ولكلٍ مجال منهج بحثه، وترتيب أدلته.(١)

كما تحرص العقلية العلمية أيضًا على تحديد طرق البحث، وشروط الباحث، وترتيب الأدلة، والرؤية الكلية، وعدم إهمال الجزئيات، وتأصيل المسائل، وتفصيلها، ووضع المصطلحات بإزاء المفاهيم، والاعتماد على الحقائق دون الانطباعات والرغبات والأوهام، ولذلك جاءت كتب وأبحاث ومقالات الدكتور علي جمعة مليئة بالمناقشات العلمية، والرصد والنقد لأفكار وأقوال العلماء والمفكرين، من القدامى والمعاصرين، فمثالاً لا حصرًا لما تصدى فضيلته للكتابة عن «قضية أصول الفقه» قام برصد ومناقشة وتحليل ما قاله العلماء حول هذه القضية، فترى فضيلته يتكلم عن هذا الأمر في مقدمة الكتاب فيقول: «هذا بحث حول قضية تجديد أصول الفقه، وهو بحث رصدي أكثر منه نقديًا، فهو يرصد الاتجاهات التي دعت إلى التجديد أو كانت تحت هذا العنوان، سواء أكانت على صواب أم خطأ، أوكانت على هدي أوضلال، وإنما هي تنبيهات وجمع لاتجاهات ظهرت تحت هذا الاسم تثير الفكر، وتدعو العلماء إلى بحثها ونقدها بل ونقضها إن لزم الأمر»(٢)

وفي وجهة نظري أنّ هذا الصنيع الذي قام به فضيلته يؤكد لنا المنهج الذي تتميز به مؤلفات فضيلته من عقلانية في الفكر، والنقل، والعرض، والمناقشة.

---

(١) انظر: مقال بعنوان :«العقل العلمي عند المسلمين»، لفضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة ـ جريدة الأهرام «٢٠٠٧».

(٢) انظر: كتاب «قضية تجديد أصول الفقه»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، صـــ ٣، طبعة دار الهداية ـ مصر .

رابعًا: الإقبال على الكتابة في موضوعات بكر:

لقد تميزت كتابات فضيلة الدكتور علي جمعة، بالابتعاد عما هو مكرر من المؤلفات، وهذا هو دأب العلماء؛ حيث إنهم قد وضعوا ضوابط وأغراض للكتابة والتأليف، فمن أهم هذه الأغراض ما ذكره أبو حيان التوحيدي؛ حيث قال: « ينبغي أن لا يخلو تصنيف «تأليف » من أحد المعاني الثمانية التي صنف لها العلماء وهي: اختراع معدوم، أو جمع متفرق، أو تكميل ناقص، أو تفصيل مجمل، أو تهذيب مطول، أو ترتيب مختلط، أو تعيين مبهم، أو تبيين خطأ»[1].

فعندما يكون المُؤلَّف، مُنبعثٌ من تلك الأهداف الثمانية التي ذكرها أبو حيان فسيأتي مؤلفه بالجديد المبدع، الذي ينتفع به الناس.

والمتأمل في كتابات الدكتور علي جمعة يجد أنّ فضيلته قد جاء فيها بأبحاث، وأفكار، ورؤى لم يسبقه إليها أحد، فمثالاً لا حصرًا لم يسبق فضيلته أحد إلى الكتابة في قضية «ذهاب المحل» فكتب في هذه القضية بحثًا ماتعًا تحت عنوان: «أثر ذهاب المحل في الحكم»، ليس هذا فحسب فإن فضيلته لا يأتي في كتاباته إلا بما هو جديد ومبتكر، فيؤكد فضيلته هذا الأمر في مقدمة كتابه «الأوامر والنواهي عند الأصوليين» حيث قال: «فجاء البحث بحمد الله محررًا بحيث لا تجد مجموعه في كتاب»[2]. وفي هذا الصدد يقول فضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري كتابه «أسانيد المصريين»: ولقد كان -رضي الله عنه- من الألمعية، وحدة الذهن، وشدة الذكاء، وقوة المُدرك بالمحل الأعلى، وكم تفتق ذهنه عن ابتكار بحوث عجيبة، أو دراسة عدد من البحوث المشهورة من وجهة جديدة، فكان يأتي في ذلك بالومضات الدالة على صفاء ذهن، وإدراكٍ لنسق الشرع الشريف في بناء العلوم والمعارف[3].

(١) انظر: «قواعد التحديث» للشيخ جمال الدين القاسمي، صـ٤٨، طبعة مؤسسة الرسالة. بيروت.

(٢) انظر: «الأوامر والنواهي عند الأصوليين» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ٦، طبعة دار النهار للنشر والتوزيع. مصر.

(٣) انظر: «أسانيد المصريين» لفضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري، صـ٥٥٣، طبعة دار الفقيه ـ الإمارات.

فمن ذلك أنه:

دعا إلى دراسة الشخصية الاعتبارية، وأثرها في الترجيح، وفي الحكم على العقود المعاصرة، والمعاملات المستجدة.

ودعا إلى إبراز التصورات الكلية للعلوم، وأن هذه التصورات كانت ساريةً في أذهان العلماء الذين كتبوا التراث، وأن غياب هذه التصورات الكلية عن الدارسين والباحثين المعاصرين يؤثر بدرجة كبيرة في مدى فهمنا لتراث الأمة.

ودعا إلى استخدام أصول الفقه في فهم كلام الناس، لتكوين العقلية القادرة على التعبير الدقيق فيما يفكر فيه الإنسان، والفهم الدقيق لما يفكر فيه الآخرون، مما يؤدي إلى فتح قنوات التواصل والتفاهم بين فئات المجتمع وتياراته وأحزابه وأطيافه الفكرية.

ودعا إلى التفرقة بين العقلية العلمية والعقلية الخرافية، ووجوب إنشاء دراسات موسعة حول سمات كل عقلية منهما وخصائصها، وكيفية تكوين العقلية العلمية بصورة تربوية واسعة.

ودعا إلى دراسة سمات العصر، وأنها تزيد على الثلاثين سمة، وأن إدراكها، وإدراك العلاقات البينية التي تربط تلك السمات هو الذي يصنع عقلية قادرة على فهم الواقع واستيعابه وتحليله.

ودعا إلى دراسة السنن الإلهية، وأنها المدخل لتوليد علم جديد، يمكن تسميته: «أصول فقه الحضارة»، في مقابل علم أصول فقه النص، الذي تولد على يد الإمام الشافعي.

ودعا إلى إنشاء بحوث ودراسات حول توليد العلوم، وأن توليد العلوم فرض قامت به الأمة الإسلامية عبر عصورها المختلفة، واستطاعت من خلاله أن تتوسع في فهم الشرع الشريف وأن تستوعب العقل المعيش.

ودعا إلى دراسة ما يسمى بواجب الوقت، وهو إدراك المسلم لما يجب أن يستوعبه، وأن يتصرف على أساسه، من المسائل الشرعية والظروف الواقعية، مع ما يجب على المسلم التحلي به من الهمة، والتجرد، والمعرفة الواسعة، وحمل همّ الهداية، ليستطيع أن يعيش بالإسلام في زمانه كما عاش السابقون به في زمانهم فنجحوا،، فدعا إلى إنشاء بحوث تشخص الواقع، وتعيد توصيفه وتعيد بناء شخصية المسلم على الإدراك والتفاعل مع ذلك التشخيص حتى يقوم بواجب الوقت.

ودعا إلى إنشاء بحوث مطولة في المشترك بيننا وبين الحضارات والثقافات الأخرى؛ تمهيدا لبناء الجسور بيننا وبين تلك الحضارات.

ودعا إلى الصناعة والصياغة لعلوم التوثيق بما يتلائم مع الثقافة المعاصرة، حتى يعرف المسلم كيف يصل إلى الحقائق بطريق منضبط، وكيف يتثبت من مصادر معرفته في كل مسائله.

ودعا إلى إحياء علم مقاصد الشريعة، وأن نعيد دراسة علم مقاصد الشريعة على أربع مستويات: المستوى الأول هو: الفرد، والمستوى الثاني هو: الأسرة، والمستوى الثالث: المجتمع، والمستوى الرابع: الإنسانية، فلابد من دراسة المقاصد الشرعية الخاصة بكل مستوى.

ودعا إلى دراسة النموذج المعرفة الإسلامي، لأن النموذج المعرفي هو الأصل الأعلى الذي يؤثر في الثقافة، والقوانين، والآداب، والفنون، فلابد من إحياء معالم النموذج المعرفي الإسلامي، وإحياء الروابط بينه وبين مجالات الحياة المختلفة.

ودعا إلى دراسة أسماء الله الحسنى، وجمعها من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ودراسة أثرها علة منظومة الأخلاق، لأن الأسماء الحسنى هي الإطار الأعلى لمنظومة القيم الإسلامية.

ودعا إلى دراسة نظرية تفريق الأحكام، وأثرها في الإلمام باختلاف أحوال الأحكام الشرعية، الواردة على المحل الواحد، باعتبارات مختلفة.

ودعا إلى دراسة قضية أثر ذهاب المحل في الحكم، وأنه لابد من التدقيق في دراسة المجالات التي تتنزل عليها الأحكام الشرعية، والتدقيق في عدم زوالها، أو تغير أوصافها، مما يقتضي تغير الحكم الشرعي المتعلق بها، حتى لا تتنزل الأحكام الشرعية على معنى مختلف لما وضعت له، فيقع تحليل الحرام أو تحريم الحلال.

ودعا إلى دراسة قضية اللحظة اللطيفة، وأثرها في الأحكام الشرعية، وأنها مهمة جدا في تصحيح بعض العقود، فدعا إلى تتبع ضوابطها، والمواضع التي استعملها فيها الفقهاء، وكيفية تفعيلها في الحياة المعاصرة.

ودعا إلى دراسة ما يسمى بالسقف المعرفي، وهو الإدراك الإنساني العام للعلوم والمعارف المتاحة للمكلف في حدود زمنه، والتي ينبني عليها الفهم العام للنصوص، ثم إنه يتسع ذلك السقف المعرفي كلما حصل للبشرية ارتقاء في سلم الحضارة، بحيث تتسع معه آفاق أخرى للفهم، فدعا إلى دراسة ذلك المعنى، وإلى النظر في صلة ذلك بقضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، وأن ذلك الإعجاز في الحقيقة هو اتساع المعنى القرآني للأسقف المعرفية عبر الأزمان.

ودعا إلى إنشاء علم يسمى بعلم حفريات القرآن، يدعو فيه إلى تنشيط بعثات التنقيب الأثري للبحث في الأمكنة والحضارات التي ذكرها القرآن الكريم، من باب التجاوب مع لمحات القرآن ولفتاته.

ودعا إلى دراسة ما يسمى بزمن الضرورة، وزمن الجهالة، ومدى إمكانية اتساع الحالات الاستثنائية في الأحكام، حتى تصير هي الأصل المعمول به في زمن معين، وأثر هذه القضية في تحليل الواقع المعاصر.

ودعا إلى التفرقة بين فقه الأفراد وفقه الأمة، وأن الدراسات في فقه الأمة قليلة، منها كتاب:« غياث الأمم في التياث الظلم» لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني(١) رحمه الله تعالى، وأن هذه التفرقة مهمة جدًا في إنضاج الأحكام الشرعية المتعلقة بتصرفات الأمة في المجالات المختلفة.

خامسًا: الاتجاه إلى لب الموضوع لا إلى شكله:

يُعدُّ هذا العنصر من أهم معالم منهج التأليف والكتابة عند فضيلة الدكتور علي جمعة؛ حيث إن هذا العنصر يُظهر لنا شخصيته العلمية ، وعقليته الموسوعية، فإنّ الدكتور علي جمعة يتجه دائمًا في مؤلفاته إلى «لب الموضوع لا إلى شكله، وإلى جوهره لا إلى عرضه»، فيغوص فضيلته في بطون المراجع والمصادر الخاصة بهذا الموضوع، مع إدراك للواقع، وتنزيله لنصوص هذا الموضوع على الواقع تنزيلاً سديدًا؛ ليأتي لنا بالكثير الكثير الذي يعجز غيره أن يأتي بمثله، ولعلَّ غيره يفضل البقاء على الشاطئ كي يلتقط ما يخرجه الغواص الماهر فيلبسه ثوبًا آخر، ويقدِّمه للناس على أنه من صنعه، أما الدكتور علي جمعة فهو لا يكتب حتى يُقال عنه كاتب، ولا يبحث حتى يُقال عنه باحث، ولا يستقصي حتى يُقال عنه استقصى واستوعب وأحصى، بل هو يكتب؛ لينفع الناس، ويحقق خدمة العلم، من منطلق ما أقامه الله فيه .

---

(١) هو : عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين: أعلم المتأخرين، من أصحاب الشافعي. ولد في جوين «من نواحي نيسابور»، عام ٤١٩ هـــ ، رحل إلى بغداد، فمكة حيث جاور أربع سنين، ثم ذهب إلى المدينة فأفتى ودرس، جامعًا طرق المذاهب. ثم عاد إلى نيسابور، فبنى له الوزير نظام الملك «المدرسة النظامية» فيها. وكان يحضر دروسه أكابر العلماء. له مصنفات كثيرة، منها «غياث الأمم والتياث الظلم »، و «العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية »، و «البرهان » في أصول الفقه، و«نهاية المطلب في دراية المذهب » في فقه السادة الشافعية، و«الشامل» في أصول الدين، على مذهب السادة الأشاعرة، و «الإرشاد »في أصول الدين أيضًا، و« متن الورقات » في أصول الفقه. توفي بنيسابور سنة ٤٨٧ هـــ .انظر:الأعلام للزركلي.

سادسًا: الصياغة السهلة الرصينة:

إنّ الكاتب البارع يحرص دائمًا على الدقة والوضوح في القول والكتابة على السواء، ويبتعد بقلمه عن الغموض؛ لأنه يرى فيه عيبًا يعوق الفهم ويحجب الفائدة . و يرى بعض الباحثين أن الوضوح صفة عقلية قبل أن يكون خاصة تعبيرية ، فما كان واضحًا في عقل الكاتب جاء واضحًا في تعابيره، وما كان محددًا دقيقًا ومرتبًا في العقل، جاء كذلك في الورق والكتابة ، وما كان مشوشًا مضطربًا غامضًا في النفس جاء كذلك في القول وفي الكتاب على السواء؛ ذلك لأن البنان يعبر عما في الجنان. وعليه فإن عملية «الاختيار والتركيب» للألفاظ والأفكار في مؤلفات الدكتور علي جمعة، لها دور أساس في دقة المعنى ورصانته، ووضوح الأسلوب وسهولته، والذي ساعد فضيلة الدكتور علي جمعة على هذا هو: عنايته واهتمامه بمفردات اللغة، ومترادفاتها، وطرق تركيبي الجمل والعبارات.

من هنا حرص الدكتور علي جمعة على صياغة كتبه وأبحاثه ومقالاته بعبارة سهلة مبسطة يفهمها كل مَنْ يقرأها، ويستمتع بها كل من يتذوق الأدب، فإن عبارته رائقة فائقة، تتسم بالرقة والرشاقة، وتتميز بعدة مميزات بلاغية وأدبية، منها:

١ـ بعده عن الألفاظ البعيدة الغريبة التي لم تعد مألوفة في حياة الناس، و اختيار القريبة الفصيحة المألوفة، التي تتلائم مع حاجة العصر .

٢ـ اختياره اللغة التي تناسب المقام، وتناسب المخَاطَب.

٣ـ استخدامه المصطلحات العلمية، والفنية، والتاريخية، والاجتماعية، والسياسية وغيرها في مواضعها مما أعطى لكتاباته سهولة ووضوح في قرائتها، وتناول موضوعاتها.

٤ـ مراعاته للمقام في الكلام، فتجد فضيلته يوجز في الكلام حين الحاجة، ويطنب ويفصل فيه حين الحاجة أيضًا .

والمطالع المتأمل في كتابات فضيلته يتأكد مما سبق؛ بل إنّ الدكتور علي جمعة يؤكد لنا بنفسه، مراعاته للاختصار والسهولة في صياغة كتاباته، فقد قال في مقدمة كتابه «الدين والحياة» :«هذه إجابات لكثير من الأسئلة التي تجول بأذهان الناس، هي إجابات مختصرة لبيان معالم الحلال والحرام، ولبيان سماحة الدين ويسر الإسلام، ورفق رسول الله ﷺ بالأمة»[1]

وقال في مقدمة كتابه: «القول المبين في أحكام الدنيا والدين» : «إن هذا البيان المختصر الذي يجيب الناس عما يشغل أذهانهم ويحير عقولهم في أمور ترتبط بدينهم وحياتهم، لهو خطوة وإضاءة في سبيلٍ سعينا من خلاله إلى تحقيق الوعي قبل السعي، وتحقيق الحكمة في الفكر والعمل، والذي يؤدي بدوره إلى جمع كلمة المسلمين وتحقيق وحدتهم»[2].

۞۞۞

(١) انظر : «الدين والحياة» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ ٣، طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ـ مصر .

(٢) انظر : «القول المبين في أحكام الدنيا والدين» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ٧، طبعة مكتبة الدار العربية للكتاب ـ مصر .

المطلب الرابع

مصادر الكتابة عند فضيلة الدكتور علي جمعة

عندما نتأمل في الكتابات التي قدَّمها فضيلة الدكتور علي جمعة إلى عالم الدراسات والأبحاث، نجد أنها متعددة المواضيع والمجالات، وهذه الكتابات في حقيقتها ليست إلا نتائج الدراسات والأبحاث التي قام بها فضيلته في المصادر التي اعتمد عليها في الكتابة، فمن خلال التتبع والاستقراء التام لجميع مؤلفات الدكتور علي جمعة يمكنني ذكر أهم المصادر التي اعتمد عليها فضيلته في كتاباته، وفيما يلي بيان ذلك :

أولاً: القرآن الكريم

ثانيًا: الحديث النبوي الشريف «رواية، ودراية»

ثالثًا: كتب التفاسير على اختلاف مدارسها

رابعًا: علوم القرآن

خامسًا : علم الكلام

سادسًا : علم المنطق والفلسفة

سابعًا: علم الاجتماع

ثامنًا : علم الإدارة

تاسعًا: علوم اللغة بفروعها

عاشرًا: علوم التاريخ والسير

الحادي عشر : كتب الأديان والفرق

الثاني عشر : علم أصول الفقه

الثالث عشر: علم الفقه

الرابع عشر : علم النفس

الخامس عشر : علم التصوف

السادس عشر :معرفته بالثقافات واللغات الأجنبية «الإنجليزية ـ الفرنسية»

وغير ذلك من المصادر والمراجع النفيسة والنادرة التي تحتوي عليها مكتبة فضيلته الشخصية .

المطلب الخامس

التعريف بمؤلفات و أبحاث الدكتورعلي جمعة

لقد لاقت كتابات فضيلة الدكتور علي جمعة إقبالاً شديدًا من الباحثين والمتخصصين في المجالات الشرعية والاجتماعية؛ بل تجاوز الأمر إلى غير المتخصصين من عموم الناس، على مختلف فئاتهم المعيشية، والعمرية؛ ذلك لما تميزت به مؤلفات فضيلته من وضوح العبارة وسهولتها، ولا أبالغ حين أقول: إن كتب الدكتور علي جمعة تمتاز بأنها صالحة لكل قارئ، فلم يقصد فضيلته وضعها لطائفة معينة أو فريق خاص، وإنما وضعها لجمهور المسلمين.

وقد تميزت مؤلفات الدكتور علي جمعة بمواكبتها لحاجة العصر، فالمتأمل في كتابات فضيلته يجد أنه لا يكتب في قضية إلا إذا كان المجتمع في حاجة ماسة لهذه القضية، أو يكتب فضيلته غيرةً منه على دين الله أن يدخل فيه ما ليس منه، أو يكتب تصحيحًا لصورة الإسلام السمحة، فتعددت موضوعات كتاباته بتعدد النوازل التي يعيشها المجتمع الآن، ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد ما قاله الأستاذ الدكتور محمد عمارة، عضو هيئة كبار العلماء، عن مؤلفات الدكتور علي جمعة؛ من حيث اختيار موضوعاتها، وتوقيت صدورها، فقال: «إذا كان اختيار المرء قطعة من عقله ، فإن اختيارات الدكتور علي جمعة لموضوعات كتبه، وتوقيت صدورها، هو قطعة من عقله؛ لأنه رجل فقُه الأحكام، وفقُه الواقع المعيش بعوالمه المختلفة، وعمل على تنزيل هذه الأحكام على هذا الواقع على اختلاف عوالمه، و الدكتور علي جمعة لا يكتب في قضية إلا حينما تكون هذه القضية تجيب على تساؤلات وإشكاليات في الواقع الذي نعيش فيه، فهذا الصنيع يعكس لنا عقليته التي جمعت بين فقه الأحكام، وفقه الواقع»[1].

(١) لقاء تلفزيوني مسجل بعنوان: «قصة حياة الإمام علي جمعة».

فقد تسنَّى لفضيلة الدكتور علي جمعة خلال حياته العلمية المليئة بالعمل المثمر الجاد، أن يثري المكتبة الإسلامية والعربية بل العالمية، بمؤلفته وأبحاثه التي خطَّها قلمه، فكانت ثروة ضخمة، وكنزًا علميًا كبيرًا؛ حيث زادت على مائة كتابٍ وبحثٍ في مختلف المجالات الشرعية والثقافية، والفكرية، وفيما يلي نبذة تعريفية بهذه الكتب والأبحاث:

أولاً: الكتب

١ـ المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم

طُبع هذا الكتاب في «دار الهداية» بالقاهرة ـ عام «١٩٩٣م»، في «٤٨» صفحة، وكان عنوانه: «قضية المصطلح الأصولي مع التطبيق على شرح تعريف القياس »، ثم أعيدت طباعته في «دار الرسالة » بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٤»م، في«٧٦» صفحة، تحت عنوان: «المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم».

لما شاع في العقود الأخيرة التلاعب بالمفاهيم والمصطلحات، شيوعًا كاد أن يقضي على هوية الأمة الإسلامية، وأصابها بحالة من الفوضى تعكسها الأزمة الفكرية التي تمر بها الأمة حاليًا، فالتلاعب بمصطلحات السلف الصالح، أو عدم فهم معانيها يؤدي إلى كارثة علمية محققة، وانهيار تام لأركان العلم، وضياعٍ لمفاهيمه.

فمن هذا المنطلق رأى فضيلة الدكتور علي جمعة ضرورة الكتابة في هذه القضية فجاء هذا الكتاب: «المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم»؛ ليعالج نظريًا وتطبيقيًا قضية المفاهيم والمصطلحات، من خلال البحث النظري المتعمق للقضية، والوقوف أمام الاصطلاح وصوره وأنواعه في الفكر الإسلامي، ثم تطبيق القواعد المنهجية في شرح المصطلح على واحد من المصطلحات الأصولية الهامة وهو مصطلح القياس، ويشتمل الكتاب على ثلاثة مباحث:

الأول: مدخل لقضية المفاهيم والمصطلحات.

الثاني : قضية الاصطلاح.

الثالث: دراسة تطبيقية على شرح مصطلح القياس.

٢ـ أثر ذهاب المحل في الحكم

طُبع هذا الكتاب في «كلية الدراسات الإسلامية والعربية ـ جامعة الأزهر» بالقاهرة ـ عام «١٩٩٣م»، في «٧٥» صفحة،ويُعدُّ هذا الكتاب من البحوث الأصولية الدقيقة؛ حيث يدور موضوعه حول قضية النسخ بالعقل، والتي تتعلق بكثير من الفروع التي تواجه المسلمين في العصر الحديث، وقد قام فضيلة الدكتور علي جمعة بتسمية هذه القضية بـــ «أثر ذهاب المحل في الحكم»؛ ذلك لحدوث خلاف بين العلماء في تسمية هذه القضية نسخًا،ويتضمن هذا الكتاب بابين:

الباب الأول : تحرير معنى محل الحكم وذهابه.

الباب الثاني : التطبيق وجعله في أربع مسائل:

١ـ مسألة الصلاة.

٢ـ مسألة الرق.

٣ـ مسألة الخلافة.

٤ـ مسائل متفرقة.

٣ ـ قضية تجديد أصول الفقه

طُبع هذا الكتاب في «دار الهداية» بالقاهرة ـ عام «١٩٩٣م»، في «٦٢» صفحة، والذي دفع فضيلة الدكتور علي جمعة إلى كتابة هذا البحث هو كثرة الحديث حول قضية تجديد أصول الفقه، فلما كَثُر الحديث بين مؤيد ومعارض احتاج الأمر إلى مزيد بيان وتوضيح، فمن هذا المنطلق جاء هذا البحث الماتع، الذي رَصَدَ فضيلة الدكتور علي جمعة فيه الاتجاهات التي دعت إلى «تجديد أصول الفقه»، أو كانت تحت هذا العنوان،

سواء أكانت على صواب أم خطأ، أو كانت على هدى أو ضلال، فهو بحث رصدي أكثر منه نقديًا.

وفي ختام البحث عرض الدكتور علي جمعة رؤيته في قضية «تجديد أصول الفقه»، وذكر أنها رؤية مبدئية لتكون منطلقًا لدراسات أخرى أعمق وأشمل.

٤ ـ الحكم الشرعي عند الأصوليين

طُبع هذا الكتاب في «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» بالقاهرة ـ عام «١٩٩٣م»، ثم أعيدت طباعته في «دار السلام للنشر والتوزيع» بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٢م» في «٢٠٧» صفحة، وقد استهلَّ فضيلة الدكتور علي جمعة حديثه فيه عن الحكم الشرعي بمقدمة وتمهيد اشتمل على مطلبين هما بمثابة تصور كلي لما سيتحدث عنه فضيلته فيما بعد، ويشتمل هذا الكتاب على أربعة أبواب:

الباب الأول: في تعريف الحكم الشرعي.

الباب الثاني: فيما لابد للحكم منه .. وهو الحاكم والمحكوم عليه.

الباب الثالث: معنى محل الحكم وذهابه.

الباب الرابع: دراسة تطبيقية على الباب الثالث.

٥ ـ الإجماع عند الأصوليين

طُبع هذا الكتاب في «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» أيضًا، بالقاهرة ـ عام «١٩٩٥م»، ثم أعيدت طباعته في «دار الرسالة»ـ بالقاهرة عام«٢٠٠٢م»، في «٨٢» صفحة، ثم توالت طبعاته.

قد ناقش الدكتور علي جمعة في هذا الكتاب «قضية الإجماع في الشريعة الإسلامية»

وهي من الأهمية بمكان، ذلك لمكانة الإجماع في نقل هذا الدين جيلًا بعد جيل، فلا يتصور أن أحدًا يعرف يتوضأ، أو يصلي، أو يحج، أو يصوم.. إذا أنكر الإجماع بالكلية، فإن إنكار الإجماع هدم للدين.

فجاء هذا الكتاب؛ ليردَّ فيه الدكتور علي جمعة بأسلوبه العلمي الرصين على من يشحنون أبحاثهم ومؤلفاتهم بالطعن في الإجماع سواء أكان هذا الطعن تصريحًا أو تلميحًا، وقد قسَّم فضيلة الدكتور علي جمعة هذا الكتاب إلى مقدمة وخاتمة وخمسة مقاصد:

المقصد الأول: تعريف الإجماع، وقد تناول فيه تعريف الإجماع لغة واصطلاحًا، والتعريف المختار وشرحه.

المقصد الثاني: حجية الإجماع، وقد تناول فيه الحديث عن معنى حجية الإجماع، وحجية إجماع العامة، وحجية إجماع الخاصة، والدليل على إمكان وقوع الإجماع، والعلم به ونقله، وقطعية الإجماع، وحجية الإجماع وشبه المعاصرين، وهل الإجماع متعذر اليوم، وما المراد بعبارة : «من ادعى الإجماع فهو كاذب».

المقصد الثالث: أدلة حجية الإجماع، وقد تناول فيه الحديث عن أدلة الكتاب، والسنة، والمعقول.

المقصد الرابع: مستند الإجماع، وقد تناول فيه الحديث عن المستند الإجمالي والتفصيلي للإجماع.

المقصد الخامس: الإجماع والعصر الحاضر، وقد تناول فيه الحديث عن الإجماع والرأي العام، والإجماع والمجامع الفقهية .

٦ ـ علم أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة

طُبع هذا الكتاب في «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» بالقاهرة ـ عام «١٩٩٦م»، في «٥٣» صفحة، ثم أعيدت طباعته في« دار الرسالة للنشر والتوزيع» بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٢م»، في «٦١» صفحة، ثم توالت طبعاته، فكانت الطبعة الثانية عام «٢٠٠٩م».

يُعدُّ هذا الكتاب من أهم الأبحاث التي قام الدكتور علي جمعة بكتابتها، على الرغم من صغر حجمه إلا أنه جمع بين دفتيه الكثير من الفوائد، وقد بدأ الدكتور علي جمعة حديثه في هذا الكتاب ببيان العلاقة بين أصول الفقه والمنهج، وأنّ أصول الفقه منهج للتعامل مع النص الشرعي، هذا المنهج الذي أبدعه المسلمون دون سواهم من الأمم، فلما كان المنهج في رؤية الدكتور علي جمعة: «فلسفة تنبثق عنها إجراءات»، ذكر فضيلته أن «علم أصول الفقه» هو المسئول عن الإجراءات اللازمة للتعامل مع النص، ولا شك أن هذه الإجراءات تنبثق عن رؤية كلية تُمثل مباحث الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام.

وقد انطلق الدكتور علي جمعة إلى الفكرة الرئيسية لهذا الكتاب، وهي «نقاط التلاقي بين أصول الفقه والفلسفة الإسلامية»؛ حيث ذكر فضيلته أنّ الفلسفة الإسلامية تقوم على ثلاثة محاور، هي:

المحور الأول : الوجود «الله ـ الكون ـ الإنسان».

المحور الثاني : المعرفة «المنطق».

المحور الثالث: القيم «الأخلاق ـ والجمال».

ومن خلال هذه المحاور تتضح نقاط التلاقي والعلاقة التي بين «أصول الفقه والفلسفة» اتضاحًا جليًا، وقد ذكر فضيلته أن تمام هذه العلاقة يكون على مستويات ثلاثة، وهي:

١ـ إدراك هذه العلاقة .

٢ـ تشغيل تلك العلاقة والاستفادة منها.

٣ـ تطوير العلاقة بين الأصول والفلسفة .

أولاً: إدراك العلاقة:

تحت هذا العنوان تناول الدكتور علي جمعة الحديث عن موضوعين:

الموضوع الأول: المسائل المشتركة، التي انطلق فضيلته منها إلى فكرة الأسئلة الممتدة، التي يمكن من خلال الإجابة عليها الوصول إلى العلة الأولى، ثم الثانية، ثم الثالثة، ومن خلال هذه الأسئلة يتبين لنا مصادر وموارد هذا العلم وعلاقته بغيره من العلوم، وقد ذكر أ.د علي جمعة عدة أمثلة يتضح من خلالها فكرة الأسئلة الممتدة.

الموضوع الثاني: تخيُّرات الأصولي، هذه التخيرات التي نشأت كأثر للفلسفة على أصول الفقه، وقد مثَّل فضيلته فيها بالفلسفة اللغوية، وقد ذكر مذهب الإمام الرازي في «المحصول»؛ حيث يرى ظنية الدليل اللفظي؛ لتعرضه للاحتمالات العشرة التي تخلُّ بالفهم كما ذكر الأصوليون، وقد سرى هذا الأمر إلى الأصوليين من الفلسفة؛ حيث إنه لا يوجد عند أهل العربية هذا التدقيق، ثم ذكر فضيلته بعد ذلك خلافًا طويلاً في هذه المسألة عند الأصوليين.

ثانيًا: تشغيل العلاقة:

تحت هذا العنوان تناول الدكتور علي جمعة الحديث عن الصلة التي بين أصول الفقه، والفلسفة الإسلامية،وذلك في أمور، منها:

١ـ تعريف العقل

استعرض فضيلته شيئًا من كلام الأصوليين في تعريفهم للعقل أثناء تعرضهم

لقضية التكليف، فخرج الدكتور علي جمعة من ذلك بتعريف قال فيه :«إنّ العقل هو تمام العملية الفكرية، التي تتكون من الدماغ، والحواس السليمة الناقلة للواقع المحسوس إلى ذلك الدماغ، والمعلومات السابقة »ا.هـ، ثم أكد فضيلته أن بهذه العناصر الأربعة تتم العملية الفكرية بصورة تستلزم «التكليف»،وعند فَقْدِ واحدة منها يسقط «التكليف».

٢ـ تصورات جديدة ذات وظائف مهمة

تناول فضيلته هنا الحديث عن مسألة «الأمر ونفس الأمر»، وذكر ان النصوص الشرعية ينبغي أن تتعلق في خطابها العام بالواقع بصورة أصيلة ، ولاتتعلق بنفس الأمر إلا بصورة ثانوية، وقد جعل فضيلته هذا الفرق مدخلاً لحل المشكلة بين «العلم والدين»، وكذا المشكلة بين «الفقهاء والصوفية»، في كلامهم عن الحقيقة والشريعة .

٣ـ أصول الفقه منهجًا

بدأ فضيلته يتكلم هنا عن أصول الفقه كمنهجٍ في علاقته مع الفلسفة، واستفادة العلوم الاجتماعية من ذلك المنهج، ثم بيَّن فضيلته أن هذه الاستفادة لا تكون إلا بتجريد ما أسماه فضيلته «نظريات الأصول السبعة» وتطبيقها في تلك العلوم، ثم ذكر فضيلته في نهاية حديثه عن هذه النقطة تلك «النظريات »، وقام بشرحها.

ثالثًا : تطوير بين الأصول والفلسفة

انطلق الدكتور علي جمعة من نظرية المعرفة الإسلامية، التي ترى أن مصادر المعرفة هي : «الوحي ، والوجود»؛ ذلك ليصل فضيلته إلى ما أسماه بعلم «أصول الفقه الحضاري»؛ حيث يُستفاد في هذا العلم من كل أنواع المناهج التي استخدمت في الماضي، وكذلك مناهج العلوم الاجتماعية، والإنسانية.

كما أشار فضيلته إلى إمكانية الاستفادة من علم أصول الفقه بوصفه منهجًا

للعلوم الأحكام الشرعية، على مستوى الفقه، والفتوى، والقضاء، وعليه فأصول الفقه يتأثر بالواقع ويُؤثر فيه، ثم ذكر فضيلته مثالًا لتطبيق المنهج الأصولي في علم الاجتماع، ذلك من خلال الفرق بين القطعي والظني.

وفي نهاية الكتاب دعا الدكتور علي جمعة، الباحثين إلى أخذ هذا الكتاب مقدمة إلى أبحاث أخرى تكون أكثر عمقًا و تفصيلاً، ذلك لحاجة المجتمع المستمرة في التطوير والتجديد .

٧ـ المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية

طُبع هذا الكتاب في «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» بالقاهرة ـ عام «١٩٩٦م»، في «٣٧٤» صفحة، ثم أعيدت طباعته في مكتبة « دار السلام » بالقاهرة ـ عام «٢٠٠١م»، ثم توالت طبعاته، فكانت الطبعة الثانية عام «٢٠٠٤م»، والطبعة الثالثة عام «٢٠٠٩م».

عندما رأى الدكتور علي جمعة حاجة الأمة الإسلامية في الاستفادة من نتاج فكر العلماء المسلمين عبر العصور، وأن هذه الاستفادة لابد أن تكون على أكمل وجه، وأن تكون على أساس علمي منضبط لا يخرج عن إجماع الأمة وثوابت الشريعة، قام فضيلته بكتابة هذا السفر الفريد، الذي يُعدُّ خطوة جادة في بناء أداة الفهم الصحيح للتراث الإسلامي؛ حيث تناول فضيلته في هذا الكتاب الماتع الحديث عن تاريخ الأئمة الأعلام، وكتبهم، وأسس مذاهبهم، وأهم مصطلحاتهم، مع بيان مصادر الشريعة الإسلامية ومقاصدها وعلاقاتها بغيرها من الشرائع، كما تطرق فضيلته إلى الحديث عن القواعد الأصولية والفقهية وما يتعلق بها من النظريات والضوابط، ثم ختم فضيلته هذا الكتاب بعرض موجز لتاريخ التشريع الإسلامي بدءًا من عصر الصحابة ومرورًا بعصر المجتهدين، وعصر التقليد، والعصر الحديث، وقد جاء ذلك كله في عشر فصول، هي:

الفصل الأول: ماهية التراث الإسلامي .

الفصل الثاني: من مداخل التراث «مذهب الشافعية» .

الفصل الثالث: مذهب الحنفية .

الفصل الرابع : مذهب المالكية .

الفصل الخامس : مذهب الحنابلة . الفصل السادس: النحت الخطي .

الفصل السابع: مصادر الشريعة الإسلامية.

الفصل الثامن : مقاصد الشريعة الإسلامية.

الفصل التاسع : القواعد والنظريات الفقهية.

الفصل العاشر: تاريخ التشريع.

٨ـ الأوامر والنواهي عند الأصوليين

طُبع هذا الكتاب في «دار النهار للطبع والنشر» بالقاهرة ـ عام «١٩٩٧م»، في «٢٥٧» صفحة.

تناول الدكتور علي جمعة في هذا الكتاب الحديث عن «الأوامر والنواهي»؛ حيث ذكر فيه مسائل الأمر والنهي بتوسع في ذكر مذاهب الأصوليين وأقوالهم، وبيان أدلتهم، وما يرد عليها من اعتراضات واحترازات، وما يجاب به عليها، وقد أكثر فضيلته النقول عن المحققين المعتمدين من علماء الأصول، مع ذكره لأهم ما ينبغي الوقوف عليه في مباحث الأمر والنهي.

وقد اعتنى فضيلة الدكتور علي جمعة ببيان ما ذهبت إليه المدارس السائدة في علم الأصول؛ حيث قام بتحرير ما اختاروه في مسائل الخلاف، والتنبيه على ما قد وقع من بين أتباع المدرسة الواحدة من الوفاق والخلاف، كما اعتنى فضيلته ببيان المختار

عنده من هذه المذاهب والآراء، والتنبيه على مواطن الضعف، أو الخطأ، أو المخالفة، أو الوهم، خاصة إذا وقع ذلك في كلام أحد العلماء المعتبرين، كما قام فضيلته بذكر الأمثلة الفقهية على القواعد الأصولية؛ لتظهر ثمرتها، وكيفية استثمار الأحكام منها، فبذلك كله جاء هذا الكتاب محررًا محققًا، مجموعه لا تجده في كتاب، كما ذكر الدكتور علي جمعة في نهاية مقدمته للكتاب .

٩ـ آليات الاجتهاد

طُبع هذا الكتاب في «دار الرسالة للنشر والتوزيع» بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٤م»، في «١١١» صفحة، ويُعدُّ هذا الكتاب إطلالة دقيقة على قضية الاجتهاد أراد بها فضيلة الدكتور علي جمعة أن تكون وسيلة للوصول إلى الاجتهاد المنضبط باللغة والأصول في ظل الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، حيث بين فيه أنّ البحث عن حال المجتهد لا يختص بعلوم الشريعة ، بل يتعداه إلى غيرها .

فقد تناول فضيلة الدكتور علي جمعة في الفصل الأول من هذا الكتاب الاجتهاد في اللغة والاصطلاح ، كما تحدث فضيلته عن اختلاف الأصوليين في تعريف الاجتهاد ، وأن منهم من قصره على العملية الفقهية ، ومنهم من توسع فيه ليشمل العلوم العقلية والحسية ، وقد بيّن أن هذا هو الراجح عنده .

ثم تناول فضيلته الحديثَ عن أركان الاجتهاد ، وبيَّن أنّ الاجتهاد ضرورة لا بد منها ، ونقل كلام الأئمة في ذلك ، وأنه قد بلغت رتبة الاجتهاد عند بعض العلماء أن جعله موضع الوحي بعد انقطاعه كما نُقِل عن ابن السمعاني ، واقتضى الحديث عن ضرورة الاجتهاد بيان قيمته ، وأن المجتهد كالمترجم عن الله تعالى .

ثم قام فضيلته ببيان شروط المجتهد ، عند الأئمة مراعيًا الترتيب الزماني لهم كي نرى التطور الذي لحق هذه الشروط . وانتهى فضيلته من ذلك إلى أنّ بعض هذه

الشروط إنما أملتها الأدوات المتاحة قديمًا ، وذلك كشرط حفظ عدد ما من الأحاديث النبوية ، وأنه مع نضج التصنيف في علوم الحديث قاموا بتطوير هذا الشرط بما يفى بحاجة المجتهد دون إفراط ولا تفريط ، وكذلك الحال في العديد من الشروط ، مما يعنى وجوب مراجعة هذه الشروط في ضوء العصر الحالي ، وما فيه من تقنيات تعين على سرعة استدعاء المعلومات .

ثم تناول فضيلته مجال الاجتهاد ، وما يسوغ فيه ، وما لا يسوغ ، مما يعنى أن الاجتهاد له حدود معينة ينبغي له ألا يتخطاها .

وقد كان لفضيلته وقفة مع تطور الاجتهاد الفقهي، مما يساعدنا على فهم ما بين أيدينا من نتاج المجتهدين ، ويدفعنا إلى استكمال ما بدأوه .

ثم يأتي الفصل الثاني ليلقي بالضوء على قضية مهمة وهى : تيسر الوصول إلى الاجتهاد ، فذكر كلام كبار الأئمة في بيان تيسر أسبابه ، وتهيء أدواته ، وأنّ الحائل دونه إنما هو تراخى الناس عنه . وبين أن واجب المجتهد الاجتهاد لا إصابة الحق ، وفى ذلك رفع للحرج عنه .

ثم تناول فضيلته الكلام عن تيسر الاجتهاد وبحث في الأسباب المعوقة لطلبة العلم عن الوصول إليه ، فذكر ما تيسر حصره من مشكلات ، ووقف عند كل مشكلة منها وقفة تكشف عن طبيعتها ، وتحاول أن تطرح مخرجا منها ، حتى يعود للاجتهاد يسره ، وينفتح بابه الذي ادعى غلقه.

ثم كان الفصل الثالث حديثًا عن مسائل منثورة تلقى مزيدًا من الضوء عن الاجتهاد ، وطبيعته ، فناقش هل وقع الاجتهاد من النبى ﷺ ، وهل أغلق باب الاجتهاد حقا ، إلى غير ذلك من المسائل .

فكان مجموع الكتاب بذلك مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

١٠ـ مدى حجية الرؤيا عند الأصوليين

طُبع هذا الكتاب في « دار الرسالة للنشر والتوزيع» بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٤م»، ثم أعيدت طباعته في «دار الرسالة للنشر والتوزيع» بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٤م»، في «١٣٠» صفحة.

إنّ الرؤيا المنامية دليلٌ من الأدلة الشرعية التي حدث حولها اختلاف بين العلماء، من حيث حجيتها، وهل تصلح أن تكون مصدرًا لتشريع الأحكام أم لا؟

فمن هذا المنطلق قام فضيلة الدكتور علي جمعة بكتابة هذا الكتاب؛ ليوضِّح لنا حقيقة الأمر في هذا الموضوع، فتكلم في الباب الأول من هذا الكتاب عن ماهية الرؤيا ومعناها في اللغة وكلام العلماء والحكماء قديمًا وحديثًا، كما ذكر طائفة من أقوال السادة الصوفية في مسألة الرؤيا، ثم ذكر الاختلاف والتباين في آراء العلماء واتجاهاتهم حول هذا الموضوع.

وفي الباب الثاني : عرض فضيلته مسألة الرؤيا في النصوص الشرعية من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة.

وفي الباب الثالث: عرض فضيلته الرؤيا عند الأصوليين، من خلال تحرير محل النزاع، وذكر أقوال الأصوليين والرأي الراجح منها.

وفي الخاتمة: وضح فضيلته الآثار السيئة لاعتبار الرؤيا حجة في إثبات الأحكام الشرعية.

١١ـ القياس عند الأصوليين

طُبع هذا الكتاب في «دار الرسالة للنشر والتوزيع» بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٦م»، في «٣٦٣» صفحة.

إن قضية «القياس» من أهم وأعسر وأشق قضايا علم الأصول؛ لذلك قدَّم فضيلة الدكتور علي جمعة هذا الكتاب للمكتبة الإسلامية؛ ليسهل به ما صَعُب فهمه على الباحثين في قضية «القياس».

فتكلم فضيلته في هذا الكتاب عن تعريف القياس، وأركانه، وكيفية استنباط العلة، ومجالات القياس، وكيف يتم تطبيقه، وقد قدَّم فضيلته لذلك بمقدمة تشتمل على عدة فوائد مهمة، ثم أتبعها بأبواب الكتاب، وفصوله، ومباحثه.

١٢ـ المكاييل والموازين الشرعية

طُبع هذا الكتاب في «دار الرسالة للنشر والتوزيع» بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٢م»، في «٩٠» صفحة، من القطع الصغير، ثم توالت طباعته فكانت الطبعة الثانية عام «٢٠٠٩م».

إنّ الموازين والمكاييل، والمقادير المختلفة التي وردت لها أسماء في كتب الفقه الإسلامي كثيرًا ما تشتبه على القارئين والباحثين، وهم في أشد الحاجة لمعرفة أصولها، وما يقابلها بالنظام المتري الشائع استعماله في العالم الآن، فمن هنا رأى فضيلة الدكتور علي جمعة أهمية كتابته في الموضوع، الذي يزداد بمعرفته قارئ الفقه وعيًا بمعناه، ويستطيع أن يطبق ما ورد من أحكام شرعية بطريقة صحيحة في واقع الناس وحياتهم.

فجمع فضيلته في هذا الكتاب كل الألفاظ ذات الصلة بالموضوع، وأتبعها بالأحكام الفقهية على المذاهب الأربعة، مع تحرير قيمة كل كيل، أو وزن، أو مقياس، بالنظام المتري « الجرام ـ اللتر ـ المتر»، ثم وضع جداول تحتوي خلاصة ما ورد في الكتاب من المكاييل والموازين؛ لسهولة المطالعة والمراجعة.

وقد أوصى مجمع البحوث الإسلامية في الجلسة الثامنة في دورته الرابعة والثلاثين عام«١٩٩٨م» بطبع هذا الكتاب، ونشره، وتوزيعه على المعاهد والكليات الأزهرية.

١٣.النسخ عند الأصوليين

طُبع هذا الكتاب في «مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع» بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٥م»، في «١٧١» صفحة.

يُعد مبحث «النسخ» عند الأصوليين من أخطر وأدق المباحث التي تحتاج إلى وقفة علمية متأنية؛ حيث تعرض الأصوليون إلى أمر خطير يتعلق بنسخ التلاوة، ونسخ الحكم في القرآن الكريم، وقد افترق الأقدمون حول هذه المسألة، واشتد النزاع بين المُحدَثين حتى أنكر بعضهم النسخ جملة وتفصيلاً، وتمسك آخرون بالقول بما ورد عن الأقدمين، وادعوا الإجماع فيما لا يثبت الإجماع في مثله.

فمن هنا قام الدكتور علي جمعة بالكتابة في هذا الموضوع؛ ليعرض لنا أقوال الأصوليين، ثم يعرض لنا رأيًا جديدًا تجاه «النسخ» في القرآن ، حيث إن فضيلته يقر النسخ في السنة المشرفة، ويُبقي على ما ذهب إليه الأصوليون من آراء ومباحث في مجال السنة فقط، مع القول بعدم وجود النسخ في القرآن، وقد قسَّم فضيلته هذا الكتاب إلى ثلاثة عشر مبحثًا .

١٤ـ الإمام الشافعي ومدرسته الفقهية

طُبع هذا الكتاب في «دار الرسالة للنشر والتوزيع» بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٤م»، في «٩٠» صفحة.

لما كان التمذهب بمذهب فقهي معتمد هو ما عليه علماء الأمة من السلف والخلف وجب على عموم القراء لا سيما الباحثون منهم أن يكونوا على معرفة تامة بأصحاب هذه المذاهب، وبالأسس التي قامت عليها هذه المذاهب، فمن هنا قدَّم لنا فضيلة الدكتور علي جمعة هذا الكتاب الذي يُترجم فيه لواحد من أهم أصحاب المذاهب الفقهية؛ حيث يُعرِّفنا بمدرسته الفقهية، وكيف وصلت إلينا، فيلقي فضيلته الضوء على

مجتهد من المجتهدين العظام، الذين كان لهم أكبر الأثر في مسيرة الفقه الإسلامي، وهو : الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي «ت ٢٠٤هـ » الذي كان أية من آيات الله في كونه، وكانت مدرسته ولا زالت إلى الآن علامة فارقة في تاريخ الفكر الإسلامي والعمل معًا.

وقد تناول الدكتور علي جمعة الحديث عن الإمام الشافعي ومدرسته في هذه الورقات في بابين:

الباب الأول: تحدث فيه عن سيرة الإمام الشافعي ومسيرته .

الباب الثاني: تكلم فيه عن مدرسة الإمام الشافعي .

١٥ـ قول الصحابي عند الأصوليين

طُبع هذا الكتاب في «دار الرسالة للنشر والتوزيع» بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٤م»، في «١٤٦» صفحة.

إنّ مصادر الفقه الإسلامي منها ما هو متفق عليه كالكتاب والسنة عند جميع المسلمين، والإجماع والقياس عند جمهورهم خلافًا للظاهرية، ومنها ما هو محل خلاف ونظر بينهم جميعًا، وقد عدَّ الشيخ جمال الدين القاسمي في رسالته «حول المصلحة عند الطوفي» فبلغ بها نحو أربعين دليلاً منها :«قول الصحابي».

فلما كان «قول الصحابي» يحتاج إلى مزيد بحث، وتجميع لما تشتت في الكتب، وإزالة التعارضات التي يراها الباحث دون تحقيق وتمحيص، من هنا كان الأمر يحتاج إلى مزيد توثيق للآراء، وتحرير للمسائل حول هذا الموضوع، فمن هذا المنطلق قام الدكتور علي جمعة بكتابة هذا السِّفر الماتع؛ ليلقي به شيئًا من الإيضاح على هذا الدليل المختلف فيه، وقد قسَّم فضيلته الكتاب إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول: تناول فيه الحديث عن تعريف الصحابي لغة واصطلاحًا عند كل من المُحدِّثين والأصوليين، مع ذكر مذاهبهم، وأدلتهم، ومناقشتها، وترجيح ما رآه راجحًا.

الفصل الثاني: تناول فيه الحديث عن حجية قول الصحابي عند الأصوليين، فذكر مذاهبهم وأدلتهم، ومناقشتها، وترجيح ما رآه راجحًا.

الفصل الثالث: تناول فيه الحديث عن قضية تقليد الصحابي باعتباره مبنيًا على مدى حجية قوله، وأثر الأخذ بذلك عن من أخذ به في الفروع.

١٦- الجهاد في الإسلام

طُبع هذا الكتاب في «مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع» بالقاهرة - عام «٢٠٠٥م»، في «٧٦» صفحة، ثم توالت طباعته.

إنّ الجهاد في الإسلام حرب مشروعة عند كل العقلاء من بني البشر، وهي من أنقى أنواع الحروب من جميع الجهات: سواء من ناحية الهدف، أو الأسلوب، أو الشروط والضوابط، أو الإنهاء والإيقاف، أو الآثار والنتائج المترتبة على هذه الحروب.

وهذا الأمر واضح تمام الوضوح في جانبي التنظير والتطبيق في الإسلام وعند المسلمين، ورغم وضوح مفهوم الجهاد في الإسلام فإنَّ التعصب والتجاهل لحقيقة الدين الإسلامي الحنيف، والإصرار على جعله عدوًا وطرفًا في صراع -قد أحدث لبسًا شديدًا في هذا المفهوم- حتى شاع أنّ الإسلام قد انتشر بالسيف، وأنه يدعو للحرب والعنف، وهو ما يوضح الافتراء على هذا الدين السمح، وخلط الأوراق رغبة في تشويه صورته.

فمن هنا رأى فضيلة الدكتور علي جمعة حتمية الكتابة في هذا الموضوع من أجل تصحيح ما علق بمفهوم الجهاد من مفاهيم مغلوطة، فقام فضيلته بتوضيح الرؤية

الصحيحة لمفهوم الجهاد من واقع ما ورد في الكتاب والسنة، ومطبقًا ما حدث عبر القرون بدءًا من الحروب التي شارك فيها النبي ﷺ وانتهاءً بعصرنا الحاضر.

١٧ ـ حقائق الإسلام في مواجهة المشككين

طُبع هذا الكتاب «بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بمصر» عام «٢٠١٠م»،بالاشتراك مع كل من:

١ـ الأستاذ الدكتور/ عبد الصبور مرزوق ٢ـ الأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعني

٣ـ الأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ٤ـ الأستاذ الدكتور/ محمود حمدي زقزوق

وقد قام فضيلة الدكتور علي جمعة بمراجعة وتحرير هذا الكتاب.

إنّ قصة الصراع بين الحق والباطل، والخير والشر قصة قديمة بدأت فصولها مع بداية وجود الإنسان على الأرض، وسوف تتواصل فصول هذه القصة طالما كان هناك إنسان في هذا الوجود، وعندما ظهر الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان لم يتوقف سيل الشبهات التي يثيرها المشككون والمبطلون من خصوم هذا الدين تشكيكًا في مصادره، أو في نبيه، أو في مبادئه وتعاليمه، ولا تزال الشبهات القديمة تظهر حتى اليوم في أثواب جديدة يحاول مروجوها أن يضفوا عليها طابعًا علميًا زائفًا.

فمن هذا المنطلق قام السادة العلماء بكتابة هذا الكتاب دفاعًا عن بيضة الإسلام، فاشتمل الكتاب على ردود على ١٤٧ شبهة، فكان من نصيب فضيلة الدكتور علي جمعة الرد على ٦٦ شبهة منها، بيَّنها ووضَّحها ودحضها.

١٨ـ الإمام البخاري وجامعه الصحيح

طُبع هذا الكتاب في «دار الفاروق للنشر والتوزيع» بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٧م»، في «١٥٤» صفحة.

إنّ كتاب «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه» المعروف «بصحيح البخاري»، قد تلقَّته الأمة بالقبول، واعتبروه من أصح الكتب بعد كتاب الله ـ عز وجل ـ وهذا يظهر واضحًا في إكباب العلماء عليه بالشرح والاختصار والتعليق، بل والترجمة إلى اللغات الأخرى في العصر الحالي، أضف إلى ذلك أن بعض المحدثين كان إذا وجد الحديث مخرَّجًا في صحيح البخاري فإنه يقتصر على تخريجه منه، ولا يستطرد في تخريجه؛ لأن تخريج الحديث من صحيح البخاري رمز للصحة؛ ومن ثَمَّ وجد أنه لا داعي لذكر غيره.

وفي هذا دليل واضح على أنّ الإمام البخاري رحمه الله قد بذل جهدًا كبيرًا في تنصيف كتابه حتى وصل إلينا في الصورة التي هو عليها الآن، واستحق أن يكون كتابه علامةً على صحة وسلامته من أي ضعف، فمن هذا المنطلق رأى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ الأمة في أشد الحاجة إلى معرفة ما بذله أسلافهم في حمل الحديث إليهم؛ وأنهم كانوا يرون أن رواية حديث رسول الله ﷺ أمانة ثقيلة ألقيت على عاتقهم.

فاشتمل هذا الكتاب على بابين: تناول الدكتور علي جمعة في الباب الأول: الحديث عن الإمام البخاري، وتناول في الباب الثاني: الحديث عن كتاب «صحيح البخاري».

١٩ـ ضوابط التجديد الفقهي

طُبع هذا الكتيب في مجلة «الجمعية الخيرية الإسلامية» وأصله محاضرة ألقاها فضيلة الدكتور علي جمعة، «بالجمعية الخيرية الإسلامية»، في الموسم الثقافي العاشر للجمعية عام «٢٠٠٣م»، ويقع هذا الكتيب في «١٤» صفحة.

تُعدُّ قضية « ضوابط التجديد الفقهي » من أهم وأخطر القضايا التي نحتاج إليها في عصرنا الذي نعيش فيه؛ بل إننا في أحوج الحاجة لمثل هذا التجديد حتى نعيش

الواقع الذي حولنا ونحقق مقاصد الشرع الشريف من غير شطط، لا بترك النصوص، ولا بالخروج من هويتنا، ولا بالتخلف عن عصرنا، ونحن لدينا من الكنوز ما لا نحسن كثيرًا عرضه على الآخرين ، وذلك من أجل عدم قدرتنا على وضع الضوابط المحددة «للتجديد الفقهي» الذي قد ينطلق بنا إلى آفاق بعيدة مع الحفاظ على احترامنا لسلفنا الصالح وتراثنا العظيم ولمصادرنا الشرعية بكل ما تعني هذه الكلمة من معاني .

وعلى الرغم من صعوبة قضية « ضوابط التجديد الفقهي » وأنها من القضايا الشديدة في التعقيد، والتركيب، والصعوبة، قام الدكتور علي جمعة، بإلقاء محاضرة علمية تحت هذا العنوان؛ حيث بيَّن ووضَّح فيها كل ما يدور حول هذه القضية بالتفصيل، كما وضع لنا القواعد والضوابط التي نستطيع من خلالها أن نُخرج الأمة من أزمتها وورطتها، ونمكنها مرة أخرى من أن تؤدي دورها الحضاري، الذي يحتاجه العالم كله، ثم تم تفريغ هذه المحاضرة لتكون كُتيبًا صغير الحجم كبير العلم، وإضافة قوية للمكتبة الإسلامية، وقد نبّه فضيلته في نهاية حديثه عن «ضوابط التجديد الفقهي» إلى أنّ هذه القضية قد تكون هي المنقذ الوحيد لنا للخروج من ورطتنا التي نحن فيها بإزاء الأمم التي تقدمت علينا.

٢٠ ـ تعارض الأقيسة عند الأصوليين والترجيح بينها

طُبع هذا الكتاب في «دار الرسالة للنشر والتوزيع» بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٤م»، في «٩٨» صفحة.

إنّ التعارض والترجيح بين الأدلة هو أس الاجتهاد ومربط فرسه، وهو ما يحتاجه المشتغل بالفقه في العصر الحديث، فالتعارض بين الأدلة عامة إنما هو مرحلة ذهنية يمر بها المجتهد، وليس هناك تعارض في نفس الأمر ولذلك يحاول المجتهد أن يتخلص من ذلك التعارض الظاهري ، ويبحث عن جهة الجمع بين الأدلة وكما يقول الإمام

الإسنوي:« إذا تعارضت فإن لم يكن لبعضها مزية على البعض الآخر فهو التعادل، وإن كان فهو الترجيح»[1].

فمن هذا المنطلق قام فضيلة الدكتور علي جمعة بالكتابة في قضية «التعارض بين الأقيسة عند الأصوليين والترجيح بينها»، وقد قسَّم فضيلته هذا الكتاب إلى تمهيد وبابين:

فتناول في التمهيد التعارض والترجيح بصورة إجمالية، وفي الباب الأول تحدث فضيلته عن تعارض الأقيسة، وقد قسَّم هذا الباب إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول: في تعريف التعارض والقياس؛ حيث بيَّن فيه معنى التعارض، والفرق بينه وبين المصطلحات ذات الصلة به كالتناقض والتعادل والنقض، كما تم التعرض لتعريف القياس بصورة إجمالية.

الفصل الثاني: في أركان التعارض وشروطه في الأقيسة.

الفصل الثالث: في أسباب تعارض الأقيسة.

وأما في الباب الثاني : فقد تحدث فضيلته عن الترجيح بين الأقيسة المتعارضة، وقد قسَّم هذا الباب إلى فصلين:

الفصل الأول: في معنى الترجيح وأركانه، وأحكامه.

الفصل الثاني: وجوه الترجيح، وفيه مباحث.

ثم ختم الكتاب بخاتمة جعل فيها نظرة عامة على نتائج البحث

---

(١) انظر: «نهاية السول شرح منهاج الأصول » للإمام الإسنوي، (١/ ٣٧٢)، طبعة دار الكتب العلمية -بيروت

٢١- الدين والحياة «الفتاوى العصرية اليومية»

طُبع هذا الكتاب في «مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع» بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٤م»، في «٤٥٢» صفحة، ثم توالت طباعته، فكانت الطبعة الثانية عام «٢٠٠٤م» أيضًا، وكانت الطبعة الثالثة عام «٢٠٠٥م». قام فضيلة الدكتور علي جمعة في هذا الكتاب الذي اشتمل على« ٨٥٢ فتوى» بالإجابة على كثير من الأسئلة التي تجول بأذهان الناس، وهي إجابات مختصرة لبيان معالم الحلال والحرام، ولبيان سماحة الدين ويسر الإسلام ورفق رسول الله ﷺ بالأمة. وهذه الأسئلة متنوعة؛ حيث حرص فضيلته في هذه الإجابات أن يرسم الطريق الشرعي للحياة، وأن نعيش حياتنا في رضا ربنا، حتى نفوز بسعادة الدارين.

٢٢- الطريق إلى التراث الإسلامي

طُبع هذا الكتاب في «مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع» بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٤م»، في «٢٣٩» صفحة، ثم توالت طباعته، فكانت الطبعة الثانية عام «٢٠٠٧م»، وأصل هذا الكتاب مجموعة من المحاضرات قام فضيلة الدكتور علي جمعة بإلقائها في «الجمعية الخيرية للخدمات الثقافية والاجتماعية» تحت عنوان : «التعريف بمداخل العلوم النقلية والتراثية للباحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية».

إنّ كتاب «الطريق إلى التراث الإسلامي» في وجهة نظري يعد مفتاحًا لفهم التراث الإسلامي؛ حتى يقوم العالم بعملية تجريد للمناهج التي توصل إليها السلف، والنسج على مناولها، وتنميتها وتطويرها؛ حتى تتلاءم مع عصرنا، وتُدَرِّبه ألا يقف من التراث هذه المواقف الهشة المرفوضة« موقف القبول المطلق حتى لمسائله الزمنية، وموقف الرفض المطلق حتى لمناهجه الرصينة، وموقف الانتقاء العشوائي من غير

رؤية، بل بمحض التَّشهي والهوى»، فبحقٍّ إنّ الدكتور علي جمعة قام في هذا الكتاب بوضع طرق للفهم الصحيح، والترجيح الصحيح والاختيار المناسب ، وقد اشتمل هذا الكتاب على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مداخل إلى العلوم التراثية الإسلامية .

القسم الثاني : نظريات أصول الفقه: رحلة في العقلية العلمية التراثية.

القسم الثالث: معالم للتعامل مع القرآن والسنة والتراث: مداخل منهجية ومحاولة تطبيقية.

٢٣- الكلم الطيب «فتاوى عصرية»

طُبع هذا الكتاب في « دار السلام للنشر والتوزيع » بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٥م»، في «جزئين».

يقول الله تعالى في محكم التنزيل:﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣]، فنفهم من هذه الآية أنّ الله ـ عز وجل ـ قد حثنا على سؤال أهل العلم والذكر، وعليه فإنّ فضيلة الدكتور علي جمعة يُقدِّم لنا في هذا الكتاب الفتوى مرتبطة بمكانها وزمانها وشخوصها، بأسلوب عصري، يتمشى مع ما جدَّ من متطلبات عصرنا في أمور حياتنا المختلفة؛ من عبادات، ومعاملات، وأحوال شخصية، وقضايا عصرية حلَّت بالمسلمين.

وقد قام فضيلة الدكتور علي جمعة بالإجابة على الأسئلة الواردة في هذا الكتاب بأسلوب واضح شامل، يستطيع القارئ من خلالها فهم الإجابة فهمًا عميقًا شاملاً، وهذا لتميز الدكتور علي جمعة «بعقلية فارقة » تستطيع استيعاب السؤال والإجابة عليه بشكل صحيح.

٢٤- محاضرات في الفقه الصوفي للأحكام الشرعية

«تأصيل علمي روحي لمنهج أهل السنة والجماعة»

طُبع هذا الكتاب ضمن إصدارات أكاديمية الإمام الرائد محمد زكي الدين إبراهيم «رائد العشيرة المحمدية»، في «١٤٠»صفحة، وأصل هذا الكتاب مجموعة من المحاضرات قام فضيلة الدكتور علي جمعة بإلقائها في «المعهد العالي للدراسات الإسلامية والعربية وعلوم التصوف ـ العشيرة المحمدية». إنّ الفقه الصوفي للأحكام الشرعية تكلم عنه السابقون كالإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، والإمام الحكيم الترمذي ، والإمام القسطلاني، وغيرهم من أئمة المسلمين ممن جاءوا بعدهم فكتبوا في هذا المعنى. فمن هذا المنطلق قام الدكتور علي جمعة بإلقاء هذه المحاضرات التي تحولت إلى كتاب منتشر ومتداول بين المكتبات العلمية، محاولًا الرجوع إلى هذا المدخل العظيم الذي كاد أن يندثر ويذهب؛ حيث حاول من قبله الإمام ابن عجيبة، والإمام ولي الله الدهلوي، وهما من أواخر من نبّه إلى هذا الربط بين العلوم وهذه الرؤية الكلية الإنسانية التي تفيض حبًا وإخلاصًا، فجاء فضيلته بهذه المحاولة راجيًا من الله أن يعم الخير والحب جميع المجتمعات.

٢٥- تيسير النهج في شرح مناسك الحج

طُبع هذا الكتاب في «دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر » بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٦م»، في «١٤٤» صفحة.

إنّ الحج من أعظم مظاهر تجرد المؤمن لله رب العالمين، ولفريضة الحج أحكام ومناسك، وحكم وأسرار، ومقاصد شريفة عالية، إذا استحضرها قلب المؤمن فقه مراد الحق ـ سبحانه وتعالى ـ من الحج.

فمن هذا المنطلق قام فضيلة الدكتور علي جمعة بكتابة هذا الكتاب الذي يُعدُّ ثمرة جديدة من حدائق أفكاره؛ حيث شرح فيه فضيلته مناسك الحج، وأفاض في أسراره وآدابه، وأجاب عن الأسئلة الشائعة التي تتردد في ذهن المسلم حول تلك الفريضة المعظمة، كل ذلك في إيجاز وتلخيص، يسعف من قصد البيت الحرام ويعينه على معرفة مناسك الحج .

٢٦- المرأة في الحضارة الإسلامية «بين نصوص الشرع وتراث الفقه والواقع المعيش»

طبع هذا الكتاب في مكتبة «دار السلام» بالقاهرة، وهو يقع في «٧٩» صفحة.

لقد كثُر في الآونة الأخيرة السؤال عن وضع المرأة في الإسلام، وهذا يجعلنا نرجع إلى مصادره وإلى نتاج المسلمين الفكري، و واقعهم التاريخي، و واقعهم المعيشي، فالمرأة إحدى نوعي الجنس البشري، الذي كرمه الله على كثير من خلقه قال تعالى :﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]،ولا شك أن هذا التكريم يشمل الذكر والأنثى باعتبار أنّ كلًّا منهما إنسان، فقد كرم الله المرأة ولم يظلمها فيما تستحقه من حقوق، ولم يحملها ما لا تطيق.

أما المشكلة التي نواجهها في أيامنا هذه هي أن قضية المرأة وحقوقها في الشريعة الإسلامية سارت موضع نقاش وجدل بين من لا يعرف المرأة وحقيقتها ، ولا يعرف الشريعة الإسلامية وحقيقتها، وأصبح الحوار أشبه بحوار الطرشان، فكان هذا الواقع المؤلم دافعًا لفضيلة الدكتور علي جمعة على كتابة هذا الكتاب الذي جمع فيه كل ما يتعلق بالمرأة المسلمة في مصادر الشريعة والواقع التاريخي، وقد قسَّم هذا الكتاب إلى بابين :

الباب الأول: المرأة في نصوص الشرع الشريف، وفيه فصلان.

الباب الثاني :المرأة المسلمة في التراث الفقهي، وفيه ثمانية فصول .

٢٧ـ سمات العصر... «رؤية مهتم»

طُبع هذا الكتاب في «دار الفاروق للنشر والتوزيع» بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٦م»، في «٣٤٥» صفحة.

نحن في عصر قد تغيَّر عن العصور السابقة في برنامج حياة الإنسان؛حيث أصبح أكثر تعقدًا وسرعة وتطورًا، وقد يكون في بعض جوانبه أكثر تدهورًا، ولابدَّ للمؤمن الفَطِن أن يكون مدركًا لشأنه، عالمًا بزمانه، وكثيرًا ما نسمع ونقرأ عبارة «إدراك الواقع» فما هو هذا الواقع؟ وما مكوناته؟ وكيف نتعامل معه في جزئياته وكلياته؟ أسئلة هامة وحرجة تحتاج لإجابة شافية وافية تبعدنا عن الظلام، وتنير لنا الطرقات، وتقيم الحجة وتقطع المحجة. فمن هذا المنطلق قام فضيلة الدكتور علي جمعة بكتابة هذا الكتاب الذي تناول فيه بحكمة وعمق ودقة مسألة الواقع بداية من تحليله، مرورًا ببيان سماته؛ حيث تناول هذا الواقع من جهة الاقتراح والتعامل والاستفادة من جوانب الخير فيه، ومحاولة البعد عن الشر، ومحاولة الحفاظ على الهوية في هذا العالم المتلاطم الأمواج، فكانت هذه المقالات التي اشتمل عليها هذا الكتاب شافية للصدور وكافية لكل ما يخطر على العقل من شبه وشكوك.

٢٨ـ سيدنا محمد ﷺ رسول الله إلى العالمين

طُبع هذا الكتاب في «دار الفاروق للنشر والتوزيع» بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٦م»، في «٢٥٤» صفحة. قد حاول الفلاسفة والمفكرون عبر القرون، ومنذ أقدم العصور، أن يتخيلوا مجتمعًا إنسانيًا فاضلاً وحضارة بشرية ترتقي فيها الأخلاق، وتترفع عن الدنايا والشهوات، حاولوا أن يحلموا بهذا النموذج، وحاولوا صياغته في نموذج نظري وعبروا عن هذا النموذج البشري الراقي بأسماء مختلفة؛ منها : «جمهورية أفلاطون»، «مدينة الشمس»، «المدينة الفاضلة».

ظل هذا النموذج حلمًا عاش عليه كثير من الفلاسفة والحكماء، إلى أن بعث الله سيدنا محمدﷺ ؛ ليخرج العالم بأسره من ظلمة الأغيار إلى أنوار الحبيب الغفار، فقد أقام النبيﷺ الدلائل والبراهين على صدق دعوته، تلك الدعوة التي لايختلف عليها عقلاء الأرض وهي أنّ الصانع واحد، وينبغي أن يفرد بالعبادة وحده، كما جاءت هذه الدعوة بالعدل ورفع الجور. فتقريرًا لكل تلك الحقائق قام فضيلة الدكتور علي جمعة بتصنيف هذا الكتاب؛ للتأكيد على عظمة ذلك النبي ﷺ، والتأكيد على طهارة السنة الشريفة وقداستها، وقد قسَّم فضيلته الكتاب إلى بابين وخاتمة:

الباب الأول: محمد رسول اللهﷺ فضائله وخصائصه، وفيه ثلاثة فصول .

الباب الثاني : السنة الشريفة ... تاريخها، ونماذج منها، وفيه فصلان .

٢٩ـ الكامن في الحضارة الإسلامية

طُبع هذا الكتاب في « دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر » بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٦م»، في «٤٤» صفحة، وأصل هذا الكتاب محاضرة قام فضيلة الدكتور علي جمعة بإلقائها.

فقام فضيلته في هذا الكتاب برصد العوامل الخفية التي شكلت جذور الحضارة الإسلامية، وتغلغلت في عقلية المسلم ونفسه فأثمرت تاريخًا،وآدابًا،وفنونًا، وإبداعًا، وعلومًا تصل الإنسان بربه، وتربط الخلق بالخالق.

فمن وجهة نظري أن هذا الكتاب يُعدُّ رسمًا لهيكل فكر الإنسان المسلم، والمكونات الكبرى التي نسقت عقله، وطبعت حضارته بالطابع الإنساني الذي يدفع إلى الله تعالى من أقرب طريق.

٣٠- المرأة بين إنصاف الإسلام وشبهات الآخر

طُبع هذا الكتاب في العدد السابع من «سلسلة قضايا المرأة» التي أصدرتها وزارة الأوقاف المصرية، عام «٢٠٠٦م»، في «٥٧» صفحة.

لقد شاع على ألسنة بعض الناس في الآونة الأخيرة الكلام حول بعض قضايا المرأة، والمطالبة بحقوقها، وأنّ الشريعة الإسلامية، لم تمنح المرأة حقوقها كاملة، كما تنتقص من شأنها؛ فكان ذلك الواقع المرير دافعًا لفضيلة الدكتور علي جمعة إلى تأليف هذا الكتاب الماتع، الذي تناول فيه الموقف الإسلامي المشرف المستنير من المرأة؛ حيث إنّ الشريعة الإسلامية قد أنصفت المرأة ومنحتها من الحقوق ومظاهر التكريم، ما لم تحظَ به في كل الشرائع السماوية أو الوضعية، وقد بيَّن فضيلته بالأدلة القاطعة أنّ المرأة العصرية في المجتمعات المتقدمة هي المهانة والمضطهدة وليست المرأة المسلمة، وأنّ النموذج الإسلامي في تحرير المرأة سيظل النموذج الأمثل الذي يُعلي من شأنها ويحترم آدميتها وكرامتها.

وقد قسَّم فضيلة الدكتور علي جمعة هذا الكتاب إلى خمسة مباحث:

المبحث الأول: إهانة المرأة عند غير المسلمين قديمًا وحديثًا.

المبحث الثاني : إكرام المرأة في نصوص الشرع الشريف.

المبحث الثالث : ميراث المرأة في الإسلام بين الحقائق والافتراءات .

المبحث الرابع : شهادة المرأة في التشريع الإسلامي وافتراءات الآخر . المبحث الخامس : تعدد الزوجات وأثره في تكريم المرأة .

٣١- قضايا المرأة في الفقه الإسلامي

طُبع هذا الكتاب ضمن سلسلة «التنوير الإسلامي» التي أصدرتها دار « نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع» بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٨م»، في «٨١» صفحة، ثم توالت طباعته فكانت الطبعة الثانية عام «٢٠١٤م»

من المنطلق السابق في كتاب «المرأة بين إنصاف الإسلام وشبهات الآخر»، قام فضيلة الدكتور علي جمعة بالتوسع في الحديث عن قضايا المرأة فجاء في هذا الكتاب بأربعة مباحث تتمم الكلام الذي بدأه في كتابه «المرأة بين إنصاف الإسلام وشبهات الآخر»، وهي :

المبحث الأول: تعدد الزوجات وحقيقته.

المبحث الثاني : إمامة المرأة في الصلاة.

المبحث الثالث: ختان الإناث.

المبحث الرابع: حقوق المرأة السياسية .

٣٢ـ سبيل المبتدئين في شرح البدايات من منازل السائرين

طُبع هذا الكتاب في « دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر » بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٧م»، في «٢٢٠» صفحة.

يُعدُّ كتاب « منازل السائرين » للإمام الهروي من أعظم ما أُلف في مراتب المقامات والأحوال عند السادة الصوفية، فقد قسَّم الإمام الهروي رحمه الله في هذا الكتاب الطريق إلى الله تعالى إلى عشر مراحل، وكل مرحلة من هذه المراحل مقسمة إلى عشرة مقامات، وفي كل مقام من هذه المقامات مفصلة إلى خطوات تبين للسائر في طريق الله سبيل الترقي من معنى إلى معنى ومن فهم إلى فهم حتى يصل العبد إلى مولاه جل وعلا. فمن هذا المنطلق قام فضيلة الدكتور علي جمعة بشرح قسم البدايات من هذا الكتاب بمراحله وخطواته شرحًا سهلًا مبسطًا يصل إلى قلوب العامة والخاصة فيستقي كل واحد منهم مشربه .

٣٣ـ الفتاوى العصرية لمفتي الديار المصرية

طُبع هذا الكتاب في «دار الفاروق للنشر والتوزيع» بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٧م»، في «١٩٣» صفحة.

إن حياتنا اليوم مليئة بالمستجدات نتيجة الطفرة العلمية الهائلة التي حدثت في أواخر القرن العشرين ومستهل الألفية الثالثة؛ فالعالم لم يعد مجموعة قارات ودول متباعدة مثلما كان في الماضي؛ بل أصبح في ظل العولمة قرية صغيرة جدًا، وبالتالي ذابت ـ إلى حد بعيد ـ الفواصل بين الأجناس والشعوب المختلفة. وكان جراء هذا الذوبان أن اختلطت بعض الأمور، والتبست على المسلمين في شتى أنحاء العالم.

ومعرفة الحلال والحرام من الأمور المهمة جدًا في حياة كل مسلم؛ لذا فالمسلمون لا يقدمون على شأن من شؤون الدنيا والآخرة إلا إذا اطمأنوا إلى أنه لا يخالف أمر ربهم وسنة نبيهم ﷺ؛ فيتوجهون إلى العلماء الثقات، سائلين مستفسرين عن أمور دينهم . فقد تلقى فضيلة الدكتور علي جمعة آلاف الأسئلة والاستفسارات، سواء بتقديم الأسئلة مباشرة في دار الإفتاء أو من خلال شبكة الإنترنت أو بالاتصال تليفونيًا من خلال الحلقات التلفزيونية؛ لذا جاء هذا الكتاب الذي جمع تلك الإجابات التي تغطي أغلب ما يتعرض له المسلم في شؤون الحياة المعاصرة؛ لتعمَّ الفائدة.

٣٤ـ صناعة الإفتاء

طُبع هذا الكتاب ضمن سلسلة «التنوير الإسلامي» التي أصدرتها دار « نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع» بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٨م»، في «١٠٥ » صفحة. إنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي يفتي الناس على الحقيقة؛ مصدقًا لقوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾، وغير الله لا يفتي على الحقيقة، وإنما يبلِّغ حكم رب العالمين في المسألة، وأول من قام بوظيفة الإفتاء بالتبليغ عن رب العالمين في الإسلام هو سيدنا رسول الله ﷺ، ثم صحابته الكرام، ثم العلماء من التابعين فمن بعدهم إلى يومنا هذا .

ونحن الآن في عصر نحتاج فيه أن نعرف ما هو الإفتاء، وما هي مبادئه، وما هي أركانه، فمن هذا المنطلق قام فضيلة الدكتور علي جمعة بتصنيف هذا الكتاب؛ ليوضح به

الصورة، ويجلي به الحقائق، ويبين بعض الدقائق التي تخفى على كثير من الناس في قضية الفتوى والإفتاء، وقد قسَّم فضيلته هذا الكتاب إلى فصلين :

الفصل الأول : حقيقة الإفتاء ومبادئه.

الفصل الثاني: أركان عملية الإفتاء .

٣٥ـ الوحي والقرآن

طُبع هذا الكتاب في «دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر » بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٧م»، في «٢٧٠» صفحة، ثم توالت طباعته فكانت الطبعة الثانية عام «٢٠٠٧م»،وقد جاء هذا الكتاب ضمن «السلسة النورانية في التربية الربانية» التي أصدرتها «دار الوابل الصيب» لفضيلة الدكتور علي جمعة. يُمثِّل هذا الكتاب صفوة من القول، تصف خلاصة تجربة فضيلة الدكتور علي جمعة التي جسَّدها في منهج تربوي له أسس عميقة، تعمل على تصحيح انحرافات البشر، وعصمة المسلم من تتبع سنن الأمم الماضية في الاعتقادات، والعبادات، والمعاملات.

وقد اشتمل هذا الكتاب الذي هو الجزء الأول من سلسلة خطب الجمعة التي ألقاها فضيلته ، في عدد من الخطب المنبرية بجامع السلطان حسن، وقد رسم فضيلته في هذه السلسة دستورًا يصنع النصر في النفوس، فيفيض منها إلى واقعها الملموس، حتى تدرك مقاصد هذا الدين .

٣٦ـ التربية والسلوك

طُبع هذا الكتاب في «دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر » بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٧م»، في «٤١٦» صفحة،وقد جاء هذا الكتاب ضمن «السلسة النورانية في التربية الربانية» التي سبق ذكرها آنفًا.

وقد اشتمل هذا الكتاب على عدد من خطب الجمعة التي ألقاها فضيلة الدكتور علي جمعة، والتي تناول فيها قضية هي من أخطر وأعظم القضايا الإنسانية وهي قضية «تزكية النفس البشرية» هذه القضية التي هي من أهم وظائف الرسل والأنبياء، وورثتهم من العلماء والأولياء ـ رضي عنهم ـ .

وقد ذكر الدكتور علي جمعة خلال هذه الخطب كيفية تهذيب النفوس وترويضها حتى تخضع لربها سبحانه وتعالى، وتسير في الطريق إليه ولا تعوقها العوائق ولاتحجبها الحجب ولا ترديها المهالك، فهو بذلك يتكلم بلسان العالم المربي الذي يعي تراث أمته، وما يحدث فيها وحولها من محدثات.

٣٧- النبي ﷺ

طُبع هذا الكتاب في «دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر » بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٧م»، في «٢١٨» صفحة،وقد جاء هذا الكتاب ضمن «السلسة النورانية في التربية الربانية» السابق ذكرها.

لما كان الرسول ﷺ هو باب من أراد الدخول على الله، والطريق الوحيد الموصل إلى الله، فهو ﷺ قطب دائرة الوجود، ومركز خزائن العطاء والجود، إنسان عين الحياة، وقدوة الدعاة، أسوة الناس أجمعين، وحبيب رب العالمين، اتباعُهُ هو أصل الأصول، ومحبته هي سر الوصول.

فمن هذا المنطلق جاء هذا الكتاب الذي اشتمل على عدد من الخطب المنبرية التي ألقاها فضيلة الدكتور علي جمعة، مقتبسًا فضيلته أنوارًا من هذا الرسول الأعظم والنبي الأفخم ﷺ؛ ليضيء بها طريق الأمة، فتحدث فضيلته عن : الرسول المعلم، والمربي، والمجاهد، والفاتح، والأسوة، والقدوة، وعن حياته، وبيئته، وصفاته، وخصائصه، وعترته وآل بيته، وأصحابه، إلى آخر ما يتعلق بهذا الجناب الشريف، والمقام المنيف ﷺ.

٣٨ـ الطريق إلى الله

طُبع هذا الكتاب في «دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر» بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٧م»، في «١٤٤» صفحة، ثم توالت طباعته فكانت الطبعة الثانية عام «٢٠٠٨م».

الطريق إلى الله هو الطريق الواصل ما بين الدنيا والآخرة، وهو الفرقان الفاصل ما بين أهل الهدى وأهل الضلالة، ولهذا الطريق آداب، ومعالم، وشمائل، ومنارات، وهو حصيلة تجارب الصالحين، وأذواق الصادقين، السائرين إلى الله على بصيرة، المستمسكين بالكتاب والسنة، المحققين لمقاصدهما، والذين هم أهل الوراثة المحمدية خُلقًا، وهَديًا، وسمتًا، ومعرفة بالله تعالى، فمن هذا المنطلق قام فضيلة الدكتور علي جمعة بكتابة هذا السفر الماتع، الذي تناول فيه شرح وتحليل آداب ومعالم الطريق إلى الله .

٣٩ـ النبراس في تفسير القرآن الكريم

طُبع هذا الكتاب في «دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر» بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٨م»، في «٤١٠» صفحة.

وهذا هو الجزء الأول من تفسير فضيلة الدكتور علي جمعة المسمى بـــ« النبراس في تفسير القرآن الكريم»، الذي جاء ليكون هو النواة والأساس، لعمل جليل مكين، شرح فضيلته فيه كتاب الله المتين، شرحًا مزجه بما حباه الله به من تجارب كثيرة، وسعة اطلاع، وثقافة مديدة؛ فقدم لنا تفسيرًا جامعًا نافعًا للمسلمين، يبرهن من خلاله للعالمين، على إعجاز كتاب رب الأولين والآخرين.

٤٠ـ الحج والعمرة أسرار وأحكام

طُبع هذا الكتاب في «مركز الدراسات المنهجية والمعرفية» بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٨م»، في «٢٣٨» صفحة.

إنّ الله سبحانه وتعالى قد شرع الحج لتحقيق التوحيد والعبودبة الحقة ، كما أنه تدريب على الالتزام والاستقامة على أوامر الله، وفريضة الحج تعلمنا معنى التعظيم لأوامر الله تعالى ونواهيه، وتعلمنا الدقة والضبط والجدية، والإتقان، والتعاون والإخاء.

من هذا المنطلق قام «مركز الدراسات المنهجية والمعرفية» بجمع كل ما يتعلق بالحج من كتابات فضيلة الدكتور علي جمعة ، بالإضافة إلى مادة صوتية تم تفريغها في الصورة الكتابية، وهذا كله تحت إشراف الدكتور علي جمعة.

وقد اشتمل هذا الكتاب على مقدمة وأربعة أجزاء متتابعة، وهي:

الجزء الأول: أسرار الحج والعمرة.

الجزء الثاني: أحكام الحج والعمرة.

الجزء الثاني: أسئلة وفتاوى.

الجزء الرابع: الملاحق .

٤١- خطوات الخروج من المعاصي

طُبع هذا الكتاب في «مركز الدراسات المنهجية والمعرفية» بالقاهرة - عام «٢٠٠٨م»، في «٧٧» صفحة.

التوبة من المعصية واجبة شرعًا على الفور باتفاق الفقهاء؛ لأنها من أصول الإسلام المهمة وقواعد الدين، وأول منازل السالكين، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[النور:٣١]، كما أنّ الإنسان يحتاج للتوبة دائمًا؛لأنّ الله قد أمر بتوبة مخصوصة وهي التوبة النصوح فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨] .

فمن هذا المنطلق رأى فضيلة الدكتور علي جمعة وجوب التعريف بفضائل التوبة

وخطوات الخروج من المعاصي، والتنبيه على هذه الكمالات، حتى يتطلع إليها المسلم، ويطلبها حثيثًا، وهذا ما يهدف إليه هذا الكتاب الذي يشتمل على عدد من القضايا التي لابد للإنسان أن يعرفها، وقد اشتمل هذا الكتاب على مقدمة وفصلين، هما:

١ـ الفصل الأول : التوبة .

٢ـ الفصل الثاني : خطوات الخروج من المعاصي والشهوات المحرمة .

٤٢ـ الفتاوى الرمضانية

طُبع هذا الكتاب في «مركز الدراسات المنهجية والمعرفية» بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٨م»، في «١٢٠» صفحة. قام فضيلة الدكتور علي جمعة في هذا الكتاب بالإجابة على كثير من الأسئلة التي يسأل عنها الصائم في شهر رمضان، وقد جاءت إجابات فضيلته بأسلوب واضح شامل، وقد اشتمل هذا الكتاب على مقدمة ذكر فيها فضل الصوم، ثم أتبعها بأربعة أبواب:

الباب الأول: فتاوى الصيام.

الباب الثاني: فتاوى الصلاة.

الباب الثالث: فتاوى الزكاة .

الباب الرابع فتاوى العمرة.

٤٣ـ مجالس الصالحين الرمضانية

طُبع هذا الكتاب في «مركز الدراسات المنهجية والمعرفية» بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٨م»، في «٩١» صفحة. قام «مركز الدراسات المنهجية والمعرفية» بجمع مادة هذا الكتاب من كتابات فضيلة الدكتور علي جمعة، بالإضافة إلى مادة صوتية تم تحريرها

في الصورة الكتابية، وهذا تحت إشراف فضيلته، وقد اشتمل هذا الكتاب على أربعة عشر مجلسًا، بين فيها فضيلته كل ما يتعلق بالشهر الكريم من أحكام وأسرار.

٤٤ـ الدعاء والذكر

طُبع هذا الكتاب في «دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر » بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٧م»، في «١٢٩» صفحة، وقد جاء هذا الكتاب ضمن «السلسة النورانية في التربية الربانية» السابق ذكرها.

لما كانا الدعاء والذكر راحة للقلوب، ووسلية من وسائل تزكية النفوس، ومنهجًا تربويًا له أسس عميقة لتصحيح انحرافات البشر، جاء هذا الكتاب الذي اشتمل على عدد من الخطب التي ألقاها الدكتور علي جمعة؛ لترسم دستورًا يصنع النصر في النفوس فيفض منها إلى واقعها الملموس، في إدراك المقاصد الشرعية الكبرى.

٤٥ـ التجربة المصرية

طُبع هذا الكتاب ضمن سلسلة «التنوير الإسلامي» التي أصدرتها دار « نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع» بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٨م»، في «٦٢» صفحة.

إنّ تجربة الدولة المصرية الحديثة في كل جوانبها «السياسية، والثقافية، والقانونية، والدينية، والاجتماعية، والعلمية، وغير ذلك من الجوانب التي تكون في الحياة»، تجربة تستحق الدراسة في ماضيها، وحاضرها، ومستقبلها؛ وذلك لأنها تجربة رائدة، و فريدة، إلا أنه قد حدث بعض اللبس والخلط عند بعض الناس عندما أردوا أن يحللوا هذه «التجربة»، وهذا اللبس قد وقع بسبب الجهل بحقيقة هذا النموذج، أو بسبب التحيز لمدرسة بعينها «يمينًا ويسارًا» أو بسبب عدم الوعي بتطور أو تغير هذه «التجربة»؛ لذلك كانت قضية الفهم الخاطئ للتجربة المصرية هي الدافع لفضيلة الدكتور علي

جمعة على كتابة هذا الكتاب الماتع، ليس فقط من أجل تصحيح المفاهيم المغلوطة، وإنما أيضًا من أجل مستقبل الثقافة في مصر، والحفاظ على هويتها، ولمزيد من الصلة مع العالم كله، ولأهمية الموضوع وخطورته، قام فضيلته بعرض مفرداته إجمالاً ثم شرع في تفصيلها، وقد تناول فضيلته هذا كله في أربعة عناوين، وإليك بيانها :

أولاً: مصر في الرسالات السماوية ومكانتها عبر العصور منذ فجر التاريخ.

ثانيًا: مظاهر تغير الواقع وضرورة بناء الدولة الحديثة.

ثالثًا: تغير معالم الحياة في مصر ومرحلة الانتقال.

رابعًا: النموذج المصري في ظل بناء الدولة الحديثة .

٤٦ـ النقاب عادة وليس عبادة

طُبع هذا الكتيب ضمن إصدارت وزارة الأوقاف المصرية، في «٥٩»صفحة، تحت عنوان: «النقاب عادة وليس عبادة، الرأي الشرعي في النقاب بأقلام كبار العلماء»، عام «٢٠٠٨م» . أثارت قضية تغطية الوجه «النقاب»[١] جدلًا واسعًا بالديار المصرية في الآونة الأخيرة، وخاصة عند هؤلاء الذين وردوا إلينا من بلاد البترول، يحملون أفكارًا بدوية، لا تمت لوسطية الإسلام بصلة، فقام هؤلاء بفرض مسألة «النقاب» على المرأة المصرية، وقاموا بنقل هذه المسألة من دائرة الظنية إلى دائرة القطعية، كما قاموا

(١) إن قضية الثياب مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بعادات القوم، وبالنسبة للواقع المصري فالأنسب له أن يلتزم رأي الجمهور؛ لأن غطاء المرأة لوجهها مستغرب في مجتمعنا المعاصر، ويتسبب في شرذمة للعائلات، أما المجتمعات الأخرى التي يتناسب معها مذهب الحنابلة الذي يقول : بوجوب تغطية المرأة لوجهها، فلا بأس بأن تلتزم النساء فيها بهذا المذهب لموافقته لعاداتها، وعد ارتباطه بتدين المرأة، وإنما جرى العرف عندهم والعادة أن تغطي المرأة وجهها. انظر:بحث بعنوان : «النقاب»، وهو بحث تفصيلي صادر عن دار الإفتاء المصرية، ضمن هذا الكتاب الذي أصدرته وزارة الأوقاف المصرية، صـ ٣٠.

بنقلها من دائرة المسائل العادية إلى دائرة إلى المسائل العبادية، مخالفين بذلك ما استقر عليه جماهير علماء الأمة في هذه المسألة، وما عليه عادات وتقاليد الناس في زيهم.

فمن هذا المنطلق تصدى فضيلة الدكتور علي جمعة، لهؤلاء المتشددين، من منطلق مسئوليته الإفتائية بالديار المصرية، فكتب هذا البحث الماتع الصغير في الحجم الكبير في العلم، مناقشًا فيه هذه القضية التي أثارها المتشددون في المجتمع وأصبحت حديث الساعة عندهم؛ حيث قام ببيان أصول هذه المسألة في المذاهب الأربعة، موضحًا لاختلاف الفقهاء فيها، مبينًا لما استقر عليه رأي جمهور الفقهاء من عدم وجوب تغطية الوجه، وهذا هو المعمول به في ديارنا المصرية حرسها الله تعالى.

ثم ذكر فضيلته الضوابط الشرعية التي لابد من توافرها في زي المرأة المسلمة، وهو أن يكون هذا الزي غير واصفٍ لمفاتن الجسد، ولا يشف، وأن يكون ساترًا لسائر الجسد كله عدا الوجه والكفين؛ لأنهما ليس بعورة في ما اختاره فضيلة الدكتور علي جمعة من آراء الفقهاء. وقد بيَّن فضيلة الدكتور علي جمعة في ختام بحثه هذا : أنّ هذا الخلاف إنما هو فيما إذا لم يتخذ «النقاب» علامة على التفريق بين الأمة، أو شعارًا للتعبد والتدين، أما إذا سار كذلك فإنه يخرج من حكم الندب أو الإباحة إلى البدعية؛ لأنه أصبح بذلك مطية للشقاق، وسببًا لتفريق المسلمين، وتشرذم أسرهم وعائلاتهم.

٤٧- البيان لما يشغل الأذهان

طُبع هذا الكتاب في « دار السلام للنشر والتوزيع » بالقاهرة، في «جزئين» طُبع الجزء الأول عام «٢٠٠٥م» في «٤٠٠» صفحة ، وطُبع الجزء الثاني عام «٢٠٠٩م» في «٣٩٤» صفحة.

اشتمل الكتاب على مائة فتوى شغلت أذهان الناس في الآونة الأخيرة، فكانت إجابات فضيلة الدكتور علي جمعة على هذه القضايا العاجلة شافية، وكافية، ووافية؛ حيث ردَّ فضيلته على أهم الشبه التي أثارها المشككون والمتشددون .

٤٨- فتاوى البيت المسلم

طُبع هذا الكتاب في «دار الإمام الشاطبي للطبع والنشر والتوزيع » بالقاهرة - عام «٢٠٠٩م»، في «٤٣٤» صفحة.

إنّ الفتوى تشكل عصبًا مهمًّا لحيوية الدين، وهذا إن فُسِّر فإنما يمكن تفسيره على أنّ كون حيوية أي مذهب إسلامي تتوقف على اعتماد الفتوى أو الفتاوى كنهج لا استغناء عنه؛ وذلك بسبب كون العديد من الأشياء الجديدة أو المستجدة تحتاج إلى رأي الدين الإسلامي بها على أساس معاصر ممكن تطبيقه؛ ولذلك فإنّ الهدف الأول والأخير هو الوصول إلى مرضاة الله تعالى ، فمن هذا المنطلق جاء هذا الكتاب الذي يُجيب فيه فضيلة الدكتور علي جمعة على كثير من الأسئلة التي يحتاج إليها كل بيت مسلم.

٤٩- فتاوى النساء «فتاوى وأحكام للمرأة المسلمة»

طُبع هذا الكتاب في «دار المقطم للنشر والتوزيع » بالقاهرة - عام «٢٠١٠م»، في «٥٠٦» صفحة.

لما كان النساء شقائق الرجال وكانت الأوامر والنواهي تخص كلا الجنسين، وجاء الإسلام فلم يفضل جنسًا على الآخر إلا فيما لابد منه لكل جنس كان لابد لمزيد بيان وتوضيح لهذا الأمر، فمن هذا المنطلق قام فضيلة الدكتور علي جمعة بكتابة هذا الكتاب للنساء والبنات ليكون لهنَّ نبراسًا يهتدين به في ظلمات الحياة. ٥٠- فتاوى المرأة المسلمة وردود على شبهات حول قضايا المرأة

طُبع هذا الكتاب في «مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع» بالقاهرة - عام «٢٠١٠م»، في «٣٣٠» صفحة.

إنّ المرأة دائمًا تحتاج إلى العالم المخلص الذي يقدم لها الردود الشرعية على استفساراتها المختلفة في أمور الدنيا والدين، فمن هذا المنطلق قام فضيلة الدكتور علي جمعة بكتابة هذا الكتاب وتقديمه للمرأة المسلمة؛ ليكون لها دليلًا تهدي به عند حيرتها، وليكون لها دليلًا لطاعة الله والسير على نهج رسوله الكريم ﷺ؛ وقد جمع فضيلة الدكتور علي جمعة في هذا الكتاب مجموعة من الفتاوى التي تحتاجها المرأة المسلمة في عصرنا الحاضر، وهي مجموعة متنوعة في موضوعات شتى: كالطهارة، والصلاة، والصيام، والزكاة، والنكاح، والطلاق، وغيرها من القضايا والموضوعات.

٥١ ـ البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامي

طُبع هذا الكتاب في «دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر » بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٩م»، في «١٣٠» صفحة. قام فضيلة الدكتور علي جمعة في هذا الكتاب برصد قضية من أهم القضايا التي تَهُمُّ العالم بأكمله وهي : «قضية البيئة»؛ حيث قدَّم فضيلته لنا من خلال هذا الكتاب رؤية دينية متكاملة، متبصرة معاصرة لهذه القضية من خلال مفهومها العقدي، وأحكامها الفقهية، وآدابها الأخلاقية؛ حتى نكون قادرين على التعامل السليم مع البيئة بمفهومها الشامل، والمشاركة والتعاون بشأن عدم الإفساد فيها؛ بل والسعي لإصلاحها ما أمكن، والاستفادة منها على وجه يتفق مع مراد الله سبحانه في كونه، ومن خلقه للخلق.

٥٢ ـ من نبيك ؟! هو سيدنا محمد ﷺ

طُبع هذا الكتاب في «دار جوامع الكلم للنشر والتوزيع» بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٩م»، في «٢١٠» صفحة.

إنّ نبينا المصطفى ﷺ ، وحبيبنا المُجتبى، قد أرسله الله إلى أهل الأرض ليعلمهم

العبادة، وعُرج بحضرته إلى السموات العلا؛ ليعلم الملائكة آداب العبادة، جاء إلى أهل الأرض كافة ليخرجهم من ظلمة الأغيار إلى أنوار الحبيب الغفار، فكان لِزامًا على كل مسلم أن يعرف رسوله الذي كان سببًا في نجاته، فمن هذا المنطلق قام فضيلة الدكتور علي جمعة بكتابة هذا الكتاب ليعرِّف برسول رب العالمين وخاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ، وقد عرض فضيلته في هذا الكتاب سيرة رسولنا ﷺ عرضًا موجزًا قد راعى فيه التركيز والتدقيق على نسبه الشريف، وحياته، وصفاته وشمائلهﷺ. ٥٣ ـ حاكموا الحب

طُبع هذا الكتاب في دار « نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع» بالقاهرة ـ عام «٢٠١٠م»، في «١٤٣» صفحة. إنّ حقيقة الحب في حياة النبي ﷺ تظهر واضحة جلية لكل من اطلع على سيرته ﷺ، إلا أنّ كثيرًا من دلائل هذا الحب التي جرت في حياته ﷺ بينه وبين زوجاته وأبنائه وأصحابه، يصعب على كثير منا في هذا العصر تفسيرها أو تأويلها، فضلًا عن اليقين من وقوعها؛ لأننا نعيش الآن في عصر انتزعت منه «قيم الحب الأصلية»، فظهر بيننا من ينكر هذه الدلائل ويرفضها. فمن هنا رأى فضيلة الدكتور علي جمعة، أنّ وحدة الأمة، وجمع شملها، وتوحيد كلمتها، لا تكون إلا بالاجتماع على محبة رسول الله ﷺ، فقام بكتابة هذا الكتاب الماتع الذي أسماه: «حاكموا الحب»؛ ليأخذنا في رحلة فريدة نتعرف من خلالها على مسيرة الحب في حياة رسول الله ﷺ. وقد أشار الدكتور علي جمعة، في مقدمة هذا الكتاب إلى المنهج الذي سلكه في تأليف هذا السِّفر الماتع ؛ حيث قال : «وقد آثرنا ألَّا نقسم الكتاب إلى فصول أو مباحث، بل تركناه كما هو وحدة واحدة، تمثل حالة الحب في دائرة حياة رسول الله ﷺ »[1]. وهذا صنيع بديع من فضيلته؛ حيث إن تركه للتقسيم البحثي المتعارف عليه، جعل الكتاب جملة واحدة تمسُّ شِغاف القلب، وتتغلل في أعماق النفس، فيعيش القارئ حالة

(١) انظر: مقدمة الكتاب، صـ ٦.

الحب التي عاشها كل من رأى رسول الله ﷺ. بدأ الدكتور علي جمعة «الكتاب» بذكر مواقف «حب» الصحابة رضي الله عنهم، وغيرهم ممن لم يؤمنوا به، ثم ذكر فضيلته بعض الأمثلة والقصص الشاهدة على الحب المُتبَادل بين رسول الله ﷺ والحيوانات، والنباتات، والجمادات، مُظهرًا كيف سكن حبه ﷺ هذا المخلوقات الأعجمية، وقد استخلص فضيلته، من هذه القصص أنّ رسول الله ﷺ أحب كلَّ شيء، فأحبه كلُّ شيء، وأنّ حياته ﷺ وتعاليمه تعجُّ بالحب للمخلوقات كلها، ما عقل منها ومالم يعقل، من آمن به منها، ومن لم يؤمن. ثم ذكر فضيلته بعض مشاهد الحب في سيرة رسول الله ﷺ التي تبرز فيها وتتجلى معاني المحبة والتفاني والإيثار، والتي وصلت في أحيان كثيرة إلى التضحية بالنفس أو المال من أجل «قيمة الحب»، لاسيما ما كان بين المهاجرين والأنصار من حبٍ وإيثار، وصل إلى حدٍ قد يرفضه أو يرده بعض المعاصرين ممن خلع «نظارة الحب» ولبس مكانها «نظارة الكره والعصبية». ثم عرض فضيلته مشاهد الحب التي جمعت بين رسول ﷺ وبين صاحبه أبي بكر الصديق في رحلة الهجرة، مُبينًا كيف وصل «الحب» بأبي بكر إلى درجة الإيثار والتضحية بالمال والنفس، فنال بهذا الحب أعلى الدرجات في الدنيا، ووعده الله ورسوله بأفضل منها في الآخرة. ثم انتقل الدكتور علي جمعة، إلى الحديث عن «الحب» الذي جمع بين رسول الله ﷺ وبين زوجه خديجة رضي الله عنها؛ حيث بيَّن مكانتها عند رسول الله ﷺ وما لها من فضائل في الإسلام، ثم ذكر فضيلته مشاهد «الحب» التي جمعته ﷺ بزوجه عائشة رضي الله عنها، ثم ذكر مشاهد «الحب» التي كانت بينه ﷺ وبين ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام. وقد ختم فضيلته هذا الكتاب بذكر بعض المفاهيم التي أرساها رسول الله ﷺ في المجتمع، ومنها : أنّ الحب هو سبيل الأمان، وأنّ الإخلاص في الحب من كمال الإيمان، وأنّ المحب مع من أحب في الدنيا والآخرة ، إلى غير ذلك من القيم التي تبني إنسان الحضارة الذي يعمر ولا يدمر.

٥٤ ـ المتشددون ، منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم

طُبع هذا الكتاب في « المجلس الأعلى للشئون الإسلامية» بالقاهرة ـ عام «٢٠١١م»، وقد نفدت الطبعة الأولى كلها في أول يوم طُرح فيه الكتاب بالأسواق، ثم طُبع في دار «المقطم للنشر والتوزيع» بالقاهرة ـ عام «٢٠١١ م» في «١٦٢» صفحة.

إنّ التشدد في الدين ظاهرة قديمة، لكنها في العقود الأخيرة تضخمت، وأصبحت خطرًا لا يجب أن يستهان به أو يتغاضى عنه، وهذا ما حدا بكثير من علماء الأمة الذين يخشون الله ويفهمون عن رسوله ﷺ التصدي لهذه الظاهرة، والوقوف في وجهها الكالح، ومن أبرز من علماء الأمة الذين وقفوا في وجه المتشددين وقام بمحاربة بدعهم وكسر شوكتهم هو فضيلة الدكتور علي جمعة، حتى إن أحد زعماء التشدد بمصر كان يحذر تلاميذه من حضور مجالس فضيلة الدكتور علي جمعة، ولقَّبه بمقبرة المتشددين.فمن هذا المنطلق جاء هذا الكتاب؛ ليوضح فيه الدكتور علي جمعة منهج هؤلاء المتشددين وكيف يفكرون والرد على بعض شبههم وقضاياهم التي يثيرونها في المجتمع.

٥٥ـ رؤية فقهية حضارية لترتيب المقاصد الشرعية

طُبع هذا البحث في دار « نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع» بالقاهرة ـ عام «٢٠١٠م»، في «٦٣» صفحة.

إنّ التطورات والتغيرات التي يشهدها واقعنا المعاصر بعوالمه المختلفة، على مستوى الأشياء، والأشخاص، والأحداث، والأفكار، تشتد فيه الحاجة إلى المنهج، والإسلام دين العلم، والمنهج أهم المفردات التي يقوم عليها العلم، ومن أهم النماذج المتعلقة بالمنهج ويمكن للمسلم أن يطرحها ويعتمد عليها في هذا الزمان

الصعب:«النموذج المقاصدي»(١)، ومن المسائل المفصلية التي تتعلق بهذا النموذج مسألة «ترتيب المقاصد»، فمن هذا المنطلق قام فضيلة الدكتور علي جمعة، بكتابة هذا البحث الماتع الذي تناول فيه هذه المسألة، من خلال رؤية فقهية حضارية، وقد قسَّم فضيلته هذا البحث إلى «مقدمة» ذكر فيها أهمية البحث، والدافع على كتابته،ثم أتبع هذه المقدمة بفصلين وخاتمة . الفصل الأول : في مداخل مهمة

وقد اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول : في تعريف مقاصد الشريعة المبحث الثاني : في أقسام المقاصد

المبحث الثالث : تاريخ الكلام عن المقاصد

الفصل الثاني: في ترتيب المقاصد الشرعية

وقد اشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث، هي :

المبحث الأول : في اتجاهات العلماء في ترتيب المقاصد الضرورية الخمسة

المبحث الثاني: في مدخل جديد في ترتيب المقاصد الخمسة باعتبار التشغيل في الواقع

المبحث الثالث: في الجواب عن اعتراضات قد تتوجه على الترتيب المختار

المبحث الرابع : في تكامل المقاصد وعلاقته بالخلاف السابق

وفي الخاتمة ذكر فضيلة الدكتور علي جمعة، أهم النتائج المترتبة على رؤيته الفقهية الحضارية في ترتيب المقاصد الشرعية .

٥٦ـ عقيدة أهل السنة والجماعة

طُبع هذا البحث في دار « المقطم للنشر والتوزيع» بالقاهرة ـ عام «٢٠١١م»، في «١٩٦» صفحة. العقيدة الإسلامية هي : الإيمان الجازم بأن خالق السموات والأرض

(١) انظر : مقدمة الكتاب صـ٣.

هو الله رب العالمين ، وأنه إله واحد متصف بكل الكمالات ، منزه عن كل النقائص ، ليس كمثله شيء ، وأن محمدا نبيه ورسوله إلى العالمين كافة ، بلغ رسالته على أكمل وجه وأتمه ، وأن القرآن كتابه الصادق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن ما أخبر به من الغيب حق ، فالملائكة حق ، والنبيون حق ، والجنة حق ، والنار حق .

بحيث يحرك هذا الإيمان صاحبه بأن يلتزم بأحكام شريعة الإسلام ويتبع أوامر الكتاب والسنة . والإنسان في حاجة ضرورية لمعرفة عقيدته؛ فإنّ التاريخ الإنساني على مستوى المكان والزمان يثبت أنّ الإنسان لم يكن يومًا فردًا أو جماعة يسير في الأرض بلا دين أو عقيدة أو أيدلوجية تحركه وتؤثر في سلوكياته وأفعاله.

فمن هذا المنطلق رأى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ المجتمع في حاجة إلى كتاب يتناول الحديث عن العقيدة الإسلامية بطريقة سهلة وميسورة عما هي عليه في الكتب المتخصصة التي لا يُقبِل عليها سوى الدارسين، فقام فضيلته بكتابة هذا السفر الماتع؛ ليقرِّب به مسائل علم العقيدة لغالب القراء المتطلعين لمعرفة أصول ومسائل هذا العلم .

وقد اشتمل هذا الكتاب على مقدمة وأربعة أبواب ، هي :

الباب الأول : تمهيدات واصطلاحات . الباب الثاني :الصفات الإلهية .

الباب الثالث : النبوات .

الباب الرابع : السمعيات والغيبيات .

٥٧- النماذج الأربعة من هدي النبيﷺ في التعايش مع الآخر

طُبع هذا الكتاب في «دار الفاروق للنشر والتوزيع» بالقاهرة ـ عام «٢٠١٣م»، في «١٩٤» صفحة.

إنّ الأصل في علاقات المسلمين بغيرهم هو السلم والمسامحة، ولا يغير العلاقة السلمية إلا ما يطرأ عليها من اعتداء غير المسلمين على نحو مباشر أو غير مباشر على حرية الدعوة، أو على أحد المسلمين، وقد علمنا النبي ﷺ أنّ علاقة المسلمين بغيرهم تقوم على المبادئ الأخلاقية الثابتة الواضحة، وأهمها التكريم، والرحمة، والمحبة، والعدل، والمساواة، والمعاملة بالمثل، والتمسك بالفضيلة، والحرية، والتسامح، والتعاون، والوفاء.

فمن هذا المنطلق جاء هذا الكتاب الذي يُحدثنا فيه الدكتور علي جمعة عن قواعد وأسس التعايش مع الآخر في جميع الأحوال والأزمان والأماكن، بحيث يصبح المسلمون في تناسق واندماج مع العالم الذي يعيشون فيه، بما يضمن تفاعلهم مع الآخر وتواصلهم معه دون تفريط في الثوابت الإسلامية.

٥٨- وقال الإمام «المبادئ العظمى»

طُبع هذا الكتاب في «دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر» بالقاهرة ـ عام «٢٠١٠م»، في «٣٦٤» صفحة. تناول فضيلة الدكتور علي جمعة في هذا الكتاب المبادئ التي تُوصل المسلم إلى سبيل الاقتدار على الجمع بين الأصالة والمعاصرة، والمشاركة في بناء الحضارة التي هي من وظائف المسلم، ونقل هذا الدين للأجيال اللاحقة بصورة صحيحة، وذلك من خلال دراسات دقيقة لعديد من المبادئ العظمى؛ كالسنن الإلهية، والمبادئ القرآنية، وكيفية التعامل مع السنة في جانب التطبيق الفقهي... وغيرها من المبادئ، كما تعرض فضيلته بمهارة واقتدار لمجموعة من النظريات الفقهية والأصولية واللغوية الدقيقة، التي يتجلى للقارئ فيها -بصورة علمية - عظمة التراث، وضرورة احترامه، ووجوب المُضي قُدُمًا في اكتشاف كنوزه؛ لاستخراج الجديد بمناهج القدماء؛ مما يكون له عظيم الأثر في حسن قراءة الواقع كقضايا الحوار والتعايش مع الآخر، بعيدًا عن الإفراط والتفريط.

٥٩ـ الاستعداد لرمضان

طُبع هذا الكتيب في «مركز الدراسات المنهجية والمعرفية» بالقاهرة، في «١٠» صفحات.

إنّ شهر رمضان شهر يُهيئ الله فيه للعبد جوَّ العبادة، وهو شهر القرآن الذي فيه يغلق الله أبواب النار، ويفتح أبواب الجنة، ويُسلسل فيه الشياطين والمردة، وينادي فيه منادٍ من قِبل الرحمن قائلاً: «يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر»، فمن هذا المنطلق كتب فضيلة الدكتور علي جمعة هذه الورقات؛ لتكون نبراسًا لجميع المسلمين في تحقيق مراد رب العالمين، والفوز بالأجر والثواب في الدنيا والآخرة .

٦٠ـ أمن المجتمع واستقراره من المنظور الإسلامي

طُبع هذا الكتاب ضمن سلسلة «ظلال الإسلام» التي أصدرتها « دار المعارف» بالقاهرة ـ عام «٢٠١٤م»، في «١٢٨»صفحة .

إنّ الإنسان المعاصر قد بلغ ذروة كبرى في التقدم العلمي، وعلى الرغم من هذا التقدم لم يصل إلى السعادة المنشودة والاطمئنان والسكون، فأصبحت حاجتُه ماسة إلى التربية الروحية ليتحقق له التوفيق بين متطلبات الأمن الحضاري والأمن الروحي، فمن هذا المنطلق قام فضيلة الدكتور علي جمعة بكتابة هذا البحث الذي تناول فيه الحديث عن قضية«الأمن المجتمعي» وقد اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد تناول فيهما الحديث عن تعريف كلمة الأمن واستعمالاتها واشتقاقاتها في لغة العرب، ثم أتبع هذا التمهيد بمبحثين، تناول في المبحث الأول: الحديث عن الأمن وأنواعه، وفي المبحث الثاني: تناول فضيلته الحديث عن الاستقرار المجتمعي .

٦١ ـ المساواة الإنسانية في الإسلام

طُبع هذا الكتاب ضمن سلسلة «ظلال الإسلام» التي أصدرتها « دار المعارف» بالقاهرة ـ عام «٢٠١٤م»، في «١٨١» صفحة.

إنّ من أهم الأسس التي بُنيت عليها مقاصد الشريعة العدل والمساواة بين البشر، والتشريعات جميعها لا تعْدُو النماذج التي صيغت للتمثيل والاحتذاء، وبناءً على أن الإنسان بصفته الإنسانية خليفة الله في الأرض وهو مخلوق مُكَرَّم، وبناءً على أنّ تحقيق العدل وتطبيق المساواة بين الناس يرقى بالإنسان في التحضر والتمدن ويحقق له قدرًا من الحرية والكرامة والسعادة والمصلحة، وكل أمر هذا شأنه فهو أمر الشارع ومراده من الخلق.

فمن هذا المنطلق قام فضيلة الدكتور علي جمعة بكتابة هذا البحث الذي يهدف فيه إلى التعرف على بعض مظاهر تحقيق المساواة الإنسانية داخل المجتمع المسلم سواء من جهة الأحكام أم من جهة تطبيقها في حياة سيدنا رسول الله ﷺ وحياة أصحابه.

٦٢ـ تاريخ أصول الفقه

طُبع هذا الكتاب في «دار المقطم للنشر والتوزيع » بالقاهرة ـ عام «٢٠١٤م»، في «٣٥٣» صفحة.

إنّ علم «تاريخ أصول الفقه» علم حادث لمادة مستقلة بدأ تدريسها في الدراسات العليا في كلية الشريعة والقانون ـ بالقاهرة ـ على يد الشيخ عبد الغني عبد الخالق –رحمه الله تعالى – في محاضرات ألقاها على طلبة السنة الأولى من شعبة أصول الفقه.

وتلك المحاضرات كُتبت في ثلاث وستين صفحة طوف فيها الشيخ عبد الغني على تعريف أصول الفقه وذكر بعض ما ألف فيه، وذكر إجمالاً مبادئ العلم العشرة.

ثم جاء فضيلة الدكتور علي جمعة ليتوسع فيما بدأه فضيلة الشيخ عبد الغني عبد الخالق فقام بكتابة هذا الكتاب الماتع الذي اشتمل على أربعة أبواب، ذكر فيها أشهر علماء أصول الفقه، وكتبه، واصطلاحاته....إلى غير ذلك .

٦٣ـ مَن دَعا عليهم النبي ﷺ

طُبع هذا الكتاب في «دار الفاروق للنشر والتوزيع» بالقاهرة ـ عام «٢٠١٥م»، في «٨٠» صفحة.

كان للكفر رؤوس وكان للمجرمين المعتدين أئمة جبارون، كانوا يحشدون الناس لمواجهة دعوة الإسلام، وكانوا يجمعون القوى والأموال لمواجهة سيدنا رسول الله ﷺ ومن آمن بدعوته، وكان النبي ﷺ وأصحابه في مجتمع قريش ضعفاء لايملكون لأنفسهم نصرًا ولادفعًا إلا الدعاء، فكانوا يطلبون من رسول الله ﷺ أن يدعو الله وأن يطلب منه الخلاص من هؤلاء الصناديد الضالعين في الكفر والاعتداء، فكان سيدنا رسول الله ﷺ يدعو عليهم أن ينزل الله عز وجل بهم مايستحقونه من جزاء ومعاقبة حتى تجد دعوة الإسلام طريقها إلى النور والتمكين .

فمن هذا المنطلق قام فضيلة الدكتور علي جمعة بكتابة هذا البحث الذي عرض فيه جزءًا من سيرة خير الخلق ﷺ، حيث كشف فضيلته عن لقطة من حياة دعوته ﷺ، تبين للمسلمين في عصرنا الحاضر كيف صبر سيد الخلق وصابر هو وأصحابه في سبيل نصرة دعوة الإسلام، وكانوا ينذرون حياتهم فداءً لها،وتبين لنا أن سلاح الدعاء هو سلاح ماضٍ، يتوجه به المؤمنون المخلصون المجاهدون لله رب العالمين ، وقد جمع فضيلته في هذا البحث أسماء من دعا عليهم النبي ﷺ.

٦٤ـ القول المبين في أحكام الدنيا والدين

طُبع هذا الكتاب ضمن «سلسلة الإسلام الرائدة» التي أصدرتها «مكتبة الدار العربية للكتاب» بالقاهرة ـ عام «٢٠١٦م»، في «٢٤١» صفحة.

لقد أفل نجم الحضارات السابقة، وبقى الإسلام بمنهاجه القويم، وقيمه السامية الرفيعة، ومرونته الفائقة التي تستجيب للفطرة الإنسانية، وتتسع لكل مذهب، وتستوعب كل فكر، ولا تضيق بالاختلاف. لكن حين حاد المسلمون عن جادة الصواب وتنكبوا الطريق، وتفرقوا شيعًا وأحزابًا، وآثروا إلا الانغلاق على المذهب، والوقوف عند ظواهر النصوص، ونبش الماضي واستدعاء توافه الخلافات، وصرف وقتهم في معارك وهمية، يتراشقون فيها بسهام التكفير البغيض والجدل العقيم، والتشدد الممقوت، حينئذٍ كان الحصاد مرًّا.

لذا عندما رأى فضيلة الدكتور علي جمعة المجتمع في حاجة ماسة لتصحيح هذه المفاهيم المغلوطة التي استقرت في أذهان الناس، قام بكتابة هذا الكتاب الذي يُعدُّ ومضات على الطريق القويم لكشف ما استغلق على الناس من مسائل خلافية، وبيان الرأي الشرعي فيها حتى لا تنحرف بالناس عن جادة الحق والصواب. ٦٥ـ اعرف نبيك ﷺ

طُبع هذا الكتاب في «مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع» بالقاهرة ـ عام «٢٠١١م»، في «١٩١» صفحة.

لقد ابتعد الناس في الآونة الأخيرة عن المُثل العليا التي حثنا عليها رسولنا ﷺ، وغفلنا عن هديه ﷺ في ديننا ودنيانا، وهو ما جعل كثيرًا من المغرضين الضالين يتطاولون على سيد الخلق أجمعين، وقد آن الأوان أن نعود إلى تعاليمه العظيمة والدفاع عن سيرته الطاهرة، ولا نستطيع تحقيق الهدفين إلا بمعرفة نبينا في المقام الأول، فمن هذا المنطلق قام فضيلة الدكتور علي جمعة بوضع هذا الكتاب لتحقيق الهدفين؛ حيث عرض فضيلته سيرة رسولنا ﷺ بإيجاز وعمق، فتكلم عن نسبه وأولاده وغيرذلك، كما أنه تطرق إلى تفاصيل حياته الاجتماعية في حبه للخلق وتواضعه لأصحابه وحثه على

الصلاح والتقوى ونهيه عن الفساد والعدوان، ويرشدنا فضيلته في نهاية الكتاب إلى كيفية الاحتفال المشروع بمولد نبينا ﷺ.

٦٦ - المنهجية الإسلامية

طُبع هذا الكتاب في « دار السلام للنشر والتوزيع » بالقاهرة ـ عام «٢٠١٠م»، في «جزئين»، بالاشتراك مع كل من :

١ـ أ.د/ أحمد فؤاد باشا   ٢ـ أ.د/ عبد الحميد أبو سليمان

٣ـ أ.د/ أماني صالح   ٤ـ أ.د/ عبد الحميد مدكور

٥ـ أ.د/ حسن الشافعي   ٦ـ أ.د/ عبد الرحمن النقيب

٧ـ أ.د/ رفعت العوضي   ٨ـ أ.د/ عبد الوهاب المسيري

٩ـ أ.د/ زكريا سليمان   ١٠ـ أ.د/ سيف الدين عبد الفتاح

١١ـ أ.د/ علي أبو ليلة   ١٢ـ أ.د/ طه جابر علواني

١٣ـ أ.د/ فتحي حسن ملكاوي   ١٤ـ أ.د/ نادية محمود مصطفى

إن هؤلاء الأفذاذ قد تناولوا في هذا الكتاب الحديث عن قضية هي من أخطر القضايا وأهمها ألا وهي : «قضية المنهجية»، وقد اشتمل هذا الكتاب على مناقشات تفصيلية موسعة لأهم موضوعات المنهجية؛ إذ يتضمن في جزئه الأول مناقشة لمفهوم المنهج والمنهجية، ومبادئ المنهجية الإسلامية، وأهمية الرؤية الكونية والتوحيد، كما يتضمن مناقشة مفصَّلة عن مصادر هذه المنهجية، كما يناقش الكتاب الدليل النقلي والدليل العقلي، والمنهج العرفاني والذوقي عند السادة الصوفية، والمنهج التجريبي من حيث ثوابته ومتغيراته، والمنهج التاريخي وإشكالياته.

أما الجزء الثاني من هذا الكتاب فهو يتضمن مناقشة عن أدوات المنهجية الإسلامية، وكيفية الاستفادة من هذه الأدوات في الفكر الغربي، كما يشتمل هذا الجزء على دراسة متنوعة عن النماذج التفسيرية في المنهجية الإسلامية، وفي هذا السياق تمت دراسة النماذج المعرفية الإدراكية والتحليلية، وإشكاليات البحث في علم العلاقات الدولية، والنماذج التفسيرية في علم الاجتماع وعلم التربية وعلم الاقتصاد.

٦٧ ـ خصائص الثقافة العربية والإسلامية «إشكالية الثابت والمتغير»

طُبع هذا الكتاب تحت عنوان: «خصائص الثقافة العربية والإسلامية في ظل حوار الثقافات» في « دار السلام للنشر والتوزيع » بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٦م»، في «٢٢٤» صفحة، بالاشتراك مع كل من : أ/ أحمد فراج، أ/ فاروق جويدة ، أ/ إسماعيل سراج الدين، أ/ محمد سليم العوا ، أ/ نبيل علي

لقد اشتمل هذا الكتاب على سلسلة من محاضرات مركز حوار الحضارات، وقد جاءت هذه المحاضرات تحت عنوان: « خصائص الثقافة العربية والإسلامية في ظل حوار الثقافات : إشكالية الثابت والمتغير»، ويمثل اختيار هذا الموضوع مساحة هامة من مساحات الحوار بين الثقافات كما يعني اختيار هذا الموضوع في حد ذاته استمرارًا للاهتمام بوزن البعد الثقافي في العلاقات الدولية بصفة عامة، والعالم الإسلامي بصفة خاصة، فمن هذا المنطلق جاء هذا الكتاب الذي اهتم اهتمامًا كبيرًا «بخصائص الثقافة العربية والإسلامية» من حيث الثابت والمتغير، ومن حيث التحديات التي يفرضها العصر، ومن حيث ملامح واقعها الراهن بسلبياته وإيجابياته على حدٍ سواء، ومن حيث تغيير هذا الواقع علاجًا للسلبيات ودعمًا للإيجابيات وقطعًا للطريق أمام التدخلات الخارجية؛ ذلك لأن النقد الذاتي لمكامن ضعف وسلبيات ثقافتنا الراهنة هو السبيل الأمثل لتجديد هذه الثقافة وتفعيلها في حياة أمتنا، ومقياس هذا التفعيل ومعياره هو

خصائص هذه الثقافة وفق مصادر مرجعيتها الإسلامية، ووفق تفاعلها الخلاق مع الثقافات الأخرى ووفق استجابتها لتحديات العصر؛ كل هذا كان سببًا في ظهور هذا الكتاب الماتع الفريد في بابه .

٦٩ـ عقيدة الدين الخالص

طُبع هذا الكتاب ضمن «سلسلة الإسلام الرائدة» التي أصدرتها «مكتبة الدار العربية للكتاب» بالقاهرة ـ عام «٢٠١٦م»، في «٢٢٦» صفحة.

إنّ المجتمعات الإنسانية، ومن ضمنها الإسلامية، لا تفسد إلا بفساد المفاهيم والمعتقدات؛ ذلك أنّ اليقين الراسخ متى تزعزع فإن الشك يسود، ولاحياة مستقيمة تقوم على الشك، وإنما تُبنى العقول والأمم على اليقين، من هنا كان هذا الكتاب في عقيدة التوحيد الخالص، التي لاتعرف فرقة ولا خلافًا، ولاطائفية ولا أحزابًا، وإنما هي الجادَّة التي من تمسك بها نجا ووصل.

فمن هنا رأى فضيلة الدكتور علي جمعة أهمية كتابة هذا الكتاب الذي تناول في الحديث عن عقيدة أهل السنة والجماعة بلفظ واضح ومحدد، كما حرص فضيلته على تبسيط هذه المسائل التي اشتمل عليها هذا الكتاب الماتع لعموم الفائدة .

٧٠ـ أدب المستفتي

طُبع هذا الكتيب في « دار السلام للنشر والتوزيع » بالقاهرة ـ عام «٢٠٠٦م»، في «٣٠» صفحة، من القطع الصغير. يُعدُّ هذا الكتاب دليلًا للمسلم الحريص على معرفة أمور دينه ودنياه؛ حيث إنّ هذا الكتاب يشتمل على جملة من الآداب التي ينبغي على المستفتي مراعاتها عند دخوله مقر الإفتاء، وحين يتقدم لطلب فتواه، كتخلق بآداب الإسلام من خفضٍ للصوت، وعدم الإلحاح والتطويل على مفتيه بذكر مشكلات

اجتماعية ليس من الضروري ذكرها، وغير ذلك من الآداب التي تعين المفتي على استخلاص الحكم الشرعي الصحيح .

٧١ـ قصة حب الحياة

طُبع هذا الكتاب في مكتبة « النهار للنشر والتوزيع » بالقاهرة ـ عام «٢٠١٧م»، في «١٨٥» صفحة .

لما اختلط على الناس مفهوم حب الحياة، قام فضيلة الدكتور علي جمعة بتأليف هذا الكتاب ؛ ليفرق لنا بين حب الحياة وبين حب الحياة الدنيا، فالحياة في مفهومنا تشمل الدنيا والآخرة ، وأما الدنيا فهي جزء قصير في رحلة الحياة ، فمن أحبها وتعلق بها وحدها فقد نسي وخسر حب الحياة الدائمة .

وقد اشتمل هذا الكتاب على ثلاثة فصول؛ حيث تناول الدكتور علي جمعة في الفصل الأول الكلام عن فقه حب الحياة، وأنّ من فقه حب الحياة : حب الأكوان، وحب الإنسان، وحب الحيوان، وحب الجماد، وحب النبات، ثم تكلم في الفصل الثاني عن المعالم التي يظهر فيها فقه حب الحياة، ثم ختم الكتاب بمقارنة لفقه الحياة بين نموذجين .

٧٢ ـ حكاية الإرهاب

طُبع هذا الكتاب في مكتبة « النهار للنشر والتوزيع » بالقاهرة ـ عام «٢٠١٧م»، في «٢٦٤» صفحة، وأصل هذا الكتاب برنامج «المتشددون» الذي قدَّمه فضيلة الدكتور علي جمعة على شاشة التلفزيون المصري . فقد قام فضيلة الدكتور علي جمعة في هذا الكتاب باستعراض بعض الأحداث من تاريخنا المعاصر، التي يرى أنها تكشف «حكاية الإرهاب» المنتشر في عالمنا الآن، فقام فضيلته بتحليل هذه الأحداث؛ ليبين لنا كيف بدأ

«الإرهاب» من ناحية التاريخ والسياسة ومن ناحية الفكر والثقافة، وكيف نمى وكيف تتطور، حتى صارت الأجيال المتتالية تفعل ما تنسبه كذبًا لدين الله من ذبح وتفجير واعتداء على خلق الله . وتناول فضيلته أيضًا الحديث عن «جماعة الإخوان» منذ نشأتها؛ حيث بيَّن كيف فكر «حسن البنا» في تكوين جماعته ثم تنظيمه السري،وكيف انتقل بتلك الجماعة من مرحلة المأثورات إلى مرحلة الفتنة والانحراف بشهوة الحكم والسلطان، ثم أتبع فضيلته ذلك بحكاية «سيد قطب» وكيف انتقل من أديب وشاعر إلى عضو في جماعة الإخوان ثم قائد تنظيم إرهابي وتكفيري، ثم تكلم عن الجماعات التي اتخذت من شخص «سيد قطب» وفكره نبراسًا ضلت بضلاله وعميت بفكره. وقد جاء ذلك كله في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة :

الفصل الأول: تجارب النهضة المصرية «كيف تنهض الأمة».

الفصل الثاني: تمييز الدين الموازي ونظرية الهرم المقلوب في فكر المتطرفين.

الفصل الثالث: حسن البنا ونشأة الإخوان المسلمون.

الفصل الرابع : عرض وتحليل لشخصية سيد قطب وفكره .

الفصل الخامس : القطبيُّون وتتالي الأجيال .

٧٣ـ مكونات العقل المسلم

طُبع هذا الكتاب في مكتبة « الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر » بالقاهرة ـ عام «٢٠١٧م»، في «٣٠٤» صفحة، وأصل هذا الكتاب برنامج «درجات المعرفة» الذي قدَّمه فضيلة الدكتور علي جمعة على شاشة تلفزيون المصري . وقد اشتمل هذا الكتاب على مجموعة من المقالات استعرض الدكتور علي جمعة فيها مفردات العقل المسلم، هذه المفردات التي تؤسس للعقلية العلمية التي حض الإسلام على بنائها، وتميزًا وبعدًا عن العقلية الخرافية التي رسخت لها جماعات الانحراف والضلال والفتنة. وقد حوى هذا

الكتاب بين دفتيه ما يزيد عن أربعين مقالاً، تؤسس لبناء عقلية علمية منهجية في تناول الواقع والتعامل معه، والفوز فيه، والسيطرة عليه، والنجاح في الاندماج مع الآخر، والتأثير فيه بالإيجاب.

٧٤ ـ الكتب المكونة للفكر الإسلامي السُّني

طُبع هذا الكتاب في «دار الصالح للنشر والتوزيع» بالقاهرة ـ عام «٢٠١٨م»، في «٧٦٠» صفحة. يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ فكرة جمع المقررات الأزهرية، والتعريف بها هي فكرة البحث عن الأصول والمناهج والمعلومات التي شكلت وكونت العقلية التي يتعلق بها المسلمون عندما يواجهون انحرافات أوتطرفات في الأفهام والتصورات الدينية .

فمن هنا رأى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ طلاب العلم في حاجة ماسة لكتاب يجعلهم على بصيرة من أمرهم أثناء رحلة الطلب، ويعرِّفهم بأصول المراجع والمصادر التراثية والمعاصرة؛ ليحقق هذا الكتاب عدة مقاصد وغايات ، منها : المحافظة على دائرة تربط المسلم المعاصر بتراثه الديني والأدبي والتاريخي والفقهي، وتجعل من دائرة المعرفة التراثية موجهًا له ومرشدًا في الانطلاق نحو المعاصرة بأصول ثابتة تمكنه من التمييز بين الصالح والطالح في المستجدات التي تطرأ على عالم الفكر والسلوك. فقدَّم فضيلة الدكتور علي جمعة للمكتبة الإسلامية هذا الكتاب المنهجي؛ ليسدَّ به ثغرة، وقد قسَّم فضيلته الكتاب إلى مقدمة وأربعة عشر فصلاً، تكلم فيها عن أهم الكتب في العلوم التي لا يسع طالب العلم جهلها.

ثانيًا: الأبحاث

لم تقف جهود فضيلة الدكتور علي جمعة في «التأليف والكتابة» عند هذه العناوين التي تم التعريف بها سابقًا، وإنما الأمر قد تجاوز إلى حدٍ قد يصل بمن أراد أن يبحث جانب التأليف والكتابة عند الدكتور علي جمعة إلى حدٍ كبيرٍ من«الجهد والإرهاق»؛ حيث إنّ عطاء فضيلته مستمر لا ينقطع فهو بحر بعيد غوره؛ لذلك فإنّ «جهود فضيلته في التأليف والكتابة» بحر بل بحور لا ساحل لها، وطرق لا ينتهي منها من سلكها، فهي أبحر متلاطمة الأمواج، بعيدة المدى، لا يقدر على السباحة والغوص فيها، إلا السبَّاح الماهر،الذي يغوص في هذه البحار؛ ليستخرج لنا «الجواهر والدرر» التي تضئ لنا حياتنا في الليل والنهار. وليس من المبالغة في شيء عندما أقول: إنّ من الظلم لمؤلفات فضيلة الدكتور علي جمعة،أن يتناولها الباحثون بالذكر في مطلب، بل في مبحث، بل في فصل، بل في باب، وإنما مؤلفات فضيلته من كتب، وأبحاث، ومقالات، تحتاج إلى «مؤلَّفٍ» مستقل فهي جديرة بذلك. فلما كان عصرنا الحاضر مُبتلى بالسرعة وقلة البركة في الوقت، مالت النفوس إلى تحصيل كل ماهو مختصر، ولضيق المقام في هذا الكتاب لم أتوسع في الحديث عن مؤلفات فضيلة الدكتور علي جمعة من كتب، وأبحاث، ومقالات، فأنا أعتذر لقارئ هذه السطور على تناولي لها بهذا الإيجاز الذي لم يُوفِّيها حقها، وأعده بإفراد الكلام عنها في كتاب مستقل بإذن الله تعالى، وسوف أُسميه : « المدخل إلى دراسة مؤلفات الدكتور علي جمعة »، فقد أثرى فضيلة الدكتور علي جمعة المكتبة الإسلامية بعدد كبير من الأبحاث التي تمس شغاف القلب، وتؤثر في ثنايا النفس، وتلبي حاجة الإنسان والمجتمع، وتجعل أمتنا تخرج من أزماتها التي وقعت فيها، وتنتقل بها من الضيق إلى السعة، فقد شارك فضيلته بأبحاثه في نحو مائة وخمسين مؤتمرًا علميًّا، ولضيق المقام، وخشية الإسهاب، سوف أقتصر على ذكر أسماء هذه الأبحاث دون الوقوف على التعريف بها كما سبق في التعريف بالعناوين السابقة،

وسيأتي ذكر هذه الأبحاث على سبيل المثال لا على سبيل الحصر والإحاطة، وأسأل الله التوفيق والسداد في إنجاز وعدي على إفراد «جهود فضيلة الدكتور علي جمعة في التأليف والكتابة» في كتاب مستقل، فهو على ذلك قدير وبالإجابة جدير، وفيما يلي بيان ذلك :

الملاحظات	عدد الصفحات	اسم البحث
	١٢ص	(١) النحت الخطي
	١٤ص	(٢) تعريف تعليم المواد العلمية
	٧ص	(٣) مصلحات أصول الفقه
	٧ص	(٤) الفكر الإسلامي وموضعه من الفلسفات
	٤ص	(٥) كلمة في التحيز
	٦ص	(٦) كيف نتعامل مع التراث
	٣٠ص	(٧) محاضرة: أصول الفقه كمنهج للعلوم الاجتماعية
	١٨ص	(٨) فلسفة التغيير ورقة مقدمة لندوة
	١٣ص	(٩) التقعيد الفقهي
	٣ص	(١٠) اللغة وعاء حضاري وضرورة اجتماعية
	٧ص	(١١) الفكر الإسلامي وموضعه من الفلسفات المعاصرة
	٥ص	(١٢) التنمية من منظور إسلامي
	٢٤ص	(١٣) دين الله الأخير إلى العالم ما هو؟
	١١ص	(١٤) قضية المصطلح وما تثيره من إشكالات
	٥ص	(١٥) الجهادية السلفية العالمية ومفهوم الجهاد
	١١ص	(١٦) مدخل حول ترتيب الكليات الخمس
	٧ص	(١٧) لا تفسدوا الدين + حول بدعية ركعتي الشكر
	٤٤ص	(١٨) سوق الأوراق المالية من منظور إسلامي
	٤ص	(١٩) الرد المبين على كتاب مجتمع يثرب
	٤٣ ص	(٢٠) معلم الأطفال ومذكر الكبار في تبسيط دين الإسلام
	٣١ص	(٢١) المنظور المقاصدي: المكونات والمولدات والمكملات
	٦ص	(٢٢) مشكلات تعليم أبناء المسلمين المقيمين بالغرب
	٧ص	(٢٣) نقد الخطاب الديني في رمضان في الإعلام العربي
	٦ص	(٢٤) التجديد في الإسلام
	٢٧ص	(٢٥) الإمام الشافعي ومدرسته الفقهية وتلاميذه
	١١ص	(٢٦) عمل هيئات الرقابة الشرعية ومشكلاتها بالمصارف الإسلامية وبعض الحلول
	٤ص	(٢٧) أهمية التلاحم بين الحكومة والتيار السائد في مواجهة مؤامرات الوقيعة والفتنة

(٢٨) ملاحظات على معجم ألفاظ القرآن الكريم	٩ص	
(٢٩) مقدمة الفنون	٢ص	
(٣٠) الضوابط الشرعية لأحكام الأطعمة في الإسلام	٤ص	
(٣١) أخذ الأجر على الكفالة	١٣ص	
(٣٢) هل العبرة بصيغ العقود، أو بمعانيها؟	١٢ص	
(٣٣) الوقف وأثره التنموي	٣٩ص	
(٣٤) رؤية إسلامية لبعض قضايا الاقتصاد	٨ص	
(٣٥) مسح الأدبيات التي تعالج الإصلاح في تدريس العلوم الشرعية	٣٥ص	
(٣٦) مدخل معرفي إلى نظريات الأصول	١ص	
(٣٧) منهج تناول المعاملات المالية الحديثة	٨ ص	
(٣٨) إسلامية المعرفة وأصول الفقه الحضاري	١٨ ص	
(٣٩) الإدارة في الإسلام	٢١ ص	
(٤٠) الرقابة الشرعية مشكلاتها وطرق تطويرها		
(٤١) شرح آيات متعلقة بأهل الكتاب	٤ص	
(٤٢) حد المرتد	٣٥ص	
(٤٣) حول ماهية الخاطر لدى المعتزلة والصوفية	١٥ص	
(٤٤) شبهات كتاب الهداية	١٤ص	
(٤٥) الإسلام يتفق ولا يصطدم	٢٢ص	
(٤٦) الإمام محمد عبده سيرته ومسيرته وآرائه	١١ ص	
(٤٧) مقاصد التشريع الإسلامي وأثرها في الخطاب الإسلامي والنظام القانوني العام	٢٤ ص	
(٤٨) الشخصية الاعتبارية	٣ ص	
(٤٩) ضوابط الاستثمار في الشريعة	١٥ ص	
(٥٠) التسامح الإسلامي في نصوص الشرع الشريف	٢٣ص	
(٥١) الجهاد في الإسلام دراسة تحليلة	٢٥ ص	
(٥٢) الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى تكامل لا تنافر	٣٠ ص	
(٥٣) الدكتور زقزوق فضله على الدعوة وجهوده العلمية	١٥ ص	
(٥٤) مكانة المرأة في الإسلام وحقها في التعليم	٣٢ ص	
(٥٥) السلم كأساس من أسس التقدم في الإسلام	٧ص	
(٥٦) الفتوى ضوابطها وأبعادها	٣٥ص	
(٥٧) الكتب المعتمدة في المذاهب الفقهية	١٣ ص	

(٥٨) المذهبية سمة حضارية للمسلمين	٦ ص	
(٥٩) النبي الطاهرة في الشرع الشريف	٤٩ ص	
(٦٠) النفس ومراتبها	٤٧ ص	
(٦١) تجديد الفقه	٩ ص	
(٦٢) تسامح الإسلام مع غير المسلمين	٢١ ص	
(٦٣) حب آل بيت النبي ﷺ	٢٣ ص	
(٦٤) خصائص السيرة النبوية	٣٠ ص	
(٦٥) علاقة علم أصول الفقه بعلم الفقه	٧ ص	
(٦٦) غزوات الرسول ﷺ	٣ ص	
(٦٧) مصطلحات المذاهب الفقهية	١٧ ص	
(٦٨) مقترح لتجديد تدريس علم أصول الفقه	٢٣ ص	
(٦٩) الزكاة		بحث مقدم للمؤتمر الخامس لعلماء الهند
(٧٠) حقوق الإنسان من خلال حقوق الأكوان في الإسلام	١٢ ص	بحث مقدم لمؤسسة نايف
(٧١) النموذج المعرفي الإسلامي		بحث مقدم لندوة المنهجية بالأردن
(٧٢) الإسلام بين أعدائه وأدعيائه		
(٧٣) اقتراح عقد تمويل من خلال تكييف العملة الورقية كالفلوس في الفقه الإسلامي		
(٧٤) رؤية نقدية لاتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة		
(٧٥) التراث الإسلامي بين التوثيق والفهم		
(٧٦) المصادر الأساسية للمنهجية الإسلامية في الفكر والبحث العلمي		
(٧٧) ورقة مبدئية حول النظام المعرفي	٦ص	
(٧٨) معجم المصطلحات الفلسفية والكلامية عند العرب	٢ ص	
(٧٩) الأمراض العقلية المسقطة للمسئولية	٢٨ ص	

(٨٠) الإمام أحمد بن حنبل	٥ ص	نُشرت هذه الورقة البحثية في موسوعة «أعلام الفكر الإسلامي» التي صدرت في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ بمصر.
(٨١) أبو إسحاق الإسفراييني	٢ص	// // // //
(٨٢) الأصمعي	٢ ص	// // // //
(٨٣) الإمام جعفر الصادق	٣ ص	// // // //
(٨٤) الإمام ابن الجوزي	٢ص	// // // //
(٨٥) تاج الدين السبكي	٢ص	// // // //
(٨٦) ابن حزم الظاهري	٢ص	// // // //
(٨٧) الإمام أبو حنيفة النعمان	٤ ص	// // // //
(٨٨) أبو بكر الخلال	٢ص	// // // //
(٨٩) داود الظاهري	٢ص	// // // //
(٩٠) زكريا الأنصاري	٣ص	// // // //
(٩١) الإمام الشافعي	٧ ص	// // // //
(٩٢) الإمام محمد بن الحسن الشيباني	٢ص	// // // //
(٩٣) الإمام ابن الصلاح	٢ ص	// // // //
(٩٤) الإمام الغزالي	٢ص	// // // //
(٩٥) الإمام ابن قيم الجوزية	٢ص	// // // //
(٩٦) الإمام محمد بخيت المطيعي	٢ص	// // // //
(٩٧) الإمام محمد حسنين مخلوف	٣ص	// // // //
(٩٨) ابن المقفع	٢ص	// // // //
(٩٩) الإمام أبو هريرة	٤ص	// // // //
(١٠٠) الإمام أبو يوسف	٣ص	// // // //
(١٠١) محبة الكائنات للنبي ﷺ		// // // //
(١٠٢) الاجتهاد	٥ ص	نُشرت هذه الورقة البحثية في موسوعة «التشريع الإسلامي» التي صدرت في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ بمصر.
(١٠٣) الإجماع	٥ص	// // // //
(١٠٤) أصول الفقه	٣ص	// // // //

(١٠٥) تجديد الفقه	٩ص	// // // //
(١٠٦) القياس	٤ص	// // // //
(١٠٧) الكليات الخمس	٤ص	// // // //
(١٠٨) الرسول صلى الله عليه وسلم مؤيد بالله	٧ص	
(١٠٩) مفهوم الجهاد في القضاء على البطالة	٦ص	
(١١٠) المحكم والمتشابه في القرآن الكريم		
(١١١) المشترك اللفظي ولغات القرآن		
(١١٢) الخطاب الإسلامي في خضم الأحداث والمستجدات	١٨ص	
(١١٣) معالم العلاقة مع الآخر ضوابطها ووسائلها	١٧ص	
(١١٤) المبادئ العامة والقيم في القرآن الكريم	١٤ ص	نُشرت هذه الورقة البحثية في موسوعة «القرآن المتخصصة» التي صدرت في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ بمصر.
(١١٥) الأخذ بالأخف	٢ص	نُشرت هذه الورقة البحثية في الموسوعة «الإسلامية العامة » التي صدرت في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ بمصر.
(١١٦) الحنابلة	٢ص	// // // //
(١١٧) الذريعة	٢ص	// // // //
(١١٨) الرأي	٢ص	// // // //
(١١٩) شرع من قبلنا	٢ ص	// // // //
(١٢٠) صدقة الفطر	٢ص	// // // //
(١٢١) الصفاء	٢ص	// // // //
(١٢٢) العرف	٢ص	// // // //
(١٢٣) علامات الترقيم	٢ص	// // // //
(١٢٤) العلة	٢ص	// // // //
(١٢٥) القول بالموجب	٢ص	// // // //
(١٢٦) قول الصحابي	٢ص	// // // //
(١٢٧) المصالح المرسلة	٢ص	// // // //
(١٢٨) المطلق	٢ص	// // // //
(١٢٩) المعصية	٢ص	// // // //

(١٣٠) المقاييس	٢ص	// // // //
(١٣١) المكاييل	٢ص	// // // //
(١٣٢) الموازين	٢ص	// // // //
(١٣٣) المواقيت	٢ص	// // // //
(١٣٤) النهي	٢ص	// // // //
(١٣٥) الإباحة	٢ص	// // // //

المبحث الثاني

جهود الدكتور علي جمعة في التحقيق والنشر

إن الكتب والموسوعات والدراسات التي قام فضيلة الدكتور علي جمعة، بدراستها وتحقيقها، والتقديم لها، والإشراف على نشرها لاتقل أهمية عن مؤلفاته، فإن كان فضيلته لا يكتب في قضية إلا إذا كان المجتمع في حاجة ماسة لها؛ فتعددت موضوعات «كتبه وأبحاثه» بتعدد النوازل التي يعيشها المجتمع، فكذلك لايحقق كتابًا ولا يُشرف على نشره إلا إذا كان المجتمع في حاجة ماسة لموضوع هذا الكتاب؛ لذلك قدَّم فضيلته للمكتبة الإسلامية عددًا من الموسوعات، والتحقيقات التي حلَّت كثيرًا من الإشكاليات التي يعيشها المجتمع في واقعنا المعاصر، كما شارك في الإشراف على الكثير من الموسوعات العلمية التي عَمُرت بها المكتبة الإسلامية؛ لذلك سيشتمل هذا المبحث بمشيئة الله تعالى في ثلاثة مطالب، هي :

المطلب الأول: تحقيقات الدكتور علي جمعة العلمية .

المطلب الثاني: الموسوعات التي أشرف الدكتور علي جمعة على إخراجها .

المطلب الثالث: الرسائل العلمية التي أشرف عليها الدكتور علي جمعة .

المطلب الأول

تحقيقات الدكتورعلي جمعة العلمية

إنّ المؤلفات التي قام فضيلة الدكتور علي جمعة بدراستها، أو تحقيقها، أو التقديم لها، أو الإشراف على نشرها، قد جاءت في إطار سعيه لإبراز العلامات الفكرية المضيئة في تراثنا الإسلامي القديم والحديث، وهي أيضًا لبنة في المشروع الفكري التجديدي لدى فضيلته. والمطالع لهذه الدراسات والتحقيقات يجد أنّ جهود فضيلة الدكتور علي جمعة لم تقف عند الدارسة التي قدم بها للكتاب، والتي لاشك أنها قد أضافت إليه الكثير؛ حيث قدَّم فضيلته عشرات الحواشي التي عملت على إضاءة النص، وفهمه فهمًا جيدًا يفتح ما استغلق منه.

ولضيق المقام في هذا المطلب سوف أكتفي بذكر أسماء الكتب التي قام بدراستها أوتحقيقها، أو التقديم لها،مع ذكر العمل الذي قام به الدكتور علي جمعة في الكتاب، دون الحديث عن جهود فضيلته في تحقيق هذا الكتاب، على أمل من الله أن أتوسع في الحديث عن جهود فضيلته في التحقيق، في الكتاب الذي أشرتُ إلى تأليفه سابقًا، وها هي أسماء بعض التحقيقات التي قدّمها فضيلة الدكتور علي جمعة للمكتبة الإسلامية:

١ـ كتاب : «رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين» للإمام النووي، طُبع هذا الكتاب في دار الكتاب اللبناني عام «١٩٩١ م» «تحقيق وتعليق».

٢ـ كتاب : «المقارنات التشريعية تطبيق القانون المدني والجنائي على مذهب الإمام مالك» لفضيلة الشيخ مخلوف بن محمد البدوي المنياوي، طُبع هذا الكتاب في مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع ــ بمصر ، عام «١٩٩١ م» «دراسة وتحقيق بالاشتراك».

٣ـ كتاب : « الحج والعمرة الأحكام والأدعية» لفضيلة الدكتور عصام أنس الزفتاوي، طُبع هذا الكتاب في دار السلام للنشر والتوزيع ــ بمصر ، عام «١٩٩٩ م» «مراجعة».

٤ـ كتاب: رسائل ابن نجيم الاقتصادية المسماة بــ: « الرسائل الزينية في مذهب الحنفية»، طُبع هذا الكتاب في دار السلام للنشر والتوزيع ــ بمصر، «١٩٩٩ م» «دراسة وتحقيق بالاشتراك».

٥ـ كتاب : «تشنيف الآذان بأدلة استجابة السيادة عند اسمه ﷺ في الصلاة والإقامة والآذان» لفضيلة السيد المحدث الفقيه أحمد بن محمد بن الصديق الغماري، طُبع هذا الكتاب في دار جوامع الكلم عام «٢٠٠٠ م» « مراجعة وتحقيق وتقديم».

٦ـ كتاب : الفروق، المسمى بــ:«أنوار البروق في أنواء الفروق » للإمام القرافي، طُبع في دار السلام للنشر والتوزيع ــ بمصر، عام «١٩٩١ م» «دراسة وتحقيق بالاشتراك».

٧ـ كتاب : «الأموال» لأبي جعفر أحمد بن نصر الداوودي، طُبع هذا الكتاب في دار السلام للنشر والتوزيع ــ بمصر، عام «٢٠٠١ م» «دراسة وتحقيق بالاشتراك».

٨ ـ كتاب «شرح الدرر السنية في نظم السيرة النبوية» للإمام الأجهوري المالكي، طُبع هذا الكتاب بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية عام «٢٠٠١ م»ــ «مراجعة» .

٩ـ كتاب : «ينابيع الأحكام في معرفة الحلال والحرام» للإمام أبي عبد الله محمد بن زنكي الإسفراييني، طُبع هذا الكتاب بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية عام «٢٠٠١ م» «مراجعة» .

١٠ـ كتاب :« الاستدلال عند الأصوليين» لفضيلة الأستاذ الدكتور أسعد

الكفراوي، طُبع هذا الكتاب في دار السلام للنشر والتوزيع ــ بمصر عام«٢٠٠٢ م» «تقديم وإشراف»

١١ـ حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد المسمى: بــ «تحفة المريد على جوهرة التوحيد»، طُبعت هذه الحاشية في دار السلام للنشر والتوزيع ــ بمصر، عام«٢٠٠٢ م» «دراسة وتحقيق».

١٢ـ كتاب : «بيان المختصر» وهو شرح مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه طُبع هذا الكتاب عام«٢٠٠٤ م» « دراسة وتحقيق».

١٣ـ كتاب:« جلاء القلوب من الأصداء الغنية ببيان إحاطته عليه السلام بالعلوم الكونية»، طُبع هذا الكتاب في المركز الإسلامي بمسجد الدكتور حسن عباس زكي عام«٢٠٠٤ م» « إشراف».

١٤ـ كتاب:« فتاوى الإمام محمد عبده» طُبع هذا الكتاب بالجمعية الخيرية الإسلامية،«٢٠٠٥ م» « إعداد وتحقيق».

١٥ـ كتاب: «مدى تغير الأحكام بتغير الجهات الأربع الزمان والمكان والأشخاص والأحوال»، لفضيلة أ.د/ عبد الله ربيع _رحمه الله_«قدم له»

١٦ـ كتاب: « الوظيفة السياسية للعلماء في الخبرة الإسلامية» للاستاذة هناء عبد الرحمن البيضاني، طُبع هذا الكتاب في مكتبة النهضة المصرية، عام«٢٠٠٥ م» ــ« إشراف».

١٧ـ كتاب: «الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية مع ملحق قوانين الأحوال الشخصية العربية» لمحمد قدري باشا، طُبع هذا الكتاب في دار السلام للنشر والتوزيع ــ بمصر، عام«٢٠٠٦ م» «دراسة وتحقيق».

١٨ـ كتاب : «السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم أصول وضوابط» لفضيلة الدكتور مجدي عاشور، طُبع هذا الكتاب في دار السلام للنشر والتوزيع ــ بمصر، عام«٢٠٠٦ م» «قدَّم له».

١٩ـ كتاب : «إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة»، لفضيلة الشيخ محمد شملول، طُبع هذا الكتاب في دار السلام للنشر والتوزيع ــ بمصر، عام«٢٠٠٦ م» «قدَّم له».

٢٠ـ كتاب : «يوسف عليه السلام بين القرآن الكريم وكتب السابقين»، لفضيلة الدكتور هشام طلبة، طُبع هذا الكتاب في مكتبة الإيمان عام«٢٠٠٦ م» «قدَّم له».

٢١ـ كتاب :«المقارنات التشريعية بين القوانين الوضعية المدنية والتشريع الإسلامي مقارنة بين فقه القانون الفرنسي ومذهب الإمام مالك بن أنس» لسيد عبد الله علي حسين التيدي، طُبع هذا الكتاب في دار السلام للنشر والتوزيع ــ بمصر، عام«٢٠٠٦ م» « دراسة وتحقيق بالاشتراك ».

٢٢ـ كتاب: «قانون العدل والإنصاف في القضاء على مشكلات الأوقاف»، لمحمد قدري باشا طُبع هذا الكتاب في دار السلام للنشر والتوزيع ــ بمصر، عام«٢٠٠٦ م» « دراسة وتحقيق بالاشتراك».

٢٣ـ كتاب : «محمد عبد الله دراز دراسات وبحوث بأقلام تلامذته ومعاصريه» لفضيلة الشيخ أحمد مصطفى فضيلة، طُبع هذا الكتاب في دار القلم للنشر والتوزيع عام«٢٠٠٦ م» « قدَّم له ».

وغير ذلك كثير مما لا يتسع المقام لذكره، وإنما ذكرتُ ما سبق مثالًا لا حصرًا .

المطلب الثاني

الموسوعات التي أشرف الدكتورعلي جمعة على إخراجها

إنّ الجهود التي قام بها فضيلة الدكتور علي جمعة في الإشراف على الموسوعات العلمية ونشرها، قد جاءت ضمن جهوده في نشر الفكر المستنير، والحفاظ على هوية الأمة من خلال الجمع بين التراث والمعاصرة، وتهد ف هذه الموسوعات إلى تجميع أكبر عدد من الموضوعات والقضايا بين دفتي كتاب واحد، حتى يتم حفظها من الشتات والضياع، ويتيسر توفيرها للناس حتى يطلعوا على رؤية متكاملة لفكر هؤلاء العلماء والمفكرين الذين شاركوا بأقلامهم في هذه الموسوعات، وفيما يلي بيان ذلك:

١. الموسوعة الإسلامية العامة

إنّ المتأمل في حال الساحة الفكرية الإسلامية في الآونة الأخيرة يرى أنها تزدحم بالكثير من الضباب حول العديد من المصطلحات الإسلامية، الأمر الذي أدى إلى جدل عنيف في الماضي والحاضر تقطعت به وشائج الوحدة الفكرية والثقافية، بل والدينية بين أبناء الأمة التي وصفها القرآن الكريم بقوله :﴿ إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[الأنبياء:٩٢].

وقد أدت الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التي مرت بالأمة الإسلامية منذ «الفتنة الكبرى» إلى ظهور العديد من الفرق الإسلامية المتناحرة في فترات مختلفة من تاريخ الأمة الإسلامية، وفي الآونة الأخيرة تعاني الأمة الإسلامية من بعض الفئات التي تحاول أن تعيد خلافات الماضي رافعة شعارات مضللة، ومفاهيم مغلوطة، وأفكارًا خاطئة، الأمر الذي أدى إلى حدوث نوع من البلبلة الفكرية لدى الكثيرين .

وعلى الرغم من هذه الصورة السلبية فإنّ الأمة الإسلامية قد شهدت على الجانب

الآخر صفحات مشرقة عكست عظمة الإسلام في تعاليمه السامية ومبادئه الراقية التي قدمت للإنسانية أعظم حضارة عرفها الإنسان . من هنا رأى «المجلس الأعلى للشئون الإسلامية» أن الأمة الإسلامية في حاجة ماسة إلى «موسوعات علمية متخصصة» تعمل على تجلية المصطلحات الإسلامية، وإزالة الغبار الذي علق بالكثير منها، كما تقوم أيضًا بالقضاء على البلبلة الفكرية التي أحدثتها الصراعات المختلفة . وذلك حماية للمسلمين من الاغترار بالشعارات المضللة، والدعايات الكاذبة التي يقصد من ورائها جر الأمة إلى متاهات لا يعلم إلا الله مدى ما تخبئه لها من مصير مظلم، في وقت تحتاج فيه الأمة الإسلامية إلى تجنيد كل إمكاناتها للحاق بركب العصر، واحتلال مكانها اللائق بها على خريطة عالمنا المعاصر . وقد صدرت «الموسوعة الإسلامية العامة»عام «٢٠٠١ م»؛ لتكون بكورة هذا المشروع الفكري الكبير، الذي يعكس وجهة النظر الإسلامية ليكون موازيًا لما أنجزه المستشرقون في «دائرة المعارف الإسلامية»، والتي تعكس تصوراتهم، فبذلك تكون هذه «الموسوعات» قد أحدثت نوعًا من التوازن في هذا المجال؛ حيث إنّ التصور الإسلامي في مجال الموسوعات الحديثة مازال غائبًا عن ساحة الفكر الغربي[1]، وتضم هذه «الموسوعة » ما يقرب من« ٧٧٠ » مادة علمية، ساهم في كتابتها ما يقرب من ١٠٠ عالم ومفكر إسلامي .

وقد كان لفضيلة الدكتور علي جمعة دورًا بارزًا في إعداد وتحرير هذه الموسوعة؛ حيث كان فضيلته رئيس هيئة تحريرها، وقد شهد فضيلة الدكتور محمود حمدي زقزوق، وزير الأوقاف الأسبق،ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،والمشرف على«الموسوعة الإسلامية العامة» آنذاك بجهود فضيلة الدكتور علي جمعة في إعداد وإخراج هذه الموسوعة؛ حيث قال فضيلته :«ولا يفوتنا أن نتقدم بخالص الشكر

---

(١) انظر : مقدمة «الموسوعة الإسلامية العامة» بقلم أ.د/ محمود حمدي زقزوق، صـ ٧، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

والتقدير للسادة العلماء الذين أسهموا في التخطيط، وجمع المصطلحات وتصنيفها، وللسادة العلماء الذين أسهموا بالكتابة في هذا المجلد، ونسأل الله أن يجزيهم جميعًا خير الجزاء، كما نعبر عن شكرنا بصفة خاصة للأخ الأستاذ الدكتور عبد الصبور مرزوق نائب المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ولفضيلة الدكتور علي جمعة محمد الأستاذ بجامعة الأزهر ، اللذين بذلا جهودًا مضاعفة في سبيل الإعداد والتحرير لهذا المجلد وإخراجه على النحو الطيب»[(١)].

٢.الموسوعة القرآنية المتخصصة

صدرت «الموسوعة القرآنية المتخصصة» عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، عام «٢٠٠٣م»،وهي الكتاب الثاني بعد «الموسوعة الإسلامية العامة»، وقد جاءت «الموسوعة القرآنية المتخصصة» في صورة مقالات مطولة مستفيضة عالجت خمسة عشر موضوعًا تتعلق كلها بالقرآن الكريم، وقد بدأت هذه المقالات بالوحي، ثم أسباب النزول، ثم المبادئ العامة والقيم في القرآن الكريم، ثم القرآن الكريم وما يكتب فيه، ثم السور القرآنية، ثم التفسير والمفسرون، ثم القراءات و القراء، ثم علم التجويد، ثم بلاغة القرآن، ثم علوم القرآن، ثم الإعجاز البياني، ثم الإعجاز المعاصر، ثم الإعجاز العلمي، ثم مفردات قرآنية، ثم الإنسان في القرآن ، ثم السنن الإلهية في القرآن، ثم ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى غير العربية، وقد قام بكتابة هذه الموضوعات مجموعة من كبار علماء الأزهر الشريف .

وقد تحمَّل فضيلة الدكتور علي جمعة مشقة وعناء إعداد وتحرير هذه الموسوعة حتى تخرج إلى النور، فقد شهد أيضًا فضيلة الدكتور محمود حمدي زقزوق، بجهود الدكتور علي جمعة في مهمة إعداد وتحرير هذه الموسوعة.[(٢)]

(١) المصدر السابق .

(٢) انظر: مقدمة «الموسوعة القرآنية المتخصصة» بقلم أ.د/ محمود حمدي زقزوق، صـ٦، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٣.موسوعة علوم الحديث الشريف

صدرت « موسوعة علوم الحديث الشريف » عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، عام «٢٠٠٣م»، وهي الكتاب الثالث في إطار مشروع الموسوعات الإسلامية المتخصصة التي يصدرها «المجلس الأعلى للشئون الإسلامية»، وتهتم «الموسوعة الحديثية» بكل ما يتعلق بالحديث النبوي من معلومات لا يجدها القارئ إلا متناثرة في عشرات المراجع، فجاءت هذه «الموسوعة» تيسيرًا على الراغبين في التعرف على كل ما يتعلق بالأحاديث النبوية من علوم ومعارف، كما جاءت هذه الموسوعة لتسدَّ فراغًا في المكتبة الإسلامية ، وتلبي رغبة ملحة لدى الكثيرين من الباحثين والمهتمين بالسنة النبوية الشريفة ، وهذا العمل يعدُّ عملاً غير مسبوق على هذا النحو الذي قدَّمه «المجلس الأعلى للشئون الإسلامية» في هذه الموسوعة .

وكالعادة كان لفضيلة الدكتور علي جمعة دور رئيسي في إخراج هذه الموسوعة؛ حيث أشرف فضيلته على الجانب العلمي والتنظيمي للموسوعة، وشاركه في ذلك فضيلة الدكتور أحمد معبد عبد الكريم . ٤ـ موسوعة أعلام الفكر الإسلامي

صدرت « موسوعة أعلام الفكر الإسلامي» عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، عام «٢٠٠٤م»، وهي الكتاب الرابع في إطار مشروع الموسوعات الإسلامية المتخصصة التي يصدرها «المجلس الأعلى للشئون الإسلامية»، وقد جاءت هذه « الموسوعة » ضمن هذا المشروع إيمانًا من «المجلس الأعلى للشئون الإسلامية» بحق علمائنا ومفكرينا السابقين علينا في إبراز عطاءهم، وتسجيل جهودهم، ونشر تراثهم؛ ذلك اعترافًا بجميلهم، وتقديرًا لإنجازاتهم التي خدمت الإنسانية بأسرها. وقد قامت «موسوعة أعلام الفكر الإسلامي» بإلقاء بعض الضوء على جهود نخبة مختارة من العلماء والمفكرين في تاريخ حضارتنا الإسلامية في مجالات العلم المختلفة،

والعدد الذي تشتمل عليه هذه الموسوعة هو نزر يسير من كم كبير من الأسماء اللامعة التي شكلت عقول المسلمين ، والتي ازدانت بها الحضارة الإسلامية عبر القرون، فإنّ إصدار موسوعة تشتمل على كل أعلام الفكر الإسلامي أمر بالغ الصعوبة، ويحتاج إلى سنوات عديدة، وإلى جهد مئات العلماء والباحثين، «ولكن ما لايدرك كله لايترك جله» ويكفي القارئ هذه النماذج الرائدة التي تشتمل عليها هذه الموسوعة؛ لتذكيرهم بما قدَّمه هؤلاء الرواد من عطاء غزير لايزال له أثره البالغ حتى يومنا هذا . وقد قام فضيلة الدكتور علي جمعة بجهد فائق في التخطيط والتنظيم والمراجعة لهذه الموسوعة، وذلك بشهادة من شارك في تحرير هذه الموسوعة.[١]

٥. موسوعة القواعد الفقهية المقارنة«المسماه بالتجريد»

صدرت هذه الموسوعة ضمن أعمال «مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية»ـ بمصرـ ، و تم طبعها في « مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع» ـ بمصر ـ ، في اثنى عشر مجلدًا عام «٢٠٠٤م»، تحت إشراف فضيلة الدكتور علي جمعة ، والدكتور محمد أحمد سراج. وتُعدُّ «موسوعة التجريد للإمام القدوري» من أكبر الموسوعات الفقهية في علم الخلاف بين الأحناف والشافعية؛ حيث اجتهد الإمام القدوري في بيان مذهب كل منهما في أهم ما جرى فيه الاختلاف بينهما في الفروع الفقهية، مع استقصاء أدلتهما، وردود كل منهما على أدلة الآخر.

وتتميز هذه الموسوعة بعدة مميزات، منها :

أـ سهولة وبساطة الأسلوب.

ب ـ يعدُّ التجريد أول كتاب فقهي يعطينا صورة حقيقية متكاملة عن الفقه المقارن.

---

(١) انظر: مقدمة «موسوعة أعلام الفكر الإسلامي» بقلم أ.د/ محمود حمدي زقزوق، صـ ٨، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

ج ـ اشتملت الموسوعة على نصوص فقهية للأحناف والشافعية غير موجودة الآن فيما بين أيدينا من كتب للمذهبين على الرغم من كثرتها.

د ـ تعتبر هذه الموسوعة صورة صادقة عن روح التسامح والنقاش العلمي الهادئ بين جميع المذاهب الفقهية التي تميز بها فقهاء المسلمين .

٦. موسوعة الحضارة الإسلامية

صدرت « موسوعة الحضارة الإسلامية» عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، عام «٢٠٠٥م»، وهي الكتاب الخامس في إطار مشروع الموسوعات الإسلامية المتخصصة التي يصدرها «المجلس الأعلى للشئون الإسلامية». وقد جاءت «موسوعة الحضارة الإسلامية» ضمن هذا المشروع إيمانًا واعترافًا من «المجلس الأعلى للشئون الإسلامية» بحق الأجيال الجديدة عليه في اطلاعهم على ما قدمته الحضارة الإسلامية في جميع المجالات؛ ليقفوا على الإنجازات الحضارية الرائعة لهذه الحضارة، ويزدادوا ثقة بأنفسهم واعتزازًا بحضارتهم، ليواصلوا السير على الدرب، ويسهموا بعلمهم وفكرهم وعطائهم في إعادة بناء صرح حضاري جديد يواكب العصر، ويضع الأمة الإسلامية مرة أخرى في مكانها اللائق بين الأمم المتقدمة والشعوب المتحضرة، حتى تسهم ـ كما حدث في السابق ـ إسهامًا فعَّالاً في العطاء الحضاري للبشرية ، وكأنَّ لسان حال هذه الموسوعة يقول للأجيال المعاصرة :«إنّ الاقتداء بين الآباء دليل على صحة رشد الأبناء، فيا أيها الأبناء قد عرفتم حال الآباء هنالك فكونوا كذلك، حتى تصلوا إلى عبادة الرحمن،وعمارة الأكوان، واحترام الإنسان، وصيانة الأوطان. ٧ـ موسوعة فتاوى الإمام ابن تيمية في المعاملات وأحكام المال

إنّ «موسوعة فتاوى الإمام ابن تيمية في المعاملات وأحكام المال» جزء من مشروع ضخم عَمِلَ «مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية»ـ بمصرـ على إنجازه،

هذا المشروع هو إصدار «سلسلة دراسات لموسوعة فتاوى الشيخ ابن تيمية»، وقد بدأ المركز في تنفيذ هذا المشروع بإصدار هذه الموسوعة التي تم طبعها في «دار السلام للنشر والتوزيع» ـ بمصر ـ ، في ثلاثة مجلدات عام «٢٠٠٥م»، تحت إشراف فضيلة الدكتور علي جمعة . وقد جاءت دراسة هذه الموسوعة مركزة على : إبراز فقه الشيخ ابن تيمية في جانب المعاملات المالية ، وأحكام المال، لما لها من أهمية كبيرة في واقعنا المعاصر؛ حيث نجد أنّ هناك مجموعة من المسائل التي أبرزها الشيخ ابن تيمية ما زالت تُبحث في واقعنا المعاصر، وتستفيد بها البنوك الإسلامية في مجال صيغ المعاملات المالية.

٨. موسوعة جامع الأحاديث

تُعدُّ موسوعة «جامع الأحاديث» من أوسع الموسوعات الحديثية؛ حيث صدرت في «ثلاثة عشر مجلدًا» عن دار الإفتاء المصرية، ووزارة الأوقاف الكويتية، عام«٢٠٠٥ م» ضمن مشروع علمي ضخم تحت رعاية الوزير الإنسان الأستاذ الدكتور حسن عباس زكى ـ رحمه الله تعالى ـ ، وإشراف وعناية فضيلة الأستاذ الدكتور على جمعة ، وقد قامت نخبة من المتخصصين بتحقيق هذه الموسوعة وإخراجها إلى النور، وكان على رأس هذه النخبة فضيلة الدكتور عصام أنس الزفتاوى، وسيأتي مزيد تفصيل عن هذه الموسوعة عند الحديث عن مشروعات الدكتور علي جمعة الحديثية.

٩. موسوعة التشريع الإسلامي

صدرت « موسوعة التشريع الإسلامي» عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، عام «٢٠٠٦م»، وهي الكتاب السادس في إطار مشروع الموسوعات الإسلامية المتخصصة التي يصدرها «المجلس الأعلى للشئون الإسلامية».(إشراف عام) ٢٠٠٦ م. إنّ هذه الموسوعة تُقدم خدمة علمية جليلة للباحثين والمتخصصين في علوم الشريعة؛ حيث يجدون فيها ضالتهم، كما يجد فيها غير المتخصص المعلومات التي تزيده معرفة

بالتشريع الإسلامي وعلومه، فهذه الموسوعة تُقدم المعرفة الدقيقة الصافية، مع الإحالة إلى المراجع المعتمدة، وتوثيق كل جزئية من الجزئيات. وقد اشتملت هذه الموسوعة على مجموعة من المقالات المطولة المستفيضة، التي تناولت سبعة وعشرين موضوعًا تتعلق كلها بالتشريع الإسلامي، بدأت بأدب الاختلاف في الفقه الإسلامي، ثم أسباب اختلاف الفقهاء، ثم أصول المذاهب الفقهية، ثم أعلام التشريع، ثم تاريخ التشريع مراحله وتدوينه، ثم تجديد الفقه، ثم التدوين، ثم ترتيب المساق الفقهي، ثم التقنين، ثم التوثيق والوثائق والشروط، ثم جغرافية المذاهب، ثم السياسة الشرعية، ثم علاقة علم أصول الفقه بعلم الفقه، ثم علم الخلاف، ثم علم النوازل، ثم القطعي والظني في أدلة الأحكام الفقهية، ثم القواعد الفقهية ثم الكتب المعتمدة في المذاهب الفقهية، ثم المذاهب الفقهية في الإسلام، ثم المذهبية سمة حضارية للمسلمين، ثم مراتب التصنيف عند أئمة المذاهب المتبوعة، ثم مصادر الفقه الإسلامي، ثم مصطلحات المذاهب الفقهية، ثم مقاصد الشريعة الإسلامية، ثم الموسوعات الفقهية قديمًا وحديثًا، ثم مناهج تدريس الفقه، ثم النظريات الفقهية. وقد بذل فضيلة الدكتور علي جمعة مجهودًا كبيرًا من أجل إخراج هذه الموسوعة في أحسن صورة؛ حيث أشرف فضيلته على هذه الموسوعة من بدايتها إلى نهايتها.

١٠. موسوعة فتاوى المعاملات المالية للمصارف والمؤسسات المالية الإسلامية:

صدرت هذه «الموسوعة» ضمن المشروعات العلمية التي يقوم بها «مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية»، وقد تم طباعتها في «دار السلام للنشر والتوزيع»، في عشرين مجلدًا، عام «٢٠٠٩م»، تحت إشراف فضيلة الدكتور علي جمعة، ومشاركة الدكتور محمد أحمد سراج، أستاذ الدراسات الإسلامية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة .

وتُعدُّ « موسوعة فتاوى المعاملات المالية للمصارف والمؤسسات المالية الإسلامية » من المشروعات العلمية الضخمة التي يقدمها «مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية» إلى المكتبة الإسلامية ؛حيث تمثل هذه «الموسوعة» إحدى الخطوات العملية لتوضيح أنشطة المصارف الإسلامية، وضمان شرعيتها، والتزامها بالضوابط الشرعية، وتقديم البدائل والأوعية الشرعية لمواجهة مشكلات التطبيق وتطوير الأداء نحو الأفضل، وإقامة رصيد من المعرفة الفقهية في الأنشطة المصرفية الإسلامية، يكون صالحًا للبناء عليه والتفاعل مع العصر ومقتضاياته برصيد إيجابي، والاستجابة للأحوال والظروف. وتشتمل هذه «الموسوعة» على الفتاوى الصادرة عن هيئات الرقابة الشرعية بالمصارف الإسلامية، ومجامع الفقه الإسلامي، ودور الإفتاء، وبذلك احتوت هذه الفتاوى على معالجة مشكلات التطبيق التي تواجه المصارف الإسلامية في الواقع العملي، أو بتعبير آخر فقه التجربة العملي للمصارف الإسلامية؛ ذلك لخدمة الاتجاه الإسلامي في حركة البنوك الإسلامية .

١١. موسوعة الاقتصاد الإسلامي في المصارف والنقود والأسواق المالية:

صدرت هذه «الموسوعة» ضمن المشروعات العلمية التي يقدِّمها «المعهد العالمي للفكر الإسلامي»، وقد تم طباعتها في «دار السلام للنشر والتوزيع»، في اثني عشر مجلدًا، عام «٢٠٠٩م»، تحت إشراف فضيلة الدكتور علي جمعة، ومشاركة الدكتور رفعت السيد العوضي. وتهدف هذه «الموسوعة» إلى دراسة صيغ المعاملات المصرفية، والاستثمارية، والمالية المستخدمة في المؤسسات الإسلامية وخاصة في البنوك وشركات الاستثمار. ويتمثل نتاج هذه «الموسوعة» في عدد من البحوث التي يغطي كل منها ناحية أو موضوعًا محددًا من الصيغ التي تنظم علاقات هذه المؤسسات سواء أكانت مع غيرها من الأفراد والمؤسسات الأخرى أم في جانب استخداماتها للأموال المتاحة لها، أم

في جانب الخدمات الأخرى غير التمويلية التي تقوم بها ، وتشتمل هذه «الموسوعة» على أربعين بحثًا تغطي كل ما يتعلق بما سبق ذكره.

١٢. موسوعة الفتاوى المؤصلة

صدرت هذه «الموسوعة» عن إدارة الأبحاث الشرعية بدار الإفتاء المصرية، في خمسة مجلدات عام «٢٠١٣م»، وتُعد هذه «الموسوعة» جهد سنين من العمل الدؤوب والبحث المتواصل. وقد جاءت هذه «الموسوعة» إيمانًا من دار الإفتاء المصرية بالدور المنوط بها في نشر الإسلام الوسطي المعتدل المتمثل في منهج الأزهر الشريف، فمن هنا كلَّف فضيلة الدكتور علي جمعة «إدارة الأبحاث الشرعية بدار الإفتاء المصرية» باستقراء الواقع وانتقاء عدد من المسائل والموضوعات والقضايا التي تشغل الأذهان، وتعمُّ بها البلوى؛ لعمل فتاوى شرعية فيها، على أن تكون متنوعة في مختلف أبواب العلم والفقه، مع بيانها بيانًا شافيًا، وألا يقتصر فيه الأمر على ذكر الحكم في المسائل بصورة موجزة، ولا يصل فيه الأمر إلى حد الاستقصاء والاستفاضة في العرض والذي لايستفيد منه سوى المتخصصين، وإنما وقع الاختيار على منهج وسطي جامع بين خصائص البيان الشرعي الموجز المفهوم لكل قارئ، وبين خصائص البحث الفقهي المتعمق المقصود لكل متفقه.

١٣. موسوعة البيان

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ الفكر المتطرف يدفع إلى السلوك المتطرف، وحينما تأتلف فئة في المجتمع على هذا النهج تغدو كتوحش الخلايا السرطانية التي تفسد أعضاء الجسم وترديه، وقد كان التطرف سببًا رئيسيًا في سقوط دول وتراجع حضارات في عالمنا المعاصر، ولذلك أخذت على عاتقها جماعة من العلماء المخلصين الغيورين على دينهم ووطنهم، وتحملت مسئولية الرد على الفكر المتطرف في الدين، وقد

كان العمل العظيم تحت إشراف فضيلة الدكتور علي جمعة . فصدرت هذه السلسلة عام «٢٠١٧م » فكان أولها موسوعة الرد على خوارج العصر في خمس مجلدات، شملت الرد على الشبهات في محاور متعددة وجهات محيطة في الفقه والعقيدة والمناهج والأصول والحضارة، وتلاها منظومة القيم الأخلاقية ، ثم الصفات الإلهية بين الرازي وابن تيمية، ثم فقه حب الحياة، ثم السلف والسلفية بين التنزيه والتشبيه، ثم حكاية الإرهاب ، وغير ذلك من الأبحاث الماتعة التي تنير العقول، والتي بلغت خمسة وعشرون كتابًا . والسلسة مقسمة إلى حلقتين:

الحلقة الأولى: عملت على الهدم، تهدم الفكر المتطرف في الدين من جهة العقيدة والشريعة والأخلاق والمعاملات.

الحلقة الثانية: عملت على البناء، تبني العقلية العلمية حسب النموذج الإسلامي، باعتماد التفكير المنهجي، وتقدير التراث وعلماء الدين.

المطلب الثالث:

الرسائل العلمية التي أشرف عليها الدكتورعلي جمعة

تعدُّ الرسائل العلمية التي قام فضيلة الدكتور علي جمعة بالإشراف عليها، أو مناقشتها، من أبرز جهوده في تحقيق ونشر الأبحاث العلمية، وقد أشرف فضيلته وناقش مئات الرسائل العملية في مختلف المواضيع، وسوف أذكر في هذا المطلب بعض عناوين هذه الرسائل وأسماء أصحابها، وفيما يلي بيان ذلك:

موضوع الرسالة	اسم الباحث
(١) تشنيف المسامع بجمع الجوامع لبدر الدين الزركشي (دراسة وتحقيق من أول الكتاب إلى آخر الأخبار)	عبد الله ربيع محمد
(٢) دعوة جماعة التبليغ، نشأتها وأفكارها	عمر عبد الله عبد الرحيم أحمد
(٣) دراسة وتحقيق من أول باب المشترك والمؤول إلى باب دلالة النص من كتاب مدار الفحول في شرح منار الأصول للعلامة محمد بن مبارك شاه الهروى	مجدي مصلح إسماعيل شلش
(٤) الاستثناء عند الأصوليين، وأثره في الفروع الفقهية	عبيد الله ناجى عبيد أحمد
(٥) تشنيف المسامع بجمع الجوامع لبدر الدين الزركشي دراسة وتحقيق من أول باب الإجماع إلى آخر الكتاب	سيد عبد العزيز محمد شعبان
(٦) مشكلة تمويل الصناعات الصغيرة في مصر والبديل الإسلامي لتمويل هذه الصناعات	عبد المنعم محمود أبو الدهب
(٧) الدليل المختلف فيه، نشأته وتطوره مع التطبيق على شرع من قبلنا	أنور شعيب عبد السلام
(٨) الإمام جمال الدين الإسنوي وأثره في أصول الفقه	أسعد عبد الغنى السيد الكفراوى
(٩) نموذج الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة الإسلامية	عادل محمود مصطفى

(١٠) استئناف الأحكام القضائية ونقضها في التشريع الإسلامي مع المقارنة بالتشريعات الوضعية	أحمد عاطف أحمد
(١١) مفهوم الثابت والمتغير في الفكر الإسلامي عند الشاطبي	مجدى عاشور
(١٢) العلاقة بين الإفتاء والسياسة في مصر	عبد العزيز عبد الغنى محمود
(١٣) القواعد الفقهية الكبرى وآثارها في المعاملات المالية	عمر عبد الله محمد كامل
(١٤) المصطلح الأصولي نشأته وتطوره، وضوابطه مع دراسة مسائل الأوامر والنواهي	أنور شعيب عبد السلام
(١٥) تحقيق ودراسة كتاب بيان معاني البديع من أول المخطوط إلى آخر باب مباحث الفصل	محمد أحمد محمد على العزازي
(١٦) القسم الأخير من شرح الشيرازي على مختصر ابن الحاجب	عبد الرحمن حسن عبد الرحمن
(١٧) تجديد أصول الفقه	جميلة بوخاتم
(١٨) مفهوم الاستبداد في الفكر السياسي الإسلامي الحديث والمعاصر دراسة مقارنة	هناء عبد الرحمن البيضاني
(١٩) الاستدلال عند الأصوليين	أسعد عبد الغني الكفراوي
(٢٠) مسائل عبد العزيز الخلال فيما خالف فيه الخرقي	أحمد طلعت
(٢١) الشيرازي وأثره في أصول الفقه	إبراهيم بلو
(٢٢) الأصول الجمالية والفلسفية للفن الإسلامي	أنصار محمد عوض الله الرفاعي
(٢٣) تأسيس المنهج الوسطي في أصول الفقه عند الإمام الشافعي دراسة نقدية	عفة الأمنية إسماعيل
(٢٤) التخريج عند الأصوليين	عبد القادر الجزائري
(٢٥) موضوع الرسالة : تعارض ما يخل بالفهم عند الأصوليين وأثره في الأحكام الفقهية	أنصاف إبراهيم قطب
(٢٦) أقيسة القرآن الكريم في الأمور الاعتقادية .. دراسة تفسيرية	أحمد عبد المجيد نصير
(٢٧) العرض القرآني لقضايا النكاح والفرقة دراسة تحليلة جامعة بين تفسير الآيات وفقهها	زينب عبد السلام أبو الفضل
(٢٨) جهود الدكتورة عائشة عبد الرحمن في الدراسات الإسلامية	رمضان حسن عبد الحميد

(٢٩) الاختيارات الأصولية للقاضي عبد الوهاب البغدادي	عبد السلام عبد الفتاح عبد العظيم
(٣٠) التعليل بالحكمة عند الأصوليين وأثره في الفقه الإسلامي	عبد الله يحيى محمد أحمد
(٣١) التقرير والتحبير لمحمد بن محمد بن محمد الشهير بابن أمير حاج الحلبي الحنفي	محمد ديري بن عبد الوهاب
(٣٢) ضوابط الإتلاف في الحرب .. دراسة فقهية مقارنة بالقانون الدولي	أحمد طلعت حامد سعد
(٣٣) جهود النساء في العلوم الشرعية من القرن الأول الهجري إلى القرن الثامن الهجري	امتثال محمد مصطفى سالم
(٣٤) الليث بن سعد : حياته، مروياته، وفقهه	محمد أحمد علي عوض
(٣٥) تدوين السنة النبوية خلال القرن الأول الهجري [بالإنجليزية]	سامح مصطفى محمد عسل
(٣٦) بعض فتاوى الإمام محمد عبده وتخريجها على القواعد الأصولية	السيد مبروك عبد الحافظ
(٣٧) الإجهاض : دراسة طبية فقهية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية	السيد جمعة قطب جاد الحق
(٣٨) ختان الإناث : دراسة طبية فقهية في ضوء القرآن والسنة	محمود إبراهيم عبد العاطي
(٣٩) تطور الأجنة في الأرحام بين العلم الحديث والإسلام ودلالته الإيمانية	عبد الخالق صلاح عبد الحفيظ
(٤٠) المصالح المرسلة وأثرها في المعاملات	عبد العزيز بن عبد الله
(٤١) أدب النصيحة في الفكر السياسي الإسلامي .. دراسة تحليلية نقدية	هيام عبد الفتاح عزب
(٤٢) دراسة وتحقيق من كتاب شرح مختصر ابن الحاجب للعلامة بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز المالكي المتوفى سنة ٨٠٥ ه - رحمه الله- من أول باب العام إلى قوله : يجوز تخصيص الكتاب بالكتاب	ربيع عبد الرازق أحمد غازي
(٤٣) دراسة وتحقيق من كتاب [الشامل] شرح أصول البزدوي للإمام قوام الدين الإتقاني ، باب شروط القياس من الجزأين السابع والثامن من المخطوط	أبو السعود محمد الطيري
(٤٤) مبدأ الشرعية في الدولة الإسلامية	أحمد حداد علي حسين عافية

(٤٥) التقرير والتحبير لمحمد بن محمد بن محمد الشهير بابن أمير حاج الحلبي الحنفي المتوفى ٧٨٩ه شرح التحرير لمحمد بن عبد الواحد السيواسي السكندري الحنفي المعروف بالكمال بن الهمام المتوفى ٨٦١ هـ.. دراسة وتحقيق وتعليق (جزء من المخطوط من الورقة ٢٩٩ / ب إلى الورقة ٣٩١ / ب، باب القياس - باب الاجتهاد	أحمد سامر أنور القباني
(٤٦) كتاب الشامل لأمير كاتب بن أمير عمر الفارابي الحنفي (ت ٧٥٨ ه) من أول باب حكم الأمر والنهي في أضدادها إلى آخر باب بيان أسباب الشرائع مع التطبيق على سورة الحجرات	خيرت يوسف نور الدين
(٤٧) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي .. للإمام علاء الدين البخاري الحنفي	محمد عدنان درويش بن ياسين
(٤٨) بنيان الوصول في شرح الأصول، شرح أصول البزدوي العلامة محمد بن محمد بن أحمد الكاكي المتوفى سنة ٧٤٩ ه دراسة وتحقيق من أول باب القياس إلى آخر باب بيان المقالة الثانية	أدهم تمام فراج عبد الرحمن
(٤٩) الغاية عند الأصوليين وأثرها في الفقه الإسلامي	أحمد العمراني ناجي صابر
(٥٠) الآراء الأصولية عند الإمام الكيا الهراسي جمعاً وتوثيقا ودراسة	محمد وسام عباس خضر
(٥١) الآراء الأصولية لأبي إسحاق الأسفراييني المتوفى سنة ٤١٨ ه مع المقارنة بالآراء الأخرى الواردة في المبادئ والمقدمات والكتاب والسنة جمعاً وتوثيقاً ودراسة	أبو القاسم كامل أبو القاسم
(٥٢) آراء ابن الساعاتي الأصولية وطريقته في الجمع بين أصول المتكلمين وأصول الحنفية	محمد أحمد محمد أمان
(٥٣) تحليل النصوص بين التأويلية وعلم أصول الفقه، دراسة مقارنة من خلال نماذج مختارة	السيد سعيد علي حسن
(٥٤) دور قصص كامل الكيلاني في تنمية القيم الثقافية للأطفال من سن (١٢ـــــ ١٥) سنة (دراسة تطبيقية)	محمود محمد محمود خليل
(٥٥) آراء ابن حزم الظاهري التي خالف فيها جمهور الفقهاء (الأئمة الأربعة) في بابي الزكاة والصيام (دراسة فقهية مقارنة)	فضل رجب محمد عباس
(٥٦) التفاسير العربية للقرآن الكريم للمفسرين غير العرب في العصر الحديث (دراسة في المنهج والموضوع)	خالد نبوي سليمان حجاج

(٥٧) منهج الظاهرية في استنباط الأحكام الفقهية من نصوص الكتاب والسنة	هشام محمد طه عجيزة
(٥٨) البيان والمبين عند الأصوليين	عمر محمد شريف الخطيب
(٥٩) دراسة وتحقيق جزء من مخطوط المنتخب في الأصول لفخر الدين الرازي محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي الفقيه المفسر الشافعي (ت ٦٠٦ ه) من الورقة ١/أ إلى الورقة ٩١ /ب من أول الكتاب إلى نهاية الفصل الخامس	عبد الحليم سليمان بن محمد
(٦٠) شرح البرهان للإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل بن عطية الصنهاجي المالكي الشهير بالأبياري (المتوفى سنة ٦١٦ ه) من أول الجزء الثاني إلى الورقة ١٥٢ وتشمل على كتاب القياس	محمد إسماعيل بن يحيى
(٦١) التقرير والتحبير لمحمد بن محمد بن محمد الشهير بابن أمير حاج الحلبي الحنفي (المتوفى ٧٨٩ ه) شرح التحرير لمحمد بن عبد الواحد السيواسي السكندري الحنفي المعروف بالكمال بن الهمام (المتوفى ٨٦١ ه)دراسة وتحقيق وتعليق (جزء من المخطوط من الورقة ١٤٤ / أ إلى الورقة ٢١٨ / ب، المعاني – الحكم الشرعي)	محمد قليش بن حسين
(٦٢) الاختيارات الأصولية لابن الحاجب جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي المصري (من أول مباحث المجمل إلى نهاية الكتاب)	محمد عدنان درويش بن ياسين
(٦٣) اجتهادات الإمام علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه– الفقهية (دراسة أصولية تطبيقية)	أحمد محمد عزب موسى
(٦٤) دراسة وتحقيق جزء من مخطوط المنتخب في الأصول لفخر الدين الرازي محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي الفقيه المفسر الشافعي المتوفى سنة ٦٠٦ ه (من الورقة (٩٢ / أ) إلى الورقة (١٥٠ / ب) من بداية الفصل السادس إلى نهاية الكتاب)	عبد القادر بن محمد نديم الشهابي
(٦٥) صيغ الأمر والنهي وما تفيده في سورتي الأنفال والتوبة (دراسة أصولية تطبيقية)	السيد راضي السيد راضي قنصوة
(٦٦) أثر الخلاف الفقهي في القواعد المختلف فيها ومدى تطبيقها في الفروع المعاصرة	محمود إسماعيل محمد مشعل
(٦٧) المدرسة المصرية المالكية وأثرها في الفقه الإسلامي	محمد عبد الله جابر

(٦٨) الاختيارات الأصولية للإمام ابن الأمير الصنعاني مع مقارنتها بآراء جمهور الأصوليين	المهدي محمد يوسف عبد الرحمن
(٦٩) السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم أصول وضوابط	مجدي محمد محمد عاشور
(٧٠) الوظيفة السياسية للعلماء في الخبرة الإسلامية	هناء عبد الرحمن البيضاني
(٧١) أثر النظر اللغوي في بناء الأحكام الشرعية دراسة تطبيقية في القرآن الكريم	أنيس عبد اللطيف طلبه مشعل
(٧٢) مجمع البحرين وملتقي النيرين	الإمام مظفر الدين أحمد بن علي
(٧٣) الشخصية الاعتبارية في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي	سيد عبده بكر عثمان
(٧٤) أثر الفرقة الزوجية على الميراث دراسة تطبيقية للصحة وعدم الصحة عند الحنفية	تيسير مسعد توفيق
(٧٥) الأقوال الأصولية لأبي الحسن الأشعري ومن وافقه ومن خالفه	السيد عبد المجيد السيد
(٧٦) عناية القرآن بحقوق الإنسان دراسة موضوعية وفقهية	زينب عبد السلام أبو الفضل
(٧٧) الفيلسوف ابن رشد الحفيد وأثره في أصول الفقه	ثابت رشاد عبد الخالق عدوي
(٧٨) دراسة وتحقيق المقدمات والأحكام من كتاب الدرر اللوامع بتحرير شرح جمع الجوامع	محمد وسام عباس خضر
(٧٩) الشرح الكبير على الورقات للإمام شهاب الدين العبادي شرح على شرح جلال الدين المحلي على الورقات في أصول الفقه للإمام الحرمين الجويني	عبد الله ربيع محمد
(٨٠) الاختيارات الأصولية لصدر الشريعة عبيد الله بن مسعود بن محمود بن أحمد بن عبيد الله البخاري المحبوبي الحنفي المتوفى ٧٤٧ ه	ربيع عبد الرازق أحمد غازي
(٨١) أراء الإمام الشوكاني الأصولية	عبد المنعم محمد سعيد العصار
(٨٢) التقرير والتحبير لمحمد بن محمد بن محمد الشهير بابن أمير حاج الحلبي الحنفي المتوفى ٧٨٩ ه شرح التحرير لمحمد بن عبد الواحد السيواسي السكندري الحنفي المعروف بالكمال بن الهمام المتوفى ٨٦١ ه .. دراسة وتحقيق وتعليق (جزء من المخطوط من الورقة ٢١٨ / ب إلى الورقة ٢٩٩ / ب (السنن – الجماع)	أحمد السيد بن أحمد السعيد

(٨٣) الاختيارات الأصولية لصفي الدين الهندي بن محمد بن عبد الرحيم(٧١٥ ه) من أول كلام في النص والظاهر إلي نهاية الكلام	محمد درويش بن محمد علي
(٨٤) القياس والاجتهاد عند الشيعة الزيدية مقارنا بأصول أهل السنة من خلال كتاب نظام الفصول للحسن بن أحمد بن محمد المعروف بابن الجلال المتوفى ١٠٨٤ ه شرح الفصول اللؤلؤية لإبراهيم بن محمد بن عبد الله بن الهادي المتوفى سنة ٩١٤ ه	أحمد سامر القباني بن أنور
(٨٥) دراسة أصول الزيدية من خلال كتاب نظام الفصول للحسن بن أحمد بن محمد المعروف بابن الجلال المتوفى ١٠٨٤ ه شرح الفصول اللؤلؤية لإبراهيم بن محمد بن عبد الله بن الهادي المتوفى سنة ٩١٤ ه جزء من المخطوط من الورقة ١ إلى الورقة ١٢٠ من مباحث الألفاظ إلى باب الخصوص	خضر شحرور بن أحمد فائز
(٨٦) قواعد الأصولية في كتاب (أحكام القرآن) للإمام محمد بن عبد الله المعروف » بأبي بكر ابن العربي (جمعاً وتوثيقاً ودراسة)	محمد محمد أنور شلبي
(٨٧) الإجماع عند الشيعة الإمامية (الاثنا عشرية) دراسة مقارنة	عيد زكي بيومي عبد الخالق
(٨٨) تحقيق ودراسة من أول باب القياس حتى نهاية باب فساد تخصيص العلل من مخطوط القرير شرح أصول البزدوي للإمام أكمل الدين محمد بن محمد البابرتي، المتوفي ٧٨٦ ه	وليد محمد سعد عبد العزيز البنا
(٨٩) الاجتهاد الجماعي وثمرته في بعض القضايا الطبية المعاصرة	فادية عبد الحميد إبراهيم النجار
(٩٠) منهج أبي الخطاب الكلوذاني ومكانته في الفقه الحنبلي	عبد العزيز بن عبد الله
(٩١) فقه زكاة المعاملات المالية المعاصرة دارسة فقهية مقارنة	محمد حسين محمود محمد
(٩٢) الاختيارات الأصولية للإمام صفي الدين الهندي من أول مباحث الحكم إلى نهاية مباحث المجمل والمبين	مصطفى علي علي عامر
(٩٣) النسخ بالعقل عند الأصوليين وتطبيقاته الفقهية	إنصاف إبراهيم قطب
(٩٤) مقومات الصحة النفسية في القرآن الكريم والسنة النبوية	حسن يوسف عبد الهادي
(٩٥) المبادئ في كتاب القانون والردود للإمام شمس الدين الكرماني تحقيق ودراسة التحقيق من لوحة رقم ١ إلى لوحة رقم ٧٧	محمد السيد محمد محمد
(٩٦) استخدام وسائل الاتصال في مجال التبشير (دراسة تطبيقية على القنوات الفضائية المسيحية)	محمد أحمد هاشم إمام

(٩٧) المدرسة الشاذلية وأثرها في التصوف الإسلامي	محمد محسن محمد محجوب
(٩٨) الفتاوى الشرعية للصحابي الجليل عبد الله بن عمر في الفقه	تغريد عبد الفتاح محمد مرعي
(٩٩) دراسة وتحقيق من مخطوط قنطرة الوصول إلى تحقيق جوهرة الأصول للعلامة أحمد بن حميد بن سعيد الحارثي المتوفى ٧٧٣ ه من أول قوله الكلام في القياس والاجتهاد إلى آخر المخطوط	سامي خميس بهنسي سلامة
(١٠٠) منهجية الثبوت والتغير في فقه المخالطة داخل الأسرة وخارجها (دراسة أصولية فقهية)	صفية محمد علي الجفري
(١٠١) الفكر والواقع في التراث السياسي الإسلامي (مناهج النظر والتناول)	مدحت ماهر عبد الفتاح الليثي
(١٠٢) تخصيص العلة عند الأصوليين وآثاره	هاني محمود حسن
(١٠٣) منهج الإمام الصنعاني في دفع التعارض بين الأدلة من خلال كتابه (سبل السلام شرح بلوغ المرام) للإمام ابن حجر العسقلاني	سناء عبد المقصود جمعة
(١٠٤) مراعاة مقاصد الشريعة في المذهب الحنبلي	حماد محمد إبراهيم
(١٠٥) دراسة وتحقيق من أول مخطوط حل عقدة التحصيل إلى نهاية الكلام في الأوامر والمناهي تأليف (بدر الدين محمد بن أسعد اليمني التستري)	السيد أحمد الطوخي أحمد
(١٠٦) دارسة وتحقيق من مخطوط تعليقة على كتاب الجوهرة في الأصول للإمام أبي الحسن أحمد بن محمد بن الحسن الرصاص، تأليف الفقيه أبي محمد القاسم بن أحمد بن حميد المحلي (ت: ٨٠٠ ه) من أول الكلام في المجمل والمبين إلى آخر الكلام في الأخبار	أحمد محمد بيومي الرخ
(١٠٧) الاختيارات الأصولية للقاضي أبي يعلي البغدادي المتوفى ٤٥٨ هـ دراسة أصولية نقدية مقارنة	أدهم تمام فراج عبد الرحمن
(١٠٨) الشيخ محمد بخيت المطيعي وجهوده في أصول الفقه	محمد حسن أبو العز عبد الرحمن
(١٠٩) الجوانب الصوفية عند الحافظ أبي طاهر السَّلفي الأصبهاني (ت ٥٧٦ ه) في كتابة معجم السَّفر	محمد جمال حسن أبو الهنود

(١١٠) دراسة وتحقيق من أول الكلام في (المجمل والمبين آخر الكلام في الأخبار) من مخطوط: تعليق اللؤلؤ الموصول إلى واسطة عقد معاني جوهرة الأصول، للعلامة عبد الله بنالحسن اليماني الصعدي المتوفى سنة (٨٠٠) ه	أحمد محمد محمد بيبرس
(١١١) التعارض والتزاحم في القواعد الأصولية وأثرهما على الاستدلال	أحمد علي أحمد علي
(١١٢) تقويم خفاض الإناث من الناحية الطبية والشرعية في العصر الحالي	محمود إبراهيم عبد العاطي
(١١٣) ميسر الوصول إلى لب الأصول- تأليف الشيخ/ عبد الله بن حسن العفيف الكازروني، من أول (فصل في الاجتهاد وما يتبعه من التقليد والإفتاء) إلى آخر الكتاب	عبد الرحيم محمد عبد الرحيم علي
(١١٤) دراسة وتحقيق من أول النواهي إلى نهاية الإجمال والبيان من مخطوط معالم الدين وملاذ المجتهدين (ويسمى معالم الأصول) لمؤلفه الحسن بن زين الدين الشهير بالشامي(١٠١١ هـ) - جمال الدين أبو منصور.	هالة علي محمد عبد المنعم سلامة
(١١٥) تحقيق ودراسة الجزء الأول من مخطوط (الحاوي لحقائق الأدلة الفقهية وتقرير القواعد القياسية في الأصول الفقهية) للإمام يحيى بن حمزة العلوي (٧٤٩ هـ)	هشام حنفي سيد
(١١٦) التعايش الحضاري بين المسلمين وأهل الذمة في مصر «منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر الولاة» (٢٠ ه - ٢٤٥ ه / ٦٤١ م) ٨٦٨ م) دراسة تاريخية حضارية وثائقية	محمود الحسيني محمد زيد

ويحتوي على ستة مباحث :

المبحث الأول

التراث «إشكالياته فهمه تطبيقه»
عند فضيلة الدكتور علي جمعة

وفيه ثلاثة مطالب :

.المطلب الأول : التراث «مفهومه ومكانته» عند الدكتور علي جمعة.

.المطلب الثاني : إشكاليات فهم التراث عند المعاصرين .

.المطلب الثالث : آليات فهم التراث وتطبيقه عند الدكتور علي جمعة .

المبحث الثاني

جهود الدكتورعلي جمعة في خدمة الفقه الإسلامي

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: المذهبية الفقهية عند الدكتور علي جمعة .

المطلب الثاني: منهج الدكتور علي جمعة في الفقه الإسلامي.

المطلب الثالث: التجديد الفقهي عند الدكتور علي جمعة.

المبحث الثالث

جهود الدكتورعلي جمعة في الإفتاء

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: حقيقة الفتوى وأركانها عند الدكتور علي جمعة.

المطلب الثاني : عملية الإفتاء وعناصر إجراءاتها عند الدكتور علي جمعة.

المطلب الثالث: منهج الدكتور علي جمعة في الفتوى .

المطلب الرابع : جهود الدكتور علي جمعة في تطوير مؤسسة دار الإفتاء .

المبحث الرابع

جهود الدكتور علي جمعة في علم أصول الفقه

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : أصول الفقه عند الدكتور علي جمعة

المطلب الثاني : مؤلفات الدكتور جمعة الأصولية

المطلب الثالث: تجديد علم أصول الفقه عند الدكتور علي جمعة

المبحث الخامس

جهود الدكتور علي جمعة في خدمة السنة النبوية وعلومها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : الدكتور علي جمعة محدثًا

المطلب الثاني : إحياء الدكتور علي جمعة للمجالس الحديثية

المطلب الثالث : مشروعات الدكتور علي جمعة الحديثية

المبحث السادس

جهود الدكتور علي جمعة الدعوية

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: المراحل التي تمر بها الدعوة عند الدكتور علي جمعة

المطلب الثاني : الوسائل الدعوية عند الدكتور علي جمعة

المطلب الثالث : الأساليب الدعوية عند الدكتور علي جمعة

الفصل الرابع

جهود فضيلة الدكتور علي جمعة في خدمة التراث الإسلامي

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ المسلم في العصر الحديث قد اشتدَّت حاجته إلى كثير من العلم حتى لا يقع في التناقض بين التراث بنتاجه الثري الواسع، ومفهومه الذي يرتبط بلا شك في مساحة منه بالزمن الذي نتج فيه، وبين المصادر الشرعية: القرآن والسنة، وبين أحداث العصر وشبهات المحيطين بنا، ومقتضيات الزمان الذي نحيا فيه، ومقاصد الشرع ومصالح الخلق، وخاصية عالمية الإسلام وأنه الكلمة الأخيرة للعالمين من رب العالمين(١).

كما يرى فضيلته أنّ المسلم يحتاج إلى كل ذلك العلم حتى يحترم التراث ولا يسعى كما سعى بعضهم إلى الهروب منه، أو تجاهله، أو تجاوزه، أو العمل على هدمه، بل يقف منه موقف العالِم به، الذي يعتز بهذا الموروث، ويسعى لإدراك مناهجه، وعدم الوقوف عند مسائله التي كانت لزمنها والتي تغيَّت تحقيق المقاصد في حينها، أو التي حققت المصالح حينئذٍ بالتعامل مع عناصر الزمان والمكان والأشخاص والأحوال؛ فبنت حضارةً لا زلنا نأكل الطيِّبَ من ثمارها، ونرفع رؤوسنا في العالمين فخرًا بهذه الحضارة التي جعلت تاريخ الأمة نظيفًا له رونقٌ وبهاء، وجعلته خاليًا من أيِّ احتلالٍ أو ظلم أو إبادة للشعوب، أو اضطهاد للبشر أو محاكم للتفتيش أو ظلم للمرأة، إلى آخر الجرائم التي مارسها الإنسان ضد أخيه الإنسان عبر التاريخ، فالحضارة الإسلامية جعلت من العبيد حكامًا، وذلك في فترة طويلة حكم فيها دولة الإسلام المماليك، في سابقة لم تشهدها البشرية منذ بدء الخليقة إلى الآن، فهي حضارة راقية احترمت الإنسان وأعلت

(١) انظر: «وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ٩، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع.

شأنه دون نظر إلى لونه أو طبقته، وليس من السهل أن نترك نتاجها ولا من المعقول أن نتجاهلها[١].

وعليه سوف أتناول في هذا الفصل الحديث عن مفهوم التراث وأدوات فهمه، وآليات تطبيقه عند فضيلة الدكتور علي جمعة، كما سنتناول الحديث عن جهود فضيلته في خدمة التراث الإسلامي، وسيكون ذلك بمشيئة الله تعالى في ستة مباحث، هي :

المبحث الأول : التراث «إشكالياته فهمه تطبيقه » عند الدكتور علي جمعة .

المبحث الثاني جهود الدكتور علي جمعة في خدمة الفقه الإسلامي .

المبحث الثالث : جهود الدكتور علي جمعة في الإفتاء .

المبحث الرابع : جهود الدكتور علي جمعة في علم أصول الفقه .

المبحث الخامس : جهود الدكتور علي جمعة في خدمة السنة النبوية وعلومها .

المبحث السادس : جهود الدكتور علي جمعة الدعوية.

وفيما يلي بيان ذلك :

(١) المصدر السابق .

المبحث الأول

التراث «إشكالياته فهمه تطبيقه » عند الدكتور علي جمعة

في أواخر القرن الماضي انتبه فضيلة الدكتور علي جمعة لأمرٍ غاية في الخطورة، وهو : أنّ هناك فجوة بين الأجيال المعاصرة من الباحثين وطلبة العلم، وبين سائر التراث الموروث الذي اجتهد في إنتاجه المسلمون عبر القرون من علوم، وفكر، وفقه، وفتاوى، ورؤى، ووواقع تاريخي، ولا شك أنّ هذه الفجوة سيترتب عليها أمورًا لا تُحمد عواقبها؛ حيث إنّ الأجيال المعاصرة كثيرًا ما تقرأ في المصدرين الأساسيين للتشريع «القرآن والسنة» أو علوم التراث الإسلامي ولا تفهم دلالات المقروء، وبالتالي لا يمكنها الاستفادة من هذا الموروث.

وعليه رأى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ أول خطوة يجب علينا أنْ نطبقها في طريق فهمنا ومعرفتنا وكيفية تعاملنا مع هذا الموروث، هي: «الفهم»؛ لأنه هو الخطوة الأولى لسائر الخطوات كما أنّ «الفهم» أمرًا أساسيًا بالنسبة لقضية تقويم هذا التراث وقبوله، ونقده ، و رفض بعض مناحيه

وسوف أحاول في هذا المبحث أنْ أسلط الضوء على جهود فضيلة الدكتور علي جمعة التي رصد فيها الإشكاليات التي كانت سببًا في وجود فجوة في التعامل مع هذا الموروث ، وماهي رؤيته لفهم هذا الموروث وما هي الوسائل والإجراءات التي يجب علينا أنْ نطبقها للوصول إلى فَهْمِ هذا التُّراث العظيم الذي تركه لنا سلفُنا الصَّالح، وكيفية الاستفادة منه، مع الوقوف على مناهج الفَهْم التي كانت مستقرَّةً في أذهان سلفنا الصالح؛ فَـفَهِموا بها الدين فَهْمًا صحيحًا، وأقاموا حضارةً عظيمةً، وتعايشوا مع غيرهم، وبلَّغوا دين الله لمن بعدهم، وسيكون ذلك بمشيئة الله تعالى في ثلاثة مطالب،

وهي:

المطلب الأول : التراث «مفهومه ومكانته» عند الدكتور علي جمعة

المطلب الثاني : إشكاليات فهم التراث عند المعاصرين .

المطلب الثالث : آليات فهم التراث وتطبيقه عند الدكتور علي جمعة

وفيما يلي بيان ذلك :

المطلب الأول

التراث «مفهومه ومكانته» عند الدكتورعلي جمعة

فضيلة الدكتور علي جمعة في كثير من كتاباته إلى أنّ مفهوم التراث عنده، هو: «نتاج العقل البشري المسلم عبر القرون»(١) ، والحاصل من هذا أنّ أمامنا كتبًا تشتمل على نتاج فكري ضخم في مساحته الزمنية؛ لأنه يبدأ منذ تدوين العلوم في آواخر القرن الأول الهجري ويمكن أن نسمي بــ«التراث» كل ما كان قبل مائة عام من وقتنا هذا، ويعدُّ آخر من كتب بطريقة تراثية في العصور الأخيرة وشاعت كتبه هو: «الإمام الباجوري » في شروحه وحواشيه المتعددة على الكتب المختلفة، وهناك كثير ممن كتب بعده ولكن لم تشع كتبهم كما شاعت كتبه

ويرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ للتراث مكانة عظيمة، فيجب علينا أنْ نحترم هذا الموروث احترامًا بالغًا، ولكن لا ننسى واجب الوقت، وذلك بالتفرقة بين المناهج والمسائل، فنأخذ مناهجهم ونطورها وننطلق منها ونزيد عليها، ونأخذ هذه المناهج بعد تطويرها والزيادةِ عليها وصياغتها بصيغ جديدة؛ لنعالج بها المسائل الحديثة؛ لأنَّ هذا هو واجب الوقت الذي يُكَلَّف به العلماء(٢).

فمن أراد أن ينقُل من الكتب دون اعتبار للوقت فهو مخطئ، ومن أراد أن يتغاضى عما حوله، وأنَّه لا فائدة فيه، وأنَّه أصبح عالِمًا لمجرد أنه فك شفرة التراث أو قرأ كتب التراث فهو مخطئ، ومن أراد أن يقف عند مسائل السلف، وأن يُوقف الزمان

---

(١) انظر: «المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صــ ١١، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع مصر.

(٢) انظر : « وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، صــــ ٩، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع مصر.

وأن يتصور أنَّ الدنيا غيرُ متطورة وغير متغيرة وأنَّها ثابتة فهو مخطئ، الذي لا يفرق بين المطلق والنسبي فهو مخطئ.

إذن، لدينا ما يسمى بواجب الوقت: وهو أن نهتم بعصرنا، وأن نتعامل معه، وأن نُبلِّغ دين الله بصورةٍ لافتةٍ للنظر، وأن نرد على تساؤلات العالمين التي تُثار في أذهانهم كيفما كانت، فإذا ما اتخذنا من تراث سلفنا الصالح ذخيرةً نستطيع أن نبنيَ عليها، وأن نجعلها أساسًا للانطلاق، وأن نجعلها أداةً بين أيدينا نطور فيها بقدر وسعنا وطاقتنا، إذا استطعنا أن نفعل ذلك؛ فقد قمنا بواجب الوقت مع احترام هذا التراث[1].

كما يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنه ينبغي علينا أنْ نجتهد مرةً أخرى كما اجتهدوا، وهذا يحتاج إلى تَمَكُّن في العلوم الشرعية واللُّغة العربية، وتَمَكُّن في معرفة مساحة الاتفاق ومساحة الاختلاف؛ لأنَّ المتفق عليه لا يجوز أن نخالفه، والمختلف فيه -وما أكثرَه، وهو المساحة الواسعة الكبيرة- هي التي يجوز أن نُخالف فيها، وأن نختلف فيها؛ ذلك من أجل تحقيق المقاصد الشرعية المرعية، ومن أجل مراعاة المآلات وترك المستقبل الزاهر لأبنائنا، ومن أجل تبليغ دعوة الإسلام للعالمين، ومن أجل ألَّا نكون حجابًا بين الخلق والخالق، ومن أجل ألَّا نكونَ صورة سيئة تصدُّ عن سبيل الله بغير علم ودون قصد[2].

فهذا الموروث يريد بعض الناس أن يتفلت منه؛ ونحن نقول: لا، هذا الموروث له مناهج وله مسائل: كيف كان يفكر علماء السلف ؟ كانوا يفكرون بطريقةٍ معينة يمكن أن نستنبط معالمها؛ لأنَّه لم يسجلوا كيف كان يفكرون، لكننا بدراسة أقوالهم وتتبعها يمكن أن نسجل هذا المنهج الذي كانوا عليه ، ويمكن بعد ذلك ألَّا نقف عند أقوالهم أو مسائلهم التي أثاروها[3].

(١) المصدر السابق .
(٢) انظر: المصدر السابق .
(٣) انظر: المصدر السابق .

المطلب الثاني

إشكاليات فهم التراث عند المعاصرين

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ هذا التراث الذي بين أيدينا في الحقيقة يجب علينا أن نفهمه ، فكثير من الناس يرفضون التراث رفضًا تامًا ، وهذا الرفض رفض وجداني فقط ؛ لأنه لم يفهم التراث أصلاً ، حتى يرفض ما فيه .

وكثير من الناس يقبلون التراث قبولا تامًا ، وهذا أيضًا قبول وجداني؛ لأنه لم يفهم ما فيه أيضًا ، نعم هو خير من الأول الذي رفض ؛ لأنه ينتمي إلى آبائه الصالحين ، وإلى سلفه الأماجد .

لكن يجب علينا أن نفهم التراث ، فالتراث الموروث مكتوب في إطار طرائق معينة ، ونظريات ، وأفكار ، وأساليب ما في التفكير والتحليل، فله ما يشبه «الشفرة» ، هذه «الشفرة» نريد أن نلقى شيئًا من الضوء عليها .

إنّ الفجوة التي بين بعض المعاصرين وبين «كتب التراث» تكمن في عدم وقوفهم على أهمية اللغة العربية، والفلسفة اللغوية الكامنة وراءها، تلك الفلسفة التي كان لها أثر كبير في فهم التراث،كما أنهم لم يلتفتوا إلى قضية اهتمام المسلمين القدماء بقضية دلالات الألفاظ، كل هذا مهم جدًا؛ لأجل فهم التراث والعقلية التراثية، فلما غابت تلك المكونات عن أذهانهم قاموا بمهاجمة التراث والتهكم عليه، دون وعي وبصيرة وبيان.

ومن ذلك أيضًا عدم انتباههم إلى أنّ هناك سقفًا للفهم الصحيح ينبغي ألا يتم تجاوزه، وهذا السقف له حدودًا لابد من الالتزام بها في مطالعة التراث، ومعرفتها قبل الاعتراض والنقد .

وقد تتبع فضيلة الدكتور علي جمعة هذه القضية؛ ليقف على أسباب هذه الفجوة التي جعلت بعض المعاصرين يتنصلون من تراثهم، ففي هذا الصدد يقول فضيلته :

لقد تأملتُ كثيرًا في هذه القضية حتى أرى ما هو الحائل الذي يحول بيننا وبين نصّ تراثي مكتوب ، فوجدتُ أنّ الأمر لا يخلو من أحد أمور خمسة :

أولاً : أن يكون القارئ المعاصر قد فقد التصور الكلى الذي كان شائعًا عند الكاتبين للتراث عبر الزمان والمكان ، وعلى ذلك من الممكن أن نقول : إنه ينبغي علينا حتى نفهم التراث فهمًا دقيقًا واعيًا أن ندرك أولا التصورات الكلية التي كانت قائمة في أذهانهم، وحاكمة على كتاباتهم حتى شاعت هذه التصورات ، وكأنها مسلمات . فعندما نفقد هذه التصورات ، أو لا نستوعبها ، أو لا نستحضرها حين قراءتنا للتراث ، فإن خيرًا كثيرًا يفوتنا ، وإنّ فهمًا دقيقًا يعوزنا

ثانيًا : فقد القارئ للنظريات الكلية التي حكمت الذهن العلمي عندما أنشأ تلك العلوم ، أو تعامل وتفاعل معها ، أو دوَّنها ، أو انقسم فيها إلى مدارس ...الخ .

هذه النظريات الكلية عادة وغالبًا لا نجدها مستورة في الكتب التي بين أيدينا بطريقة شاملة، بل نجدها عناصر مشتتة في الكتب ، وموزعة على الأعصار المختلفة، وموزعة أيضًا بين المذاهب المتعددة ، وبين الأشخاص والعلماء والفقهاء الذين قاموا بإنتاج كل ذلك، ومنذ خمسين سنة والعلماء المسلمون يحاولون تجميع وصياغة تلك النظريات الكلية في بعض العلوم خاصة الفقه واللغة، ويحاولون أن يستنبطوا تلك النظريات وأن يكتبوا رسائل علمية «ماجستير ودكتوراه» فيها ، ولقد قطعوا شوطًا كبيرًا، فكتبوا في نظرية الملكية، وفي نظرية المال، وفي نظرية الحق، وفي نظرية العقد، وفي نظرية الضمان، وفي نظرية المسئولية وهكذا ، كتبوا عن هذا كثيرًا ، لكن الأمر لم يسرِ في كل العلوم سيرته في الفقه ، كما أنه لم يسرِ أيضًا بصورة منتظمة ، وعلى درجة واحدة

من الإتقان ، ومن العمق ، فأصبح عندنا نظريات استطعنا أن ندرك فيها عمق التفكير الفقهي الموروث[١]، وهناك نظريات ما زالت في بداياتها من ناحية الصياغة والشمول

فنظرية العقد في الفقه الإسلامى مثلًا ، نضجت بما فيه الكفاية لأننا نستعملها كمفتاح نستطيع به أن ندرك كثيرًا من العقود الإسلامية ، فهمًا ، أو إنشاءً ، في حين أنّ الشخصية الاعتبارية وأحكامها ما زالت في بداية الطريق

ثالثًا: الجهل بقضية المصطلحات ، فلكل عصر، ولكل مذهب، ولكل علم مصطلحاته الدقيقة ، التي إذا ما فقدها القارئ المعاصر ، أو طالب العلم ، أو الباحث فإنه لا يدرك كثيرًا مما أمامه ، ويقف هذا حجر عثرة دون الفهم العميق ، أو الفهم المتأني

رابعًا: فقد العلوم الخادمة ، فكل علم من هذه العلوم كان يعتمد على بنية فكرية، هي عبارة عما حصله العالم من درس في مختلف العلوم الأخرى، فالذي كتب في الفقه درس قبله المنطق، ودرس علم الكلام ، ودرس ما كانوا يسمونه بعلم الوضع ، ودرس النحو ، ودرس البلاغة ، ودرس علوم العربية ، ودرس الأصول ، ودرس علوماً كثيرة أخرى ، كوَّنت نسيجه الفكري ، وكوَّنت بنيته الذهنية ، فجلس وهو يتكلم في الفقه يتكلم بهذه الأداة التي تولَّدت عنده في ذهنه من دروسه المختلفة ، نحن الآن عندما نريد أن نعادل شهادات الكليات ، فإننا نطلع على كم الدراسة ، وكم الساعات ، وكم المعلومات التي تلقاها طالب معين في جامعة بعينها ، حتى نرى ما إذا كان مساويًا لما تلقاه الآخر في جامعة أخرى .

إنّ عدد الساعات التي كان يتلقاها الفقيه قديمًا كان يشتمل على علوم كثيرة ، قد تغيب عنا ، وعن كثير من الدارسين اليوم .

---

(١) كما تراه في مؤلفات الشيخ محمد أبو زهرة ، والشيخ على الخفيف ، والعلامة مصطفي الزرقا في المدخل الفقهي العام .

كل هذا أَثَّر في إنشاء العبارة ، و الأداء ، والصياغة ، وكتابة العلوم بصورة عامة

ولهذا لما كُتِب الفقه رأيناه وكأنه مُسْتَبْطِن للمنطق، ومُسْتَبْطِن لما عليه علماء الكلام من مفاهيم ، ومُسْتَبْطِن أيضًا لما عليه علماء الحكمة العالية وعلماء الأصول .

وهكذا في كل فن ، وفي كل علم عندما كان صاحبه يصوغه ، فإنه يصوغه متأثرًا بما قد تلقاه من درس في حياته العلمية ، فكانت العلوم بعضها يخدم بعضًا ، وتكون نسيجًا وبنية فكرية واحدة ومتسقة في نفس الوقت .

وفهم هذا الجانب أمر أساس حتى نفهم بدقة كلام الأقدمين ، وحتى نستطيع بعد ذلك أن نكمل المسيرة ، ونبنى كما بنوا

خامسًا : فقد قضية الصياغة اللغوية والمنطقية ، والتي تحتم علينا أن ندرك فلسفة اللغة وعلاقتها بما في الأذهان ، وبما في الأعيان .

هذه الصياغات يجب علينا أن نقف عندها كثيرًا ، وأن نعيها بطريقة أساسية ، حتى تصبح مفتاحًا لنا لقراءة التراث كله بكافة تشعباته ، وبكافة أنواعه

هذه هي الأمور الخمسة التي يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنه ينبغي أن تُعالج بشيء من التفصيل ؛ لأنّ هذه الأمور الخمس هي فقط التي نحتاجها لفك شفرة التراث.

كما يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ التراث الإسلامي على درجات ومستويات مختلفة منها ما هو : مبتديء ، ومنها ما هو متوسط ، ومنها ما هو منتهى .

لكننا إذا أردنا أن نتقدم خطوة إلى الأمام ، أو أن ننتقل نقلة نوعية ، فإننا ينبغى علينا أن نعالج هذه الموضوعات بمستوى آخر غير الذي سنعالجه في هذه العجالة[1]؛

---

(١) انظر: «المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ ١٧، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع مصر.

حيث يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ فكرة إنشاء العلوم وابتكارها، قد جاءت من اهتمام المسلمين «بالنص» : الكتاب والسنة؛ حيث إنهم جعلوا «النص» محورًا لحضارتهم، ومعنى المحور أنّ كل العلوم خادمة له، أو مستخرجة منه، وقد أُنشئت لتخدمه، وهو المعيار للتقويم، والإطار المرجعيُّ.(١)

كما يوضح فضيلته كيف نشأت العلوم لخدمة النص، فيقول: « قرأ المسلمُ النصَّ، فلما استعصى عليه أمرٌ ما فيه؛ راح يبحث عن وسائل فهمه، فصار هناك المُعجم، وظهرت التراكيب، والنحو، والصرف...ثم تساءلَ : هل هذا الكلام معتاد أم معجز؟ وما الذي جعله متميزًا؟ فظهرت علوم البلاغة ... ثم تساءلَ إذا كنتُ قد فهمتُ دلالات اللفظ«المفردات والتراكيب»، فماذا عن الدليل والمدلول؟ وبالمثل ظهر علم النقل والتوثيق، وهو علم لم يخرج مثله في الأمم؛ وذلك لخدمة الوثوق في النص، وتوالت التصنيفات بين علوم ذاتية كالتفسير، والحديث، وعلوم مضمونية كالتوحيد والفقه؛ وتقسيمات أخرى هي من نتاج تعامل العقل المسلم مع النص»(٢) .

---

(١) انظر: «الطريق إلى التراث الإسلامي» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صــ١٨، طبعة مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٢) المصدر السابق .

المطلب الثالث

آليات فهم التراث وتطبيقه عند الدكتورعلي جمعة

عندما وجد فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ كثيرًا ما يتساءل الباحثون عن آليات فهم وتطبيق «التراث» في مجالاتهم العلمية والبحثية الحالية، ويتساءلون أيضًا عن «الحلقة الواصلة» بين الموروث وبين هذه العلوم الحديثة، في حين أنّ المطلوب أولًا: قبل التطبيق، هو «الفهم»، فإنّ تحديد الهدف والخطوات وتمثُّل هذه الخطوات جيدًا، هو أمر مطلوب جدًا من أجل الوعي والاستفادة، لكن تشوُّف الباحث إلى ما هو أمام، وتعجُّله قطف الثمار قبل النضج – وربما قبل الزرع والإنبات– هو ما يدفعه إلى نوع من القفز وعدم الاتزان، فمن هنا بدأ فضيلة الدكتور علي جمعة يبحث عن المحاور والآليات التي يحتاج إليها القارئ عند مطالعته لكتب التراث؛ لذلك سوف أذكر في هذا المطلب باختصار شديد أهم الأدوات التي استخرجها فضيلة الدكتور علي جمعة حتى نفهم من خلالها هذا الموروث فهمًا صحيحًا، وكيف نطبقه ونعيش به في واقعنا، وفيما يلي بيان ذلك :

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أن هناك سقفًا للفهم الصحيح لذلك الموروث ينبغي ألا يتم تجاوزه، وهذا السقف يشتمل على حدود لابد من الالتزام بها في مطالعة التراث ومعرفتها قبل الاعتراض والنقد، وفيما يلي بيان هذه الأدوات والمحاور التي يؤكد الدكتور علي جمعة على أهمية حاجتها للقارئ المعاصر لفكه شفرات التراث أثناء التعامل معه(١):

---

(١) انظر: «الطريق إلى التراث الإسلامي» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ١٨، طبعة مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

المحور الأول: التصور الكلي :

عرفنا آنفًا أنّ فضيلة الدكتور علي جمعة يرى أنه ينبغى علينا حتى نفهم التراث فهمًا دقيقًا واعيًا أنْ ندرك التصورات الكلية التي كانت قائمة في أذهانهم حاكمة على كتابتهم ، حتى شاعت هذه التصورات وكأنها مسلمات ولذلك فإننا عندما نفقد هذه التصورات أو لا نستوعبها ولا نستحضرها حين الاتصال بالتراث فإنّ خيرًا كثيرًا يفوتنا وإنّ فهمًا دقيقًا يعوزنا.

المحورالثاني : الإلمام باللغة العربية :

اللغة العربية وعاء المنطق العربي المتصل بالفطرة الإسلامية، فمن أعجب ما رأيناه من هؤلاء المتنصلين عن تراثهم أنهم لم يكونوا على دراية بعلوم اللغة، وهذه مصيبة عظمى؛ لأن علوم اللغة هي مفتاح فهم النصوص .

المحور الثالث : اعتبار الإجماع:

أكد فضيلة الدكتور علي جمعة أنه ينبغي على الساعي إلى فهم«التراث»اعتبار الإجماع وألا يخرقه أو يتجاهله؛ ذلك لأنه المصدر الثالث من مصادر التشريع الإسلامي المتفق عليها بين الأئمة، قال تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[النساء:١١٥]، وقال ﷺ:« لَا يَجْمَعُ الله أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ »[(١)]

المحور الرابع : إدراك المقاصد الكلية للشريعة:

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ إدراك المقاصد الكلية للشريعة، من حفظ النفس، والعقل، والدين،والعِرض، والمال،واعتبار ما تؤل إليه هذه المقاصد، من أهم

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده(٢٧٩٨٥)، والحاكم في مستدركه (٣٩٩).

المحاور التي تساعد على فهم التراث وتطبيقه في واقعنا المعيش؛ حيث إنّ التطورات والتغيرات التي يشهدها واقعنا المعاصر بعوالمه المختلفة، على مستوى الأشياء، والأشخاص، والأحداث، والأفكار، تشتد فيه الحاجة إلى المنهج، والإسلام دين العلم، والمنهج أهم المفردات التي يقوم عليها العلم، ومن أهم النماذج المتعلقة بالمنهج ويمكن للمسلم أن يطرحها ويعتمد عليها في فهمه وتعامله مع التراث في هذا الزمان الصعب، هو: «النموذج المقاصدي»[1] .

المحور الخامس: معرفة النموذج المعرفي:

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ العلم بالنموذج المعرفي الإسلامي، وإدراكه ومعرفة مكوناته من أهم الأدوات التي نستطيع أن نفهم من خلالها ما وصل إلينا من تراثنا العظيم، والنموذج المعرفي هو ما يُعبر عنه بالعقيدة، وهذا النموذج يشتمل على إجابات الأسئلة الكلية حول الإله، وحول الوجود، والإنسان، والكون والحياة .

المحور السادس: معرفة القواعد الفقهية:

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ معرفة القواعد الفقهية أو المبادئ العامة للشريعة، من أهم محاور فهم هذا الموروث الذي بين أيدينا؛ ذلك ليكون على بصيرة من أمره أثناء رحلة مطالعته للكتب التراث .

المحور السابع الغوص في العقلية التراثية:

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ الغوص في العقلية التراثية ومعرفة عناصرها، وما هي الآليات التي كان يفكّر بها العالم؟ وكيف كان يفكّر؟ وماذا كان يرى؟ وكيف كان يفهم؟ وكيف أثر ذلك الفهم في الوعاء اللغوي أو تأثر به؟ من أهم المحاور التي

(١) انظر: «رؤية حضارية لترتيب المقاصد الشرعية» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ٣، طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .

تساعد القارئ في كتب التراث على فهمها والتعامل معها

المحور السابع مرجع الضمير:

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ « مرجع الضمير » له أهمية كبيرة في فهم هذا الموروث، وعدم الاعتناء بهذا المحور يعدُّ من أحد معوقات الفهم لهذا التراث؛ لأننا إذا لم نعرف أين مرجع هذا الضمير فإننا لا نعرف معنى الجملة ، إذن فمن معوقات الفهم عدم إدراك مرجع الضمير، ومن أدوات فهم التراث معرفة مرجع الضمير .

المبحث الثاني

جهود الدكتور علي جمعة في خدمة الفقه الإسلامي

إنّ المذاهب الفقهية قد نشأت على أيدي أئمة عظام لا يختلف على علمهم وتمكنهم من أدوات النظر والاستدلال والاستنباط أحد، وقد قيَّض الله تعالى لهؤلاء الأئمة التلاميذ النجباء المخلصين الذين شاركوا أئمتهم في إقامة بنيان هذه المذاهب ونشرها في مختلف الأقطار والأرجاء، واستمرت هذه المذاهب حتى يومنا هذا تحفظ على الناس دينهم، وتحفظ علم الفقه حيًّا نابضًا متفاعلاً مع مستجدات العصر وتطور الزمان وفق الأصول الشرعية والضوابط العلمية، وما كان لنا أن نحتفظ بها طيلة هذه القرون لولا وجود المذاهب الفقهية في الأمة[1]؛ حيث إنّ هذه المذاهب تُراعي ضمن مناهجها قضية «تواصل الأجيال» بمعنى: أن الأواخر لا ينكرون فضل الأوائل بل يكمل الأواخر ما بدأه الأوائل، وآية ذلك المدارس الفقهية التي أصلَّت لفقه المتقدمين، فجاءت الشروح والحواشي والتعليقات على متون وكتب المتقدمين، فهذه أمة يحفظ أخرها جميل وفضل أولها، ولسان حالها يقول: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾[الحشر: ١٠].

من هنا كانت الحاجة داعية إلى الحديث عن فقه فضيلة الدكتور علي جمعة، ومنهجه الفقهي، و ملكاته الفقهية، وجهوده في خدمة الفقه الإسلامي، وأهمية المذهبية الفقهية لديه، ورؤيته لتجديد علم الفقه، وضوابط ذلك التجديد والآثار المترتبة عليه، وسوف أتناول ذلك بمشيئة الله تعالى في ثلاثة مطالب، هي:

---

(١) انظر: مقال بعنوان: « المذهبية واللامذهبية »، موقع دار الإفتاء المصرية.

المطلب الأول: المذهبية الفقهية عند الدكتور علي جمعة .

المطلب الثاني: منهج الدكتور علي جمعة في الفقه الإسلامي.

المطلب الثالث: التجديد الفقهي عند الدكتور علي جمعة

وفيما يلي بيان ذلك:

المطلب الأول

المذهبية الفقهية عند الدكتورعلي جمعة

إنّ التمذهب بالمذاهب الفقهية الأربعة المعتمدة هو عمل الأمة من نحو ثلاثة عشر قرنًا من الزمان، فلقد كان علماء الأمة على مَرِّ القرون وتطاول الأزمان أتباعًا لهؤلاء الأئمة الأعلام، حتى أهل الحديث الذين يُنسب إليهم زورًا وكذبًا نبذ المذاهب كانوا من علمائها وأئمتها؛ فالإمام البخاري كان على رأي الشافعي في كثير من المسائل، وكذا مسلم والترمذي وابن ماجة و الدارقطني على أرجح الأقوال، وأيضًا الإمام أبو حامد الغزالي حجة الإسلام والإمام السيوطي والعز بن عبد السلام والفخر الرازي كانوا من علماء المذهب الشافعي، والقاضي ابن العربي وابن عبد البر والقرطبي والقاضي عياض من أتباع مذهب الإمام مالك، ويحيى بن معين ويحيى بن سعيد القطان ووكيع بن الجراح والطحاوي والموصلي والزيلعي كانوا من أتباع المذهب الحنفي، وابن الجوزي وابن قدامة وعبد القادر الجيلاني كانوا من أتباع المذهب الحنبلي وغيرهم كثير(١).

فهؤلاء هم سلفنا الصالح يقلدون مذاهب هؤلاء الأئمة وينتسبون لها ويُبدِعون على منوالها، وينسجون لنا وفق أصول هذه المذاهب تراثًا علميًّا رصينًا، دون أن يحذرونا من اتباع المذاهب أو أخذ الأحكام الشرعية من طريق غير الكتاب والسنة؛ لإدراكهم أنّ الطريق الصحيح إلى الكتاب والسنة إنما يكون عن طريق المذاهب التي تحفظ لنا سبل الوصول إلى الفهم الصحيح لما في الكتاب والسنة، وتوضح لنا المنهج العلمي الأصيل في التعامل مع ما في الكتاب والسنة، وكيف نتعامل مع الأدلة التي يبدو في ظاهرها التعارض، والأدلة التي تختلف درجات صحتها وضعفها، والتأويل الذي يتوافق مع

---

(١) انظر: «التقليد الشرعي في الأمور الفقهية وأهميته في الإسلام» صـ ٣١،طبعة مكتبة الحرمين للنشر والتوزيع دبي.

مقتضيات اللغة العربية وقت أن نزل القرآن وتحدث الرسول بها، وليس بعد أن فسد اللسان العربي وضعف الاتصال بلغة القرآن [(١)]

وعلى هذا فإنّ التمذهب يمنحُ المتمذهب منهجية مطّردة في التعامل مع النص الشرعي ومع المسألة الفقهيّة النازلة؛ إذ أنه يتبع أصولًا محددة لا تفرق بين متماثل، ولا تماثل بين متفرق، فيسهل على المتمذهب إلحاق النازلة بمثيلتها دون تناقض ينتجه فقد هذه المنهجيّة الثابتة، فيصعب إيجاد مُدرَج للواقعة الجديدة

وبناءً على ذلك سوف يشتمل هذا المطلب الحديث عن أهمية المذهبية الفقهية عند الدكتور علي جمعة، وخدمته لها، وأثر المذهبية الفقهية في شخصيته، ومكانته الفقهية،وملكته الفقهية ومكوناتها، وأثر هذه الملكة على شخصيته وفيما يلي بيان ذلك :

أولاً أهمية التمذهب الفقهي عند الدكتورعلي جمعة

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ اتباع «المقلد» لمن شاء من المجتهدين هو اتباع للحق؛ لأن جميع الأئمة على حق،أما اتباع «المذاهب الفقهية» في إطار الدراسة والتفقه فهذا مما لا فكاك منه ولا بديل عنه؛ لأنّ هذه «المذاهب الفقهية الأربعة المتبعة» قد خُدمت خدمة لم تتوافر لغيرها؛ فاعتُني بنقلها، وتحريرها، ومعرفة الراجح فيها، واستُدل لها، وتُرجم لأئمتها، بما جعل كل واحدة منها مدرسة مستقلة لها أصول معلومة وفروع محررة يتحتم على من أراد التفقه في الدين أن يسلك إحداها متعلمًا ودارسًا ومتدربًا، فتكون بدايته من حيث انتهوا هم.[(٢)]

فمن هنا تأتي أهمية «التمذهب الفقهي» عند الدكتور علي جمعة، الذي يرى أنّ

---

(١) انظر: مقال بعنوان : « المذهبية واللامذهبية »، موقع دار الإفتاء المصرية.

(٢) انظر: «المتشددون: منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ٤٠، طبعة دار المقطم مصر .

المذهبية الفقهية سمة حضارية للمسلمين، وتتلخص أهمية «التمذهب الفقهي» لدى الدكتور علي جمعة في العناصر التالية :

١ـ يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ «المذهبية الفقهية» قد جاءت من أجل خدمة النص«الكتاب والسنة»، فإنّ المسلمين قد جعلوا « النص » محورًا لحضارتهم، ومحور الحضارة معناه : أنهم جعلوه معيارًا للتقويم، وجعلوه منطلقًا للخدمة، وجعلوه مرجعًا يرجعون إليه، ولذلك نجد أنهم قد ولدوا علومًا كثيرة، كعلم الفقه، وعلم الأصول، وعلم النحو، وعلم الصرف، وعلم الوضع، وعلم البلاغة ...إلخ ، أرادوا بهذه العلوم أن يخدموا «النص»[١].

٢ـ يرى فضيلته أنّ «المذهبية الفقهية» من أهم الوسائل التي ساهمت في نقل التراث الإسلامي وفهمه فهمًا صحيحًا، فيقول فضيلته : «إن من أبرز أشكال نقل التراث والمساهمة في فهمه «المذاهب الفقهية المشتهرة»، والتي ساهمت بشكل واضح في التعامل مع التراث الإسلامي تعاملاً تطبيقيًا، فكانت مدارس فقهية يتتلمذ فيها الفقيه المسلم من صغره بحفظ متون الفقه ثم معرفة مسائله، وبعد ذلك أدلة تلك المسائل ثم معرفة الأقوال ومقارنات والترجيح في منهج دراسي طويل حتى يتخرج فقيهًا مسلمًا يثري الحضارة الإسلامية»[٢]

٣ـ كما يرى فضيلته أنّ « المذهبية الفقهية » ليست نصوصًا توضع في مقابلة النصوص الشرعية، وإنما هي محاولات لفهم النص الشرعي، ومفهوم النص الشرعي لا يخرج عن مذهب من المذاهب الفقهية المعتمدة غالبًا، ويتم ذلك الفهم بجمعه مع النصوص الأخرى ومعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص، والمطلق والمقيد،

(١) انظر: بحث لفضيلة أ.د/ علي جمعة، بعنوان : «المذاهب الفقهية في الإسلام»، صـ٥٠٣ «موسوعة التشريع الإسلامي» التي صدرت في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
(٢) انظر: المصدر السابق .

واستحضار أصول الشريعة دائمًا حتى لا يخرج الفقيه بحكم يتناقض معها، وعلى هذا فلا تعارض أبدًا بين اتباع المذاهب الفقهية وبين اتباع النصوص الشرعية من الكتاب والسنة(١).

٤ـ يرى فضيلته أيضًا أنّ «المذهبية الفقهية» من أهم أسس وحدة الأمة الإسلامية وتجمعها عبر القرون، فكانت الأمة تتمتع باستقرار ديني وتفاهم بين شعوبها وعلمائها على مساحة جغرافية كبيرة تمتد من طنجة غربًا إلى جاكرتا شرقًا؛ وقد كان هذا الاستقرار الديني هو السبب الأساسي في وحدة الأمة الإسلامية، ومن أهم عوامل ذلك الاستقرار الديني، اتباع المذاهب الفقهية الإسلامية، فكانت الأمة كلها علماء وعامة تجل المذاهب الفقهية المعتمدة، وتتبعها في كل تفاصيل حياتها، لما في الأخذ بهذه المذاهب الأربعة من مصلحة عظيمة، وما في الإعراض عنها كلها مفسدة كبيرة؛ لذلك اعتنت الأمة الإسلامية بمذاهب هؤلاء الأئمة فاتبعتها ودرستها وأُفتي بها العامة ،كما كانت تتخذها منهجًا في دراسة العلم الشرعي، وسبيلاً لإقامة عبادات الناس، ومعاملاتهم، وأحكام الدين والدنيا مما يجعلهم أمة واحدة(٢).

٥ـ كما يرى فضيلته أنّ «المذهبية الفقهية» لم تقتصر على نقل الأقوال والعبارات، بل نُقل لنا من خلالها التعليقات، والمناظرات، والتحليلات، مما نمى عقلية الفقيه المسلم وأنشأ لديه الملكة الفقهية التي يستخدمها في الحوادث التي لم يُنقل فيها الأقوال(٣).

٦ـ ويرى فضيلته أيضًا أنّ «المذهبية الفقهية» منهج فكري لا ذريعة للتعصب؛ لذلك اعتمد المسلمون على المذهبية باعتبارها أداة في وحدة الأمة الإسلامية، ومدارس

---

(١) انظر: المصدر السابق .

(٢) انظر: بحث لفضيلة أ.د/ علي جمعة، بعنوان : «المذهبية سمة حضارية للمسلمين»، صـ ٥١٧، من «موسوعة التشريع الإسلامي» التي صدرت في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(٣) انظر: المصدر السابق .

فقهية يتتلمذ فيها الفقيه المسلم، وأحكام فقهية سريعة وواضحة للإفتاء لحل مشاكل الناس في حياتهم اليومية، ولم تكن المذاهب الفقهية للتعصب ودعوى الانتصار، بل كانت على العكس تمامًا؛ حيث نمّت المذاهب الفقهية اعتبار قول الآخر، وعدم الإنكار عليه، وفهم ذلك السابقون ممن أنشئوا تلك المذاهب، وممن تبعهم ، ومن ذلك قول سفيان الثوري : «إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي قد اختلف فيه وأنت ترى غيره فلا تنهه»(١)

وقال الإمام أحمد بن حنبل : «لا ينبغي للفقيه أن يحمل الناس على مذهبه ويشتد عليهم»(٢). وقال ابن قدامة : «إن للمفتي إذا استفتى وكانت فتواه ليس فيها سعة للمستفتي أن يحيله إلى من عنده سعة»(٣) وقال ابن العربي : «إن العالم لا ينضج حتى يترفع عن العصبية المذهبية»(٤).

ثانيًا: جهود الدكتورعلي جمعة في خدمة المذهبية الفقهية

إنَّ «المذهبية الفقهية » جزءًا لا يتجزأ من «التراث الإسلامي» الذي باتت دراسته تمثل إشكاليةً لدى بعض المتنصلين من تراثهم، على اختلاف أيديولوجياتهم وأفكارهم، ونتج ذلك عن عدم إدراك هؤلاء للأسس التي بُنيت على عاتقها «المذهبية الفقهية »، من طرق دراستها، ولغتها التي كُتبت بها، واصطلاحات علمائها، وكيفية الاستفادة منها، وكيفية تنزيلها وتطبيقها على الواقع المعيش، وهذا ما أطلق عليه فضيلة الدكتور علي جمعة في العديد من كتاباته حول التراث الإسلامي بـــ :«الشفرة التي كُتب بها التراث»(٥).

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني (٦ / ٣٦٨) طبعة دار الفكر بيروت .

(٢) انظر : «الآداب الشرعية» لابن مفلح، (١/ ١٦٦) طبعة دار عالم الكتب .

(٣) انظر: «الروضة في أصول الفقه»، لابن قدامة(٢/ ٢٠٧) طبعة مؤسسة الريان .

(٤) انظر : كتاب «العواصم من القواصم»،لابن العربي، صــ ١٧ ، طـ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية .

(٥) انظر: «المدخل إلى دراسة المذاهب الفقيهة»، وكتاب «الطريق إلى التراث الإسلامي» لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

فمن هنا رأى فضيلة الدكتور علي جمعة ضرورة تحركه في وضع حلول للخروج من هذه الأزمة التي يعيشها الجيل المعاصر من طلبة العلم والباحثين، مع تراثهم الإسلامي عمومًا، وتراثهم الفقهي خصوصًا، فجاءت جهود فضيلته؛ لتُنير الطريق لمن أراد أن يسلك طريق التفقه في الدين، وخادمةً «للمذهبية الفقهية» على اختلاف مدارسها ومشاربها، وفيما يلي بيان لبعض الجهود التي قدَّمها الدكتور علي جمعة لخدمة « المذهبية الفقهية » مثالًا لا حصرًا، فمنها :

١ـ تأليفه لكتاب « المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية ».

وضع فضيلة الدكتور علي جمعة في هذا الكتاب رؤيته لحل إشكالية فهم «التراث» الذي أنتجته لنا «المذهبية الفقهية» عبر القرون ؛ حيث يرى فضيلته أنّ فهم «المذهبية الفقهية» يتوقف على فهم «الشفرة» التي كُتبت بها هذه المذاهب، فكان يجب على الطلبة والدارسين معرفة جملة من الأدوات التي يستخدمها أرباب كل مذهب في عمليات الإلحاق، والتخريج، والقياس، والاستدلال، كما ينبغي لهم الوقوف على الأصول القائمة في أذهان الفقهاء، مثل : أصول الفهم، وأصول الاستنباط، وأصول الترجيح

كما ينبغي معرفة اختياراتهم الأصولية، ومنهج استخداماتهم للقواعد الفقهية، والنظائر الفروعية، والضوابط الفقهية، والمصطلحات الخاصة بكل مذهب، وقواعدهم في قبول الأحاديث ورفضها، وقواعدهم الخاصة في فهم الدليل، والتعليلات والمدارك.

من هنا قام فضيلة الدكتور علي جمعة، بتحديد بعض الإشكاليات التي تحجب القارئ عن فهم ما تركه لنا الأئمة من «تراث فقهي »؛ لأنّ تحديد أسباب المشكلة ، سيساعد في وضع الحلول التي تجعلنا نستطع أن نفهم ما تركه لنا الأئمة من «تراث فقهي»، وأن نتفاعل معه، وأن نطبقه في واقعنا المعاصر ، فمن هذه الإشكاليات التي نبّه عليها الدكتور علي جمعة في عدد من كتاباته :

١ـ فقد التصور الكلي «للمذاهب الفقهية».

٢ـفقدالنظريات الكليةالتي حكمت الذهن العلمي الذي قام بكتابة«المذاهب الفقهية».

٣ـ الجهل بالمصطلحات التي كُتبت «المذاهب الفقهية» بها [١].

٤ـ فقد بعض المشتغلين بدراسة « المذاهب الفقهية » لعلوم الآلة.

٥ـ جهل القارئ بقضية الصياغة اللغوية والمنطقية «للمذاهب الفقهية»

بعد أنْ قام فضيلة الدكتور علي جمعة بتحديد الداء قام بوضع الدواء؛ حيث ألف فضيلته كتابه الماتع :«المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية »؛ ليكون مدخلاً إلى دراسة المذاهب الفقهية الأربعة التي تلقتها الأمة بالقبول، و نبراسًا يهتدي به كل من أراد أن يدرس مذهبًا من المذاهب الفقهية المعتمدة، وحصنًا للمُتمذهب من دعاوى وشبه المتنصلين الذين خالفوا ما استقر عليه جماهير الأمة عبر القرون من اعتماد المذهبية الفقهية ضمن مناهج تدريسهم.

ويعدُّ هذا الكتاب من أهم جهود فضيلة الدكتور علي جمعة في خدمة «المذهبية الفقهية»؛ حيث تناول فضيلته في هذا الكتاب قضية فك «الشفرة »التي كُتبت بها «المذاهب الفقهية»، وبيان قضية المصطلحات المتعلقة بكل مذهب، وبيان المصادر التي اعتمدت عليها هذه المذاهب في استنباط الأحكام، كما عرض رؤيته في ترتيب مقاصد الشريعة؛ لأثر أهميتها في خدمة الفقه الإسلامي في الواقع المعاصر، كما تناول كذلك الحديث عن «النظريات والقواعد الفقهية» لاعتماد الفقهاء عليها في بناء استنباطاتهم للأحكام الشرعية، وهذا الكتاب الفريد في بابه إن لم يكن لفضلية الدكتور علي جمعة جهودًا في خدمة الفقه الإسلامي سواه لكفي.

---

(١) انظر: «المدخل إلى دراسة المذاهب الفقيهة»،لفضيلة أ.د/ علي جمعة صـ١٨، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع مصر .

٢ - مجالسه الفقهية .

ذكرتُ سابقًا مدى أهمية «المذهبية الفقهية» لدى فضيلة الدكتور علي جمعة، وأنه يرى ضرورة اتباع طلبة العلم أحد المذاهب الأربعة المعتمدة، فمن هذا المنطلق عقد فضيلته مجالسًا لتدريس الفقه على «مذهب الإمام الشافعي»، فهذا هو مذهبه الذي قرأه على ما يقرب من خمسة وعشرين شيخًا من كبار فقهاء الأمة، أمثال : فضيلة الشيخ الحسيني الشيخ، وفضيلة الشيخ جاد الرب رمضان، وفضيلة الشيخ أحمد حمادة، وفضيلة الشيخ أحمد مرسي، وفضيلة الشيخ إسماعيل الزين اليمني، وغيرهم مما لا يتسع المقام هنا لذكرهم.

ولعل سائل يسأل ماهي الخدمة التي قدَّمها الدكتور علي جمعة «للمذهبية الفقهية» من خلال عقده لمجالس علمية يشرح فيها كتابًا أو كُتبًا في مذهب بعينه؟

والإجابة على هذا السؤال الذي أتوقعه من قارئ هذه السطور هو : أنّ المجالس التي عقدها الدكتور علي جمعة؛ ليشرح فيها «مذهب الإمام الشافعي» تختلف عن سائر المجالس الأخرى؛ لأنّ هدف الدكتور علي جمعة من هذه المجالس هو : إعداد جيل من العلماء يعايش الواقع المعاصر بمناهج المتأخرين لا بمسائلهم.

فإذا كان هناك مجالس تصنع مثقفًا،يكون فيلسوفًا قد يبني دولة في الهواء، أو شاعرًا قد يبني دولة تحت الماء، فأقول له : إنّ مجالس فضيلة الدكتور علي جمعة تصنع عالمًا يبني لنفسه ولأمته حياة﴿أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم:٢٤] .

إنّ الملكة الفقهية التي وصل إليها فضيلة الدكتور علي جمعة في «علم الفقه »، جعلت فضيلته لم يكتفِ بالقراءة السطحية التي يُبتغى منها الإلمام بالمسائل وحفظها، بل كان فضيلته يدعو في مجالسه الفقهية إلى حفظ المسائل، وإتقان ما وراءها من مناهج،

فتمثلت خدمته «للمذهبية الفقهية» من خلال مجالسه، في إعادته لبناء عقول طلبة العلم، وإعطائهم المفاتيح، والمناهج والأدوات التي يستطيعون من خلالها فهم المسائل وتنزيلها على واقعهم تنزيلًا سليمًا ، فكان يدربهم على كيفية تطبيق هذه الأدوات في الفروع والأشباه والنظائر، حتى صاروا من كبار العلماء الذين يفهمون النصوص، ويحسنون تفسيرها ، وتطبيقها على واقعهم المعيش .

فعن جهود الدكتور علي جمعة في «مجالسه الفقهية»، يقول فضيلة الدكتور مختار محسن: «كان فضيلة الدكتور علي جمعة يدربنا في «مجالسه الفقهية» على كيفية إدراك العلل ، وما ورائها من العلل الثواني، والعلل الثوالث! فمثلا يسأل الفقيه لماذا حرم الله الخمر؟ وبعد تطبيق كافة إجراءات القياس الأصولي عن طريق السبر والتقسيم وغيره يصل إلى أنّ علة تحريم الخمر هي الإسكار. فيسأل السؤال الثاني : ولماذا كان الإسكار علة للتحريم؟ فيصل الفقيه إلى أنّ الإسكار يغطي العقل الذي هو مناط التكليف، وهكذا ينتقل الفقيه من الجزئيات إلى الكليات، وهكذا نجد أنّ للشيخ كلامًا رائقًا في دقائق الفقه لم أسمعه من أحد، فتكلم فضيلته عن تجريد النصوص الشرعية برفع المشخصات منها لتوسيعها، وتكلم عن اللحظة اللطيفة التي يقدرها الفقيه ليصحح بها الأحكام، و عن نظرية تصحيح العقود، وتصحيح العبادات وغيرها بكلام لا يخرج إلا من عقلية فقيه أتقن الفقه بعد أن تشربته نفسه ووعاه قلبه»(١).

فعلى هذا كان من أبرز جهود الدكتور علي جمعة في «مجالسه الفقهية»،هو: إعداده لأجيال من العلماء يحملون الراية من جيل إلى جيل خادمة «للمذهبية الفقهية» دون شك؛ لأنّ فضيلته يرى أنّ الطالب إذا تمكن في مذهبه، فإنه يكون منضبط التفكير قادرًا على أن يدرك ما بعد تلك المسائل من المسائل المستجدات، بعكس من لم يتمكن من

(١) انظر: «في رحاب سيدي نور الدين... أيام فارقة وذكريات خالدة» لفضيلة د. مختار محسن، الباحث بدار الإفتاء المصرية، لم يطبع .

مذهب معين فإنه يكون مشوشًا غير قادر على تصور ولا تحصيل أي شيء، فالمذاهب الفقهية لدى الدكتور علي جمعة مُتسقة ومنضبطة ومخدومة، فكل من تدرب على أحدها كان متسقًا مثلها ، فإنّ «المذهبية الفقهية»، تربى لدى الطالب ملكة الاتساق الفقهي والمرجعية العلمية ثم إذا واجه الناس ومشكلاتهم ووجد أنّ بعض المسائل فيها بعض الحرج لبعض الناس يفتيهم بغير مذهبه وذلك عملًا بقول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨].

ولا يظن أحدٌ أنّ فضيلة الدكتور علي جمعة ممن يضيقون على الناس دينهم بحملهم على مذهبه وحده، فإنّ فضيلته قد خرج من دائرة الفقه المذهبي إلى دائرة الفقه الوسيع وسوف يأتي الحديث عن هذا الأمر في منهجه الفقهي، فإنّ فضيلته كان يذكر مرارًا وتكرارًا في مجالسه الفقهية: «إياكم أن تحملوا الناس على مذاهبكم إذا كان فيها تضييقًا عليهم، واعلموا أنّ دين الله أوسع من المذاهب، ثم يذكر القاعدة العبقرية التي صاغها أئمة الشافعية أمثال ابن حجر الهيتمي و خاتمة المحققين البرهان البيجوري، وهي: « أن من ابتلي بشيء من هذه المسائل المختلف فيها فليقلد من أجاز»، وينص الشافعية وغيرهم في عدد من المسائل على تقليد غيرهم لصعوبة الإفتاء بالمذهب في بعض المسائل.(١)

٣ـ توجيهه لتلاميذه بالاعتناء بالمذهبية الفقهية

الأسانيد في العلم كالأنساب في الحس، فمن هذا المنطلق لم يبخل فضيلة الدكتور علي جمعة على أحد من تلاميذه بمعلومة ولا بوقت، فتخرَّج في مدرسته مجموعة من الفضلاء الذين حملوا راية العلم من شيخهم، فساروا على دربه وعقدوا المجالس لينقلوا للناس ما تعلموه من شيخهم الإمام العلامة، ولم تكن مجالس تلاميذه مقتصرة على المذهب الشافعي فقط بل شملت المذاهب الأربعة المعتمدة .

---

(١) انظر: «في رحاب سيدي نور الدين... أيام فارقة وذكريات خالدة» لفضيلة د. مختار محسن، الباحث بدار الإفتاء المصرية، لم يطبع .

وعليه فإنَّ توجيه فضيلة الدكتور علي جمعة لكثير من تلاميذه بالاعتناء «بالمذهبية الفقهية» تدريسًا، وتأليفًا، وتحقيقًا، يعدُّ من أهم الجهود التي قام بها فضيلة الدكتور علي جمعة ومدرسته في خدمة الفقه الإسلامي؛ حيث انتشرت على يديه الساحات العلمية، وعمرت بعلومه مجالسها، فقلما تجد في عصرنا هذا، طالب علم لم ينتفع بما قدَّمه فضيلة الدكتور علي جمعة ومدرسته «للمذهبية الفقهية» من جهود في ميدان العمل .

ثالثًا أثر المذهبية الفقهية على شخصية الدكتور علي جمعة

إنّ نشاط فضيلة الدكتور علي جمعة الهائل، وإنتاجه المتواصل، ومتابعته لمستجدات العلوم والآراء رغم مسؤولياته الإدارية والاجتماعية وكثرة أسفاره فيما ينفع الأمة في دينها وعمرانها، يرجع إلي «المنهجية العلمية المنضبطة» التي اكتسبها من المذهبية الفقهية، ومما أضافه بذكائه وفهمه العميق لجوهر الشرع، ومراد الشارع سبحانه وتعالى، فإنّ فضيلته قام باستصحاب القديم كمناهج ومشارب لا كمسائل، وقد صاغ ذلك في إنتاجه المعاصر، فإن المتأمل في منهج الدكتور علي جمعة يجد أنه قد بُني كله على التقعيد المنضبط، الذي يعتمد على المصادر الصحيحة.

ذكرتُ سابقًا أنّ فضيلة الدكتور علي جمعة قد أثري المكتبة الإسلامية بكتاباته وأبحاثه ومقالاته، فإذا كان اختيار المرء قطعة من عقله كما يقول أسلافنا، فإنّ اختيارات فضيلته لموضوعات الكتب وتوقيت صدورها هو قطعة من عقله؛ لأنه رجل فقه الأحكام، وفقه الواقع المعيش، وعمل على تنزيل هذه الأحكام على الواقع المعيش، فهو لا يكتب في قضية ما إلا إذا كانت هذه القضية تجيب على علامات استفهام في الواقع الذي نعيش فيه، فقد تحدّث فضيلته عن «التجربة المصرية»، كما تحدث عن «أثر ذهاب المحل»، وتحدث أيضًا عن «قضية المرأة »، كما تحدث عن «تميز الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي عن الأنماط الحضارية الأخرى»، فهذا يجعلنا نقول :

إن هذه الكتابات التي أثرى بها المكتبة الإسلامية هي إجابة عن علامات استفهام في الواقع المعيش، من هنا يتضح لنا أنّ هذه الكتابات تعكس لنا عقلية الدكتور علي جمعة التي جمعت بين فقه الأحكام، وفقه الواقع الذي نعيش فيه، وذلك كله بفضل المنهجية المنضبطة التي اكتسبها من «المذهبية الفقهية»

لقد استوعب فضيلة الدكتور علي جمعة تراث أمته بمذاهبها الفقهية المختلفة، وفلسفاتها، ومناهجها المختلفة، فكان استيعابه لهذا التراث ليس كمجرد فكر، وإنما كإبداع؛ فأصبح الدكتور علي جمعة صاحب عقلية إسلامية ترى هذا التراث في ضوء الواقع الذي عاش فيه مبدعوه، وترى هذه الحضارة الإسلامية في ضوء الحضارات الأخرى، فقد رأى فضيلته عظمة الإسلام في ضوء الآخر، ورأى حجم الآخر في ضوء الإسلام، فكان الدكتور علي جمعة بذلك مفكرًا إسلاميًا متميزًا[1] .

رابعًا ملكات الدكتورعلي جمعة الفقهية

لقد حَظى فضيلة الدكتور علي جمعة في الأوساط العلمية المنضبطة بمكانة علمية مرموقة ومتميزة، احتلت موقعًا متقدمًا بين علماء عصره، وشهد له بذلك أساتذته وأقرانه وتلاميذه من العلماء المتمكنين، ونطقت بهذه المكانة علومه التي أحاط بها، ويدل على هذه المكانة أيضًا «الجهات العلمية» التي حرصت على تكريمه والاستفادة منه، وغير ذلك، كما تشهد له منابر المؤتمرات العلمية التي شارك فيها بأبحاثه العلمية المتخصصة، ومداخلاته الجديدة المفيدة، وفيما يلي بيان لهذه العلامات الدالة على مكانته الفقهية المرموقة:

إنّ المتأمل في شخصية الدكتور علي جمعة يجد أنه صاحب حسّ فقهي بديع، وملكات فقهية عجيبة، بُنيت هذه «الملكات» على الغوص في المناهج لاستخراج الدرر

(١) لقاء تلفزيوني مسجل بعنوان: «قصة حياة الإمام علي جمعة».

الكامنة وراء النصوص، دون الوقوف عند ظاهر هذه النصوص، والتقوقع في مسائلها دون مناهجها، فإنّ «الملكات الفقهية» التي وصل إليها الدكتور علي جمعة جعلته يغوص بفكره في عقل الفقهاء وينظر كيف كانوا يفكرون، فقام باستصحاب تراثهم إلى «واقعنا المعيش» كمناهج لا كمسائل، وهذا واضح جلي في حديثه عن المراحل التي يمر بها عقل الفقيه أثناء تعامله مع النصوص، وهذه المراحل، هي: «التصوير، والتكييف، والحكم، والتعليل، والتفريع».

فكان فضيلة الدكتور علي جمعة وهو يقرأ كلام الفقهاء يقول: «المُصنِّف هنا يصور لك المسألة، ثم يأتي في موضع آخر ويقول: المُصنِّف هنا يُكيِّف المسألة، وفي موضع آخر يقول: المُصنِّف هنا يعلل لك المسألة»، فهذه القراءة تجعلك تعيش مع الفقيه، وتفكر بتفكيره، فهي قراءة تجعلك تنطلق من فقه القواعد والمسائل إلى فقه الملكات[١]، وهذا ما سيأخذنا إلى الحديث عن أمرين، هما: ماهي حقيقة الملكة الفقهية، وما مكوناتها عند الدكتور علي جمعة؟ هذا ما سأجيب عنه في النقاط التالية:

١-حقيقة الملكة الفقهية.

الملكة الفقهية هي: «صفة راسخة في النفس تحقِّقُ الفهم لمقاصد الكلام الذي يسهم في التمكن من إعطاء الحكم الشرعي للقضية المطروحة، إما برده إلى مظانه في الفقه، أو بالاستنباط من الأدلة الشرعية أو القواعد الكلية»[٢].

وعليه فإنّ اكتساب «الملكة الفقهية» بالنسبة للفقيه أمر ضرور؛ حيث إنها تمكنه من الفهم الصحيح والإدراك الكامل للأحكام الفقهية، والاطلاع على طرق الاستنباط

(١) استفدتُ الكثير من هذا الكلام من فضيلة الشيخ/ سيد شلتوت، أمين الفتوى بدار الإفتاء المصرية.

(٢) انظر: «تكوين الملكة الفقهية» للدكتور/ محمد عثمان شبير، صـ ٥٨ـ ٨٧، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الدوحة عام ١٩٩٩م.

الدقيق للاستفادة منها والقياس عليها إذا ما دعت الحاجة، وهي لابد داعية إلى ذلك، فإنّ النصوص التشرعية والقواعد الفقهية محدودة، ومشاكل الناس ومسائلهم لا حدود لها، ومن المنطقي أنه لا يصلح المحدود حلًا لغير المحدود، مما يضطر الفقيه عند تعرضه لبعض الوقائع التي لا نص عليها لدى الفقهاء من إعمال فكره والاستفادة من «الملكة الفقهية» التي وصل إليها في استنباط أحكام هذه المسألة على النسق الذي استنبط المجتهدون به مسائلهم وأحكامهم(١).

٢- مكونات الملكة الفقهية عند الدكتور علي جمعة.

إنّ الملكة الفقهية لا تحصل للفقيه إلا بتحقق مقوماتها فيه: من استعداد عقلي وروحي وشخصي ، ومنهاج أصيل يقوم على معرفته بالعلوم التي تتصل بعملية الاستنباط: كعلوم اللغة، وعلوم القرآن ، وعلوم السنة المشرفة، وعلم أصول الفقه، والعلم بمواطن الإجماع والاختلاف في الفقه الإسلامي، والإلمام بالقواعد الفقهية، والعلم بمقاصد الشريعة، وفهم الواقع بما فيه من متغيرات وتطورات، والناظر في شخصية فضيلة الدكتور علي جمعة الفقهية يجد أنّ جميع المقومات السابقة للملكة الفقهية قد تحققت فيه، وهذا ما سيأتي بيانه فيما يلي:

أ - معرفته للغة العربية، واطلاعه على أسرارها البيانية؛ لأنها لغة القرآن والحديث، وهما المصدران الأساسيان اللذان تعود إليهما كل الأصول الأخرى التي اعتمدها الفقهاء عبر مسيرة التشريع الإسلامي، فبمعرفة اللغة العربية يتمكن الفقيه من معرفة شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب وضعها في استعمالات العرب.

وقد اهتم فضيلة الدكتور علي جمعة «باللغة العربية» اهتمامًا بالغًا؛ حيث إن فضيلته لا يتعامل مع «اللغة العربية» على أنها لغة كسائر اللغات؛ بل يرى فضيلته أنّ

(١) انظر : كتاب « بحوث في علم أصول الفقه»، بقلم أ.د/ أحمد الحجي الكردي

«اللغة العربية» من أهم مقومات «النهضة وبناء الحضارة» التي يسعى إليها جميع أفراد المجتمع(١)، كما يرى فضيلته أنّ «اللغة والفكر وجهان لعلمة واحدة»، فتعدُّ «اللغة العربية» عند الدكتور علي جمعة أداة من أهم أدوات الفكر؛ بل من أهم مكونات العقل المسلم، وأنه لا تستطيع أمة من الأمم أن تفكر بشكل صحيح، وهي لا تتكلم لغة صحيحة(٢)

كما يرى فضيلته أيضًا أنّ الله سبحانه وتعالى قد اختص «اللغة العربية» بأن جعلها لغة القرآن الكريم ؛ فهي مقدسة ؛ لاشتمالها على النص المقدس، أي: «القرآن الكريم»،كما يرى فضيلته أنّ الحفاظ على «اللغة العربية» من الحفاظ على الدين؛ حيث لا يمكن فهم القرآن والسنة إلا بها

كل هذه الأمور كانت دافعة لفضيلة الدكتور علي جمعة بالاهتمام «باللغة العربية» والإلمام بفنونها المتنوعة كالنحو، والصرف، والاشتقاق، والوضع، والبيان، والمعاني، والبديع وغير ذلك من علوم اللغة، ومما يجعلك تقف على تمكن الدكتور علي جمعة واطلاعه الواسع «للغة العربية» مجالسه العلمية، وكتاباته، ولقاءاته التسجيلية، فقد سمعتُه في مرة يذكر قاعدة نحوية يجهلها كثير من المشتغلين بعلم النحو؛لخفاء هذه القاعدة في بطون الحواشي والمطولات، وهي أنه : «إذا تقدم المعدود على العدد جاز الوجهان التذكير والتأنيث»، فتقول : «الكتب الستة، والكتب الست»، وعلل فضيلته ذلك بأنّ «العدد صار مُقدرًا فيما بعده فجاز الوجهان؛ لأن العدد مرتبط بما بعده لا بما قبله»، وهذا على خلاف القاعدة المشهورة من أنّ «العدد من ثلاثة إلى تسعة يخالف المعدود تذكيرًا وتأنيثًا».

ب – معرفته لعلوم القرآن من الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وأسباب النزول، والمكي والمدني، والقراءات القرآنية التي يعرف بها كيفية النطق بالقرآن ، وأقسام

---

(١) انظر: «حكاية الإرهاب» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ ١٥، طبعة دار النهار للنشر والتوزيع مصر .
(٢) انظر: «مكونات العقل المسلم» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ ١٥، طبعة دار الوابل الصيب مصر .

القرآن وأمثاله، إلى غير ذلك من العلوم القرآنية المفيدة للفقيه المستنبط للأحكام.

إنّ قراءة فضيلة الدكتور علي جمعة «للقرآن الكريم» على الشيخ محمد إسماعيل الهمداني، والشيخ عبد الحكيم عد اللطيف شيخ مشايخ القراء، ونهاية المحققين، قد مكّنه من تقديم العديد من البحوث الماتعة حول الكثير من مواضيع علوم القرآن وما يتعلق بها، لاسيما كلامه عن النسخ في كتابه:«النسخ عند الأصوليين»، وكتابه الماتع:«وقال الإمام»، وكذلك كلامه عن المحكم والمتشابه في تفسيره «لسورة آل عمران»، وفي بحثه الذي لم يُطبع بعد: «المحكم والمتشابه»، فقد جاء فضيلته بكلام جديد لم يسبقه إليه أحد

ج – علمه بمواضع الإجماع وأسباب الخلاف الفقهي بين الأئمة، وهذا الأمر واضح جلي في فقه فضيلة الدكتور علي جمعة، وفتاويه، فإنّ الدكتور علي جمعة يرى أنّ الإجماع هو : حصن الدين الحصين، وسوره المنيع، الذي وقف في وجه أصحاب الشهوات والأهواء، وردهم على أدبارهم، فلم يستطيعوا لهذا الدين كيدًا، ولم يجدوا لمآربهم وشهواتهم سبيلًا(١).

د- معرفته للقياس ومناهجه وضوابطه وعلله، إنّ المطالع لكتاب«القياس عند الأصوليين» لفضيلة الدكتور علي جمعة، يعرف قدر فضيلته ومكانته الأصولية، ومعرفته وإدراكه لقضية «القياس» التي هي من أهم وأعسر وأشق قضايا علم أصول الفقه ؛ حيث ألف فضيلته هذا الكتاب؛ ليسهل به ما صَعُب فهمه على الباحثين في قضية «القياس»، فتكلم فضيلته في هذا الكتاب عن تعريف القياس، وأركانه، وكيفية استنباط العلة، ومجالات القياس، وكيف يتم تطبيقه، وغير ذلك مما يدل على أن الكتاب قد كُتب بقلم فقيه مجتهد.

هـ – علمه بمقاصد الشريعة التي تراعي المصالح الأساسية لعامة المسلمين، وترفع عنهم الحرج والمشقة، فإنّ فضيلة الدكتور علي جمعة يرى أنّ التطورات والتغيرات التي

---

(١) انظر: «مكونات العقل المسلم» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ ٨٨، طبعة دار الوابل الصيب مصر .

يشهدها واقعنا المعاصر بعوالمه المختلفة، على مستوى الأشياء والأشخاص والأحداث والأفكار، تشتدّ فيه الحاجة إلى المنهج، والإسلام دين العلم، والمنهج أهم المفردات التي يقوم عليها العلم، ومن أهم النماذج المتعلقة بالمنهج ويمكن للمسلم أن يطرحها ويعتمد عليها في هذا الزمان الصعب: «النموذج المقاصدي»[١]؛ لذلك ألف فضيلته كتابه الماتع الذي أسماه: « رؤية فقهية حضارية لترتيب المقاصد الشرعية »؛ حيث بيَّن فيه مدى أهمية المقاصد، كما عرض رؤيته حول ترتيب المقاصد، وكيفية الاستفادة من هذا الترتيب في واقعنا المعيش، فكان كتابًا فريدًا في بابه، جمع فأوعى.

و- شدة ذكائه وقوة إدراكه، لقد وهب الله تعالى فضيلة الدكتور علي جمعة عقلاً علميًا لا مثيل له، ومنحه من قوة الإدراك والغوص في النصوص ما لا يمنحه لكثير من عباده، فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، يقول فضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري في كتابه «أسانيد المصريين»: كلما تأملتُ عقل الشيخ وفقهه، ورأيت قوة نظره في الحوادث، وكيفية إلحاقها بنصوص العلماء وكلامهم، تذكرتُ العلامة زين الدين الشافعي عمر بن محمد البلفيائي؛ حيث قال عنه شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر في ترجمته في كتاب: «الدرر الكامنة»: «قال الإسنوي: كان إمامًا في الفقه، غواصًا على المعاني، منزلًا للحوادث على القواعد والنظائر تنزيلًا عجيبًا، لم أرَ مثله في هذا الباب«، ثم ختم فضيلته الكلام بقوله :قلتُ وكأني به يصف شيخنا- حفظه الله ورعاه.

ز- إحاطته بعلم أصول الفقه، فهذا هو الفن الذي تخصص فيه فضيلة الدكتور علي جمعة، وعلم أصول الفقه من أهم العلوم المكونة للملكة الفقهية؛ حيث لابد للفقيه أن يكون عالمًا بأصول الفقه؛لأنه به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط، وسوف يأتي الحديث عن جهود الدكتور علي جمعة الأصولية .

---

(١) انظر : كتاب « رؤية فقهية حضارية لترتيب المقاصد الشرعية » صـ٣، طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع مصر .

ح - إدراكه للواقع المعيش بعوالمه المختلفة، إنّ سعة اطلاع فضيلة الدكتور علي جمعة، وثقافته الواسعة ، ومعارفه المتعددة، وكثرة رحيله وأسفاره،واطلاعه على ثقافات الأمم، وإحاطته بأحوال زمانه، وتصديه للشأن العام، مع شدة تجرده للحق، وإخلاصه لهذا الدين، قد ساعد فضيلته على إدراك الواقع المعيش، وحسن تنزيل النصوص على هذا الواقع .

٣ـ أثر الملكة الفقهية عند الدكتور علي جمعة.

إنّ الباحث عن أثر الملكة الفقهية وثمرتها لدى فضيلة الدكتور علي جمعة، يمكنه الوصول إلى ذلك من خلال النظر إلى أمرين، هما: شخصيته ، ومشاركاته المجتمعية، وفيما يلي بيان ذلك:

أولًا: أثر الملكة الفقهية في شخصيته:

إنّ وجود الملكة الفقهية لدى الفقيه، سببٌ في حصوله على عدة فوائد علمية وعملية ، وهذا ما قامت به الملكة الفقهية في شخصية فضيلة الدكتور علي جمعة؛ حيث حصل لفضيلته بسبب تحصيله للملكة الفقهية عدة فوائد، منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ- شدة ذكائه وحسن تفكيره :

إنّ العقلية الموسوعية التي يتمتع بها فضيلة الدكتور علي جمعة، تتميز بشدة الذكاء وحسن الإدراك والتفكير،وما هي إلا أثر من آثار الملكة الفقهية التي يمتلكها؛ حيث إنّ الملكة الفقهية بما تشتمل عليه من مكونات تزيد الفقيه ذكاءً في عقله، وإضاءة في فكره،لأن النفس تزداد كَيَسًا بالعلوم والملكات التي توجد فيها، قال ابن خلدون:«حسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر الأحوال العادية يزيد الإنسان

ذكاءً في عقله وإضاءة في فكره، بكثرة الملكات الحاصلة للنفس، إذ قدمنا أن النفس إنما تنشأ بالإدراكات وما يُرجع إليها من الملكات، فيزدادون بذلك كَيَسًا لما يرجع إلى النفس من الآثار العلمية، فيظنه «أي: الذكاء» العامي تفاوتًا في الحقيقة الإنسانية وليس كذلك»(١).

ب- تمكنه في الفقه والتفنن فيه والاستيلاء عليه:

إنّ مكانة فضيلة الدكتور علي جمعة الفقهية لا تخفي على أحد، فهو كما قال عنه شيخنا العلامة المعمر فضيلة الشيخ/ معوض عوض إبراهيم رحمه الله : «الدكتور علي جمعة هو مجتهد العصر وفقيه ومفتي أهل مصر»، وهذه الدرجة العالية التي وصل إليها فضيلته، إنما هي أثر ملكاته الفقهية؛ حيث إنَّ «الملكة الفقهية» تجعل الفقيه حاذقًا في علم الفقه، متمكنًا منه، قادرًا على الإبداع فيه والعطاء، بالتأليف وتصوير المسائل تصويرًا دقيقًا ورد الشبهات عنه، يقول ابن خلدون: «إنّ الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده، والوقوف على مسائله، واستنباط فروعه من أصوله، وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلاً»(٢).

وقد ذكر فضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري في كتابه «أسانيد المصريين» أثر الملكة الفقهية على شخصية فضيلة الدكتور علي جمعة في ابتكاره لبحوث تعالج كثير من المشكلات التي يعيشها الفرد في واقعه المعاصر، فيقول: «ولقد كان -رضي الله عنه- من الألمعية، وحدة الذهن، وشدة الذكاء، وقوة المُدرك بالمحل الأعلى، وكم تفتق ذهنه عن

---

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون المسمى : « ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر »، صـــ٥٤٧، طبعة دار الفكر، بيروت .

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون المسمى : « ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر »، صـــ٥٤٣، طبعة دار الفكر، بيروت .

ابتكار بحوث عجيبة، أو دراسة عدد من البحوث المشهورة من وجهة جديدة، فكان يأتي في ذلك بالومضات الدالة على صفاء ذهن، وإدراكٍ لنسق الشرع الشريف في بناء العلوم والمعارف»[1].

ج- وصوله إلى آراء فقهية ناضجة:

إنّ الملكة الفقهية الراسخة لدى الدكتور علي جمعة، قد مكنته من الوصول إلى آراء فقهية ناضجة مبنية على أصول الاستنباط وعلل الأحكام ومآخذها، وبالملكة الفقهية الحاصلة لفضيلته كانت له أنظار اجتهادية تجلت في الترجيح بين الأقوال، وتوجيهه لكثير من الآراء، والرجوع إلى المدارك الأصلية، للدعم أحيانًا، وللاستنتاج أحيانًا أخرى.

يقول شيخنا العلامة المربي الفقيه فضيلة الشيخ أحمد صلاح الدين الهجين:« لم أر في هذا العصر أحدًا أفقه من فضيلة الدكتور علي جمعة ، فقد كنتُ أناقشه في مسائل كثيرة، لكن ما ناقشتُه في مسألة إلا وكان الحق معه؛ لذلك توقفتُ عن مناقشته؛ حيث أُسلمُ له في كل ما يقوله، فهو لايتكلم إلا عن مستندٍ، ودليل، ومنهج علمي مكتمل الأركان والأدوات».

د- قدرته على استخراج الأحكام الخفية من الأدلة البعيدة:

إنّ من أهم ما يتميز به فضيلة الدكتور علي جمعة عن غيره من الفقهاء، قدرته على استخراج واستنباط الأحكام الخفية من الأدلة البعيدة أو غير المباشرة، وهذه صفة من صفات المجتهدين، ففقه الدكتور علي جمعة خرج من فقه المسائل والقواعد إلى فقه الملكات كما أشرتُ سابقًا، ومن الجدير بالذكر هنا ما قاله فضيلة الدكتور مختار محسن في

(١) انظر : كتاب:«أسانيد المصريين» لفضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري، صـ٥٥٣ ، طبعة دار الفقيه الإمارات .

هذا الصدد: « كان فضيلة الدكتور علي جمعة يدربنا أثناء الدرس على كيفية إدراك العلل وما ورائها من العلل الثواني والعلل الثوالث!» وما هذا إلا؛ لأن فضيلته صاحب ملكة فقيهة راسخة .

هـ- تمكنه الشديد في علم الفتوى:

لقد تميز فضيلة الدكتور علي جمعة تميزًا ملحوظًا في مجال الإفتاء؛ ذلك لما يتمتع به من ملكة فقهية جعلته مفتي العصر، ذلك لأنّ نظر الفقيه صاحب الملكة الفقهية الراسخة في القضية الفقهية المطروحة عليه يكون أتم وأشمل؛ حيث إنه عند وضع تصور لتلك القضية يضع كل الاحتمالات ويورد كل الإشكالات والمعضلات التي تتعلق بتلك القضية، ويعمل عقله في إيجاد الحلول المناسبة لتلك الإشكالات والمعضلات، وهذامما يجعله يتوقف فيها أحيانًا، ويتردد فيها أحيانًا أخرى.

يقول فضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري في كتابه «أسانيد المصريين»: وقد كان الشيخ في فتواه عجبًا من العجب، في معرفته بنفسية المستفتي ومقصوده، وسرعة إدراكه لمحل السؤال، ثم في مسلكه في التحقيق مع المستفتي لاستخراج الجهات والمدارك، التي تتغير بها الفتوى من حال إلى حال، ومن شخص إلى شخص، ثم في إحاطته بالأعراف والقوانين، وأنماط المعيشة التي تتولد عنها الحوادث والنوازل، فضلًا عن إحاطته بالحكم الشرعي الذي يتنزل على كل حال من الأحوال المذكورة، ولا ينقضي عجبي منه في إدراكه لمقصود المستفتي من مجرد كلمات قليلات يستهل بها سؤاله، حتى إن كان ليخبر السائل عن صورة النازلة التي يسأل عنها، وعن مقصوده الذي أراده، قبل أن يتم السائل كلامه، وقد كنا نرى منه هذا عيانًا مع جماهير الواردين عليه بقصد السؤال والاستفتاء، على اختلاف مستويات معيشتهم، وأمزجتهم، وطبائعهم، حتى لقد تذكرت به قاضي القضاة العلامة الشيخ محب الدين البغدادي الحنبلي ت ٨٤٤ هـ؛

إذ قال الإمام الجمال ابن تغري بردي في: «المنهل الصافي»: «انتهت إليه رئاسة الحنابلة في زمانه بلا مدافعة، أقام مدة قبل موته والمعوّل على فتاويه، وكانت كتابته على الفتوى لا نظير لها، ، يجيب عما يقصده المستفتي»[١].

ثانيًا: أثر الملكة الفقهية في مشاركات الدكتور علي جمعة المجتمعية:

إنّ وجود الفقهاء ذوي الملكات الفقهية حاجة اجتماعية ملحة؛ حيث إنّ وجودهم يحقق للمجتمع الاستقرار، ويمنحه القدرة على النمو ومواكبة المستجدات، ولعل هذه هي حكمة الله التي منَّ بها على الأمة الإسلامية ببعث من يجدد لها دينها على رأس كل مئة سنة، وفيما يلي بعض الفوائد التي حققتها الملكة الفقهية لدى الدكتور علي جمعة في مشاركاته المجتمعية، أذكرها مثالاً لا حصرًا :

أ – معالجته لقضايا العصر ومشكلاته ووقائعه المستجدة:

إنّ لكل عصر قضاياه ومشكلاته ووقائعه المتجددة التي لم يتكلم عنها الفقهاء القدامى، فلا بد من الفقهاء ذوي الملكات الفقهية الراسخة للاجتهاد في تلك القضايا والمشكلات والوقائع، وإلا أدى ذلك إلى عزل المجتمع وتجميده، ومن ثَمَّ أن يلهث المجتمع الإسلامي وراء السراب في البلاد الغربية، فيستعير منها قوانينها المخالفة لعقيدة الأمة وشريعتها، ويستورد منها حلول مشكلاتها ليطبقها كما هي على مشكلاته، فيقع في التخبط والهوان والضنك.

فكان لفضيلة الدكتور علي جمعة دورًا بارزًا في التصدى لكثير من القضايا التي ظهرت في هذا العصر، وتحتاج لبيان الحكم الشرعي فيها، مثل :«التعامل مع البنوك،

(١) انظر:«أسانيد المصريين» لفضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري، صـــ ٥٤٦، طبعة دار الفقيه الإمارات .

والاستنساخ، واستئجار الأرحام، والتسويق الشبكي، وغير ذلك»، فكتب فيها ما يشفي الصدور، وينير العقول .

ب- ترشيده للمؤسسات المالية:

ظهر في هذا العصر كثير من المؤسسات المالية كالمصارف ، وشركات التأمين ، وقد زاد عددها في الآونة الأخيرة. وأظهرت هذه المؤسسات العديد من القضايا الاقتصادية التي تحتاج إلى اجتهاد فقهي مثل: المرابحة للآمر بالشراء، والإجارة المنتهية بالتمليك، وبطاقات الائتمان، وغير ذلك. هذا بالإضافة إلى أنّ أغلب القائمين على تنفيذ الصيغ في تلك المؤسسات هم من خريجي كليات التجارة المعاصرة التي يغلب على مقرراتها الاقتصاد ، فيقعون في أخطاء شرعية عند التنفيذ.

فمن هنا كان لفضيلة الدكتور علي جمعة دورًا غاية في الأهمية؛ حيث شارك فضيلته في إخراج مشروع «مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية» إلى النور، هذا المشروع الذي يهدف إلى ترشيد المؤسسات المالية، فصدرت عن المركز موسوعة « فتاوى الإمام ابن تيمية في المعاملات وأحكام المال»، وموسوعة «فتاوى المعاملات المالية للمصارف والمؤسسات المالية الإسلامية» وغير ذلك من الموسوعات والأبحاث والرؤى والأفكار التي تحقق الهدف المنشود.

ج- جهوده في الارتقاء بأفراد المجتمع:

إنّ المجتمع الإسلامي يتطلع بشوق للعودة إلى صحيح تعاليم الإسلام، التي أصبحت حائرة في عصرنا هذا بين متشدد في أقصى اليمين، ومتفلت في أقصى اليسار، وهذه العودة تحتاج إلى الفقيه صاحب الملكة الفقهية القادر على تقنين الفقه الإسلامي، وتقديم النظريات والنظم الإسلامية التي نعتز بها لتكون دستورًا هادئًا ومنقذًا للمجتمع مما يعانيه من تخبط وشقاء في أنظمته وشرائعه وسائر علاقاته في ميادين الحياة المختلفة،

وهذا ما قام به فضيلة الدكتور علي جمعة خلال مسيرته العملية، فقد قام بتحويل هذه القيم والأفكار إلى مؤسسات، وهذا واضح جلي في إدارته «لدار الإفتاء المصرية»، وفي إنشائه «لمؤسسة مصر الخير»، فمن هذا يظهر لك أنّ جهود فضيلته في الارتقاء بأفراد المجتمع لم تقف عند الارتقاء الفكري فحسب؛ بل تجاوزت إلى الارتقاء المعيشي أيضًا، وهذا ما سنعرفه بالتفصيل عند الحديث عن العمل المجتمعي عند الدكتور علي جمعة.

المطلب الثاني

منهج الدكتورعلي جمعة الفقهي

إنّ أهم ما يميز منهج فضيلة الدكتور علي جمعة الفقهي هو «عقليته الفارقة»، هذه العقلية التي يقول عنها فضيلته بأنها عقلية السلف الصالح، وأنها العقلية العلمية التي تفرق بين الشيء وسببه، وبين الشيء ونتيجته، وبين الشيء وغيره، وبين الشيء وجزئه، وتفرق بين الخبر والرأي، و بين القطعي والظني، وبين الكلي والجزئي، وبين العام والخاص، وبين المطلق والمقيد، وبين المُجمل والمبين، وبين الراجح والمرجوح، وبين المسائل والمناهج

فالمتأمل في منهج الدكتور علي جمعة الفقهي يجد أنّ منهج فضيلته امتداد لمنهج العلماء الكبار على مر العصور وسالف الدهور، فإنّ الدكتور علي جمعة يتمسك بمناهج السلف الصالح، ولا يقف على مسائلهم، وقد شرح فضيلته ذلك بتوسع غير مرة؛ ليبين لنا كيف نتصل بالسلف بمنهج علمي رصين، ونرفض مناهج الانتقائية والرفض العشوائي والقبول المطلق.

إنّ فضيلة الدكتور علي جمعة يفرق دائمًا بين المصادر، وبين فهمها، كما يفرق بين ما يتعلق ويرتبط بالزمان، وبين ما يكون متجاوزًا للجهات الأربع: «الزمان، والمكان، والأشخاص، والأحوال»،كما يفرق فضيلته دائمًا بين المسائل والقضايا؛ لأنه يدعو إلى ترتيب الأولويات، وإلى عدم الانشغال بشيء ولو كان مهمًا مع ترك الأهم؛ لأن ذلك منهج أعوج على حد تعبيره، وسوف نتعرف في النقاط التالية على أهم معالم المنهج الفقهي عند الدكتور علي جمعة، وفيما يلي بيان ذلك :

أولًا: صياغة الفقه الإسلامي في ثوب جديد :

إنّ كثيرًا من أبناء هذا العصر يرفضون «التراث الفقهي» الذي تركه لنا الأئمة المجتهدون رفضًا تامًا؛ ذلك لأنهم لم يفهوا هذا التراث أصلاً حتى يرفضوا مافيه ؛ لكن رفضهم هذا قد جاء من منطلق صعوبة فهمهم لهذا التراث الذي يشتمل على بعض المصطلحات ، والرموز التي يتعذر على القارئ فهمها، وكثير من الكتب الفقهية جاءت شروحًا لمتون ومختصرات، وكان أصحاب الشروح يكتفون ببيان أول الجملة في المتن، ولم يهتم الناشرون في هذا العصر بربط الشروح بمتونها في الطباعة مما أدى إلى صعوبة في الفهم .

فمن هنا رأى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ رفض أبناء العصر وتنصلهم من تراثهم الفقهي هو نتيجة لفقدهم ما أسماه فضيلته «شفرة التراث»، هذه الشفرة التي تمكن القارئ من الوصول إلى الفهم السديد ، والوعي التام لكل ما جاء عن السلف الصالح، وقد تناول فضيلته الحديث عن الإشكاليات التي تعوق القارئ عن فهم «التراث الفقهي»، وكذلك الأدوات التي يحتجها القارئ أثناء مطالعته «للتراث الفقهي» في كثير من كتبه، وأبحاثه، ومقالاته، ولقاءاته التسجيلية، وقد سبق ذكرها في المبحث الأول من هذا الفصل.

وقد قام فضيلة الدكتور علي جمعة بصياغة الفقه الإسلامي في ثوب جديد؛ حيث قام فضيلته باستصحاب «التراث الفقهي القديم » إلى واقعنا المعاصر كمناهج ومشارب لا كمسائل، بعبارة سهلة رصينة ، وقد صاغ ذلك في إنتاجه المعاصر، وقد يظهر لك ذلك من خلال مطالعتك لكتبه الثلاثة، وهي: كتاب «المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية»، وكتاب «الطريق إلى التراث الإسلامي»، وكتاب «وقال الإمام »، ففي كتابيه « المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية»،و« الطريق إلى التراث الإسلامي » قام

فضيلته بوضع المنهج الذي يزيل جميع المعوقات التي تواجه كل من قام بمطالعة التراث عمومًا، والتراث الفقهي خصوصًا، أما كتاب «وقال الإمام» فصاغ فضيلته فيه عددًا من القضايا الفقهية القديمة في ثوب جديد، مثل كلامه : عن قضية ذهاب المحل، والنموذج المعرفي، واللحظة اللطيفة، وغير ذلك من القضايا التي كانت موجودة في بطون الكتب والحواشي، فقام فضيلته بصياغتها صياغة عصرية تواكب حاجة العصر ولغته.

ثانيًا: مراعاة النصوص الشرعية المعتبرة ودراستها:

أكد فضيلة الدكتور علي جمعة في كثير من كتاباته على أهمية مراعاة الفقيه «لمصادر الشريعة المعتبرة »؛ لأنّ هذه المصادر دالّة على الخطاب الإلهي[1]، كما أكد فضيلته أنّ «القرآن والسنة» هما المصدران الأساس للفقه الإسلامي، ثم يأتي بعدهما «الإجماع والقياس» وهذه هي المصادر الأربعة التي اتفق عليها جماهير الفقهاء، ثم يؤكد فضيلته اعتبار باقي المصادر وإن كان فيها خلافًا بين الأئمة، فقد قال في كتابه المدخل : «ثم إنّ هناك أدلة مختلف فيها، أوصلها بعضهم إلى نيف وأربعين دليلاً، ومصادر الشرع هذه هي التي يستعين بها المجتهد، ويبذل الوسع والجهد لتحصيل الأحكام الشرعية العملية المستنبطة من أدلتها التفصيلية، ويكون بذلك علم الفقه»[2] .

وقد غاص فضيلة الدكتور علي جمعة بفكره في عقل المجتهد؛ ليبيِّن لنا منهج تعامله مع المصادر، فقال فضيلته: « إنّ المجتهد هو من يستنبط الأحكام الفرعية من أدلتها التفصيلية، وعليه فهو يحتاج إلى تحديد مصدر أحكامه، ثم بيان كيفية التعامل معها، وشروط الباحث فيها»[3] .

---

(١) انظر: «المدخل إلى دراسة المذاهب الفقيهة»،لفضيلة أ.د/ علي جمعة صـ ٣٠٧، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع مصر .

(٢) انظر: المصدر السابق .

(٣) انظر: المصدر السابق .

ثم غاص فضيلته إلى ما هو أعمق من ذلك فأخذنا إلى رحلة في عقل «المجتهد» لنرى كيف كان يفكر، فقال فضيلته : «عندما فكر المجتهدون العظام في «مصادر التشريع الإسلامي» كان ذلك في صورة أسئلة متتالية كانت الإجابة عليها - حتى مع اختلاف في بعضها- تعبر عن تلك المصادر، وعن كيفية التعامل معها، وكيفية استنباط الأحكام الشرعية منها، وكيفية تطبيقها في الواقع المعيش[1]، وهذه الأسئلة تتمثل في الآتي :

السؤال الأول : ما الحجة التي يعتمد عليها المسلم في تشريعه ؟

والسؤال الثاني : كيف يتم توثيق هذه الحجة ؟

والسؤال الثالث : كيف نفهم ما قد ورد إلينا موثقا، بالطريقة التي تطمئن إليها قلوبنا ؟

والسؤال الرابع : ما مساحة القطعي والظني في هذه الحجة، وبالتالي ما الذي يمكن أن نختلف فيه بناء على أنه ظني، وما لا يمكن أن نختلف فيه بناء على أنه قطعي ؟

والسؤال الخامس : ما موقفنا من المحدثات التي لم يرد بها حجة مباشرة، وهل يمكن أن نستخرج آلية للتعامل مع هذه المحدثات، وما تلك الآلية ؟

السؤال السادس : ما السقف الذي يجب أن يحدنا في التزامنا في تفكيرنا، بحيث لا يترتب عليه شتات أو ضرر لأنفسنا أو للآخرين ؟

والسؤال السابع : كيف نرجح عند التعارض والتعادل الظاهر في ذهن المجتهد بين الحجج المختلفة، فما الذي نقدم، وما الذي نؤخر، وما معيار ذلك ؟

والسؤال الثامن : ما شروط ذلك المجتهد الباحث الذي نتكلم عنه ؟

والسؤال التاسع : كيف ندرك الواقع المعيش حولنا ؟

(١) انظر : مقال بعنوان«مصادر التشريع الإسلامي ١» لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

والسؤال العاشر : كيف نصل بين المطلق والنسبي في حياتنا ؟

وقد تناول فضيلة الدكتور علي جمعة الحديث عن «مصادر التشريع الإسلامي»،في سبعة عشر مقالاً نُشرت بجريدة الأهرام ؛ ليؤكد لنا فضيلته أهمية «مصادر التشريع الإسلامي» بالنسبة للفقيه، وأنها جزء لا يتجزأ من «منهجه الفقهي»، كما أجاب عن هذه الأسئلة العشر باستفاضة وتوسع فمن أراد المزيد فليراجعه .

ثالثًا: الخروج من الفقه المذهبي إلى الفقه الوَسِيع:

وجدنا في العصر الحديث مجموعة من الباحثين يطلقون مصطلح «الفقه الوَسِيع» ويقصدون به المقارنة الفقهية بين المذاهب الإسلامية، وجمع الآراء الفقهية وتقييمها والموازنة بينها بالتماس أدلتها، وترجيح بعضها على بعض، وتفيد هذه المقارنة «الفقه الإسلامي» من حيث الكشف عن مكنون جواهره، وعدالة مبادئه، ورسوخ قواعده، وتجلي مافيه من روائع الاجتهاد والاستنباط والتوليد والتخريج والتفريع.

والمتتبع لأعمال الدكتور علي جمعة الكتابية، ولقاءاته التسجيلية يجد أنه قد اهتم في «آرائه وفتاويه» بالمقارنة بين المذاهب الإسلامية، ولم يقف فضيلته عند مذهب واحد من المذاهب الأربعة المعتمدة، بل تعدى الأمر عنده إلى ماهو أبعد من ذلك، فيقول فضيلة الشيخ أحمد صلاح الدين الهجين :«عندما نتأمل أقوال وفتاوى وآراء شيخنا فضيلة الدكتور علي جمعة، نجد أنّ فضيلته قد خرج بأدوات الاجتهاد التي يمتلكها من دائرة الفقه المذهبي إلى دائرة الفقه الوَسِيع؛ حيث إنني أرى أنّ فضيلته قد وعى في صدره الفقه الإسلامي بمذاهبه وقواعده وضوابطه وأسسه التي بُني عليها، فتراه حينما يُفتي لا يُفتي على مذهب واحد، ولا المذاهب الأربعة المعتمدة ، ولا المذاهب الخمسة، ولا الثمانية ؛ بل إنه يُفتي على ما وافق الأصول والقواعد والضوابط من المذاهب الثمانين» .

ومما يؤكد كلام فضيلة الشيخ أحمد صلاح الدين الهجين، أنّ فضيلة الدكتور علي جمعة « يرى أنّ المذاهب الفقهية ليست نصوصًا توضع في مقابلة النصوص الشريعة، وإنما هي محاولات لفهم النص الشرعي ومفهوم النص الشرعي لا يخرج عن مذهب من المذاهب الإسلامية المعتمدة غالبًا، فكما أنّ السند طريق النص النبوي، كذلك المذاهب الفقهية طريق الحكم الشرعي».

فمن هنا نشأت المذاهب الفقهية، ومن هنا جاء المجتهدون، وتكاثروا، حتى وصلوا إلى أكثر من ثمانين مجتهدًا في التاريخ الإسلامي، تراهم مذكورين عند النووي في: كتابه «المجموع»، و عند ابن قدامة في كتابه «المُغْنِي»، و عند ابن حزم في كتابه«المُحَلَى»، وقد ترى كثيرًا من نقولات هؤلاء المجتهدين من الصحابة، والتابعين، وتابعيهم، أكثر من ثمانين مجتهدًا حاولوا من خلال مذاهبهم الوصول إلى الحكم الشرعي، فمن هؤلاء على مثالاً لا حصرًا: الإمام الأوزاعي، والسفيانان، والحمادان، والطبري، والليث بن سعد، الذ كان الإمام الشافعي يقول عنه: « الليث أعلم من مالك؛ إلا أن أصحابه ضيعوه»، ضيعوا ذلك المذهب، ولم ينقلوه.

ومنهم: الأئمة الثمانية، الذين بقيت مذاهبهم إلى يومنا هذا: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، والزيدية، والظاهرية، والإباضية، والجعفرية.

كما يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ هذا الاختلاف «رحمة من الله بهذه الأمة» وأنه من قبيل «اختلاف التنوع» لا «اختلاف التضاد»، فيقول فضيلته :« لقد تكاثرت المذاهب، وتكاثر المجتهدون؛ فصار عندنا: دوائر متداخلة، دائرة المذاهب الأربعة، ودائرة أكبر، تضم المذاهب الثمانية؛ بِمَا فيهم الأربعة، ودائرة أكبر تضم المذاهب الثمانين؛ بِمَا فيهم الثمانية. فظهر من خلال هذه الدوائر متداخلة نظريات حول هذا الاختلاف،حتى جاء الشيخ العثماني وَأَلَّفَ كتابًا، أسماه: «رحمة الأمة في اختلاف

الأئمة»؛ حيث أكد في كتابه هذا على أن اختلاف الفقهاء دليل على سعة الدين وأن هذا الاختلاف الذي وقع بينهم هو: اختلاف تنوع، واختلاف التنوع، أعطى لديننا: السعة، التي تبقيه في كل زمان، وتجعله صالحًا لكل مكان»(١).

وقد جاء الإمام عبد الوهاب الشعراني، ليؤكد لنا في كتابه «الميزان الكبرى»،أنّ الفقهاء كلهم على حق وأنّ اختلافهم دائر بين «الرخصة والعزيمة»، ومثال ذلك :من قال : بنقض الوضوء بمس المرأة، فقد أخذ «بالعزيمة» ومن قال: بعدم نقض الوضوء، قد أخذ «بالرخصة» وكلاهما على حق، وكلاهما في فضل الله ورحمته، وكلاهما؛ إنما قد بذل الجهد لوجه الله، وعلى ما يرضي الله، حتى إنه لو أخطأ، لأعطاه الله أجرًا، ولن يؤاخذه.

كان هذا كله دافعًا لفضيلة الدكتور علي جمعة في عدم التردد على الخروج من الفقه المذهبي إلى «الفقه الوسيع» عندما تدعو الحاجة إلى ذلك، من باب التوسعة على المسلمين، والرحمة بهم، ومن باب إدراك الواقع بعوالمه المختلفة، وحال الإنسان، والزمان، والمكان، وقد ظهر أثر ذلك الخروج الذي تميَّز به منهج الدكتور علي جمعة الفقهي في أمور عديدة يطول ذكرها، ومن أهمها : مسائل الطلاق؛ حيث إنّ فضيلته قد رجح أقوال بعض المجتهدين من غير المذاهب الأربعة من باب تشوف الشرع الشريف إلى بقاء الأسرة، والحفاظ عليها من الضياع .

رابعًا : الاعتناء بالقواعد الفقهية وتطبيقاتها :

إنّ من أهم ما يميز «المنهج الفقهي» لفضيلة الدكتور علي جمعة هو: اعتنائه بالقواعد الفقهية وتطبيقاتها على الواقع المعيش؛ حيث يرى فضيلته أنّ «القواعد» من

(١) محاضرة ألقاها أ.د/ علي جمعة بكلية الشريعة والقانون بطنطا، عام ٢٠١٢، تحت عنوان: «ضوابط الفتوى في الشريعة الإسلامية» .

أهم مقوِّمات بناء الحضارة، فيقول فضيلته:« إن بناء الحضارة عملية فكرية في مقامها الأول تبدأ فور إدراكنا محور هذه الحضارة حيث يجب أن تسير عملية البناء في فلك هذا المحور، فلا تشذ عنه ولا تتعارض معه، وتبدأ عملية البناء من تحديد القواعد وتنتهي عند تحقيق الغايات، فلكل حضارة قواعد أساسية يقوم عليها البناء وغايات عليا تسعى لتحقيقها، وهذه القواعد وتلك الغايات هما طرفا عملية البناء الدائرة حول المحور»(١).

إنّ المتأمل في كلام فضيلة الدكتور عن الحضارة الإسلامية يجد أنّ «عملية البناء الفكري»لهذه الحضارة، تبدأ بتحديد القواعد الكلية التي سيتم تنظيم الفكر وفقًا لها، ثم تحديد الغايات المقصودة من بناء هذه الحضارة، ثم نرسم خطًا مستقيمًا بين القواعد والغايات وهو الخط الفكري للحضارة، ثم يبدأ بعد ذلك البناء المادي الذي يكون في حقيقته انعكاسًا واقعيًا لما تم بناؤه في الفكر، فمع تحديد القواعد يتكون عقل المسلم فيعرف كيف يفكر؟ وبم يفكر؟ وما القواعد الضابطة له في التفكير؟ وكيف يتعامل مع الأحكام ومع الشريعة، ومع الواقع، ومع الآخر، بل مع نفسه؟ ويتعلم كيف ينظم علاقته مع ربه، ومع الكون، ومع الإنسان، ويتعلم كيف يرى ماضيه، وحاضره، ومستقبله، فإذا أدرك كل هذا استطاع أن يبني حضارة تجوب الآفاق(٢).

فإنّ اعتناء فضيلة الدكتور علي جمعة «بالقواعد الفقهية» قد ساعده في صياغة الفقه الإسلامي بأسلوب يناسب لغة العصر، وساعده في الإمعان في دراسة عقلية المجتهد في الفقه الإسلامي من ناحية، وكيفية تشغيل هذه القواعد على هذه المستجدات من ناحية أخرى، كما يرى فضيلته أنّ للقواعد الفقهية خصائص لا غنى عنها في الفقه الإسلامي،الذي تجاوزت مسائله مليون ومئتين ألف مسألة،فلما اتسع الأمر لهذا الحد صعب حفظه،فمن هنا رأى الفقهاء ضرورة صياغة القواعد الفقهية التي تجمع الشبيه مع الشبيه.

---

(١) انظر: مقال بعنوان :« مقوِّمات بناء الحضارة: القواعد» لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

(٢) انظر: المصدر السابق .

ومن أهم خصائص القواعد الفقهية [١]:

١-الحفظ والضبط للمسائل الكثيرة المتناظرة، بحيث تكون القاعدة وسيلة لمعرفة الأحكام المندرجة تحتها.

٢ـ خدمة المقاصد الشرعية العامة والخاصة ، وتمهيد الطريق للوصول إلى الأحكام .

ويرى الدكتور علي جمعة ما رأه الفقهاء القدامى من أنّ أمهات القواعد في الفكر الإسلامي خمس، وهي التي يدور عليها معظم أحكام الشريعة الإسلامية، وقد نظمها بعضهم في قوله:

خمسٌ محرَّرة قواعد مذهب ... للشافعي بها تكون خبيرا
ضررٌ يُزَالُ وعادةٌ قد حُكِّمَتْ ... وكذا المشقةُ تجلب التيسيرا
والشك لا ترفع به متيقنا ... والنية أخلص إن أردت أجورا

وتفصيل هذه القواعد الكلية الخمس فيما يلي:

١ـ القاعدة الأولى: الضرر يزال:

وهذه القاعدة مسوقة لبيان وجوب إزالة الضرر إذا وقع، وأصل هذه القاعدة قوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»[٢] ، وتتعلق بهذه القاعدة قواعد فرعية مهمة تؤسس الفكر والحضارة معًا منها: الضرورات تبيح المحظورات، بشرط عدم نقصانها عنها، ومن ثم جاز أكل الميتة عند المخمصة، وجاز التلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه، وأخذ مال الممتنع من أداء الدين بغير إذنه، وغير ذلك، ومنها: ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها،

(١) انظر: «المدخل إلى دراسة المذاهب الفقيهة»،لفضيلة أ.د/ علي جمعة صــ ٣٣٣، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع مصر .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٨٦٥)، وابن ماجة في سننه (٢٣٤١).

ومن ثم فلا يأكل من الميتة إلا بقدر سد الرمق، ومنها: الضرر لا يزال بالضرر، ومنها: إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما، ومنها: درء المفاسد أولى من جلب المصالح، فإذا تعارضت مفسدة ومصلحة، قدّم دفع المفسدة غالباً، لأن اعتناء الشارع بالمنهيات أشد من اعتنائه بالمأمورات، ولذلك قال ﷺ: « ما نهيتكم عنه، فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم »[١].

٢ـ القاعدة الثانية: العادة محكمة:

وأصل هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩]، ويقول ابن مسعود، رضي الله عنه: «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح» وهو حديث حسن، وإن كان موقوفاً عليه فله حكم المرفوع، لأنه لا مدخل للرأي فيه، وفي السيرة النبوية عدة نماذج توضح لنا كيفية التعايش مع العادات المختلفة، فهناك النموذج المكي قبل بعثته صلى الله عليه وسلم، وهناك النموذج المكي بعد بعثته، وهناك نموذج الحبشة مع قوم يدينون بدين المسيحية، وهناك نموذج المدينة في عهدها الأول مع تعدد الديانات من يهودية ومسيحية وإسلام، وهناك أخيراً نموذج المدينة في عهدها الأخير قبل وفاته صلى الله عليه وسلم، وكيف انفتح المسلمون على الشعوب المختلفة فتعايشوا معها واندمجوا بها دون أن يفقدوا هويتهم.

٣ـ القاعدة الثالثة: المشقة تجلب التيسير:

والأصل في هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾[البقرة:١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾[الحج:٧٨]، وقوله ﷺ: «إنّ الرّفق لا يكون في شيء إلّا زانه، ولا ينزع من شيء إلّا شانه»[٢]، وعن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٢٨٨) ومسلم في صحيحه (١٣٣٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٩٤).

عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: «اللّهمّ من ولي من أمر أمّتي شيئًا فشقّ عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمّتي شيئا فرفق بهم فارفق به»(١)، وعن أبى الدّرداء، رضي الله عنه، عن النّبيّ ﷺ قال: «من أُعْطِيَ حظّه من الرّفق فقد أعطى حظّه من الخير، ومن حرم حظّه من الرّفق حرم حظّه من الخير»(٢).

٤- القاعدة الرابعة: اليقين لا يُزَالُ بالشك:

واليقين في الاصطلاح: الاعتقاد الجازم المطابق للواقع الثابت عن دليل، أما الشك فهو التردد بين النقيضين، بلا ترجيح لأحدهما على الآخر، ودليل هذه القاعدة قوله ﷺ: «إذا وجد أحدكم في بطنه شيئًا فأشكل عليه أَخَرَجَ منه شيء أم لا؟ فلا يخرجن من المسجد حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً»(٣) ، وهوية الإسلام وأصوله من الأمور اليقينية فلا شك فيها، فعدد صلوات اليوم والليلة هي خمس، وعدد ركعات كل صلاة أمر متفق عليه، ومقدار الزكاة محدد ومعلوم، والصيام الواجب في شهر رمضان أمر ثابت، والحج إلى بيت الله الحرام في مكة وغير ذلك من ثوابت الدين أمور يقينية لم يشذ عنها عاقل عبر العصور، أما الخلاف في المسائل الفرعية فهو سعة ورحمة تؤكد عالمية الإسلام وشموليته.

٥- القاعدة الخامسة: الأمور بمقاصدها:

والأصل في هذه القاعدة قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»(٤) ، ويندرج تحت هذه القاعدة قضية كبيرة ومحورية في بناء الحضارة وهي قضية التغيّر والتغيير، فالفرق بينهما

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٨٢٨).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٥٢٥٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٣٦٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيح (١).

هو القصد والإرادة التي يلزم منهما وضع الخطة والتنفيذ. حيث إن التغيّر يحدث تلقائيًا بتبدل الزمان وتغير الناس بالحياة والموت، وجريان الأحداث وتشابكها، أما التغيير فهو ينظر إلى الواقع ويرى فيه شيئاً لابد أن يتبدل، وهنا يظهر القصد والإرادة لذلك التبديل، ويسعى الإنسان لوضع خطة مناسبة ويقوم بتنفيذها حتى يتم مراده أو بعض مراده من هذا التغيير. وتحت عنوان التغيير يقع المصطلحان «الإصلاح والتجديد»، وهما ليسا ضدين لا يجتمعان، ولا يفرح أحدنا بل ينبغي ألا يصنف نفسه مع الإصلاح في مقابلة التجديد أو مع التجديد في مقابلة الإصلاح، أو أن نصنف الناس بأن هذا مصلح وهذا مجدد. لأن التغيير المنشود يحتاج إلى الإصلاح والتجديد معاً. وفي بعض الأحيان تختلف النسبة فنحتاج إلى الإصلاح بنسبة أكبر من التجديد أو العكس، أو نكون على حد سواء في الاحتياج إليهما معاً وبنسبة متساوية.

أثر اعتناء الدكتور علي جمعة بالقواعد الفقهية وتطبيقاتها على «منهجه الفقهي» :

إذا أردنا الوقوف على أثر اعتناء فضيلة الدكتور علي جمعة بالقواعد الفقهية على «منهجه الفقهي»، نظرنا إلى كلامه عن «القواعد الفقهية والتجريد الذهني» ؛حيث يرى فضيلته أنّ التقعيد سعي إلى إدراك الكل ، وعلى ذلك فهو انتقال من مستوى إلى مستوى أعلى منه في تدرج الفرد ، والنوع ، والجنس المنطقيين ، وهذا ما أسماه فضيلة الدكتور علي جمعة بـــ «التجريد ».

وعملية التجريد هذه محاولة : لبيان المشترك في الكثرة المبحوثة، كما يتم فيها إسقاط المشخصات، ويتم أيضًا مراعاة الفروق بين ما ظاهره التشابه، وكذلك مراعاة ما يدخل في القاعدة من فروع مع استثنائه ، حيث تعدُّ هذه الفروع عند إغفالها ، أو إغفال موجب استثنائها معطلة لعملية التقعيد،كما تراعى الجوامع ، وهو الجمع بين ما ظاهره الافتراق لنفس السبب[1]

(١) انظر: «المدخل إلى دراسة المذاهب الفقيهة»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة صـــ ٣٤٢، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع مصر .

وقد ذكر فضيلة الدكتور علي جمعة في كتابه : «المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية» محاولة لبيان عملية التجريد على قاعدة : «الميسور لا يسقط بالمعسور »، وهي المأخوذة من قوله ﷺ: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»، فقال فضيلته : « أقول في محاولة لبيان التجريد هذا، أورد فروعًا من تلك القاعدة ، وأبين كيف توصل الفقيه منها إلى التقعيد والصياغة المذكورة ، ثم ألحق بها ، أو شغلها ذلك التشغيل البديع بين الشافعية والحنفية

فمن فروعها :

١ – إذا كان مقطوع بعض الأطراف يجب غسل الباقي جزمًا

٢– القادر على بعض السترة يستر به القدر الممكن جزمًا

٣– القادر على بعض الفاتحة يأتي بها بلا خلاف

٤– لو انتهى في الكفارة إلى الإطعام فلم يجد إلا طعام ثلاثين مسكينًا، فالأصح وجوب إطعامهم ، وقطع به الإمام

فإذا قمنا بتحليل الفرع الأول إلى عناصر تُمَكِّن من «عملية التجريد» لوجدنا أن الفرع يتحدث عن بتر بعض الأطراف التي يجب غسلها ، وهنا يمكن أن تتصور عملية الغسل ، وترى فيها : ١– محلاً . ٢– أداة . ٣– فعلا

فالمحل هو العضو المغسول ، والأداة هى الماء ، والفعل هو الغسل ، وترى أن المحل قد ذهب بعضه وبقى بعضه في حين لم يتعرض الفعل ، ولا الأداة إلى النقصان ، فانتقالنا في التحليل من اليد إلى الطرف ، وهو كلي بالنسبة لليد ، ثم من الطرف إلى المحل وهو كلي له من ناحية .

وتصورنا لعناصر العملية التي ينتمي إليها الفرع من ناحية أخرى يمثل «عملية التجريد» التي إذا أكملناها بإسقاط المشخصات في الطرف الأول لتبقى لنا أن الباقى حكمه الفعل

وإذا تأملنا في الفرع الثاني تجد لدينا أداة، وهي السترة لمحل العورة، وفعل وهو الستر ، وأنّ الخلل والنقص هنا حدث في الأداة، وليس في المحل كما حدث في الفرع الأول .

ومع عملية التجريد بالسعب لإدراك الكلي، وإسقاط المشخصات تخرج بأنّ الباقي من الأداة «السترة» حكمه الفعل «الستر به»، وهو عين ما توصلنا إليه في الفرع الأول

وإذا تأملنا الفرع الثالث نجد أنّ الصورة تتكون أيضًا من فعل وهو : القراءة ، ومحل وهو : اللسان ، وأداة وهي : حروف الفاتحة .

وتجد أنّ ما يعيق الإتمام هنا قد يكون راجعًا إلى خلل في الفعل؛ حيث لا يقدر لأي عارض عن القراءة ، أو راجعًا إلى المحل بوجود آفة في اللسان ، أو الأداة بخلل في تحصيل حروف الفاتحة لعدم حفظ ، أو فهم ، أو استرجاع .

وترى الحكم عند وجود أي من هذه الأنواع من الخلل أنه يأتي بما يستطيع ، أي أنّ الباقي حكمه الفعل

والفرع الرابع : يحلل إلى محل ، وهو : ستون مسكينًا ، وأداة وهي : الطعام ، وفعل وهو الإطعام ، وقد يكون الخلل راجع إلى المحل حيث لا يوجد إلا ثلاثون ، أو الأداة حيث لا يملك أو لم يجد إلا ما يطعم الثلاثين ، أو الفعل وهو عدم القدرة على توصيل الطعام إلا إلى الثلاثين ، وترى الحكم في كل ذلك إنما هو أن الباقي حكمه الفعل

وعلى ما تقدم يمكن جمع هذه الفروع كلها تحت قاعدة واحدة مؤداها أنّ الباقي من المحل أو الأداة أو الفعل حكمه «الإيقاع»، ثم يأتي دور الصياغة ، وهي : تحويل ذلك إلى عبارة تشتمل على محسنات بلاغية ، أو بديعية ، وهي ما أسماها العلماء بعملية الترقيق والتنميق[1]، وترى هنا «الميسور لا يسقط بالمعسور» عبارة وجيزة ، وبها سجع

(١) الترقيق هو: صوغ المعنى بعبارة بليغة . والتنميق هو : إدخال المحسنات البديعية ليسهل انتشارها وحفظها.

بين الميسور والمعسور ، وفيها مقابلة وطباق بينهما

خامسًا : تغير الأحكام تبعًا لتغير الو اقع بعوامله المختلفة :

من له قليل نظر في الفقه الإسلامي لا ينكر تغير الأحكام بتغير الواقع بعوامله المختلفة، والمراد الأحكام التي يطرأ عليها التغيير، وهي عند فضيلة الدكتور علي جمعة : «الأحكام المبنية على الأعراف والعادات، والأحكام الاجتهادية التي استنبطت بدليل القياس أو المصالح المرسلة أو الاستحسان أو غيرها من الأدلة الفرعية، أما الأحكام التي لا تبنى على الأعراف والعوائد، والأحكام الأساسية النصية بالأمر أو النهي، فإنها لا تتغير بتغير الأزمان، ولا بتغير الأماكن، ولا بتغير الناس، كوجوب الصلاة والصيام والزكاة والجهاد والأمانة والصدق، وإباحة البيع والشراء، والرهن والإجارة، ووجوب الميراث وبيان أنصبتها، وغيرها من الأحكام المأمور بها، ومثل حرمة الزنا وشرب الخمر، وحرمة القمار والكذب وشهادة الزور والخيانة، وتحريم الفرار من المعركة، وتعاطي الكهانة وادعاء معرفة الغيب، وغيرها من الأحكام المنهي عنها»[(١)].

كما يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ الأحكام القطعية الأصلية، سواء الأمر أو النهي، وهي التي لا تتبدل بتبدل الأعراف والعادات، يمكن أن تتغير أساليب تطبيقها ووسائل تحقيقها باختلاف الأزمان، فمثلًا حماية الحقوق المكتسبة حكم قطعي كان يقوم به القاضي الفرد، أما في عصرنا هذا فقد تعددت درجات المحاكم من قاضي الصلح، إلى محكمة ابتدائية، أو محكمة الاستئناف، أو محكمة النقض وغير ذلك، فتغير الأسلوب ولم يتغير الحكم الأصلي[(٢)].

كما يرى فضيلته أيضًا أنّ الفقهاء لم يفتوا بمبدأ تغير الأحكام المترتبة على العوائد بما خالف المروي عن الأئمة، وإنما أفتوا بمخالفة النصوص الشرعية المعللة بالعرف

(١) انظر : مقال «عوامل تغير الفتوى إجمالًا»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

(٢) انظر : مقال « التأصيل الحضاري للتشريع الإسلامي..... تغير الفتوى»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

إذا تغير العرف للضرورة والمصلحة، وعللوا ذلك بالحاجة واختلاف الزمان وتغير الأحوال، وأن الحكم يتبع علته وجودًا وعدمًا(١).

وسوف يأتي بمشيئة الله تعالى مزيد تفصيل لهذه القضية وأسبابها وضوابطها وأبعادها وثمرتها في المبحث الذي تكلمتُ فيه عن جهود الدكتور علي جمعة في علم الإفتاء.

سادسًا: توسيع دلالة النص :

إنّ المتأمل في شخصية فضيلة الدكتور علي جمعة يجد أنّ عملية «توسيع دلالة النصوص» لديه هي أثر من آثار منهجه العلمي ، فعندما تحدَّث فضيلته عن المنهج ومفرداته، كان ما أسماه فضيلته بالعمليات المنهجية هو المحور الذي تقوم عليه عملية توسيع دلالة النصوص.

فيرى الدكتور علي جمعة أنّ العمليات المنهجية تقوم بتوسيع دلالة النصوص، وتتكون هذه العملية من خمسة أركان، نصل من خلال تشغيلها إلى مقصودنا، وهي :«التلقي، والفهم، والتحليل، والتجريد، والتشغيل »، وفيما يلي بيان ذلك :

١ـ التلقي، وهو التحصيل

٢ـ الفهم، وهو حصول صورة الشيء في الذهن، مع حسن تصور معنى هذه الصورة .

٣ـ التحليل، هو: تقسيم النص إلى عناصر ورد هذه العناصر إلى أصولها .

٤ـ التجريد، هو: نزع المُشخصات .

٥ـ التشغيل، هو: تفعيل ما سبق.

---

(١) انظر: المصدر السابق .

وقد ضرب فضيلة الدكتور علي جمعة أمثلة عديدة لهذه العمليات، منها: قوله ﷺ : « دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ »[1].

عناصر النص النبوي	التحليل	التجريد	التشغيل
امرأة	الفاعل	إنسان	يُعاقب الإنسان حينما يؤذي الحيوان
هرة	المفعول به	حيوان	
حبستها	الفعل	إيذاء	
دخلت النار	الجزاء	العقاب	

فالمتأمل في هذا الشكل التقريبي «للعمليات المنهجية» التي خضع لها النص يجد أنّ دلالة النص قد اتسعت؛ فالمرأة بعد التجريد أصبحت إنسانًا، وكذلك الهرة أصبحت حيوانًا،والحبس أصبح إيذاءًا، والنار جزاءًا، فهذه هي وظيفة المنهج العلمي الذي يقوم بتوسيع دلالة النص، وبتوسيع مدارك الطالب، فعملية توسيع النصوص من أهم معالم المنهج الفقهي عند الدكتور علي جمعة .

(١) أخرجه البخاري (٣٣١٨)، ومسلم (٢٢٤٢).

المطلب الثالث

التجديد الفقهي عند الدكتور علي جمعة

جاءت الشريعة الإسلامية بمدح التجديد، وبيان أهميته، بل إنّ نصوص الشرع الشريف

نفسها تؤكد ذلك المعنى، فتارة يحدثنا الشرع الشريف عن التجديد باعتباره أمر واجب التنفيذ، ويحث عليه المسلمين وذلك في مقام الإيمان، فإنّ الإيمان نفسه يبلى ويَخْلق ويحتاج إلى أن يجدد في قلوب الموحدين، وذلك في قول النبي ﷺ لأصحابه : «جددوا إيمانكم، قيل يا رسول الله : وكيف نجدد إيماننا. قال : أكثروا من قول لا إله إلا الله»[١].

وتارة يحدثنا الشرع عن التجديد في الدين على أنه نعمة يمن الله بها على هذه الأمة الخاتمة، ومن هذا قول النبي ﷺ « إِنَّ اللهَّ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا »[٢].

منذ ذلك الحين وعلماء الأمة يمتدحون التجديد، ويرون أنه أمر ديني ونعمة من نعم الله علينا، والتجديد لم يكن قط موضع اتهام وريب في العصور الصالحة، أما في ذلك العصر النكد الذي نعيش فيه، والذي أخبرنا بقدومه الصادق المصدوق، وهو عصر التزييف والتلفيق والخداع، فأصبح الحليم حيرانًا؛ لأن الناس يسمون الأشياء بغير أسمائها فكما قال النبي ﷺ : « إن أناسًا من أمتي يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده(٨٧١٠)، والحاكم في مستدركه (٧٦٥٧).

(٢) سبق تخريجه .

(٣) أخرجه النسائي في سننه (٥٦٥٨)، وأحمد في مسنده (١٨٠٧٣) واللفظ له .

وقد تُعدُّ قضية « التجديد الفقهي » من أهم وأخطر القضايا التي نحتاج إليها في عصرنا الذي نعيش فيه؛ بل إننا في أحوج الحاجة لمثل هذا التجديد حتى نعيش الواقع الذي حولنا، ونحقق مقاصد الشرع الشريف من غير شطط، لا بترك النصوص، ولا بالخروج من هويتنا، ولا بالتخلف عن عصرنا، ونحن لدينا في «تراثنا الفقهي» الكثير من الكنوز، التي لا نحسن عرضها على الآخرين؛ ذلك لعدم وضوح مصطلح «التجديد الفقهي» عند كثير من المعاصرين، ولفقد البعض إدراك الضوابط المحددة «للتجديد الفقهي» الذي قد تنطلق بنا إلى آفاق بعيدة مع الحفاظ على احترامنا لسلفنا الصالح وتراثنا العظيم ولمصادرنا الشرعية بكل ما تعني هذه الكلمة من معاني .

وعلى الرغم من أنّ قضية « التجديد الفقهي » من القضايا الشديدة في التعقيد، والتركيب، والصعوبة، قام فضيلة الدكتور علي جمعة، بإلقاء محاضرة علمية تحت هذا العنوان، كما تناولها في العديد من كتاباته، ومحاضراته العلمية؛ حيث بيَّن ووضَّح فضيلته كل مايدور حول هذه القضية بالتفصيل، كما وضع لنا القواعد والضوابط التي نستطيع من خلالها أن نُخرج الأمة من أزمتها وورطتها، ونمكنها مرة أخرى من أن تؤدي دورها الحضاري، الذي يحتاجه العالم كله، وبناءً على ذلك سوف أتناول بمشيئة الله تعالى في هذا المطلب مفهوم قضية التجديد الفقهي عند الدكتور علي جمعة، ورؤيته لتجديد الفقه الإسلامي، وضوابط هذا التجديد وثمرته، وفيما يلي بيان ذلك :

أولًا. مفهوم التجديد الفقهي عند الدكتورعلي جمعة.

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ قضية «التجديد الفقهي» ليست قضية طارئة، ولا خارجة عن الإطار الإسلامي، لا في مصادره ، ولا في التجربة التاريخية التي مر بها الإسلام؛ حيث إنّ المتأمل في سير أعلام الأمة الإسلامية يجد أنهم قد بذلوا جهودًا تجديدية قد خدمت واقعهم ، وأنهم التزموا بضوابط كثيرة، ينبغي علينا أن نتأملها، وأن

نتدبرها، وأن نجرد ما فيها من معاني، وأن نحولها إلى مناهج متبعة حتى ولو تجاوزنا بها أزمانهم ومسائلهم التي كانت تشغل بالهم، أو التي كانت محل صراعهم، أو نزاعهم ،أو جدالهم ، أو مناقشتهم[١] .

وعن هذه التجربة التاريخية لعلماء الإسلام في «قضايا التجديد» يقول الدكتور علي جمعة:« عندما ننظر إلى التجربة التاريخية لعلماء الإسلام في «قضايا التجديد» نجد أنّ الإمام الغزالي[٢] المُتوفي «سنة ٥٠٥ هـ» يؤلف كتابه الممتع« إحياء علوم الدين » الذي صار بعد ذلك دستورًا لكثير من المسلمين، ولقطاع كبير منهم،وذلك بعد أن رأى الإمام الغزالي أنّ الفقه قد انفصل عن المقاصد النفسية والشعورية التي تدعو المؤمن للتقوى والخشوع والورع وإلى عبادة الله، بعد أن غفل الفقه عن هذا وخلا منه وأصبح جسدًا بلا روح »[٣].

لقد ضرب فضيلة الدكتور علي جمعة لنا مثالًا للتجربة التاريخية لعلماء الإسلام في «قضايا التجديد» من خلال عرض بعض جهود الإمام الغزالي ، ونحن الآن أمام

(١) انظر: «ضوابط التجديد الفقهي» لفضيلة أ.د/ علي جمعة،صـ٧، وأصل هذا الكتيب محاضرة ألقاها فضيلته بالجمعية الخيرية الإسلامية، بتاريخ «١٥/ ١٢/ ٢٠٠٣م»، وهو متوفر على شبكة الإنترنت

(٢) هو : حجة الإسلام مجدد المئة الخامسة بلاجدال الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، وُلد عام «٤٥٠هـ» بقرية غزالة من قرى طوس بخراسان، ثم رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته، ومات بها سنة«٥٠٥ هـ »، تتلمذ على إمام الحرمين الجويني، وللإمام الغزالي مؤلفات كثيرة ،منها: إحياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة ، والاقتصاد في الاعتقاد، ومحك النظر، معارج القدس في أحوال النفس، ومقاصد الفلاسفة، المضنون به على غير أهله،والبسيط، والمنقذ من الضلال، وبداية الهداية، وجواهر القرآن، وفضائح الباطنية، والتبر المسبوك في نصيحة الملوك، وأيها الولد، ومنهاج العابدين، وإلجام العوام عن علم الكلام، والمستصفي من علم الأصول، والمنخول من علم الأصول، والوجيز، وأسرار الحج، وعقيدة أهل السنة، وميزان العمل، والمقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، وغير ذلك من المؤلفات رحمه الله تعالى .

(٣) انظر: «ضوابط التجديد الفقهي» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ٦ .

سؤال هو : ماهو مفهوم التجديد الفقهي عند الدكتور علي جمعة ؟

إنّ مفهوم « التجديد الفقهي » عند فضيلة الدكتور علي جمعة هو : التجديد في القوالب والوسائل التي نعرض فيها فقهنا الإسلامي، فعلى هذا يدور أساس «التجديد الفقهي» عند فضيلته؛ حيث يقوم على إدراك الواقع الذي تغير تغيرًا جذريًا في أقل من ثلاثة قرون، وكأنَّ الدنيا منذ بدء الخليقة وحتى قرابة ثلاثة قرون لم تتغير بهذا الشكل السريع المخيف الهائل، ثم الربط بين النصوص الشرعية وهذا الواقع، ومراعاة الفقيه لمقاصد الشريعة العليا في فتواه، ومراعاته لجهات تغير الفتوى الأربعة «الزمان، والمكان، والأشخاص، والأحوال»[1] .

ثانيًا رؤية الدكتورعلي جمعة في تجديد الفقه الإسلامي.

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ «التجديد الفقهي» لا يتحقق إلا بإدراك ثلاثة عناصر ينبغي أنْ تتضح في أذهاننا وضوحًا تامًّا ،كما ينبغي المزج بينها، وهي :

١ـ المصادر.

٢ـ إدراك المصادر في ظل إدراك الواقع.

٣ـ ربط المصادر بالواقع .

وقد تناول فضيلته الحديث عن هذه العناصر باستفاضة في كثير من لقاءاته ومحاضراته وكتاباته؛ لذا سوف أذكر تفصيل كلامه في كل عنصر من هذه العناصر، و فيما يلي بيان ذلك :

١ـ المصادر :

إنّ علم الفقه موضوعه فعل المكلف ، وفعل المكلف أمر واسع لأنّ المكلف

---

(١) انظر: المصدر السابق .

يمارس في حياته كل الأنشطة ويمارس بأفعاله كل مناحي الحياة، وعلى ذلك فنحن في حاجة إلى بيان الممنوع والمشروع في هذه الأفعال : افعل ولا تفعل ، وهنا يأتي دور الفقه الذي يصف الأفعال البشرية بالحظر أو بالإباحة وهذه الإباحة قد تصل إلى حد الوجوب أو الندب وقد تصل أيضًا إلى الكراهة وهذا الحظر قد يكون حرامًا وقد يكون أيضًا مكروهًا فالأحكام خمسة : الواجب ، والحرام ، والمباح ، والمندوب ، والمكروه . إذًا أمامنا أحكام خمسة نصف بها أفعال البشر جميعًا في أي مجال كان . فكيف ذلك ؟ يتأتى هذا بإدراك ثلاثة أركان أو عناصر أو أقطاب ينبغي علينا أن تتضح في أذهاننا وضوحًا تامًّا ما تغيب على كثير من الناس ، أول هذه الأركان : المصادر الشرعية، والمصادر الشرعية المرعية التي وردت إلينا إنما هي القرآن والسنة، فالقرآن والسنة مصدران معصومان، وهناك مصادر أخرى كباقي أدلة الفقه المعتبرة، كالإجماع والقياس والمصالح المرسلة، وهناك مصادر تعدُّ التطبيق العملي لاستنباط الأحكام من هذه المصادر وهي التراث الفقهي الموروث، فالمجدِّد يضع هذه المصادر أمامه ولا تغيب عنه أثناء قيامه بعملية التجديد، وكذلك عليه ألا يغيب عن الواقع، وهو العنصر الثاني الذي سنتحدث عنه فيما يلي .

٢ـ إدراك المصادر في ظل إدراك الواقع :

لم يهتم الفقهاء القدماء ببيان الواقع، لأن هذا ليس من مسائل علم الفقه، بل إنهم اهتموا بالتنبيه على إدراكه، فدائمًا يُنبهون إلى أن ندرك هذا الواقع ولا يصوغون لنا ما الواقع، وعندما تتبعتُ كلام فضيلة الدكتور علي جمعة عن الواقع وإدراكه وجدتُ فضيلته يرى أن الواقع يشتمل على خمسة عوالم، قال فضيلته : « يشتمل الواقع على عوالم خمسة وهذه العوالم الخمسة قد جاءت بالاستقراء، ومعنى أنها قد جاءت بالاستقراء أنه يمكن زيادتها في كل عصر ويمكن زيادتها عند كل إنسان يرى مدخلاً آخر لدراسة الواقع إذًا فهذه الخمسة سنذكرها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر أو على سبيل

الطاقة الذهنية وليس على سبيل منع الغير من أن يضيف إليها أو يتعمق فيها أو يفصل أو يقتصر على بعضها إلى آخره فهي مداخل لا تمنع أحدًا من التفكر فيها ابتغاء الإدراك الصحيح للواقع المعيش. وهي : عالم الأشياء ، وعالم الأشخاص ، وعالم الأحداث ، وعالم الأفكار ، وعالم النظم . وهذه العوالم الخمسة لها مناهجها »(١).

لقد تناول الدكتور علي جمعة الحديث عن مكونات الواقع والمناهج المتعلقة بكل عالم بالتفصيل، في كثير من مقالاته، وكتبه، وأبحاثه، وتسجيلاته، ولعل السبب في هذا الاهتمام هو أهمية إدراك الواقع في فهم علوم الدين؛ لذلك سوف أعرض شيئًا من كلام فضيلته عن كل عالم من العوالم الخمسة التي سبق ذكرها، وفيما يلي بيان ذلك :

أ-عالم الأشياء : وهو على سبيل التقريب لا التحقيق : «الكون وما فيه» فالسيارة، والطائرة، والسجادة، والمصباح... وغيرها أشياء، ومن عالم الأشياء ما يمكن أن نتملكه؛ ولذلك فالحيوانات والبهائم، كالبقرة، والحصان، وغيرها أيضًا من عالم الأشياء(٢).

وقد يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ التعامل مع «عالم الأشياء» قد يكون بالمنهج التجريبي، وقد يكون المنهج التجريبي الذي اكتشف فيه الإنسان الحقائق عن طريق المجهر سواء كان التلسكوب أو الميكروسكوب. سواء في عالم المجرات أو في عالم الذرة. قد يكون هو المنهج الذي أثبت نجاحه وهو الذي اقتصرت عليه مدلول كلمة science في اللغة الإنجليزية ، بل اعتبر بعض الفلاسفة أن حضارة الإنجليز المتقدمة الآن لما تقدم الساكسون وتأخر غيرهم تعتمد على ال science فإنها حضارة اعتمدت على ما ترجمناه نحن بكلمة علم ، وعلم في اللغة العربية ليست هي تمامًا الـ science بل هي أمر آخر يوصل إلى اليقين سواء كان من المنهج التجريبي أو من غيره من المناهج(٣).

---

(١) انظر: «ضوابط التجديد الفقهي» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ٨.

(٢) انظر: « وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، صـ ١٢٥، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع.

(٣) انظر: «ضوابط التجديد الفقهي» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ٨.

ب – عالم الأشخاص : والأشخاص تشمل الإنسان، وفي عصرنا الحاضر أصبح لدينا شخصيتان: شخصية طبيعية لها ذِمَّة، لها عقل، لها نَفْسٌ ناطقة، لها محاسبة عند الله. وشخصية اعتبارية نشأت في صورة الشركات التي تطورت بعد ذلك إلى شركات المساهمة، والشركات العابرة للقارات، والمصارف، وبدأت تنفصل انفصالًا شديدًا عن أصحابها حتى مثَّلتْ شخصيةً موجودة؛ لكنها على الرغم من وجودها، فإنَّـها شخصية اعتبارية، أو شخصية معنوية؛ فيجب علينا أن نفهم الفرق بين الشخصيتين[1].

يرى فضيلة الدكتور أنّ هذا العالم له أهمية عظيمة ؛لأنه متعلق بالإنسان، والإنسان فريد في التصور الإسلامي لأنه مخلوق قد كرمه ربه : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[الإسراء:٧٠]،فالإنسان هو بنيان الرب سبحانه وتعالى وهذا الإنسان مميز بأنه قد خالف البهائم وقد خالف عالم الجماد وقد أصبح مكرمًا بحمل الأمانة : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[الأحزاب:٧٢]؛لأنه لم يهيئ نفسه بعد هذا التحمل للقيام بها : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾[التين]، فمن هنا ينبغي علينا أن ندرك أنّ عالم الأشخاص له منهج آخر وهذا هو ما يدعو له الطب الحديث؛ حيث خرج من دراسة جزئيات الأمراض إلى دراسة الإنسان ككل، وإلى الخروج من الطرق الإمبريقية الحادة التي سيطرت على فكر الطب ردحًا من الزمان، إلى الطريقة الإنسانية وأنه ينبغي علينا أن نراعي في هذا الطب الإنسان كإنسان؛ لأنه مختلف وغير متكرر ولا يصلح لهذا ما قد يصلح لهذا، ولأجل ذلك بدأ الطب الحديث يعدل كثيرًا من مفاهيمه حتى في مجموعات الأدوية وحتى في التعامل مع الإنسان تشخيصًا وعلاجًا وتعاملاً وتفاهمًا، مما يعطينا

---

(١)انظر : « وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، صـــ ١٢٥، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع.

إشارة للنظر في مجال التعامل الشرعي مع الإنسان بتلك الاعتبارات(١).

ج- عالم الأحداث : والأحداث هي : الأمور التي تدور حولنا: الدولار انخفض سعره أو غلا، هناك حرب قائمة في المنطقة الفلانية، هناك احتلال تم من جيوش العدو للمنطقة الفلانية، هناك مؤتمر سوف يُعْقَد في مكان كذا يتحدث فيه المشاركون عن أحداث معينة، فمثل هذه الأحداث لها منهج للتعامل، ولها اعتبار؛ لأنَّ هذه الأحداث يكتنفها الزمان، ويكتنفها المكان، وتكتنفها الأحوال، وتكتنفها الأشخاص لأنَّهم قائمون بها أيضًا، فالأحداث مركبة من هذا كلِّه؛ ولذلك لا بد ونحن ندرس الحدث أن ندرس زمنَ هذا الحدث ومكانَه، وأيضًا ندرس الأشخاص القائمين بهذا الحدث، وندرس الأحوال التي اكتنفت هذا الحدث. هناك حالة حرب وهناك حالة سِلْم، هناك حالة صحة وهناك حالة مرض، هناك حالة رواج اقتصادي وهناك حالة كساد، هناك حالة فقر وهناك حالة غنًى، هناك حالة علم وهناك حالة جهل، هناك حالة اضطرار وهناك حالة اختيار... وهكذا. أحوال كثيرة، وينبغي أن تدخل كل هذه الأمور في إدراك الواقع(٢).

يرى فضيلة الدكتور أنّ الأحداث يمكن أنْ يكون لها مناهج لفهمها وتحليل مضمونها وربطها ومعرفة مآلاتها وكيف نتعامل معها حتى ننظر في النهاية إلى قضية الفعل البشري «نفعل أو لا نفعل» بمقياس المصالح وبمقياس تحقيق المنافع وبمقياس تحصيل اللذات ووسائلها في إطار الإباحة ودفع الآلام ووسائلها(٣).

د- عالم الأفكار : يرى فضيلة الدكتور أنّ عالم الأفكار عبارة عن فلسفات كثيرة، ورؤى كثيرة مرتبطة بنموذج مَعْرِفيٍّ، وإطارٍ كليٍّ للإنسان وللكون وللحياة، ولِما قبل ذلك ولِما بعد ذلك، هذه الأفكار تجيب في بعضها عن الأسئلة الكبرى -والأسئلة

(١) انظر: «ضوابط التجديد الفقهي» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ٩.
(٢) انظر: « وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، صـ ١٢٦، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع.
(٣) انظر: «ضوابط التجديد الفقهي» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ٩.

الكبرى هي: من أين نحن؟ وماذا نفعل الآن؟ وماذا سيكون غدًا؟- هذه الأفكار متشابكة متشعبة[١].

فيرى فضيلة الدكتور أنّ عالم الأفكار له مناهج للتعامل معه : فهناك منهج المقارنات، وهناك منهج المقاربات ، وهناك منهج الانتقاء العشوائي، والمقصود بمنهج المقارنات فلسفة الصراع ومصادرة الحق، أما المقاربات : فيقصد بها المكابرة واعتقاد الكمال في أنفسنا، ويقتضي منها أنه لا يصل أحد من البشر إلى شيء ما إلا ونحن قد وصلنا إليه قبله، وهكذا إلى أن يمثل هذا حجابًا لنا عن الاستفادة حتى عن القبول والرفض ، وهذه المناهج كلها فاسدة باطلة ينبغي علينا أن نتخلى عنها إذا أردنا أن نتعامل مع الأفكار السائدة أو السائرة أو المهيمنة في بعض الأحيان أو القادمة في أحايين آخرى ، ينبغي علينا أن ندشن هذه المناهج للتعامل بحيث تكون مناهج أصلية مؤسسة من غير رد فعل ومن غير مقارنات أو مقاربات أو انتقاء عشوائي .[٢]

هـ- **عالم النظم** : يرى فضيلة الدكتور أنّ عالم النظم هو النظام الاقتصادي، والاجتماعي، ،والسياسي، ونظام الصحة، ونظام الأمن في البلاد وهكذا [٣].

هذه هي عناصر الواقع عند فضيلة الدكتور علي جمعة ، لكن الواقع ليس محدَّدًا بهذه الكيفية؛ بل إنَّه متداخل، شديد التركيب، شديد التعقيد، شديد التطور، شديد التغيُّر، شديد التدهور في بعض الأحيان؛ ولذلك فهناك عَلَاقاتٌ بينية بين كل عنصر من هذه العناصر ، وهذه العَلَاقَات البينية تجعل هناك فارقًا بين «الْفِعْل الْبَشَرِي» وبين «التَّصَرُّف الْبَشَرِي»، فمثلًا عندما يأتي شخص ويقول: كيف أصلي ركعتين؟ أو يقول: هل يجوز لي أن أبيعَ أو أشتريَ السلعة الفُلانية بالطريقة الفلانية؟ أو يقول: أريد أن

---

(١) انظر : « وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، صـــ ١٢٧، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع.

(٢) انظر: «ضوابط التجديد الفقهي» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ ١٠.

(٣) انظر: المصدر السابق.

أسأل عن فكرة التأمين، أو فكرة المصرفية، أو فكرة الشخصية الاعتبارية... وهكذا؛ فإنَّه يسأل عن أفعال بشرية يقوم بها البشر، وهذه الأفعال سهلة التناول، لكن عندما يسألني عن العَلاقات الدولية، أو عن أحداث قائمة؛ فلا بد حينها من دراسة الواقع الذي يحيط بالسؤال، وهناك فرق كبير بين الفتوى وبين الرأي. نعم.. قد يكون عندي رأي في هذه الأمور، لكن الفتوى معناها: بيان الحكم الشرعي؛ وحينئذٍ فلا بد أن أدرس كلَّ هذه الخريطة، فإذا لم يكن لديَّ قدرةٌ، أو لم يكن لديَّ الأدوات لدراسة عناصر التصرفات؛ فإنَّني لا أستطيع أن أنشئ فتوى لهذا الفعل الذي هو وسط هذه التصرفات[1]، وعليه كان إدراك المصادر في ظل إدراك الواقع جزء لا يتجزأ من عملية التجديد الفقهي عند الدكتور علي جمعة .

٣ـ ربط المصادر بالواقع :

القضية الثالثة وهي المهمة بل الأهم قضية الربط بين المصادر، وإدراكها وإدراك الواقع، فلا يكفي لواحد أن يعيش مع المصادر ويتدرب على كيفية استنباط واستثمار الأحكام الشرعية المرعية منها، دون أن يدرك الواقع، ويعيش فيه بدقة ويتنبأ بدراسته المستقبلية عما سيكون فيصح تنبؤه دائمًا ويستعمل الـ back casting في الـ Fore casting ولا يكفي هذا لإحداث الفقه الجديد بل لابد أن يعيش رابطًا بين هذا الذي استثمره وبين الواقع المعيش .

فمن هنا يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ إدراك الواقع قد يمثل في ذهن ذلك المجدِّد مرحلة التصوير، فإنه يريد أن يتصور الواقع على ما هو عليه، ولا يتكلم ويهرف بما لا يعرف ، ويوقع كلامًا مكتوبًا في الكتب على واقع قد تغير تغيرًا شديدًا ولم يعد هو المذكور في الكتب، وبعد أن يتم ذلك الربط والتصوير ينبغي على المجدِّد أن يكيف ما

---

(١) انظر : « وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، صـ ١٢٨ ، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع.

صور بعد أن يعرف المشكلة، فالطبيب يلجأ إلى التشخيص ، والتشخيص هو مرحلة التكييف عند المجدِّد، ثم بعد ذلك يظهر حكم الله في مثل هذا الأمر .

وبهذا العرض أكون قد انتهيتُ من الكلام عن رؤية فضيلة الدكتور علي جمعة لتجديد الفقه الإسلامي .

ثالثًا: ضوابط التجديد الفقهي عند فضيلة الدكتورعلي جمعة.

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ «ضوابط التجديد» التي ينبغي توافرها عند عملية التجديد تنحصر في أمرين ، هما :

الأمر الأول : هو التزامنا الأدبي والأخلاقي أمام الله عز وجل، بأننا ورثة لهذا التراث الطيب، الذي قام به أئمتنا وعلماؤنا عبر التاريخ من لدن الصحابة الكرام وإلى يومنا هذا، وهذا التراث والنتاج الفكري عاش عصره وأدى كل إمام واجب وقته، ولا ينبغي إطلاقًا إذا ما رأينا اختلافاً في المسائل التي نعيشها أن نتهمهم بالقصور أو التخلف، أو مثل هذه الدعاوى التي تخالف الواقع والحقيقة، فهم أدركوا واقعهم إدراكًا دقيقًا، وساروا في المنهج العلمي الذي يتلخص عندهم كما تقرر في تعريف مدرسة الرازي لأصول الفقه بأنه أولًا : إدراك مصادر البحث، ثانيا: كيفية طرق البحث، ثالثا : شروط الباحث، وهي الثلاثة التي أشار إليها «روجرز بيكون» بعد ذلك، فإنّ أصحاب الرازي يعرفون أصول الفقه بأنه : « معرفة دلائل الفقه إجمالًا، وكيفية الاستفادة، وحال المستفيد » هذا كلام البيضاوي في المنهاج، والرازي في المحصول .[١]

فمن هنا يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ هذا هو المنهج الذي ينبغي علينا أن نسير عليه في عملية «التجديد الفقهي»، كما سار أسلافنا، ونقوم بواجب وقتنا كما قاموا بواجب

(١) انظر : « نهاية السول شرح منهاج الوصول » للإمام الأسنوي، صـــ ٧، طبعة دار الكتب العلمية -بيروت- لبنان. وانظر أيضًا : « المحصول في علم الأصول » للإمام الرازي (١/ ٩٤)، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية -الرياض، تحقيق أ.د/ جابر طه العلواني .

وقتهم. فيجب علينا أن نتعلم منهم كيف كانوا يفكرون ؟ وكيف تعاملوا مع هذه المصادر ؟ وما الضوابط والخطوط والأطر التي لا يمكن أن نتعداها؟ وما المجالات التي يمكن فيها الخلاف ؟ وفي نفس الوقت لا نجمد على مسائل عصرهم التي ارتبطت بواقعهم، والتي لا تنسجم مع واقعنا بسبب الثورة الهائلة في الاتصالات والمواصلات والتقنيات الحديثة، وخاصة بعد نشوء الشخصية الاعتبارية واستقرارها بهذا الشكل، وبعد وجود هذه الشركات عابرة القارات، وهذه الطرق السريعة والحديثة في التمويل عبر البنوك. كل تلك الأشياء تسببت في تغير الواقع المعيش تمامًا عما كان مما يحتم علينا إدراك هذا الواقع الجديد، والتعامل معه بمنهج السلف الصالح؛ حتى نصل إلى المقاصد الشرعية التي ينبغي أن نصل إليها(١).

كما يرى الدكتور علي جمعة أنّ «التجديد الفقهي » لابد أن ينطلق من دائرة العلم الموروث وهو: «أصول الفقه»؛ حيث إنّ الأساس في هذا العلم هو إدراك النص، وتحديد الحجة، فالحجة هي الكتاب والسنة؛ ولا يمكن التعامل مع الحجة إلا من خلال علوم التوثيق الخاصة بهذين الأصلين «الكتاب والسنة»، وعلم أصول الفقه يجيب عن أسئلة مهمة خاصة بتوثيق تلك الحجة مثل : ما الفرق بين القراءة المتواترة والشاذة ؟ وما الفرق بين الحديث الصحيح والضعيف ؟ وما الذي يكون محل قطع ؟ وما الذي يكون محل ظن؟(٢)

فعلم أصول الفقه بعد هذا التوضيح هو الأساس لفهم النص الذي هو مصدر البحث، وهو تحصيل حكم الله في أعمال البشر، ولكن هناك واقع معيش بعوالم متشابكة له سمات : عالم الأشخاص، والأشياء، والأحداث، والأفكار،والرموز، هذه العوالم الخمسة متصفة بالتطور والتركيب والتعقد والتغير والتجاوز والنسبية والتقاطع في نحو ثلاثين صفة لهذا العصر .

---

(١) انظر : « تجديد الفقه أحد مكونات تجديد الخطاب الديني» لفضيلة أ.د/ علي جمعة لم يطبع.

(٢) انظر : المصدر السابق.

كما يرى فضيلته أيضًا أنه ينبغي على المجتهد أن يكون لديه القدرة على النظر في النص وطريقة فهمه، وفي الواقع وطريقة فهمه، ثم عليه أمر ثالث وهو كيفية الوصل بينهما، وعليه أيضًا أن يدرك كيف يغير هذا الواقع بمؤسسات، وبأفكار، وبعقود تتواءم مع هذه الأحكام التي قد حصلها من النص .

هذا الواقع يدفع العالم أن يبدع ولا يبتدع، فيبدع بمعنى أن ينشئ ما لم يكن قد نشأ من قبل، ولا يبتدع بمعنى ألا يخرج عن مقتضيات ذلك النص الكريم الشريف وهو الوحي؛ إذ أن هذا يحتاج منا أن نعرف أنّ مصادر معرفتنا هي : الوحي والكون معًا، وأنّ الوحي هو كتاب الله المسطور، والكون هو كتاب الله المنظور، وكلاهما قد صدر عن الله تعالى هذا عالم الخلق وهو الكون، وذلك عالم الأمر وهو الوحي، ولذلك لا تناقض بينهما، فهما مصدران من مصادر المعرفة لدى المسلم.[1] وقد أشار الكتاب العزيز إلى هذين المصدرين فقال تعالى : ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[الأعراف:٥٤].

الأمر الثاني : وهو أننا متمسكون بالحفاظ على هويتنا، ولا نريد محو ثقافتنا وتراثنا، فنستعمل أصول الفقه لفهم النص المقدس، ونستعمل عقولنا بأدوات شتى قد لا تكون معنا الآن لإدراك واقعنا، فإنّ عناصر النموذج المعرفي الإسلامي تختلف وتتقاطع مع بعض الأديان والمذاهب الأخلاقية، هذا الذي ينحى قضية الألوهية، ولا أقول ينكرها، وينحى قضية الغائية، وينحى قضية الإطلاق، ويقول بالنسبية، وينحى قضية الآخرة، ويعيش للدنيا فقط. مما يترتب عليه اختلاف في النظام والتحليل والسلوك اختلافًا تامًا عن النموذج المعرفي الإسلامي، فالمسلم عندما يكون متشبعًا بهذا النموذج المعرفي يكون صاحب قضية يلتزم بالعمل من أجلها أمام الله ثم أمام الناس.

---

(١) انظر : المصدر السابق.

فمن هنا يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنه كان ينبغي أن تكون أداتنا لفهم الواقع مختلفة، ولكن جامعتنا تدرس العلوم الاجتماعية والإنسانية على نفس النموذج المعرفي الغربي، وليس على النموذج المعرفي الإسلامي؛ لأنّ إدخال هذا النموذج إلى حيز التدريس في الجامعات يحتاج إلى ما يمكن أن نسميه بالصناعات الفكرية الثقيلة، التي تحتاج إلى بناء أسس هذه العلوم بناءً مؤسسًا على الواقع وإدراكه بصورة قوية صناعية كأصول الفقه الذي وضعه علماؤنا، وتوجه الشافعي بالرسالة ثم بعد ذلك توجه بهذا التراث الضخم بعد ذلك، ونحن في عصرنا هذا نفتقد هذه الأداة، فإنّ أصول الفقه يوفر للمجتهد ما يحتاجه لفهم النص، ولكن ليس هناك ما يوفر فهم الواقع، فغياب هذه الأداة يفسر لنا كثيرًا من أسباب اختلاف العلماء في المجامع الفقهية، وإنكار بعضهم على بعض فمدى إدراك الواقع هو أساس اختلاف الفتوى في العصر الحديث.[١]

إنّ واجب وقتنا هو بناء أداة لإدراك الواقع، وبتأمل الواقع نجد سمات أساسية واضحة تصل إلى ثلاثين سمة منها : التجاوز، والجوار، والنسبية، والتغير، والتركب، والتقاطع، والتطور، .... إلخ، وهذه السمات منها السلبي، ومنها الإيجابي، فينبغي أن ندرك المساحة السلبية في تلك السمات حتى نتمكن من تنحيتها بقدر الإمكان، أو تفاديها، وكذلك ندرك المساحة الإيجابية التي يمكن أن نستعملها لتمكين الدين والمنهج الذي أمرنا الله به في حياتنا الدنيا.

ويرى الدكتور علي جمعة أنه يجب على «المجدِّد» أثناء «التجديد» أن يكون له سقف وخط لا يتعداه، ألا وهو نص الكتاب وصحيح السنة بعد توثيقها وقبول هذا التوثيق، فلا يمكن أن نقبل الخروج عن القطعي الذي في الكتاب والسنة؛ ولذلك لابد أن نضيف من ضوابط الاجتهاد الفقهي الإجماع، فالإجماع ضابط مهم جدًا، فلا يجوز لنا الخروج عليه بحال من الأحوال.

---

(١) انظر: المصدر السابق .

كما يرى فضيلته أنه ينبغي على «الفقيه المجدِّد» الاهتمام باللغة العربية التي نزل بها النص؛ لأنّ هناك طوائف من الذين ادعوا «التجديد» قدحوا في دلالات اللغة، ومن هنا يبدأ الخطأ؛ حيث يتسع المجال لكل من شاء أن يقول في دين الله ما شاء، فلا نقبل دعوى التلاعب باللغة، وهي ما يدعو إليها معسكر ما بعد الحداثة؛ حيث تمثل هذه الدعوى القدح في دلالات اللغة، وليست اللغة العربية وحدها إنما أي لغة يريدون جعل وظيفة اللغة مجرد التلقي، واللغة في الحقيقة الأداة والتلقي، فالاستعمال من صفة المتكلم، والحمل من صفة السامع، والوضع قبلهما، وبذلك فإنهم يسعون إلى تفسير النص الشريف حسب انطباعات المفسر، دون الالتزام بدلالات اللغة، فنستطيع أن نقول إن النص الشريف، والإجماع، ودلالات اللغة، وهي مع ما يأتي أسقف ينبغي للمجتهد ألا يتعداها .[(١)]

كذلك يرى أنه ينبغي على «الفقيه المجدِّد» مراعاة مقاصد التشريع؛ إذ تمثل النظام العام وهي : حفظ النفس، والعقل، والدين، والعرض، والمال.

فهذه القواعد هي خلاصة ضوابط «التجديد الفقهي» عند فضيلة الدكتور علي جمعة، وهذه القواعد يتفرع منها قواعد أخرى، فلابد «للفقيه المجدِّد» من إدراك المنهج، ولابد له من عملية التجريد التي تسقط المشخصات، كما لابد له من النظر إلى المآل،و لابد له من النظر إلى المصالح، و من إدراك مراتب هذه المقاصد، وأنّ منها ضرورة وحاجة وتحسين ودرجات العلاقات البينية بينها وهو ما لم يتم إلى الآن.

فكل ما كُتب عن المقاصد يتكلم عن المقاصد ومراتبها، ولكن لا يتكلم عن العلاقات البينية، فهذا يحتاج إلى عمل كبير حتى نستطيع أن نُفعلها، أي : نجعلها أداة أو آلة ، إذا حدث هذا فهذه بعض ضوابط الاجتهاد ولابد أن تكتمل من إدراك النص،

---

(١) المصدر السابق .

وإدراك الواقع، ومن الوصل بينهما، لابد أن يكون تحت سقف صريح النص، والإجماع، واللغة، والمقاصد، والمصالح، والمبادئ، والقواعد.

فإذا كان الاجتهاد على هذا الشكل من إدراكه للنص والواقع ومن الوصل بينهما تحت هذه المظلة، فإن اجتهاده اجتهادًا صحيحًا خاصة في الجانب المالي الذي نحن في أشد الحاجة إليه، هو جانب المعاملات المالية؛ لأنّ العبادات والحمد لله ليس هناك فجوات كبيرة فيها ولا هناك مستحدثات تعكر صفوها أو تعطل مسائلها ومقاصدها وثمرتها بقدر ما حدث في عالم المال.

وبعد ذلك العرض يتضح لنا مفهوم التجديد وضوابطه وكيفيته عند الدكتور علي جمعة، وهو :بإدراك الواقع بعوالمه المختلفة، وربط الواقع بالمصادر، مع الالتزام بالحدود الأساسية للمجتهد المسلم.

رابعًا ثمرة التجديد الفقهي عند الدكتورعلي جمعة

صنّف فضيلة الدكتور علي جمعة ثلاثة مؤلفات، أودع فيها خلاصة منهجه في التعامل مع التراث الإسلامي، ففي كتاب « الطريق إلى التراث الإسلامي» يُطلعنا فضيلته على «منهجه العام» في فهمه للتراث الإسلامي، وفي كتابه الماتع «المدخل لدراسة المذاهب الفقهية» » يُطلعنا فضيلته على «منهجه الخاص» في فهمه للتراث الفقهي خاصة، أما كتاب «وقال الإمام» يجعلنا نقف على المنهج الأخص لفضيلته في فهمه للنص، وتفسيره ، وتطبيقه .

عرفنا فيما سبق أنّ فضيلة الدكتور علي جمعة قد قام بصياغة الفقه الإسلامي في ثوب جديد؛ حيث قام فضيلته باستصحاب «التراث الفقهي القديم » إلى واقعنا المعاصر كمناهج ومشارب لا كمسائل، بعبارة سهلة رصينة ، وقد صاغ ذلك في إنتاجه المعاصر، وقد يظهر لك ذلك من خلال مطالعتك لكتبه الثلاثة أودع فيها خلاصة

منهجه في التعامل مع التراث الإسلامي ، وهي:

١ـ كتاب: « الطريق إلى التراث الإسلامي» الذي يُطلعنا الدكتور علي جمعة فيه على «منهجه العام» في فهمه للتراث الإسلامي.

٢ـ كتاب : «المدخل لدراسة المذاهب الفقهية» »الذي يُطلعنا فضيلته فيه على «منهجه الخاص» في فهمه للتراث الفقهي خصوصًا.

ففي هذين الكتابين وضع فضيلة الدكتور علي جمعة المفاتيح التي تفتح مغاليق النصوص، والأدوات التي تزيل جميع المعوقات والعراقيل التي تواجه كل من قام بمطالعة التراث عمومًا والتراث الفقهي خصوصًا.

٣ـ كتاب : «وقال الإمام»، وضع الدكتور علي جمعة في هذا الكتاب «منهجه الأخص» في فهمه للنص، وتفسيره ، وتطبيقه، ففي هذا الكتاب ترى ثمرة التجديد الفقهي عند الدكتور علي جمعة؛ حيث صاغ فضيلته فيه عددًا من القضايا الفقهية القديمة في ثوب جديد، مثل كلامه عن قضية « أثر ذهاب المحل في الحكم»، وأنه لابد من التدقيق في دراسة المجالات التي تتنزل عليها الأحكام الشرعية، والتدقيق في عدم زوالها، أو تغير أوصافها، مما يقتضي تغير الحكم الشرعي المتعلق بها، حتى لا تتنزل الأحكام الشرعية على معنى مختلف لما وضعت له، فيقع تحليل الحرام أو تحريم الحلال.

وكلامه أيضًا عن نظرية «تفريق الأحكام»، وأثرها في الإلمام باختلاف أحوال الأحكام الشرعية، الواردة على المحل الواحد، باعتبارات مختلفة.

وكذلك قضية «اللحظة اللطيفة»، وأثرها في الأحكام الشرعية، وأنها مهمة جدًا في تصحيح بعض العقود، فدعا إلى تتبع ضوابطها، والمواضع التي استعملها فيها الفقهاء، وكيفية تفعيلها في الحياة المعاصرة.

وكذلك دعوته إلى دراسة «الشخصية الاعتبارية، وأثرها في الترجيح، وفي الحكم على العقود المعاصرة، والمعاملات المستجدة.

وإعادة ترتيبه «لمقاصد الشريعة»، ودعوته إلى إحياء علم مقاصد الشريعة، وأن نعيد دراسة علم مقاصد الشريعة على أربع مستويات: المستوى الأول هو: الفرد، والمستوى الثاني هو: الأسرة، والمستوى الثالث: المجتمع، والمستوى الرابع: الإنسانية، فلابد من دراسة المقاصد الشرعية الخاصة بكل مستوى، وغير ذلك من القضايا التي كانت موجودة في بطون الكتب والحواشي ويطول ذكرها، فقام فضيلة الدكتور علي جمعة بصياغتها صياغة عصرية تواكب حاجة العصر ولغته، وفيما يلي بيان ذلك :

أولاً- إحيائه لنظرية «أثر ذهاب المحل»

إنّ التفتيش عن النظريات التي أنتجها العقل المسلم المفكر العالِم في مجال الفقه الإسلامي من أهم المبادئ التي يسير عليها فضيلة الدكتور علي جمعة في تكوين العقل المسلم المفكر الذي يواجه عصره ويريد أن يعيشه ولا يريد أن يخرج من تراثه، ولا من هويته، ولا من تاريخه، ولا من ذاته، ولكنه أيضًا لا يريد أن يَجْمُد على الماضي وأن يسحبه إلى الحاضر(١).

فيرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ نظرية « أثر ذهاب المحل » من النظريات المنسية، التي ذكرها الفقهاء و الأصوليون، لكنها لم تلقَ من الرواج بين طلاب العلم، ولم تلق من الاستفادة من علماء القانون، ولم تلق من التأثير في العقلية العلمية والقانونية المعاصرة ما تستحقه من التفات، ولذلك كانت هذه النظرية من مبادِئِنا التي نريد أن نحييها(٢).

(١) انظر : « وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، صـــ ١٧٦، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع.

(٢) انظر : « وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، صـــ ١٦٧، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع.

كما يرى فضيلته أنّ عبارة «أثر ذهاب المحل في الحكم» أدق وأولى من قولنا :« ذهاب الحكم بذهاب محله«؛ حيث إنّ الحكم كخطاب إلهى باقٍ إلى يوم القيامة، وإنما تعذر إيقاعه لذهاب محله، وقد بيّن فضيلته هذا الأمر باستفاضة في كتابه الماتع «أثر ذهاب المحل»[(١)] .

وقد بيّن فضيلته في كتابه: «أثر ذهاب المحل» أنّ المحل قد يكون زمانًا وقد يكون مكانًا ، وقد يكون موضعًا وقد يكون شخصًا ، وقد يكون هيئة ونحو ذلك، كما بيّن فضيلته أنّ الفعل المطلوب تحقيقه من المكلف له محل ، وقد يكون ذلك المحل هو نفس الفاعل أو المفعول أو هما معًا .

فإذا كنا نقصد بالأفعال الأحداث ، وهى أعراض ، فإننا نقصد بالمحل ما تحتاج إليه تلك الأحداث للقيام به ، حتى تتحقق في الخارج، ومن هنا نجد أن بعض الخطابات الشرعية الموجهة إلى المكلفين قد ذهب محلها سواء في جانب الفاعل أو المفعول، وحاصلها أربعة أقسام :

١ـ الخاص الذي حدث : كفقد المكلف ذراعه المأمور بغسله في الوضوء أو فقد الإنسان لوالديه أو أحدهما والمأمور ببرهما؛ حيث كان ذلك الفقد حال صغره قبل التكليف ، فهو يصدق عليه أنه لم يتمكن من برهما أبدًا للخطاب الموجه إليه .

٢ـ الخاص الذي قد يحدث : مثل إلقائه في الفضاء؛ حيث فقد علامات الصلاة والصيام، وفقد استقبال القبلة، أو الاستقرار على الأرض .

٣ـ العام الذي قد حدث : مثل حال المسلم المار أو المقيم ببلاد القطب الشمالى؛ حيث لا تغيب الشمس أو تختل علامات الأوقات ، فلا يوجد وقت لصلاة معينة ، فيكون قد فقد المفعول فيه .

---

(١) انظر: « أثر ذهاب المحل» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، صـــ٢٢، طبعة خاصة.

أو انعدام التعامل بين الناس بالذهب والفضة عند من علق عليهما لذاتها أحكام الربا ،كالشافعية الذين يرون أنه لا ربا في الفلوس ، ولو راجت رواج النقدين .

٤ـ العام الذي يمكن أن يحدث : مثل زوال القبلة ؛ والعياذ بالله تعالى بزوال الكعبة المشرفة حماها الله من كل سوء -أو زوال الحلال بالكلية من الأرض أو زوال أهل العلم بالكلية بحيث لا يبقى أهل ذكر يمتثل بهم المكلف لقوله تعالى : ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣][(١)].

وقد قام الدكتور علي جمعة بتحرير معنى «ذهاب المحل»، وبيان مدى ثبوت الأحكام الشرعية فقال: «نعم تركنا رسول الله ﷺ على المحجة البيضاء ليلها كنهارها بشريعةٍ ثابتة، حرَّمت علينا الخمر، والخنزير، والسرقة، والزنا، والربا، والفاحشة، والسب والقذف، والحقد والحسد، والكذب والغيبة والنميمة، وأوجبت علينا الصلاة والصيام والحج والزكاة، و القول الحسن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأباحت لنا البيع والشراء والزواج والطلاق، أباحت لنا أشياء، وأمرتنا بأشياء، ونهتنا عن أشياء ثابتة لا تتغير، ولذلك فإنّ أحكام الله سبحانه وتعالى تلك المجمع عليها هذه الدائرة اليقينية المقطوع بها التي لم يختلف فيها أحدٌ من المسلمين وهي هوية الإسلام وأساس الدين باقية لا تتغير أبداً، وهي ثابتة فلا يقول أحدٌ أبداً بحِل الخمر إنما ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:١٧٣] هذه قضية أخرىٰ، الخمر حرام، إنما هذا الذي اضطر بإكراهٍ، أو اضطر بأنه احتاج إليها بحيث يحافظ على حياته، فإنه يفعل ذلك مع بقاء الحكم على أنّ الخمر حرام، وهذا الفعل الذي فعله ذلك الفاعل تحت الاضطرار لا إثم عليه هو قد عُفي عنه، لكن الخمر ستظل قبل ذلك وبعد ذلك هي حرام. وكلمة الأحكام ثابتة نعني بها هذا القدر من اليقين المُجمع عليه الذي يُمثل هُوِيَة الإسلام»[(٢)].

(١) انظر: « أثر ذهاب المحل» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، صـــ١٦، طبعة خاصة.

(٢) انظر : « وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، صـــ١٦٩، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع.

وقد بيّن فضيلته أنّ قضية « أثر ذهاب المحل» هي صورة أخرى تكون الأحكام فيها ثابتة، ولكن المحل غير موجود فماذا نفعل؟

كما ذكر فضيلته أنّ هذا الأمر هو الذي دفع الإمام الرازي لأن يُعبِّر عن« ذهاب المحل» بالنسخ بالعقل، وهو تعبيرٌ خطأ؛ لأنّ النسخ هو إزالة الحكم، والحكم هنا لم يَزُل إنما تعذر تطبيقه، وهناك فرق بين إلغاء الحكم وبين عدم تطبيق الحكم، هناك فرق ما بين تعطيل الشريعة وبين إيقاف الشريعة؛ لأنّ التي اشترطت هذا الإيقاف هي نفس الشريعة، فالإيقاف نوعٌ من أنواع تطبيق الشريعة، لكن التعطيل نوع من أنواع إلغاء الشريعة وهنا يَفْرِقُ العلماء بين الحالتين: حالة إلغاء الشريعة، فهذا خروج عن حكم الله حتى قال الله سبحانه وتعالى قولًا عامًا في شأننا وفي شأن الأمم السابقة: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]،هؤلاء هم الذين يريدون أن يُلغوا الشريعة ، أما إيقاف الشريعة لعدم توفر الشروط فهذا أمرٌ آخر، مارسه سيدنا عمر الفقيه الخليفة الراشد ، في عام الرمادة لم تتوفر شروط الحد، فأوقف الفاروق عمر الحدود، عملًا بما جاء في الأثر: «ادْرَءُوا الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ»[١] فمن شروط إقامة الحد ألا تكون هناك شبهة، فلما قامت شبهة أوقف الحد، فهو الآن يطبق الشريعة في إيقافه لبعض أحكامها، لكنه لم يقم بإلغاء الشريعة[٢].

ثم لم تقف جهود فضيلة الدكتور علي جمعة في إحيائه لنظرية «أثر ذهاب المحل في الحكم» عند لقاءاته التسجيلية، أو مقالاته، بل أفرد فضيلته هذه القضية في بحث مستقل يشتمل على بابين :

الباب الأول : قام فيه الدكتور علي جمعة بتحرير معنى محل الحكم وذهابه،

(١) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال (١٢٩٥٧) .

(٢) انظر : كتاب « وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، صــ١٦٩، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع.

ووضع في الباب الثاني : التطبيق لهذه القضية وجعله في أربع مسائل: «مسألة الصلاة، مسألة الرق، مسألة الخلافة، مسائل متفرقة»، وسوف أذكر لك شيئًا من هذه التطبيقات التي تناولها الدكتور علي جمعة بالحديث في عدد من أبحاثه ولقاءاته مثالًا لاحصرًا، وفيما يلي بيان ذلك:

١- أثر ذهاب المحل في مسألة الطهارة .

جاءني الشرع فأمرني بالوضوء: اغسل وجهك بعد المضمضة والاستنشاق، اغسل يدك إلى المرفقين، لكن اليد قُطعت في حادث، فماذا أغسل؟ لا شيء.

هل بعد قطع اليد أصبحت فروض الوضوء ناقصة فرضًا؟!، أو بمعنًى آخر: هل أُلِغي ذلك الفرض؟ لا. فلو تصورنا مجرد تصور خيالي أنَّ اليدين رجعا مرة ثانية، التصور الخيالي هذا يتأتى من أنهما نبتا مرة أخرى «وهذا خيال»، أو أنهما زُرعا مرةً أخرى «وهذا قد يحدث»؛ فقد تُقطع اليد ثم توصل أو تزرع بعملية جراحية فتلتئم مرة ثانية؛ حينها يجب عليه غسلها .لكن وهي مقطوعة ليس عليه غسلها؛ لأنّه لا توجد يد حتى تُغسل، لكن إن رجعت مرة ثانية، رجع الحكم كما كان .

إذن، ذَهَبَ المحلُ فذهب الحكم معه وهو مرتبطٌ به؛ بحيث لو عاد المحل لعاد الحكم مرةً أخرى[١].

٢- أثر ذهاب المحل في مسألة الرق .

أمرنا الشرع بالكفارات؛ وذلك بأن نعتق رقبة في الحَلِف، وفي الظِهَار، وفي صوم رمضان، وفي الدِّيّات، وفي غير ذلك ... إلخ؛ أمرنا الشرع بعتق رقبة في مثل هذه الأمور، ولكن المحل قد ذهب، فالمحل لاوجود له؛ لأن عصر الرقيق انتهى، ودخلنا في اتفاقية«تحرير العبيد» في أواسط القرن التاسع عشر، وانتهى الأمر، أين أجد العبيد من

(١) انظر : « وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، صـــ١٧١، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع.

أجل أن أفعل ما تشوَّف الشرع له من إعتاقهم؟ لا أجد العبيد. إذن فَقَد ذَهَبَ المحلُّ.

ومع ذهاب المحل فالإنسان ينتقل إلى شيءٍ آخر يقوم مقامه، قد يكون هذا الشيء قد نص عليه الشرع، وقد يكون شيئًا ينص عليه غير الشرع، لكنه يؤدي وظائفه.

فلما أن تم التحرير التام والحمد لله رب العالمين فلم أجد الرقبة فإنني أنتقل إلى الإطعام، وأنتقل إلى الكسوة، فإذا فقدت الإطعام، وفقدت الكسوة، أنتقل إلى الصيام، فهذا شأن الكفارات، وأيضاً شأن الدية، لكن في بعض الأحيان إذا ذهب المحل لا أجد له بديلا[١].

ومما سبق يتضح لك أنَّ نظرية «أثر ذهاب المحل في الحكم» تقول : هناك وضع يذهب المحل ولا بديل له، وهناك وضع يذهب المحل فيذهب الحكم أيضًا، ولكن له بديل يمكن أن أقوم به.

في هذا القدر كفاية، ومن أراد المزيد فليذهب إلى كتاب «أثر ذهاب المحل»، وإلى ما كتبه فضيلة الدكتور علي جمعة في كتابه «وقال الإمام» تحت عنوان: «إحياء نظرية ذهاب المحل»، وقد أكد فضيلته على أهمية وضرورة دراسة «أثر ذهاب المحل» دراسةً واضحة؛ حيث تكلَّم الأصوليون عنها باستفاضة، إلا أنها لم تأخذ حظَها في العقل المعاصر، لم تأخذ حظَها لا عند الفقهاء ولا عند الأصوليين بالدرجة المناسبة، لم نَرَهُم وهم يُفَعِّلُونها ويطبقونها في مجال السياسة أو في مجال الاقتصاد أو في مجال الاجتماع أو في الحياة[٢].

ثانيًا إحيائه لنظرية «تفريق الأحكام»

عرفنا فيما سبق أنّ هناك الكثير من النظريات الفقهيةِ الفذَّة التي ذكرَها علماء

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر : «وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، صـــ١٧٥، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع.

السلف الصالح، ولم تَلْقَ هذه النظريات التفاتًا أو انتشارًا بين جمهور العلماء ولا طلبة العلم، ولم تلقَ أيضًا انتشارًا عند القانونيين الذين أخذوا النُّظم القانونية من الفقه الإسلامي، وعرفنا أيضًا أنّ التفتيش عن هذه النظريات وإحيائها، والتعمق في فهمها، والسعي في استعمالها وتطبيقها في حياتنا المعاصرة، وفي بنائِنَا الفقهي وبناء عقلنا الشرعي، هو أثر من آثار التجديد الفقهي عند فضيلة الدكتور علي جمعة، ومن بين هذه النظريات المهمة نظرية فقهية جديرة بالبحث و التأصيل، وهي نظرية «تفريق الأحكام» أو نظرية «تبعيض الأحكام»- حسب اصطلاح البعض من الفقهاء- .

وتفريق الأحكام عند الفقهاء يقصد به: إعطاء الشيء حكمًا بين حكمين لاختلاف المدارك و تعارض الأدلة، أو لسبب آخر من الأسباب المعتبرة عندهم في هذا الباب[1] .

ونظرية «تفريق الأحكام» من النظريات الهامة،التي فزع إليها فقهاؤنا عبر العصور – وعلى اختلاف مذاهبهم- لإيجاد الحلول لكثير من المشاكل التي تستجد على المسلمين في كل عصر وزمان؛ نظرية طبقها الفقهاء حتى وجدنا أثرها ممتدًا في الفقه كله، على اختلاف كتبه، وتنوع مسائله، وبنى عليها الفقهاء كثيرًا من الأحكام، وفوق كل هذا فهي نظرية تَفَرَّدَ بها الفقه الإسلامي عن غيره من القوانين والتشريعات الوضعية الأخرى، وهي نظرية تُنْبِئ عن مدى العقلية التي تمتع بها فقهاؤنا رحمهم الله[2].

وهذه النظرية تعني: أنه قد تَرِدُ على الفقيه أو القاضي مسألة تتعارض فيها الأدلة، وكل دليل يقتضي نتيجة وحكمًا يناقض الحكم الناتج من الدليل الآخر، فيحاول المجتهد القاضي أن يحتاط ويوفق بين النتيجتين، فيثبت العمل بالدليلين معًا، ويعطي

(١) انظر :«نظرية تفريق الأحكام في الفقه الإسلامي بين التأصيل والتطبيق» لفضيلة أ.د/ أحمد سعد علي البرعي مجلة دار الإفتاء المصرية العدد السادس .

(٢) المصدر السابق .

أحكامًا متوسطة تجمع بين العمل بكل الأدلة في المسألة، دون أن يتبنى العمل بدليل واحد على حساب الدليل الآخر، وهذا ما عُرف عندهم باسم: «تفريق الأحكام».

إنّ هذه النظرية لها تطبيقات كثيرة و متنوعة في الفقه الإسلامي، وقد أتى فضيلة الدكتور علي جمعة من ذلك بالمسألة التي يُلغز بها في فقه السادة الشافعية،فيقال :«رجل تزوج أخته و صح نكاحه»و هي مسألة:«ما لو تزوج مجهول النسب ،ثم استلحقها أبوه بشرطه،ولم يصدقه الزوج»[1].

وصورة المسألة: أن يتزوج رجل امرأة لا يدر إلى من تنتسب ؛كلقيطة مثلًا ، ثم يأتي أبو الزوج بعد عقد النكاح فيستلحقها، و يدعي أنها ابنته، وتحقق معه شرط الاستلحاق – وهو الإمكان-، و تصديق البنت له ، لكنه لا يملك بينة على هذا الاستلحاق، ولو وُجدت لحُكم بها و ارتفع في المسألة الكلام ، بل هو مجرد إقرار و دعوى.

وفي المقابل: أنكر الزوج هذه الاستلحاق و كذب أباه، وادعى أنّ أباه اخترع هذه الدعوى ليبطل بها نكاح ابنه، لما قد تكرر منه قبل ذلك أنه قد تسبب في تطليق من تزوجهن الابن من قبل، فالأب هنا يدعي نسب بنت يمكن عقلًا وشرعًا أن تكون ابنته، ولا بينة له على دعواه، لكن استلحاقه و إقراره ههنا معتبر شرعًا؛ لتوفر شروطه المنصوص عليها عند الفقهاء، والزوج ينكر هذه الدعوى للشبهة التي ذكرها. فنظر فقهاء الشافعية – رحمهم الله –في هذه المسألة، فوجدوا أنهم لو اعتبروا دعوى النسب بالكلية، لأبطلوا بذلك النكاح، ولأهملوا إنكار الزوج ودعواه الغ ادعاها على أبيه، ولو اعتبروا إنكار الزوج و تكذيبه بالكلية، لنفوا بذلك النسب وأثبتوا النكاح ، ولأهملوا دعوى الأب و ليس إعمال أحد الأمرين بأولى من الآخر.

---

(١) انظر : « وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، صـــ١٤٩، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع.

فجاءت هذه النظرية لتحل هذا الإشكال عن طريق اختيار الأمرين معًا – اعتبار استلحاق الأب و إثبات البنوة، مع اعتبار إنكار الزوج وإثبات الزوجية أيضًا –، فقال فقهاء الشافعية – رحمهم الله – : « لما تقرر أنّ الإقرار حجة على المقر دون غيره، اعتبر إقرار الأب في حق نفسه، حتى أثبتنا النسب وألزمناه أحكامه من الإرث و نحوه، ولم نعتبره في حق الزوج حتى يستمر نكاحه و لا ينفسخ» و هذا ما عُرف عندهم باسم «تبعيض الأحكام» أو: «تفريق الأحكام»[١].

لقد دعا فضيلة الدكتور علي جمعة إلى إحياء هذه النظرية العظيمة؛ لأنه يمكن لنا من خلال تطبيقها أن نوجد حلولًا ملائمة لكثير من القضايا العصرية الملحة، وأن نجمع بها بين مدارك الأحكام المختلفة، وأن نوفق بها بين وجهات النظر المتباينة والمتناقضة أحيانًا، وأن نصل من خلالها إلى أحكام وسطية في المسائل جامعة للمدارك كلها من غير إفراط ولا تفريط ، من غير إضرار بأحد، كما كان الحال عند فقهائنا رحمهم الله.

وفي الختام أودّ أنْ أقول : إنّ جهود فضيلة الدكتور علي جمعة من أجل إحياء هذه النظرية وغيرها من النظريات المنسية، تجعلنا نقف على مدى مرونة الفقه الإسلامي ، واتساعه، وصلاحيته كقانون يمكن أن نلجأ إليه عند حلول النوازل والمستجدات، كما تجعلنا نثبت للمتنصلين من تراثهم ، أنّ الفقه الإسلامي لم يكن في يوم من الأيام عقبة تحول دون مصالح العباد.

ثالثًا: إحيائه لنظرية «اللحظة اللطيفة»

إنّ نظرية «اللَّحْظَة اللَّطِيفَة» من النظريات الفقهية المنْسِيَّـة؛ حيث لم يلتفت العلماء المعاصرون إليها، لكنها تستحق الدَّرْس، وتستحق التأمل.

---

(١) انظر :«نظرية تفريق الأحكام في الفقه الإسلامي بين التأصيل والتطبيق» لفضيلة أ.د/ سعد علي البرعي مجلة دار الإفتاء المصرية العدد السادس .

وعن أهمية إحياء هذه «النظرية»التي تُعدُّ من أهم ثمار جهود فضيلة الدكتور علي جمعة في التجديد الفقهي، يقول فضيلته : « نظرية اللَّحْظَة اللَّطِيفَة، هي : نظرية تُحاولُ أن تُصَحِّحَ عقودًا، من شأن هذه العقود أن تكون فاسدةً دون تلك النظرية، وحينئذٍ -أي حين فساد هذه العقود- فلا يترتب عليها آثارها، ولا تنتج عنها ثمارها؛ وإن كنا في أشد الحاجة الدينية، وفي أشد الحاجة الاجتماعية، وفي أشد الحاجة الاقتصادية أو السياسية إلى ترتب آثار ذلك العقد؛ مما يدفعنا إلى القول بصحته وعدم فساده، فلو أنَّنا طبَّقنا القواعد العامة على هذا العقد لوجدناه غير صحيح، ولكننا بواسطة نظرية «اللَّحْظَة اللَّطِيفَة» يصبح هذا العقد صحيحًا، وتترتب عليه آثاره»[١].

قد تكلم العلماء عن نظرية «اللَّحْظَة اللَّطِيفَة» في أبواب عديدة من أبواب الفقه الإسلامي، منها مثلًا: «باب العتق»، وهو باب مهم من أبواب الفقه، ومع ذلك يرى كثيرٌ من الناس أنَّ دراسة هذا الباب لا حاجة إليها الآن، ويحسبون أنَّهم بذلك يحسنون صنعًا، ويشجعهم على ذلك أمران:

أولهما: ذهاب الرِّق في واقع الحياة اليوم فعلًا.

ثانيهما: تَشَوُّفُ الشرع الشريف للحرية من الأصل، ويبنون على ما تقدم أنَّنا لم نعد في حاجة إلى دراسته.

وهذا تفكير خاطئ؛ لأنَّ هناك قواعد ومناهج في هذا الباب يمكن أن يُستفاد منها فيما يتعلق بالاقتصاد، أو بالاجتماع، أو بشئون البلاد والعباد؛ ولذلك فإنَّ إهمال دراسة أي جزء من التراث لا يُعد من العلم أو الحق أو حتى من التفكير العلمي في قبيل ولا دبير[٢].

(١) انظر : « وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، صـ١٥٧، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع مصر .

(٢) المصدر السابق .

وقد ضرب لنا فضيلة الدكتور علي جمعة أمثلة عديدة على هذه النظرية الفريدة ،لكن سوف أقتصر على ذكر المثال الذي ذكره من كتاب العتق، وهو:« أنَّ رجلاً ذهب إلى السوق ووجـد عبـدًا فاشتراه، وبمراجعة المستندات اتضح أنَّ هذا العبد هو أبوه أو ابنه، فماذا يفعل؟!

الشرع يحرم على الإنسان أن يتملك ابنـه، أو أن يتملك أباه، أو بمعنى أكثر شمولًا: أن يتملك أصوله أو فروعه «أصوله: الأب والجد وإن علا، وفروعه: الابن وابن الابن وإن نزل» فيحرم ذلك؛ وعلى هذا فقد كان هناك مانعٌ أصليٌّ يمنع من صحة ذلك البيع، مع أنّـه دفع المال وأخذ ذلك العبد، ولو أعملنا القواعد العامة للشريعة فسوف نُبطل البيع ونبطل آثاره، ونوجب رد المال لصاحبه «وهو المشتري»، ورد العبد لصاحبه «وهو البائع»؛ فتكون النتيجة أن تظل العبودية قائمة، ولكن الشرع مُتَشَوِّفٌ إلى تحرير العبيد، فإبطال البيع ضدُّ مـراد الشــرع؛ لأنَّ الشــرع لا يريد أن تظل العبودية قائمة، فعندما أعملنا القواعد العامَّة وصلنا إلى نتيجة ضد مراد الشرع، فماذا يفعل؟ هل نستثني هذه المسألة وتلك الصورة من النصوص العامَّـة للشريعة؟ أم ماذا نفعل في هذه الحالة؟ يعني: هل نهدم القواعد العامة، ونبيح للإنسان أن يتملك أباه أو ابنه؟ لو فعلنا سوف ينتج عن ذلك تصحيح البيع، ونقل اليد على «العبد المبيع» من البائـع إلى المشتري؛ إلَّا أن الشــرع أيضًا لم يُحقق مراده من التحرير؛ فأتى الفقهاء بفكرهم الثاقب بنظرية «اللَّحْظَة اللَّطِيفَة»[1].

ولكن ما هي «اللَّحْظَة اللَّطِيفَة»؟ قال الفقهاء: سنتصور لحظةً لطيفة نُدْخِلُ فيها هذا الإنسان في ملك المشتري، ثم تبين بعد ذلك أنّ هناك مانعًا يمنع الملك ، وهو أنَّ هذا الذي دخل في ملكه كان أبوه أو ابنه، وعليه فلا بد أن يخرج فوْرًا؛ لأنَّ ملكيته له تُـخالف

(١) انظر : « وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، صـــ١٦١، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع مصر .

الشريعة، ولما كانت ملكيته له تخالف الشريعة خرج مرةً أخرى من ملكه. فأفادت نظرية «اللَّحْظَة اللَّطِيفَة» تحرير ذلك الأب أو الابن؛ تشوفًا لقواعد الشرع الشريف، وأفادت وصف الفقيه- بتصحيح البيع، وإن كان تصحيح البيع مخالفًا للقواعد العامة، وإنَّما صححه لأنَّه تصور لحظةً لطيفة دخل فيها هذا العبد في ملكه، ثم بعد هذه اللَّحْظَة اللَّطِيفَة تبيَّن له أنَّ هناك مانعًا يمنعنه من تملكه لأنَّه أصلٌ أو فرع له ؛ فخرج من مِلْكه.

وقد دعا الدكتور علي جمعة الباحثين والدارسين إلى الالتفات والانتباه لهذه النظرية، وأن يبينوا لنا ماهى ضوابط تطبيق هذه النظرية ؟ وكيف نفعلها في حياتنا المعاصرة؟ كما دعا فضيلته الباحثين والدارسين إلى تتبع الفقه الإسلامي لرؤية المواضع التي طبق فيها الفقهاء هذه النظرية.

وقد استجاب فضيلة الدكتور أحمد سعد علي البرعي، لدعوة فضيلة الدكتور علي جمعة لدراسة وإحياء نظرية « اللَّحْظَة اللَّطِيفَة »؛ حيث قام فضيلته بكتابة بحث ماتع حول دراسة هذه النظرية وإحيائها، أسماه :«نظرية الزمن اللطيف وأثرها في تصحيح العقود والتصرفات».

وفي الختام يبيّن لنا فضيلة الدكتور علي جمعة مدى أهمية إحياء نظرية« اللَّحْظَة اللَّطِيفَة »؛ حيث يمكننا أن نستفيد بهذه النظرية في المعاملات المالية، وفي الشخصية الاعتبارية؛ فيمكن أن نستحضر «اللَّحْظَة اللَّطِيفَة» في الشراء والبيع، وأن نستحضر «اللَّحْظَة اللَّطِيفَة» في مجال الضمان، وأن نستحضر «اللَّحْظَة اللَّطِيفَة» في العقود سواءٌ أكانت سَلَمًا أم استصناعًا أم غير ذلك، وأن نستصحب «اللَّحْظَة اللَّطِيفَة» في باب الرهن، وكذلك في أبواب كثيرة جدًّا يُمكن لهذه النظرية أن تُفَعَّل فيها، وأن نستفيد من فكر أولئك الأكابر، ونجد أنَّ الأمور سارت سيرًا منطقيًّا مناسبًا، مُحَقِّقًا للمصالح،

ولكل الأطراف وليس لطرفٍ واحد. وهذا هو الذي رأيناه في فكر الفقهاء المسلمين عبر القرون. فعلينا أن نُحيي النظريات الفقهية المنسيَّة التي لم تلق الرواج الذي لاقته نظرياتٌ أخرى في الفقه الإسلامي[١].

رابعًا- إعادة ترتيبه «لمقاصد الشريعة الخمسة»

عرفنا فيما سبق أنّ التطورات والتغيرات التي يشهدها واقعنا المعاصر بعوالمه المختلفة، تشتدُّ فيه الحاجة إلى المنهج، والإسلام دين العلم، والمنهج أهم المفردات التي يقوم عليها العلم، ومن أهم النماذج المتعلقة بالمنهج ويمكن للمسلم أن يطرحها ويعتمد عليها في هذا الزمان الصعب:«النموذج المقاصدي»، ومن المسائل المفصلية التي تتعلق بهذا النموذج مسألة «ترتيب المقاصد»، فمن هذا المنطلق دعا فضيلة الدكتور علي جمعة إلى إعادة ترتيب «المقاصد الشرعية الخمسة»من خلال رؤية فقهية حضارية نستطيع أن نستفيد منها في واقعنا المعيش؛ فأفرد فضيلته الحديث حول ترتيبه المُبتكر« لمقاصد الشريعة» في بحث ماتع أسماه: «رؤية فقهية حضارية لترتيب المقاصد الشرعية»، وكذلك تناول الحديث عن قضية «ترتيب المقاصد» في كتاب الماتع: «وقال الإمام» .

من خلال الاستقراء والتَّـتَـبُّع لأحكام الشريعة في فروعها الفقهية التي وردت أحكامُها في الكِتَابِ والسُّنَّة؛ بل والتي وردت أيضًا عن طريق القياس بإلحاق الشبيه إلى شبيهِهِ، والنظيرِ إلى نظيره، بعدما فعلنا هذا وجدنا أنفُسَنا أمام ما أسماه العُلماء بـ «مَقَاصِد الشَّرِيعَة الْخَمْسَة»، وهـيَ: أولًا: «الْحِفَاظُ عَلَى النَّـفْسِ»، ثانيًا: «الْحِفَاظُ عَلَى الْعَقْلِ»، ثالثًا: «الْحِفَاظُ عَلَى الدِّينِ»، رابعًا: «الْحِفَاظُ عَلَى الْعِرْضِ»، خامسًا: «الْحِفَاظُ عَلَى المِـلْكِ».

---

(١) انظر : « وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، صـــ ١٦٥، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع مصر .

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنه ليس هناك إجماع على الترتيب المشهور «لمقاصد الشريعة الخمسة»،الذي ذكره الشَّاطِبِيُّ ومَنْ قبلَـهُ، وذكره كثيرٌ ممن بعدَهُ؛ حيث يـُرتِّبون هَذِهِ الخمسة على هذا النحو المشهور: «الدِّين، فالنَّـفس، فالعقل، فالعِرْض، فالمال أو المِلك»، وقد أكد فضيلته أنَّه ليس هُناك أيُّ إجماع على هذا التَّرتيب أوغيره، فإنَّ الزَّرْكَشِيَّ –مثلًا– قد رتب هذِهِ المقاصد الخمسة ترتيبًا آخر، ورتَّبها غير الزَّرْكَشِيِّ ترتيبًا ثالثًا، ورتبها غير هؤلاء ترتيبًا رابعًا... وهكذا [١].

وقد قام الدكتور علي جمعة بتناول الحديث عن «اتجاهات العلماء في ترتيب المقاصد الضرورية الخمسة» في كتابه: «رؤية فقهية حضارية لترتيب المقاصد الشرعية»؛ حيث قام فضيلته باستقراء وتتبع كتب العلماء القدامى والمُحدَثين حول ترتيبهم«للمقاصد الخمسة»، وبيَّن أنهم لم يتفقوا على ترتيب مُعين في هذه المقاصد؛ حيث منهم من قدَّم الضروريات الدينية على الضروريات الدنيوية، ومنهم من قال: بالعكس، ومنهم من لم يهتم بالترتيب أصلاً، بل منهم من رفض فكرة الترتيب بالكلية، وقد عرض فضيلته نصوص العلماء في ذلك[٢].

وقد عرض فضيلة الدكتور علي جمعة في هذا الكتاب فلسفة رؤيته الجديدة لترتيبه المُبتكر «للمقاصد الخمسة» باعتبار تشغيلها، والاستفادة منها في واقعنا المعاصر، وهذا الترتيب هو: «حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ الدين، حفظ العِرض، حفظ المال»، وقد بيَّن فضيلته أنّ المقصود «بالدين» هنا هو الشعائر لا «االدين» بمعنى العقيدة، ثم ذكر فضيلته منطقية هذا الترتيب ؛ حيث إنه يجب المحافظة أولًا على «النفس» التي تقوم

---

(١) انظر : « وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، صـــ ٩٧، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع مصر .

(٢) انظر : « رؤية فقهية حضارية لترتيب المقاصد الشرعية » لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ٢٥ ، طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع مصر .

بها الأفعال، ثم «العقل» الذي به التكليف، ثم «الدين» الذي به العبادة، ثم «النسل» الناتج بالإنسان وما يتعلق به من حقوقه وكرمته، ثم الحفاظ على «المال» الذي هو أساس الحياة، ثم ذكر فضيلته طرفًا من فوائد هذا الترتيب في علاقتنا مع الآخر بالداخل والخارج، وقد ذكر فضيلته مثالين يظهر فيهما أثر ما ذهب إليه في هذا الترتيب، وعدم مخالفة هذا الترتيب المُستحدث لما عليه المتقدمون من أهل العلم، والمثالين هما : الأول : أكل الميتة للمضطر، والثاني : التلفظ بكلمة الكفر مُكرهًا، فالمتأمل في المثالين يرى أن حفظ النفس قُدم على حفظ الدين [١].

وفي الختام إنّ دعوة فضيلة الدكتور علي جمعة إلى دراسة هذه القضية، يدل على مدى معرفته وإدراكه بما يحتاجه المجتمع؛ فالمقاصد كلها بمثابة شبكة واحدة، فلابد للمجتهد أن يراعيها جميعها عند بنائه لفتواه، أو عند تبليغه لدعوته، فلابد أن نعلم أنّ قضية «ترتيب المقاصد» ليست من اختلاف التضاد، بل هي من قبيل اختلاف التنوع، المبني على قاعدة «اختلاف العبارات باختلاف الاعتبارات»، والله أعلم.

تتمة :أسانيد فضيلة الدكتورعلي جمعة إلى المذاهب الأربعة من طريق ثبت الشيخ الأمير[٢]

اتصلت أسانيد فضيلة الدكتور علي جمعة إلى المذاهب الأربعة وغيرها من العلوم الشرعية من طريق جمع كبير أكابر علماء عصره، ولكن سأقتصر هنا على طريق واحد لعلوها وشهرتها : فبعموم الإجازة عن الإمام الحافظ المجتهد أبي الفضل عبد الله بن الصديق الغماري عن الشيخ المعمر محمد دويدار التلاوي الكفراوي عن شيخ الإسلام برهان الدين إبراهيم الباجوري شيخ الجامع الأزهر عن الشيخ الأمير بما في ثبته المشهور.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر : «ثبت الشيخ الأمير» طبعة دار الرازي ، تحقيق : شيخنا فضيلة الدكتور مصطفى أبوزيد.

وعن الشيخ الغماري عن الشيخ عمر حمدان المحرسي عن المعمر الطيب النيفر عن البرهان الرياحي عن الأمير .

أولًا- سنده إلى المذهب الشافعي :

بالإسناد المتقدم إلي الشيخ الأمير عن شيخه الصعيدي عن شيخه عقيلة عن الشيخ حسن العجيمي ، عن العارف القشاشي بإجازته ، عن الشمس محمد الرملي ، عن شيخ الإسلام زكريا ، عن الحافظ ابن حجر ، عن الصلاح بن أبي عمر ، عن الفخر ابن البخاري ، عن القاضي أبي المكارم أحمد بن محمد اللبان ، وأبي حفص محمد بن أحمد الصيدلاني ، عن أبي الحسن بن أحمد الحداد ، عن الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، عن أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم ، أخبرنا الربيع بن سليمان المرادي ، أنبأنا الشافعي رحمه الله تعالي .

يقول فضيلة الدكتور علي جمعة : وقد تفقهت في مذهب الإمام الشافعي علي جمع من الفقهاء ، ولي فيه إسناد آخر مسلسل بالأئمة الشافعيين متصلا بالإمام الشافعي ، ثم إلي مولانا رسولﷺ ، وفي ضمنه سند مؤلفات الإمام النووي ، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، وابن حجر الفقيه ، والرملي ، والخطيب الشربيني ، والشرقاوي ، وشيخ الإسلام أحمد زيني دحلان ، وغيرهم من فقهاء الشافعية ممن اشتُهِرَت مصنفاتهم رحم الله الجميع ، وفيه أيضا إسنادنا إلي الشيخ أبي إسحاق الشيرازي بطريقة أصحابنا العراقيين المتقدم الإشارة إليه ، وغير ذلك من الفوائد كما تري :

حدثني العلامة إسماعيل بن عثمان زين اليمني المكي الشافعي ، عن السيد محمد ابن يحيي الأهدل ، عن السيد محمد بن عبد الرحمن الأهدل ، عن السيد أحمد زيني دحلان ، عن الشيخ عبد الله الشرقاوي ، عن الأستاذ محمد بن سالم الحفني ، عن الشيخ أحمد الخليفي ، عن الشيخ أحمد البشيشي ، عن الشيخ علي بن عيسي الحلبي ، عن

الشيخ علي الزيادي ، عن المحقق أحمد بن حجر الهيتمي ، والشيخ محمد الرملي ، والشيخ الخطيب ، كلهم عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، عن الحافظ ابن حجر العسقلاني ، عن ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم ، عن والده الزين العراقي ، عن السراج البلقيني ، عن العلاء ابن العطار ، عن محرر المذهب الإمام النووي ، عن كمال الدين سلار الأردبيلي ، عن أبي عمرو عثمان بن الصلاح ، عن والده عبد الرحمن الملقب بالصلاح ، عن أبي سعد عبد الله بن عصروان ، عن أبي علي الفارقي ، عن أبي إسحاق الشيرازي ، عن القاضي أبي الطيب طاهر بن عبد الله الطبري ، عن أبي الحسن محمد ابن الماسرجسي ، عن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد المروزي ، عن أبي العباس أحمد بن سريج ، عن عثمان بن بشار الأنماطي ، عن الربيع بن سليمان المرادي ، عن إمام الأئمة وناصر السنة محمد بن إدريس الشافعي ، عن الإمام مالك بن أنس ، عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبيﷺ.

ومن الأحاديث التي اتصل إسناد الدكتور علي جمعة بها من طريق الإمام الشافعي:

بالسند المتقدم إلي الشافعي – وهو أعلي ما عنده – حدثنا مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : «بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذا أتاهم آتٍ ؛ فقال : إن رسول اللهﷺ قد أُنزل عليه الليلة قرآن ، وقد أُمر أن يستقبل الكعبة ، فاستقبلوها ، وكانت وجوههم إلي الشام ، فاستداروا إلي الكعبة»[(١)] .

ثانيًا سنده إلي المذهب الحنفي - ويتضمن سند الموطأ برواية محمد بن الحسن- :

فبالإسناد المتقدم إلي الشيخ الأمير عن شيخه الصعيدي عن شيخه الشيخ محمد عقيلة المكي ، وهو يرويه مسلسلا بالفقهاء الحنفيين ، عن الشيخ حسن بن علي العجيمي الحنفي ، عن الشيخ خير الدين الرملي ، عن الشيخ أحمد بن أمين الدين ، عن والده أمين

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٠٣)، والشافعي في مسنده (١٧٧).

الدين بن عبد العال الجنبلاطي ، عن الشيخ سري الدين بن عبد البر ، عن والده الشيخ محب الدين محمد بن الشحنة إجازة ، عن الإمام أكمل الدين محمد بن البابرتي عن العلامة محمد بن السخاوي المعروف بقوام الدين ، عن العلامة حسام الدين السغناقي ، قال أخبرنا الإمام حافظ الدين الكبير محمد بن محمد بن نصر البخاري النسفي ، عن شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكردري ، عن برهان الدين أبي المكارم المطرزي ، قال أخبرنا الإمام الخطيب موفق الدين ، قال أخبرنا الإمام أبو القاسم محمود ابن عمر الزمخشري بمكة عند باب بني شيبة ، قال حدثنا الزكي الحافظ أبو عبد الله الحسيني بن محمد بن خسرو البلخي ، عن أبي الحسن علي بن أيوب ، قال أخبرنا ابن طاهر عبد الغفار بن محمد بن جعفر المؤدب ، قال أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن ، قال أخبرنا أبو علي بشر بن موسي بن صالح الأسدي ، قال أخبرنا أحمد بن محمد بن مهران ، قال أخبرنا محمد بن الحسن الشيباني ، قال أخبرنا مالك بن أنس رضي الله تعالي عنه .

وبالسند إلي محمد بن الحسن ، عن الإمام أبي حنيفة ، عن حماد بن إبراهيم ، عن علقمة عن عبد الله بن مسعود ، عن رسول الله ﷺ.

ومن الأحاديث التي اتصل إسناد الدكتور علي جمعة بها من طريق أبي حنيفة :

بالإسناد المتقدم عن الإمام أبي حنيفة ، عن حماد بن إبراهيم ، عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «يجمع الله العلماء يوم القيامة فيقول إني لم أجعل حكمتي في قلوبكم إلا وأنا أريد بكم خيرا ، اذهبوا إلي الجنة ، فقد غفرت لكم ما كان منكم»[1] .

ثالثًا- سنده إلي المذهب المالكي :

بالسند المتقدم إلي الشيخ الأمير عن شيخه العدوي ، عن الشيخ عبد الله البناني

(١) أخرجه أبو حنيفة في مسنده (٦).

والسيد محمد السلموني ، عن الشيخ محمد الخرشي والشيخ عبد الباقي الزرقاني ، كلاهما عن الشيخ علي الأجهوري والشيخ إبراهيم اللقاني ، كل منهما عن الشيخ محمد البنوفري ، عن الشيخ عبد الرحمن الأجهوري ، عن شمس الدين اللقاني ، عن الشيخ علي السنهوري ، عن الشيخ البساطي ، عن الشيخ تاج الدين بهرام ، عن الشيخ خليل صاحب المختصر ، وتفقه الشيخ خليل علي الشيخ عبد الله المنوفي .

وقد أخذ الشيخ عليّ السنهوري أيضا عن الشيخ طاهر بن علي بن محمد النويري ، وهو عن الشيخ حسين بن علي ، وهو عن الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر ابن هلال الربعي ، وهو عن قاضي القضاة فخر الدين بن المخلطة ، وهو عن أبي حفص عمر بن فراج الكندي ، وهو عن أبي محمد عبد الكريم بن عطاء الله السكندري ، وهو عن أبي بكر محمد بن الوليد بن خلف الطرطوشي ، وهو عن أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي ، وهو عن الإمام المكي القيسي الأندلسي ، وهو عن الإمام أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني صاحب الرسالة ، وهو عن الإمام أبي بكر محمد بن اللباد الأفريقي صاحب اختلاف ابن القاسم وأشهب ، وهو عن الإمامين سحنون ، وعبد الملك الأندلسي ، وهما عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم ، وعن الإمام أشهب بن عبد العزيز العامري القيسي ، وهما عن الإمام مالك بن أنس .

رابعًا سنده إلي مذهب الإمام أحمد - ويتضمن السند بالمسند المشهور- :

بالسند المتقدم في مذهب الشافعي إلي الفخر البخاري ، قال أخبرنا أبو علي حنبل بن عبد الله بن الفرج المكثر ، قال أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين ، أخبرنا أبو علي الحسن بن علي التميمي المذهب الواعظ ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر القطيعي حدثنا عبد الله بن الإمام أحمد قال حدثني أبي .

المبحث الثالث

جهود الدكتور علي جمعة في الإفتاء

للإفتاء مكانة عظيمة، ومنزلة كبيرة تجليها نصوص الشرع الشريف، قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾ [النساء:١٢٧]، فربنا يخبر في قرآنه أنّه هو سبحانه الذي يفتي عباده، فإن الفتوى تصدر أساسًا عن الله، فهي خطاب من الله كالحكم الشرعي تمامًا.

والنبي – ﷺ- كان يتولى هذا المنصب في حياته، باعتبار التبليغ فكل ما يلفظ به هو وحي من الله كما قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:٣ـ٤]،وكان ذلك من مقتضى رسالته، وقد كلفه الله تعالى بذلك حيث قال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل:٤٤]،فأي شرف أن يقوم المفتي بأمر هو في الأصل يصدر عن رب العالمين، وباعتبار التبليغ يصدر عن سيد الخلق أجمعين، فالمفتي خليفة النبي في أداء وظيفة البيان، وقد تولى هذه الخلافة بعد النبي ﷺ أصحابه الكرام، ثم أهل العلم بعدهم.

فالإفتاء إذن هو تبيين أحكام الله تعالى، وتطبيقها على أفعال الناس، فهي قول على الله تعالى، حيث يقول المفتي للمستفتي: حقٌّ عليك أن تفعل، أو حرام عليك أن تفعل، ولذا شبه القرافي المفتي بالترجمان عن مراد الله تعالى، وجعله ابن القيم بمنزلة الوزير الموقع عن الملك قال: «إذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله، ولا يجهل قدره، وهو من أعلى المراتب السنيَّات، فكيف بمنصب التوقع عن رب الأرض والسموات»[1].

---

(١) انظر: « إعلام الموقعين عن رب العالمين » للإمام ابن القيم (١/ ٩)، طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

وهذه الدرجة العالية للإفتاء ينبغي ألا تدفع الناس للإقبال عليه، والإسراع في ادّعاء القدرة عليه، سواء أكان ذلك بحسن نية وهي تحصيل الثواب والفضل، أم بسوء نية كالرياء والرغبة في التسلط والافتخار بين الناس، فقد ورد عن النبي ﷺ قوله: «أَجْرَؤُكُمْ عَلَى الْفُتْيَا، أَجْرَؤُكُمْ عَلَى النَّارِ»(١).

ولكلام الإمام النووي نفع كبير في هذا المعنى ننقله بنصه حيث يقول: «اعلم أنّ الإفتاء عظيم الخطر، كبير الموقع، كثير الفضل، لأنّ المفتي وارث الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم – وقائم بفرض الكفاية ولكنه معرض للخطأ؛ ولهذا قالوا: المفتي موقّع عن الله تعالى، وروينا عن ابن المنكدر قال : العالم بين الله تعالى وخلقه، فلينظر كيف يدخل بينهم.

وروينا عن السلف وفضلاء الخلف من التوقف عن الفتيا أشياء كثيرة معروفة نذكر منها أحرفا تبركا، وروينا عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى ترجع إلى الأول. وفي رواية: ما منهم من يحدث بحديث، إلا ودّ أنّ أخاه كفاه إياه. ولا يستفتى عن شيء إلا ودّ أنّ أخاه كفاه الفتيا. وعن ابن مسعود وابن عباس –رضي الله عنهم– من أفتى عن كل ما يسأل فهو مجنون. وعن الشعبي والحسن وأبي حَصين بفتح الحاء التابعيَّين قالوا: إنّ أحدكم ليفتي في المسألة ولو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر.

وعن عطاء بن السائب التابعي: أدركت أقواما يسأل أحدهم عن الشيء فيتكلم وهو يرعد، وعن ابن عباس ومحمد بن عجلان : إذا أغفل العالم « لا أدري » أصيبت مقاتله. وعن سفيان بن عيينة وسحنون: أجسر الناس على الفتيا أقلهم علما.

(١) أخرجه الدارمي في سننه (١٦٩).

وعن الشافعي وقد سئل عن مسألة فلم يجب، فقيل له، فقال: حتى أدري أنّ الفضل في السكوت أو في الجواب.

وعن الأثرم: سمعت أحمد بن حنبل يكثر أن يقول: لا أدري، وذلك فيما عرف الأقاويل فيه. وعن الهيثم بن جميل: شهدت مالكًا سئل عن ثمان وأربعين مسألة، فقال في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري. وعن مالكٍ أيضًا: أنّه ربما كان يسأل عن خمسين مسألة فلا يجيب في واحدة منها، وكان يقول: من أجاب في مسألة فينبغي قبل الجواب أن يعرض نفسه على الجنة والنار وكيف خلاصه ثم يجيب. وسئل عن مسألة فقال: لا أدري، فقيل: هي مسألةٌ خفيفةٌ سهلةٌ، فغضِب وقال: ليس في العلم شيءٌ خفيفٌ.

وقال الشافعي: ما رأيت أحدًا جمع الله تعالى فيه من آلة الفتيا ما جمع في ابن عيينة أسكت منه عن الفتيا. وقال أبو حنيفة: لولا الفرق من الله تعالى أن يضيع العلم ما أفتيت، يكون لهم المهنأ وعليَّ الوزر. وأقوالهم في هذا كثيرة معروفة.

قال الصيمري والخطيب: كلّ من حرص على الفتيا، وسابق إليها، وثابر عليها، قلّ توفيقه، واضطرب في أموره. وإن كان كارها لذلك، غير مؤثر له ما وجد عنه مندوحة، وأحال الأمر فيه على غيره، كانت المعونة له من الله أكثر، والصلاح في جوابه أغلب، واستدلالًا بقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وُكِلتَ إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أُعِنت عليها»[1].

فمن هذا المنطلق رأيتُ أهمية الحديث عن جهود فضيلة الدكتور علي جمعة في الإفتاء، وحقيقة الفتوى لديه، وعملية الإفتاء وعناصر إجراءاتها عنده، ومنهج فضيلته في الإفتاء، ورؤيته في الخروج من أزمة الفتوى في الواقع المعاصر، وجهوده في تطوير

(١) انظر: « المجموع شرح المهذب » للإمام النووي، (١/ ٤٠)، طبعة دار الفكر بيروت.

مؤسسة دار الإفتاء، وسوف أتناول الحديث عن هذه الأمور بمشيئة الله تعالى في أربعة مطالب:

المطلب الأول: حقيقة الفتوى وأركانها عند فضيلة الدكتور علي جمعة.

المطلب الثاني: عملية الإفتاء وعناصر إجراءاتها عند فضيلة الدكتور علي جمعة.

المطلب الثالث: منهج فضيلة الدكتور علي جمعة في الفتوى.

المطلب الرابع: جهود فضيلة الدكتور علي جمعة في تطوير مؤسسة دار الإفتاء.

وفيما يلي بيان ذلك:

المطلب الأول

حقيقة الفتوى وأركانها عند فضيلة الدكتورعلي جمعة.

أولًا: حقيقة الفتوى عند فضيلة الدكتورعلي جمعة:

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ تصور حقيقة الفتوى يتوقف على إدراك مبادئها، ومن أهم هذه المبادئ: «تعريف الفتوى، وحكم الإفتاء، وحكم الاستفتاء»[(١)].

١ تعريف الفتوى:

الفتوى لغة: اسم مصدر بمعنى الإفتاء، والجمع: الفتاوى والفتاوي، يقال: أفتيته فتوى وفتيا إذا أجبته عن مسألته، والفتيا تبيين المشكِل من الأحكام، وتفاتوا إلى فلان: تحاكموا إليه وارتفعوا إليه في الفتيا، والتفاتي: التخاصم، ويقال: أفتيت فلانا رؤيا رآها، إذا عبرتها له ومنه قوله تعالى حاكيًا:(يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ) [يوسف:٤٣].

والاستفتاء لغة: طلب الجواب عن الأمر المشكِل، ومنه قوله تعالى: (وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا) [الكهف:٢٢]،وقد يكون بمعنى مجرد سؤال، ومنه قوله تعالى: (فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا) [الصافات:١١]، قال المفسرون: أي اسألهم.

والمفتي لغة: اسم فاعل من أفتى، فمن أفتى مرَّةً فهو مُفتٍ.

والفتوى في الاصطلاح: تبيين الحكم الشرعي عن دليلٍ لمن سأل عنه، وهذا يشمل السؤال في الوقائع وغيرها.

والمفتي في الاصطلاح الشرعي أخصُّ منه في اللغوي. قال الصيرفي: «هذا الاسم

(١) انظر: «الفتوى ودار الإفتاء المصرية»، وبحث بعنوان:«الإفتاء... حقيقته وآدابه ومراحله» لفضيلة أ.د/ علي جمعة مقدم في مؤتمر «الفتوى وضوابطها» الذي نظّمه المجمع الفقهي الإسلامي عام ٢٠٠٩.

موضوع لمن قام للناس بأمر دينهم، وعلم جمل عموم القرآن وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، وكذلك السنن والاستنباط، ولم يوضع لمن علم مسألة وأدرك حقيقتها، فمن بلغ هذه المرتبة سموه بهذا الاسم، ومن استحقه أفتى فيما استفتي فيه»[(١)].

وقال الزركشي: المفتي من كان عالمًا بجميع الأحكام الشرعية بالقوة القريبة من الفعل، والمستفتي من لا يعرف جميعها[(٢)]. وهذا إن قلنا بعدم تجزؤ الاجتهاد.

٢ـ حكم الإفتاء:

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ «وظيفة الإفتاء» فرض على الكفاية، إذ لا بد للمسلمين ممن يبين لهم أحكام دينهم فيما يقع لهم، ولا يحسن ذلك كل أحد، فوجب أن يقوم به من لديه القدرة. ولم تكن فرض عين لأنّها تقتضي تحصيل علوم جمة، فلو كلفها كل واحد لأفضى إلى تعطيل أعمال الناس ومصالحهم، لانصرافهم إلى تحصيل علوم بخصوصها، وانصرافهم عن غيرها من العلوم النافعة، شأنها في ذلك شأن باقي فروض الكفايات[(٣)].

ودليل فرضيتها قول الله تبارك وتعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ) [آل عمران:١٨٧]

وقول النبي ﷺ: « مَن سُئِلَ عَن عِلمٍ ثُمَّ كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَومَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِن نَارٍ»[(٤)].

قال الإمام النووي: «ومن فروض الكفاية القيام بإقامة الحجج العلمية، وحل

(١) انظر : «الفروق» للإمام القرافي (٢ / ١١٧)،طبعة دار الكتب العلمية بيروت، وكتاب «البحر المحيط» للإمام الزركشي(٨/ ٢٥٨) طبعة دار الكتبي.

(٢) انظر : « البحر المحيط، » للإمام الزركشي (٨ / ٣٥٩)، طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

(٣) انظر: «الفتوى ودار الإفتاء المصرية» لفضيلة أ.د/ علي جمعة لم يُطبع.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٣٦٥٨)، وابن ماجة في سننه(٢٦٦)، والترمذي في سننه (٢٦٤٩).

المشكلات في الدين، ودفع الشبه، والقيام بعلوم الشرع كالتفسير والحديث والفروع الفقهية بحيث يصلح للقضاء والإفتاء للحاجة إليهما»[١].

كما يرى فضيلته أنّه لا يتعين الإفتاء على المسئول إلا بشروط منها:

أ-أن لا يوجد في الناحية غيره ممن يتمكن من الإجابة، فإن وجد عالم آخر يمكنه الإفتاء لم يتعين على الأول، بل له أن يحيل على الثاني، قال عبد الرحمن بن أبي ليلى: أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يسأل أحدهم عن المسألة، فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى ترجع إلى الأول[٢]. وقيل: إذا لم يحضر الاستفتاء غيره تعين عليه الجواب.

ب- أن يكون المسئول عالمًا بالحكم بالفعل، أو بالقوة القريبة من الفعل، وإلا لم يلزم تكليفه بالجواب، لما عليه من المشقة في تحصيله.

جـ - أن لا يمنع من وجوب الجواب مانع، كأن تكون المسألة عن أمر غير واقع، أو عن أمر لا منفعة فيه للسائل، أو غير ذلك.

٣- حكم الاستفتاء:

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ استفتاء السائل الذي لا يعلم حكم الحادثة واجب عليه، لوجوب العمل حسب حكم الشرع؛ ولأنّه إذا أقدم على العمل من غير علم فقد يرتكب الحرام، أو يترك في العبادة ما لا بد منه[٣].

(١) انظر: «كنز الراغبين شرح منهاج الطالبين» للإمام جلال المحلي، (٤/ ٢١٦)، طبعة دار الفكر بيروت، وأصل الكلام للإمام النووي، والذي زاده الإمام المحلي في النهاية عبارة «والإفتاء للحاجة إليهما».

(٢) انظر: « المجموع شرح المهذب » للإمام النووي، ج (١/ ٧٣)، طبعة دار الفكر بيروت.

(٣) انظر: «الفتوى ودار الإفتاء المصرية» لفضيلة أ.د/ علي جمعة لم يُطبع.

وفي هذه المسألة يقول الإمام الغزالي: «العامي يجب عليه الاستفتاء واتباع العلماء. وقال قوم من القدرية: يلزمهم النظر في الدليل واتباع الإمام المعصوم وهذا باطل بمسلكين:

أحدهما: إجماع الصحابة فإنهم كانوا يفتون العوام ولا يأمرونهم بنيل درجة الاجتهاد، وذلك معلوم على الضرورة والتواتر من علمائهم وعوامهم. فإن قال قائل من الإمامية: كان الواجب عليهم اتباع عليّ لعصمته وكان عليّ لا ينكر عليهم تقيةً وخوفًا من الفتنة. قلنا: هذا كلامُ جاهلٍ سد على نفسه باب الاعتماد على قول عليّ وغيره من الأئمة في حال ولايته إلى آخر عمره؛ لأنّه لم يزل في اضطراب من أمره، فلعل جميع ما قاله خالف فيه الحق خوفًا وتقيةً.

المسلك الثاني: أنّ الإجماع منعقد على أنّ العامي مكلف بالأحكام، وتكليفه طلب رتبة الاجتهاد محال؛ لأنّه يؤدي إلى أن ينقطع الحرث والنسل وتتعطل الحرف والصنائع ويؤدي إلى خراب الدنيا لو اشتغل الناس بجملتهم بطلب العلم، وذلك يرد العلماء إلى طلب المعايش ويؤدي إلى اندراس العلم بل إلى إهلاك العلماء وخراب العالم، وإذا استحال هذا لم يبق إلا سؤال العلماء»[(١)].

وقال النووي: «ويجب عليه الاستفتاء إذا نزلت به حادثة، يجب عليه علم حكمها، فإن لم يجد ببلده من يستفتيه وجب عليه الرحيل إلى من يفتيه، وإن بعدت داره، وقد رحل خلائق من السلف في المسألة الواحدة الليالي والأيام»[(٢)].

وعليه يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ المكلف إذا لم يجد من يفتيه في واقعته يسقط عنه التكليف بالعمل إذا لم يكن له به علم، لا من اجتهاد معتبر ولا من تقليد؛

(١) انظر: « المستصفى » للإمام الغزالي، صـــ ٣٧٢، طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) انظر: « المجموع شرح المهذب » للإمام النووي، ج (١/ ٩١)، طبعة دار الفكر بيروت.

لأنه يكون من باب التكليف بما لا يطاق، ولأن شرط التكليف العلم به، والقدرة هي مناط التكليف، ويكون حكمه حكم ما قبل ورود الشرع، وكمن لم تبلغه الدعوة[١].

ثانيًا: أركان الفتوى عند الدكتورعلي جمعة:

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أن «عملية الإفتاء» تتكون من ثلاثة أركان أساسية[٢]، هي: «المفتي، والفتوى، والمستفتي»، لذلك كان من الواجب أن أقوم ببيان كل ركن على حدة، مع الإشارة إلى شروط وآداب الفتوى، وغير ذلك من الأمور التي تبرز حقيقة كل ركن وتوضح دوره في العملية الإفتائية، وفيما يلي بيان ذلك:

الركن الأول: المفتي:

وسوف أتناول بمشيئة الله تعالى في هذا الركن الحديث عن الشروط التي لابد من توافرها في «المفتي» عند فضيلة الدكتور علي جمعة من الجهات التالية:

١ـ شروطه.

٢ـ آدابه.

٣ـ خطؤه.

٤ـ رجوعه عن الفتوى وتغير الاجتهاد.

أولًا: شروط المفتي:

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ هناك شروطًا سلبية لا يجب توافرها، والشروط السلبية كثيرة، ونعلم أنّه ليس من المنطقي أن يقال من الشروط «لا يشترط كذا» فعدم

(١) يُنظر: «الفتوى ودار الإفتاء المصرية» لفضيلة أ.د/ علي جمعة لم يُطبع.

(٢) انظر : كتاب «صناعة الإفتاء» لفضيلة أ.د/ علي جمعة،صـــ ٣٣ طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع مصر.

توافر الشرط لا يحتاج أن ينص عليها، ولكن نذكر تلك الشروط خاصة لأنّنا في عصر اشتبه على الناس كثير من الأمور، مما ألزمنا التنبيه عليها فمن هذا(١):

١ـ لا يشترط في المفتي الذكورية إجماعًا.

٢ـ لا يشترط النطق اتفاقا، فتصح فتيا العبد والمرأة والأخرس ويفتي بالكتابة أو بالإشارة المفهمة

٣ـ لا يشترط البصر، اتفاقًا فتصح فتيا الأعمى، وصرح به المالكية.

٤ـ أما السمع، فقد قال بعض الحنفية : إنه شرط فلا تصح فتيا الأصم وهو من لا يسمع أصلا، وقال ابن عابدين : لا شك أنه إذا كتب له السؤال وأجاب عنه جاز العمل بفتواه، إلا أنه لا ينبغي أن ينصب للفتوى، لأنه لا يمكن كل أحد أن يكتب له، ولم يذكر هذا الشرط غيرهم.

أما الشروط التي يجب توافرها في المفتي عند فضيلة الدكتور علي جمعة فقد تناولها فضيلته في كتابه الماتع «صناعة الإفتاء»، وفيما يلي بيانها:

الشرط الأول: الإسلام؛ فلا تصح فتيا غير المسلمين.

الشرط الثاني: العقل؛ فلا تصح فتيا المجنون.

الشرط الثالث: البلوغ؛ وهو أن يبلغ من يفتي الحلم من الرجال، والمحيض من النساء، أو يبلغ خمسة عشر عامًا أيهما أقرب؛ لأنه لا تصح فتيا الصغير والصغيرة.

الشرط الرابع: العلم ، يرى الدكتور علي جمعة أن الإفتاء بغير علم حرام؛ لأنه يتضمن الكذب على الله تعالى ورسوله، ويتضمن إضلال الناس، وهو من الكبائر، لقوله

(١) انظر : كتاب «صناعة الإفتاء» لفضيلة أ.د/ علي جمعة،صـــ ٣٤ طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع مصر.

تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣]،فقرنه بالفواحش والبغي والشرك، ولقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُهُ فِي قَبْضِ الْعُلَمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَ الْعُلَمَاءُ اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا؛ فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ»(١)، وكذلك قوله ﷺ: «مَنْ أُفْتِيَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كانَ إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ»(٢).

الشرط الخامس: التخصص؛ والمراد بالتخصص عند فضيلة الدكتور علي جمعة أن يكون المتصدر للإفتاء قد درس الفقه، والأصول، وقواعد الفقه دراسة مستفيضة، وله دربة في ممارسة المسائل، وإلمام بالواقع المعيش، ويفضل أن يكون قد نال الدراسات العليا من جامعات معتمدة في ذلك التخصص، وإن كان هذا الشرط هو مقتضى شرط العلم والاجتهاد، فإنّ العلم بالفقه والاجتهاد فيه يقتضي التخصص، ولكن طريقة الوصول إلى هذه الدرجة تحتاج إلى ما ذُكر، وقد نبّه الدكتور علي جمعة على أهمية اشتراط التخصص، رغم اندراجه في شرط العلم والاجتهاد؛ لحسم الفوضى الإفتائية التي تثار هنا وهناك ممن لم يتخصص في علم الفقه والأصول، ويعترض ويناظر على فتاوى ما درس مبادئها الفقهية، ولا أصولها، ولقد تكلم العلماء القدامى في أهمية التخصص في الفقه، والتنبيه عليه.

الشرط السادس: العدالة؛ يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أن العدالة من أهم الأركان التي يجب توافرها في «المفتي»، والعدل هو من ليس بفاسق وليس مخروم المروءة، وخرم المروءة تعني الخروج عن عادات الناس فيما ينكر ويستهجن، كأن يسير في الطريق حافيًا مثلًا، أو غير ذلك من السلوكيات التي تستهجن في المجتمع، فلا تصح

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠٠)، ومسلم في صحيحه (٢٦٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٣٦٥٧).

فتيا الفاسق عند جمهور العلماء؛ لأن الإفتاء يتضمن الإخبار عن الحكم الشرعي، وخبر الفاسق لا يقبل.

الشرط السابع: الاجتهاد؛ يرى الدكتور علي جمعة أن بذل الجهد في استنباط الحكم الشرعي من الأدلة المعتبرة ركن أصيل لابد من توافره في «المفتي»، وليس المقصود هو أن يبذل العالم جهدًا ملاحظًا قبل كل فتوى، وإنما المقصود بلوغ مرتبة الاجتهاد، والتي قال الشافعي عنها فيما رواه عنه الخطيب : لا يحل لأحد أن يفتي في دين الله، إلا رجلا عارفًا بكتاب الله : بناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وتأويله وتنزيله، ومكيه ومدنيه، وما أريد به، ويكون بعد ذلك بصيرًا بحديث رسول الله ﷺ ويعرف من الحديث مثل ما عرف من القرآن، ويكون بصيرًا باللغة، بصيرًا بالشعر، وما يحتاج إليه للسنة والقرآن ويستعمل هذا مع الإنصاف، ويكون مشرفًا على اختلاف أهل الأمصار، وتكون له قريحة بعد هذا، فإذا كان هكذا فله أن يتكلم ويفتي في الحلال والحرام، وإذا لم يكن هكذا فليس له أن يفتي[1].

الشرط الثامن: جودة القريحة؛ ومعنى ذلك أن يكون كثير الإصابة، صحيح الاستنباط، وهذا يحتاج إلى حسن التصور للمسائل، ويرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّه بقدر ما يستطيع المجتهد أن يتخيل المسائل بقدر ما يعلو اجتهاده، ويفوق أقرانه، فهو يشبه ما يعرف في دراسات علم النفس بالتصور المبدع، أو الخيال الخلاق (creative imagination).

كما يرى فضيلته أيضًا أنّ التصور المبدع له الآن علوم قائمة بذاتها تُدرب الإنسانَ على الوصول إليه، ويتعلمها الساسة وأصحاب اتخاذ القرار في الغرب، كما يرى أنّ «التصور المبدع» علم ينبغي أن يضاف في أسسه إلى أصول الفقه، حيث إنّه

(١) انظر: « إعلام الموقعين عن رب العالمين » للإمام ابن القيم (١/ ٣٧)، طبعة دار الكتب العلمية بيروت. نقل فيه عن الخطيب البغدادي، وعن الشافعي رضي الله عنهم.

وسيلة للاجتهاد خاصة في عصرنا الحاضر، ولذلك كله لا تصلح فتيا الغبي، ولا من كثر غلطه، بل يجب أن يكون بطبعه شديد الفهم لمقاصد الكلام ودلالة القرائن، صادق الحكم، قال النووي: «شرط المفتي كونه فقيه النفس، سليم الذهن، رصين الفكر، صحيح النظر والاستنباط»[(١)].

الشرط التاسع: الفطانة والتيقظ؛ يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّه يُشترط في المفتي أن يكون فطنًا متيقظًا ومنتبهًا بعيدًا عن الغفلة، قال ابن القيم: «ينبغي له أن يكون بصيرًا بمكر الناس وخداعهم وأحوالهم، ولا ينبغي له أن يحسن الظن بهم، بل يكون حذرًا فطنا فقيها بأحوال الناس وأمورهم، يؤازره فقهه في الشرع، وإن لم يكن كذلك زاغ وأزاغ، وكم من مسألة ظاهرها ظاهر جميل، وباطنها مكر وخداع وظلم ؟ فالغر ينظر إلى ظاهرها ويقضي بجوازه، وذو البصيرة ينقد مقصدها وباطنها»[(٢)].

ثانيا : آداب المفتي :

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّه ينبغي «للمفتي» أن يتحلى بكثير من الآداب؛ ولأن تلك الآداب غير محصورة كالشروط ذكر فضيلته جملة منها بالنقل عن الأئمة والعلماء[(٣)]، فمن ذلك ما نبه عليه الإمام أحمد من أمور، فقال: «لا ينبغي للرجل أن يُنصِّب نفسه للفتيا حتى يكون فيه خمس خصال: أولها: أن تكون له نية، فإن لم يكن له نية لم يكن عليه نور ولا على كلامه نور. والثانية: أن يكون له علم، وحلم، ووقار، وسكينة. الثالثة: أن يكون قويا على ما هو فيه وعلى معرفته. الرابعة: الكفاية وإلا مضغه الناس. الخامسة: معرفة الناس »[(٤)].

(١) انظر: « المجموع شرح المهذب » للإمام النووي، ج (١/ ٧٥)، طبعة دار الفكر بيروت.
(٢) انظر: « إعلام الموقعين عن رب العالمين » للإمام ابن القيم (٤/ ١٧٦)، طبعة دار الكتب العلمية بيروت.
(٣) انظر : كتاب «صناعة الإفتاء» لفضيلة أ.د/ علي جمعة،صـــ ٣٣ طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع مصر.
(٤) انظر: « إعلام الموقعين عن رب العالمين » للإمام ابن القيم (٤/ ١٥٢)، طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

كما ينبغي عليه أن يحسن زيّه، مع التقيد بالأحكام الشرعية في ذلك، فيراعي الطهارة والنظافة، واجتناب الحرير والذهب والثياب التي فيها شيء من شعارات الكفار، ولو لبس من الثياب العالية لكان أدعى لقبول قوله؛ ولأن تأثير المظهر في عامة الناس لا ينكر، وهو في هذا الحكم كالقاضي.

كما ينبغي عليه أن يحسن سيرته، بتحري موافقة الشريعة في أفعاله وأقواله، لأنه قدوة للناس في ما يقول ويفعل، فيحصل بفعله قدر عظيم من البيان، لأن الأنظار إليه مصروفة، والنفوس على الاقتداء بهديه موقوفة.

كما ينبغي عليه كذلك أن يصلح سريرته ويستحضر عند الإفتاء النية الصالحة من قصد الخلافة عن النبي ﷺ في بيان الشرع، وإحياء العمل بالكتاب والسنة، وإصلاح أحوال الناس بذلك، ويستعين بالله على ذلك، ويسأله التوفيق والتسديد، وعليه مدافعة النيات الخبيثة من قصد العلو في الأرض والإعجاب بما يقول، وخاصة حيث يخطئ غيره ويصيب هو، وقد ورد عن سحنون : فتنة الجواب بالصواب أعظم من فتنة المال.

وعليه أن يكون عاملا بما يفتي به من الخير، منتهيا عما ينهى عنه من المحرمات والمكروهات، ليتطابق قوله وفعله، فيكون فعله مصدقا لقوله مؤيدا له، فإن كان بضد ذلك كان فعله مكذبا لقوله، وصادا للمستفتي عن قبوله والامتثال له، لما في الطبائع البشرية من التأثر بالأفعال، ولا يعني ذلك أنه ليس له الإفتاء في تلك الحال، إذ ما من أحد إلا وله زلة، كما هو مقرر عند العلماء أنه لا يلزم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون صاحبه مؤتمرا منتهيا، وهذا ما لم تكن مخالفته مسقطة لعدالته، فلا تصح فتياه حينئذ.

كما يراعي أن لا يفتي حال انشغال قلبه بشدة غضب أو فرح أو جوع أو عطش أو إرهاق أو تغير خلق، أو كان في حال نعاس، أو مرض شديد، أو حر مزعج، أو برد

مؤلم، أو مدافعة الأخبثين ونحو ذلك من الحاجات التي تمنع صحة الفكر واستقامة الحكم، لأنه الفتوى تبليغ حكم شرعي، فهو كالحكم بين الناس، فيستمع لنصيحة النبي ﷺ؛ إذ يقول : «لَا يَقْضِي الْحَاكِمُ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ»[1] فإن حصل له شيء من ذلك وجب عليه أن يتوقف عن الإفتاء حتى يزول ما به ويرجع إلى حال الاعتدال.

فإن أفتى في حال انشغال القلب بشيء من ذلك في بعض الأحوال وهو يرى أنه لم يخرج عن الصواب صحت فتياه وإن كان مخاطرا لكن قيده المالكية بكون ذلك لم يخرجه عن أصل الفكر. فإن أخرجه الدهش عن أصل الفكر لم تصح فتياه قطعا وإن وافقت الصواب.

إن كان عنده من يثق بعلمه ودينه فينبغي له أن يشاوره، ولا يستقل بالجواب تساميًا بنفسه عن المشاورة، وعلى هذا كان الخلفاء الراشدون، وخاصة عمر رضي الله عنه، فالمنقول من مشاورته لسائر الصحابة أكثر من أن يحصر، ويرجى بالمشاورة أن يظهر له ما قد يخفي عليه، وهذا ما لم تكن المشاورة من قبيل إفشاء السر؛ فإن المفتي كالطبيب يطلع من أسرار الناس وعوراتهم على ما لا يطلع عليه غيره، وقد يضر بهم إفشاؤها أو يعرضهم للأذى فعليه كتمان أسرار المستفتين، ولئلا يحول إفشاؤه لها بين المستفتي وبين البوح بصوره الواقعة إذا عرف أن سره ليس في مأمن.

كما يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنه ينبغي للمفتي مراعاة أحوال المستفتي، ولذلك وجوه، منها:

أ - إذا كان المستفتي بطيء الفهم، فعلى المفتي الترفق به والصبر على تفهم سؤاله وتفهيم جوابه.

ب - إذا كان بحاجة إلى تفهيمه أمورا شرعية لم يتطرق إليها في سؤاله، فينبغي

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧١٥٨).

للمفتي بيانها له زيادة على جواب سؤاله، نصحا وإرشادا، وقد أخذ العلماء ذلك من حديث أن بعض الصحابة رضي الله عنهم سألوا النبي ﷺ عن الوضوء بماء البحر، فقال: « هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ، الْحِلُّ مَيْتَتُهُ »[1] وللمفتي أن يعدل عن جواب السؤال إلى ما هو أنفع، ومن ذلك قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) [البقرة:٢١٥]،فقد سأل الناس النبي ﷺ عن المنفق فأجابهم بذكر المصرف إذ هو أهم مما سألوا عنه.

ج – أن يسأله المستفتي عما هو بحاجة إليه فيفتيه بالمنع، فينبغي أن يدله على ما هو عوض منه، كالطبيب الحاذق إذا منع المريض من أغذية تضره يدله على أغذية تنفعه.

د – أن يسأل عما لم يقع، وتكون المسألة اجتهادية، فيترك الجواب إشعارا للمستفتي بأنه ينبغي له السؤال عما يعنيه مما له فيه نفع ووراءه عمل، قال ابن عباس: ما كانوا يسألون إلا عما ينفعهم وقال ابن عباس لعكرمة: «أخرج يا عكرمة فأفت الناس، ومن سألك عما لا يعنيه فلا تفته، فإنك تطرح عن نفسك الناس»[2].

وكذلك يترك الجواب وجوبًا إذا كان عقل السائل لا يحتمل الإجابة لقول الإمام علي: «حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟»[3].

كما يرى الدكتور علي جمعة أن من الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المفتي، وقد تصل إلى الشروط في أيامنا هذه، «التيسير على الناس» وإدخالهم في دين الله، وإلقاء الستر عليهم، والعمل على جعل الناس متبعين لقول معتبر في الشرع، فذلك خير لهم من تركهم

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٨٣)، وابن ماجة في سننه(٣٨٦)، والترمذي في سننه (٦٩).

(٢) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب، (٢/ ٣١) طبعة دار الكتب العلمية. والذهبي في سير أعلام النبلاء (٥ / ١٥) طبعة دار الرسالة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢٧).

للدين بالكلية، وإيقاعهم في الفسق، مما يعد صدا عن سبيل الله من حيث لا يشعر العالم.

ويرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ المقصد الأساسي الذي يسعى لتحقيقه «كمفتٍ» هو إحداث آلية شرعية للتعامل مع التراث الفقهي الإسلامي؛ بحيث لا تخرج عنه ولا يكون عائقًا للمسلم المعاصر، وأن ذلك لا ينبغي الإنكار عليه لأن الرأي الذي سينتهي إليه محل خلاف، وأساس هذا :

قاعدة من ابتلي بشيء مما اختلف فيه فليقلد من أجاز : وقد بيّن الدكتور علي جمعة أن التيسير الذي يقصده وتتبع الرخص هو ما نقل تعريفه ابن أمير الحاج حيث قال : «أي أخذه من كل منها ما هو الأهون فيما يقع من المسائل «ولا يمنع منه مانع شرعي إذ للإنسان أن يسلك الأخف عليه إذا كان له إليه سبيل بأن لم يكن عمل بآخر فيه».

وقال أيضًا: والغالب أنّ مثل هذه إلزامات منهم لكف الناس عن تتبع الرخص، وإلا أخذ العامي في كل مسألة بقول مجتهد قوله أخف عليه وأنا لا أدري ما يمنع هذا من العقل والسمع وكون الإنسان يتبع ما هو أخف على نفسه من قول مجتهد مسوغ له الاجتهاد ما علمت من الشرع ذمه عليه «وكان ﷺ يحب ما خفف عليه»[(١)].

وقد استخلص فضيلة الدكتور علي جمعة من ذلك كله أنّ تتبع الرخص جائز[(٢)]، ولكن بشروط وقيود لا ينبغي إهمالها، وهو مذهب أكثر العلماء، ومن أبرزهم العز بن عبد السلام، والقرافي، والعطار، وغيرهم من المحققين.

فمذهب فضيلة الدكتور علي جمعة في الفتوى أن التيسير على الناس والترخص لهم لإدخالهم في الدين خير من التعسير عليهم وإلزامهم بالقول الشديد، لما في ذلك من مخالفةٍ لمنهج النبي المصطفي ﷺ، وسبيل الصالحين من أسلافنا العلماء، ولما فيه من صد

(١) انظر: « التقرير والتحبير شرح التحرير » لابن أمير الحاج، (٣/ ٣٥١)، طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) يُنظر: «الفتوى ودار الإفتاء المصرية» لفضيلة أ.د/ علي جمعة لم يُطبع.

عن سبيل الله سبحانه وتعالى، وسوف يأتي الحديث بالتفصيل عن منهج الدكتور علي جمعة في الإفتاء بإذن الله تعالى.

ثالثًا: خطأ المفتي:

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنه ينبغي النظر في خطأ المفتي ومعرفة مصدره، فإن كان خطؤه لعدم أهليته، أو كان أهلًا لكنه لم يبذل جهده بل تعجل، يكون آثمًا، أما إن كان أهلًا واجتهد فأخطأ فلا إثم عليه، بل له أجر اجتهاده، قياسًا على ما ورد في خطأ القاضي، وهو قول النبي ﷺ: « إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ وَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ »(١).

رابعا: رجوع المفتي عن فتواه، أو تغير اجتهاده:

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّه يجب على المفتي الرجوع عن الفتوى التي أفتى بها إذا تبين له أنّه أخطأ في تلك الفتوى، فلا يجوز اعتماد قول لا يعتقد أنّه الحكم الشرعي، كما أنّه يعتقد أنّه خطأ ومخالف للشرع، واستأنس العلماء بما كتبه سيدنا عمر بن الخطاب إلى سيدنا أبي موسى الأشعري حيث قال: «ولا يمنعنك قضاء قضيت فيه اليوم، فراجعت فيه رأيك، فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق فإنّ الحق قديم لا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل»(٢).

الركن الثاني: الفتوى

وفي أثناء عرضنا «للفتوى» عند فضيلة الدكتور علي جمعة، سوف نتحدث عن أربع نقاط أساسية هي:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٣٥٢)،ومسلم في صحيحه (٤٥٠٧).

(٢) انظر: كتاب «صناعة الإفتاء» لفضيلة أ.د/ علي جمعة،صـــ ٣٣ طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع مصر.

١- منهج الفتوى عند فضيلة الدكتور علي جمعة.

٢- آداب الفتوى عند فضيلة الدكتور علي جمعة.

٣- مراحل الفتوى عند فضيلة الدكتور علي جمعة.

٤- عوامل تغير الفتوى عند فضيلة الدكتور علي جمعة.

أولًا: منهج الفتوى عند الدكتور علي جمعة:

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّه ينبغي على المفتي أن يتبع منهجًا في الإفتاء بحسب ترتيب الأدلة الشرعية، فإذا سئل عن مسألة بحث عن حكمها في القرآن، فإن لم يجد ففي السنة، فإن لم يجد فيعمل القياس، حتى يستنبط الحكم الذي يطمئن إليه قلبه ويشترط في هذا الحكم ألا يخالف الإجماع[1].

وأما الأدلة المختلف فيها كالاستحسان وشرع من قبلنا، فإن أداه اجتهاده إلى صحة شيء منها أفتى به، وإذا تعارضت عنده الأدلة فعليه أن يفتي بالراجح منها. وليس له أن يفتي في السعة بمذهب أحد المجتهدين، ما لم يؤده اجتهاده إلى أنه هو الحق، وليس له أن يفتي بما هو المرجوح في نظره، نقل الإجماع على ذلك ابن قدامة والباجي.

ولعل ما ذكره الدكتور علي جمعة يتناسب مع المجتهدين الأوائل الذين أسسوا المذاهب الفقهية المعتمدة، أما بالنسبة للعلماء بعدهم، فقد درسوا الفقه في تلك المدارس الفقهية، وكانوا يفتون بمذهب أئمتهم أو بغيرها بعد اطلاعهم على أصول وأدلة المذاهب الأخرى، وتكلم العلماء المحققون عن ذلك، فمن ذلك ما ذكره العلامة المحقق الحنبلي البهوتي؛ حيث قال: «ومن قوي عنده مذهب غير إمامه» لظهور الدليل معه «أفتى به» أي بما ترجح عنده من مذهب غير إمامه «وأعلم السائل» بذلك ليكون على بصيرة في تقليده[2].

---

(١) انظر: كتاب «صناعة الإفتاء» لفضيلة أ.د/ علي جمعة،صـــ ٥٦ طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع مصر.

(٢) المصدر السابق.

ثانيًا آداب الفتوى عند فضيلة الدكتور علي جمعة:

والمقصود بآداب الفتوى عند فضيلة الدكتور علي جمعة، هو الصيغة التي ينبغي أن تكون عليها الفتوى، وطريقة أدائها، فإذا توافر للفتوى تلك الآداب خرجت بالشكل الصحيح المقبول؛ حيث يتهيأ لها أداء وظيفتها، وقد ذكر الدكتور علي جمعة هذه الآداب في غير موضع من مؤلفاته[1]، وفيما يلي بيانها:

١- أن تكون الفتوى ألفاظها محررة : وذلك حتى لا يفهم منها السائل وجهًا باطلًا، وقد أكد العلماء على أهمية تحرير ألفاظ الفتوى، وقد ضربوا الأمثلة بما يتناسب مع عصرهم.

٢- أن لا تكون الفتوى بألفاظ مجملة : «متعددة الاحتمالات» : لئلا يقع السائل في حيرة، كمن سئل عن مسألة في المواريث، فقال : تقسم على فرائض الله عز وجل، أو سئل عن شراء العرايا بالتمر، فقال : يجوز بشروطه، فإن الغالب أن المستفتي لا يدري ما شروطه، لكن إن كان السائل من أهل العلم الذين لا يخفي عليهم مثل هذا، بل يريد أن يعرف قول المفتي جاز ذلك.

٣- أن تشتمل الفتوى على الأدلة : يحسن ذكر دليل الحكم في الفتوى سواء أكان آية أم حديثًا أم غيرهما، ويذكر علته أو حكمته، ولا يلقيه إلى المستفتي مجردًا، فإن الأول أدعى للقبول بانشراح صدر وفهم لمبنى الحكم، وذلك أدعى إلى الطاعة والامتثال، وفي كثير من فتاوى النبي ﷺ ذكر الحكم. كحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «نَهَى رَسُولُ الله ﷺ أَنْ تُزَوَّجَ الْمَرْأَةُ عَلَى الْعَمَّةِ، وَالْخَالَةِ، قَالَ: إِنَّكُنَّ إِذَا فَعَلْتُنَّ ذَلِكَ قَطَعْتُنَّ أَرْحَامَكُنَّ»[2]. وقوله في وضع الجوائح : « أَرَأَيْتَ إِذَا مَنَعَ اللهُ الثَّمَرَةَ ، فَبِمَ يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ مَالَ أَخِيهِ ؟»[3].

---

(١) يُنظر: كتاب «الفتوى ودار الإفتاء المصرية»، وكتاب «صناعة الإفتاء» لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٤١١٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢١٩٨).

٤- أن لا تشتمل الفتوى على جزم بأنّها حكم الله، إلا بنص قاطع أما الأمور الاجتهادية فيتجنب فيها ذلك، وقد استدل العلماء على ذلك بقول النبي ﷺ: « وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا ؟»[1]. وهذا على قول من يجعل الصواب في قول أحد المختلفين، أما من يقول: كل مجتهد مصيب فيجوز أن يقول: هذا حكم الله، وهو مذهب مرجوح.

٥- أن تكون الفتوى موجزة: فينبغي أن تكون الفتوى بكلام موجز، واضح، مستوف لما يحتاج إليه المستفتي مما يتعلق بسؤاله، ويتجنب الإطناب فيما لا أثر له، لأن المقام مقام تحديد، لا مقام وعظ أو تعليم أو تصنيف.

هذه جملة من الآداب التي ينبغي أن تشتمل عليها الفتوى الشر عية عند أ.د/ علي جمعة، وقد أكد فضيلته على أنّ الأصل في الإفتاء هو: المشافهة، وتجوز أيضًا الفتوى بالكتابة ويتحرى عدم التلاعب فيها أو التزوير، ولذا ينبغي أن تكون في عصرنا هذا على هيئة وثيقة رسمية تصدر عن هيئة أو مؤسسة، وإن أصدرها عالم ختمها بالختم الخاص به وغير ذلك لإغلاق باب التلاعب والتزوير والقول على العلماء[2].

ثالثًا: مراحل الفتوى عند فضيلة الدكتور علي جمعة:

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ الفتوى تمر في ذهن المفتي بأربعة مراحل أساسية، تخرج بعدها في صورتها التي يسمعها أو يراها المستفتي، وهذه المراحل الأربعة هي: «مرحلة التصوير، مرحلة التكييف، مرحلة بيان الحكم، مرحلة الإفتاء»[3].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٤٤٢).

(٢) انظر: كتاب «صناعة الإفتاء» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ٦١ طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع مصر.

(٣) انظر: كتاب «صناعة الإفتاء» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ٦١ طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع مصر.

المرحلة الأولى: مرحلة التصوير:

ويتم في هذه المرحلة تصوير المسألة التي أثيرت من قِبَل السائل، والتصوير الصحيح المطابق للواقع شرط أساسي لصدور الفتوى صحيحة متماشية مع الواقع المعيش، ويرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنه ينبغي على المفتي أن يتحرى بواسطة السؤال عن الجهات الأربع التي تختلف الأحكام باختلافها، كما ينبغي عليه أيضًا أن يتأكد من تعلق السؤال بالأفراد وبالأمة؛ لأنّ الفتوى تختلف باختلاف هذين الأمرين(١).

والتصوير قد يكون لواقعة فعلية وقد يكون الأمر مقدرا لم يقع بعد، وحينئذ فلا بد من مراعاة المآلات والعلاقات البينية، وبقدر ما عند المفتي من قدرة على التصوير بقدر ما تكون الفتوى أقرب لتحقيق المقاصد الشرعية وتحقيق المصلحة ودرء المفسدة.

المرحلة الثانية: مرحلة التكييف:

والتكييف هو إلحاق الصورة المسئول عنها بما يناسبها من أبواب الفقه ومسائله، فنكيف المسألة مثلا على أنّها من باب المعاملات لا العبادات، وأنّها من باب العقود، وأنّها من قسم مسمى منها، أو من العقود الجديدة غير المسماة، وهذه مرحلة تهيئ لبيان حكم الشرع الشريف في مثل هذه الواقعة، والتكييف من عمل المفتي، ويحتاج إلى نظر دقيق، لأن الخطأ فيه يترتب عليه الخطأ في الفتوى، والتكييف قد يختلف العلماء فيه، وهذا الاختلاف أحد أسباب اختلاف الفتوى، والترجيح بين المختلفين حينئذ يرجع إلى قوة دليل أي منهم، ويرجع إلى عمق فهم الواقع، ويرجع إلى تحقيق المقاصد والمصالح ورفع الحرج وهي الأهداف العليا للشريعة.

المرحلة الثالثة: مرحلة بيان الحكم:

والحكم الشرعي هو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو

(١) المصدر السابق.

التخيير أو الوضع، ويؤخذ هذا من الكتاب والسنة والإجماع، ويتم إظهاره أيضًا بواسطة القياس والاستدلال، ويجب على المفتي أن يكون مدركًا للكتاب والسنة ومواطن الإجماع وكيفية القياس ودلالات الألفاظ العربية وترتيب الأدلة وطرق الاستنباط، وإدراك الواقع إدراكًا صحيحًا، ويتأتى هذا بتحصيله لعلوم الوسائل والمقاصد كالأصول والفقه واللغة والحديث ونحوها، وبتدريبه على الإفتاء الذي ينشئ لديه ملكة راسخة في النفس يكون قادرا بها على ذلك، وكذلك تحليه بالتقوى والورع والعمل على ما ينفع الناس.

المرحلة الرابعة: الإفتاء:

أو مرحلة التنزيل أي إنزال هذا الحكم الذي توصل إليه على الواقع، وحينئذ فلا بد عليه من التأكد أنّ هذا الذي سيفتي به لا يكر على المقاصد الشرعية بالبطلان، ولا يخالف نصًا مقطوعًا به ولا إجماعًا متفقًا عليه ولا قاعدة فقهية مستقرة، فإذا وجد شيئًا من هذا فعليه بمراجعة فتواه حتى تتوفر فيها تلك الشروط.

والمتأمل في هذه المراحل يقف على عبقرية فضيلة الدكتور علي جمعة الذي غاص بعقليته الموسوعية في عقل المفتي، وخرج لنا بهذه الرحلة التي تمر بها الفتوى في عقله.

رابعًا: عوامل تغير الفتوى عند فضيلة الدكتور علي جمعة:

إنّ معرفة مراحل صياغة الفتوى الأربع: «التصوير، والتكييف، وبيان الحكم، وإصدار الفتوى» ترتبط ارتباطًا وثيقًا ومنهجيًا بقضية أخرى، وهي عوامل تغير الفتوى، فيرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ الفتوى تختلف باختلاف الجهات الأربع «الزمان، والمكان، والأشخاص، والأحوال» ويختص ذلك فقط بالأحكام المبنية على الأعراف والعادات والأحكام الاجتهادية التي استنبطت بدليل القياس أو المصالح المرسلة أو الاستحسان أو غيرها من الأدلة الفرعية، أما الأحكام التي لا تبنى على

الأعراف والعادات، والأحكام الأساسية النصية بالأمر أو النهي، فإنها لا تتغير بتغير الأزمان، ولا بتغير الأماكن، ولا بتغير الناس، كوجوب الصلاة والصيام والزكاة والجهاد والأمانة والصدق، وإباحة البيع والشراء، والرهن والإجارة، ووجوب الميراث وبيان أنصبتها، وغيرها من الأحكام المأمور بها، ومثل حرمة الزنى وشرب الخمر، وحرمة القمار، والكذب، وشهادة الزور، والخيانة، وتحريم الفرار من المعركة، وتعاطي الكهانة وادعاء معرفة الغيب، وغيرها من الأحكام المنهي عنها(١).

والمتأمل في كلام فضيلة الدكتور علي جمعة حول قضية « عوامل تغير الفتوى » يمكنه أن يحدد معالم تلك العوامل التي على أساسها تتغير الفتوى لديه، فيما يلي :

١- تغير الزمان :

والمقصود بتغير الزمان عند فضيلة الدكتور علي جمعة هو: تغير العادات والأحوال للناس في زمن عنه في زمن آخر، أو في مكان عنه في مكان آخر مهما اختلفت المؤثرات التي أدت إلى تغير الأعراف والعادات، وقد أُسند التغيير إلى الزمان مجازًا، فالزمن لا يتغير، وإنما يطرأ التغير على الناس، والتغيير لا يشمل جوهر الإنسان في أصل جبلته وتكوينه، فالإنسان إنسان منذ خلق، ولكن التغيير يتناول أفكاره وصفاته وعاداته وسلوكه، مما يؤدي إلى وجود عرف عام أو خاص، يترتب عليه تبديل الأحكام المبنية على الأعراف والعادات، والأحكام الاجتهادية التي استنبطت بدليل القياس أو المصالح المرسلة أو الاستحسان أو غيرها من الأدلة الفرعية(٢).

ويرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ تغير الفتوى نُسب لتغير الزمان في كلام بعض العلماء؛ لأنّ الزمان هو الوعاء الذي تجرى فيه الأحداث والأفعال والأحوال،

---

(١) انظر : مقال بعنوان: « التأصيل الحضاري للتشريع الإسلامي..... تغير الفتوى»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

(٢) انظر : بحث بعنوان : «الفتوى ضوابطها وأبعادها»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ ١٦ .

وهو الذي تتغير فيه العوائد والأعراف، فنسبة تغير الفتوى لتغير الزمان من هذا الباب، ويعبر عنه أيضًا بفساد الزمان، ويُقصد بفساد الزمان فساد الناس وانحطاط أخلاقهم وفقدان الورع وضعف التقوى، مما يؤدى إلى تغيّر الأحكام تبعًا لهذا الفساد ومنعًا له، وقد أصبح انتشاره عرفًا يقتضى تغير الحكم لأجله(١).

٢- تغير المكان :

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ تغير الأمكنة المعتبر في تغير الفتوى له حالات، منها:

الحالة الأولى: اختلاف البيئة:

فاختلاف البيئة له أثر مهم في تغير الأحكام الشرعية؛ لأن الناس يأخذون بعض الخصائص من البيئة، وهذه الخصائص تؤثر في العادات والعرف والتعامل، لذلك تظهر عيوب القوانين بوضوح بانتقالها من أمة إلى أخرى(٢).

كما يرى فضيلته أنّ هناك تأثرًا ليس من خصائص الناس، بل من خصائص البيئة، مثل الأحكام التي خرجت للاستفادة من ماء دجلة والفرات في العراق في المذهب الحنفي، وقد تتأثر البيئة بالعوامل الجوية كالمطر والقحط والحرارة والبرودة وغيرها، وهذا يؤثر في حياة الناس وأعرافهم وعاداتهم وتعاملهم، ونتيجة لهذا التغير تختلف الأحكام، مثل اختلاف أوقات العمل، على حسب درجة البرودة والحرارة أو الاختلافات الأخرى، مثل الحال في القطبين الشمالي والجنوبي، حيث تختلف أوقات الصلاة والصوم هناك، وأيضًا يختلف البلوغ عادة في الأقطار الحارة عن الأقطار

(١) انظر : مقال بعنوان: « التأصيل الحضاري للتشريع الإسلامي..... تغير الفتوى»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

(٢) انظر: بحث بعنوان:«الإفتاء... حقيقته وآدابه ومراحله» لفضيلة أ.د/ علي جمعة مقدم في مؤتمر «الفتوى وضوابطها» الذي نظّمه المجمع الفقهي الإسلامي عام ٢٠٠٩.

الباردة، فالصبي في سن الرابعة عشرة في بلد ما يبلغ الحُلُم فيصير مكلفًا، ونظيره في بلد آخر لا يبلغ فلا يكون مكلفًا، فسقوط التكليف عن أحدهما وقيامه بالآخر ليس لاختلاف الخطاب الموجَّه إليهما، بل الخطاب واحد، لكن الاختلاف في متعلقه وهو وقوع التكليف على من عاش في بلد حار فظهرت عليه أمارات البلوغ، وعدم التكليف على من عاش في بلد آخر ولم تظهر عليه الأمارات نفسها.[١]

الحالة الثانية: اختلاف الدار، دار الإسلام ودار الحرب:

قسم الفقهاء العالم إلى قسمين: الأول يشمل كل بلاد الإسلام، وتسمى دار الإسلام، والثاني يشمل كل البلاد الأخرى، وتسمى دار الحرب.[٢]

ويمكن تعريف دار الإسلام بأنها: كل بلدة تطبق فيها قوانين الإسلام وتظهر أحكامه، ويتكون سكانها من المسلمين، والذميين الذين يلتزمون أحكام قوانين الدولة الإسلامية.[٣]

وتصبح دار الإسلام دار حرب عند أبي يوسف ومحمد إذا ظهرت ونفذت فيها غير قوانين الإسلام.

وأما دار الحرب فهي كل بلدة تظهر فيها أحكام غير الإسلام وتنفذ فيها ويمكن أن يكون سكانها من المسلمين وغير المسلمين.[٤] وهناك دار أخرى بين دار الإسلام

---

(١) انظر: مقال بعنوان: «التأصيل الحضاري للتشريع الإسلامي.. تغير الفتوى»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

(٢) انظر: «التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالقانون الوضعي» للدكتور/ عبد القادر عودة (١/ ٤٩)، طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

(٣) انظر: «التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالقانون الوضعي» للدكتور/ عبد القادر عودة (١/ ٢٧٦)، طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

(٤) انظر: «التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالقانون الوضعي» للدكتور/ عبد القادر عودة (١/ ٢٧٧)، طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

ودار الحرب، وهي دار العهد التي يظهر عليها المسلمون وعقد أهلها الصلح معهم على شئ يؤدونه من أرضهم يسمى خراجا دون أن تؤخذ منهم جزية على رقابهم، لأنهم في غير دار الإسلام.(١)

٣- تغير الأشخاص :

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ الشخص إما أن يكون شخصًا طبيعيًّا أو اعتباريًّا والشخص الاعتباري، لا تنشأ المعاملات بعامة والعقود بخاصة إلا بين أطراف يتمتع كل منهم بالأهلية اللازمة لتلقي الحقوق وتحمل الالتزامات، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال تمتع كل طرف بالشخصية القانونية. وتعرف المعاملات نوعين من الأشخاص:

الشخص الطبيعي: وهو الفرد المتمثل في الإنسان وهو يكتسب الشخصية القانونية بمولده، وهو ما تدور حوله أحكام الفقه التراثي، ولذا فإن تغير الشخص الطبيعي يسيرًا، والتطور الهائل جعل التغير في الشخص الاعتباري أكثر تأثيرًا على الفقه الإسلامي المعاصر.

والشخص الاعتباري أو المعنوي: وهو مجاز قانوني يعترف بموجبه لمجموعة من الأشخاص أو الأموال بالشخصية القانونية والذمة المالية المستقلة عن أشخاص أصحابه أو مؤسسيه.(٢)

وعن فكرة الشخص الاعتبارية يقول فضيلة الدكتور علي جمعة :« كانت نشأة فكرة الشخص الاعتباري استجابة لحاجات عملية فرضها واقع الحياة من حيث

---

(١) انظر: «آثار الحرب.... دراسة فقهية مقارنة » للدكتور/ وهبة الزحيلي، صـ ١٧٥، طبعة دار الفكر المعاصر.

(٢) انظر : بحث بعنوان : «الفتوى ضوابطها وأبعادها»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ ٢٢.

ضرورة التعامل مع المجموع دون تمييز لمفرداته، ولعل أقدم صور الشخص الاعتباري كانت الدولة، وعرفت الشريعة الإسلامية كيانات تتمتع بالاستقلال والذاتية كالوقف وبيت المال والمسجد، ومع تقدم الحياة وتعقد صور التعامل في المجتمع تزايدت صور الأشخاص الاعتبارية العامة كالدولة ووحدات الإدارة المحلية والهيئات العامة والنقابات والطوائف الدينية، ومنها ما يندرج ضمن الأشخاص الاعتبارية الخاصة كالشركات والجمعيات والمؤسسات الخاصة.(١)

٤- تغير الحال :

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ مراعاة الأحوال التي تنشأ، والظروف التي تستجد، مما يستدعي تغير الحكم إذا كان اجتهاديًا، أو تأخير تنفيذه، أو إسقاط أثره عن صاحبه إذا كان الحكم قطعيًا من الأمور التي علّمها سيدنا رسول الله ﷺ لأمته.(٢)

ومن ذلك ما ورد عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه نهى أن تقطع الأيدي في الغزو، كما روى أبو داود، وهو حد من حدود الله تعالى، وقد نهى عن إقامة الحد في هذه الحالة خشية أن يترتب عليه ما هو أبغض إلى الله تعالى من تعطيله أو تأخيره، وهو لحوق صاحبه بالأعداء حمية وغضبا، كما قاله عمر وأبو الدرداء، ونص عليه أحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهما، فلا تقام الحدود في أرض العدو،(٣) وقد أتي بسر بن أرطأة برجل من الغزاة وقد سرق مجنة فقال: لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَا تُقْطَعُ الْأَيْدِي فِي الْغَزْوِ» لقطعت يدك.(٤)

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: بحث بعنوان:«الإفتاء... حقيقته وآدابه ومراحله» لفضيلة أ.د/ علي جمعة مقدم في مؤتمر «الفتوى وضوابطها» الذي نظّمه المجمع الفقهي الإسلامي عام ٢٠٠٩.

(٣) انظر : بحث بعنوان : «الفتوى ضوابطها وأبعادها»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ٢٤.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٤٤٠٨)، والترمذي في سننه (١٤٥٠).

كما يرى الدكتور علي جمعة أنّ «الضرورة الملجئة» من الأمور التي تؤثر في تغير الحال؛ حيث إنّ هناك أحوال اضطرار يقع فيها العبد المسلم مما يكون معه مضطرًا لفعل ما حرمه الله، ومن رحمة الله بالعباد أنه في هذه الأحوال لم يجعل عليهم إثمًا فيما فعلوه، والناظر غير المتبصر يظن أن الحكم قد اختلف، وهما في الحقيقة حالان مختلفان، لكل حال حكم، فحال الاختيار له حكم، وحال الاضطرار له حكم، وحالان مختلفان لهما حكمان متغايران لا يقال له تبدل ولا تغير، ولنضرب المثل لذلك، من المعلوم أن الله حرم أكل الميتة، فيحرم على العباد أكل لحوم الميتة، فمن أكل منها يقال له: هذا حرام، وقد فعلت ما يستوجب عقاب الله. فلو تغير حال أحد الناس وصار في حالة اضطرار بحيث إذا لم يأكل من الميتة هلك؛ هنا يصدق عليه وصف المضطر، وهنا يباح له الأكل من الميتة، والحكم تغير هنا في الظاهر، ولكن في الحقيقة الحكم لم يتغير، وإنما الذي تغير هو الحال التي ترتب عليه الحكم.(١)

الركن الثالث: المستفتي:

إنّ الحديث عن «المستفتي» عند فضيلة الدكتور علي جمعة، ينحصر ثلاث نقاط أساسية، هي: «آداب المستفتي، وتعدد المفتين على المستفتي، ومدى إلزام المستفتي بالفتوى»(٢) وفيما يلي بيان ذلك:

أولا: آداب المستفتي:

يرى الدكتور علي جمعة أنّه ينبغي على المستفتي التحلي بمجموعة من الآداب تتيح له الاستفادة على الوجه الأمثل من الفتوى والمفتي، فإنّ بمراعاة المستفتي لهذه

---

(١) انظر: بحث بعنوان:«الإفتاء... حقيقته وآدابه ومراحله» لفضيلة أ.د/ علي جمعة مقدم في مؤتمر «الفتوى وضوابطها» الذي نظّمه المجمع الفقهي الإسلامي عام ٢٠٠٩.

(٢) انظر: كتاب «صناعة الإفتاء» لفضيلة أ.د/ علي جمعة،صـــ ٩٠ طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع مصر.

الآداب تكمل المنظومة الحضارية بين أطراف العملية الإفتائية، و فيما يلي بعض هذه الآداب التي ذكرها فضيلة الدكتور علي جمعة في كثير من كتاباته وأبحاثه:

١- حفظ الأدب مع المفتي : فالمفتي عالم في الدين، ومتخصص في الشريعة الإسلامية، فعلى العامي إذا ذهب ليتعلم أمرًا من أهل الاختصاص أن يراعي الأدب، واعتبار منزلتهم في تخصصهم، كمن ذهب إلى طبيب يستشيره ويسأله عن العلاج، فكذلك يراعي المستفتي حفظ الأدب معه.

٢- عدم الإصرار على مطالبة المفتي بالحجة والدليل؛ حيث لا ينبغي للمستفتي أن يطالب المفتي بالدليل، وذلك ليس من باب التحكم، والكهنوت، وإنما لمراعاة حال المستفتي، فالأصل في العامي أنّه لا علم له بالدليل أصلًا، ولا بقطعية الدلالة وظنيتها، ومطالبته بالدليل قد يكون من باب الشغب، والتناظر بين المتخصصين وغير المتخصصين، فنحن لا نمنع من المناظرة والإثراء الفكري والعلمي، ولكن ينبغي أن تكون تلك المناظرات والمناقشات بين أهل الاختصاص، فليس هناك من فائدة علمية من أن يناقش المريض الطبيب في التشخيص وسبب هذا التشخيص مثلًا.

٣- عدم الإكثار من السؤال في غير فائدة : ويكره كثرة السؤال، والسؤال عما لا ينفع في الدين، والسؤال عما لم يقع، وأن يسأل عن صعاب المسائل، وعن الحكمة في المسائل التعبدية.

٤- حسن تخير من يفتيه : ينبغي أن يتحرى المستفتي قصد العالم المتخصص في علوم الشريعة المجتمع على أهليته للفتوى، والتحري في هذا الأمر – وخاصة في عصرنا هذا- أهم من التحري في قصد الطبيب الحاذق، فإن الخطأ في قصد الطبيب الحاذق يفسد على الإنسان أمر المعاش، أما الخطأ في قصد العالم فيفسد عليه المعاش والمعاد.

٥- مصارحة نفسه إذا كان يعلم أنّ باطن الأمر بخلاف ما سأل : إنّ المفتي يفتي بالظاهر، وبما تبين من أدلة، وقد يدعي إنسان حقًا ليس له، ولكن يقيم عليه الأدلة والشهود، فإن المفتي أصاب في الفتوى، ولكن لا يجوز للمستفتي العمل بها، اعتمادًا على أنّها فتوى للمفتي؛ لأنّ المفتي لو اطلع على باطن الأمر وصدق المستفتي في عرض مسألة لم يفت بما أفتى به، وفي هذا المعنى يقول ابن القيم : « ولا تخلصه فتوى المفتي من الله إذا كان يعلم أنّ الأمر في الباطن بخلاف ما أفتاه، كما لا ينفعه قضاء القاضي له بذلك، كما قال النبي ﷺ: « فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، فَلاَ يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ »[1].

ثانيا: مسألة تعدد المفتيين على المستفتي:

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ المستفتي إذا وجد أكثر من عالم، وكلهم عدل وأهل للإفتاء، فهو بالخيار بينهم يسأل منهم من يشاء ويعمل بقوله، ولا يجب عليه أنْ يجتهد في أعيانهم ليعلم أفضلهم علمًا فيسأله، بل له أن يسأل الأفضل إن شاء، وإن شاء سأل المفضول مع وجود الفاضل، ودليل ذلك أن الناس كانوا يسألون الصحابة مع وجود أفاضلهم وأكابرهم وتمكنهم من سؤالهم.

ثالثا : مدى التزام المستفتي بالفتوى :

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ المستفتي ملتزم بالحكم الشرعي، وقد تكون فتوى المفتي هي الحكم الشرعي الملزم للمستفتي، وقد لا تكون، ولذلك فإنّ المستفتي لا يجب عليه العمل بقول المفتي لمجرد إفتائه، وهذا هو الأصل، ولكن قد يجب في أحوال، منها :

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧١٦٨)، ومسلم في صحيحه (١٧١٣).

١- أن لا يجد إلا مفتيًا واحدًا : فيلزمه العمل بقوله. وكذا إن اتفق قول من وجده منهم، أو حكم بقول المفتي حاكم.

٢- أن يفتيه بقول مجمع عليه : لعدم جواز مخالفة الإجماع.

٣- أن يكون الذي أفتاه هو الأعلم الأوثق.

٤- إذا استفتى المتنازعان في حق فقيهًا، والتزما العمل بفتياه، فيجب عليهما العمل بما أفتاهما. فلو ارتفعا إلى قاض بعد ذلك فحكم بينهما بغير ما أفتاهما به الفقيه لزمهما فتيا الفقيه في الباطن، وحكم الحاكم في الظاهر، قاله السمعاني، وقيل : يلزمهما حكم الحاكم في الظاهر والباطن.

٥- إذا استفتى فقيها فأفتاه فعمل بفتواه لزمه ذلك : فلو استفتى آخر فأفتاه بغير فتوى الأول لم يجز الرجوع إليه في ذلك الحكم، نقل الإجماع على ذلك الهندي وابن الحاجب.

المطلب الثاني

عملية الإفتاء وعناصر إجراءاتها عند الدكتور علي جمعة

الفتوى ليست عملية عشوائية، بل هي عملية تتكون من إجراءات في ذهن الفقيه حتى تخرج فتوى مؤصلة بالمصادر، ومناسبة للواقع، نافعة للناس في دينهم ومعاشهم، فعملية الفتوى من الناحية الإجرائية عند الدكتور علي جمعة تتكون من ثلاثة عناصر أساسية،هي : «المصادر، وإدراك المصادر في ظل إدراك الواقع، وربط المصادر بالواقع»(١).

إنّ المتتبع لكتابات فضيلة الدكتور علي جمعة يجد أنّ فضيلته قد فصّل الكلام في كل عنصر من هذه العناصر مما لا يدع مجالًا للشك والريب فيه، وقد سبق تفصيل هذه العناصر الثلاثة عند الحديث عن« رؤية الدكتور علي جمعة في تجديد الفقه الإسلامي »؛ حيث عرفنا أنّ هناك أحكامًا خمسة نصف بها أفعال البشر جميعًا في أي مجال كان.

فكما أنّ إدراك المصادر الشرعية المرعية من أهم عناصر عملية التجديد الفقهي، هي كذلك من أهم العناصر التي تقوم عليها عملية الإفتاء، وإجراءاتها، ثم يأتي إدراك هذه المصادر في ظل إدراك الواقع بعوالمه المختلفة التي بيّنها الدكتور علي جمعة في حديثه حول «ضوابط التجديد الفقهي»، وعند حديثه عن «ضوابط الفتوى وأبعادها»(٢)، ثم في النهاية يقوم المفتي بالربط بين المصادر، وإدراكها وإدراك الواقع.

وعليه يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ إدراك الواقع يمثل في ذهن ذلك المفتي «مرحلة التصوير» فإنّه يريد أن يتصور الواقع على ما هو عليه ولا يتكلم ويهرف بما لا يعرف ويوقع كلامًا مكتوبًا في الكتب على واقع قد تغير تغيرًا شديدًا ولم يعد

(١) انظر : بحث بعنوان : «الفتوى ضوابطها وأبعادها»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صــ ٣١.

(٢) انظر: المصدر السابق.

هو المذكور في الكتب، ويتم ذلك الربط بعد أن يتم التصوير، فينبغي على المفتي أن يُكيف ما صور، بعد أن يعرف المشكلة فالطبيب يلجأ إلى التشخيص، والتشخيص هو «مرحلة التكييف» عند المفتي بعد ذلك يظهر حكم الله في مثل هذا.[1]

(١) انظر: المصدر السابق.

المطلب الثالث

منهج الدكتورعلي جمعة في الإفتاء

مما لا شك فيه أنّ فضيلة الدكتور علي جمعة هو أحد الأعلام المبرزين في مجالات عدة، لاسيما مجال الفتوى، فهو فارس الميدان، ومفتى الزمان والمكان، كان شيخنا وشيخ مشايخنا العلامة المعمر فضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم يقول عن فضيلته : «الشيخ علي جمعة هو علامة العصر ومفتي أهل مصر »، كما شهد القاصي والداني من العلماء لفضيلته في علم الفقه والإفتاء بالتمكن، وسعة اطلاعه وتبحره، وقدرته على الاجتهاد والاستنباط.

فلما كانت الفتوى تشكل عصبًا مهمًا لحيوية الدين، وهذا إن فُسر فإنّما يمكن تفسره على أنّ كون حيوية أي مذهب إسلامي تتوقف على اعتماد الفتوى أو الفتاوى كنهج لا استغناء عنه؛ وذلك بسبب كون العديد من الأشياء الجديدة أو المستجدة تحتاج إلى رأي الدين الإسلامي بها على أساس معاصر ممكن التطبيق، وذلك فإنّ الهدف الأول والأخير هو الوصول إلى مرضاة الله العلي القدير؛ لذلك فكما أن للفتوى أصولا وضوابط شرعية يجب أن يكون المفتي ملمًا بها وعليه واجبات، وعلى المستفتي واجبات لابد أن يتعلمها قبل طلب الفتوى أو السعي للحصول عليها؛ لأنّ الكثير من الناس يجتهد للحصول على فتوى محددة تبعًا لهواه؛ لتريحه من عناء مشكلة معينة، ولا ينظر بعين الشرع من إذا كانت هذه الفتوى تتماشى مع حالته أم لا، وما إذا كانت هذه الرخصة يجوز له الأخذ بها أم لا، فكذلك كان لابد للمفتي أن يكون له منهج يسير عليه في فتواه.

وأعتقد أنّ من أهم ما يميز منهج فضيلة الدكتور علي جمعة في الإفتاء هو امتلاكه الحقيقي لأدوات الاجتهاد، والتزامه أحكام وآداب الإفتاء، وإدراكه للواقع بشكل

عميق، واعتباره للمصادر الشرعية المرعية، واعتبار المآلات، واعتباره للمقاصد الشرعية، واعتباره لمصالح العباد والبلاد، مع تقديره آراء الرجال، وتفعيله للمقاصد والقواعد في فتاواه، فمن هذا المنطلق سوف أتناول الحديث في هذا المطلب عن منهج الدكتور علي جمعة في الإفتاء، وفيما يلي بيان ذلك:

إنّ المُطالع لفتاوى فضيلة الدكتور علي جمعة المكتوبة، والمسموعة، والمرئية يمكنه الوقوف على منهجه الذي سار عليه في إصدار الفتاوى، ويتلخص هذا المنهج في قواعد، سوف أذكرها لك حتى تكون على بينة من أمرك، وقبل ذكر هذه القواعد، سوف أعرض لك ما ذكره فضيلة الدكتور علي جمعة في مقدمة كتابه: « فتاوى البيت المسلم» عن معالم منهجه في الإفتاء؛ حيث قال فضيلته : ومنهجنا الذي نسر عليه في فتوانا يتمثل في :

أولًا: أننا نأخذ الأحكام من القرآن باعتباره النص الموحى به، المعصوم من التحريف، المنقول إلينا بالتواتر.

ثانيًا: السنة: وهي مصدرنا الثاني الذي نستمد منه فتوانا؛ لأنها هي المبينة، والمتممة للقرآن.

ثالثًا: الإجماع: الذي يُخرج المسألة من دور الظنية إلى دور القطعية، وفهم قضية الإجماع في هذا الإطار يحرر كثيرًا من الخلاف حول المسألة، ويجعل كلام المؤيدين ذا معنى واضح، وفائدة مرجوة. وهذه النظرية سيكون لها أكبر أثر في قضايا الخلاف الفقهي، والاجتهاد والإفتاء.

رابعًا: الإلحاق: وهو يشمل في مضمونه أشكالًا متعددة، كالقياس وكإجراء الكلي على جزئياته، أو تطبيق المبدأ العام على أفراده، فالكل - حتى الظاهرية – قائلون بما يمكن أن نسميه الإلحاق، وإن أنكروا هيئة مخصوصة منه وهو القياس.

خامسًا: الاستدلال: ويشمل مجموعة من المحددات: كالعرف، والعادة، وقول الصحابي، وشرع من قبلنا، ونحوها، وهذه النظرية تؤثر بمعنى أو بآخر في الوصول إلى الحكم الشرعي.

سادسًا: الإفتاء: ويشمل ذكر المقاصد الشرعية، والتعارض والترجيح مع شروط الاجتهاد والإفتاء بحيث يقوم من توافرت فيه شروط الباحث بإصدار الحكم، ثم عرضه على سقف المقاصد الشرعية بحيث لا يتعداها، ومراجعة حكمه إن تعدادها حتى يتسق معها بحيث لا تكرُ الأحكام على المقاصد بالبطلان لما فيه من عكس المطلوب.

ثم يختم الدكتور علي جمعة كلامه في هذه المقدمة الماتعة بقوله :ومنهجنا الذي نسير عليه في الفتاوى على نقل المذاهب السنية الأربعة « الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية» مع الاعتراف بالمذاهب الأخرى، والاستئناس بها، بل وترجيحها أحيانًا لحاجة الناس، أو لتحقيق مقاصد الشرع، وهي تلك المذاهب التي يتبعها بعض المسلمين في العالم أصولًا وفروعًا، كما أنّها في اختياراتها الدينية كثيرًا ما تتسع دائرة الحجية عندها إلى مذاهب المجتهدين العظام كالأوزاعي والطبري والليث بن سعد، وغيرهم في أكثر من ثمانين مجتهدًا في التاريخ الإسلامي تستأنس بآرائهم، وقد ترجحها لقوة الدليل، أو لشدة الحاجة إليها، أو لمصلحة الناس، أو لتحقيق مقاصد الشرع الشريف، وهو المنهج الذي ارتضته الجماعة العلمية في عصرنا هذا شرقًا وغربًا وعند العقلاء من جميع مذاهب المسلمين.[1]

القواعد التي بُني عليها منهج فضيلة الدكتورعلي جمعة في الإفتاء:

من خلال النظر في فتاوي الدكتور علي جمعة، تجد أن فضيلته يعتمد في الإفتاء على عدة قواعد أهمها :

(١) انظر: مقدمة كتاب «فتاوى البيت المسلم» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، طبعة دار الإمام الشاطبي مصر.

١- عدم التعصب والتقليد؛ وذلك لأن فضيلة الدكتور علي جمعة متحرر في فتاويه من العصبية المذهبية والتقليد الأعمى لهذا أو ذاك من المتقدمين أو المتأخرين، هذا مع التوقير الكامل لأئمتنا وفقهائنا فعدم تقليدهم ليس خطأ من شأنهم، بل سيرًا على نهجهم، وتنفيذًا لوصاياهم، فمن الضوابط الراسخة لدى فضيلة الدكتور علي جمعة الوقوف عند مناهج السلف وترك مسائلهم، وما كان ذلك منه إلا إدراكًا للواقع، وتحقيقًا لمراد الله في خلقه.

٢ـ لا يلتزم فضيلة الدكتور علي جمعة رأيًا في قضية يُفتي فيها إلا وكانت حجته ساطعة، وبراهينه قاطعة، فكانت مجالسه تُسمى: «بمقبرة الوهابية »، فما دخل أحدٌ منهم مجلسه وناقشه في قضية إلا وأقام عليه الحجة والدليل، وقد سمعتُ فضيلة الشيخ سيد شلتوت أمين الفتوى بدار الإفتاء المصرية يقول : «كان مولانا فضيلة الدكتور علي جمعة يأتي في مجالسه بعجب العجاب، وكان يقيم الحجة والدليل بما لا يدع في قلب أحد من الجالسين شك وريبة».

٣ـ قدرة الدكتور علي جمعة على الترجيح بين الأقوال المختلفة والآراء المتعارضة، بالموازنة بين أدلتها والنظر إلى مستنداتها من النقل والعقل؛ ليختار منها ما كان أليق بنصوص الشرع، وأقرب إلى مقاصده، وأولى بإقامة مصالح الخلق التي نزلت لتحقيقها شريعة الخالق سبحانه وتعالى ـ، وهذا ليس عسيرًا على من ملك وسائله من دراسة العربية وعلومها، وفهم المقاصد الكلية للشريعة، بجانب الإطلاع الواسع على مختلف العلوم والفنون.

٤-التيسير وعدم التعسير : من القواعد التي اعتمدها فضيلة الدكتور علي جمعة وسار عليها في فتاويه، تغليب روح التيسير والتخفيف على التشديد والتعسير نظرًا لأمرين:

أولا: الشريعة مبنية على التيسير ورفع الحرج من العباد.

ثانيا: طبيعة العصر الذي نعيش فيه، وهو عصر طغت فيه المادية على الروحية، والأنانية على الإيثار، والنفعية على الأخلاق، و كثرة المغريات بالشر، والمعوقات عن الخير.

وفي هذا الصدد يقول فضيلة الدكتور علي جمعة: « من الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المفتي، والتي قد تصل إلى الشروط في أيامنا هذه، التيسير على الناس، وإدخالهم في دين الله، وإلقاء الستر عليهم، والعمل على جعل الناس متبعين لقول معتبر في الشرع، فذلك خير لهم من تركهم للدين بالكلية، وإيقاعهم في الفسق، مما يعد صدا عن سبيل الله من حيث لا يشعر العالم، إذن فالمقصد الأساسي الذي يسعى لتحقيقه المفتي هو إحداث آلية شرعية للتعامل مع التراث الفقهي الإسلامي؛ بحيث لا تخرج عنه ولا يكون عائقا للمسلم المعاصر، وأنّ ذلك لا ينبغي الإنكار عليه لأن الرأي الذي سينتهي إليه محل خلاف، وأساس هذا قاعدة

٥- مخاطبة الناس بلغة العصر؛ حيث تجنب فضيلة الدكتور علي جمعة في فتاويه ذكر المصطلحات الصعبة، والتشدق بالألفاظ الغربية، لكنّ فضيلته نسج لنفسه منهجًا سار عليه وهو : توخي السهولة والدقة في الألفاظ والعبارات؛ لذلك فإن فضيلته يخاطب بلغته كل المستويات والفئات على اختلاف أعمارهم، وبيئاتهم، وثقافتهم.

وقد جاء عن الإمام علي رضي الله عنه أنّه قال :«حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتريد أن يكذب الله ورسوله ؟ !».

وقد أدرك الدكتور علي جمعة أنّ لكل عصر لسان أو لغة تميزه وتعبر عن وجهته، فلا بد لمن يريد التحدث إلى الناس في عصرنا أن يفهم لغتهم ويحدثهم بها، ولغة عصرنا -كما يرى فضيلته- تتطلب عدة أشياء يجب على المفتي أن يراعيها في فتاويه:

أ- أن يعتمد على مخاطبة العقول بالمنطق، لا على إثارة العقول بالمبالغات فالقرآن معجزة الإسلام الكبرى معجزة عقلية، فلم تعرف البشرية دينًا يحترم العقل والعلم كما يحترمه الإسلام.

ب-أن يدع التكلف والتقعر في استخدام العبارات والأساليب، وأن يستخدم اللغة السهلة القريبة المأنوسة، وبعض الألفاظ والأمثال العامية للتوضيح أكثر وأكثر، وهذا هو دأب فضيلة الدكتور علي جمعة فإن مجالسه الإفتائية لا تخلو من المُلح والطُرف.

ج- أن يذكر الحكم مقرونًا بمقصده وحكمته وعلته، مربوطًا بالفلسفة العامة للإسلام.

٦-الإعراض عما لا ينفع الناس : وذلك أنّ الدكتور علي جمعة لا يشغل نفسه ولا جمهوره إلا بما ينفع الناس، ويحتاجون إليه في واقع حياتهم أما الأسئلة التي يريد بها أصحابها البلبة وإثارة الشغب والتفاصح والتعالم، أو الفوضى فيها لا يحسنونه أو إثارة الأحقاد والفتن بين الناس. أو نحو ذلك، فإن فضيلته لا يلقى لهذه الأسئلة بالا؛ لأنها تضر ولا تنفع، وتهدم ولا تبنى، وتفرق ولا تجمع.

۞۞۞

المطلب الرابع

جهود الدكتورعلي جمعة في تطوير مؤسسة دارالإفتاء المصرية

تعدُّ « دار الإفتاء المصرية» من المؤسسات الدينية التي تقوم على خدمة الأمة الإسلامية، وتقودها إلى ما فيه خيرها ورفعتها في دينها ودنياها، وهي تعمل على تأسيس الفتوى الشرعية تأسيسًا سليمًا يتفق مع صحيح الدين، وتحقيق المقاصد الشرعية العليا من «حفظ النفس، والعقل، والدين، وكرامة الإنسان، وملكه»، كما تعمل « دار الإفتاء » على ترسيخ مبدأ المرجعية الدينية في نفوس الناس أمام الاستفسارات الكثيرة والمتتالية في المشكلات التي تواجه العالم الآن، و «دار الإفتاء المصرية» وهى تتصدى لأداء دورها الذي أنيط بها تؤكد عدة أمور، منها[1]:

١ـ ضرورة تعميق الشعور لدى المجتمع والأفراد بأهمية منصب الإفتاء.

٢ـ منصب الإفتاء ليس إبداء للآراء الشخصية، أو تحكيمًا للعقل المجرد، أو استجابة للعواطف النفسية، أو تحقيقيًا للمصالح الدنيوية المتوهمة، بل هو تبيين لما شرع الله سبحانه وتعالى لعباده من شرائع وأحكام بأدلتها؛ ومن ثَمَّ الدعوة إلى اطمئنان أفراد المجتمع إلى ما يصدر عنها من فتاوى.

٣ـ أهمية الثقافة بفتاوى العلماء والاطمئنان إليها، ونشرها في المجتمع، كما تؤكد« دار الإفتاء » على أهمية دور المجامع الفقهية، وسائر مؤسسات الفتوى، والاجتهاد الجماعي.

---

(١) انظر: «خدمة الرد على الأسئلة والاستفسارات ومقوماتها بدار الإفتاء المصرية : دراسة لواقعها والتخطيط لمستقبلها» لفضيلة الدكتور/ أحمد رجب أبو العزم رسالة مقدمة بكلية الآداب جامعة المنوفية، لنيل درجة الماجستير.

٤ـ العمل على وحدة الأمة والحفاظ على هويتها، واجتماع كلمتها على الشريعة الإسلامية، والحفاظ على وسطية الأمة في دينها ودنياها، وإظهار الصورة الحقيقية للإسلام، وتعرية المذاهب والشعارات الإلحادية والتكفيرية ونحوها مما يخرج عن صحيح الدين الإسلامي.

والمتأمل في كل ما يصدر عن « دار الإفتاء » يرى أنه يقوم على علمٍ صحيح مبني على الكتاب والسنة أو ما يرجع إليهما من إجماع، أو قياس صحيح، أو أصل شرعي معتبر، كما يرى مدى اعتناء « دار الإفتاء المصرية» بتحرير عبارة الفتوى تحريرًا رصينًا واضحًا بعيدًا عن الإيجاز المخل، والإطناب الممل، مع ذكر الشروط والقيود التي تتعلق بالحكم؛ لئلا تُفهم الفتوى على وجه غير صحيح، وحتى لا يستغلها الذين يبغون إثارة الفتن بين المسلمين.

كما تحذر « دار الإفتاء » من الفتاوى الضالة المضلة، التي تدعو الناس إلى سفك الدماء المعصومة بغير حق، والتأكيد على أنّ حفظها من أعظم مقاصد الشريعة الغراء، كما تحرص دار الإفتاء على استتباب الأمن في المجتمع المسلم خصوصًا، وفي المجتمع الإنساني عمومًا.

كما تقوم « دار الإفتاء » بتنفيذ العديد من البرامج المنظمة والأهداف المدروسة، مثل: إعداد الكوادر المتخصصة في مجال علوم الإفتاء المختلفة، الفقهية، والاجتماعية، والقضائية وغيرها من العلوم العصرية؛ وذلك من أجل مد جسور للثقة والتواصل مع مختلف الثقافات، والمستويات الاجتماعية، سواء أكانت في الداخل أم في الخارج، كما أن« دار الإفتاء ة» تلبي متطلبات العصر من خلال إجراء الأبحاث الفقهية، والعلمية لكل ما يهم المجتمع المسلم ويسهم في تطوير تفاعله مع المستحدثات والمستجدات، ونشرها على جميع المراكز العلمية والدعوية في مصر والعالم الإسلامي.

فلما كان لكل جسدٍ روح، ولكل مبنىً معنى، فإنّ « دار الإفتاء المصرية» كانت على موعد مع من يُحي المعنى لهذا المبنى، ففي بعثٍ جديدٍ لعلوم الدين والفتوى، وبمفهوم العصر الحاضر، اجتمعت لذاكرة التاريخ أعمدته الثلاثة: «شخص وزمان، ومكان»، الشخص هو : الإمام العلامة فضيلة الدكتور علي جمعة، والمكان هو:« دار الإفتاء المصرية »، والزمان هو : «عام ٢٠٠٣ م» العام الذي تولى فيه الدكتور علي جمعة منصب « دار الإفتاء »؛ ليكون انطلاقة جديدة وتوسع أكبر لدار الإفتاء المصرية في خدمة الأمة الإسلامية.

فقد شهدت« دار الإفتاء المصرية » في عهد الدكتور علي جمعة تطورًا هائلا، واستحداثًا لأقسام لم تكن موجودة في دار الإفتاء وتوسعًا كبيرًا في القاعدة التي تخدمها الدار من المستفيدين؛ حيث قام فضيلته بنقل« دار الإفتاء » نقلة فريدة من نوعها، فقد طبع فضيلته « الدار » بطابعه المنهجي فانتقل بها من الطابع الشخصي التشريفي، إلى لطابع المؤسسي التكلفي.

وعن هذه «النقلة النوعية» التي أحدثها فضيلة الدكتور علي جمعة في « دار الإفتاء »، يقول فضيلة الدكتور علي عمر رئيس إدارة الحساب الشرعي بدار الإفتاء المصرية :«أستطيع أن أقول : إنّ فضيلة الإمام الأستاذ فضيلة الدكتور علي جمعة مؤمن جدًا بفكرة المؤسسية، وقد أرسى هذه الفكرة في « دار الإفتاء المصرية »؛ حيث أنشأ فضيلته لجنة «أمانة الفتوي» التي أصبحت توقع على الفتاوى بدلًا من توقيع فضيلة المفتي، هذه الأمانة تتكون من: «الباحثين الشرعيين، وأُمناء الفتوى في دار الإفتاء» أنشأ فضيلته هذه اللجنة حتى تستطيع أن توقع على الفتوى، ولا تحتاج إلى توقيع فضيلة المفتي، ويستمر الأمر على هذا في تربية جيل جديد في «دار الإفتاء» يستطيع أن يقوم بأعباء دار الإفتاء بعد ذلك ».[1]

(١) لقاء تلفزيوني مسجل بعنوان: «قصة حياة الإمام علي جمعة».

وعن هذا التطور الملحوظ يقول فضيلة الدكتور علي جمعة : «عندما توليتُ «دار الإفتاء» كان الهاجس الذي يسيطر عليَّ هو تحويلها إلى مؤسسة تنفصل عن الأشخاص، تدوم بعد زوالهم، تستطيع أن تمارس مهامها في قوة، وفي خطوات ثابتة، إلى الأمام، وكان هذا يحتاج منا إلى تطوير الأدوات؛ لذلك أنشأنا الموقع الذي يذاع منه بالعربية والإنجليزية والفرنسية وغير ذلك من اللغات، كما أنشأنا «الكول سنتر» الذي يستقبل مكالمات من يطلب الفتوى ويجيب عليها، كما أنشأنا «مجلة للدار» حتى تنشر الأبحاث والفتاوى المؤصلة، وأنشأنا أيضًا مجموعة من «البروتوكلات» بين الدار وبين المؤسسات الداخلية، كالجامعات، ومراكز البحوث، والبنك المركزي، والمؤسسات الخارجية في دولة الكويت، ولبنان، والإمارات، والسودان، وغيرها. أنشأنا كل هذه الأدوات حتى تتحول «دار الإفتاء» إلى مؤسسة.[1]

فمن هذا المنطلق سوف أتناول بمشيئة تعالى في هذا المطلب جهود الدكتور علي جمعة في تطوير«دار الإفتاء» والنهوض بها، وما أضافه فضيلته «لدار الإفتاء»وذلك في نقاط، وفيما يلي بيان ذلك :

أولًا: تطوير الدكتور علي جمعة للهيكل التنظيمي لدار الإفتاء:

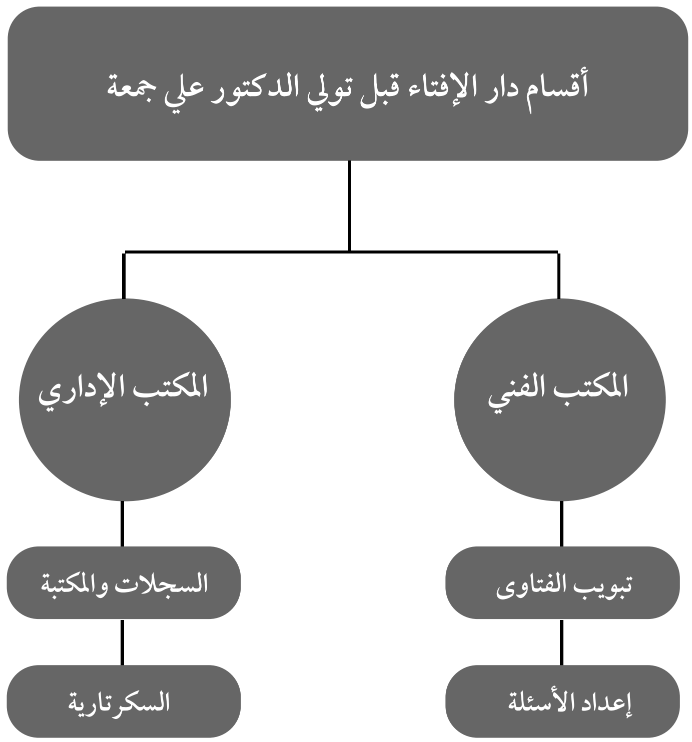
من خلال النظر والتأمل في الهيكل التنظيمي «لدار الإفتاء المصرية» قبل تولي فضيلة الدكتور علي جمعة منصب الإفتاء، وبعد توليه، يمكننا ملاحظة التباين الواضح والتطور الملحوظ الذي شهدته«دار الإفتاء » في ظل قيادته لها؛ حيث أعاد فضيلته هيكلة «دار الإفتاء» وصولًا إلى المؤسسية المنشودة، وسوف أتناول بمشيئة الله تعالى الحديث عن هذه القضية في نقطتين، هما : الهيكل التنظيمي لدار الإفتاء قبل وبعد تولي فضيلته منصب الإفتاء، وفيما يلي بيان ذلك :

---

(١) المصدر السابق.

١.الهيكل التنظيمي «لدار الإفتاء» قبل تولي فضيلة الدكتور علي جمعة :

هذا شكل تخطيطي يوضح أقسام «دار الإفتاء المصرية» قبل تولي فضيلة الدكتور علي جمعة منصب الإفتاء، ثم يليه شرح تفصلي لمهام كل قسم.



جرى العمل بدار الإفتاء منذ أن ارتبطت بنظارة الحقانية ثم وزارة الحقانية ثم وزارة العدل على أن يعاون المفتي عدد من العلماء بالفقه الإسلامي والإداريين.

وكان من الوظائف الرئيسية فيها وظيفة أمين الفتوى بدرجة - موظف قضائي - وهو المنوط به إعداد الفتوى للعرض على المفتي، والمعاونة في البحوث الفقهية والقانونية، ولكثرة العمل الفني كان ينتدب للعمل بدار الإفتاء علماء فنيون بدرجة موظف قضائي من قضاة المحاكم الشرعية.[1]

(١) انظر: «خدمة الرد على الأسئلة والاستفسارات ومقوماتها بدار الإفتاء المصرية : دراسة لواقعها

ودار الإفتاء منذ إلغاء المحاكم الشرعية تعتبر من الإدارات الرئيسية في ديوان وزارة العدل. وقد ذكرتُ آنفًا في الشكل التوضيحي لمكونات «دار الإفتاء» التنظيمية والإدارية، قبل تولي الدكتور علي جمعة، وإليك تفصيل ذلك:

أ- المكتب الفني للمفتي: وأعضاؤه منتدبون من رجال القضاء ومن النيابة على الوجه التالي ورئيس بالمحكمة من الفئة (أ)، ثلاثة رؤساء بالمحكمة من الفئة (ب)، ثلاثة وكلاء للنائب العام من الفئة الممتازة. وجميعهم من المتخرجين في كلية الشريعة والقانون بالأزهر الشريف، وسبق لهم أن مارسوا العمل القضائي بالمحاكم أو العمل الفني بدار الإفتاء.

ومن هذا المكتب انبثقت شعبتان إحداهما شعبة «تبويب الفتاوى» بمبادئها وإعدادها للنشر، ويعمل بهذه الشعبة اثنان من الرؤساء بالمحكمة من الفئة (ب) ووكلاء النيابة الثلاثة ومهمتها تبويب الفتاوى واستظهار مبادئها، واختيار ما ينشر منها من واقع السجلات الموجودة بمكتبة الدار.

الشعبة الأخرى ويعمل بها رئيس بالمحكمة من الفئة (أ)، ورئيس بالمحكمة من الفئة (ب) ومهمة هذه الشبعة اعداد الأسئلة الواردة لدار الإفتاء للعرض على المفتي ومعاونته في البحوث الفقهية والعلمية والقانونية، التي تتطلبها المسائل المعروضة للبحث.

ب- المكتب الإداري: ويرأسه سكرتير عام الدار - إداري بدرجة باحث أول. ويتكون من قسمين:

قسم السجلات والمكتبة: يقوم هذا القسم على إعداد وعرض بعض الأسئلة الواردة على الرئيس بالمحكمة من الفئة (أ) الذي يتولى عرضها على المفتي برأيه النهائي،

والتخطيط لمستقبلها» لفضيلة الدكتور/ أحمد رجب أبو العزم رسالة مقدمة بكلية الآداب جامعة المنوفية، لنيل درجة الماجستير.

كما يقوم القسم بمعاونة المكتب الفني بشعبتيه في تحديد المراجع ومواضع البحوث المطلوبة منها، بالإضافة إلى ما يناط بهما من أعمال إدارية أخرى.

قسم السكرتارية: ويعمل بها عدد (٨) كاتب وكاتبة لأعمال السكرتارية والنسخ.

٢- الهيكل التنظيمي[1] «لدار الإفتاء» بعد تولي الدكتورعلي جمعة



الأمانة العامة للإفتاء	مركز الاتصال	مكتب فضيلة المفتي
أمين عام الإفتاء	المتابعة والتطوير	المستشار القانونى
مجلس الإفتاء	المستشار الإعلامي	اللجنة الفلكية
الأبحاث الشرعية	المركز الإعلامي	اللجنة الاقتصادية
الأبحاث الاجتماعية	مركز التدريب	اللجنة الاجتماعية
الاستشارات الشرعية	مكتبة دار الإفتاء	اللجنة الطبية
الحساب الشرعي	----------	الشئون القانونية
المعلومات والاتصال	----------	الشئون المالية
تراث الفتوى	----------	الموازنة والتخطيط
الترجمة	----------	التعليم عن بُعد
التدقيق اللغوي	----------	المشروعات الشرعية
التدقيق العلمي	----------	شئون العاملين
أرشيف الفتاوى	----------	الموارد البشرية
لجنة المقاصد	----------	الإدارة الهندسية
----------	----------	أمن الدار

(١) انظر: «خدمة الرد على الأسئلة والاستفسارات ومقوماتها بدار الإفتاء المصرية : دراسة لواقعها والتخطيط لمستقبلها» لفضيلة الدكتور/ أحمد رجب أبو العزم رسالة مقدمة بكلية الآداب جامعة المنوفية، لنيل درجة الماجستير.

من خلال هذا الشكل التوضيحي للأقسام التي تم إنشاها بعد تولي فضيلة الدكتور علي جمعة منصب الإفتاء، تستطيع أن تعرف مدى التطور الذي حدث في «دار الإفتاء» وإن شئت قل: النقلة النوعية الفريدة التي نقلت «دار الإفتاء المصرية» إلى مؤسسة عالمية.

إنّ الكلام عن جهود فضيلة الدكتور علي جمعة، في تطوير «دار الإفتاء المصرية» الكلام عنه يطول؛ حيث لا يتسع له المقام هنا؛ لذلك سوف أتناول الحديث عن بعض الأقسام التي قام الدكتور علي جمعة، بإنشائها وكان لها أثرًا في تغيير ملامح الهيكل التنظيمي لمؤسسة «دار الإفتاء المصرية»، وفيما يلي بيان ذلك :

أولًا: الجهاز الإداري، ويتكون من : -

١- مدير عام دار الإفتاء.

الواجبات والمسئوليات :

-يؤدي عمله وفقًا لقوانين ولوائح وتعليمات وزارة العدل.

-العمل تحت التوجيه المباشر لفضيلة مفتي جمهورية مصر العربية.

-حرية التصرف في معالجة الموضوعات الخاصة بالإدارة العامة لشئون الإفتاء في نطاق السياسات المعتمدة وإصدار القرارات التنفيذية والاعتماد النهائي لبعض أعمالها.

-الإشراف الإداري على كافة العاملين بدار الإفتاء.

٢- مدير المكتب الفني والسكرتارية الخاصة بفضيلة المفتي.

-يؤدي عمله الوظيفي وفقًا لقوانين ولوائح وقرارات وتعليمات وزارة العدل .

-يعمل تحت التوجيه المباشر لفضيلة مفتي جمهورية مصر العربية.

-حرية التصرف في معالجة الموضوعات المتعلقة بالمكتب الفني في حدود القوانين واللوائح وإيجاد الحلول المناسبة.

-الإشراف الكامل على أعمال شئون المكتب الفني.

-الإشراف على مراجعة مشروعات الفتاوى والبحوث واستيفاء بياناتها.

-اتخاذ الإجراءات اللازمة لتحديد أوائل الشهور العربية.

-تحديد مواعيد ولقاءات فضيلة مفتي الجمهورية الداخلية والخارجية.

-أداء ما يسند إليه من أعمال أخرى مماثلة.

-يتولى حفظ قضايا الإعدام بعد ورودها من المحاكم بالخزينة المخصصة وكذلك حفظ التقارير بعد اعتمادها من فضيلة المفتي والسادة المستشارين حتى يتم تسليمها لمحاكم المختصة.

-المسئولية التامة على الأختام الخاصة بدار الإفتاء ومفتي جمهورية مصر العربية.

٣ – إدارة الشئون الدينيـة.

وتتكون إدارة الشئون الدينية من :-

أ – قسم الفتـــاوي ويتكون هذا قسم من :

أمناء الفتوى الفنيين : وهم من يتم يعينهم من خريجي كلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر، ويقومون بإعداد أبحاث الفتاوي بأنواعها المختلفة، وهي : المتنوع، والميراث.

ب قسم السجـــلات ويتكون من :

بعض الباحثين الذين يقومون بتسجيل الفتاوي بالسجلات المخصصة لها، وقيد الفتاوي وتسليمها لأصحابها.

٤ – إدارة الشئون الإدارية.

وتتكون إدارة الشئون الإدارية من :-

أ – قسم الشئون الإدارية « الحفظ ».

ب – قسم السكرتارية والقيودات « صادر ووارد وغيرهما».

ويتكون قسم الشئون الإدارية والحفظ من خريجي المدارس الثانوية التجارية أو ما يعادلها، ويقومون بحفظ الملفات الفرعية الخاصة بالسادة العاملين بالدار، وحصر واستلام وتسليم صور التقارير السرية بتقدير كفاية العاملين، وتنفيذ تقارير التفتيش الإداري والكتابي على أعمال الدار وإرسالها للتفتيش بعد تنفيذها، واستلام الأدوات والمطبوعات الخاصة بالدار من مخازن الوزارة والجهات المختلفة، واستلام وتسليم صور التقارير السرية بتقدير كفاية العاملين، وتنفيذ تقارير التفتيش الإداري والكتابي على أعمال الدار وإرسالها للتفتيش بعد تنفيذها، واستلام دفاتر بونات البنزين والتشحيم وتسليمها للسائقين على الكشوف الخاصة بها، وصرف شيكات السلف المؤقتة وتسويتها، ومراقبة دفتر الحضور والانصراف وقيد الإجازات وأذونات الانصراف بالدفاتر الخاصة بها والعمل على آلة النسخ الضوئي، والإشراف على استلام وتسليم عهدة الدار من الأثاث والأدوات الهندسية والعهدة الشخصية ومباشرة أعمال الصيانة الخاصة بها.

قسم السكرتارية والقيودات.

ويتكون من خريجي المؤهلات العليا والمدارس الثانوية التجارية الذين يقومون بقيد طلبات الفتاوي بدفتر القيد الخاص بها وتوزيعها على السادة الباحثين الفنيين وقيد المراسلات الواردة والصادرة وتسجيلها بدفتر البريد وإرسالها إلى جهات الاختصاص.

قسم الحاسب الآلي :

ويتكون هذا القسم من :

إدارة القسم – البرمجة – إدارة الشبكة – إعداد الفتاوى – ومهمة هذا القسم :-

-دراسة الأنظمة المراد ميكنتها بدار الإفتاء.

-صيانة وتطوير موقع دار الإفتاء على شبكة الإنترنت.

-الإشراف على استلام البرامج والتطبيقات من الشركات المنفذة، وعمل الاختبارات اللازمة لها.

-صيانة التطبيقات المراد صيانتها.

-فهرسة الفتاوى إلكترونيا.

-تسجيل الفتاوي الخاصة بدار الإفتاء .

-تسجيل الأبحاث الخاصة بفضيلة المفتي .

-استقبال الأسئلة الواردة إلى دار الإفتاء عبر شبكة الإنترنت وإرسالها مرة أخرى بعد الإجابة عليها.

-كتابة وتسجيل تقارير قضايا الجنايات.

-كتابة المخاطبات الإدارية وغيرها.

ويتولى مدير المكتب الفني والسكرتارية الخاصة الواجبات والمسئوليات الآتية :

-إدارة المكتب من الناحية الإدارية.

-إدارة السكرتارية الخاصة والمكتبة.

-متابعة الأبحاث والفتاوي.

-اتخاذ الإجراءات اللازمة لتحديد أوائل الشهور العربية.

ويتكون المكتب الإداري المعاون للمكتب الفني من قسمين :-

أ – قسم المراجعة. ب – القسم الفني.

قسم المراجعة:

ويتكون من كبيري الباحثين الشرعيين بدار الإفتاء لمراجعة الفتاوى والأبحاث قبل عرضها على فضيلة المفتي.

القسم الفني:

- ويتكون من أمناء الفتوى الذين يقومون بإعداد الفتاوى والأبحاث.

- متابعة اللجان الخاصة باستطلاع الهلال.

- إذاعة البيان عن طريق وسائل الإعلام المختلفة.

- استلام وعرض قضايا الجنايات على رئيس المحكمة وفضيلة المفتي وتسليمها بعد صدور التقارير فيها وتسجيلها بالسجل المخصص لها في الميعاد السابق تحديده لتسليمها.

ثانيًا: المكتبـة:

ويعمل بالمكتبة الباحثون الذين يقومون بحفظ الكتب والمراجع ومواضع البحوث المطلوبة لفضيلة المفتي أو أمناء الفتوى والمكتب الفني، والإشراف على الطلبة المبعوثين الوافدين للتدريب بدار الإفتاء المصرية.

ثالثًا: العلاقات العامة والإعلام:

ويعمل به متخصصون في العلاقات العامة والإعلام.

- مهمة مسئول العلاقات العامة استقبال الوفود الرسمية وإنهاء إجراءات السفر والحجز الخاصة بفضيلة المفتي.

- مهمة الإعلاميين رصد وكتابة التقارير الصحفية بصفة يومية من خلال وسائل الإعلام المختلفة المسموعة - والمرئية والمقروءة وغيرها وعرضها على المكتب الفني .

رابعًا: إدارة التدريب:

ويشرف عليها اثنان من الباحثين ويقومان بالمهام الآتيـــة:

- تلقي كافة الأوراق الرسمية الخاصة بالقبول.
- الإشراف على امتحان القبول.
- إعداد التقارير السرية بصفة شهرية.
- الإشراف على دفاتر الحضور والانصراف.
- تزويد المتدربين بالكتب والأبحاث وغيرهما.
- إعداد البرامج التدريبية العلمية للسادة المتدربين.
- رصد الناتج في نهاية كل دورة واعتمادها من فضيلة المفتي.

ثانيًا: تحديد فضيلة الدكتورعلي جمعة لمهام دار الإفتاء المصرية، المهام الدينية نموذجًا:

من خلال التتبع والنظر في أقسام وإدارات «دار الإفتاء المصرية» بعد تولي فضيلة الدكتور علي جمعة، يجد أنّ فضيلته قد حدد مهام كل قسم وذلك هو غاية العمل المؤسسي، ويمكننا الحديث عن المهام الدينية لـ «دار الإفتاء » في عهد فضيلة الدكتور علي جمعة كنموذج مهم من المهمات التي اعتنت بها الدار في عهده.

المهام الدينية :

هي تلك المهام التي تتعلق بتوضيح العقائد والعبادات والمعاملات، ومدى توافقها مع شرع الله، ويحسن أن نفرق هنا بين معنى الإسلام، ومعنى الدين، فالإسلام منهج حياة متكامل، قام على مقاصد عليا وهي: حفظ العقل، والدين، والنفس، والملك، والكرامة «العرض». ونلاحظ أن حفظ الدين هو أحد أهم تلك المقاصد.

وتقوم دار الإفتاء بمهام دينية عديدة، فالوظيفة الأساسية لدار الإفتاء هي تقديم الفتاوى للمستفتين، وإصدار البيانات الشرعية التي توضح الحكم الشرعي في المستجدات والأمور التي تهم قطاع كبير من المسلمين وغيرهم في مصر بشكل خاص، والعالم العربي والإسلامي وجميع دول العالم بشكل عام، ونستطيع أن نجمل الوظائف الدينية الأساسية «لدار الإفتاء» فيما يلي :

أولًا استقبال الأسئلة وإرسال الفتاوى.

لقد أثرت التكنولوجيا الحديثة على طريقة استقبال وإرسال الفتاوى من وإلى دار الإفتاء، وفيما يلي بيان أشكال استقبال الفتاوى وإرسالها في دار الإفتاء :

أ- النظام الشفهي : وفيه يحضر السائل إلى مقر دار الإفتاء المصرية -بالدراسة بالقاهرة- ويترك بياناته في قسم الاستعلامات، ثم يستلم بطاقة مكتوب عليها ترتيبه في الدخول، واسم أمين الفتوى الذي سيتوجه بالسؤال إليه، وعندما يأتي دوره يدخل إلى أمين الفتوى، ويسأله عما يريد ويجيبه أمين الفتوى عما سأله.

ب- النظام الكتابي : وهو يمر بنفس مراحل النظام الشفهي، إلا أنه في حالة رغبة السائل في الاستشهاد بتلك الفتاوى بين مجتمعه، أو غير ذلك من احتياجه لوثيقة من دار الإفتاء بالفتوى، فإنه يحول إلى الموظف المختص لتحديد ما إذا كانت هذه الفتوى تصلح للكتابة للاعتبارات القانونية والتنظيمية التي تنظم علاقة دار الإفتاء مع الوزارات والإدارات الأخرى وخاصة جهة القضاء والمحاكم. فإذا قرر الموظف المختص عدم وجود أي مانع من كتابتها واعتبارها وثيقة صادرة عن دار الإفتاء، يحول السائل إلى كبير المفتيين، أو نائبه ثم يقوم بتحريرها بما يتفق مع منهج دار الإفتاء بتحرير تلك الفتاوى، وبما لا يتعارض مع ما تم صدوره من فتاوى مشابهة، ثم ينصرف السائل، ويأتي بعد يومين أو ثلاثة لاستلام تلك الوثيقة وقد اعتمدت من فضيلة مفتي الجمهورية وقد تم ختمها بشعار الجمهورية.

ج- **النظام البريدي العادي** : وهو نظام بريدي تقليدي، يرسل من خلاله السائل سؤاله في صورة خطاب يوجه إلى دار الإفتاء بالبريد المسجل أو البريد غير المسجل، ويتم الإجابة على الأسئلة وإرسالها إلى عنوان السائل، ويستغرق إرسال الفتوى عبر هذه الطريقة وقتًا طويلا يتراوح ما بين ١٠ : ١٥ يومًا.

د- **نظام الإفتاء الهاتفي** : وهو نظام اتصال هاتفي، يقوم فيه السائل بالاتصال بأرقام خدمة الإجابة الهاتفية لدار الإفتاء، ويرد عليه أحد أمناء الفتوى المخصصون لهذه المهمة، ويتسنى من خلاله هذه الوسيلة الشرح والاستفهام، كما أنها سريعة إذا قورنت بأي نظام آخر.

هـ- **نظام البريد الإلكتروني** : ويقوم السائل من خلال هذا النظام بإرسال سؤاله في صورة خطاب يتم إرساله إلى البريد الإلكتروني الخاص بدار الإفتاء، ويصل في نفس اليوم طبعًا، ثم يعرض على أمين الفتوى المختص بفتاوى البريد الإلكتروني، ثم يجيب عليها ويتم مراجعتها واعتمادها من فضيلة مفتي الجمهورية وترسل إلى البريد الإلكتروني للسائل عبر شبكة الإنترنت وتستغرق فترة تتراوح ما بين يومين أو ثلاثة أيام.

و- **نظام العرض الإلكتروني** : وذلك من خلال دخول السائل على موقع دار الإفتاء المصرية www.dar-alifta.org حيث يطالع في هذا الموقع كمية هائلة من الفتاوى صدرت عن دار الإفتاء المصرية منذ نشأتها وحتى هذه اللحظة، ويمكن له من خلال البحث في موضوع الفتوى، والاطلاع على الفتوى التي تخص سؤاله، وننصح من يرسل الرسائل بالبريد الإلكتروني أو العادي ممن لديهم أجهزة الحاسب الآلي أن يزورا هذا الموقع قبل إرسالها فقد يحصلوا على طلبهم دون عناء، كما نأمل أن يحقق هذا الموقع خدمة كبيرة للإسلام والمسلمين في مصر والعالم.

ثانيا : استطلاع الأهلة التي توضح بدايات ونهايات الشهور العربية :

من أشهر مهام «دار الإفتاء المصرية» استطلاع الأهلة، والتي يتحدد من خلالها معرفة بداية الشهر العربي ونهايته، وكانت هذه وظيفة المحاكم الشرعية قبل إلغائها، حيث آلت أغلب وظائف المحاكم الشريعة إلى دار الإفتاء المصرية.

ويتم استطلاع هلال كل شهر من خلال اللجان الفلكية التي تضم خبراء في الأرصاد وعلم الفلك موزعين على أنحاء جمهورية مصر العربية، ويقومون بدورهم بإبلاغ دار الإفتاء المصرية بنتائج استطلاعاتهم.

كما يتم إعلان بداية شهر رمضان المبارك من خلال حفل يرأسه فضيلة مفتي الديار المصرية ويحضره نائب عن رئيس الجمهورية، والإمام الأكبر شيخ الأزهر، ووزير العدل، ولفيف من كبار المسئولين والمختصين في الدولة، كرئيس جامعة الأزهر، والمفتين السابقون، وبعض الوزراء، وغيرهم، في حفل يبدأ بتلاوة القرآن الكريم ويختتم به، ويتم الإعلان فيه عما إذا كان غدًا المتمم لشهر شعبان المبارك، أم أنه أول أيام شهر رمضان الفضيل.

كما تشترك «دار الإفتاء المصرية» بالتعاون مع جامعة القاهرة، وجهات أخرى في الاستعداد لإطلاق قمر صناعي إسلامي، تكون وظيفته رصد الهلال لتحديد بداية الشهر العربي على مستوى العالم الإسلامي كله، فيما يعد شكلا من أشكال وحدة المسلمين واجتماعهم.

ثالثًا : استقبال البعثات من دول العالم وتدريبهم على الإفتاء :

تستقبل دار الإفتاء وفودًا من قضاة الأحوال الشخصية من مختلف بلاد العالم، وكذلك الشباب الذين تخرجوا من الكليات الشرعية في جامعة الأزهر وغيرها، للتدريب فيها على أعمال الإفتاء فنيا وإداريا.

ويشتمل البرنامج على منهج علمي يدرس من خلاله الدارس عدة محاضرات لمدة عام أو عامين تمكنه من ربط العلوم الشرعية ببعضها، والاستفادة من ذلك في الإفتاء، كما يدرس الفتوى وأعمالها الفنية والإدارية والمكتبية، وذلك تمهيدًا لتأهيلهم للعمل في بلادهم في مجال الإفتاء الشرعي، ولاشتغالهم في قضاء الأحوال الشخصية، ويشرف على هؤلاء في التدريب الفني كل من الرئيسين بالمحكمة من الفئة أ و ب من أعضاء المكتب الفني للمفتي، وبالنسبة للمحاضرات فيقوم بإلقائها أساتذة متخصصون من جامعة الأزهر، وعلى رأسهم فضيلة مفتي الديار المصرية، ويمنحون شهادة بإتمام ذلك التدريب في نهاية فترة الدراسة، وبالنسبة لدراسة الفتوى وأعمالها يقوم سكرتير عام دار الإفتاء بتدريب المبعوثين على العمل الإداري والمكتبي وإطلاعهم على الأسس المعمول بها.

ومن أشهر منجزات ذلك التدريب، تدرب ثلاثة قضاة لمدة عام، من جزيرة برونى المجاورة لماليزيا. وتدريب سكرتير عام دار الإفتاء في جمهورية جزر القمر الإسلامية لمدة ثلاثة أشهر، وذلك على الأعمال المكتبية والإدارية وعاد فعلا إلى بلاده. وتدريب قاضيان من ماليزيا، ومنهج هذا التدريب حسب قرار المفتى رقم ٤ لسنة ١٩٨٠.

رابعًا: إصدار البيانات الشرعية وفقا للأحوال والظروف:

لا شك أنّ الأمة الإسلامية تمر بأحوال عصيبة وظروف خاصة تحتاج معها إلى بيان ما التبس عليها من أمور، ومعرفة كلمة علماء الإسلام في القضايا العامة التي تخص المسلمين في مصر والعالم.

لذا فإنّ دار الإفتاء المصرية تقوم بإصدار البيانات التي توضح وجهة نظرها، متضمنة بالاستدلال الشرعي في ظواهر وحوادث عامة، كظاهرة الإرجاف الذي

يسميه العالم «الإرهاب» وما ينتج عنها من حوادث، وكظاهرة عداء الإسلام في الغرب وما ينتج عنها من حوادث وقضايا، منها منع المسلمات من ارتداء الحجاب الشرعي في الوظائف الحكومية في فرنسا، وما قامت به مؤخرا دولة الدنمارك من نشر رسوم تسيء إلى النبي ﷺ، وكذلك ما يمارسه العدوانيون من أعداء الإسلام من أعمال وحشية في أوطاننا.

تصدر دار الإفتاء بيانات شرعية في تلك الأحداث وغيرها وتسلمها لكافة وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، كما تقوم بنشره على موقعها الخاص بها على شبكة الإنترنت.

وهذه البيانات صدر دون طلب من أفراد، وإنّما يمليها الواقع المحيط بالمسلمين ومصلحة المسلمين العليا على مفتي الجمهورية والعاملين بدار الإفتاء المصرية.

خامسًا: رد الشبهات والدفاع عن الإسلام:

وتقوم دار الإفتاء هي ووزارة الأوقاف ومشيخة الأزهر باعتبارهم المؤسسة الدينية في مصر، باستقبال الشبهات بهدوء وفهم، والرد عليها بالعقل والشرع، وتقوم دار الإفتاء بنشر رد تلك الشبهات على موقعها على شبكة الإنترنت، وتوجه هذه الشبهات من بعض الأشخاص غير المسلمين، يطعنون في بعض الأحكام الفرعية في الشريعة الإسلامية، ظنًا منهم أنّها تتعارض مع العقل وحقوق الإنسان وغير ذلك من ادعاءات.

ورغم أنّ بحث الأحكام الفرعية في الشريعة الإسلامية، كتعدد الزوجات، ونصيب المرأة في الميراث، وشهادة المرأة في المحاكم، وكل هذه الأمور تعني أننا قد اتفقنا على الأصل وهو حقائق الدين الإسلامي، إذ أنه ليست هناك شبهة واحدة أوردوها على وحدانية الله عز وجل وأن لا يصح أن يعبد غيره.

ورغم أنّ تسليمهم بأنّ عقيدة الإسلام ليس عليها اعتراضات، والذي ينبغي أن يتبعه تسليمهم بأنّ سيدنا محمد ﷺ هو الرسول الخاتم من عند الله، ومن ثم يغلق باب الشبهات على الأحكام الفرعية، وهو ما يدفعنا إلى لفت النظر لضرورة المناظرة والكلام عن اعتقاد المسلمين وحقيقة رسالتهم، وأدلة صدق نبيهم ﷺ، وأنّ ما يفعلوه من ترك الحديث عن هذه الأصول، والتمسك بالفرعيات مراوغة تتضمن اعتراف منهم بصدق رسالتنا.

رغم ذلك كله نناقش تلك الشبهات ونفندها، ونثبت أنّها ليست بشيء، بل ونثبت اتفاق الشرع الإسلامي، مع العقل، ومع حقوق الإنسان وواجباته، وحقوق المرأة وواجباتها.

كما يتم عقد المؤتمرات وإصدار النشرات والكتب المختلفة لمعالجة تلك المسائل، كما ذكرنا أنه يتم نشرها في باب منفصل على موقعنا الخاص على شبكة الإنترنت.

سادسًا: مركز التعليم عن بُعد:

في عهد فضيلة الدكتور علي جمعة تم إطلاق مشروع ضخم للتعليم الشرعي عن بُعد؛ حيث يتم من خلاله إتاحة فرص التعليم الشرعي لكافة المستويات بداية من أقل المستويات والتي تتناسب مع المرحلة الابتدائية وحتى الحصول الإجازة العالية، ومن ثم درجة التخصص «الماجستير»، ونهاية بالحصول على العالمية «دكتوراه».

وسوف تتم الاستفادة من أساليب التكنولوجيا الحديثة والتي تعتمد أساسًا على شبكة الفيديو كونفرانس، وشبكة الإنترنت، بإنشاء حلقات ربط بين الطلبة والأساتذة، حيث يتسنى للطالب حضور المحاضرة من مكانه ومناقشة أستاذه، وكذلك يتسنى لإدارة التعليم عقد الشفوية والتحريرية.

وبهذا البيان تتضح المهام الدينية لدار الإفتاء المصرية، وما تم فيها من تطوير في عهد فضيلة الدكتور علي جمعة.

ثالثًا: تحديد فضيلة الدكتور علي جمعة لمنهج دار الإفتاء في الفتوى

منذ أن تولى فضيلة الدكتور علي جمعة منصب الإفتاء، وهو يسعى إلى أن يكون لدار «الإفتاء المصرية» منهجًا لاعتماد الفتوى، ومن خلال ما صدر من فتاوى في ظل قيادة فضيلته لدار الإفتاء نستطيع أن نحدد أهم معالم المنهج الذي اعتمده فضيلة الدكتور علي جمعة في إصدار الفتوى، وهو ما أسماه فضيلته بـــ «معتمد الفتوى».

فقد وضع الدكتور علي جمعة لدار الإفتاء المصرية منهجًا لاعتماد الفتوى، يتمثل هذا المنهج في

نقل المذاهب السنية الأربعة المعروفة المشهورة «الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة» مع الاعتراف بالمذاهب الأخرى، والاستئناس بها، بل وترجيحها أحيانًا لحاجة الناس، أو لتحقيق مقاصد الشرع، وهي تلك المذاهب التي يتبعها بعض المسلمين في العالم أصولا وفروعًا، وهي: «الجعفرية والزيدية والإباضية» بل والظاهرية التي يؤيدها مجموعة من العلماء هنا وهناك.

كما أن «دار الإفتاء» في اختياراتها الدينية كثيرًا ما تتسع دائرة الحجية عندها إلى مذاهب المجتهدين العظام كالأوزاعي والطبري والليث بن سعد، وغيرهم في أكثر من ثمانين مجتهدًا في التاريخ الإسلامي، تستأنس بآرائهم وقد ترجحها لقوة الدليل أو لشدة الحاجة إليها أو لمصلحة الناس أو لتحقيق مقاصد الشرع الشريف، وهو المنهج الذي ارتضته الجماعة العلمية في عصرنا هذا شرقًا وغربًا وعند العقلاء من جميع مذاهب المسلمين.

ومن منهج «دار الإفتاء» أيضًا أنّها تلتزم بمقررات المجامع الإسلامية وعلى رأسها مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر الشريف، ومجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، ومجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم

الإسلامي بمكة؛ وخاصة في القضايا العامة في الأمور المستحدثة وتشتد حاجة الناس للفصل فيها بشكل جماعي.

كما أنّها قد تلجأ إلى استنباط الأحكام من النصوص الشرعية بالكتاب والسنة مباشرة، فإن نصوص الشرع أوسع من كل ذلك، فهي أوسع من المذاهب الثمانية، ومن الثمانين مجتهدًا، وكذلك هي أوسع من مقررات المجامع الفقهية، ولذا تلجأ دار الإفتاء لاستنباط الحكم الشرعي مباشرة من دليله في الكتاب والسنة خاصةً فيما لم يوجد في كل ذلك، أو كان موجودًا ولكنه لا يتناسب مع الحال، وشرط ذلك أن تكون النصوص تحتمل هذا الاستنباط بالمعايير التي وضعها الأصوليون في ذلك.

المبحث الرابع
جهود فضيلة الدكتور علي جمعة في علم أصول الفقه

إنّ من سمات الحضارة الإسلامية وأدوات بنائها قضية «توليد العلوم»، فقد قامت حضارة المسلمين على العلم، ووضع المسلمون الأوائل علومًا خادمة لمحور حضارتهم وهو النص الشريف، والتزموا بهذا المحور وخدموه وانطلقوا منه وجعلوه معيارًا للقبول والرد والتقويم، ولهذا أصبحت قضية «توليد العلوم» من أهم أدوات بناء هذه الحضارة، فأخذ المسلمون يخترعون العلوم اختراعًا.

ظل المسلمون على هذا المنوال يقومون بإنشاء العلوم كلما دعت الحاجة لذلك؛ خدمةً لمحور حضارتهم، وإيمانًا منهم بأن «توليد العلوم» نوع من أنواع مظاهر حياة الفكر، ومظهر من مظاهر التفاعل مع الواقع الذي يعيشونه، وهو ثالثًا الجسر الذي يصل بين الشرع والواقع المحيط.

ومن هذه العلوم التي ابتكرها وأنشأها العقل المسلم على غير مثال سابق علم «أصول الفقه»، وقد بدأ التأليف في هذا العلم مبكرًا في مطلع مسيرة الحضارة الإسلامية، وكان من أوائل العلوم التي ولدتها القريحة المسلمة؛ منطلقة من الاستجابة للنص الرباني متوخية خدمته وحسن العمل به، ومتفاعلة مع سقف معرفي واسع في مجالات اللغة والعقيدة والأحكام الشرعية، ومع واقعها الحضاري ساعتها. فـ«الرسالة» التي صنفها الإمام الشافعي «ت: ٢٠٤هـ»رضي الله عنه، أبرزت علم الأصول باعتباره علمًا مستقلًا عن الفقه، متميزًا بقواعده الكلية المجردة، ومنهاجه الاستدلالي العقلي المعتمد على استيعاب لمنطق الكتاب والسنة ولغتهما ولغة العرب بعامة(١).

(١) انظر:« تجديد علم أصول الفقه : الواقع والمقترح»، لفضيلة ا.د/ علي جمعة، مجلة المسلم المعاصر.

وعلى هذا فإنّ لأصول الفقه مكانة متميزة في التراث الفكري الإنساني، باعتباره ثروة منهجية، تؤكد أصالة العقل المسلم، ودوره في إرساء أسس الحضارة الإنسانية، ولأصول الفقه جوانب متعددة أثرت الفكر القانوني والفلسفي، وأسهمت في بناء المنهج التجريبي[١].

فقد أشار بعض الحقوقيين إلى أنّ فقهاء المسلمين امتازوا على الرومان وغيرهم من الأمم التي تفوقت في القانون، بوضع علم أقرب ما يكون لعلم أصول القانون، هو: علم أصول الفقه؛ حيث بحثوا فيه مصادر الشريعة الإسلامية، وكيفية استنباط الأحكام التفصيلية من هذه المصادر، فهذا العلم يميز الفقه الإسلامي عن أي فقه آخر، كما يرى بعض الباحثين أنّ علم «أصول الفقه» هو عنوان إبداع فكري، وفلسفة إسلامية أصيلة؛ حيث عدَّ بعضهم «رسالة الإمام الشافعي» دليلًا على نشأة الفكر الفلسفي الأصيل[٢]

من هذا المنطلق كان جديرًا بنا أن نتحدث في هذا المبحث عن جهود فضيلة الدكتور علي جمعة التي خدمت علم «أصول الفقه»، وذلك من خلال الحديث عن منهجه، ومؤلفاته، ومجالسه، ورؤيته لقضية تجديد «أصول الفقه» وضوابط هذا التجديد وثمرته، وسيكون هذا بمشيئة الله تعالى في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : أصول الفقه عند فضيلة الدكتور علي جمعة.

المطلب الثاني : مؤلفات فضيلة الدكتور علي جمعة الأصولية.

المطلب الثالث: تجديد علم أصول الفقه عند فضيلة الدكتور علي جمعة.

وفيما يلي بيان ذلك :

---

(١) انظر: «التجديد في أصول الفقه » لجميلة بوخاتم، صـــ ٤٥، طبعة دار الفاروق القاهرة.

(٢) المصدر السابق.

المطلب الأول

أصول الفقه عند فضيلة الدكتورعلي جمعة

إنّ علم «أصول الفقه» بالنسبة لفضيلة الدكتور علي جمعة يُعدُّ العمود الفقري للهيكل المعرفي والثقافي لفضيلته؛ لأنّه هو تخصصه الذي يُدرِّسه لطلابه منذ عقود من الزمان، وهو العلم الذي حصل فضيلته فيه على درجة الماجستير، ثم الدكتوراه، ثم الأستاذية.

وقد تلقى فضيلته علم «أصول الفقه» على جماعة من أكابر علماء عصره في هذا الفن، مثل: العلامة الكبير الشيخ محمد أبو النور زهير، والعلامة الشيخ الحسيني يوسف الشيخ، والعلامة الشيخ عبد الجليل القرنشاوي، و العلامة الشيخ جاد الرب رمضان، والعلامة الشيخ عبد الله بن الصدق الغماري، والعلامة الشيخ عبد الحميد ميهوب، والعلامة الشيخ محمد محمود فرغلي، والعلامة الشيخ شعبان محمد إسماعيل.

ثم أضف إلى تحصيل الدكتور علي جمعة لعلم الأصول على أيدي أكابر العصر، اجتهاده وحرصه الشديد على تحصيل هذا العلم والإلمام بدقائقه، واستعداده وتهيئه للتحصيل والأداء، فانعكست آثار هذه البيئة على فضيلته، فصار منتهى هذا العلم إليه، وسوف أذكر بمشيئة الله تعالى في السطور التالية، بعض النقاط المنهجية المتعلقة بعلم «أصول الفقه»، التي أودعها فضلة الدكتور علي جمعة في كتاباته ولقاءاته، ومحاضراته، وفيما يلي بيان ذلك :

أولًا: علم أصول الفقه في رؤية فضيلة الدكتورعلي جمعة

يرى فضيلة على جمعة أن علماء الإسلام قاموا بإنشاء علم «أصول الفقه» باعتباره منهجًا علميًا متكاملًا، فإن أصول الفقه عند فضيلته منهجًا للتعامل مع النص الشرعي،

والمنهج العلمي الذي يقصده فضيلته يتكلم بالأساس عن المصادر فيحددها، وعن طرق البحث وأدواتها، وعن شروط الباحث فيها، ويرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ هذه هي: أركان المنهج العلمي التي يمكن استخراجها من كلام «رُوجرز بِيكون»[(١)] عندما تكلم عن المنهج العلمي، نقل تعريف الإمام الرَّازِيِّ ومدرسته «لأصول الفقه» إلى العالم الحسي.

فالإمام الْبَيْضَاوِيُّ يقول في تعريف أُصُول الْفِقْه: «معرفة دلائل الفقه إجمالًا، وكيفية الاستفادة منها، وحال المستفيد»؛ يعني: «مصادر البحث»، و«كيفية البحث»، و«شروط الباحث». وهي الثلاثة التي تكلم عنها «روجرز بيكون» دون أن يشير من أين أخذ هذا[(٢)].

فمن هذه التعريف يستخلص الدكتور علي جمعة أركان ذلك المنهج، الذي يحرص على معرفة :

أ- مصادر البحث. ب- طرق البحث. جـ- شروط الباحث.

وهي الأركان المنطقية لأي منهج في البحث العلمي الذي يبعد عن الخرافة، ويبتعد عن الذاتية، ويقرب من الموضوعية[(٣)].

---

(١) - ولد روجرز بيكون سنة (١٢١٤م) في سومرست في إنجلترا، وكان فيلسوفًا وعالمًا، كتب في الفلك والفيزياء والرياضيات والفلسفة وعلم اللَّاهوت، ويُعَدُّ واحدًا من الشخصيات الرائدة في تطوير العلوم في القرون الوسطى، عُرِفَ «بيكون» بصفته مؤسِّسًا للعلوم التجريبية، وأحد الباحثين الأوائل في دراسة «علم البصريات»، وهو فرع في علم الفيزياء يدرس الضوء، وقد ساعد على إرساء القواعد للثورة العلمية التي ظهرت في أوروبا في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين.

(٢) انظر : « وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، ص ٨٥، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع.

(٣) انظر: «أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ٩، طبعة دارالرسالة للنشر والتوزيع.

ثانيًا: مكانة علم أصول الفقه عند فضيلة الدكتور علي جمعة

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ علم «أصول الفقه» له مكانة عظيمة بين علوم الشريعة[١] إذ يستوجب الاستمداد من النص مع إعمال العقل، ولذلك قال فيه الإمام الحجة أبي حامد الغزالي: «خير العلم ما ازدوج فيه العقل والسمع واصطحب فيه الرأي والشرع علم الفقه، وأصول الفقه من هذا القبيل، فإنّه يأخذ من صفو العقل والشرع سواء السبيل، فلا هو تصرف بمحض العقول بحيث لا يتلقاه الشرع بالقبول، ولا هو مبني على التقليد الذي لا يشهد له العقل بالتأييد والتسديد، ولأجل شرف علم أصول الفقه ورفعته وفر الله دواعي الخلق على طلبته، وكان العلماء به أرفع مكانا، وأجلهم شأنًا، وأكثرهم أتباعًا وأعوانًا»[٢].

كما يرى فضيلته أنّ هذا العلم نشأ عن حاجة، فعندما وجد علماء الإسلام الفارق بين النص والواقع، قاموا بإنشاء هذا العلم تلبية لحاجة الواقع؛ حتى يعيش النص في الواقع، وأن يعاش الواقع بالنص، أنشأوا ذلك العلم ليُفهم هذا النص بكيفية تحوله إلى إجراءات قابلة للتطبيق في الواقع[٣].

ثالثًا: أصول الفقه وعلاقته بغيره من العلوم عند فضيلة الدكتور علي جمعة

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنه يمكن أن نُعرف العلم -أيَّ علم- أو ننظر إليه من ثلاثة نواحي، هي:

الناحية الأولى: أنّ العلم هو نفس المسائل والأقوال التي يتكون منها.

الناحية الثانية: العلم هو الأثر الذي تحدثه تلك المسائل إذا ما تعلمها الإنسان.

---

(١) انظر: «علاقة علم أصول الفقه بعلم الفقه» لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

(٢) انظر: «البحر المحيط» للإمام الزركشي (١/ ٢٢)، طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

(٣) محاضرة بعنوان: «منهجية علم أصول الفقه» لفضيلة أ.د/ علي جمعة بتاريخ ٩/ ٣/ ١٩٩٤.

الناحية الثالثة: العلم هو المَلكة والموهبة التي تتكون لدى العالم من كثرة معالجة المسائل والأقوال.

وعليه فيرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ جميع العلوم بمختلف فروعها بينها تمازج، وتشابك فيقول فضيلته :« إن كان العلم هو نفس المسائل، أو الأثر الذي تحدثه تلك المسائل بعد دراستها، أو هو الملكة التي تتكون لدى العالم من طول معالجة تلك المسائل؛ فإن جميع العلوم تشترك في أصول واحدة سواء أكانت علوم دينية أم دنيوية، وهو أن مسائل العلم نفسها تبحث عن الحقائق، ولذلك كان ينبغي أن يوصل أي علم إلى معرفة الخالق سبحانه وتعالى؛ لأنّه هو الحق وهو الحقيقة وهو أصل الحقائق. إلا أنّ العلوم الشرعية في الإسلام تشترك فيما هو أخص من ذلك الأصل العام، فهي علوم نشأت للتعامل مع الوحي الشريف ونشره وترسيخه في الدنيا، واختلفت تلك العلوم فكان علوم تتعامل مع النصوص الشرعية، أو للتعامل مع المفاهيم الشرعية، أي علوم مقصودة لذاتها، أو علوم آلة» (١)

وفي السطور التالية سوف أحاول تصوير العلاقة المتداخلة والمنسجمة بين علم أصول الفقه وعلمي الفلسفة والفقه، عند فضيلة الدكتور علي جمعة وفيما يلي بيان ذلك:

١- علاقة علم أصول الفقه بالفلسفة :

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ علم «أصول الفقه »منهجًا، وعليه فإنّ الوصول إلى معرفة مدى العلاقة بين «أصول الفقه والفلسفة» تكمن في إدراك قضية «المنهج»، فإذا ما سرنا على أنّ المنهج إنّما هو: فلسفة تنبثق عنها إجراءات -وهو تعريف المنهج عند فضيلة الدكتور علي جمعة- : تبين لنا مدى العلاقة بين أصول الفقه وبين الفلسفة الإسلامية (٢).

(١) انظر: « علاقة علم أصول الفقه بعلم الفقه » لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

(٢) انظر: «أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ١١، طبعة دار الرسالة للنشر والتوزيع.

وعلي ذلك فإنّ «المنهج» عند فضيلة الدكتور علي جمعة ينقسم إلى قسمين: قسم للفلسفة، وقسم للإجراءات.

أ- قسم الفلسفة :

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ كلمة «فلسفة» في التعريف تعني: الرؤية الكلية التي في ذهن الإنسان والتي تجيب عن مباحث ثلاثة محددة هي: «مبحث الوجود»، و«مبحث القيم»، و«مبحث المعرفة»، كما يرى فضيلته أنّ هذه الرؤية إنْ أجابت عن هذه المباحث الثلاثة فإنّها تُسمى «بالمذهب الفلسفي» بينما لو كانت هناك رؤية تجيب عن بعض هذه الجوانب وتترك البعض الأخر فإنها تُسمى «بالاتجاه الفلسفي» والمنهج قد يشتمل على «اتجاه» فيجيب على بعض تلك المباحث، وقد يشتمل على «مذهب» فيجب على كل هذه المباحث[1].

وعلى ذلك فإن مباحث «المذهب الفلسفي» عند فضيلة الدكتور علي جمعة هي: «الوجود، والقيم، والمعرفة»، فبالنسبة للوجود فإنّه لا بد أن يكون هناك رأي في هذه الوجودات الثلاثة «الله –الإنسان – الكون» والله سبحانه وتعالى قد اختلفت بشأنه الأنظار، فبعضهم ينكر وجوده وبعضهم يؤمن به أنّه هو الواحد الأحد الفرد الصمد، والبعض يؤمن به متجسدًا أو حالًا في الكون أو كذا إلى آخر عقائد الناس في اختلافاتهم.

ويرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ الرأي الذي سيتم اختياره، دون النظر إلى صحته وفساده سوف يترتب عليه أشياء كثيرة، منها: بنائية العلوم، وسلوكيات البشر، والعلاقات الكائنة في هذه الحياة الدنيا[2].

وبالنسبة إلى الكون فإن هناك أسئلة عديدة تثار هل هذا الكون قديم؟ أم هو

(١) محاضرة بعنوان: «منهجية علم أصول الفقه» لفضيلة أ.د/ علي جمعة بتاريخ ٩/ ٣/ ١٩٩٤ .

(٢) المصدر السابق.

حادث؟ هل هو مخلوق؟ أم أنه خالق؟ هل هو متغير ؟ أم هو ثابت؟ أم أنّه يجمع بين كل ذلك؟

كذلك فيما يتعلق بالإنسان، وهل الكون مسخر له، كما يقول المسلمون؟ أم أنّه جزء من الكون كما يقول الماديون؟

ويرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ الإجابة على هذه الأسئلة تعطينا إجابة نستطيع من خلالها أن نُكوِّن مذهبًا فلسفيًّا أو اتجاهًا فلسفيًّا، طبقًا لما سيترتب عليه من إكمال لهذه الجوانب في الكلام أو نقص فيها(١).

أما بالنسبة للمبحث الثاني من مباحث الفلسفة وهو: مبحث القيم، قد يثار من خلاله عدة أسئلة منها: هل هناك حق؟ وهل الحق ثابت؟ هل للأشياء حقائق؟ أم أنها ليست هكذا؟ هل هناك خير؟ هل هناك شر؟ هل نؤمن بالمطلق؟ أم أنّ الأمر نسبي محض؟

أما بالنسبة للمبحث الثالث، وهو: مبحث المعرفة، التي نريد أن نعرف مِن أين نأخذها؟ وما هو اليقيني والظني فيها؟ وكيف تكون هذه المنظومة كلها؟

وعلى ذلك يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ هذه النقاط السابقة تُعدُّ عناوين للمباحث التي تعالجها «الفلسفة»، وبناءً على تلك الإجابات في هذه المباحث تتم صياغة إجراءات(٢).

ب- قسم الإجراءات :

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ أصول الفقه يشتمل بدون شك على بيان الإجراءات اللازمة للتعامل مع النص لفهمه، والوصول إلى أوصاف الفعل البشرى،

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

وهي الأوصاف التي تدور في نطاق ما يسميه الأصوليون بالحكم، وبدون شك فإنّ هذه الإجراءات التي يشتمل عليها أصول الفقه تخرج وتنبثق من رؤية كلية تمثل مباحث الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام (١).

ويرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ هذه الإجراءات حُدِّدت واستقرت على أربعة مباحث، هي: «المقدمات، والمصادر، وطرق البحث، وشروط الباحث»، وفيما يلي بيان ذلك:

-المقدمات؛ حيث يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أن هذه المقدمات تُعدُّ مدخلًا للعلم؛ حيث من خلالها يستطيع الدارس أن يميِّز علمًا عن علم، فيميِّز علم الصرف عن علم الفقه، أو يميِّز علم الحديث عن علم اللغات مثلًا، وأي علم يريده الدارس إنما يتميز عن غيره بتلك المقدمة التي تنشأ له.

وفي هذه المقدمة ندرس عشرة نقاط هي: تعريف العلم، وموضوعه، ومن الذي وضعه، ونسبته إلى العلوم الأخرى، ومن أي العلوم يستمد، وأحكامه ومسائله، وما فضله، وما حكمه، وما اسمه، وما الثمرة، والفائدة المترتبة عليه؟ فهذه العشرة تعد مدخلا للعلم تدفع طالب العلم إلى التّشوف لدراسته وتحصيله، وهي بنفسها التي يمكن للمفكر إذا أراد أن يبني علمًا أن يحددها كبداية لاستقلال العلوم أو إبداعها.

وهذه النقاط العشرة تُسمى بـ «بمقدمة العلم»، وقد درج العلماء على تسميتها بـ«المبادئ العشرة»(٢)، وقد وضعها بعضهم في صورة نظم يحفظه الجميع فقال :

---

(١) انظر: «أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ١١، طبعة دارالرسالة للنشر والتوزيع.

(٢) لمعرفة المزيد عن مقدمة العلم أو المبادئ العشرة انظر كتابنا :«الطرق المنهجية في تحصيل العلوم الشرعية» و « وكشف الغيوم عن رسالة مبادئ العلوم».

مـــن رام فنـــا فليقـــدم أولا — عـلـما بـحـده ومـوضـع تلا
وواضــع ونسـبة ومـا اسـتمد — منـه وفضلـه وحكـم معتمـد
واســم ومــا أفــاد والمســائل — فتلـك عـشر للمنـى وسـائل
وبعضهم فيها على البعض اقتصر — ومـن يـدري جميعهـا انتـصر

وعلى ذلك يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أن هذه المبادئ العشرة هي المقدمات التي تحدد علمًا عن علم، آخر ونحتاج فيها إلى الإجراءات حتى نصل إلى المنهج[1]

-مصادر البحث؛ حيث إذا ما أردتُ أن أبحث فمن أين أبحث ؟ والسؤال الذي يليه أين هذه المصادر ؟

- طرق البحث؛ حيث هنا يبرز سؤال هام كيف أتعامل مع هذه المصادر ؟ وماهي طرق البحث التي أتعامل فيها مع هذه المصادر ؟ وذلك سواء أكانت هذه المصادر هي نصوص، أو كانت هي إنسان، أو كانت هذه المصادر هي كون وآفاق أو أي شيء ٠

د- شروط الباحث؛ حيث يُقصد بها من الذي يبحث، وهل كل أحد مباح له أن يبحث ؟ أو أن الباحث لابد أن تتوفر فيه شروط معينة، وماهي تلك الشروط ؟ ومتي يصبح مرجعًا في ذلك العلم، فيختلط هو والمصدر فلا ندري من أين أتت المعلومة هل منه أم من المصدر ؟

ومن ثمّ يمكننا من خلال ما سبق من عرض وتحليل لأجزاء المنهج «الفلسفة والإجراءات» عند فضيلة الدكتور علي جمعة إلى مدى العلاقة بين أصول الفقه والفلسفة، وقد أجلتُ الحديث عن إدراك العلاقة بين أصول الفقه والفلسفة، وتشغيل تلك العلاقة والاستفادة منها، وتطوير العلاقة بين الأصول والفلسفة، إلى المطلب الذي أعددتُه للحديث عن مؤلفات فضيلة الدكتور علي جمعة الأصولية، ودورها في خدمة أصول الفقه.

(١) محاضرة بعنوان : «منهجية علم أصول الفقه» لفضيلة أ.د/ علي جمعة بتاريخ ٩/ ٣/ ١٩٩٤ .

٢- علاقة علم أصول الفقه بعلم الفقه ومجالات هذه العلاقة :

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ علاقة «علم أصول الفقه بعلم الفقه» علاقة في غاية القوة والتداخل، والانسجام، والتبادل، وذلك التداخل ليس تناقضًا، وإن ظهر كذلك، وإنما تمازج جميل كالألوان المتمازجة في اللوحة الفنية، وقد حدَّد فضيلة الدكتور علي جمعة مجالات التداخل والعلاقة بين علمي الأصول والفقه إجمالًا في أربعة نقاط[١]، وفيما يلي بيانها:

(أ) علم الفقه أساس نشأة علم الأصول كعلم منفصل يمارس وكعملية تدوينية:

فالفقه ظهر في عصر النبوة، في صورة فتاوى النبي ﷺ، ومن بعده فتاوى أصحابه، ثم بدأ المحدثون في تنظيم عملية تدريس علم الفقه حيث جمع المحدثون أبواب الحديث في صورة أبواب هي نفسها أبواب علم الفقه، وأصبح تدريس علم الفقه ممكنًا على أساس الأبواب الفقهية.

فعلم أصول الفقه لم ينشأ إلَّا في القرن الثاني الهجري، والذي ألح على العلماء لإفراد التصنيف فيه كثرة الفتوحات الإسلامية، ودخول كثير من العجم في الإسلام، مما أحدث للجماعة العلمية خوفًا على ضياع العربية، والخلط في فهم الشريعة فاضطروا إلى وضع ضوابط وقواعد نحوية، وتشريعية يُقتَدر بها على التعامل مع الفقه من خلال ما يمكن أن نسميه دليل التعامل مع الفقه.

فنشأ علم أصول الفقه كعلم منفصل بالتصانيف والتدريس على خلفية الخوف من دخول من لا يمتلكون أدوات فهم الشرع من لغة وأصول التشريع العامة، فهو بهذا الاعتبار علم خادم لعلم الفقه، يحتاج إليه الفقيه بعد ظهور هذا العلم، وهذه إحدى مجالات العلاقة بين علمي الأصول والفقه.

(١) انظر: « علاقة علم أصول الفقه بعلم الفقه » لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

(ب) الفقه قام على أصول الفقه كعملية ذهنية إجرائية:

قد يشعر بعضهم أن هذا العنصر يتناقض مع الذي قبله فيقول : كيف يكون الفقه هو أساس نشأة أصول الفقه، والفقه نشأ قبل علم أصول الفقه، وفي نفس الوقت تقول إن علم الفقه قام على علم أصول الفقه ؟ ألا يلزم من ذلك الدور ؟ والحقيقة أن الجهات منفكة، فعندما قلنا : إن علم الأصول نشأ على الفقه، وأن الفقه متقدم على علم أصول الفقه، فنحن نتكلم عن العلم في الخارج، بمعنى ظهور للناس في صور تصانيف.

وعندما قلنا : إنّ الفقه نشأ على الأصول، فنحن نتكلم على العلم في الذهن، فعلم الأصول بمسائله لابد أن يكون في ذهن الفقيه قبل أن يفصل في المسألة الفقهية، فمن حيث الذهن الترتيب الذهني والواقع الفعلي نجد أنّ علم الأصول قد سبق علم الفقه إلا أنّه تأخر عنه في الظهور في شكله المدون.

فأصول الفقه كانت في ذهن الفقيه يمارسها أثناء تدريس المسائل، أو الإفتاء، أو التصنيف، فكان يلاحظ العام والخاص، وكان يقول بالحديث الناسخ ولا يعتبر الحديث المنسوخ، وكان يحاول الجمع بين الأدلة، وكان يقيس، وغير ذلك من مسائل علم أصول الفقه التي دونت فيها بعد.

وبهذا التحليل ينفك التعارض الذي نشأ من شبهة الدور التي ظهرت في بداية الحديث، والذي مر هو المجال الثاني في مجالات العلاقة بين علمي الأصول والفقه.

(جـ) توقف معرفة علم أصول الفقه كمركب على معرفة الفقه:

علمنا في ما مر أن علم أصول الفقه يعرف باعتبارين: الاعتبار الأول : كونه مركبًا إضافيًا، والثاني: كونه لقبًا واصطلاحًا على العلم المخصوص، ونحن نتكلم

في الاعتبار الأول، فيستحيل أن نتصور مفهوم أصول الفقه من غير تصور مفهوم الأصول، ومفهوم الفقه.

فمن هذا الباب يتوقف علم أصول الفقه في تعريفه على تعريف علم الفقه، وهذا يؤكد أسبقية علم الفقه له؛ لأنه لو كان علم الأصول الأسبق ما جاز أن يسمى بهذا الاسم «أصول الفقه» فإن مفهوم الفقه لم يكن معروفًا وقتها.

فاعتاد المبتدئون من الدارسين لعلم أصول الفقه أن يدرسوا تعريف علم الفقه في مبادئ علم أصول الفقه، وذلك أثناء تعرضهم لتعريف أصول الفقه باعتباره مركب لفظين، فأصبح دارس الأصول لابد وأن يعلم تعريف علم الفقه، بل إنّك قد تجد دارس الأصول المبتدئ يعرف تعريف علم الفقه ودارس الفقه لا يعرفه، إذ ليس في مبادئ دراسة متون الفقه في المذاهب المختلفة التعرض لتعريف علم الفقه.

كل ذلك يجعلنا على يقين من أنّ الشروع في علم الأصول لن يتحقق إلا بالتعرض لمعرفة الفقه ومفهومه، وهذا هو المجال الثالث من مجالات العلاقة بين علمي الأصول والفقه.

(د) علم الفقه هو مصدر لعلم أصول الفقه:

استمد العلماء علم أصول الفقه أثناء تصنيفه وترتيبه من علوم شرعية أخرى كعلوم العربية، وعلم الاعتقاد، وعلم الفقه، وقد ذكر إمام الحرمين: أنّ أصول الفقه مستمد من ثلاثة علوم : الكلام، والفقه، والعربية[١].

فاستمداده من علم الفقه أشد وضوحًا من غيره؛ حيث إنّ علم الفقه مدلول أصول الفقه، وأصول الفقه هي أدلة الفقه، والدليل لا يعلم مجردًا عن مدلوله.

(١) ()انظر كتاب « البحر المحيط، » للإمام الزركشي (١ / ٤٥)، طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

ولقد أشار الزركشي إلى كون الفقه مادة لعلم الأصول واستشكل كون الأصول أساس ودليل الفقه بجواب لطيف، حيث قال ما نصه : «اعلم أنّ المادة على قسمين : إسنادية، ومقومة، فالمقومة: داخلة في أجزاء الشيء وحقيقته، وهي الفقه، والإسنادية: ما استندت إلى الدليل، كعلم الكلام لأنّه يعلم أصول الفقه وإن لم يعلم علم الكلام، وإنّما علم الكلام دليل المعجزة، وهو دليل الأصول، فاستند إلى الدليل. وكذلك مادة العربية.

فإن قلت : كيف يجعل الفقه مادة للأصول، وهو فرع الأصول، ومادة كل شيء أصله، فهذا يؤدي إلى أن يكون الفرع أصلا والأصل فرعا ؟ أجاب المقترح في تعليقه على «البرهان» بأنه لا بد أن يذكر الفقه في الأصول من حيث الجملة، فيذكر الواجب بما هو واجب، والمندوب بما هو مندوب، لأن هذا القدر مبين حقيقة الأصول. وإنما المحذور أن يذكر جزئيات المسائل، فإن ذكرها يؤدي إلى الدور»[1].

ولعلي من خلال هذا العرض أكون قد بينتُ حقيقة العلاقة بين علمي الأصول والفقه، عند فضيلة الدكتور علي جمعة حفظه الله ورعاه.

---

(١) ()انظر كتاب « البحر المحيط، » للإمام الزركشي (١ / ٤٧)، طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

المطلب الثاني

مؤلفات فضيلة الدكتورعلي جمعة الأصولية

عرفنا فيما مضى أنّ فضيلة الدكتور علي جمعة لا يكتب في قضية من القضايا إلا حينما تكون هذه القضية تجيب على تساؤلات وإشكاليات في الواقع الذي نعيشه، وأنّ فضيلته لا يكتب في قضية إلا إذا كان المجتمع في حاجة ماسة لها؛ فإن كتابات فضيلته إما أن تجيب على سؤال، أو تدفع شبهة وتزيل إشكال، وإما تكون تصحح مفاهيم مغلوطة، أو تعرض الإسلام بصورة صحيحة، وإما تكون تدافع عن عقيدة أهل السنة والجماعة،وترد على أهل البدع والضلالة، ومع تعدد دوافع الكتابة وأغراضها عند فضيلة الدكتور علي جمعة إلا أنها جميعًا تتميز باشتمالها على القواعد والضوابط والمناهج التي تساعد في السير على تحصيل العلم وتطبيقه في الواقع المعيش.

فعلى هذا سوف أتحدث فهذا المطلب عن مؤلفات فضيلة الدكتور علي جمعة الأصولية؛ لنقف على ما قدمه فضيلته من خدمة وجهود لـ«علم أصول الفقه» من خلال هذه المؤلفات، وفيما يلي بيان ذلك :

١-كتاب: «أثرذهاب المحل»:

يُعدُّ كتاب «أثر ذهاب المحل» من البحوث الأصولية الدقيقة؛ حيث يدور موضوعه حول قضية النسخ بالعقل، والتي تتعلق بكثير من الفروع التي تواجه المسلمين في العصر الحديث، وقد رأى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ تسمية هذه القضية بــ «أثر ذهاب المحل في الحكم» أدق من تسميتها نسخًا؛ كما يرى فضيلته أنّ عبارة «أثر ذهاب المحل في الحكم» أدق وأولى من قولنا: «ذهاب الحكم بذهاب محله«؛ حيث إنّ الحكم كخطاب إلهي باقٍ إلى يوم القيامة، وإنما تعذر إيقاعه لذهاب محله، وقد بيّن فضيلته هذا الأمر باستفاضة في كتابه الماتع «أثر ذهاب المحل» وقد عرفنا ذلك بالتفصيل عند الحديث عن أثر التجديد الفقهي عند فضيلة الدكتور علي جمعة.

إنّ حديث فضيلة الدكتور علي جمعة عن هذه النظرية، والدعوة إلى إحيائها في كثير من كتاباته، قد جاء من خلال شعوره بحاجة المجتمع إلى مثل هذه النظريات التي أودعها العلماء في بطون كتبهم، فإنّ التفتيش عن هذه النظريات التي أنتجها العقل المسلم المفكر في مجال الفقه الإسلامي من أهم المبادئ التي يسير عليها فضيلة الدكتور علي جمعة في تكوين العقل المسلم المفكر الذي يواجه عصره ويريد أن يعيشه ولا يريد أن يخرج من تراثه ولا من هويته ولا من تاريخه، ولا من ذاته، ولكنه أيضًا لا يريد أن يَجْمُد على الماضي وأن يسحبه إلى الحاضر، فعلى هذا تكمن جهود فضيلة الدكتور علي جمعة لـ «علم أصول الفقه » من خلال هذا الكتاب، أنّ فضيلته يريد أن ينقل مناهج التفكير لدى القدماء إلى المعاصرين مع مراعاة حاجة العصر والمجتمع؛ لذلك فإنّ هذه النظرية تُعدُّ من أهم آثار التجديد «الفقهي والأصولي» عند فضيلة الدكتور علي جمعة.

٢-كتاب : «الإجماع عند الأصوليين»:

قام فضيلة الدكتور علي جمعة في هذا الكتاب بمناقشة «قضية الإجماع في الشريعة الإسلامية»، ومكانته عند الأصوليين، وبيَّن فضيلته ما للإجماع من أهمية كبيرة في نقل هذا الدين جيلًا بعد جيل، فلا يتصور أنّ أحدًا يعرف يتوضأ، أو يصلي، أو يحج، أو يصوم إذا أُنكر الإجماع بالكلية، فإن إنكار الإجماع هدم للدين[1].

فلما كان « الإجماع » مصدرًا من مصادر الشريعة المتفق عليها، وجزءً من أهم أجزاء موضوع علم «أصول الفقه» فن منطلق نصرة الشريعة جاء هذا الكتاب الماتع؛ ليبيّن فيه فضيلة الدكتور علي جمعة بأسلوبه العلمي الرصين حقيقة الإجماع، ومدى حجيته، وحاجة المجتمع إليه.

وعليه فإنّ جهود فضيلة الدكتور علي جمعة في هذا الكتاب، جاءت لخدمة الشريعة عمومًا؛ لكون «الإجماع» هو المصدر الثالث من مصادر الشريعة الإسلامية،

(١) انظر: «الإجماع عند الأصوليين» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ ٣، طبعة دار الرسالة القاهرة.

وأنّ الإجماع دليل شرعي مهم، القدح فيه يفتح باب شر واسع على الأمة ويحرمها من القطعي الذي حفظ الشريعة القرون الطويلة، ويعرضها لاختلاف الأهواء والبدع، وتمكن الضلالة، واندثار الدين بالكلية والعياذ بالله تعالى.

وأما عن خدمة هذا الكتاب لـ« علم أصول الفقه»؛ لكون الإجماع المعتبر حجة ودليلًا، وأنّ الإجماع ممكن في عصرنا، وممكن الاستفادة منه، سواء في إدراك الحكم، أو في إصدار الفتوى، وذلك عن طريق مجامع المجتهدين التي ينبغي أن تنشأ بصورة أفضل، وأعلى وأرقى، ابتداء ودومًا مما هو حاصل الآن في المجامع الفقهية المنتشرة، وأنّ مهمة الإجماع الكبرى هي نقل الدليل من الظنية إلى القطعية وهو ما أطلق عليه الشافعي إجماع العامة، وعرف بمصطلح «المعلوم من الدين بالضرورة»(١).

٣- كتاب : «الأوامر والنواهي عند الأصوليين»:

إنّ كتاب «الأوامر والنواهي عند الأصوليين» من أروع وأبدع البحوث التي كُتبت في هذا الموضوع؛ حيث قام فضيلة الدكتور علي جمعة في هذا الكتاب بذكر مسائل الأمر، والنهي، وقد توسع في ذكر مذاهب الأصوليين وأقوالهم، وبيان أدلتهم، وما يرد عليها، وما يجاب به، وقد أكثر من النقول عن محققيهم ومعتمديهم، وذكر فضيلته أهمية هذا البحث في مقدمة الكتاب، فقال: «فجاء البحث بحمد الله محررا بحيث لا تجد مجموعه في كتاب»(٢).

وجهود فضيلة الدكتور علي جمعة في خدمة «علم أصول الفقه» من خلال هذا الكتاب تتلخص في النقاط الآتية(٣):

---

(١) انظر: «الإجماع عند الأصوليين» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ ٦٥، طبعة دار الرسالة القاهرة.

(٢) انظر: « الأوامر والنواهي عند الأصوليين »، لفضيلة أ.د/ علي جمعة، طبعة دار النهار للطبع والنشر والتوزيع.

(٣) المصدر السابق.

١ـ عناية فضيلة الدكتور علي جمعة ببيان ما ذهبت إليه المدارس السائدة في علم الأصول، وهى مدرسة المحصول، ومدرسة الآمدى، ومدرسة جمع الجوامع، فاعتنينا عناية بالغة بتحرير ما اختاروه في مسائل الخلاف، والتنبيه على ما قد وقع من بين أتباع المدرسة الواحدة من الوفاق والخلاف.

٢ـ عناية فضيلة الدكتور علي جمعة ببيان المختار عنده، والتنبيه على مواطن الضعف، أو الخطأ، أو المخالفة، أو الوهم، خاصة إذا وقع ذلك في كلام أحد المعتبرين، فإنّه ينبغي تصحيحه، وبيان وجه الصواب فيه حتى لا يُتابع عليه.

٣ـ عناية فضيلة الدكتور علي جمعة بذكر الأمثلة الفقهية على القواعد الأصولية؛ لتظهر ثمرتها، وكيفية استثمار الأحكام منها.

٤- كتاب: «الحكم الشرعي عند الأصوليين»:

إنّ هذا الكتاب لا غنى عنه لمن اشتغل بدراسة «علم أصول الفقه»؛ حيث إنّ فضيلة الدكتور علي جمعة تكلم باستفاضة عن الحكم الشرعي وتقسيماته، فتكلم عن مقدمة ضافية تتناول مفهوم المصطلحات التي سيحتاج إليها البحث الأصولي، حتى لو كانت منطقية أو لغوية أو كلامية، وتكلم أيضًا عن المبادئ العشرة، وتكلم عن الحكم وتقسيماته، ثم عالج فضيلته مباحث هذا العلم على التقسيم الذي قسَّمه، وهو: البحث عن الحجة وكيفية ثبوت المصادر، وكيفية فهم ما ثبت وقضاياه القطعية والظنية، وقضية الإلحاق ودراسة الاستدلال، ثم التعارض والترجيح، حتى نخلص إلي مقاصد المكلفين وشروط المجتهد ونلحق بها الفتوى وأركانها، فكان الكتاب بحق فريد في بابه.

٥- كتاب: «القياس عند الأصوليين»:

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ «القياس» هو: مناط الاجتهاد، وأصل الرأي، ومنه يتشعب الفقه، وأساليب الشريعة، وهو المفضي إلى الاستقلال بتفاصيل أحكام

الوقائع، مع انتفاء الغاية والنهاية؛ فإنّ نصوص الكتاب والسنة محصورة مقصورة، ومواقع الإجماع معدودة مأثورة، فيما ينقل منهما تواترًا فهو المستند إلى القطع، وهو مُعوز قليل، وما ينقله الآحاد عن علماء الأنصار ينزل منزلة أخبار الآحاد، وهي على الجملة متناهية، ونحن نعلم قطعًا أنّ الوقائع التي يتوقع وقوعها لا نهاية لها، والرأي المبتوت المقطوع به عند فضيلته أنه لا تخلو واقعة عن حكم الله تعالى، متلقى من قاعدة الشرع، والأصل الذي يسترسل على جميع الوقائع : القياس، وما يتعلق به من وجوه النظر، والاستدلال؛ فهو إذًا أحق الأصول بالاعتناء، ومن عرف مآخذه، وتقاسيمه، وصحيحه، وفاسده، وما يصح من الاعتراضات عليها، وما يفسد منها، وأحاط بمراتبها جلاء وخفاء، وعرف مجاريها، ومواقعها، فقد احتوى على مجامع الفقه.

فعلى ذلك قد جاء هذا الكتاب الماتع؛ ليكون نبراسًا للباحثين في قضية «القياس»، التي هي من أعسر وأشق قضايا «علم الأصول»، فالمطالع للكتب الأصوليين يجد أنهم قد بسطوا في كتبهم الكلام على القياس؛ وذلك لعظم خطره، واشتداد الحاجة إليه، وابتنائه على إفضائه إلى ما لا نهاية له مع انضباط مأخذه، فليس النظر في الشرع مفوضًا إلى استصلاح كل أحد، فهي إذًا متناهية الأصول، غير متناهية الجدوى والفوائد.

فكانت جهود فضيلة الدكتور علي جمعة من خلال كامنة في تذليل الصعاب التي يواجهها الباحثون عند دراستهم لـ «علم أصول الفقه».

٦- كتاب : «المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم»:

عندما لاحظَ فضيلة الدكتور علي جمعة أنه قد شاع التلاعب بالمفاهيم بإزاء المصطلحات شيوعًا كاد أن يقضي على الهوية وأصاب الأمة بحالة من الفوضى تعكس الأزمة الفكرية التي تمر بها، دفعه ذلك للحديث عن قضية المصطلح والاصطلاح، وقد جمع فضيلته ما تيسر له في قضية «المصطلح والاصطلاح» من كتب التراث، ثم قام

بتطبيقها على تعريف القياس باعتباره مصطلحًا أصوليًا[١]

وقد بيّن فضيلة الدكتور علي جمعة في هذا الكتاب أن التلاعب بمصطلحات السلف الصالح، أو عدم فهم معانيها يؤدي إلي كارثة علمية محققة، وانهيار تام لأركان العلم وضياع لمفاهيمه؛ لذلك فإن الدعاوى التي تنادي الآن إلى تجديد العلوم الشرعية، ووضع مصطلحات جديدة بدعوى الاجتهاد أو بدعوى التيسير، ينبغي عليها الالتفات بدقة إلى ما يمكن أن يحدثه وضع الألفاظ بإزاء المعاني من خلل في الفهم واضطراب في العلم.

وقد كان لهذا الكتاب دور بارز في كيفية التعامل مع المصطلحات الأصولية عمومًا لاسيما «مصطلح القياس»؛ حيث بيّن لنا فضيلة الدكتور علي جمعة في هذا الكتاب الماتع كيف صِيغ تعريف مصطلح القياس بطريقة تدل علي تشابك العلم في منظومة متكاملة وكيف تضمن ذلك التعريف أركان القياس ومذهب المعرِّف تجاه تلك الأركان وشروطها، وتميزه بذلك عن المدارس الأخرى التي تري غير ما ذهب إليه صاحب التعريف، وكل هذه الهيئة المتكاملة ينبغي أن يستحضرها القائلون بالتغير أو التجديد أو إعادة الصياغة أو التيسير، أو غير ذلك مما نسمعه الآن حول العلوم الشرعية وأصول الفقه خاصة[٢].

٧- كتاب : «النسخ عند الأصوليين»:

إنّ قضية «النسخ» عند الأصوليين من أخطر وأدق «القضايا» التي تحتاج إلى وقفة علمية متأنية؛ حيث تعرض الأصوليون إلى أمر خطير يتعلق بهذه القضية وهو:

---

(١) انظر: «المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم» لفضيلة أ.د/ علي جمعة صـ ٥، طبعة دار الرسالة القاهرة.

(٢) المصدر السابق.

نسخ «التلاوة، ونسخ الحكم في القرآن الكريم» وقد افترق الأقدمون حول هذه المسألة، واشتد النزاع بين المُحدَّثين حتى أنكر بعضهم «النسخ» جملة وتفصيلًا، وتمسك آخرون بالقول بما ورد عن الأقدمين، وادعوا الإجماع فيما لا يثبت الإجماع في مثله.

فمن هذا المنطلق قام فضيلة الدكتور علي جمعة بتأليف هذا الكتاب؛ ليعرض لنا أقوال الأصوليين في هذه القضية، ثم يعرض لنا رأيًا جديدًا تجاه «النسخ» في القرآن وهو ما يسمى «بالنَّسَاء»؛ حيث إن فضيلته يُقر النسخ في السنة المشرفة، ويبقى على ما ذهب إليه الأصوليون من آراء ومباحث في مجال السنة فقط، مع القول بعدم وجود النسخ في القرآن، وإن أقر فضيلته بوجود تغير الأحكام فيه لتغير الأحوال، بحيث يمكن أن يستفاد مما ورد في الكتاب الكريم كلما رجع الحال إلى ما كان عليه الأمر الأول، منزِّها القرآن عن مجرَّد شبهة التحريف، ومنزِّلا إياه على ما يليق به، من خطاب العالمين إلى يوم الدين [(١)].

وقد نبَّه فضيلة الدكتور علي جمعة في هذا البحث الماتع الفريد على عدة نقاط لا يحسن للمشتغل بعلم الأصول جهلها، وهي[(٢)]:

١ـ أنّه لا وجود لما يُسمى بنسخ التلاوة بقسميه، سواء مع بقاء الحكم أو انتفائه، وكل ما ورد من روايات لا يصح منه شيء بموجب الصناعة الحديثية، كما أنّه مخالف لما اتفق عليه المسلمون من حفظ كتاب الله سبحانه وتعالى جملة وتفصيلًا. وفي هذا سد لباب شرٍّ عظيمٍ، يريد المبطلون أن يدخلوا منه إلى دين الإسلام.

٢- النسخ لا يقع في الأحكام التي وردت في كتاب الله سبحانه وتعالى، فهو

(١) انظر: «النسخ عند الأصوليين» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ٣، طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع مصر.

(٢) انظر: «النسخ عند الأصوليين» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ١٥٣، طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع مصر.

صالح لكل زمان ومكان، وهو الكلمة الأخيرة من رب العالمين إلى الناس، ونحن في احتياج إلى كل ما أمر به ونهى، أو أرشد ونبه، فليس هناك نسخ لأحكامه، لا بالكتاب ولا بالسنة.

٣- القرآن نسخ الشرائع السابقة، وينسخ السنة، والسنة تنسخ السنة أيضًا، إما تصريحًا، وإما ضمنًا، وقد وقع كل ذلك، والوقوع دليل الجواز.

٤- يناسب ما ذهب إليه فضيلة الدكتور علي جمعة من القول «بالنَّسَاء» وهو أن يرد الحكم مقيدًا بقيد، أو مشروطًا بشرط فيعمل به عند حصول قيده أو شرطه، ولا يعمل به عند فقد واحد منهما، وبذلك يكون فضيلته قد أنزل القرآن الكريم منزلته، فلا تنتهي عجائبه، ولا يخلُق من كثرة الرد، ولا يزال مصدرًا للأحكام في هَدْي السنة المشرفة وبيانها، في كل زمان ومكان، وعلى كل حال. وقد نقل فضيلته هذا المعنى عن الإمامين الكبيرين الزركشي والسيوطي.

٥- مسألة النسخ على ما حرره فضيلة الدكتور علي جمعة مسألة دقيقة، تحتاج إلى مزيد تأمل في الأمثلة التي يدَّعى فيها النسخ، وفي تطبيق النسخ الجاري في السنة عند التعارض والترجيح بين الأدلة، فينبغى للناظر التأمل، والنظر المتأنى حتى لا يقع في المحظور.

٨- كتاب: «آليات الاجتهاد»:

إنّ الاجتهاد ركنٌ من أركان علم أصول الفقه، هذا العلم الذي يُعَدُّ المنهج العلمي عند المسلمين، فأصول الفقه اعتباره لقبًا على ذلك العلم في تعريف مدرسة الرازي الأصولية هو: «معرفة دلائل الفقه إجمالًا، وكيفية الاستفادة منها، وحال المستفيد»، فعلى هذا فإنّ أصول الفقه يبحث عن : مصادر البحث، وعن كيفية الاستفادة منها، أي: طرق البحث، وعن شروط الباحث، وهو عين ما دعى إليه الغرب عندما سرى

المنهج العلمي من فكر المسلمين وعلومهم إلى مفكريهم، مثل روجر بيكون، ومن على شاكلته.

فالبحث في حال المجتهد وبيان حقيقة الاجتهاد أمر لايختص فقط بعلوم الشريعة، بل يتعداه أيضًا إلى تنظيم الفكر البشري أثناء بحثه عن الحقيقة؛ لذلك قام فضيلة الدكتور علي جمعة بكتابة هذا الكتاب؛ ليعالج من خلال مباحثه مسائل الاجتهاد كما عرفها الأصوليون، وكما تركوها لنا، داعيًا إلى إحياء تلك المسائل في أنفسنا، حتى نصل بتفعيلها في واقع البيئة العلمية إلى مرتبة الاجتهاد في الشرعية، والعلوم الكونية، والعلوم الإنسانية، ونعرف آليات الاجتهاد الذي يمكن به تجديد الدين في واقع شديد التغير والتدهور والتطور[1].

٩- كتاب: «تاريخ أصول الفقه»:

عرفنا سابقًا أنّ علم «تاريخ أصول الفقه» علم حادث لمادة مستقلة بدأ تدريسها في الدراسات العليا في كلية الشريعة والقانون بالقاهرة على يد الشيخ عبد الغني عبد الخالق رحمه الله تعالى في محاضرات ألقاها على طلبة السنة الأولى من شعبة أصول الفقه، وتلك المحاضرات كُتبت في ثلاث وستين صفحة طوف فيها الشيخ عبد الغني على تعريف أصول الفقه، وذكر بعض ما ألف فيه، وذكر إجمالًا مبادئ العلم العشرة.

فقام فضيلة الدكتور علي جمعة بتأليف هذا الكتاب؛ ليتوسع فيما بدأه فضيلة الشيخ عبد الغني عبد الخالق فكان الكتاب فريدًا في بابه؛ حيث تناول فضيلته فيه الحديث عن تاريخ التشريع الإسلامي والأدوار التي مر بها، ثم تكلم عن تاريخ علم أصول الفقه ونشأته، والمبادئ العشرة لهذا العلم، ثم تكلم عن مسالك العلماء وطرائقهم في بحث أصول الفقه، ثم تكلم عن نظرياته السبعة التي ابتكرها؛ لعرض أصول الفقه بشكل

(١) انظر: «آليات الاجتهاد» لفضيلة أ.د/ علي جمعة صـ ٥، طبعة دار الرسالة القاهرة.

عصري، ثم تكلم عن عيون المصادر والمراجع الأصولية، ثم تناول الحديث عن تراجم علماء المذاهب وتاريخ كل مذهب.

١٠- كتاب : «تعارض الأقيسة عند الأصوليين»:

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ التعارض والترجيح بين الأدلة هو أس الاجتهاد ومربط فرسه، وهو ما يحتاجه المتكلم في الفقه الإسلامي في العصر الحديث.

يقول الشيخ أحمد شاكر أثناء كلام له عن تطبيق الشريعة الإسلامية وعمل لجنة علمية للتوصل إلى ذلك : »وأجل عمل وأعظمه أثرًا أن تحقق اللجنة باب تعارض الأدلة والترجيح بينها فذلك هو علم الأصول على الحقيقة، وذلك هو ميدان الاجتهاد، وذلك هو أساس الفقه والاستنباط«.

فيرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ التعارض بين الأدلة عامة إنما هو مرحلة ذهنية يمر بها المجتهد، وليس هناك تعارض في نفس الأمر، ولذلك يحاول المجتهد أن يتخلص من ذلك التعارض الظاهري ويبحث عن جهة الجمع بين الأدلة.

وقد خصَّ فضيلته في هذا الكتاب التعارض بين الأقيسة عند الأصوليين والترجيح بينها؛ لأنّ القياس هو أس الاجتهاد، ومعينه الذي لا ينضب.

وقد تناول فضيلته في هذا الكتاب الحديث عن التعارض والترجيح بصورة إجمالية، ثم تكلم عن تعارض الأقيسة، ثم عن الترجيح بين القياسين المتعارضين، ثم قام فضيلته بتعريف معنى التعارض وفرقَّ بينه وبين المصطلحات ذات الصلة به كالتناقض والتعادل والنقض، كما تعرض لتعريف القياس بصورة إجمالية، كما تكلّم عن أركان التعارض وشروطه في الأقيسة، وأسباب تعارض الأقيسة، والترجيح بين الأقيسة المتعارضة، ثم تكلم عن معنى الترجيح وأركانه، وأحكامه، ثم تكلم عن أركان الترجيح، وأحكامه، ووجوهه، والترجيح بحيث نوع القياس ومرتبته، والترجيح

بحسب أمور خارجية، وتعارض وجوه الترجيح.

وقد انتهى فضيلة الدكتور علي جمعة بعد هذا العرض الماتع لقضية تعارض الأقيسة والترجيح بينها إلى ما يلي[١] :

١- أنّ التعارض لا يكون بين دليلين في نفس الأمر؛ فقد تنـزهت الشريعة الإسلامية عن ذلك، وإنما التعارض يقع صوريًا في ذهن المجتهد كمرحلة من مراحل تفكره في طريق استنباط الحكم الشرعي من الدليل التفصيلي.

٢ـ أنّ التعارض حتى عند المجتهد لا يقع بين دليل قطعي، ودليل قطعي آخر، ولا بين دليل قطعي ودليل ظني، سواء أكانا نقليين أو عقليين، أو أحدهما نقلي والآخر قطعي؛ حيث يستحيل التعارض بين القطعيين، ولا يمكن حدوثه بين قطعي وظني حيث سيغلب القطعي.

٣ـ المقصود بالتعارض هنا ليس حدوث المقابلة في ذهن المجتهد حتى يستطيع الجمع بينهما، أو القول بنسخ أحدهما للآخر؛ لأنّ هذا يحدث للمجتهد وسرعان ما يستطيع أن يتعدى هذه المرحلة الذهنية، ويجمع بين القطعيين، ويدرك جهة الانفكاك، وإذا أدرك جهة الانفكاك فلا تعارض.

٤ـ لكن المقصود بالتعارض المنفي في نفس الأمر، وفي ذهن المجتهد هو: التعارض الذي يؤدى إلى دفع المجتهد إلى طريق الترجيح بين الأدلة، هذا النوع من التعارض الذي ينتهي بالترجيح غير متصور بين قطعيين ولا بين قطعي وظني.

٥ـ التعارض متصور بين ظني وظني، سواء أكانا منقولين، أو معقولين، أو معقول ومنقول، وقد اقتصرنا هنا على ما بين معقولين، وهما إما تعارض قياسين أو

---

(١) انظر: «تعارض الأقيسة عند الأصوليين» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ٨٠، طبعة دار الرسالة للنشر والتوزيع.

تعارض استدلال، واقتصرنا على الأول فقط، وبينا أسباب حدوث التعارض، ثم تكلمنا عن الترجيح بين الأقيسة، وهو أس الاجتهاد واسطُقُسه.

٦ـ الترجيح بين قياسين أو أكثر إنما يتم عند مجتهد واحد، ولقد رأينا الأمثلة كثيرا ما تكون بين أتباع مذهبين، ولكن الترجيح بينهما سيكون في ذهن مجتهد واحد يستعرض أمامه الدليلين (أي القياسين) في المسألة المبحوثة، ثم يرجح بينهما بأدوات الترجيح التي فصلناها في هذا البحث، حيث تقرر في الأصول أن المجتهد ليس له أن يقلد أحد المذهبين دون أن يتبنى لنفسه دليلا من الأدلة، ويقتنع به، ويعمل بموجبه، ويحرم عليه التقليد حيث كان قادرا على الاجتهاد، كما يحرم عليه أن يأخذ أحد الدليلين بدون مرجح.

٧ـ بتتبع ما سُطر في الأصول عرفنا أن الترجيح بين الأقيسة يتم بالنظر إلى دليل الحكم، وكيفية الحكم، وماهية العلة، ودليل وجودها، ودليل كونها علة لذلك الحكم، وبالنظر أيضا إلى الفرع، وإلى أمور خارجية تعود إلى ما ذكرناه.

٨ـ تبين أن وجوه الترجيح لا تنحصر، ولا نهاية لها، وهى تعود إلى قوة تصور المجتهد للمسألة، ومدى إدراكه لمواطن القوة والضعف في الترجيح، وإلى ما تؤول إليه المسألة من حكم، ومدى موافقته للنصوص الأخرى، ولمقاصد الشريعة، ولمصلحة الأمة، وكيف أنه قد يترك الجلي، ويستحسن العمل بالخفي لقوته وضعف المقابل، وهذا هو فن الاجتهاد.

٩ـ المشترك بين كل مراحل الترجيح، بل والترجيح بين المرجحات يعود إلى القوة في مقابلة الضعف، والكثرة في مقابلة القلة، والاحتياط في دين الله كدرء الحدود، وتقديم الحظر على الإباحة، وتحقيق المصلحة الشرعية المرعية كالتشوف للعتق، والعمل على ألا يكر الحكم في المسألة على شيء من الشريعة بالإبطال، أو مخالفة أصل معتمد

ثابت، أو يحقق المفسدة دون المصلحة، فهذا هو حقيقة ما رأيناه مبثوثا فيما نقلناه عن الأئمة في مسألة ترجيح الأقيسة، بعضها على بعض.

١٠ـ عند إدراك الترجيح بين الأقيسة سنفهم بعمق تلك الترجيحات بين الأقوال وبين الوجوه في مذهب، كمذهب الشافعية وغيره، كما نراه مِن تَتَبُّع كتاب نحو المنهاج للإمام النووى، حيث فصل الأظهر، والمشهور ومقابلهما، والأصح، والصحيح ومقابلهما، وسنرى مبحث الترجيح بين الأقيسة مبثوثا في هذا كله.

١١ـ يمكن للباحث أن يتتبع ذلك، فيخرج كتابًا غاية في الأهمية والدلالة على مبحث جديد يزيد من فهم الشريعة، وإدراك التراث الفقهي إدراكا تفصيليا.

١٢ـ كما تبين في كتابة هذا البحث أن كتب التراث لا تزال في حاجة إلى مزيد تحقيق، وأن بعضها ينقل عن بعض الخطأ، ويزيد فيه، مما يعوق الفهم الواضح الصحيح، وبالتالي التخيير والترجيح، وأن هذا شائع في الكتب بعد القرن السادس الهجري، وأن كتب الأصول خاصة التي هي للجمهور اهتمت بالنظر دون المثال، مما يحتاج معه الأمر إلى مزيد وصل للأصول بالفروع، والتطبيق على النظريات.

١١.كتاب : «علم أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة الإسلامية »

يُعدُّ هذا الكتاب من أهم الأبحاث التي كتبها فضيلة الدكتور علي جمعة، على الرغم من وجازته، وصغر حجمه، فقد جمع هذا الكتاب بين دفتيه الكثير من الدرر والفوائد.

فقد بيّن فضيلة الدكتور علي جمعة في هذا الكتاب «نقاط التلاقي بين أصول الفقه والفلسفة الإسلامية»(١)؛ حيث ذكر فضيلته أن الفلسفة الإسلامية تقوم على ثلاثة

(١) انظر: «أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ١٤، طبعة دارالرسالة للنشر والتوزيع القاهرة.

محاور، هي:

ـ المحور الأول : الوجود «الله الكون الإنسان».

ـ المحور الثاني : المعرفة «المنطق».

ـ المحور الثالث: القيم «الأخلاق والجمال».

ومن خلال هذه المحاور تتضح نقاط التلاقي والعلاقة التي بين «أصول الفقه والفلسفة» اتضاحًا جليًا، وقد ذكر فضيلته أن تمام هذه العلاقة يكون على مستويات ثلاثة، وهي: «إدراك هذه العلاقة، وتشغيل تلك العلاقة، والاستفادة منها»

وقد انطلق فضيلته من المسائل المشتركة، إلى فكرة الأسئلة الممتدة، التي يمكن من خلال الإجابة عليها الوصول إلى العلة الأولى، ثم الثانية، ثم الثالثة، ومن خلال هذه الأسئلة يتبين لنا مصادر وموارد هذا العلم وعلاقته بغيره من العلوم، وقد ذكر أ.د علي جمعة عدة أمثلة يتضح من خلالها فكرة الأسئلة الممتدة.

ثم تكلم فضيلته عن تخيرات الأصولي، هذه التخيرات التي نشأت كأثر للفلسفة على أصول الفقه، وقد مثَّل فضيلة الدكتور علي جمعة فيها بالفلسفة اللغوية، وقد ذكر مذهب الإمام الرازي في «المحصول»؛ حيث يرى ظنية الدليل اللفظي؛ لتعرضه للاحتمالات العشرة التي تخلُّ بالفهم كما ذكر الأصوليون، وقد سرى هذا الأمر إلى الأصوليين من الفلسفة؛ حيث إنه لا يوجد عند أهل العربية هذا التدقيق، ثم ذكر فضيلته بعد ذلك خلافًا طويلًا في هذه المسألة عند الأصوليين.

وفي نهاية الكتاب دعا فضيلته، الباحثين والمشتغلين بعلم أصول الفقه إلى أخذ هذا الكتاب مقدمة إلى أبحاث أخرى تكون أكثر عمقًا وأكثر تفصيلًا، ذلك لحاجة المجتمع المستمرة في التطوير والتجديد؛ حيث إنّ هذا الكتاب مقدمة غاية في الأهمية لمعرفة مدى التداخل بين العلوم وعلاقاتها ببعض.

١٢.كتاب : «قضية تجديد أصول الفقه»

يُعدُّ كتاب «قضية تجديد أصول الفقه» بحث رصدي أكثر منه نقديًا؛ حيث إنّ فضيلة الدكتور علي جمعة يرصد في هذا الكتاب الاتجاهات التي دعت إلى التجديد أو كانت تحت هذا العنوان، سواء أكانت على صواب أو خطأ، أو كانت على هدى أو ضلال، فكان مجموع هذا الكتاب عبارة عن تنبيهات، وجمع لاتجاهات ظهرت تحت هذا الاسم تثير الفكر، وتدعو العلماء إلى بحثها ونقدها بل ونقضها إن لزم الأمر[١].

كما تكلم فضيلته في نهاية هذا البحث عن رؤية مبدئية لدارس الأصول حتى تكون منطلقًا لدراسات أخرى أعمق وأشمل.

وقد نبّه فضيلة الدكتور علي جمعة في خاتمة الكتاب أنه تبيّن من خلال ذلك العرض الذي قدَّمه في هذا الكتاب أن الدعوى إلى التجديد أخذت صورًا هي[٢]:

١ـ إعادة صياغة القديم بأسلوب جديد.

٢ـ إعادة النظر في مسائلة وفتح باب القول الجديد في مسائلة الموروثة، والسماح بالرأي الجديد الذي لم يقل من قبل مع الحفاظ على هيكل ذلك العم كما هو.

٣ـ إعادة النظر في تطبيق القواعد الموروثة لذلك العلم عند التطبيق مع الاحتفاظ غالبًا بالجانب النظري للمسائل.

٤ـ إعادة بناء هيكل ذلك العلم من جديد لعلة أن تظهر لنا مسائل جديدة أو فهم أعمق أو طريقة أحسن في التعامل السريع مع الوقائع المحدثة المطورة، وهذه الطريقة لم تقدم حتى الآن تصورا متكاملًا للهيكل الجديد بل هي دعوة إلى فعل ذلك مع ضرب بعض الأمثلة على استحياء ومع تفاوت بين الداعين إلى ذلك في مفهوم إعادة الهيكلة بل وفي فهم الفضية برمتها.

---

(١) انظر: «قضية تجديد أصول الفقه» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ٣، طبعة دارالهداية القاهرة.

(٢) المصدر السابق.

٥ـ جعل التجديد من طبيعة ذلك العم وهو ما عليه الشيعة الأمامية من القدم وهم على ذلك حتى الآن والتجديد له معنى عندهم يجعلنا نعده في زمرة مستقلة عن الزمر السابقة.

٦ـ استفادة متبادلة بين العلوم الاجتماعية بمناهجها وأصول الفقه بمناهجه بحيث يأخذ كل من الآخر لأحداث التطوير الشامل.

٧ـ كما أن هناك اتجاه الرفض وهو مرفوض لما يؤول إليه من انهيار الشريعة بالكلية أصولها وفروعها.

١٣.كتاب : «قول الصحابي عند الأصوليين »

لا شك أنّ علم أصول الفقه خطير شأنه، متين معناه، عميق مبناه، وهو أساس الفهم لنصوص الشريعة الغراء، وهو مبنى على ثلاثة أركان : «معرفة مصادر الفقه، كيفية الاستفادة منها، شروط المستفيد الذي هو المجتهد»، ومن أجل ذلك سمى بأصول الفقه بالجمع، دون أصل الفقه بالإفراد.

ومصادر الفقه منها ما هو متفق عليه كالكتاب والسنة عند جميع المسلمين، أو الإجماع والقياس عند جمهورهم خلافًا لشذاذ الظاهرية.

ومنها ما هو محل خلاف ونظر عدها الشيخ جمال الدين القاسمي في رسالته حول المصلحة عند الطوفي فبلغ بها نحو أربعين دليلًا منها قول الصحابي.

فلما كان قول الصحابي يحتاج إلى مزيد بحث وتجميع لما تشتت في الكتب، وإزالة التعارضات التي يراها الباحث دون تحقيق وتمحيص، ولما كان الأمر يحتاج إلى مزيد توثيق للآراء، وتحرير للمسائل حول هذا الموضوع قام فضيلة الدكتور علي جمعة بتأليف هذا الكتاب تلبية لحاجة الدارسين والباحثين في علم أصول الفقه[1].

---

(١) انظر: «قول الصحابي عند الأصوليين» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ٥، طبعة دارالرسالة للنشر والتوزيع القاهرة.

وقد انتهى فضيلة الدكتور علي جمعة في نهاية بحثه لعدة نتائج، هي :

١ - أنّ قول الصحابي هو رأيه الفقهي في مسألة اجتهادية وبذلك فرأى الصحابي غير روايته وأن الخلاف حصل في رأى الصحابي حيث لا كتاب ولا سنة ولا جماع لا سكوتى ولا صريح في المسألة وان رأى الصحابي محل النزاع على غير مجتهدى الصحابة فهو ليس بحجة عليهم قطعًا. فإذا ورد عن أحد فقهائهم قول وانتشر فسكتوا كان إجماعًا سكوتيًا فيه تفصيل ما في الإجماع السكوتي.

وإذا لم ينتشر فإما يرد تعارض من الصحابة الآخرين فتتخير وإما لا يرد تعارض من أحدهم فإما أن يخالف القياس وهى قرينة على أن هذا القول من قبيل الرواية، لا الرأي، وليس من محل النزاع أو لم يخالف القياس وهو محل النزاع.

وملخص المذاهب قولان: أنه حجة، وأنه ليس بحجة.

والذي ثبت لدى فضيلة الدكتور علي جمعة أن مذهب الصحابي بهذه الصفة حجة في مذهبيه القديم والجديد وذلك من نقوله ونصوصه الأصلية ولكن اضطرب الفاهمون لمذهبه فمنهم من نسب إليه القول بعدم الحجية ومنهم من نسب إليه القول بالحجية ومنهم من فرق بين القديم والجديد ومنهم من ادعى أنه يعتمد الشيخين أبا بكر وعمر دون سواهم أو الخلفاء الأربعة دون سواهم والحق ما ثبت في نصوصه الأصلية.

٢- كما يرى فضيلته أن قول الصحابي يستأنس به وليس بحجة فهو يصلح للترجيح بين آراء المجتهدين وبين الأدلة عند تكافؤها في نظر المجتهد، وعليه نرجح مصلحة الدعوة والأمة إذا عارضت عملهم في أزمانهم رضى الله تعالى عنهم ونتبع عمومات الكتاب والسنة.

١٤.كتاب : «مدى حجية الرؤيا عند الأصوليين »

من المعروف أن الأدلة قسمان : قسم متفق عليه، وهو : الكتاب والسنة، والإجماع، والقياس، وقسم مختلف فيه،فذُكِرَ من تلك الأدلة المختلَف فيها، رؤيا النبيﷺ؛ بل قد

ذكر الأصوليون الرؤيا عمومًا، واختلفوا في حجيتها في إثبات الأحكام.

فقام فضيلة الدكتور علي جمعة بتأليف هذا الكتاب؛ ليوضح هذا المسألة؛ حيث تتبع فضيلته آراء العلماء في هذه المسألة، مناقشًا، ومرِّجحًا لما راه فضيلته راجحًا، فتناول فضيلته في هذا الكتاب المسألة من كل جوانبها

كما قام فضيلته بتتبع أحاديث الرؤيا في دواوين السنة، محاولًا الوصول إلى حد أدنى من الاستقراء، يمكن من خلاله تكوين رأي محدد في حجية الرؤيا، من خلال الوقوف على مَسْلَك النبي ﷺ وصحابته منها، وقد وقف فضيلته على قرابة الأربعمائة «٤٠٠» حديث وأثر في دواوين السنة المشهورة، ثم ذكر فضيلته أقوال الأصوليين في المسألة، و أقوالهم ومذاهبهم المنقولة في كتب الأصول حول حجية الرؤيا، مع ذكر الأدلة التي تنهض لكل مذهب سواء أذكروها أم لا، فعرضها حجَّة لهم، مع ذكر مناقشة تلك الأدلة، وبيان الراجح منها.

وقد انتهى فضيلة الدكتور علي جمعة من خلال العرض الذي قدَّمه في هذا الكتاب حول «حجية الرؤيا»، إلى أن الرؤيا ليست بحجة شرعية يؤخذ بها في الحلال والحرام، ولا الإقدام والإحجام عما تقرر في القرآن والسنة الصحيحة، وإن كانت من المبشرات يراها العبد الصالح، أو تُرى له، وإن كانت جزءًا من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، وإن كانت في حق الأنبياء تشريع، وإن كانت رؤيا النبيﷺ لا يقربها الشيطان، ولا يتمثل بهﷺ؛ لعلو شأنه.

فإن الرائي مع كل ذلك لا يملك نفسه حال النوم؛ لأنه ليس أهلًا للتحمل، وعلى ذلك فلا يؤخذ بالرؤى ولو رأى المكلف رسول الله ﷺ في المنام يأمره، أو ينهاه بما يخالف، أو يخصص، أو يقيد حكمًا شرعيًا ثابتًا بالكتاب، أو السنة، أو الإجماع، أو القياس الصحيح، ولو كثرت هذه الرؤى وتواطأت عند أفراد كثيرين. فالرؤيا ليست بحجة، ولا دليل شرعي، وستظل أبدًا في نطاق المبشرات.

المطلب الثالث

تجديد علم أصول الفقه عند فضيلة الدكتورعلي جمعة

ينبغي للمسلم أن يكون واعيًا على الثقافة الإسلامية، واقفًا على علومها، لا سيما وأن الأمة تعيش تحت مطارق الغزو الرأسمالي، وتصطلي بنيران جيوشه، وأن بلاد الإسلام أصبحت مسرحًا لعرض كل ما يحمله الغرب من رؤى، وأفكار، و أيديولوجيات.

فلقد أدرك الغرب خطورة مفاهيم الثقافة الإسلامية على مساعيه، فركز ضربات معوله عليها حتى سقط بعض المسلمين أمام هذه الضربات، وتأثروا بالأفكار الموبوءة الغازية، وصاروا يؤولون الثقافة الإسلامية ويخرجون عليها، وصار بينهم وبينها فراغٌ لا بد من ردمه ورأب صدعه.

ولا يزال أزلام الغرب من أشباه المفكرين الذين تنصلوا من تراثهم مستمرين في هجومهم السافر وضربهم لفروع هذه الثقافة، ولا أجد أدل على ذلك من خروجهم المستمر على وسائل الإعلام بآراء تحمل في طياتها السم الزعاف وفي مضامينها الموت الزؤام والتي يكون ضحيتها أصحاب العقول المعقولة عن الفهم من أبناء المسلمين، فمن العلوم التي حاولت الثقافة الغربية ضربها والإجهاز عليها «علم أصول الفقه»؛ إيمانًا منهم بأنه من أهم مناهج الفهم لدى المسلمين.

فمن هنا رأى علماء الإسلام المعاصرين أنّ الحاجة داعية للحديث عن تجديد «علم أصول الفقه»؛ حيث قد مضى التأليف في هذا العلم على أساس مصنف أول – في كل طريقة أومذهب على حدة- يعتمده اللاحقون ويسمونه «متنًا» ويبنون عليه: شرحًا وتلخيصًا للشرح، ثم شرحًا للتلخيص، ثم تؤلف حاشيةٌ على الشرح، فتقارير وتعليقات، تراوحت الكتابات فيها بين إطناب وإيجاز، وبين تيسير العبارة وجلائها أو

إلغازها وتكثيفها؛ الأمر الذي أسهم في استغلاق أبواب هذا العلم أمام طبقة عريضة من المتعلمين على الطريقة غير الموروثة، من هنا لهجت بمطالب التجديد – بل التطوير والتغيير– ألسنة كثيرة، وتحركت إليه أقلام متنوعة؛ ما بين محافظة قانعة بالحال ومجددة آملة في التحسين، وما بين جزئية التجديد وأخرى تبغي تغييرًا كليًّا في مضمون العلم وبنيانه[1].

فمن هذا المنطلق قد أولى فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة «قضية التجديد في علم أصول الفقه» عنايته، وصرف فيها جهوده؛ لأنه هو الضامن لبقاء التشريعات الإسلامية صافية لا تشوبها الشائبات ولا تكدرها الكدورات من غير جنسها، لا سيما وقد بعد العهد بفجر التشريع ولم يبق اللسان العربي على حاله سليمًا، فإن «علم أصول الفقه» هو أصل الاجتهاد وأساسه الذي تقوم عليه أركان بنائه.

وعلى ذلك سوف أتناول بمشيئة الله تعالى في هذا المطلب«قضية تجديد علم أصول الفقه» عند فضيلة الدكتور علي جمعة، ومفهوم التجديد عند فضيلته، ورؤيته لتجديد هذا العلم، وضوابط هذا التجديد عنده، وثمرة هذا التجديد عند فضيلته، وفيما يلي بيان ذلك :

أولًا: قضية تجديد أصول الفقه عند المُعاصرين:

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ قضية تجديد «علم أصول الفقه» مسألة لها تاريخ، وبتتبع فضيلته لهذه القضية وتاريخها وَجَدَ أنها قد أخذت صورًا متعددة منها: ما يعود إلى الشكل وأسلوب عرض العلم وتدريسه، ومنها ما يتعلق بهيكل العلم والكلام في إعادة هيكلته وبنائه، ومنها ما يعود إلي توسيع المجال والاستخدام إلي غير ذلك [2].

(١) انظر: « تجديد علم أصول الفقه : الواقع والمقترح » لفضيلة أ.د/ علي جمعة، مجلة المسلم المعاصر ـ العدد «١٢٥-١٢٦».

(٢) انظر: «قضية تجديد أصول الفقه» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ٤، طبعة دار الهداية القاهرة.

وقد ذكر فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ الدعوة إلى تجديد «علم أصول الفقه» بدأت منذ زمن ليس بالقصير ضمن الدعوة إلى تجديد العلوم بصفة عامة، فكلمة «تجديد» ظهرتْ عند رفاعة الطهطاوي في مقالاته «القول السديد في التجديد والتقليد» التي طبعت بمصر سنة ١٢٨٧هـ في كتاب تحت عنوان «القول السديد في الاجتهاد والتقليد» مستبدلًا كلمة الاجتهاد بالتجديد، أما التجديد في أصول الفقه فقد قدمت فيه محاولات عبر القرن المنصرم على أنحاء عديدة كما ذكرتُ آنفًا، وقد قام فضيلة الدكتور علي جمعة برصد الاتجاهات التي دعت إلى التجديد، أو كانت تحت هذا العنوان؛ لذلك سوف أعرضُ بمشيئة الله تعالى في السطور التالية أطراف هذه المحاولات التي استغرقت القرن الرابع عشر الهجري، وقام فضيلة الدكتور علي جمعة برصدها وحصرها، ودراستها، ومناقشة بعضها، وقد حَصَرَ فضيلته معالم ومضامين هذه المحاولات في ثلاثة أنحاء[(١)]:

(١) تجديد أسلوب العرض:

برزت دعوة تجديد الأصول بخاصة في أوائل القرن العشرين على أيدي بعض العلماء المدرسين بمدرسة القضاء الشرعي ودار العلوم، وكان المعنيُّ بالتجديد هو تجديد الأسلوب وطريقة العرض؛ فألّف الشيخ محمد الخضري -من مدرسي القضاء الشرعي- كتاب «أصول الفقه» وطَبَعَه عام ١٩١١م- ١٣٢٩هـ «مطبعة الجمالية»، وكان قد درّسه بتلك المدرسة ابتداءً من سنة ١٩٠٦م. وكان الشيخ الخضري نفسه قد أشار في آخر كتابه «تاريخ التشريع» إلى عدم جدوى التدريس بطريقة المتون والحواشي التي تجعل التلميذ وشيخه سواءً لا فرق بينهما إلا كثرة الفروع في رأس هذا عن ذلك.

وقد أَلَّفَ -قبل ذلك ولنفس الغرض ولكن بصورة مختصرة- سلطان محمد علي المدرس بدار العلوم كتابه «خلاصة القول» والذي طبع بمطبعة الواعظ بالقاهرة، وكان يمثل محاولة مبكرة في هذا الاتجاه.

(١) انظر: « تجديد علم أصول الفقه : الواقع والمقترح » لفضيلة أ.د/ علي جمعة، وانظر: «قضية تجديد أصول الفقه» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ٥.

ثم توالت المجهودات في هذا الطريق فألَّفَ محمد بك إبراهيم، والشيخ عبد الوهاب خلاَّف، والشيخ محمد أبو زهرة وغيرهم في النصف الأول من القرن المنصرم.

ثم جاءت جهود مدرسي جامعة الأزهر خاصة بعد دعوة الشيخ محمد المدني لعلماء كلية الشريعة إلى التأليف، وعدم الركون إلى تدريس القديم من المتون والشروح. ومع قانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١م الخاص بإعادة تنظيم الأزهر وإنشاء جامعته كثرت الرسائل العلمية والكتب المستقلة والميسرة من علماء الأزهر في هذا الفن بما يشكل مكتبة متكاملة في جميع موضوعاته الموروثة، كما ساهم «الحقوقيون» من تلامذة خلاّف وأبي زهرة وطبقتهم في ذلك مساهمة كبيرة.

وعليه فيرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ هذا النوع من التجديد لم يلقَ اعتراضًا قويًّا من المشتغلين بالأصول، على أن كثيرًا من العلماء شككوا في جدواه، ورأوا أن الدراسة والكتابة المرتبطة بالكتب الموروثة أكثر دقة وعلمًا، فسار اتجاه موازٍ لذلك الاتجاه الأول. ويلخص هذا الاتجاه ويزكيه الدكتور محمد عبد اللطيف الفرفور حيث يقول: «هذا الذي أقدمه على استحياء، لا أزعم فيه أني جئت بجديد، وهل في أصول الفقه اليوم بعد كتابات فحول الأقدمين من جديد؟ بل كل ما هو منّي في وجيزي هذا التبسيط مع التحقيق للمسائل العلمية، والرجوع في النقول إلى أمهات المصادر بقدر الوسع والطاقة، وفوق كل ذي علم عليم»(١).

ثم يقول: «إن التجديد في الكتابة المعاصرة في هذا الفن ألا وهو «أصول الفقه» ينبغي أن يكون في التحقيق العلمي للمسائل وعرض القضايا الأصولية عرضًا موضوعيًا مبسطًا قريب المأخذ وهو ما سعيت إليه»(٢).

---

(١) انظر: «الوجيز في أصول استنباط الأحكام في الشريعة الإسلامية» لفضيلة أ.د / محمد عبد اللطيف الفرفور، صـ ٤، طبعة دار البشائر.

(٢) انظر: المصدر السابق.

من هنا يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ التجديد في هذه الناحية قد آل إلى إنتاج حالة من التدافع بين مصالح استبقاء الاتصال بالقديم من جهة ومصالح التجديد للتواصل مع العقلية المعاصرة من جهة أخرى؛ الأمر الذي تبرز فيه أهمية اتساع الصدور للجمع بين المصلحتين، والسماح للفكر الإبداعي والجهد الابتكاري أن يجرّب ويفيد ويستفيد[١].

(٢) التجديد في مسائل الأصول:

يذكر فضيلة الدكتور علي جمعة أنه مما كان شائعًا بين علماء الأزهر أن القسمة العقلية للآراء الأصولية قد انتهت فلا مكان لمزيد، ولا لرأي جديد في مسائل الأصول؛ حيث قد قيل كل ما يمكن أن يقال، فما من رأي يظنه صاحبه جديدًا وتكون له وجاهة إلا سنده عند الأقدمين[٢].

ورغم ذلك هناك من ادّعى خلاف ذلك ونادى بالتجديد بأسلوب آخر؛ وهو أن يأتي في مسائل الأصول برأي لم يُسبق إليه أو على الأقل لم نره فيما بين أيدينا من كتب الأصول، ومثال ذلك: ما ذهب إليه العلامة المحدِّث عبد الله بن الصديق الغماري في كتابه: «سبيل التوفيق»[٣]. كذلك كان ممن تعرض لبعض مسائل أصول الفقه، الدكتور مصطفي زيد حيث أنكر النسخ كلَّه برمته في كتابه: «النسخ في القرآن»[٤] وتابعه في ذلك تلميذه عبد المتعال الجابري في كتابه: لا نسخ في القرآن وهذا الإنكار التام لم يُنقل إلا عن أبي مسلم الأصفهاني المعتزلي، وقيل أن مذهب أبي مسلم لم يخالف ما عليه أهل السنة

(١) انظر: « تجديد علم أصول الفقه : الواقع والمقترح » لفضيلة أ.د/ علي جمعة، مجلة المسلم المعاصر- العدد «١٢٥-١٢٦».

(٢) انظر: «قضية تجديد أصول الفقه» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ٦.

(٣) انظر :« سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصديق »صـ ٨١، طبعة مكتبة القاهرة.

(٤) () انظر : «النسخ في القرآن الكريم : دراسة تشريعية تاريخية نقدية» للدكتور مصطفي زيد، طـ دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.

وعلى ذلك فرأي مصطفي زيد و عبد المتعال جديد تمامًا[(١)].

وممن عالج أيضًا بعض مسائل علم الأصول بطريقة جديدة في التناول والتطبيق الدكتور أحمد حمد؛ حيث أثار سؤالًا: « هل دراسة الإجماع مجدية من الناحية العملية حيث يؤخذ به في تقرير الأحكام وإصدار التشريعات ووضع القوانين ويبقى مصدرًا من مصادر الشريعة يطبق كما كان يطبق في عهد الصحابة رضوان الله عليهم؟ أو تكون دراسته مجرد نظرية ظهرت وإنما تعذر الآن تطبيقها إلا أن فيها على كل حال غذاء عقليًا وثروة فكرية»؟[(٢)].

وبطريقة ثالثة في التجديد نرى في الأربعينات دعوى الشيخ عبد الجليل عيسى؛ حيث تكلم عن أحد مباحث أصول الفقه المهمة؛ وهو «حُجّيّة السُّنة»، ودعا الشيخ إلى إعادة النظر في هذا الباب في كتابه «اجتهاد الرسول»، والذي كان له أثر كبير في الأوساط الدينية والأدبية. ثم في السبعينيات دخل على هذا الخط الشيخ عبد المنعم النمر في كتاب «السنة والتشريع»، وقد ردَّ على هذا الاتجاه كثيرون من العلماء منهم: الشيخ عبد الغني عبد الخالق في كتابه الماتع «حُجّية السُّنة»؛ حيث أثبت إجماع المسلمين بجميع فرقهم على حُجّيّة السُّنة النبوية المطهرة، وقد قام فضيلة الدكتور علي جمعة بنقد ومناقشة كل هذه الاتجاهات وتفنيدها، فالمقام هنا لا يتسع لذكرها، فمن أراد المزيد يذهب إلى كتاب :« قضية تجديد أصول الفقه» يجد الأمر هناك مُستوفي.

(٣) التجديد في هيكل العلم :

بيّن فضيلة الدكتور علي جمعة خلال رحلة رصده للاتجاهات التي تحدثت عن قضية «تجديد أصول الفقه» أن هناك دعوى أخرى –على مستوى آخر لتجديد أصول الفقه– برزت في السبعينيات تدعو إلى إعادة هيكلة أصول الفقه مرة أخرى، نجد أطرافًا

(١) انظر: «قضية تجديد أصول الفقه» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ٨.

(٢) انظر الإجماع بين النظرية والتطبيق للدكتور/ أحمد حمد. ٥/ ٨٥.

منها عند كتّاب مختلفين من أمثال: د. حسن الترابي، د. طه جابر العلواني، د. جمال الدين عطية، د. محمد سليم العوا وغيرهم، وهؤلاء مختلفون تمامًا في تصور التجديد المراد.

فدعوة الدكتور حسن الترابي غير واضحة المعالم؛ وذلك أنه تكلم عن المسألة ولم يتكلم في المسألة، أما الدكتور محمد سليم العوا فقد خطا خطوة أخرى في مقالة نشرها بعنوان : «السُّنة التشريعية وغير التشريعية»؛ حيث تكلم فيها في صميم المسألة بالتفصيل، فكلام الدكتور العوا في مسألة التجديد أقرب إلى الواقع من كلام الدكتور الترابي الذي يدل مردود كلامه وفحواه على أن علم الأصول الموروث يجب أن يتغير، فكلام العوَّا معناه أنه يجب أن ننظر فيه ونتخير ما قد تبين لنا مع مرور العصور أنه مراد الله تعالى. وعلى ذلك فتوصيف المشكلة مختلف بين هذين الاتجاهين فالترابي يرى وجوب تغيير هيكل ذلك العلم، والعوا يرى وجوب إعادة النظر في تطبيقاته وهما جد مختلفان.

أما الدكتور جمال الدين عطية فالتجديد في أصول الفقه عنده عميق وواسع لكن لا يتسع المجال لعرض آرائه المهمة فيه، والتي تمثل خريطة مهمة يمكن تلخيص معالمها في:

١- إعادة هيكلة العلم.

٢- الاستفادة من المنهج الأصولي في العلوم الاجتماعية والإنسانية الحديثة.

٣- الاستفادة من مناهج العلوم الاجتماعية في علم أصول الفقه.

أما منهج الدكتور طه جابر العلواني في الدعوة إلى تجديد أصول الفقه، يمكن أن نلخصها فيما يلي:

١- إعادة النظر في شروط وكيفية الاجتهاد، وكذلك الإجماع.

٢- استخدام الأصول لأدوات المنهج التجريبي المطبّق اليوم.

٣- استخدام العلوم الاجتماعية والإنسانية لأدوات أصول الفقه الموروث.

وفي نهاية هذا العرض الماتع الذي قام به فضيلة الدكتور علي جمعة، أشار فضيلته إلى مسارين آخرين مختلفين عما سبق في دعواهما للتجديد في هذا المجال ولا يتسع المقام للتفصيل فيهما[1]:

الأول- التجديد في الأصول عند الشيعة: وهو يأخذ صبغة خاصة؛ إذ اعتبر الشيعةُ «الواقع المتغير» جزءًا من أصولهم الفقهية؛ الأمر الذي جعل التجديد الأصولي لازمة تاريخية للفقه الشيعي وأصوله. وهي تجربة مهمة تحتاج إلى دراسة واسعة لها ولإمكانات الاستفادة منها في مسار التجديد الراهن.

الثاني - التجديد الحداثي من مداخل وقراءات تتميز بإعمال أفكار ونظريات غربية؛ تتم بها إعادة قراءة التراث بل الدين الإسلامي، قراءات تتراوح بين العمق وبين الإغراب والتغريب، وتتسم في معظمها بالجرأة والخروج بنتائج يصعب التسليم بها للوهلة الأولى، بل قد تستفز بسبب أسلوبها غير التقليدي دواعي الحذر والخوف من إثارة أفكارٍ تغبش على الحالة التجديدية التي نرجو لها الاستمرار وتحقيق تراكم مفيد.

وقد انتهى فضيلة الدكتور علي جمعة من خلال ذلك العرض أن الدعوى إلى التجديد أخذت صورًا وهي:

١- إعادة صياغة القديم بأسلوب جديد.

٢- إعادة النظر في مسائله، وفتح باب القول الجديد في مسائله الموروثة، والسماح بالرأي الجديد الذي لم يُقل من قبل، مع الحفاظ على هيكل ذلك العلم كما هو.

٣- إعادة النظر في منهج تفعيل وتشغيل القواعد الموروثة لذلك العلم عند التطبيق، مع الاحتفاظ غالبًا بالجانب النظري للمسائل.

---

(١) انظر: « تجديد علم أصول الفقه : الواقع والمقترح » لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

٤- إعادة بناء هيكل ذلك العلم من جديد لعله أن تظهر لنا مسائل جديدة أو فهم أعمق أو طريقة أحسن في التعامل السريع مع الوقائع المحدثة المتطورة، وهذه الطريقة لم تقدم حتى الآن تصورًا متكاملًا للهيكل الجديد، بل هي دعوة إلى فعل ذلك مع ضرب بعض الأمثلة على استحياء ومع تفاوت بين الداعين إلى ذلك في مفهوم «إعادة الهيكلة» بل في فهم القضية برمّتها.

٥- جعل التجديد من طبيعة ذلك العلم؛ وهو ما عليه الشيعة الإمامية من القدم وهم على ذلك حتى الآن. والتجديد له معنى عندهم جعلنا نعده في زمرة مستقلة عن الزمر السابقة، كما أشرنا.

٦- الدعوى لاستفادة متبادلة بين العلوم الاجتماعية بمناهجها وأصول الفقه بمناهجه؛ بحيث يأخذ كل من الآخر لإحداث التطوير الشامل.

٧- كما أن هناك «اتجاه الرفض للأصول» وهو مرفوض لما يؤول إليه من انهيار الشريعة بالكلية أصولها وفروعها.

ونكتفي بهذا القدر إلماحًا إلى معالم الخارطة المتعلقة بالتجديد في الأصول عبر القرن.

ثانيًا: مفهوم تجديد أصول الفقه عند فضيلة الدكتورعلي جمعة:

إنّ الباحث عن مفهوم «تجديد أصول الفقه» عند فضيلة الدكتور علي جمعة، ينظر إلى ما كتبه فضيلته في كتابه الماتع :«وقال الإمام»؛ حيث يرى فضيلته أنّ قضية تجديد العلوم من القضايا الراسخة في عقول السلف الصالح، والتي يجب علينا أن نفعلها في واقعنا المعاصر، ومفهوم فضيلته لقضية «تجديد أصول الفقه» يتلخص في النقاط التالية[١] :

(١) انظر : « وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ ٨٨، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع.

(١) حذف من أصول الفقه كُـلَّ المسائـل التي تُـعَدُّ عاريةً، وأنَّها جاءت فيه على سبيل الاستطراد، أو على سبيل استكمال الفائدة؛ فإنَّ كثيرًا ما نجد مسائل قد تكون لغويةً، وقد تكون منطقيةً، وقد تكون كلاميَّةً شُحِنَ بها علم الأصول، ولو أنَّنا خلَّينا علم الأصول من هذه الزيادات، وجعلناه مقصورًا على ما وُضِعَ له -من كونه أداة للفَهْم وكيفية البحث؛ لاستنباط الأحكام الشرعية المرعية من مصادرها الموثقة من الكتاب وصحيح السُّنَّـةِ- لكان ذلك أجدى.

(٢) القيام برحلة في نظريات أُصُول الْفِقْه، في عقل الفقيه؛ حيث نرى كيف يفكر.

(٣) ترتب مباحث «علم أصول الفقه» طبقًا للنظريات السبعة التي أنشأها فضيلة الدكتور علي جمعة من خلال الرحلة التي قام بها في عقل الفقيه، بترتيبها المعروف المشهور، وهو: «الْحُجِّـيَّة»، ثم بعد ذلك: «التَّوْثـيق»، ثم بعد ذلك: «الْـفَهْم»، ثم بعد ذلك: «الْقَطْعِي والظَّـنِّي»، ثم بعد ذلك: «الْإلحْـاق»، وبعد ذلك: «التَّعَارُض والتَّـرْجِيح»، وبعد ذلك: «الْمَـقَاصِد»، وبعد ذلك: «شُرُوط الْبَاحِث»، يريد فضيلته أن يرتب «علم الأصول» على هذه النظريات حتى يكون أدعى للقَـبُول وللفَـهْم، ويكون فيه منطقٌ واضحٌ.

(٤) إضافة أصول يستطيع بها الفقيه أن يدرك الواقع؛ حيـث إنَّ الواقـع جـزءٌ لا يتجـزأ من عملية الفتوى.

هذا هو مفهوم «تَـجْدِيد أُصُول الْفِقْه» الذي يعنيه فضيلة الدكتور علي جمعة : أن يكون هناك حذف، وإضافة، وإعادة هيكلة، وترتيب، وأن يكون هناك نوع من أنواع معرفة الأداة، وأن نُحَوِّلَ أصول الفقه إلى منهج.

ثالثًا: رؤية الدكتورعلي جمعة في تجديد علم أصول الفقه:

إنّ رؤية فضيلة الدكتور علي جمعة في تجديد «علم أصول الفقه» تكمن في محورين رئيسيين:

الأول: التجديد في الأصول؛ والذي يشتمل على : «التعريفات، والقواعد، والمسائل»، والثاني : التجديد بالأصول، والذي يشتمل على المثلث الأصولي: «المصادر، وطرق البحث، وشروط الباحث »، وفيما يلي تفصيل ذلك :

(١) المحور الأول : التجديد في الأصول.

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة من خلال دراسته التفصيلية لعلم «أصول الفقه»، أنّ هذا العلم يشتمل على: « تعريفات، وقواعد، ومسائل»، وأن التجديد في «أصول الفقه» ينال هذه الأركان الثلاثة، والتي يمكن تناولها على النحو التالي:

(أ) التعريفات :

إنّ تعريف الأصوليين للكتاب العزيز بأنه : «كلام الله المنـزَّل على نبيِّه محمَّد ﷺ، المتحدي بأقصر سورة منه، المنقول إلينا بالتواتر بين دفتي المصحف»، أو تعريفهم للعام: بأنه هو «اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بوضع واحد»، أو أن القياس عندهم هو: «إثبات مثل حكم معلوم في معلوم آخر لاشتراكهما في علة الحكم عند المثبت».. إلخ ما هنالك من تعاريف وحدود لمفاهيم جارية في ذلك العلم.

فيرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ هذه التعريفات ينبغي ألا تُغيَّر، أو تترك عرضة لمغامرات التلاعب بها كما حاول بعضهم باسم التحليل «الفينومونولوجي» أو ما شابه، وذلك للدقة المتناهية التي صيغت بها هذه التعريفات، ولما وصلت إليه صياغتها من شمول كل المسائل والمباحث التي يعالجها كل تعريف منها، وهي أيضًا ضابطة ضبطًا شديدًا لهيكل العلم ومتسقة مع بعضها البعض من أول العلم إلى آخره؛ مما يجعل تغييرها أمرًا بالغ الصعوبة إن لم يكن مستحيلًا، والمؤكد أن فيه بترًا لتواصل مفاهيم السلف مع مفاهيم الخلف[1].

(١) انظر: « تجديد علم أصول الفقه: الواقع والمقترح »صـ١٣، وانظر: «قضية تجديد أصول الفقه» صـ٥.

ويرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنه يمكن خدمة هذا القسم بمعاجم تبين تطور دلالاته، والمدارس المختلفة إزاء كل تعريف، مع تعريف المصطلحات غير الأصولية التي استعملت فيه لمزيد من الفهم العميق، وتوفير الوقت والجهد على القارئ المعاصر[١].

كما يرى فضيلته أنه ينبغي أن نلتزم بهذه المصطلحات ونحافظ عليها؛ لأن الغرض من التجديد ليس هو هدم الماضي ولا إنشاء علم جديد بلا حاجة لذلك، إنما الغرض من التجديد هو أن يستفيد علم أصول الفقه من العلوم الأخرى التي شاعت وذاعت في عصرنا بعدما نتمكن منها، هذا من ناحية، وأن يفيد علم أصول الفقه هذه العلوم بما عنده من ناحية[٢].

كما يرى فضيلته أنه لا بأس في أن نستفيد من الإجراءات اللغوية الجديدة إذا كانت موافقةً لطبيعة كلام العرب؛ لأن كثيرًا من الأبحاث اللغوية تتعلق وتنحصر في لغتها وخصائصها المخالفة لخصائص اللغة العربية، ومن هنا لا نستطيع أن نستفيد منها، ويمكن أن نستفيد بأن ننتج نحن نتاجًا موازيًا على وفق كلام العرب، وهذا يحتاج إلى إبداع وإلى عمل فكري عظيم من علماء العصر، فيجب أن ندرس هذه العلوم الجديدة ونطلع على ما يجري من حولنا، ثم نرى إذا ما كانت موافقة لخصائص العربية ولثقافتنا وثوابتنا أم لا، ثم يمكن لنا أن نثير ونعصف قرائحنا لإنشاء شيءٍ جديد يوافق أصولنا ولا يبطلها[٣].

(ب) القواعد:

أما قواعد الأصول: مثل أن «الأمر للوجوب ما لم تصرفه قرينة تدل على غير ذلك»، وأن «المشترك لا يعم»، و «هل يدخل المتكلم في عموم كلامه»؟.. إلخ تلك القواعد، فهي لا تزال تحتاج إلى خدمات كبيرة لم تتم حتى الآن:

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: المصدر السابق.

فيرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ خدمة القواعد تتمثل في تسجيل «الاستقراء» الذي تم عبر التاريخ من أجل الوصول إلى هذه القواعد ولكنه لم يسجل.

فكون «الأمر للوجوب» يعني أن الأصولي قد استقرأ وتتبع جميع صيغ الأمر، إما في النصوص العربية من شعر ونثر، وإما في القرآن والسُّنة الصحيحة فوجد أغلبها للوجوب فحكم بتلك القاعدة، وأنها لا تنصرف إلى الندب أو الجواز إلا بزيادة تقترن بصيغة الأمر، وكذلك تخصيص العام أو تقييد المطلق. كل ذلك لم يكن ليتم إلا باستقراءات واسعة كتلك التي قُعِّدت بها قواعد الإعراب والصرف في اللغة. لا شك أن هذه الأمور قام بها العلماء لكنهم لم يسجلوها في صورة «جداول» تحصي وتحصر صيغ الأمر في المصادر وتبين مفادها، وهل هذا من قبيل الشرع أو من قبيل اللغة؟، إلى آخر ما هنالك من أبحاث تمت في أذهان علمائنا؛ ونريد أن نقف عليها حتى نصل إلى مقرر بعيد عن الهوى ودقيق في الحكم[١].

كما يرى فضيلته أنّ خدمة «القواعد» يساعد في تحقيق فهم منتظم ودقيق للنصوص، ويساعد على بلوغ الاجتهاد بوضوح ويسر، ويمكّن من تدريس علم الأصول التطبيقي، ويفتح أمام العلماء المزيد من الجديد[٢].

كما يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ هناك خدمة أخرى للقواعد تتمثل في الاستفادة من الدراسات اللغوية الحديثة خاصة في علم «السيمانتيك» وما يشتمل عليه من تحليل للكلمات ومضمونها ومردودها، وعلاقة ذلك بالحقيقة والمجاز، ودرجات هذا المجاز، وما يمكن أن يؤديه ذلك الدرس من تيسير تحصيل علم الأصول من جهة، وإلى فتح أبواب الفهم للمصادر الشرعية «من قرآن وسُنَّة» يتيح توصيفًا للواقع وإيقاع الحكم عليه بطريقة أدق بكثير مما هي عليه الآن[٣].

(١) انظر: « تجديد علم أصول الفقه: الواقع والمقترح » لفضيلة أ.د/ علي جمعة صـ١٨.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: المصدر السابق.

(ج) الأصول :

أما مسائل الأصول: فيرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنه لا بأس من إعادة هيكلة درسها وإعادة فهرسة منظومتها لاستكشاف جديد أو تسهيل قديم، وفي هذا المقام فإن من المقترحات التي ينصح بها الالتفات إلى مصطلحات وتقسيمات الشيعة والاستفادة منها في العرض والتحليل والاستفادة من المسائل التي ليست منه وتصفي كل مسألة من الأقوال التي ليس لها حجة ولا برهان قوي والخلافات التي ظهر أنها من الأقوال التي ظهر أنها لفظية لا يترتب عليها أثر، ولقد بذل في ذلك جهد مشكور يحتاج إلي تجميع واستقرار علي مساحة مشتركة تكون نواة تكوين المجتهد أو عقلية المجتهد. وحينئذ فإن أي جديد سيكون تحت مظلة منضبطة جادة صادرة عن وعي وفهم لا عن هروب أو عجز عن فهم التراث وما فيه[١].

(٢) المحور الثاني : التجديد بالأصول:

إنّ المراد بالتجديد بالأصول عند فضيلة الدكتور علي جمعة هو أن يكون المثلث الأصولي: «المصادر، وطرق البحث، وشروط الباحث» أساسًا يستفيد منه الباحث الاجتماعي والإنساني.

فعلى هذا الصعيد كان لفضيلة الدكتور علي جمعة أكثر من تجربة مع بعض طلاب «جامعة القاهرة»، وآخرين من «الجامعة الأمريكية» وغيرهما من تخصصات اجتماعية وإنسانية متعددة، فدرَّس فضيلته لهم كيفية التفكير المنهجي باستعمال «علم أصول الفقه» ومنهجه العام، ونظرياته وجرَّب فضيلته ذلك على ظواهر وقضايا واقعية، فصاروا يطرحون على علومهم وأساتذتهم أسئلة الأصولي: أين المصدر؟ وهذا المصدر معتمد أم لا؟ وكيف نعتمد المصدر؟ وكيف نفهم المصدر؟ وما هي أسس هذا الفهم؟

---

(١) انظر: «قضية تجديد أصول الفقه» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ٥٠.

ولماذا نفهم هذا الفهم؟ وهل يجوز لنا أن نفهم فهمًا آخر أم لا؟ ثم من الذي يفهم؟ وما هي شروطه؟ وما هي العلوم المساعدة لهذا الفهم؟ إلى آخره، فكانت لها نتائج مهمة أغلبها تمثل في محاولات أو مطالب للاستفادة المتبادلة بين الأصول ومناهج هذه العلوم.

وعليه يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنه من المفيد أن نمارس هذا العلم في الساحة المنهجية للعلوم الجديدة، بحيث يفيد بمنهجيته وليس بأفراد مسائله، بل يمكن أنْ نوسع الدعوى فنقول: إنّنا لو أخذنا مسائل هذا العلم أيضًا بالإضافة إلى منهجيته، واعتبرنا – مثلًا- أنّ العبارة اللغوية لها دلالة، وأن هذه الدلالة لها درجات وتتعلق بالصياغات وبالسياق والسباق واللحاق، وأنه لابد أن نراعي الإطلاق والتقييد والتعميم والتخصيص في الصياغة وفي الفهم.. الخ، لأثر ذلك كثيرًا وأفاد في مجالات مثل دراسة القانون والاقتصاد والسياسة وعلم النفس.. وهكذا.

إذن فإنّ فضيلة الدكتور علي جمعة يدعو للاستفادة المتبادلة بمعنى: أن يفيد علم الأصول من المناهج الجديدة، وأن تفيد العلوم الاجتماعية والإنسانية من منهج أصول الفقه نفسه باعتباره منهجًا يبحث عن مصادر البحث، وطرقه، وشروط الباحث بهذه العقلية التي تبحث عن الحجية، والتوثيق، والفهم مع مراعاة الظني والقطعي ومرتبة كل منهما، وكذلك المقاصد والمآلات والتعارض والترجيح وقضايا الإلحاق، وكيف يستفاد من كل ذلك في العلوم الاجتماعية والإنسانية، وهو أمر سينتج عنه تطوير ذلك العلم حين يكون قابلًا للهجرة إلى عقول علماء تلك العلوم[1].

الخلاصة:

بعد هذا العرض يمكننا أن نلخص الرؤية التي اقترحها فضيلة الدكتور علي جمعة في تجديد علم أصول الفقه، في صورة محددة في النقاط التالية :

(١) انظر: «تجديد علم أصول الفقه: الواقع والمقترح» صـ٢٦، وانظر: «قضية تجديد أصول الفقه» صـ٥١.

أولًا: التجديد في الشكل :

(١) حذف المسائل المنطقية والكلامية التي حشرت في عرض علم الأصول وليست منه، إلا أنها عارية مردودة لتلك العلوم، ذكرت استطرادًا، أو تمهيدا لاختيار رأي أو تهيئته للبناء عليها، أو كانت تجيب على سؤال ممتد يخرج بنا عن حرارة علم الأصول إلى علم آخر.

(٢) عرض المسائل بتقرير التعريفات بدقة؛ حيث إن التعريفات تجمع أحكام العلم، وتدخل حقائق مسائله، وتخرج ما يلتبس منها، وتبين الواقع المراد نقله إلى ذهن السامع، ثم شرحها شرحا وافيا، تجعل التعريف معيارًا صحيحا للفهم، وتنقل الصورة الصحيحة له للقارئ أو المتعلم، وبيان محترزات التعريف، ثم بيان اختلاف الناس واتفاقهم فيها؛ لأن كل مدرسة قد راعت في تعريفاتها رأيها في الشيء المعرف، ويمكن هنا بيان التطور الدلالي للتعريف إذا كان المقصود واحدًا والزيادة في التعريف أو تغيره ناتج من تجويده وتقليل الاعتراضات عليه، ثم دليل كل منهم «ومناقشته في بعض الكتب الأعلى وترجيح رأي راجح» بصورة خالية من التعقيد اللفظي، وبصورة تمكن من الفهم والمناقشة أثناء الدرس، وتمكن من الاطلاع على حقيقة ذلك الاختلاف وتربي ملكة الاختيار عن فهم عميق.

(٣) الاهتمام بضرب الأمثلة والفروع على كل مسألة تدريبا للطالب والقارئ، وزيادة هذه الأمثلة إلى حد تستقر معه المسألة في الذهن، وترشد إلى المشترك بين هذه الصور لدى طالب العلم، وتبين الجوامع المؤثرة والفوارق غير المؤثرة في هذا الشأن، ويمكن أيضا إضافة المناقشات حول ما توهمه بعضهم أنه يصلح لأن يكون مثالا لذلك وهو ليس كذلك لفارق مؤثر لم يلتفت إليه، وكتب الأشباه والنظائر مليئة بذلك وكتب الفروق وتخريج الفروع على الأصول، وهو معين يضاف إلى ما كتب في الأصول ويزيده جلاءً ويزيد القارئ دُربة على إنشاء ملكة الفهم والقدرة على التمييز والاستنباط.

(٤) إعادة ترتيب عرض المادة بحالها بناءً على مراحل تفكير المجتهد والذي يمكن تسميته بنظريات الأصول السبعة وهي الأسئلة التي وردت في ذهن المجتهد إلى أن وضع علم الأصول.

(٥) عمل مقدمة تشتمل على تاريخ العلم، والألفاظ والمصطلحات التي استعملت فيه، وطرق الكتاب فيه ومسائل الحكم الشرعي مع الاهتمام بالمبادئ العشرة وبعض الأسس التي أخليت من العلم كمسائل المنطق والكلام واللغة، وكل ذلك بصورة مستقلة عن الكتاب الأساسي لعلم أصول الفقه يكون كالمقدمة التي تتكلم عن العلم، وليس في العلم.

(٦) إلحاق قائمة تشتمل على: التعريفات، والقواعد الأصولية، والاصطلاحات ذات الصلة، ويجب هنا إدراك أن تجديد أصول الفقه قد يحتاج إلى إنشاء علوم أخرى تساعد على تطويره، وتزيد من الاستفادة منه، وفكرة توليد العلوم تعد في هذا المضمار جزء لا يتجزأ من فكرة تطوير العلم؛ لأنّ هذه العلوم المولدة ستكون هي الخلفية الفكرية لذلك العلم من ناحية، وتمثل أيضا امتدادا طبيعيا له، وفي نفس الوقت تقينا من جمود العلم بعد فترة وجيزة من مجهود تجديد بناءه على أنه معتمد على منهج واحد؛ حيث يرى بعضهم ومنهم «فوير آبند» أن الالتزام بمنهج واحد يؤدي إلى جمود العلم، ودعا إلى عدم الالتزام بمنهج أصلا، ولا يخفي ما في رأيه من تطرف يتناسب مع النسبية المطلقة التي تدعو إليها النماذج المعرفية الغربية، إلا أن ضمانة عدم الجمود قد نحصلها من توليد العلوم التي تمثل البيئة المحيطة الأبعد لعلم أصول الفقه.

ثانيًا: التجديد في المضمون:

(١) إضافة أداة لإدراك الواقع تبين أن الواقع بعوالمه الخمسة: «عالم الأشياء، عالم الأشخاص، عالم الأحداث، عالم الأفكار، عالم النظم» يجب أن يدرس، وأن

لكل عالم منهجًا في التعامل معه : كالمناهج التجريبية والمناهج الاستقرائية، والمناهج الوصفية...إلخ. وأن مجموعة العلوم الاجتماعية والإنسانية قد قامت في عصرنا بمثل هذا التعامل مع الواقع المعيش، ولكنها قد انبثقت من نموذج معرفي غربي، وأنه يجب بناء علوم اجتماعية وإنسانية من نموذج معرفي إسلامي تكون أداة إجمالية بيد الأصولي لفهم الواقع، وفي هذا الصدد يجب أن نردك معنى النموذج المعرفي بالتفصيل؛ حيث سيساعد على تكوين المجتهد القادر على التفاعل مع العصر.

(٢) إضافة أداة تبين كيف نربط بين فقه النصّ وفقه الواقع، وكيف نؤسس العلاقة بينهما على منهاج واضح ومحدّد؛ وهو تأسيس جديد يجب أن ينشأ ثم ينمو بكثرة الدرس والمناقشة كشأن العلوم الجديدة، وهو ما قد نرى مثاله فيما كتب حول فقه الأولويات وفقه الضرورة، وفقه الأقليات...الخ. ويتعلق هذا أيضا بفكرة واجب الوقت التي يجب إدراكها باعتبارها جزءًا آخر من عملية التجديد.

(٣) إنّ الفقه الموروث متعلق في صورته المدرسية بلغة الأفراد، أما فقه الأمة فقد كُتب فيه على مستويات كثيرة مثل الأحكام السلطانية، والسياسة الشرعية، والعلاقات الدولية في السير وغير ذلك، ولابد من الاهتمام بإبراز مفهوم الأمة والجماعة في أداة الاستنباط والنص عليها موضوع من منطلق مفهوم الأمة عند المسلمين.

(٤) تحويل الإجماع والاجتهاد والشورى إلى مؤسسات أو المأسسة إن صح هذا الاشتقاق. وفكرة المؤسسات واردة منذ القديم، فقد أنشئ بيت مال الزكاة والمسجد للصلاة والمحتسب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن الإجماع والاجتهاد والشورى لم تتحول إلى مؤسسات فافتقدنا بذلك في تاريخنا الطويل مؤسستان هامتان تمثلان السلطة السياسية والسلطة العلمية، وإن كانت هناك إرهاصات في عصر الرسالة والخلافة الراشدة.

(٥) اللجوء عند القياس إلى الحكمة من حكم الأصل لتطبيقه في الفرع إذا لم تُحقق العلة الحكمة المقصودة، إذ من المعلوم أن العلة هي مجرد وسيلة منضبطة لإجراء عملية القياس وتحقيق مقصد الشارع من حكم الأصل في الفرع، وقد ذهب إلى جواز ذلك بعض الأصوليين ومنهم الرازي في كتابه : « المحصول »، وهذه المسألة لم تكن ظاهرة الفائدة في البداية حيث كانت ظروف الحياة قريبة من ظروف عصر الرسالة بحيث يسهل وجود نص تقاس عليه الوقائع الجديدة، ولكن مع تطور الحياة وجد فضيلة الدكتور علي جمعة أن الوقائع بعيدة كل البعد عن الاشتراك في علة حكم الأصل، ومن هنا بدأ التفكير في صورة جديدة من القياس أطلق عليها أصحابها القياس الكلي، القياس المصلحي، القياس المرسل، القياس الواسع، القياس الإجمالي، قياس المصالح المرسلة إلى غير هذه الأسماء التي يجمعها جميعًا محاولة التحرر من الشروط التقليدية للقياس خاصة موضوع العلة وأن يستعاض عنها بالحكمة، ولكن دائمًا مع البقاء في إطار نقل حكم الأصل الجزئي إلى الفرع الجزئي.

(٦) تطوير مبحث مقاصد الشريعة، وهذا يشتمل على :

ـ التفرقة بين مقاصد الخلق ومقاصد الشريعة ونتائج هذه التفرقة.

ـ محاولة صياغة مقاصد الشريعة العالية.

ـ اشتمال المقاصد على مجموع رتب الضروري والحاجي والتحسيني وتعلق هذه الرتب بالوسائل وليس بالمقاصد.

ـ افتقاد الدراسات القانونية لمباحث المقاصد وافتقاد الدراسات الشرعية لمباحث وظيفة القانون في تنظيم المجتمع ومدى تدخل الدولة في حريات الأفراد.

ـ محاولة تطوير الكتابة في المقاصد الخاصة المتعلقة بأقسام الشريعة أو بالعلوم الحديثة.

ـ محاولة تحديد دور العقل في تحديد المقاصد.

ـ تطوير فكرة حصر الكليات في خمس وإضافة المقاصد الاجتماعية.

ـ بحث ترتيب المقاصد الكلية فيما بينها وإشكاليات هذا الترتيب.

ـ محاولة البحث عن معيار اعتبار حكم معين أو وسيلة معينة من مرتبة الضروريات أو الحاجيات أو التحسينيات، وملاحظات تطبيقية.

ـ أن المراتب خمس لا ثلاث، إضافة ما دون الضروري وما وراء التحسيني وآثار ذلك.

ـ نسبية تحديد الوسائل وتسكينها في المراتب بحسب الزمان والمكان والأشخاص والأحوال، وأمثلة تطبيقية.

ـ إزالة اللبس الخاص بالنسل والنسب والعرض، ووضع كل منها في موضعه المناسب.

ـ تحديد المقاصد في إطار أربع مجالات تختص الكليات الخمس بمجال الفرد، وإضافة مقاصد لكل من الأسرة والأمة والإنسانية.

رابعًا: ثمرة تجديد أصول الفقه عند الدكتورعلي جمعة:

إنّ الغوص في عقول الأولي من العلماء المتقين والمفكرين المسلمين، من أهم المبادئ التي قام عليها المنهج العلمي لفضيلة الدكتور علي جمعة؛ حيث إنّ فضيلته يحاول من خلال هذه الرحلة التي دعا إليها في كثير من كتاباته إلى استكشاف منطقهم، وأن نعرف كيف كانوا يفكرون؛ لأنّهم قد كَتبوا نِتاج فكرهم كنتائجَ توصلوا إليها، وعلينا اليوم ألَّا نكتفيَ بأن نقرأ نتاج أفكارهم المسطور في الكتب فحسب؛ بل علينا أن نَعْرِفَ كيف توصلوا إليها، وما هي المقدِّمات التي استعملوها حتى بَنَوْا عليها هذه النتائج[1].

(١) انظر : « وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ٦١، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع.

فمن هذا المنطلق يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنه قد ثارت أسئلة متتالية في ذهن الأصولي، مثلت الإجابة عنها مواضيع ذلك العلم، وقد نَتَجَ عن عرض فضيلته لتلك الإجابات مرتبة ترتيبًا منطقيًا موافقًا للحاجة، والباعث على إثارة هذه الأسئلة في ذهن الأصولي، ما أسماه فضيلته

بـ «نظريات أصول الفقه» التي ذكر فضيلته منها « سبع نظريات كلية »، يمكن أن يعمل فيها النظر لزيادتها، أو ضم بعضها إلى بعض.

وقد جاءت هذه «النظريات السبعة» ثمرة لجهود فضيلة الدكتور علي جمعة في تجديد «علم أصول الفقه»، وأثرًا لدوره الكبير نحو هذه القضية؛ حيث يرى الدكتور علي جمعة أن معالجة مسائل الأصول من خلال هذه النظريات تمكّن من فهم أعمق لتلك المسائل وتظهر مبنى الخلاف وسببه، وتساعد في اختيار وترجيح رأي على رأي آخر، كما أنها تُبيِّن فائدة إثارة مسائل لا يمكن معرفة فائدتها من دون الدخول إليها من خلال هذه النظريات، وكذلك تبين فائدة بعض الأدلة التي ثار حولها جدل قديم مثل دليل الإجماع(١).

وقد أراد فضيلة الدكتور علي جمعة من خلال هذه النظريات أن يجمل قواعد أصول الفقه فيها، وأن يبرز من خلال هذه الرحلة التي مر بها ذهن الأصولي إلى الكامن في ذهنه، كما يرى فضيلته أننا إذا غُصنا في علم الأصول، وحاولنا أن نُلَمْلِمَ أطرافه ومسائله في كل أبوابه وكتبه من القرآن والسنة، ثم الإجماع والقياس، ثم التعارض والترجيح... وهكذا، حتى نصل إلى كتاب الاجتهاد، إذا فعلنا هذا، وحاولنا أن نرحل هذه الرحلة في ذهن الأصولي؛ فسنجده وكأنَّه قد سأل نفسه أسئلةً منطقيَّـةً متتالية، وأراد أن يضع الأدوات التي يستطيع بها أن يُجيب عن هذه الأسئلة، وفيما يلي بيان هذه النظريات:

(١) انظر: المصدر السابق.

النظرية الأولى : نظرية الحجية :

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ هذه النظرية قد نشأت إجابة على سؤال في ذهن الأصولي هو: ما الحجة التي نأخذ منها الأحكام ؟

هذا السؤال الأول كانت الإجابة عليه هى : أننا نأخذ الأحكام من القرآن باعتباره النص الموحى به، المعصوم من التحريف، المنقول إلينا بالتواتر، وباعتباره كلمة الله الذي نؤمن بأنه الخالق، وأننا ملتزمون في هذه الحياة الدنيا بما أمر ونهى «افعل أو لا تفعل»، وأن هذه الأحكام مقياس المؤاخذة في يوم آخر، يرجع فيه البشر إلى خالقهم للحساب «العقاب والثواب».

ثم يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ الأصولي قد تأمل بعد ذلك في هذا الكتاب -الذي تيقن أنَّه حُجَّة- فوجد قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[الحشر: من الآية ٧]، ونجد فيه الأمر بطاعة الله تعالى وطاعة رَسُولـِهِ ﷺ: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [التغابن: من الآية ١٢]، وفيــه أيضًا الأمر باتباع النَّبِــيِّ ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَّ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُّ﴾ [آل عمران: من الآية ٣١]، وفيه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهَّ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَّ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَّ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]؛ فعُلِم من هذا أنَّ السُنَّـةَ أيضًا حُجَّة.

وكذلك فإنَّ السُّنَّـة قد نُقِلَتْ بصورةٍ معتمدةٍ موثوقٍ بها، لافتةٍ للنظر؛ مصداقًا للحديث الذي رواه عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، عن النَّبِيِّ ﷺ أنَّه قال: «وَاللهِ إِنِّـي لَا أَقُـولُ إِلَّا حَقًّا»[١].

وهذا الحديث هو شرح للآية الكريمة: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ

(١) - أخرجه الترمذي في سننه (١٩٩٠)، وأحمدفي مسنده (٨٧٢٣).

يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النَّجم: ٣-٥]؛ فهو ﷺ لا يقول شيئًا من عند نفسه، ولا يخطئ في التبليغ عن ربه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقَّة: ٤٤-٤٦]... إلى آخر ما هنالك من آيات.

النظرية الثانية : نظرية الإثبات :

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّه من المناسب أن يكون السؤال الثاني بعد السؤال عن الحجية هو: كيف وصل إلينا الكِتَابُ والسُّنَّة؟ وهو سؤال عن التوثيق، وقد تولى الإجابة عنه علماء القراءات والمُحَدِّثُون.

إذن، فالسؤال الثاني الذي خطر في بال ذلك الأصولي وهو يحاول أن يضع أداةً لاستنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، كان عن «نظرية التوثيق» بعد النظرية الأولى: «نظرية الحجية»، وإجابة هذا السؤال كانت مباحث التوثيق الموجودة والمبثوثة في علم أصول الفقه.

النظرية الثالثة : نظرية الفهم :

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنه بعد ثبوت النظريتين السابقتين «الْحُجِّيَّة» و«التَّوْثِيق»، جاء السؤال الثالث عن كيفية فَهْمِ هذه النصوص المنقولة إلينا، وهو أسماه فضيلته بـ «نَظَرِيَّة الْفَهْم». كيف نقرأ الكِتَابَ وَالسُّنَّة؟ وكيف ندرسهما؟

وتحقيقًا لهذه النظرية كان لا بد من الاهتمام باللُّغة العربية على مستوى تركيب الجملة، وعلى مستوى مفرداتها، بل على مستوى الحرف البنائي للكلمة العربية، وعددها -كما هو معلوم- ثمانية وعشرون حرفًا، كانت تُجمعُ قديمًا طبقًا للأبجديات الْعِبْرَانِيَّة والسُّرْيَانِيَّة وغيرها في قولهم: «أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ».

ومن هذا الاهتمام ما رأوه من أنَّ الرسم القرآني كان رسمًا فريدًا، فهو في ذاته

يحافظ على نفسه ولا يُقاس عليه، فمثلًا: كلمة «إبراهيم» في سورة البقرة ليس فيها ياء بخلافها في كل القرآن؛ حيث أثبتت فيها الياء، وكذلك كلمات مثل «امرأة»، و«رحمة»، و«شجرة» فهي مرة تُكتب بالتاء المفتوحة ومرة أخرى تكتب بالتاء المربوطة، ومن مثل لفظة: «أن لا» مرة تكتب مفصولة: «أن لا»، ومرة أخرى تكتب: «ألَّا» من غير نون... وهكذا. وجدوا عجائبَ في هذه الكتابة فحافظوا عليها كما هي؛ وبهذا ثبت أنَّ القرآن معجزٌ في رسمه كما أنَّه معجزٌ في لفظه.

أما الأصوليون فقد بحثوا فقط نحوًا من أحد عشر حرفًا تقريبًا؛ لأنَّها تتعلق باستنباط الأحكام الفقهية الواردة في الكتاب، كلُّ ذلك من أجل «نَظَرِيَّة الْفَهْم».

ومن الأشياء التي بحثوها أيضًا في محاولتهم الإجابة عن سؤال «نظرية الفهم» مسائلُ: السباق، والسياق، ودَلالات الألفاظ، والمجاز، والحقيقة، والاشتراك، وخصائص اللُّغة، وأيضًا تكلموا عن العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، وعن الاستثناء، وعن المخصصات، وعن الخاص والعام، وكيف يكون هذا التخصيص وما أحواله. كل ذلك من أجل أن يكون الْفَهْمُ لما بين أيديهم من نصوصٍ فَهْمًا سليمًا، والأعجب من ذلك أنَّهم قد أَتَوْا بأشياءَ لم يتكلم عنها أهل اللُّغة، مع أنَّ اللُّغة مصدرها النقل عن العرب! لكنهم فكروا فأوجدوا هذه الأدوات المساعِدة على الْفَهْم، والتي يتمكنون بها من استنباط الأحكام الشرعية؛ فزادوا على مقالة اللُّغويين: العموم، والخصوص، والإطلاق... إلخ. وعلى ذلك فالنظرية الثالثة هي: كيف نفهم الْكِتَابَ والسُّنَّة؟

النظرية الرابعة: القطعية والظنية:

هناك مسائلُ اتفق جميع العلماء على قول واحد فيها ولم يُوجد من يخالفهم، وهناك مسائل أخرى لم يتفقوا فيها على قول واحد بل اختلفوا فيها، ومع ذلك لم ينكر بعضهم على بعضٍ؛ وهو ما يسمى بالقطعي والظني في كلٍّ من الدَّلالة والثبوت؛ فالأول هو

ما يسمى بـ «القطعي» والثاني هو ما يسمى بـ «الظني»، كلاهما من حيث الدَّلالة. أما من حيث الثبوت فقد سبق الحديث عنه. والأول هو ما أُخِذَ منه الإجماع، فكل مسائل الإجماع قطعيةُ الدَّلالة، لا تصح مخالفتها، ومن أمثلته: كون الصلوات المفروضة خمسٌ، وأنَّ الوضوء قبل الصلاة، وأنَّ الزكاة واجبة، وأنَّ الحج هو الركن الخامس، وهذه المسائل المجمع عليها والتي لا يجوز بحالٍ الخلاف فيها أو الخروج على إجماع علماء المسلمين فيها.

النظرية الخامسة: نظرية الإلحاق :

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّه من المناسب أن تكون النظرية الخامسة، هي: «الْإِلْحَاق»، وسببها: أنَّ الأصولي لَمَّا أراد أن يستنبط لكل فعلٍ بَشَرِيٍّ حُكمًا من الكتاب والسنة لم يجد؛ فكان بين أمرين:

الأول: أن يجعلَ كلَّ شيء مباحًا دون النظر إلى المصلحة أو المقاصد أو المآلات، ما دام أنَّه ليس مذكورًا في الكتاب أو السُّنَّـة.

الثاني: أن يُلحق الشبيهَ بشبيهه، والنظيرَ بنظيره؛ ومن هنا جاءت آلية ضخمة تَوَسَّعُوا فيها جدًّا في كل مراحلها ودرجاتها وخطواتها، وهي «آلية القياس»، ومعناه: إلحاق أمر مسكوت عنـه بأمر منصوص عليه، فمثـلًا حديث: «لا يبيع الرجل على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه إلا أن يأذن له»[(١)]؛ فهل يُلحـق الفقيهُ بابَ الإجارة مثلًا بالبيع، فيُـفتي بأنَّـه لا يصح للمسلم أن يُؤجر على إيجار أخيه أم لا؟ «هذا هو القياس».

النظرية السادسة : نظرية الاستدلال :

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ بعد نظرية الإلحاق تأتى نظرية الاستدلال،

(١) - أخرجه البخاري في صحيحه (٢٠٣٣)، ومسلم في صحيح واللفظ له (١٤١٢).

والتي رأى الأصولي فيها مجموعة من المحددات : كالعرف، والعادة، وقول الصحابي، وشرع من قبلنا، ونحوها تؤثر بمعنى، أو بآخر في الوصول إلى الحكم الشرعي، مما ادعى معه بعضهم أنها أدلة، وأنكرها آخرون، فسميت الأدلة المختلف فيها.

النظرية السابعة : نظرية الإفتاء :

في نهاية هذه الرحلة يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ النظرية السابعة هي نظرية الإفتاء التي تشتمل على ذكر المقاصد الشرعية، والتعارض، والترجيح مع شروط الاجتهاد والإفتاء، بحيث يقوم من توافرت فيه شروط الباحث بإصدار الحكم، ثم عرضه على سقف المقاصد الشرعية بحيث لا يتعداها، ومراجعة حكمه إن تعداها حتى يتسق معها بحيث لا تكر الأحكام على المقاصد بالبطلان لما فيه من عكس المطلوب.

إن هذه النظريات السبع والدخول إلى علم الأصول من خلالها تبرر كثيرًا من المسائل التي يظن طالب ذلك العلم عدم جدواها ببادئ النظر، كما أنها تبنى إطارًا معرفيًا مناسبًا للتحليل والدرس، وهى أيضًا تكون المعيار الأمثل لتبنى الآراء الأصولية، أو تعديلها، وكذلك تمكن من تشغيل وتفعيل ذلك العلم.

المبحث الخامس

جهود الدكتور علي جمعة في خدمة السنة النبوية وعلومها

لا تزال السنة النبوية الطاهرة منذ أن أرسل الله سيدنا محمدًا ﷺ تحظى بعناية علماء الأمة فهي الأصل الثاني من أصول الإسلام، فقد عكف العلماء على خدمة السنة وعلومها بعد أن اطمأنوا على تدوين وجمع القرآن وتوحيد الأمة على نسخة واحدة، وأنه نص لا اختلاف فيه، ولا حوله وهو ما تعهد به قبل ذلك المولى سبحانه وتعالى بحفظه، حينما قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[الحجر:٩]،وقد حفظ الله سنة رسوله ﷺ بحفظ القرآن فهي التي تبينه ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ ﴾[النحل:٤٤] .

إنّ السنة النبوية المطهرة التي هي أقوال ﷺ وأفعاله وإقراراته والتي هي وحي، قال رسول الله ﷺ «أوتيت القرآن ومثله معه» وهذا الذي مع القرآن وهو لا شك السنة، والقرآن يحتاج إلى السنة لتفصيل المجمل، وتقييد المطلق، وتخصيص العام، ولا سبيل إلى فهم القرآن، ولا سبيل إلى تطبيق ما ورد فيه من أوامر إلا بالاستناد إلى السنة والعودة إليها فهي التي بينت المقادير، والكيفيات، وغير ذلك، ويستحيل أن تتناقض أو تتعارض السنة مع القرآن، فكيف يتعارضان أو يتناقضان ومصدرهما واحد؟ فهما وحي من عند الله، قال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾؛ لذلك كان تأكيد رسول الله صلى الله عليه وسلم على التمسك بهما مع بعضهما البعض بلا انفكاك ولا انفصال حيث قال عليه الصلاة والسلام «تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي».

وعليه فقد حفظ الله لنا سنة نبيه ﷺ بأئمة جهابذة، قيدوها وجمعوها بأسانيد تقام بها الحجة في تبيين صحيحها من سقيمها، فقاموا بتدوينها وتوثيقها ودافعوا عن

بيضتها، وإنما هذه الجهود في الواقع عناية بالدين وحمايته من الضياع والتحريف، ثم جاء هذا العصر وهو فخور بذلك الإرث النبوى العظيم، إلا أنه لم تزل الخدمة قائمة تنادى بتكميل السير على ما بدأه الأئمة الأوائل وأن السنة النبوية المطهرة مفتقرة إلى تأصيل جديد وتطوير وفق عرض عصري، وتحرير عميق، والذي من شأنه أن يزيد بهاء السنة ومكانتها، ومن هذا الشعور التجديدي كان لفضيلة الدكتور علي جمعة الكثير من الجهود والمشاريع التي خدمت السنة النبوية وعلومها، وهذا ما سنعرفه من خلال هذا المبحث الذي سأتحدث فيه بمشيئة الله تعالى عن نشأة فضيلته الحديثية، وشيوخه، وأسانيده، وإحيائه لمجالس الإقراء،والمشروعات التي ساهم بها في خدمة السنة النبوية المطهرة، ودفاع فضيلته عن السنة وعلومها، وسيكون هذا في ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الدكتور علي جمعة محدثًا .

المطلب الثاني : إحياء الدكتور علي جمعة للمجالس الحديثية .

المطلب الثالث : مشروعات الدكتور علي جمعة الحديثية .

وفيما يلي بيان ذلك :

۞۞۞

المطلب الأول

الدكتورعلي جمعة محدثًا

لقد اعتنى فضيلة الدكتور علي جمعة بالسنة «النبوية المطهرة والدفاع عنها» عناية كبيرة تأليفًا وتحقيقًا وتدريسًا رواية ودراية، وفهمًا وتفقهًا، وأريد في هذا المطلب إبراز شخصية الدكتور علي جمعة الحديثية من خلال تتبع كتاباته، ومقالاته، ومجالسه المسموعة والمرئية، ومقدماته القيمة- على كثير مما حُقق، أوطُبع بعنايته، وحتى تظهر لنا شخصية فضيلة الدكتور علي جمعة الحديثية سوف أتحدث في السطور التالية عن شيوخ فضيلته، وأسانيده ومروياته، ومكانته، وفيما يلي بيان ذلك :

أولًا : شيوخه:

إنّ فضيلة الدكتور علي جمعة من المحبين للحديث وعلومه، فعُرف فضيلته بالمواظبة على تحصيله وسماعه واستجازة شيوخه، فقد خالط فضيلته المحدثين وباحثهم، فقرأ على العلامة المحدِّث السيد عبد الله الصديق الغماري صحيح البخاري كاملًا، وشمائل الترمذي، والأربعين النووية وغيرها، وقرأ الأدب المفرد على العلامة المحدِّث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، وخالط العلامة المحدِّث الشيخ محمد الحافظ التيجاني، وحضر مجالس الرواية عند الشيخ ياسين الفاداني، وقد أخبرفضيلته أنه سأل الشيخ عبد الفتاح أبو غدة عن منهج تكوين المحدِّث، فمخالطة فضيلته للمحدثين أورثته معرفة ودراية، وبصرًا بهذا الفن وغاياته، على نحو لا يتهيأ لمن ليست له مخالطة لأهل الحديث في مراحل تكوينه، ثم هو بعد ذلك يدعي الحديث [1].

---

(١) انظر :«أسانيد المصريين» لفضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري، صـ ٥٤٠، طبعة دار الفقيه الإمارات .

ثانيًا : أسانيده :

لما كان الإسناد من الدين، ولولاه لقال من شاء ما شاء، حرص فضيلة الدكتور علي جمعة على الأخذ والتلقي والرواية عن أكابر عصره من المحدِّثين، فتحققت لفضيلته الرواية عن كوكبة قلما أنْ تجتمع في عصر من العصور، وفيما يلي بيان هذه المرويات التي ذكرها فضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري في كتابه الماتع «أسانيد المصريين»:

يروي فضيلة الدكتور علي جمعة عن العلامة المحدث السيد عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري «ت ١٤١٣ هـ» وأسانيده ومشايخه في كتاب: « سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصديق»، وفي ثبته «ارتشاف الرحيق من أسانيد عبد الله الصديق»، وأيضًا بما في ثبت العلامة الشبراوي، وبما في »المعجم الوجيز» و» البحر العميق في مرويات ابن الصديق»، و «صلة الرواة بالفهارس والأثبات» الثلاثة لشقيقه الحافظ السيد أحمد بن الصديق رحمه الله «ت ١٣٨٠ هــ« .

كما يروي فضيلته عن الإمام مسند الدنيا أبي الفيض محمد ياسين الفاداني «ت ١٤١٠ هـ»، بما في أثباته، وهي كثيرة جدًا، منها: «بلوغ الأماني في التعريف بشيوخ وأسانيد مسند العصر الشيخ محمد ياسين محمد عيسى الفاداني المكي»، وكذلك يروي فضيلته عن محدِّث الديار المصرية العلامة محمد الحافظ التيجاني «ت ١٣٩٨ هـ»، كما يروي أيضًا عن العلامة الفقيه إسماعيل عثمان زين «ت ١٤١٤ هـ»بما في ثبته : «صلة الخلف بأسانيد السلف»، كما يروي عن العلامة الفقيه عبد الله بن سعيد عبادي اللحجي «ت ١٤١٠ هـ»، بما في ثبته: «المرقاة إلى الرواية والرواة»، كما يروي عن العلامة السيد محمد زكي الدين إبراهيم «ت ١٤١٩ هـ» بما في إجازته المطبوعة: «الإذن المحمدي»، ويروي أيضًا عن العلامة المحدِّث عبد الفتاح أبو غدة «ت ١٤١٧هـ»، بما في: «إمداد الفتاح بأسانيد ومرويات الشيخ عبد الفتاح»، كما يروي عن العلامة المحدِّث عبد

العزيز بن الصديق الغماري «ت ١٤١٨ هـ»، بما في ثبته: « فتح العزيز في أسانيد الشيخ عبد العزيز»، كما يروي عن العلامة محمد المنتصر الكتاني «ت ١٤١٩هـ»، كما يروي عن العلامة محمد عوض منقش الزبيدي ثم المكي،ويروي عن العلامة أحمد جابر جبران اليمني نزيل مكة، بما في ثبته، ويروي عن العلامة الفقيه عبد الرازق الحلبي الشامي الحنفي، أجاز للشيخ كتابة على ثبت العلامة محمد صالح الفرفور، والمسمى: «التحرير الفريد»، تخريج الشيخ عمر النشوقاتي، وتاريخها ٢٤ من ذي القعدة الحرام ١٤٢٢هـ، وقد أجاز له بالثبت المذكور خصوصًا، ثم بسائر مروياته عمومًا، ويروي عن العلامة محمد مصطفي أبو العلا المصري الشهير بحامد، كما يروي عن مسند الحجاز العلامة الشيخ محمد بن علوي المالكي المكي بما في أثباته، ويروي عن العلامة الفقيه محمد أديب الكلاس، وعن المسند المعمر أحمد علي بن محمد يوسف اللاجبوري السورتي، وهو عن جماعة منهم المسند المعمر عبد الرحمن الأمروهوي، عن فضل الرحمن الكنج مراد آبادي، عن الشاه عبد العزيز بن الشاه ولي الله الدهلوي، عن أبيه بما في أسانيده وأثباته، وغيرهم كثير، وهذه الأسانيد التي أشرتُ إليها جُلها عالى وغالي، ومن أراد تفصيل هذه الأسانيد فليطلبه في الأثبات المذكورة .

وقد ذكر فضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري أنه جَمَعَ ثبتًا لطيفًا في أسانيد شيخه الإمام العلامة فضيلة الدكتور علي جمعة، وقد أسماه:«فتح الملك العلي، في أسانيد مولانا الشيخ علي»[1]، كما أخبرني فضيلة الشيخ سيد شلتوت ، أنّ أحد الفضلاء من علماء الأزهر قد تصدى لإخراج أسانيد ومرويات فضيلة الدكتور علي جمعة في ثبت لطيف، وحتى الآن لم تخرج هذه العناوين إلى النور عجل الله بظهورها وخروجها.

---

(١) انظر : «أسانيد المصريين» لفضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري، صـ ٥٥٧ ، طبعة دار الفقيه الإمارات .

ثالثًا مكانته الحديثية :

إنّ المتأمل في شخصية فضيلة الدكتور علي جمعة العلمية يجد أنّ فضيلته على اطلاع واسع بـــ «السنة النبوية المشرفة وعلومها»، قولية كانت، أو فعلية، أو تقريرية، وعلى دراية تامة بتاريخها، وناسخها ومنسوخها، وعامها وخاصها، ومطلقها ومقيدها، وطرق روايتها، إلى غير ذلك من علوم الحديث، رغم أنّ علوم الحديث لم تكن من الفنون الأولى التي استغرق فيها الدكتور علي جمعة وقته وزمانه وفكره، إلا أنّ شأنه فيها وعلمه بها كان عجبًا.

يقول فضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري، في كتابه «أسانيد المصريين» : لقد استوقفني في معرفة فضيلة الدكتور علي جمعة بعلم الحديث عدة أمور:

الأمر الأول: أني سمعتُه مرة في مجلس علميٍّ حافل بالعلماء يذكر أنه قرأ في علوم الحديث وحدها مائتي مصنف، حتى إن واحدًا من الحاضرين - وقد كان رئيسًا لقسم الحديث بكلية أصول الدين- وهو مشهود له بالعلم في فنه، والتصانيف الجيدة فيه، خرج معي وهو يقول لي: «سبحان الله!! أنا لا أعرف أسماء مائتي تصنيف في علوم الحديث، فأي قراءة قرأ هذا الرجل!!».

الأمر الثاني: أنه خالط المحدثين وباحثهم، فقرأ على العلامة المحدث السيد عبد الله الصديق الغماري صحيح البخاري كاملاً، وشمائل الترمذي، والأربعين النووية وغيرها، وقرأ الأدب المفرد على العلامة المحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، وخالط العلامة المحدث الشيخ محمد الحافظ التيجاني، وحضر مجالس الرواية عند الشيخ ياسين الفاداني، وكان ينقل لنا أنه سأل الشيخ عبد الفتاح أبو غدة عن منهج تكوين المحدث، فمخالطته للمحدثين أورثته معرفة ودراية، وبصرًا بهذا الفن وغاياته، على نحو لا يتهيأ لمن ليست له مخالطة لأهل الحديث في مراحل تكوينه، ثم هو بعد ذلك يدعي الحديث.

الأمر الثالث: أنه تصدى لإقراء كتب السنة في الجامع الأزهر الشريف، فأقرأ فيه صحيح البخاري كاملاً، وصحيح مسلم كاملاً، وسنن الترمذي كاملة، وسنن أبي داود كاملة، وموطأ مالك كاملاً، وقطعة صالحة من سنن النسائي، وهو في كل ذلك يخوض في البحوث الحديثية والفقهية واللغوية الواقعة في تلك الكتب، فيأتي بالتحريرات الرائقة، وأشهد أننا كنا نحضر المجلس، فلربما انجر البحث إلى راوٍ من الرواة، فنفتح كتب الرجال، ونقرأ عليه كلام نقاد الحديث فيه، فيأتي في فهم كلام الحفاظ والنقاد بما لا يخطر لأحد على بال، وقد رأينا ذلك مرارا لا تحصى، وما شهدنا إلا بما علمنا، فضلاً عن إشرافه على طباعة الكتب الستة ومسند أحمد وسنن الدارمي وغيرها في المكنز الإسلامي، وهي أجود طبعات الكتب الستة على الإطلاق، وقد تابع تلك الكتب كلمة كلمة، وعرضت عليه بحوثها ومشكلاتها، على نحو من خمس عشرة سنة.

الأمر الرابع: قوة ذهنه في فهم مقاصد المحدثين، وإدراك مرامي بحوثهم، ولقد كنت أقرأ عليه قراءة خاصة في سنن الدارمي، فأرى منه في ذلك عجائب، مع شدة تتبعي لكلام المحدثين وشراح الحديث، غير أني لم أكن أدون ما أسمع منه، وأذكر أننا كنا مرة في مجلسه الشريف في الجامع الأزهر -صانه الله- ، وقد انتهى المجلس وهمّ الشيخ بالقيام للانصراف، فسأل أحد الناس عن مسألة، فتكلم الشيخ فيها، فقلت: هذا مشكل، وهو يشبه عندي كلام الحافظ ابن حجر في أن الشذوذ في الحديث لا ينافي الصحة، وذكرت للشيخ أني متحير فيه، ثم أحضرت تدريب الراوي وقرأت على الشيخ ما نقله السيوطي عن ابن حجر في المسألة، فشرح الشيخ في المسألة وجهًا، ثم شارك الحاضرون في النقاش، فلم يزل الشيخ يقرر ما ذهب إليه، والحاضرون ينازعون فيه، والشيخ يتوسع في شرحه، حتى أفضى كلام الشيخ إلى أن شبه لنا مقصود الحافظ ابن حجر بكلام الأصوليين في العمل بالعام قبل العلم بمخصصه، فانفضَّ المجلس، وانصرفنا من الأزهر الشريف إلى مكتبة الشيخ، ونشرنا كتب الاصطلاح نتصفح

المسألة، ونحن نعجب مما ذهب إليه الشيخ، حتى رأيت الحافظ السخاوي رحمه الله حكى المسألة في «فتح المغيث» ثم عقب عليها بقوله:«وهو أيضًا شبيه بالاختلاف في العام قبل وجود المخصص، وفي الأمر قبل وجود الصارف له عن الوجوب» قلت: فبهتني ذلك، وتعجبت من انطباق كلام الشيخ على عبارة الحافظ السخاوي، لاسيما وقد طُرِحت المسألة في المجلس فجأة، من غير سابق إعداد الشيخ لها، حتى لا يقال إن الشيخ بحث فنقلها من السخاوي، فذهبنا صبيحة اليوم التالي إلى الأزهر الشريف، وذكرنا للشيخ أننا فوجئنا بكلامٍ للسخاويّ هو نصٌ في كلامه، فتهلل الشيخ، وأمرنا بإحضار كلام السخاوي، فقرأنا عليه نصه، ففرح به كثيرًا[١].

هذه شهادة سجّلها العلامة المُحدث فضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري؛ لتشهد بمكانة فضيلة الدكتور علي جمعة وإلمامه بالسنة النبوية، واطلاعه الواسع على علومها، فإذا كان هذا هو شأن الدكتور علي جمعة في علم الحديث، ولم يكن منصرفًا إليه، فكيف به فيما هو متلبس به ليل نهار من الفقه والأصول وغيرهما!!.

۞۞۞

(١) انظر : كتاب:«أسانيد المصريين» لفضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري، صـ ٥٤٩، طبعة دار الفقيه الإمارات .

المطلب الثاني

إحياء الدكتورعلي جمعة للمجالس الحديثية

إنّ عَقد مجالس سَمَاعٍ وإقراء «الحَدِيْث النبوي» لهي منَ السُّنَن المَهْجُوْرة التي كَادَتْ أنْ تَنْدَثر، ولاسِيَّما في مصر، كَما أنها من جادة أهل الحديث قديمًا وحديثًا؛ حيث تلقاها الخلف عن السلف، والأصاغر عن الأكَابر، كَما هو معلوم بالضرورة من التاريخ العلمي لهذه الأمة، التي قد تميزت عن غيرها بخصال كَثيرة جدًا، فكَان منها : خصلَة مجالس السماع في تثبيت أنساب الكتب تحت مسميات : الأثبات، والإجَازات، والمشيخات، والمعجمات، والفهارس، وغيرها ممَّا يعلمه طلاب الحديث .

وقد أحيا الله تعالى بفضيلة الدكتور علي جمعة هذه السنة المهجورة التي كادتْ أن تندثر، بل أحيا الله به العلم وحلقاته في الأزهر الشريف بعد طول موات، فعادت تُقرأ في أروقة الجامع الأزهر عيون الكتب حديثًا، وفقهًا، وأصولا، وعربية، ومعقولا على عدد من العلماء كان قد انقطع منذ زمن[١].

عَمُرتْ أروقة الجامع الأزهر الشريف بعلوم فضيلة الدكتور علي جمعة ومجالسه؛ حيث أقرأ فضيلته صحيحي البخاري ومسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وموطأ مالك، وقطعة من سنن النسائي، والشفا للقاضي عياض.

وعليه؛ فإن إحياء فضيلة الدكتور علي جمعة لــ«مجالس السماع» يُعدُّ في جملته : إحياءً لسنة نبوية، وطريقة منهجية، ومدرجة علمية، وسلسلة نسبية، وخصلة إسلامية تميز بها المسلمون عمن سواهم من الأمم على مر العصور وكر الدهور، وفي السطور التالية سنتعرف بمشيئة الله تعالى على المجالس الحديثية وأنماطها وأهميتها ، والمنهج

(١) انظر : كتاب:«أسانيد المصريين» لفضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري، صــ٥٤٤ ، طبعة دار الفقيه الإمارات .

الذي سلكه فضيلة الدكتور علي جمعة ومدرسته في إحياء مجالس السماع والإقراء، وفيما يلي بيان ذلك :

أولًا : التعريف بمجالس السماع والإقراء :

مَنْ قرأ تاريخ مجالس السَّمَاعِ والإمْلاءَاتِ الحدِيثِيَّة عند أهل العلم قديمًا وحديثًا؛ علم أنها لا تخرج غالبًا عن أربعة أنماط :

الأول : مجالس عرض ومدارسة؛ بحيث تُقرأ كتب الحديث على الشيخ قراءة درس ومدارسة؛ حيث يقوم الشيخ : بشرح الأحاديث مَتْنًا وسَنَدًا، وهكذا مما يصدق عليها : مجالس الشُّروح والإملاءات .

الثَّاني : مجالس عرض وتقرير؛ بحيث يقوم الشيخ في المجلس بذكر بعض التعليقات المهمة : كشرح مسألة أو غريب، وكشف مبهم أو لبس، وتوضيح ناسخ أو منسوخ، وتصحيح تحريف أو تصحيف، وغير ذلك مما هو معلوم .

الثالث : مجالس عرض وإقراء؛ بحيث يقوم الطلاب بتصحيح كتب الحديث على الشيخ عند العرض والقراءة ليس إلا، وهذه الطريقة تعتبر في حقيقتها : هي أصل مجالس السماع بعامة؛ لأنها تقوم على تصحيح وضبط الأحاديث متنًا وسندًا، وذلك بعرض نسخ الطلاب على نسخة شيخهم تصحيحًا وتجويدًا، وما زاد عليها من طرق فهي فروع تبنى عليها .

الرابع : مجالس إسماع فقط؛ بحيث يقوم الشيخ بقراءة أحاديث كتابه أو كتاب غيره على الحاضرين في المجلس، دون أن يتقيد أهل المجلس بشيء من الكتب، بل يكون حظهم من المجلس السماع فقط.

وقد وفق الله تعالى فضيلة الدكتور علي جمعة لإحياء هذه المجالس بمختلف أنماطها، فلولا مجالس السماع هذه لما استطاع طالب العلم ضبط كثير من رجال السند،

كما يعرفه كل من مارس قراءة الأحاديث النبوية متنًا وسندًا، فكان إحياء هذه المجالس من أعظم الجهود التي قُدِّمت من أجل خدمة «السنة النبوية وعلومها» في العصر الحديث.

ثانيًا: أهمية مجالس السماع والإقراء:

إنّ أهمية مجالس السماع وفوائدها من أهم الدوافع التي دفعت فضيلة الدكتور علي جمعة على إحياء هذه المجالس؛ حيث إنّ أهميتها عظيمة، وفوائدها كبيرة، منها:

الإكثار من الصلاة والسلام على سيدنا رسول ﷺ، والاتصال بحضرته ﷺ، ووصل الخلف بالسلف، ومن فوائدها أيضًا نيل نضارة الوجه؛ لقوله ﷺ: «نَضَّرَ اللهُ امْرءًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ.»[١]

ومن فوائدها أيضًا التقاط بعض الفوائد والأدلة على بعض الأحكام الشرعية، والقيام بفرض الكفاية في استمرار اتصال سند هذه الأُمَّة بنبيِّها، ومنها أيضًا: تعلُّم الصبر على طول المجلس في سماع العلم، والجلوس مدة طويلة معصومًا من المعاصي المنتشرة في كثير من المجالس؛ كالغيبة، والنميمة، ونحوها.

ومنها: ضبط غريب ألفاظ الأحاديث، ومعرفة أسماء الرواة، وعلماء الإسلام، وحملة الشريعة، فتترحَّم عليهم، وتعلق بأُذُنِكَ أسماؤهم، ومنها أيضًا العيش مع أحوال الصحابة مع رسول الله ﷺ من خلال أسباب ورود الحديث النبوي.

ومنها: الوقوف على منهج المصنِّف في الكتاب من خلال ترتيبه، وتصنيفه، معرفة اختيارات المصنِّف الفقهية تصريحًا، أو تلميحًا، ومنها أيضًا التقاط بعض الفوائد الإسنادية من خلال تعليق المصنِّف على بعض الرجال.

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه (٢٣٢)، و الترمذي في سننه (٢٦٥٨) واللفظ له.

ومنها أيضًا : الوقوف على بعض عِلَل الأحاديث إمَّا تصريحًا، أو تلميحًا، والوقوف على طرق لبعض الأحاديث الضعيفة فتتقوَّى بها، أو الوقوف على روايات للحديث الواحد تُزيل الإشكالات، وتُوضِّح المبهمات، إلى غير ذلك من الفوائد التي يطول ذكرها .

ثالثًا : مجالس فضيلة الدكتورعلي جمعة :

عرفنا فيما سبق أنّ مجالس الإقراء والسماع التي أحياها فضيلة الدكتور علي جمعة قد قُرِئ فيها عيون الكتب، وقد تميزت هذه المجالس بمنهجية فريدة معتبرة، وهذا بشهادة من حضرها، وفيما يلي بيان ذلك :

يقول فضيلة الشيخ أحمد صلاح الدين الهجين: كان فضيلة الشيخ علي جمعة يعلمنا في مجالسه كيف نقرأ الكتب، وألانقف عند ظواهر النصوص، وأنْ ننظر إلى ما وراء هذه النصوص، كما كان يعلمنا كيفية القراءة على مستوى الحرف ونبرة مخارجه».

المطلب الثالث

مشروعات الدكتورعلي جمعة الحديثية

إنّ للسنة النبوية مكانة في دين الله عظيمة، ومنزلة رفيعة، وإنّ القول الفصل في بيان فضل السنة النبوية، ومكانتها في الإسلام، وعظم أجر من يعيش معها وفي ظلالها، هو ما بينه الله عز وجل من عظم مكانة من يطيع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُّ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩].

وقد أرشد الله سبحانه وتعالى إلى أنّ طريق الهداية وسبيل النجاة في الدارين هو في اتباع هذا النبي الكريم ﷺ، كما في قوله عز وجل: ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِّ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ إِلـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهَّ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهَّ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]،وقد تربى أصحاب رسول الله ﷺ، رضي الله عنهم على هذا النهج القويم؛ أن تتحول أقوال وأفعال حبيبهم المصطفي ﷺ إلى واقع عملي سلوكي في حياتهم؛ فكانوا يتعلمون الآيات من كتاب الله تعالى ولا يكثرون حتى يعملوا بما فيها من العلم والعمل، يقول علي رضي الله عنه كما روى ذلك الإمام الدارمي في سننه: «تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ تُعْرَفُوا بِهِ وَاعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ»[1]،ويقول مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ بَعْدَ أَنْ تَعْلَمُوا فَلَنْ يَأْجُرَكُمُ اللهُّ بِالْعِلْمِ حَتَّى تَعْمَلُوا»[2]، و يَقُولُ أبو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه ـ: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهَّ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمًا لا يَنْتَفِعُ بِعِلْمِهِ»[3]، ويقول الإمام سُفْيَانُ بْن عُيَيْنَةَ: «أَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ تَرَكَ مَا يَعْلَمُ، وَأَعْلَمُ النَّاسِ مَنْ عَمِلَ بِمَا يَعْلَمُ، وَأَفْضَلُ النَّاسِ أَخْشَعُهُمْ لله»[4].

(١) أخرجه الدارمي في سننه (٢٦٥) .

(٢) أخرجه الدارمي في سننه (٢٦٦) .

(٣) أخرجه الدارمي في سننه (٢٦٨) .

(٤) أخرجه الدارمي في سننه (٣٤٢) .

هذه النصوص وغيرها، جعلت حرص الأمة - متمثلًا في مواقف علمائها وأقوالهم على تفعيل نصوص السنة وأحداث السيرة والعمل بها ولها، وإيضاحها للناس، وذلك بتعلمها وتعليمها.

وأمر آخر - تجدر الإشارة إليه -؛ فإن ما تركه لنا النبي المصطفي ﷺكنز عظيم وإرث مبارك؛ يقول الإمام ابن كثير رحمه الله في مطلع تاريخه[١]: «إنّ الله - عز وجل - وله الحمد، قد أغنانا برسولنا محمد ﷺ عن سائر الشرائع، وبكتابه عن سائر الكتب، فلسنا نترامى على ما بأيديهم - يعني بني إسرائيل - مما وقع فيه خبط وخلط وكذب ووضع وتحريف وتبديل وبعد ذلك كله نسخ وتغيير» .

وقد لقي هذا الكنز المبارك من العناية والاهتمام به من علماء الأمة ما يعجز البيان عن تعداده؛ حيث أقاموا حوله من العلوم لخدمته وتحقيق حال نقلته والتصنيف فيه، ما زخرت به مكتبات العالم أجمع من كتب مطبوعة ومخطوطة، غير ما فقد من ذلك وهو كثير .

ويتواصل الاهتمام بها وتتقدم الوسائل وتستجد التقنيات، ويسخر أهل الإسلام ما يستجد من تلكم الوسائل لخدمة دين الله عز وجل وتيسيره للعالمين، وذلك في كل عصر بحسبه، وتنال السنة النبوية من ذلك النصيب الأوفر؛ بدءًا من حفظها في الصحف والأوراق ومرورًا بتزيينها بالنقط والتشكيل، وما تبع ذلك من مراحل استجدت فيها تقنيات استدعت أن تسخر لخدمة هذا النور والهدى والحكمة، إلى أن جاء عصر الطباعة؛ حيث كانت ثورة تقنية في نشر العلم النبوي وتيسير الحصول على مصادره، ثم ما تلا ذلك من الاستفادة من وسائل الإعلام المختلفة - مقروءة ومسموعة ومرئية- في إيصال هذا الخير ونشره.

---

(١) انظر: « البداية والنهاية » لابن كثير،(١/ ٧)، طبعة دار إحياء التراث .

ومع تقدم التقنية وظهور ما يعرف بعصر الحاسب الآلي، كان للسنة والسيرة النبوية من الخدمة من خلال أجهزة الحاسب وبرامجه، ومن خلال شبكة المعلومات العالمية «الإنترنت» الجهود الكثيرة من أجل تيسير سبل الوصول إلى خبر النبي المصطفي ﷺ لجميع أمة الإسلام في أصقاع الأرض كلها، فتوافرت برامج موسوعية تتناول علوم الحديث رواية ودراية، وتتناول علم الرجال وجمع المصنفات فيهم في برامج تيسر سبل الوقوف على متن الخبر، وأقوال الأئمة في حاله، وكذا الوقوف على نقلة السنة النبوية .

كل هذه الأمور كانت دافعة لفضيلة الدكتور علي جمعة أن يقدم لنا بعض الموسوعات التي خدمت السنة النبوية المطهرة وعلومها بشكل عصري، وسوف أقتصر في هذا المطلب بالحديث عن ثلاث موسوعات قدَّمها فضيلة الدكتور علي جمعة في ميدان خدمة السنة النبوية المطهرة، وفيما يلي بيان ذلك:

١. موسوعة علوم الحديث الشريف

جاءت هذه الموسوعة في إطار الموسوعات الإسلامية المتخصصة التي يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وكان لفضيلة الدكتور علي جمعة دورًا بارزًا في إخراج هذه الموسوعة؛ حيث أشرف فضيلته على الجانب العلمي والتنظيمي للموسوعة.

وتهتم هذه «الموسوعة الحديثية» بكل ما يتعلق بالحديث النبوي من معلومات لايجدها القارئ إلا متناثرة في عشرات المراجع، فجاءت هذه «الموسوعة» تيسيرًا على الراغبين في التعرف على كل ما يتعلق بالأحاديث النبوية من علوم ومعارف، كما جاءت هذه الموسوعة لتسدَّ فراغًا في المكتبة الإسلامية ، وتلبي رغبة ملحة لدى الكثيرين من الباحثين والمهتمين بالسنة النبوية الشريفة ، وهذا العمل يعد عملاً غير مسبوق على هذا النحو الذي قدَّمه «المجلس الأعلى للشئون الإسلامية» في هذه الموسوعة .

ومما تميزت به هذه الموسوعة أنّ لجنة إعدادها، التي كان يرأسها فضيلة الدكتور

علي جمعة؛ حيث قامت اللجنة بحصر المصطلحات الخاصة بعلوم الحديث، وكذلك مناهج المحدثين، وكفلت نخبة من العلماء المتخصصين في علم الحديث بالكتابة في كل مصطلح بما يجلي حقيقته، ويقربه إلى الأذهان ويضبط معناه، في صورة يحتاج إليها المتخصص ويفهمها المثقف بوضوح وجلاء، كما جعلت اللجنة لكل مصطلح وزنًا نسبيًا يتفق مع أهميته ومدى الحاجة إليه وموضعه في علم الحديث، وذلك على ثلاث فئات : طويل، ومتوسط، وصغير.

كما قامت اللجنة بترتيب المصطلحات طبقًا للترتيب الألفبائي لتيسير الوصول إلى المصطلح من أقرب طريق، كما تم ذكر المناهج حسب ترتيبها التاريخي في قسم مستقل بعد قسم المصطلحات.

٢. مشروع المكنز الإسلامي

إنّ جمع السنة النبوية المطهرة من خلال مصادرها المتنوعة في كتاب واحد من المور التي تشوقت وتشوفت لها نفوس كثير من أهل العلم، والمطالع للتاريخ الإسلامي يجد أن هناك مشاركات في هذا الميدان لعلماء أجلاء أمثال: الإمام السيوطي، والمتقي الهندي وغيرهما كثير .

فمن هنا يُعدُّ مشروع السنة أبرز مشاريع جمعية المكنز الإسلامي؛ يعمل على جمع السنة المشرفة وطبعها محققة موثقة، من خلال نخبة من الباحثين في مجال الحديث الشريف واللغة العربية يعملون في تحقيق مخطوطات كتب الحديث الشريف الموجودة في مختلف مكتبات العالم، وبرعاية وإشراف فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة .

وقد أنتج «مشروع السنة » بجمعية المكنز تحت إشراف فضيلة الدكتور علي جمعة ثلاثة

إصدارات، كانت هذه الإصدارات إضافة قوية في مجال خدمة السنة النبوية

المطهرة وعلومها، وفيما يلي بيان ذلك :

أ-الإصدار الأول :

أخرجتْ جمعيةُ المَكْنِزِ الإسلاميِّ الإصدارَ الأولَ من موسوعةِ الحديثِ الشريفِ المُسَمَّاةِ : جمعَ جوامعِ الأحاديث والأسانيد وَمَكْنِزَ الصحاحِ والسننِ والمسانيدِ، في ثَمانِى عَشْر مجلدًا، ويضاف إلى ذلك مقدمة الموسوعة والقرص المدمج.

ونصوصُ هذه الكتبِ مضبوطةٌ ضبطًا تامًّا، ومُقَابَلَةٌ على جميعِ الطبعاتِ المُعْتَمَدَةِ لِكُلِّ كتابٍ من هذه الكتبِ وعلى ما أَمْكَنَ الحصولُ عليه من المخطوطاتِ حِينَئِذٍ، وقد رُبِطَتْ أحاديثُ كُلِّ كتابٍ بأرقامِ أحاديثِ تحفةِ الأشرافِ لربطِ أحاديثِ هذه الكتبِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ، وَرُبِطَتْ أبوابُ الكتبِ الستةِ بأرقامِ الأبوابِ التي وَضَعَهَا مُحَقِّقُ تحفةِ الأشرافِ لِيَسْهُلَ الرجوعُ من التحفةِ إلى نُسْخَتِنَا.

ويشملُ هذا الإصدارُ الكتبَ التاليةَ: «صحيح البخارى، في ثلاث مجلدات، وصحيح مسلم، في مجلدتين، وسنن أبى داود، في مجلدتين، وسنن الترمذى، في مجلدتين، وسنن النسائى، في مجلدتين، وسنن ابن ماجه، في مجلدة واحدة، وموطأ الإمام مالك، في مجلد واحد».

ويُضَافُ إلى ذلك: الفهرس المسمَّى « مكنز المسترشدين في الدلالة على حديث سيد المرسلين » الذي يشمل فهرس المحتوى وشرح الغريب والتخريج عن طريق الربط بكتاب تحفة الأشراف، في مجلدتين.

ـ مميزات هذا الإصدار :

إِنَّ أَهَمَّ ما يُمَيِّزُ هذه الموسوعةَ ما حَرَصَتْ عليه جمعيةُ المَكْنِزِ الإسلامىِّ من تحقيقِ النصوصِ وتصحيحِها لتخرجَ أقربَ ما تكونُ من أصولِها القديمةِ، فلم تتركِ الجمعيةُ

بَابًا يوصلُها لذلك إلا سَلَكَتْهُ قَدْرَ الطاقةِ حتى عَادَتْ نصوصُ هذه الكتبِ موثوقًا بها سالمةً من التصحيفِ والتحريفِ الواقِعَيْن في أغلبِ النسخِ المطبوعةِ.

ولم يكن ذلك ليتحققَ إلا بتوفيقِ الله عز وجل ثم بالبحثِ الدَّءُوبِ والمراجعاتِ الكثيرةِ من بَاحِثِي الجمعيةِ الذين يجرى انتقاؤُهم من صفوةِ الباحِثِين، وإشراف فضيلة الدكتور علي جمعة على هذا المشروع، ونَحْسَبُ أن اللهَ تعالى قد كَلَّلَ هذه الجهودَ المخلصةَ بالتوفيقِ والنجاحِ، فقد تَلَقَّتْ جهاتٌ علميةٌ مختلفةٌ هذا الإصدارَ بالقبولِ الحَسَنِ والثناءِ الجميلِ، وليس هذا فَحَسْبُ، فقد اعْتَمَدَ عليه في تخريجِ الأحاديثِ منه وعَزْوِها إليه كثيرٌ من علماءِ الحديثِ وطَلَبَةِ العلمِ، والعديدُ من المراكزِ العلميةِ، ولدقةِ ضَبْطِ نصوصِ كتبِ هذا الإصدارِ وسلامتِها من الأخطاءِ صارتْ طبعةُ المَكْنِزِ الإسلاميِّ هى الطبعةَ المُعْتَمَدَةَ في مجالسِ سماعِ الحديثِ الشريفِ في شَتَّى بِقاعِ الأرضِ شرقًا وغربًا، فلا تُحْصَى مجالسُ السماعِ التي اعْتَمَدَتْ هذه الطبعةَ المتميزةَ من الكتبِ الستةِ والمُوَطَّإِ قراءةً وسماعًا في بلادِ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وبلادِ الشامِ ومصرَ والمغربِ وغَيْرِها.

وهكذا كان هذا الإصدار القَيِّمُ من الكتب السبعة سَبًا عظيمًا في جعل أنظار أهل العلم وطلبته تتجه إلى جمعية المكنز الإسلامى وتتوق إلى ما تخرجه من إصدارات حديثية متميزة، مما جعلها تحرص أشد الحرص على استكمال مسيرتها المباركة وإنجاز مشروعها العظيم الذي يهدف إلى جمع السنة النبوية المشرفة في موسوعة واحدة محققةً تحقيقًا علميًّا دقيقًا متميزًا، فَوَفَّقَهَا الله تعالى لإخراج إصدارها الثاني.

ب الإصدار الثاني :

أخرجتْ جمعيةُ المُكْنِزِ الإسلامي الإصدارَ الثانيَ من موسوعةِ الحديثِ الشريفِ المُسَمَّاةِ «جمعَ جوامعِ الأحاديثِ والأسانيدِ وَمَكْنِزَ الصحاحِ والسننِ والمسانيدِ» .

والذي يشمل مسند الإمام أحمد بن حنبل مُحَقَّقًا على ثَمانٍ وثلاثين نسخة خطية،

منها أربع نسخ كاملة، وَيُضَافُ إليها مطبوعة الميمنية، مع الاستعانة أيضًا بعدد من المصادر المساعدة التي اعْتَمَدْنَا في بَعْضها على النسخة المخطوطة دون المطبوعة لكثرة ما بها من تصحيف وتحريف وسقط، فَأَضْحَتْ نصوصُهُ موثوقًا بها سالمة من التصحيف والتحريف.

وتُعدُّ هذه الطبعة أفضل طبعة علميةٍ دقيقةٍ له فقد خرج: مضبوطًا ضبطًا تامًّا مُتْقَنًا، مربوطًا ربطًا كاملًا بإطراف المُسْنِدِ المُعْتَلِي بأطرافِ المُسْنَدِ الحَنْبَلِي وإتحافِ المَهَرَةِ وتحفة الأشراف ومخرجًا من الكتب الستة والموطإ.

مشفوعًا بِخَمْسَةَ عَشَرَ فهرسًا تدورُ حَوْلَ الأسانيدِ والمُتُونِ، مطبوعًا في أَرْبَعَ عَشْرَةَ مجلدًا بِخَطٍّ فريد وإخراج أَنِيق، وَمُحَمَّلًا على قرص مُدْمَجٍ مع كتب الإصدار الأول ، وَيُعَدُّ مسند الإمام أحمد أعظم كتب المسانيد التي بين أيدى المسلمين اليوم وأكبرها وأعلاها، وكيف لا وجامعه هو الإمام العلم شيخ الإسلام سيد الحفاظ المجمع على ثقته وعدالته أحمد بن حنبل الشيبانيّ رحمه الله تعالى ـ.

وَقَدِ انْتَقَاهُ الإمامُ أحمدُ بعنايةٍ فائقةٍ، فقال رحمه الله تعالى: «إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ قَدْ جَمَعْتُهُ وَانْتَقَيْتُهُ مِنْ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ أَلْفًا، فَمَا اخْتَلَفَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَارْجِعُوا إِلَيْهِ، فَإِنْ وَجَدْتُموه فيه،وإلا فليس بحجة».

ـ مميزات هذا الإصدار :

قد توافر لهذه الطبعة من النسخ الخطية ما لم يتوافر لغيرها من الطبعات، فقد اعتمدنا في إخراجها على ثمان وثلاثين نسخة، فيها قدر صالح من نفائس النُّسَخ الخطية بالغة الإتقان، المقروءة على الأئمة الحُفَّاظ الأعلام، المُثْبَتَةِ عليها خطوطهم، وقد تفردنا – بحمد الله– بست عشرة نسخة نادرة يُطبع عليها المسند لأول مرة.

وهذه الطبعة أَتَمُّ طبعات المسند، فعلى الرغم من كثرة طبعاته فإنها كلها ناقصة،

ويدخل في ذلك طبعة مؤسسة الرسالة، فقد بلغ السقط من تلك الطبعات في موضع واحد أكثر من مائة حديث، ونحمد الله تعالى على توفيقه.

وهى الطبعةُ الوحيدةُ المضبوطةُ بالشَّكْلِ ضبطًا تامًّا، مع العنايةِ الفائقةِ بضبطِ النُّسَخِ الخطيةِ القيمة التي اعتمدناها، وتوجيه ما يحتاج إلى توجيه.

وهى الطبعةُ الوحيدةُ أَيْضًا التي رُبِطَتْ أحاديثُهَا ربطًا تامًّا بِكِتَابَيِ الحافظِ ابْنِ حَجَرٍ العسقلانيِّ «إطرافِ الْمُسْنِدِ الْمُعْتَلِي بأطرافِ الْمُسْنَدِ الْحَنْبَلِيِّ» و«إتحافِ الْمَهَرَةِ بأطرافِ العشرةِ».

وقد خَرَّجْنَا أحاديثَها حديثًا حديثًا من الكتبِ الستةِ والموطإِ، ورَبَطْنَاهَا بتحفةِ الأشرافِ للحافظِ الْمِزِّيِّ.

وقد قام على إنجازِ هذه الطبعةِ المتميزةِ البديعةِ الفريدةِ نخبةٌ من الباحثين المتخصِّصين في علومِ الحديثِ الشريفِ واللغةِ العربيةِ، وخَضَعَتْ لإشرافٍ علميٍّ أكاديميٍّ رفيعِ المستوى مع مراجعةٍ تفصيليةٍ شاملةٍ.

وقد رَاجَعَهَا أَيْضًا ثَلَاثَةَ عَشَرَ عَالِمًا من العلماءِ المتخصِّصين في علومِ الحديثِ الشريفِ واللغةِ العربيةِ، فَحَظِيَتْ بِقَبُولِهِمْ وَنَالَتْ استحسانَهُمْ، فانطلقتْ أَلسنتُهُمْ بعباراتِ الثناءِ والتزكيةِ لهذا العملِ، وما أَبْدَاهُ كُلٌّ منهم من ملحوظاتٍ أو تصويباتٍ أو توجيهاتٍ أَخَذْنَاهُ بِعَيْنِ الاعتبارِ، وقد صَدَّرْنَا طبعتَنا هذه ببديعِ تقريظِهِمْ وثنائِهِمْ ليكونَ كقلادةٍ ذهبيةٍ دَالَّةٍ على حُسْنِ صنيعِنَا ومحمودِ نَهْجِنَا.

وَقَدِ اجْتَمَعَتْ كلمتُهُمْ على التأكيدِ على أن هذه الطبعةَ من مُسْنَدِ الإمامِ أحمدَ أَفْضَلُ طبعاتِهِ، فهي بِحَقٍّ وصِدْقٍ طبعةٌ فريدةٌ، مَزِيدَةٌ، مُنَقَّحَةٌ، مُحَقَّقَةٌ نصوصُها، مضبوطةٌ بالشَّكْلِ حروفُها، مشمولٌ بالبيانِ غريبُ ألفاظِها، مُخَرَّجَةٌ أحاديثُها، مُقَابَلَةٌ بدقةٍ وعنايةٍ، مُسْتَوْفَاةٌ في الهوامشِ فروقُ نُسَخِهَا، استكملتِ النقصَ، وعالجتِ الخَلَلَ

الذي وَقَعَ في الطبعاتِ السابقةِ وما اعْتَرَاهَا من الزَّلَلِ، عُنِيَتْ بشرحِ الغريبِ، وحَلِّ المُشْكِلِ وإيضاحِ الإعرابِ عند الحاجةِ والاقتضاءِ، ورَبْطِ الأحاديثِ ببقيةِ الكتبِ الستةِ وموطإِ مالكٍ وتحفةِ الأشرافِ.

ج الإصدار الثالث:

لا تزالُ جمعيةُ المَكْنِزِ الإسلاميِّ تحت إشراف فضيلة الدكتور علي جمعة، تسعى بخطوات واثقة ومنتظمة نحو استكمالِ مسيرتِها المباركةِ وإنجازِ مشروعِها العظيمِ الذي يهدفُ إلى جَمْعِ السُّنَّةِ النبويةِ المشرفةِ في موسوعةٍ واحدةٍ محققةٍ تحقيقًا علميًّا دقيقًا متميزًا، فكان الإصدار الثالث لهذه الموسوعة هو : الطبعةَ الثانيةَ من سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ ، فَبَعْدَ إخراجِ الطبعةِ الأولى منه ضِمْنَ الإصدارِ الأولِ رَأَتْ جمعيةُ المَكْنِزِ إخراجَ طبعةٍ ثانيةٍ من الكتابِ معتمدةً فيها على عَشْرِ نُسَخٍ خطيةٍ منتقاةٍ من جملةِ ما وقفنا عليه من نُسَخِ الكتابِ الخطيةِ ، منها سبع نسخ كاملة، بعضها بالغ الإتقان مقروء على الأئمة الحفاظ الأعلام وعليه خطوطهم، إضافةً إلى ذلك الاعتماد على مطبوعة الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله تعالى وعلى عدد من المصادر المساعدة، فقد اعتمدنا ما أثبته مصنفوها من نص السنن نسخًا مساعدة.

وكان من ثمار هذا المنهج العلمي الدقيق الذي اتبعناه في تحقيق سنن ابن ماجه ما شهد به علماؤنا الأجلاء الذين شرفونا بمراجعتهم لعملنا وتحكيمهم له وَفْقَ ما تقتضيه قواعد التحقيق العلمي والذين سيأتي ذكرهم، فقد اجتمعتْ كلمتُهم حفظهم الله تعالى على التأكيد على أن هذه الطبعة من سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ : «أفضلُ طبعاتِهِ، فهي بحق وصدق طبعةٌ فريدةٌ، مَزِيدَةٌ، مُنَقَّحَةٌ، مُحَقَّقَةٌ نصوصُها، مضبوطةٌ بالشكلِ حروفُها، مشمولًا بالبيانِ غريبُ ألفاظِها، مُخَرَّجَةٌ أحاديثُها، مُقَابَلَةٌ بدقةٍ وعنايةٍ على عَشْرِ نسخٍ خطيةٍ نفيسةٍ أصولُها، مُسْتَوْفَاةٌ في الهوامش فروقُ نُسَخِها، استكملتِ النقص، وعالجتِ الخلل الذي

وقع في الطبعات السابقة وما اعتراها من الزلل؛ حيث تتضمَّنُ طبعتُنَا هذه زياداتٍ لأبى الحسنِ القطانِ خَلَتْ منها جميعُ الطبعاتِ السابقةِ، عُنِيَتْ بشرحِ الغريبِ، وحَلِّ المُشْكِلِ وإيضاحِ الإعرابِ عند الحاجة والاقتضاء، ورَبْطِ الأحاديثِ ببقيةِ الكتبِ الستةِ وموطإِ مالكٍ ومسندِ أحمدَ وتحفةِ الأشرافِ».

٣.موسوعة جامع الأحاديث

تُعدُّ موسوعة «جامع الأحاديث» من أوسع الموسوعات الحديثية؛ حيث صدرت في «ثلاثة عشر مجلدًا» عن دار الإفتاء المصرية، ووزارة الأوقاف الكويتية في مشروع علمي تحت رعاية الوزير الإنسان الأستاذ الدكتور حسن عباس زكى رحمه الله تعالى ، وإشراف وعناية فضيلة الأستاذ الدكتور على جمعة ، وقد قامت نخبة من المتخصصين بتحقيق هذه الموسوعة وإخراجها إلى النور، وكان على رأس هذه النخبة فضيلة الدكتور عصام أنس الزفتاوي .

وقد اشتملت الموسوعة على دراسة وافية شملت تراجم واسعة للسيوطي، والمتقي الهندي، والمناوي، والنبهاني ، وقد قدمت هذه الدراسة تحليلاً جديدًا لمؤلفاتهم من خلال رؤية منهجية جديدة لتحليل المصنفات، بالإضافة إلى ذلك فقد تكلمت الدراسة عن منهج العمل ، وأهم الفوائد العلمية التي قدمها المشروع من مناقشات علمية وفوائد حديثية وتراجم لرواة تفردت الموسوعة بهم إلى غير ذلك ، وقد صدرت الموسوعة في قرص مدمج بالإضافة إلى النسخة المطبوعة .

ومن الخدمات العلمية التي قدمتها هذه الموسوعة : ترجمة للعديد من الرواة الذين لا ترجمة لهم في الكتب المعروفة ، والعديد من الفوائد والتعقبات على الحفاظ .

المبحث السادس

جهود فضيلة الدكتور علي جمعة الدعوية

إنّ الله سبحانه وتعالى يسَّر لهذه الأمة أئمة وأعلامًا يدعونها إلى الله عز وجل على هدى وبصيرة، يقول تعالى في كتابه العزيز : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فهؤلاء الأئمة يضيئون لهذه الأمة الطريق بدعوتهم وعملهم وجهادهم، كما ينشرون دين الله في جميع بقاع الأرض، ويحثون من اهتدى بالزيادة من الرشاد، ويردّون من انحرف عن الصراط المستقيم وسلك طريق الغَواية والفساد، ولا شك أنّ الاطلاع على جهود هؤلاء الأئمة في الدعوة، وردهم على أعداء الدين، يعدُّ نبراسًا يضيء الطريق للسالكين، ويقوي العزائم في السير على الطريق إلى رب العالمين، فمن واجبنا تجاه هؤلاء الدعاة التعريف بجهودهم الدعوية، وما قاموا به في سبيل الدعوة إلى الله تعالى.

ولذا جاء هذا المبحث؛ ليبرز جهود أحد أعظم فرسان الدعوة الإسلامية في هذا العصر الحديث، وأبرز قادة الفكر الإسلامي، الذي يقف على ثغرة الدفاع عن الإسلام بكل بسالة وعقل وعلم، وهو أحد الأئمة العاملين، والدعاة المخلصين ممن كان لهم إسهام في نشر الدعوة وخدمة الإسلام في العصر الحاضر، هو فضيلة الدكتور علي جمعة؛ الذي ساهم في نشر الدعوة بوسائل متعددة، وكان له أسلوبه المميز في عرض حقائق الإسلام ومبادئه والدعوة إليهما، وهو بذلك يعدُّ أنموذجًا حيًّا للمُجدِّد المعاصِر المتميِّز في أسلوبه ومنهجه الدعوي.

إنّ فضيلة الدكتور علي جمعة يملك رؤية كلية عن الوحي ومقاصد التشريع وحقيقة الإسلام، ويوظفها أفضل توظيف في مخاطبة الآخر، وترسيخ المؤمنين على

دينهم. تلك الرؤية التي أسسها على العديد من المبادئ الهامة التي يجب أن ترسخ في الفكر الإسلامي المعاصر؛ لذا سوف أتناول في هذا المبحث الحديث عن المراحل التي تمر بها الدعوة عند الدكتور علي جمعة، وماهي الوسائل والأساليب التي استخدمها في نشر الدعوة، وسيكون ذلك بمشيئة الله تعالى في ثلاثة مطالب، وهي :

المطلب الأول: المراحل التي تمر بها الدعوة عند الدكتور علي جمعة

المطلب الثاني : الوسائل الدعوية عند الدكتور علي جمعة .

المطلب الثالث : الأساليب الدعوية عند الدكتور علي جمعة.

وفيما يلي بيان ذلك :

المطلب الأول

المراحل التي تمر بها الدعوة عند الدكتورعلي جمعة

إنّ فضيلة الدكتور علي جمعة يملك رؤية كلية عن الوحي ومقاصد التشريع وحقيقة الإسلام، ويوظفها أفضل توظيف في مخاطبة الآخر، وترسيخ المؤمنين على دينهم. تلك الرؤية الدعوية التي أسسها على العديد من المبادئ الهامة التي يجب أن ترسخ في الفكر الإسلامي المعاصر، وقد تناول الدكتور علي جمعة الحديث عن هذه الأسس في كثير من مؤلفاته ومقالاته ولقاءاته.

وقد يعدُّ العمل الدعوي عند فضيلة الدكتور علي جمعة من أسمى الأعمال وأشرفها، والمتأمل في كلام فضيلته عن الدعوة إلى الله يجد أنّ فضيلته يرى أنّ للدعوة مراحل تمر بها لابد لكل من تصدى لهذا العمل أن يكون على وعي بها.

فإنّ الله سبحانه وتعالى قد خلق الناس أصنافًا يختلف بعضهم عن بعض، يختلفون في مداركهم عقولهم، وفي تلقيهم عن الله سبحانه وتعالى؛ فمنهم هادئ الطبع سليم السريرة، ومنهم خبيث الطوية عنيد عتل زنيم لا تستطيع أن تجذبه إلى الله في شيءٍ من قلبه، فقد اسود قلبه وأصبح في الاتجاه المعاكس لا يقبل منك قولاً، ولا تُؤثر فيه موعظة، ولا ينفع معه جدال؛ لذلك رأى فضيلة الدكتور علي جمعة من خلال تتبعه لكتاب الله العزيز أنّ الدعوة إلى الله تعالى لها مراحل عديدة؛ لذلك سنعيش في هذا المطلب مع مراحل الدعوة عند فضيلة الدكتور علي جمعة .وفيما يلي بيان ذلك :

يقول[1] فضيلة الدكتور علي جمعة : إنّ الدعوة إلى الله لها حالاتٍ ومراحل كثيرة، فالمتتبع لكتاب الله سبحانه وتعالى يجد هذه المراحل وتلك الحالات، وأول هذه المراحل ما

(١) خطبة ألقاها فضيلة أ.د/ علي جمعة، بعنوان: «مراحل الدعوة» بتاريخ: ١٣/ ٩/ ٢٠٠٢ .

علمه لنا المولى سبحانه وتعالى عن طريق نبيه ﷺ ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]، ففي هذه الآية الكريمة كلفنا الله سبحانه وتعالى أنْ نبلّغ عنه، وأنْ نحمل الدعوة للعالمين وذلك بطريقٍ واضحٍ جلي بيّنٍ وهو: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ فإذا دعونا الناس بالحكمة والموعظة الحسنة فمنهم من يؤمن، ومنهم من تقوم الشبهات في آذانهم تصدهم عن الإيمان فيريدون جدالًا.

هنا تأتي المرحلة الثانية التي قال فيها المولى سبحانه وتعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[النحل١٢٥: ١٢٨].

في هذه المرحلة أمر الله رسوله ﷺ بخيار الصبر على الدعوة، وعلى الجدال الحسن، وتوسيع الصدر مع المخالف وطلب الهداية له، فإنْ أبوا الجدال الحسن وتمكنت الشبه من أنفسهم.

هنا نجد أنفسنا أمام المرحلة الثالثة التي قال فيها المولى سبحانه وتعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦]،فكما خيّرناكم أيها الناس بين طريق الجنة وطريق النار، فاخترتم طريق النار فاتركونا نختار طريق الجنة ﴿فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩]، وتركنا لكم حرية اختيار النار فاتركوا لنا حرية اختيار الجنة ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ فإن سكتوا على هذا كان هذا شعارنا دائمًا معهم ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ ثبات على الحق، حرية في الاختيار، وضوح في العقيدة، إعلان لهذا في العالمين.

فإنْ لم يسكتوا تأتي المرحلة الرابعة التي قال فيها المولى سبحانه وتعالى :﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن

بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:١٠٩]، في هذا المرحلة لا يسكت الخصم، بل يعاند ويود، والود هنا مقتصر على أمر في القلب وفكر في العقل و الوجدان، فأمرنا الله سبحانه وتعالى بالعفو والصفح.

لكن إذا تجاوز عناد الخصم إلى الاعتداء على المسلمين وأذيتهم هنا تأتي المرحلة الخامسة، التي يقول فيها المولى سبحانه وتعالى :﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ ﴾[الأنفال:٦٠]، في هذه المرحلة يأمرنا الله أنْ نكون قوة ردعٍ لمن يفكر في أذية المسلمين من الأعداء الواضحين، أو من المنافقين المنبثين، فهذه القوة يخاف منها المعتدي أن يعتدي فيسكت فتكون وقاية :﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال:٦١].

وعلى الرغم من قوتنا يعتدون علينا فتأتي المرحلة السادسة، التي يقول فيها المولى سبحانه وتعالى :﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[البقرة:١٩٠]، وفي هذه المرحلة رد العدوان بالدفاع لأولئك الذين لم يرضوا بدين الله، ولا بالجدال الحسن، ولا بالترك حينما قلنا لهم :﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ ولم يُرهبوا عندما أرهبناهم بالقوة إن كانت لنا قوة، أو أننا أطعنا الله فأعددنا القوة فحينئذٍ لابد علينا من أن نقاتلهم.

ويرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ هذه الحالات قد تجتمع في عصرٍ واحد في أماكن شتى، وقد تكون مراحل، وعلى كل حال قد نستطيع أن نقاتل أُناسًا ولا نستطيع أن نقاتل آخرين، ونستطيع أن نقاتل في وقتٍ دون وقتٍ آخر،فنحن قد كُلفنا بالدعوة إلى الله بوضوحٍ وبصيرة، و بجدالٍ حسن، وبثبات فيه ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، وبعزة فيها ردع للعدوان، ومنع للفساد في الأرض.

المطلب الثاني

الوسائل الدعوية عند الدكتورعلي جمعة

إنّ الوسائل والأساليب الدعوية من الأمور التي لا يمكن الاستغناء عنها البتة، إذ لا يُتصور أبدًا قيام أي دعوة، أو تحقيق أي هدف دون استخدام الوسائل والأساليب الموصلة إليه، وقد استخدم رسول الله ﷺ ، الوسائل المتاحة في عصره فبعث البعوث، واستقبل الوفود، وأرسل الرسائل، وجاهد في سبيل الله، كما استخدم أساليب مختلفة، فحاور وجادل، ورغب ورهب، وصدع بالحق على الصفا، كما كان يطوف بمشاعر الحج، ويلقى القبائل ويُبلِّغ الرسالة، ويستنصر للدين.

لذا فإن من اللوازم المتعينة على الداعية تحديد الوسيلة والأسلوب التي يوصِّل من خلالها دعوته إلى المدعو.

والوسائل جمع وسيلة، وهي في الاصطلاح: «ما يستعين به الداعي على تبليغ الدعوة إلى الله على نحو نافع مثمر. وقيل: «ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور مادية ومعنوية».

وعليه فإنّ المتتبع للإنتاج العلمي وللعطاء المستمر، لفضيلة الدكتور علي جمعة، يجد أنّ وسائل الدعوة عند فضيلته كثيرة ومتعددة؛ لاسيما وأنّ فضيلته قد استخدم الكثير من الوسائل الدعوة الحديثة، مثل : التدريس، والتأليف والكتابة، والفتوى، وقد تناولتُ الحديث عن هذه الوسائل الثلاثة سابقًا فلا حاجة لإعادة الكلام هنا مرة ثانية؛ لذلك سوف أتناول بمشيئة الله تعالى في هذا المطلب الحديث عن دوره الفعّال في تغيير المحتوى الرقمي الديني ،وعن برامجه التلفزيونية، وخطبه المنبرية، وإنشائه للطريقة الصديقية الشاذلية، وفيما يلي بيان ذلك :

أولًا : جهود الدكتورعلي جمعة في تغيير المحتوى الرقمي الديني «المسموع والمرئي»

إنّ العالم يعيش في الآونة الأخيرة حالة من العولمة، وهي: أنّ العالم أصبح دائرة صغيرة ، ذلك لما وصل إليه العالم من تقدم علمي وتكنولوجي، حتى أصبح بإمكان الذي يعيش في مصر معرفة ما يدور من أحداث ووقائع في امريكا في نفس لحظة الحدث، ومن الوسائل التي ساهمت في صِغر حجم العالم هكذا هي قضية المحتوى الرقمي المسموع والمرئي على شبكات الإنترنت على مختلف المجالات، سواء الاقتصادي، أو السياسي، أو الديني، وما يهمنا أن نفيض فيه الحديث هنا هو جهود فضيلة الدكتور علي جمعة في تغيير المحتوى الرقمي الديني «المسموع والمرئي».

والمراد بتغيير المحتوى الرقمي الديني ، هو: تصحيح المفاهيم المغلوطة التي انتشرت انتشار النار في الهشيم عبر الشبكة العنكبوتية، والتغيير لايتأتى إلا بمنهجية محكمة؛ لأنّ أصحاب الأفكار المتطرفة بذلوا مليارات الدولارات من أجل نشر ألإكارهم عبر شبكات الإنترنت، فالعمل على تصحيح هذا المحتوى يحتاج إلى مجهود جبار .

فإنّ كثيرًا من القضايا ظلت أعوامًا تحت فتوى ورأي لجماعة استغلوا العولمة بنشر الأفكار الخاطئة والمعتقدات الضالة .

فمثلا لو أنّ مسلمًا أراد أن يستقي فتوى، أو أنْ يسمع قولاً في عجالة من على شبكات الإنترنت عن قضية مثل: «قضية الذكر الجماعي» كان المعهود والمعروف هو أنّ نتائج البحث تأتي برأي خاطئ، وتأتي بفتوى شاذة ليس عليها جمهور العلماء، والسبب في ذلك هو نشر تلك الجماعات عددًا من الحلقات الهائلة، والكتب الطائلة التي لا تحتوي إلا على ما هو منكر وشاذ، وعلى هذا فقس، فإنّ الباحث على شبكات الإنترنت لم يجد كما

ذكرتُ إلا القول الشاذ بأنّ «الذكر الجماعي» بدعة، كما أنه لم يري سوى أقوال التكفير، والتبديع صادمة أمام عينه بسبب جهودهم في تكثير المحتوى الديني الخادم لأفكارهم .

فمن هنا انتبه فضيلة الدكتور علي جمعة لهذه القضية؛ إيمانًا منه بأنّ شبكات التواصل بمختلف أنواعها ومسمياتها تعدُّ وسيلة من أهم الوسائل الحديثة في نشر الدعوة إلى الله ، فبذل فضيلته الوسع، وحمل هذه المهمة على عاتقه، فقام فضيلته بتحويل نتائج البحث على شبكات الإنترنت، إلى نتائج لأقوال أهل العلم المستقرة والمعهودة والتي عليها جماهير أهل السنة والجماعة، فتناول فضيلته عددًا من القضايا بالتحرير والبيان والشرح والتوضيح، كما قام بالدفاع والذب عن عقيدة أهل السنة والجماعة والتصدي لأصحاب البدع والأهواء، وبالفعل قد تحقق المراد وأصبحت الآراء «المسموعة، والمرئية والمقرؤة» لعلماء الأزهر عمومًا ، وفضيلة الدكتور علي جمعة خصوصًا، تحظى بأعلى نسبة مشاهدات، كما أنّها تأتي في أول نتائج البحث على شبكات الإنترنت، كما حدث في برنامج «المجددون» الذي شارك فيه ما يقرب من ثلاثين شابًا من علماء الأزهر الشريف، في ضيافة صاحب الفكرة الذي دائمًا يؤكد على أهمية تصحيح المحتوى الرقمي الديني معالي المستشار عبد الغني رمضان هندي عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

وختامًا إنّ فضيلة الدكتور علي جمعة من الشخصيات التي تعتز بمصريتها، وأزهريتها، ومنهجها الفكري، وسلوكها التربوي، ومشربها الصوفي، هذا مما جعل له شهرة واسعة بين الناس، وأصبح من المرشدين والموجهين لغيره من العلماء والعامة، فبمجرد أنْ يتحدث في قضية ما، ويدلوا بدلوه فيها يصبح رأيه وقوله فيها من أركان تلك القضية فلا تذكر القضية إلا بذكر رأي فضيلته فيها ، وساهم ذلك بشكل كبير في انتشار آرائه، و أقواله على شبكات الإنترنت، فكانت هذه الجهود سببًا في تغير وتصحيح المحتوى الرقمي الديني.

ومن سعة علم فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ ما قدّمه لشبكات الإنترنت بمختلف وسائلها، ليس مقتصرًا على الجانب العلمي الأكاديمي الذي لا يفهمه إلا أهل التخصص فقط؛ وليس مقتصرًا أيضًا على الجانب الوعظي الإرشادي الذي يهم عامة الناس أكثر ؛ بل إنّ فضيلته جمع بين هذين الجانبين، فقلّ ما تجد قضية شغلت العامة والعلماء، أومسألة أُغلقت على أهل الفقه والفقهاء، أو آية صَعُب فهمها على أهل التلاوة والقراء، أو جملة تعثرت على أهل اللغة والبلغاء، إلا وكان لفضيلة الدكتور علي جمعة مشاركة لرفع الإشكال، وتزليل الصعاب، فكأنّ فضيلته هو الدواء لهذه الأمراض، ولم لا وهذا هو دور المجدد على مر العصور والأزمان .

ثانيًا : برامج الدكتورعلي جمعة التلفزيونية

إنّ هذه الموجات «الإذاعية،والتلفزيونية» التي اخترقت القارات، قد قدَّمت للدعاة وسيلة جديدة تعينهم على أداء رسالتهم، فمن لم تبلغه الدعوة في العالم، يمكن أن تبلغه من خلال الإرسال «الإذاعي، والتلفزيوني» القوي المبثوث بمختلف اللغات واللهجات، أو على الأقل تبعث فيه روح البحث عن الحقيقة، فتكون وظيفة الدعاة من خلال هذه الوسيلة الحية تقديم كل ما يتعلق بالإسلام ونظامه وتعاليمه في الحياة.

ونظرًا لأهمية هاتين الوسيلتين فقد وظفهما فضيلة الدكتور علي جمعة لنشر الإسلام والدعوة إليه، ونشر العلوم والفنون، وتصحيح صورة الإسلام، وعرض الإسلام بصورة لافتة للنظر، كما استخدم فضيلة الدكتور علي جمعة الوسائل الحديثة من «التقنيات » العصرية لنشر الدعوة وتصحيح المحتوى الرقمي الديني كما ذكرتُ سابقًا.

وتعدُّ الموجات «المرئية» على اختلاف مسمياتها عند فضيلة الدكتور علي جمعة، أقوى وسيلة إعلامية مؤثرة في هذا العصر، تعليمًا وتثقيفًا وإعلامًا وترفيهًا، فهو يعطي تأثيرًا جماليًا يدعو إلى المزيد من المشاهدة إذ يجمع بين الصورة والصوت، فيستطيع أن

يسيطر على حاستين من أهم حواس الإنسان وأشدها اتصالاً بما يجري في نفسه من أفكار ومشاعر، ولو أردنا حصر الجهود التي قدّمها الدكتور علي جمعة في هذا الميدان لما استطعنا إلى ذلك سبيلاً؛ فمسيرة فضيلته وجهوده كلها نماذج حية للدعوة إلى الفضائل؛ لذا سوف أذكر بمشيئة الله تعالى نبذًا عن بعض برامج فضيلته التلفزيونية؛ لنعرف كيف عالج فضيلته المشاكل التي ألمت بالمجتمع، وأنّ فضيلته لا يعرض برنامجًا إلا إذا كان هذا البرنامج يعالج قضية ما من القضايا، التي تشغل الفكر المعاصر، فبرامج الدكتور علي جمعة «التلفزيونية» تداوي هذه المجتمعات من عللها التي تقاسي اليوم منها، وترد إليها صحتها التي كانت تتمتع بالأمس بها.وفيما يلي بيان ذلك :

برنامج : أسماء الله الحسنى

لم يترك فضيلة الدكتور علي جمعة الجانب العقدي في ميدانه الإعلامي، بل طال العامة، والعلماء، وأهل اللغة، وأهل التزكية؛ حيث قام فضيلته بشرح « أسماء الله الحسنى » شرحًا وجيزًا، جمع الفوائد والفرائد، من غير ملل ولا إسهاب في تناوله لكل لفظ من ألفاظ الجلالة.

وقد وضع الدكتور علي جمعة منهجًا لشرحه «لأسماء الله الحسنى»، وهو أنْ يُبين معنى الاسم أولًا من جهة التوحيد، وأنّ الله موصوف بكل كمال، ثم يذكر المعنى اللغوي للكمة وما إن كان هناك معنى خفي على العامة فيبسط الأسلوب حتى يكون الفهم شامل لأكبر قدر من مشاهديه، كما كان يتعمد ألا تتجاوز مدة الحلقة الواحدة عن عشر دقائق، حتى لا يشعر المشاهد بالملل ممن ليس لهم دأب الصبر، فيستطيع في مدة وجيزة أن يجمع أكبر كم من الفوائد في شرح الاسم الواحد .

فمثال ذلك : لما شرح فضيلته اسم الله «الجبار»، قال: من الممكن أن نفهم هذا لاسم على معنيين، هما :« الجلال، والجمال»، فإن فُهم بمعني:جبر الخاطر فهذا من باب

الرحمة، وهو معنى الجمال، وإن فُهم أنه من كسر الجبابرة، والقوة والهيمنة، فهذا من باب الجلال، وغير ذلك من الصور التي بسط فيها فضيلة الدكتور على جمعة «أسماء الله الحسنى» بفهم يليق بكمال الله وتنزيه، وفي الوقت نفسه يناسب جميع فئات المجتمع على اختلاف مداركهم، فلا تجد في شرحه كلمة بعيدة عن الفهم، ولا جملة معدمة الوضوح؛ بل كان يدعم دائمًا شرحه بذكر الأدعية النبوية لهذا الاسم الذي تصدى لشرحه إنْ وُجد ذلك في السنة، أو أن يذكر دلالة قرآنية على هذا الاسم، فجاء البرنامج بهذة الصورة الفريدة .

رحلة إعلامية أخلاقية

في فترة من الوقت كان الناس في غفلة الشديدة عن المفاهيم التي تشكل الموسوعة الفكرية لعلم التصوف وعلم التزكية، بجانب طغيان الحياة المادية على كثير من أفراد المجتمع، فلم يكن فضيلة الدكتور علي جمعة في معزلٍ عن الواقع، ولا في غفوة عن احتياجات مجتمعه؛ بل كان في قمة اليقظة لإحياء مفاهيم التصوف، وعلوم التزكية ونشر القيم والأخلاق، ورسم الطريق الصحيح لأبناء مجتمعه في سيرهم إلى رب العالمين.

وكانت وسيلة الدكتور علي جمعة في تحقيق ذلك هو شرحه لكتابين، من أهم الكتب والمراجع في علوم التربية والتزكية، أولهم : هو كتاب «إحياء علوم الدين» وهو كتاب قسّمه الإمام الغزالي إلى أربعة أقسام : «المنجيات، والمهلكات، والعبادات، والعادات»، وكان شرح فضيلته للكتاب يهتم بكل هذه الجوانب، ويفصل القول في كل ذلك بأسلوبه العلمي المتقن.

وعندما رأى فضيلته أنّ بعض الناس قد أُغلق عليهم فهم بعض المعاني، من هذا الكتاب الجليل الذي يعدُّ من الكتب المتقدمة في علم التزكية، أراد الدكتور علي جمعة أن

يخرج على الناس بشرح آخر لكتاب أيسر، وأسهل في تناوله للخاصة والعامة، فشرح فضيلته «كتاب الحكم العطائية» للإمام ابن عطاء الله السكندري، ويشتمل هذا الكتاب على مجموعة من الحكم، والإرشادات، والنصائح التي تجعل المسلم يعيش في حالة من الحب الإلهي.

وعلى هذا فيعدُّ العمل الذي قام به فضيلة الدكتور علي جمعة، سلسة إعلامية خاصة بجانب المعارف والعلوم التي اندثرت بمرور الوقت في نفوس العامة، كل ذلك كان يراعي فيه فضيلته اختلاف مدارك المستمعين، مستقبلًا لاستشكالاتهم على علوم التصوف، عالمًا بما يجب أن يزرعه في نفوس الناس في هذا الوقت .

وقد نبّه فضيلة الدكتور علي جمعة عند شرحه «كتاب إحياء علوم الدين » مفهوم التجديد في الدين؛ حيث تناول فضيلته في أولى حلقاته الحديث عن المجددين في عجالة، بداية من الإمام عمر بن عبد العزيز، وصولاً إلى حجة الإسلام الإمام الغزالي، وقد بيّن فضيلته سبب تسمية الإمام الغزالي كتابه بهذا الاسم، وأنه لم يأتِ بأمور مستجدة على الناس، بل إنه أعاد للعبادة روحها، وأعاد للإسلام إحسانه، وأعاد للسلوك أخلاقه، وأعاد للإنسان نفسه، فأحيا بذلك علوم الدين، أي: أقامها وكذلك في شرحه «للحكم العطائية» يذكر تقدير ابن تيمية للإمام ابن عطاء الله السكندري، وشهادة القريب والبعيد له وذلك بسبب إخلاصه، فبذلك بعث فضيلة الدكتور علي جمعة في نفوس الناس قدر هذه الحكم، ويقول فضيلته: إنّ هذه الحكم عطاء، ووهب وفضل من الله لهذه الإمام .

الخلاصة : إنّ فضيلة الدكتور علي جمعة قد أضاف إضافة ستظل مرتبطة بهذين الكتابين في علوم التصوف والتزكية، وهذا إنْ دلّ على شيء، يدل على مدى وصول فضيلة الدكتور علي جمعة إلى حالٍ مع الله حتى يُوفق في شرح هذين الكتابين .

برنامج الإسلام كتاب مفتوح

هل فكر أحد في إقناع الناس بأنّ الإسلام كتاب ونسق مفتوح للعالمين، وأنّ الإسلام لم يترك جانب من جوانب الحياة الدنية أو الدنيوية، إلا وكان له فيها قسط من الرأي والتوجيه إلى الصواب ، نعم الإسلام كذلك؛ لكن هل لدينا خطابًا إعلاميًا يبين ذلك، وهل هناك نقاط محورية إذا أُظهرت للناس تبيّن لهم مدى عمومية وشمولية دين الإسلام؟ وهل الإسلام دين وأحكام خاصة بمن نطق الشهادتين؟ أم أنه دين سماوي أحكامه توافق جميع البشر؟

والإجابة كانت الإسلام كتاب مفتوح للعالمين، وبالفعل هذا هو عنوان البرنامج الذي اختاره فضيلة الدكتور علي جمعة ؛ ليتناول فيه بعض الموضوعات التي كانت سبب إشكالٍ وغموض لدى كثير من الناس، والتي عندما بينها ووضحها فضيلته أصبحت، جلية وواضحة كوضوح الشمس في كبد السماء.

فقد تناول فضيلته في هذا البرنامج عددًا من القضايا المعاصرة التي شغلت المجتمع والفكر المعاصر، فكانت مناقشة وتحليل الدكتور علي جمعة لها مجهودًا يضاف إلى جهوده التجديدية، فتناول فضيلته الحديث عن قضية التعامل مع البنوك، وعن الاقتصاد، وعن إجهاض الجنين وغيرذلك من القضايا المعاصرة، التي يظن البعض أنها بعيدة كُل البعد عن أحكام الإسلام، لكن انطلاقًا من عنوان البرنامج استطاع فضيلة الدكتور علية جمعة أن يربط بين المحدثات الدنيوية، والثوابت الدينية؛ ليرسخ بذلك أحكامًا بُنيت وأُسست على نظر ثاقب صحيح خارج من عقلية تدرك واجب الوقت وكان لهذه الحلقات وغيرها التأثير الواضح في نفوس الناس .

برنامج شبابنا

قد ساءت في الآونة الأخيرة أحوال كثير من الشباب، فكلنا نعلم مدى الحالة

التي مر بها هذا الجيل، ومدى الشكوك والأوهام التي تخبط فيها الشباب؛ بسبب اختلاف الأنظمة السياسية، و اختلاف وجهات النظر التي في ظل التقدم التكنولوجي والثورة المعلوماتية التي نعيشها، إضافة إلى غفلة الآباء والأمهات عن توجيه هذه الفئة العمرية، والأخذ بأيديهم .

فكان لابد من خطاب إعلامي يبين بعض الأمور التي أساء الشباب فهمها في الآونة الأخيرة، كما لا بد من تحديد مواضيع معينة؛ لتكون بمثابة الخارطة والطريق لكل شاب بل لكل أب وأم في توجيه أبنائهم، فمن هنا بدأ فضيلة الدكتور علي جمعة ينظر بفكر الثاقب فيما يحتاجه الشباب، وما يتألم منه ،ما يُشكل على أذهانهم، فانتقى بعض المواضيع التي كانت بمثابة طوق النجاة لكثير من الشباب في هذا الوقت، فخرج فضيلته على أبنائه الشباب بعلاج ما شغل أذهانهم فقدّم هذا البرنامج الماتع الذي تناول فيه عددًا من القضايا، منها:

«الشباب والحياة ، الشباب والحراك السياسي ، الشباب ومصر ، الشباب والعمل ، الشباب والانتماء» وغير ذلك من المواضيع التي كانت تمثل إشكالًا لأغلب الشباب في زماننا.

فكان الدكتور علي جمعة يبدأ الحلقة بالتوضيح والتبيين فيخرج من هذه الحلقة الشاب وهو صاحب وجهة نظر وقناعة، له حرية الرأي في اختياراته ومن أجمل ما امتاز به هذا الخطاب الإعلامي هو المحاكاة للوقت وضرب الأمثلة الحية للشباب حتى لا يكون المتحدث في وادٍ والمستمع في وادٍ آخر؛ بل كان الكلام يراعى فيه تحديات ومستحدثات العصر ؛ ليكون ملائمًا للشباب في هذا الوقت غير تارك للأصول والثوابت الدينية، مراعيًا للهوية الإسلامية التي كان فضيلته حريصًا على أن تظل باقية في نفوس الشباب في هذا الوقت الصعب التي تمر به بلادنا وتمر به شبابنا، بل كان من أهدافه أن يُخرج لهم القدوة التي لابد لكل شاب وشابة الاقتداء بها .

برنامج المتشددون

الأشخاص جزء لا يتجزأ من الواقع المعيش، و الأشخاص التي تعيش على وجه الأرض ليست كلها على وتيرة واحدة، فهناك شخصيات قلقة، وهناك شخصيات مستقرة، والشخصية المستقرة هي التي ترى الناس لا يختلفون عنها ، ولا يزايدون عليها، ولا يشككون في أفكارها، ولا في إنتاجها العلمي، بل ترى الأمة قد تلقتهم بالقبول، فمن هذه الشخصيات: الإمام البخاري، والإمام الشافعي، والإمام الغزالي، وصولاً بنا إلى فضيلة الإمام الشعراوي هكذا توصف هذه الشخصيات بأنها شخصيات مستقرة، لما اشتملت عليه هذه الشخصية من مكونات منهجية .

أما إذا تكلمنا عن الشخصيات القلقة تجد أنّ هناك عددًا من الشخصيات اختلف عليها الناس ما بين رأي يرفعها في أعلى عليين، وما بين أخر يضعها في أسفل سافلين، وذلك بسبب مجموعة من الآراء والمتناقضات والأفكار التي تبناها هؤلاء الشخصيات، فمن هؤلاء : الإمام الحلاج الذي كان بين شخص يضعه في درجة الصفاء والولاية، وآخر يصفه بالزندقة وغير ذلك، ولكن الإشكال في ذلك هو احتياج الناس إلى عالم جليل يبين ويوضح مدى استقرار أو مدى قلق بعد الشخصيات في أفكارهم هذا ما قام به فضيلة الدكتور علية جمعة في برنامجه المتشددون، عندما قام باختيار بعض الأشخاص بالحديث عنهم وبيان سيرتهم وأعمالهم وإنتاجهم العلمي، ما بين شخصية مستقرة فيبين أسباب استقرارها، ويبين ما قدمته هذه الشخصية للناس مثل : رفاعة الطهطاوي، وعبد القادر البغدادي، وغيرهم ممن كان لهم جانب الاستقرار في حياتهم العلمية .

وعلى الصعيد الآخر هناك جوانب من حياة بعض الأشخاص التي توصف أعمالهم بأنها غير مستقرة، أو بأنها قلقة، فيبين الشيخ مرورًا بالتاريخ مدى التأثير السلبي لهذه الشخصيات القلة المتشددة في مختلف العصور وصولا إلى سيد قطب، وحسن البنا، ومدى التأثير السلبي على المصريين وغيرهم بسبب قلق شخصياتهم وبسبب تخبط أفكارهم.

فكان برنامج فضيلة الدكتور على جمعة بمثابة مصباح النور من ظلام الفكر، وبمثابة التقويم والتعديل لكثير من الأفكار التي تغذى عليها عدد من التيارات في هذا الوقت.

ويدل هذا البرنامج على مدى علم فضيلة الدكتور على جمعة بواجب الوقت تجاه الشعب المصري بعد فترة عانى فيها المصريون من خراب و دمار ،بسبب أفكار هذه الشخصيات القلقة مثل: الفهم الخاطئ لقضية الجهاد، وقضية الحاكمية ، وقضية دار الكفر ودار الإيمان، وغير ذلك من الأفكار والقضايا التي ضللت كثير من التيارات في هذا الوقت أما عن اسم البرنامج فهو اسم على الضد كقولنا القدرية أي من ينفون القدر فكان المراد هو الرد الصادع لهؤلاء المتشددين، وبيان منهجهم وأفكارهم .

برنامج رب لترضى

هناك فئة من الناس لهم موقف عدائي من التصوف، والسبب في ذلك هو اعتقادهم أنّ التصوف هو الدروشة والانفصال عن الواقع، ولبس القديم، والتعامل بهرولة، وعدم تحكيم العقل، وعدم مواكبة العصر، فمن هنا رأى فضيلة الدكتور علي جمعة أهمية تصحيح الصورة، لاسيما وأنّ التصوف منهج رشيد لإصلاح المجتمعات.

فقدّم الدكتور علي جمعة هذا البرنامج العبقري، ليكون لبنة من لبنات تصحيح صورة التصوف في هذا العصر؛ وقد تميز هذا البرنامج عن غيره من البرامج التي تناولت نفس الموضوع بعدة أمور:

أولًا: المواضيع التي انتقاها في حديثة، والتي قام من خلالها بتصحيح بعض المفاهيم المغلوطة في ذهن المسلم، فتكلم عن مفهوم الشيخ، والمريد، و التوسل، والذكر ،و الكرامات، فهذه المواضيع كانت في حاجة إلى عرض مستنير يواكب تقدم الفكري الذي تعيشه البشرية الآن.

ثانيًا: طريقة عرض البرنامج، فقد تناول الدكتور علي جمعة معالجة هذه القضايا عن طريق الحوار المباشر مع فئة من الشباب يعرضون على فضيلته ما أُشكل عليهم من تلك الأمور، فيقوم فضيلته بالبيان والتوضيح، فكان لهذه الحلقات التأثير الواضح في نفوس الشباب، والطمأنينة الكاملة في قلوبهم.

كما أنّ اختيار اسم البرنامج كان بمثابة الترغيب بمقصود البرنامج وهو رب لترضى وكأنّ المراد هو أن الغاية من هذا هو الوصول إلى رضا الله سبحانه وتعالى فأصبحت الأمور المشكلة على بعض المتصوفين هى دعائم القوة والثبات عندهم بفضل ما تناوله فضيلة الدكتور على جمعة، وتعرف الناس على بعض أصحاب الولاية الذين كانوا غير معروفين وهم من أصحاب المقامات العلية كيف لا، وفضيلة الدكتور على جمعة جُل مشايخه من أولياء الله فكان بمثابة التعريف عن تلك المدرسة والبيئة التي تخرج فيها فضيلته

برنامج الرحمات

في ظل ما نعيشه من سرعة تناقل للأخبار، وانفتاح للعالم من خلال شبكات التواصل الاجتماعي، بدأت تظهر بعض الأخلاق السيئة، وبدأ يظهر بقوة ما أسماه فضيلة الدكتور على جمعة بـــ «الفوضى الخلاقة» فمع ظهور الأخلاق السيئة كان الدكتور علي جمعة يخشى اختفاء الصفات الحسنة، والمعالم التربوية التي هي أساس ودعامة المتمعات عمومًا ، والشخصية المصرية خصوصًا .

فقام فضيلة الدكتور على جمعة بتقديم خطاب بسيط في ظاهره، لكنه قوي المحتوى والمضمون ؛ حيث إنّ فضيلته قد تكلم في هذا البرنامج عن مجموعة من الصفات والقيم ، التي تعدُّ أعمدة الشخصية المسلمة وكانت مدة الحلقة لا تزيد عن خمس دقائق، يتناول فيها فضيلته الحديث عن خلق من الأخلاق بأسلوب سهل وبسيط، يصل إلى جميع

الناس على اختلاف فئاتهم العمرية، ومستوياتهم الفكرية، فتكلم فضيلته عن الأخلاق وكيفية تطبيقها في الواقع المعيش، وكان فضيلته يركز على قيمة الإنسان عمومًا، دون الاقتصار على فصيل، أو دين معين بل كان خطاب إعلامي يميزه الشمولية، فجاء البرنامج في وقت كان الناس في أمس الحاجة لمعرفة هذه القيم والأخلاق ، مثل : التواضع، وعدم الاحتكار، وحسن الظن، وعدم الإسراف، و التعاون، واحترام البيئة وغير ذلك مما يعدُّ من دعائم المجتمع المسلم.

برنامج مكتبة المفتي

الفقه من العلوم التي تتجدد مسائله بتجدد الأحداث والوقائع، وأحكام الفقه أقل بكثير من أن تكفي العدد الهائل من الوقائع التي تطرأ على المسلمين، ومن هنا يأتي دور الفقيه؛ حيث يبدأ في عمله بالنظر، والاستنباط، والتحليل حتى يخرج بفتوى تنبئ بصنعة فقهية متقنة، وهذا لا يتم إلا بوجود عقل يضم بين جنباته معارف وعلوم جمة، عقل موسوعي كعقل فضيلة الدكتور علي جمعة .

فقد قام الدكتور على جمعة بما لديه من ملكات علمية، استطاع من خلالها عرض القضايا الصعبة، بأسلوب سهل وبسيط، فتناول فضيلته في هذا البرنامج عددًا من القضايا الفقهية التي شاع حولها الحديث فوقع كثير من المتحدثين فيها في غلط ولغط، فقام الدكتور علي جمعة ببيان حقيقة هذه القضايا، فتكلم فضيلته عن الموسيقى، وعن عذاب القبر، وعن الحور العين، وعن الختان، ثم تكلم فضيلته عن قضية من أهم القضايا وهى من له حق الفتوى، إلى غير ذلك من المواضيع والقضايا التي كان المجتمع في حاجة ماسة إلى بيانها .

برنامج نوادر الصحابة

الصحابة رضوان الله عليهم هم أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، و الحديث عن

سيرتهم يبعث في النفس الهمة والنشاط والتضحية، والوقوف على القدوة الصالحة التي يحتذى بها وبأفعالها، ولما لا وهم من تخرجوا في مدرسة سيدنا رسول الله ﷺ الذي قال فيهم: « إنما أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ ، فَبِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ »[1] ، فلما رأى فضيلة الدكتور علي جمعة حاجة الشباب في التعرف على أصحاب رسول الله ﷺ، قدَّم هذا البرنامج.

لم يكتفِ فضيلته بالحديث عن أصحاب النبي ﷺ فقط؛ بل تناول الحديث عن الجانب النادر في حياتهم مما جعل المشاهد في شوق ولهفة؛ لأن النفس تميل لكل ماهو جديد ، وغير معروف، فجاء الدكتور علي جمعة

بنوادر وقصص عن الصحابة رضوان الله عليهم كان معظمها أول مرة يطرق أسماع المشاهدين، وهذا إنْ دلَّ على شيء فيدل على مدى اطلاع الدكتور علي جمعة الواسع لكتب السير والرجال.

وتناول الشيخ عرض هذه الفوائد والفرائد بأسلوب بسيط ،وكان يذكر ترجمة الصحابي بذكر مولده ووفاته و إسلامه ومواقفه مع النبي ﷺ ونوادره، وكيف لنا أن نعيش منهج الصحابة في زماننا .

رحلة فقهية إعلامية

إنّ علمي الفقه والفتوى يمثلان الجانب الأكبر من حياة فضيلة الدكتور علي جمعة العملية ، باعتبار تخصصه كأستاذ جامعي أو مفتي للديار، وكان أيضًا للفقه والفتوى الجانب الأكبر في حياة فضيلته الإعلامية،فقد ساهم فضيلته في الساحة الإعلامية بعدد من البرامج الفعالة في المجتمع المصري، بل في القطر العربي، وكان لهذا العدد من البرامج التأثير الإجابي على أهل التخصص في العلوم لما فيها من الفوائد الغزيرة والمنافع الكبيرة ، ويمكنني تسمية هذه البرامج «رحلة فقهية إعلامية » والبرامج التي اشتملت

(١) أخرجه ابن بَطَّة العكبري في الإبانة الكبرى (٧٠٣) .

عليه هذه الرحلة هي :

١ـ قواعد الفقه الإسلامي.

٢ـ مفاهيم إفتائية.

٣ـ يسألونك.

٤ـ البيت بيتك

٥ـ والله أعلم .

عندما نتأمل في هذه الرحلة الناجحة التي مزج فيها الدكتور علي جمعة علوم الفقه بالواقع المعاصر؛ حيث تكلم فضيلته في أمور دقيقة في علم الفقه لا يدركها إلا أهل التخصص، كأنّ فضيلته بذلك لك يُقعد ويرسخ الأمور الأساسية والقواعد العامة للفقه الإسلامي، من خلال حديثه عن كل قاعدة وشرحها شرحًا وافيًا ، وضرب الأمثلة على كل قاعدة، وكانت هذه هي المحطة الأولى في هذه الرحلة .

وقد تناول فضيلة الدكتور على جمعة في هذا البرنامج شرح ما يقرب من أربعين قاعدة من قواعد الفقه الإسلامي، فكان هذا البرنامج بمثابة الدعامة و الأساس والمحطة الأولى لهذه الرحلة الفقهية الإعلامية، التي انطلق منها الدكتور علي جمعة؛ لينتهي به الأمر إلى فتاوى شرعية تلائم الواقع المعيش .

المحطة الثانية: في هذه الرحلة، وهي شرح بعض المفاهيم الإفتائية التي إذا أُسيء فهمها كان وبالًا، وكانت سببًا في خروج بعض الفتاوى المغلوطة، التي تسوق أصحابها إلى التضليل، فمن هنا رأى فضيلة الدكتور علي جمعة أنه لابد بعد الحديث عن قواعد الفقه الإسلامي، أن يتناول الحديث عن المفاهيم الإفتائية، إضافة إلى توضيح الأمور الغائبة عن ذهن المفتي والمستفتي، فتكلم فضيلته الحديث عن معنى المفاهيم الإفتائية، وحديثه عن مراحل الإفتاء، وأهمية الإفتاء، وأدب المفتي والمستفتي .

المحطة الثالثة : انتقل فضيلة الدكتور على جمعة في هذه المحطة إلى الجانب العملي من علم الفقه وهو الفتوى، والاحتكاك بقضايا العصر، والسماع من الجمهور لأسئلتهم و استفساراتهم وكان ذلك من خلال ثلاثة برامج، كل برنامج يختلف عصره عن الآخر؛ حيث قد يظهر من المحدثات والمستجدات والنوازل، ما يدعو إلى طلب فتووى تناسب الواقع والعصر.

ففي عام «٢٠٠٥ م» قدّم فضيلة الدكتور علي جمعة برنامج «البيت بيتك»،و في عام «٢٠٠٦ م» قدّم فضيلته برنامج «يسألونك»، ثم تمر فترة من الزمان تكثر فيها الحوادث، مما استعدى وجود عالم يقوم بالتواصل مع المجتمع؛ ليجيب عن كل ما يدور في أذهانهم، ففي عام «٢٠١٧ م» قدّم فضيلة الدكتور علي جمعة برنامجه الماتع «والله أعلم»، فكان لهذا البرنامج التأثير الواسع على الناس.

فبهذه الرحلة يكون فضيلة الدكتور علي جمعة قد غطى جميع ما يشغل الأذهان من مستجدات، فكانت هذه الرحلة الفقهية الإعلامية وقاية للمجتمع من الفكر الخاطئ، والتلاعب بالفتاوى ودين الله، فمن نعم الله على أهل هذا العصر أنْ رزقهم بعالم فتاح، ذي عقل رجاح، أرشدهم إلى خير العمل وكمال الفلاح .

برنامج المبشرات

إنّ ديننا وشريعتنا فيها عدد من المبشرات التي تجعل قلب المسلم هادئ ومطمئن، لكن لم يفكر أحد منا أنْ يسلط الضوء على تلك المبشرات الحقائق، والإفاضة في الحديث عن كل حقيقة من هذه الحقائق، وكيف نعيش ونفرح بها في واقعنا المعاصر؛ ذلك لأنّ البشرى معناها الفرحة ، وهذا عين ما فعله الدكتور على جمعة في برنامجه؛ حيث تكلم فضيلته عن هذه المبشرات وكيفية إدراكها وتطبيقها في واقعنا المعاصر .

قد كتب الله لهذا البرنامج القبول؛ لاشتماله على أنوار ربانية، أضاءت الطريق

لكل من شاهد هذه الحلقات، ويرجع ذلك إلى المواضيع التي تناولها الدكتور علي جمعة في البرنامج، مثل : «فتح خيبر، وفتح مكة، والصراع بين الإسلام والروم، ومشروع النهضة الإسلامية، والإسلام عندما دخل الأندلس، وعوائق الوحدة الإسلامية».

وقد ا ستطاع الدكتور علي جمعة بذكائه الحد أن يتحدث عن تلك المواضيع ليست باعتبارها أحداث تاريخية، وليست باعتبارها أبحاث يطلع المشاهد على مسائلها، بل تكلم عنها باعتبارها مبشرات وحقائق واقعية ووعود من قبل المولى تبارك وتعالى، وهي في حيز الإمكان، وفي حيز الوقع، مما جعل للبرنامج مجرى آخر وهو بعث الهمة في نفوس المستمعين، من خلال ما ذكره فضيلته من وقائع ماضية، وربطها بمبشرات مستقبلية .

برنامج مع رسول الله

من كرم الله تعالى على هذه الأمة أنه جعلها أمة مسلمة، وأنه اختار لها سيدنا رسول الله ﷺ، ثم يصطفي الله من عباده من هو أهل لمحبة سيدنا رسول الله ﷺ ، ومن حقوق هذه المحبة، أنْ يكون كل محب عالمًا بحياة رسول الله ﷺ وأن يكون عالمًا بشمائله وسننه؛ لأنه ﷺ قدوتنا وقسوتنا، قال تعالى : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ ﴾ [الأحزاب:٢١].

إنّ سيرة النبي ﷺ عطرة في كل جوانبها، وفي كل أحداثها ومواقفها، والحديث عن سيرته ﷺ تحتاج لعالم رباني مُحب لسيدنا ﷺ، بداخله عشق ورغبة في أن يقتبس من فيض النبوة، ونور سيدنا رسول الله ﷺ.

فمن هنا كان حب الدكتور علي جمعة لسيدنا رسول الله ﷺ وتعلقه بسيرته، خير باعث على هذا تقديم هذا البرنامج الذي قدّمه فضيلته بأسلوب السهل، وعبارة بسيطة، فكان الدكتور علي جمعة يتناول في هذا البرنامج جانبًا من جوانب حياته ﷺ في عبارات

سهلة وفي وقت وجيز؛ حيث يضيء لنا بحديثه مصباحًا ويسهل لنا طريقًا لاتباع سنته ﷺ، وقد وفّق الله تعالى الدكتور علي جمعة للوقوف على عدد كبير من المؤلفات في السيرة النبوية مما سهّل له الإلمام بحياة النبي ﷺ حتى أخبر فضيلته عن نفسه أنه قرأ أكثر من خمسمائة كتاب في سيرة النبي ﷺ .

برنامج مفاهيم

كملة مفاهيم من الكلمات التي شاع ذكرها في الآونة الأخيرة، وأنّ هذا المفاهيم قد يخطئ الناس في فهمها،فكانوا في حاجة لمن يوضح لهم هذه المفاهيم، فمن هنا رأى فضيلة الدكتور علي جمعة أهمية تقديم هذا البرنامج الذي تناول فيه عددًا من المواضيع التي كانت تثير أذهان العامة والخاصة آنذاك، فتكلم فضيلته « عن الحب، وعن الفكر، وعن الإلحاد، وعن الغيب، وعن النسبية، وعن النموذج المعرفي » كل هذه المواضيع ظاهرها فيها العسر والصعوبة وباطنها اليسر والسهولة؛ ذلك لخروجها من عقلية متوازنة عالمة بواجب وقتها وزمانها مثل فضيلة الدكتور علي جمعة .

برنامج نور الحق

خاض كثير من أبناء المجتمع بحار قضايا شائكة، أدت بهم إلى انقلاب أفكارهم ، وتغير حياتهم، فبدأ فضيلة الدكتور علي جمعة يرصد هذه القضايا بعقليته المنهجية الموسوعية التي جعلته يقف على حقيقة الأمر ، فتناول فضيلته الحديث عن هذه القضايا بكل شجاعة ونضال، فكان حديثه مصباحًا يضيء للناس طريق فهم هذه القضايا التي ظلت تحت دمث الظلام سنين طوال لا يتكلم أحد فيها، فتكلم فضيلته « عن السنة والبدعة، و عن الإرهاب، وعن الإرجاف، وعن الزواج العرفي، وعن السحر » فكان البرنامج من البرامج الحوارية الماتعة ،وهذا مفيد جدًا في بعض المواضيع؛ لأنه يكون بمثابة طرح الإشكاليات والأسئلة التي تدور في ذهن المستمع وكأنه جالس مع فضيلته وهو يجيب .

فخرج البرنامج اسم على مسمى نور الحق وهو بالفعل كان نورًا من فضيلة الدكتور علي جمعة لإظهار الحق وظلامًا على أهل التطرف والأفكار الخاطئة .

برنامج مكونات العقل المسلم

يعدُّ هذا البرنامج من أهم البرامج التي قدّما فضيلة الدكتور علي جمعة؛ حيث تكلم فضيلته عن المعيار والأساس الذي ينبني عليه هيكل الأمة، فيجيب لنا عن أسئلة مهمة وضرورية تساعدنا في فهم الكون والإنسان والحياة، وتضبط علاقات المسلم وطريقة تعايشه مع الآخر، بما يكون متفقًا مع المقاصد الشرعية، ومحققًا للمصالح المرعية؛ فنعرف من كل هذا: ما هي مكونات العقل المسلم التي تمكنه من عبادة الله، وعمارة الكون، وتزكية النفس، والتي تعد جسرًا يصل بين القيمة الروحية العالية وبين استخلاف الله لنا في هذه الأرض .

برنامج القرآن يعلمنا

القرآن الكريم هو المصدر الأساسي لكل ما يحتاجه الفرد والمجتمع والأمة، بل والبشرية جمعاء، من قيمٍ ومُثلٍ عليا، وهو المصدر الأساسي للتربية والتعليم، وهو الهادي والدليل لبني البشر في كل صغيرة وكبيرة يمرون بها في حياتهم؛ فرحهم ومرضهم ونظرته للدنيا والآخرة، وهو الدليل في البحث والتمحيص للوصول إلى الحقائق، وهو المخبر الأمين–الصادق عن قصص الأولين وأخبارهم؛ شئونهم وشجونهم وما لهم وما عليهم. ولما لا وهو الكتاب الذي فُتحت به الأمصار، وجثت عنده الركب، ونهل من منهله العلماء، وشرب من مشربه الأدباء، وخشعت لهيمنته الأبصار، وذلت له القلوب، وقام بتلاوته العابدون، والراكعون، والساجدون.

فمن هذا المنطلق قدَّم فضيلة الدكتور علي جمعة هذا البرنامج؛ لنقف أهمية هذا الكتاب الذي دعا إلى العلم، وما هي أركان العلم، وكيفية البحث العلمي، وشروط

ذلك الباحث إلى غير ذلك من القواعد والضوابط التي لا غنى عن معرفتها خلال التعامل مع القرآن الكريم .

برنامج السراج المنير

لقد أرسى الإسلام قواعد وأسسًا للتعايش مع الآخر في جميع الأحوال والأزمان والأماكن، بحيث يصبح المسلمون في تناسق واندماج مع العالم الذي يعيشون فيه، بما يضمن تفاعلهم مع الآخر وتواصلهم معه دون تفريط في الثوابت الإسلامية .

وعلى نهج تلك الأسس ووفق هذه الثوابت يمضي المسلمون قُدمًا في رسم الحضارة الإسلامية لمعايشة المستجدات التي تطرأ عبر التاريخ ، كما يظل الرسول صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة في كل شيء ، مصداقا لقول الله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَاليَوْمَ الآَخِرَ﴾ [الأحزاب : ٢١].

ولقد ترك لنا رسول الله ﷺ أربعة نماذج للتعايش مع الآخر داخل الدولة الإسلامية وخارجها .

النموذج الأول : نموذج مكة ، وكان المقام فيها هو مقام الصبر والتعايش.

النموذج الثاني: نموذج الحبشة، وهو بقاء المسلمين في الحبشة، والمقام فيها مقام الوفاء والمشاركة .

النموذج الثالث : نموذج المدينة في عهدها الأول ، والمقام فيها مقام الانفتاح والتعاون .

النموذج الرابع: نموذج المدينة في عهدها الأخير ، والمقام فيها مقام العدل والوعي قبل السعي .

فلما رأى فضيلة الدكتور علي جمعة أنه لا يخرج بقاء المسلم في مجتمعه وتعايشه مع

كافة النظم والأديان عن هذه الصور الأربعة ، ومن ثَمَّ يجب علينا أن نعي حقائق هذه النماذج ، وأن ندرك أنها صالحة للاستفادة منها في كل عصر حسب حاله ، وأنّ بعضها لم يَنْسَخْ بعضا ، بل تُنَزِّل أحكامها بحسب الحال ، حتى نستفيد من سنة سيدنا رسول الله ﷺ وسيرته على كل حال ، إذ هو لنا القدوة والأسوة الحسنة ، قام فضيلته بتقديم هذ البرنامج الماتع ليتناول كل هذه الجوانب .

برنامج هذا ديننا

ديننا هو الإسلام، والإسلام جاء بالسلام، فكان يجب على كل مسلم أن يعرف حقيقة دينه، وما هي الأركان التي بُني عيها هذا الدين ، وكيف نفهم هذا الدين، وما الحجة التي نرجع إليها، وما مصادر هذا الدين الحنيف، وما شأن العبادات والمعاملات والأقضية، وما هو موقف هذا الدين من الحياة ، وغير ذلك من الأمور التي جعلت فضيلة الدكتور علي جمعة يقدم هذا البرنامج؛ لنعيش في صبحته رحلة نتعرف من خلالها على معالم ديننا الحنيف .

برنامج مجالس الطيبين

عندما رأى فضيلة الدكتور على جمعة حاجة المجتمع إلى التعرف على سيرة ومواقف خير المرسلين، ومن تبعه من الصحابة الأكرمين، ومن تبعهم من الصالحين إلى يوم الدين، قدّم فضيلته هذه الجلسات المباركة؛ لنسير على طريق هؤلاء الصالحين ، ونتعلم من سيرهم ومواقفهم الهدى والتقى، والعفاف والغنى عن الناس، والتعلق برب العباد، فجاء هذا البرنامج فريدًا في بابه.

برنامج ربيع النبوة

ربيع الأول هو الشهر الأنور، الذي شرفه الله بمولد النبي ﷺ، هذا النبي الذي أحببناه من أجل خُلقه، ومن أجل حب الله له، ومن أجل تأييد الله له، مع هذا كله نرى

أناسًا لا يعرفون شيئًا عن حبنا ﷺ؛ لذا رأى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّه يجب على الناس في شهر ربيع الأنور أنْ يتعرفوا عليهﷺ، وأن يتباركوا به، وأن يكونوا معه، وأن يعيشوا في حياته، حتى يعيشوا حياته ﷺ.

فقدّم فضيلته هذا البرنامج الذي تناول فيه الحديث عن مولده الشريف ﷺ، وعن آل بيته الطاهرين، وعن أدلة الاحتفال بمولده ﷺ، وعن كيفية الاحتفال به،وما الذي يجب علينا أن نفعله في إظهار هذا الحب في شهر ربيع الأنور.

برنامج حديث الروح

يعدُّ برنامج «حديث الروح» من أعظم البرامج التي عُرضت على شاشة التلفزيون المصري، وقد تناول فضيلة الدكتور علي جمعة خلال ما قدّمه من حلقات في هذا البرنامج مجموعة من القضايا التي كان علاجها نابع من كلام رسول الله ﷺ، فكان كلامه ﷺ مفتاحًا لكل خير، ومغلقًا لكل شر.

برنامج درجات المعرفة

تناول فضيلة الدكتور علي جمعة في هذا البرنامج عدة قضايا تشغل عقل المسلم المعاصر؛ ولأهمية هذه القضايا قام فضيلة الدكتور علي جمعة بالحديث عنها في برنامجه «درجات المعرفة»؛ لأنها تعدُّ مكونًا من مكونات العقلية المسلمة.

فعرض فضيلته هذه القضايا بطريقة تجمع بين الأصالة والمعاصرة، فتكلم بلسان يخاطب الفكر والوجدان، كما جاء بأمثلة عصرية تجمع بين العلم والعمل؛ لنصل من خلال هذه الحلقات إلى تحصيل المنهج العلمي والفكري الراقي للتعامل مع الكتاب المسطور، والكتاب المنظور، والكتاب المقدور.

ويعدُّ هذا البرنامج خلاصة تجربة فضيلة الدكتور علي جمعة العلمية، وثمرة قراءاته وتجاربه، على مدار عمره المديد، متعه الله بالصحة والعافية.

برنامج وقال الإمام

يعدُّ هذا البرنامج من أعظم وأهم البرامج التي قدّمها فضيلة الدكتور علي جمعة؛ حيث تناول فضيلته فيه بنظرٍ ثاقبٍ وفِكْرٍ مُسْتَنيرٍ عددًا مِن المبادئ والأُسس التي تُوصِلُ المسلمَ إلى سُبُـلِ الاقتدار على الجمع بين الأصالة والمعاصرة، من خلال التعرُّض الدَّقيق لعددٍ من الموضوعات التي هي من الأهمية بمكانٍ لِفَهْمِ القرآن الكريم، والهدي النَّبوي الشَّريف، وكذلك فَهْمِ هذا التُّراث العظيم الذي تركه لنا سلفُنا الصَّالح، وكيفية الاستفادة منه، مع الإشارات والإلماعات إلى مناهج الفَهْم التي كانت مستقرَّةً في أذهانهم؛ فَـفَهِموا بها الدين فَهْمًا صحيحًا، وأقاموا حضارةً عظيمةً، وتعايشوا مع غيرهم، وبلَّغوا دين الله لمن بعدهم، إلى غير ذلك من الموضوعات الفكرية والسُّلوكيَّـة والدَّعوية المهمة، والتي يتجلَّى للمشاهد فيها أهمية الإلمام بهذه الموضوعات من أجل فَهْمٍ واعٍ للأصول والمصادر، وأيضًا من أجل حُسْنِ التعامل مع الواقع على أُسُسٍ ربَّانية، بعيدًا عن الإفراط والتفريط.

ثالثًا: خطب الدكتورعلي جمعة المنبرية

منذ أقدم العصور تعتبر الخطابة أقوى وسائل الدعوة والإعلام والاتصال بالناس، للتأثير في مشاعرهم ولإقناعهم بالأفكار والعقائد، وهي أداة الدعوة الإسلامية الأولى لاستنهاض الهمم، والحث على الفضائل، وجمع الشمل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ لذا قد اهتم فضيلة الدكتور علي جمعة بالخطابة اهتمامًا واسعًا، وقد ظهر أثر ذلك في مسجد السلطان حسن الذي كان يمتلئ على اخره في يوم الجمعة، فقد أحيا الله بفضيلة الدكتور علي جمعة هذا المسجد العريق.

فالخطابة تعدُّ وسيلة فعّالة في إيقاظ الناس ودعوتهم إلى دين الله؛ لأنّ الخطب العبقريات الخالدات لا تنسج من حروف، ولا تؤلف من كلمات، ولكنها تنسج من

خيوط النور الذي يضيء طريق الحق لكل قلب، وتحاك من أسلاك النور التي تبعث شعاع الحياة في كل نفس، ولا تقولوا ماذا تصنع الخطب ؟

فإنّ خطبة طارق هي التي فتحت الأندلس، وخطبة الحجاج هي التي أخضعت يومًا العراق، وأطفأت نار الفتن التي كانت مشتعلة فيه ثم وجهته إلى المعركة الماجدة، ففتح رجل واحد من قواد الحجاج، أكثر مما فتحت فرنسا في عصورها كلها، وبلغ مشارف الصين، وحمل الإسلام إلى هذه البلاد كلها، فاستقر فيها إلى يوم القيامة، ذلك هو قتيبة بن مسلم.

فما قام في التاريخ زعيم عبقري، ولا قائد نابغة، إلا كان السُلَّم الذي صعد عليه، هو الخطب،

ويُذكر أنّ الخطابة يوم الجمعة من أكبر أبواب الوعظ، فإذا صلحت صلح بصلاحها فساد الأمة وإن فسدت أفسدت، والخطيب المتمكن هو الذي يحرك السامعين كما يريد، يقودهم بلسانه، وبحركات يده.

والمستمع لخطب فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ الهدف منها جميعًا: هو الدفاع عن الإسلام، والعمل تحت راية الإسلام ؛ ذلك لأن الدعوة إلى الله إنما تكون بالقلم وباللسان، عليهما يقوم البيان، وبهما يثبت الإيمان، وتتفاوت أقدار الإنسان.

فمن نظر إلى الخطب المنبرية لفضيلة الدكتور علي جمعة رأى كيف كان للخطابة دورًا مهمًا ومؤثرًا وفعّالًا في الدعوة إلى الله ، وكيف وظفها لنشر الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

رابعًا: إنشاء الدكتورعلي جمعة للطريقة الصديقية الشاذلية

إنّ البحث عن أصل التربية في عصرنا الحالي لجدير بأن يُربط بالتصوف؛ فهو العلم الذي يهتم بالجانب التربوي والروحي في النفس الإنسانية، ويمدها بطاقة وجدانية تحرره من نزوات المادة وشهوات النفس، وتطهيرها من الأغيار والأكدار وتحليتها بالأنوار والأسرار، فتتحقق به المحبة الإلهية التي تجعل صاحبها ينظر بعين الرضا والرحمة والعطف والمودة، والذي قال فيه الإمام الجنيد البغدادي سيد الطائفة: «التصوف اجتناب كل خلق دني، واستعمال كل خُلق سني».

فمن المعلوم أنّ عصرنا هذا يعدُّ بامتياز عصر الأزمات الأخلاقية؛ فهو عصر الشهوة والنزوة والمادة، والانحراف الخلقي والفراغ الروحي، وقد أصبحت الحاجة اليوم ملحة إلى التصوف، ولنا أن نتساءل عن حاجة العصر والمجتمع الراهن إلى تربية صوفية صحيحة وسليمة ذات أصول قرآنية ونبوية؛ والتي يُعتبر أصحاب الحقيقة القلبية وشيوخ التربية الصوفية روادها.

كما ظهر بعض الأدعياء من المتمصوفة الذين قاموا بتشويه صورة التصوف بأفعالهم المشينة التي لا أصل لها في الكتاب ولا السنة.

فمن هنا رأى فضيلة الدكتور علي جمعة أهمية إنشاء الطريقة الصديقية الشاذلية؛لتصحيح صورة التصوف وبيان حقيقته، ولأنّ صلاح الأخلاق لا يتأتى إلا مع العلماء الربانيين من الصوفية الكرام أهل التربية والتزكية والسلوك؛ لذلك قال ابن القيم الجوزية في المدارج: «التصوف زاوية من زوايا السلوك الحقيقي وتزكية النفس وتهذيبها لتستعد لسيرها إلى صحبة الرفيق الأعلى، ومعية من تحبه، فإن المرء مع من أحب»[١].

---

(١) انظر: « مدارج السالكين » لابن القيم، (٢/ ٣١٧)، طـ دار الكتاب العربي بيروت .

ويعدُّ إنشاء الطريقة من أهم الوسائل الدعوية التي قدّمها فضيلة الدكتور علي جمعة في الآونة الأخيرة؛ حيث إنّ الطريقة تهدف إلى التربية الدينية والروحية بما يتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية والدعوة إلى العمل بها بالوعظ والإرشاد؛ فلا يجوز لأعضاء الطريقة القول بعقائد أو إتيان أفعال أو إقامة موالد أو احتفالات أو أذكار تخالف أحكام الشريعة الإسلامية أو النظام العام أو الآداب.

وقد قابل المجتمع خبر إنشاء فضيلة الدكتور علي جمعة «للطريقة الصديقية» بأنه خطوة جادة في طريق تصحيح أوضاع الصوفية في مصر ، فإنّ الطريقة منذ تأسيسها تتبنى منهجًا في تصحيح مفاهيم المتصوفة أنفسهم عن التصوف؛ حيث اعتمدت على مقدمي الطريقة في تقديم رسائل مختصرة تصحيحية، عبر منابرها الإعلامية، تجيب فيها عن تساؤلات المتصوفة وتعدّل سلوكهم في تجاربهم الروحية، فمنهم على سبيل المثال أحد مقدمي الطريقة وهو الدكتور أشرف سعد ، الذي أكد عبر صفحته على شبكة التواصل الاجتماعي «فيسبوك» أنّ المنهج الأساس الذي تقوم عليه الطريقة هو «العلم»، قال : «العلم العلم يا صوفية، لا تختصروا التصوف في الأوراد والأذكار وزيارة الأضرحة، والمواظبة على الحضرات والمجربات، فكل هذا جميل حسن، ولكن نريد أن نرى من أهل التصوف المعاصر علماء في الفقه، والأصول، والحديث، والرجال، والتفسير، وعلوم القرآن، فالتصوف النقي هو بارقة الأمل الوحيدة؛ لإنقاذ البشرية مما هي فيه».

منذ أنْ قام الدكتور علي جمعة بتأسيس الطريقة وضع كثير من المريدين والمهتمين بالشأن الصوفي، آمالًا كبيرةً، متوقعين أن تتولى مهمة تعديل أوضاع الصوفية المصرية، والسبب في ذلك هو تولي فضيلة الدكتور علي جمعة، مشيخة الطريقة؛ إذ يعرف فضيلته كأحد رموز التصوف العلمي، وبإنشائه للطريقة توقع الكثيرون أن يحمل معه مشروعًا إصلاحيًّا صوفيًّا للطرق الصوفية.

وكان لهذه الطريقة دورًا غاية في الأهمية في الحقل الدعوي؛ من خلال نشر أورادها التي هي مجموعة من الآيات القرآنية والأدعية والأذكار الواردة بسند صحيح عن النبي ﷺ، فالتصوف ما هو إلا بناء الإنسان، يرى التصوف أن الإنسان قبل البنيان، وأن الساجد قبل المساجد، ومن ثم اهتم التصوف بكتاب الله المقدور بعد أن فهم أمرين: كتاب الله المسطور، وكتاب الله المنظور؛ وكتاب الله المسطور هو الوحي، وكتاب الله المنظور هو الكون ومن الوحي والوجود معاً كان التصوف. وللصوفي تجربة، لكنها في نطاق سنة سيدنا رسول الله ص وشرعه لا يستطيع أن يخرج عنها، وكما قال الجُنيد رحمه الله تعالى: «طريقنا هذا مقيد بالكتاب والسنة».

وقد بيّن فضيلة الدكتور علي جمعة أهمية إنشاء الطبقة فقال:«ونحن والحمد لله تعالى أقوياء بأوليائنا وتاريخنا وخبرة هذا التاريخ، أقوياء بحاضرنا، أقوياء بمنهجنا، وأقوياء بأننا ندعو الله سبحانه وتعالى أنّ يجعل الدنيا في أيدينا ولا يجعلها في قلوبنا، وأننا إذا جعل الله الدنيا في أيدينا استعملناها فيما أراد الله أنّ نستعملها فيه وربنا سبحانه وتعالى أراد منا العبادة والعمارة وتزكية النفس قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، وقال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أي طلب منكم عمارتها ، فالصوفية يعرفون كيفية الذكر، وكيفية الفكر، وكيفية التخلي من كل قبيح، والتحلي بكل صحيح، وما الذي يواجه الإنسان كوناً إذا ما حدث له أمور هذه الأمور لا يعرفها إلا السادة الصوفية. وأول قاعدة عند السالكين إلىٰ الله هي قولهم: «الله مقصود الكل»، وهذه العبارة من العبارات البليغة، التي تُكَوِّن أسس الطريق وأصوله، فمن أراد أن يكتبها وأن يحفظها فليكتب: «الله مقصود الكل». وهناك قاعدة أخرىٰ: «ملتفتٌ لا يصل»، فإذا كنا في طريق، وأردنا أن نصل إلىٰ نهايته، فعلينا أن نسعىٰ، وأن نسير فيه غير ملتفتين عن يسارنا أو عن يميننا»

ثم بيّن فضيلته مهمة الطريقة الدعوية فقال: «ودورنا الآن هو تربية الشباب. فالأزمات دائماً تحتاج في حلها إلى تربية، الأزمة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والخلقية والفكرية والفلسفية كلها تحتاج من الإنسان أن يعود مرة أخرى أمام الله إنسانًا آدميًا، وهذا لا يكون إلا بتطبيق ما علَّمنا إياه مشايخنا وآباؤنا، وما وجدناه في هذا التراث الذي آمنا به واطمأنت له قلوبنا وسعدت به أروحنا حتى قالوا: هذه لذة لو عرفها الملوك لقاتلونا عليها، هذا الكلام له آثر في تصحيح المفاهيم وتصحيح السلوك، إذن إذا أردنا أن نضع عنواناً للدور المرتقب للتصوف فليكن التربية، ثم التربية، ثم التربية. فالحمد لله رب العالمين عندنا همة التربية، ومعنا ما يحتاج إليه العالم حتى لو وصفنا بعضهم بالتخلف وبعضهم بالشرذمة وهاجمنا البعض، فإنّ الكلمة الطيبة تخرج من القلب فتصل إلى القلب فتغير الوجدان».

المطلب الثالث

الأساليب الدعوية عند الدكتورعلي جمعة

في المطلب السابق كان الكلام عن الوسائل التي استعان بها فضيلة الدكتور علي جمعة في دعوته، ومن المناسب أن أتطرق في هذا المطلب للحديث عن الأساليب التي كان يستعين بها؛ لما في ذلك من عظيم النفع والأثر في بيان جهود الدكتور علي جمعة في الدعوة إلى الله تعالى.

فالعالم الناجح هو الذي ينوّع في أساليب دعوته للناس؛ حتى يستطيع أن ينفذ كلامه إلى قلوب مستمعيه ، ومن ثَمَّ يحقق الهدف المنشود من الدعوة .

فإنّ المتأمل في أساليب فضيلة الدكتور علي جمعة الدعوية يجد أنّ فضيلته يتميَّز بالتلقائية والعفوية، والسهولة المُمتنعة، وعذوبة التعبير، والتأثُّر بأساليب القُدماء، والانفتاح على التعبيرات المُعاصِرة، وبسط المعاني والأفكار، والالتفات بين الأساليب، وغيرها من الأساليب الأدبية الفنية.

وسوف أقتصر الحديث في هذا الصدد على أكثر الأساليب تكرارًا عند الدكتور علي جمعة، وهي: «أسلوب الحكمة، وأسلوب الموعظة الحسنة، وأسلوب المجادلة والمناظرة، وأسلوب ضرب المثل، وأسلوب القصة»، وفيما يلي بيان ذلك :

أولًا : أسلوب الحكمة :

لما كانت الحكمة هي المرحلة الأولى من مراحل الدعوة، كانت الحكمة من أهم الأساليب الدعوية التي أخذ بها فضيلة الدكتور علي جمعة في دعوته فيخاطب الناس على قدر عقولهم، ويراعي أحوالهم. فهو يتعامل مع العقول حسب مقدرتها لا حسب مقدرته، ولا يحملها فوق طاقتها مقتبسًا هذا الأسلوب من كلام رسول الله ﷺ وفهم الصحابة –رضوان الله عليهم– الذين هم أقرب إلى التنزيل وأعلم بالتأويل.

فالعلماء الربانيون يقتفون الأثر، ويسيرون على النهج ويقتفون الطريقة ويمضون على السنة، وهكذا فضيلة الدكتور علي جمعة، علمه ومواعظه ونصحه وتوجيهه ينساب إلى القلوب ويتسرب إلى الأعماق؛ يتمتع فضيلته بأسلوب سهل جميل جذاب متفرد لا يكاد يشبهه فيه أحد، يمكن أن يوصف بأنه السهل الممتنع، فيه تظهر عباراته أنيقة مشرقة، فيها جمال ويسر، وهذا مكّنه أن يعرض أخطر القضايا والأفكار بأسلوب يقتنع به المثقف، ويرتاح له العامي، ويفهمه من نال أيسر قسط من التعليم.

ولقد اشتهر فضيلة الدكتور علي جمعة بسعة أفقه وكثرة تجواله وحضور ذهنه وذاكرته القوية؛ ولذلك كانت دعوته متسمة بصفة الاعتدال بعيدة عن الطرفين المذمومين: الإفراط والتفريط .وهذا من حكمته – رضي الله عنه– في دعوته.

ومن حكمة الدكتور علي جمعة أنه كان ينوّع في أساليب الدعوة عند دعوته للناس، فكان يتتبع المناسبات ويختار الأسلوب المناسب لكل حالة حسب حالة المدعوين، وبما يحصل معه المقصود من الدعوة، وكما قيل: لكل مقام مقال، وكذلك الأسلوب المناسب لكل صنف من أصناف المدعوين فمثلاً أسلوب دعوة الحكام يختلف عن أسلوب عامة الناس، وأسلوب دعوة الصغار يختلف عن أسلوب دعوة الكبار البالغين.

والأمثلة في هذا الصدد كثيرة جدًا وما ذكرتُ هي نماذج فقط؛ فالدكتور علي جمعة – حفظه الله – كان حكيمًا في وعظه وإرشاده ونصحه ودعوته.

ثانيًا: أسلوب الموعظة الحسنة:

عرفنا سابقًا أنّ أسلوب الموعظة الحسنة قد دعا إليه القرآن لما فيه من تليين للقلوب القاسية، وتنبيه للقلوب الغافلة، فتأثيره في النفوس لا يخفي؛ لذا ينبغي على كل من دخل ميدان الدعوة الحرص على هذا الأسلوب ومعرفة مواطن استخدامه، وهذا الذي عليه فضيلة الدكتور علي جمعة.

ولقد سلك الدكتور علي جمعة هذا الأسلوب الدعوي في دعوته من خلال خطبه المنبرية، وبرامجه «المسموعة، أو المرئية»، ومؤلفاته مقالاته، تعليمه للناس. حيث كان يعظ الناس ويرغبهم في الخير وما فيه من المصالح والمحاسن، ويدعوهم إليه، ويحذرهم من الشر وما فيه من المفاسد والمساوئ، ويبين لهم حقيقة دعوة الإسلام.

ثالثًا: أسلوب المجادلة والمناظرة :

لما كانت الحجة لازمة لبيان الحق والدفاع عنه، وكانت الحكمة سندًا وقوة لهذه الحجة وكان الجدال بالتي هي أحسن سلاحًا ودرعًا للحق؛ كان على العلماء أن يأخذوا به لإظهار الحق وتبليغه للناس. ومن هؤلاء العلماء فضيلة الدكتور علي جمعة ، فقد كان يذكر في ثنايا كتبه أنه كان يستخدم أسلوب الجدال بالتي هي أحسن، فما ناظره أحد إلا وعاد إلى الصواب وسلّم لفضيلته بصحة ما أقامه؛ لذلك أطلق عليه بعض الناس «مقبرة المتشددين»؛ لأنه ما جاء متشدد يناظره ويناقشه إلا وتخلى عن هذا الفكر وتبرأ منه .

ولذلك فالدكتور علي جمعة يعرف مدى أهمية هذا الأسلوب في بيان الحق ودفع الباطل، لأنه إذا تكلم يثبت كلامه بالدلائل ويؤيده بالنصوص، ويناظر من شاء من أهل العلم أن يناظره.

ولقد أبدع الدكتور علي جمعة في استخدام هذا الأسلوب الدعوي، حيث وفق كثيرًا في مجادلة المخالفين الذين لم تنفع معهم الأساليب الأخرى .

رابعًا : أسلوب ضرب المثل :

قد أدرك فضيلة الدكتور علي جمعة أهمية ضرب المثل في إيضاح الحق، وتقريب المعنى إلى الذهن، وتجسيده حتى يبقى راسخًا. فقد كان فضيلته يسوق المثل ضمن حديثه؛ فيعطي للأسلوب جَوًا خاصًا يشعر معه القارئ بالمتعة حين يراه يوقظ فيه

التهيّؤ للمعاني بغرس ما يشبه الزهرة النَّضرة في بستان حافل آهل.

فلا يكاد يخلو كلام فضيلة الدكتور علي جمعة من مثل يبينه للناس يقرب به المعنى المراد إيصاله إليهم وإقناعهم به.

والشواهد والأمثلة على استخدام فضيلته لهذا الأسلوب الدعوي المهم «ضرب المثل» كثيرة جدًا وهي أكثر من أن تحصى، فانظر إلى مجالسه ولقاءاته تجد ذلك هناك مبسوطًا .

خامسًا : أسلوب القصة :

تعدُّ القصة من أنجح الأساليب للدعوة والنصح والإرشاد، فأسلوبها له تأثيراته النفسية، وانطباعاته الذهنية، وحججه المنطقية والعقلية في نفوس المدعوين، فهي تستولي على قلوبهم استيلاءً لما لها من سرعة نفاذ، وقوة تأثير، واستمرار أثر.

فهي إحدى الوسائل الناجحة المؤثرة لعرض تعاليم الدعوة سهلة واضحة، فهي تجذب النفوس وتؤثر في القلوب، وليس أدلّ على ذلك من شغل القصص في القرآن الكريم حيزًا بلغ ربع المصحف تقريبًا .

وعلى ذلك فإنّ الدكتور علي جمعة قد استخدم القصة في دعوته، فقد كان فضيلته كثيًرا ما يذكر القصص في مقالاته، ومحاضراته، فكثيرًا ما يذكر نوادر مشايخه، فمن هذا ما ذكره بخصوص شيخه العلامة فضيلة الشيخ أحمد مرسي؛ حيث قال : « لما لاحظ سيدنا الشيخ محمد راشد على تلميذه سيدنا الشيخ أحمد المرسى رحمهما الله شيئًا عجيبًا لم يعتاده منه، فسأله إلى من تذهب من المشايخ بعد أن تنتهى من الدرس عندي، فكأنك تذهب لأحد كبار أولياء الله. فأنت كل يوم تأتيني وعليك خيمة من نور تختلف عن خيمة أمس، وأنت لم تبلغ هذا المبلغ بعد، فلابد من أنّ هناك أحد يقوم بإلباسك إياها، فمن هو؟؟

فقال له: والله أنا لا أعرف إلا شيخًا اسمه الشيخ محمد أمين البغدادي فهذا هو الذي أعرفه فقط وليس في ذهني أحد آخر.

قال له: هيا خذني إليه.

قال له: إنه لا يقابل أحدًا.

قال له: هيا بنا يقابل أو لا يقابل سأذهب إليه، أنا مكثت أبحث عن مثل هذا منذ زمن بعيد. وسيدنا الشيخ محمد راشد كان مدرس التفسير وكان من هيئة كبار العلماء وكان إمام الخاصة الخديوية رضى الله تعالى عنه فذهب إلى الشيخ محمد أمين البغدادي وقال له يا مولانا أنا كبرت في السن وقد رأيتُ الأنوار على هذا الولد فأنت كل يوم تلبسه نورًا جديدًا - فعرفتُ أنك ولى من أولياء الله - عرف ولم يره - عرفه من الأنوار التي تظهر على التلميذ ، هؤلاء هم أرباب البصائر-. وقال سيدنا الشيخ راشد لسيدنا الشيخ البغدادي: أنا رجل قد كبرت وبلغت سبعين عامًا وأريد شيئًا يحرك قلبي فإنه لا يريد أن يتحرك.

فرد سيدنا الشيخ البغدادي: وهل هذا معقول. قال له: وإلى الآن وأنا أقوم الليل بركعتين منذ أربعين سنة لا يعرف عن ذلك أحد من الخلق لا زوجتي ولا أولادي ولا أي أحد؛ أقوم الساعة الثانية ليلاً في الخفاء وأصلى ركعتين ثم أعود للنوم مرة أخرى فيظنون أنى نائم فهذا هو العمل الصالح الوحيد الذي بيني وبين الله تعالى. فقال له سيدنا الشيخ أمين: سوف أزورك. فذهب إليه ودخل المكتبة فوجدها مكونة من أربع غرف ممتلئة بالكتب حتى تصل إلى السقف وكان السقف مرتفعًا، فقال له: قرأت كل هذا يا شيخ محمد ؟! قال قرأته وجلدت الكتب بيدى – فهو كان مُجَلِّدًا تعلم التجليد في اسطنبول – فقال له: وأين وجدت قلبك في كل هذا ؟! قال له: ما وجدته حتى الآن. قال له: إذن تأتى وتذكُر معنا، فجاء به وأجلسه أمامه في الذِّكْر وقاموا بذكر الله

فصرخ الشيخ محمد راشد صرخة كبيرة، فالشيخ أحمد مرسى لم يجد هذا الموقف مقبولا لديه.. فلماذا يصرخ؟!. ولما خرجوا قال له: والله يا بنى لقد شعرتُ بيديه تتحرك في قلبي. هؤلاء هم أرباب القلوب، والناس لا تريد أن تصدق ولا أعرف لماذا ؟! فما هو المستحيل في ذلك وما هي الخرافة في ذلك أن يوجد ناس طيبون ؟! قد يقول أحدهم :إنهم لم يجدوا من يفعل معهم ذلك.

ومما سبق نلاحظ أنّ فضيلة الدكتور علي جمعة يستطيع أن يكيّف أساليب الدعوة أيًّاً كانت بالأسلوب الملائم الذي يفهمه الناس، كما يستطيع أن يخرج من هذه الأساليب بمواطن العبرة والعظة؛ ليكون أبلغ في التأثير وأقوى في الاستجابة.

۞۞۞

الفصل الخامس

جهود فضيلة الدكتور علي جمعة في خدمة المجتمع

ويحتوي على مبحثين :

المبحث الأول :

المجتمع و أدوات بنائه عند فضيلة الدكتورعلي جمعة

وفيه مطلبين مطالب :

المطلب الأول : دور الإسلام في بناء المجتمع المعاصر عند الدكتور علي جمعة

المطلب الثاني: محاور بناء المجتمع عند فضيلة الدكتور علي جمعة

المبحث الثاني

العمل المجتمعي عند فضيلة الدكتورعلي جمعة

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : معالم العلاقة مع الآخر عند فضيلة الدكتور علي جمعة .

المطلب الثاني : مجالات العمل الخيري عند فضيلة الدكتور علي جمعة .

المطلب الثالث : الريادة المجتمعية عند فضيلة الدكتور علي جمعة .

الفصل الخامس

جهود فضيلة الدكتور علي جمعة في خدمة المجتمع

إنّ خبرة فضيلة الدكتور علي جمعة بالواقع ومتغيراته، جعلته إمامًا في هذا الباب؛ لأنّ خدمة المجتمع عند فضيلته تنطلق من «المقاصد العليا للشريعة»؛ إيمانًا من فضيلته بدور هذه المقاصد في بناء المجتمع؛ حيث يرى فضيلته أنّ علماء الإسلام قد بحثوا في القرآن والسنة، وتتبعوا القرآن آيةً آية، والسنة حديثًا حديثا، وتأملوا ما وراء هذا، وما الذي يربطه ويجمعه عندما نُجرّد الفكر، ونعمّق التفكّر، فخرج العلماء من خلال هذا التامل أنّ الإسلام، بل كل شريعةٍ أوحى بها الله إلى كل نبي، تأمرنا أن نحافظ على خمسة، سُميت بمقاصد الشريعة أو بالمقاصد العليا وهي: «حفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ الدين، وحفظ العِرض، وحفظ المال »(١).

كما يرى فضيلته أنّ خدمة المجتمع تقوم على تحويل ما تركه لنا الرسول ﷺ من كتاب وسنة إلى برامج عمل يومية وتطبيقها في واقعنا المعيشي، وإلى سلوك يعيشه الفرد منا في حياته وفيمن حوله حتى تتطور مجتمعاتنا وتعود مرة أخرى إلى الأسوة الحسنة المتمثلة في رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، وهم خير سلف لنا؛ لذلك سوف أتناول في هذا الفصل الحديث عن محاور بناء المجتمع عند فضيلة الدكتور علي جمعة، ورؤيته الإصلاحية للمجتمع والفرد، ومعالم العلاقة مع الآخر عنده، والمحاور الخمسة للعمل الخيري، والريادة المجتمعية عند فضيلته، وسيكون ذلك بمشيئة الله تعالى في مبحثين :

المبحث الأول : المجتمع وأدوات بنائه عند فضيلة الدكتور علي جمعة .

المبحث الثاني : العمل المجتمعي عند فضيلة الدكتور علي جمعة .

وفيما يلي بيان ذلك :

---

(١) انظر: مقال بعنوان « مقاصد الشريعة ودورها في بناء المجتمع » لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

المبحث الأول

المجتمع وأدوات بنائه عند فضيلة الدكتور علي جمعة

إنّ الحالة التي يعيشها المجتمع الآن من ضعف وانحطاط، وسوء للأخلاق، شيء عام في المشارق والمغارب لم ينحصر في مصر فقط، ولا في مكان آخر، وإنما هو متفاوت في درجاته؛ فمنه ما هو شديد العمق، ومنه ما هو قريب الغور، ومنه ما هو عظيم الخطر ، ومنه ما هو أقل خطرًا ، وبالإجمال فإنّ حالة المجتمع المعاصر لا ترضي أحدًا؛ فهي في تأخر مستمر، بيد أنّ هذه الأمة في الماضي كان لها التقدم و الازدهار والسيادة في الأمور المادية والمعنوية، واليقظة الجديرة بالإعجاب ،فقد انتبه الأوروبيون لهذه اليقظة ، وقدروها قدرها، فتقدموا وتأخر أهل الإسلام، حتى أتى عليهم حين من الدهر سادهم الغرباء في أرضهم، وأذلهم الأجانب في عقر دارهم.

إنّ المتأمل في حال المسلمين الأوائل يجد أنهم نهضوا وفتحوا، وسادوا وشادوا، وبلغوا هذه المبالغ كلها من المجد والرقي، بسيادة الأخلاق والمبادئ الإسلامية العالية؛ لذا يجب علينا أن نبحث عن هذه الأخلاق والقيم والمبادئ وننشدها، ونمعن في النشدان : أهي باقية في المسلمين أم ارتفعت، ولم يبقَ من الإيمان إلا اسمه ومن الإسلام إلا رسمه ، ومن القرآن إلا الترنم به ، دون العمل بأوامره ونواهيه ، إلى غير ذلك مما كان في صدر الإسلام، وأصل الشريعة.

فمن هنا رأى فضيلة الدكتور علي جمعة أهمية القيام بواجبه نحو أمته عمومًا ومجتمعه المصري خصوصًا، فقدّم فضيلته رؤى وأفكار تجعلنا عند تطبيقها نخرج من الظلمات إلى النور؛ فمن الخصائص الكبرى، و المزايا العليا للأمة الإسلامية أنّ الله تبارك وتعالى قد جعلها محاطة بالنور في جميع أنحائها وزواياها، فكيف لأمة ربها نور،

ونبيها ﷺ نور، وكتابها نور، ترضى لنفسها أن تبقَ في الظلمات ؟!

وعليه سوف أتناول في المبحث الحديث عن دور الإسلام في بناء المجتمعات من خلال رؤية فضيلة الدكتور علي جمعة، وآليات ومحاور هذا البناء، ورؤى الإصلاحية التي قدّمها فضيلته للمجتمع، وسيكون ذلك بمشيئة الله تعالى في مطالبين:

المطلب الأول : دور الإسلام في بناء المجتمع المعاصر عند الدكتور علي جمعة .

المطلب الثاني: محاور بناء المجتمع عند فضيلة الدكتور علي جمعة .

وفيما يلي بيان ذلك :

المطلب الأول

دور الإسلام في بناء المجتمع المعاصر عند الدكتور علي جمعة

الإسلام كما أنه دين رباني فهو نظام اجتماعي يربط المرء بربه وبالآخرين؛ فالفروض الشرعية كالصلاة والصدقة، والتكافل ونحوها هي أشكال اجتماعية تنحو إلى بناء مجتمع متكاتف فيما بينه، إلا إننا نلحظ أنّ هذا البناء الاجتماعي فقد حسه لدى بعض الناس حتى ظن الجاهل أنّ تخلفنا هو بسبب بنيتنا الاجتماعية، وتصور أنّ تطورنا يكون بتقليد الأمم المتقدمة ماديًا، تقليدًا في السلوك والثقافة والفكر ولم يتوقف الأمر على ذلك بل اتجه إلى ما هو أعمق وأخطر وهو تقليد المنهج.

وهذا تصور ساذج سطحي فأمتنا قوتها في تفردها وتميزها عن المناهج الأرضية، فمنهجها الاجتماعي مختلف لأنّ أصوله تنبع من الوحي؛ ولهذا عندما أصبحنا صدى سيء للمنتج الفكري والثقافي والسلوكي الغربي والشرقي، كان ذلك من أشد الأسباب للتفكك والفوضى الاجتماعية التي نعيشها، فتقليدنا للآخر جعلنا نفقد القدرة على الإبداع والإنتاج والتنافس، فمن رأى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ بناء مجتمع مستقل متميز فريد لابد أن يكون منهج القرآن والسنة، ومناهج السلف لا مسائلهم، فإنّ هذا كله هو الذي أثمر مجتمعًا فريدًا لم يرَ التاريخ مثله في ظل التقدم الذي وصلت إليه المجتمعات الآن؛ لذلك سوف أتناول في هذا المطلب دور المقاصد العليا للشريعة في بناء المجتمعات، وكذلك فروض الكفايات بشكل عام، و الوقف بشكل خاص، وفيما يلي بيان ذلك:

أولًا: مقاصد الشريعة ودورها في بناء المجتمع :

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ «مقاصد الشريعة الخمسة» تعدُّ نظامًا عامًا يحكم البلاد والعباد؛ لأنها تتعلق بالفرد، وتتعلق بالجماعات، وتتعلق بالمجتمع، وتتعلق

بالأمة، فحفظ النفس ليس فقط في حرمة القتل، حفظ النفس يتمثل أيضًا في الحفظ على الأسرة، المحافظة على جماعة المسجد دون فتن، المحافظة على العمل المدني، وعلى الجمعيات الخيرية، كل هذا في حفظ النفس(١).

وقد اهتم فضيلة الدكتور علي جمعة بقضية المقاصد اهتمامًا كبيرًا، والسبب في ذلك أنّ التطورات والتغيرات التي يشهدها واقعنا المعاصر بعوالمه المختلفة، على مستوى الأشياء، والأشخاص، والأحداث، والأفكار، تشتدُّ فيه الحاجة إلى المنهج، والإسلام دين العلم، والمنهج أهم المفردات التي يقوم عليها العلم، ومن أهم النماذج المتعلقة بالمنهج ويمكن للمسلم أن يطرحها ويعتمد عليها في هذا الزمان الصعب: «النموذج المقاصدي» ، ومن المسائل المفصلية التي تتعلق بهذا النموذج مسألة «ترتيب المقاصد»، وقد أبدع فضيلة الدكتور علي جمعة في هذا الباب؛ حيث قدّم للمجتمع بحثه الماتع حول قضية «ترتيب المقاصد» الذي تناول فيه أهمية هذا الترتيب في خدمة المجتمع.

فالمقاصد لها دور كبير في خدمة المجتمعات والنهوض بها؛ لذلك قام فضيلة الدكتور علي جمعة بتقديم رؤيته الفقهية الحضارية لترتيب هذه المقاصد؛ حيث قدّم فضيلته حفظ النفس حتى تقوم بكل ما يُكلّفها الله به، ثم حفظ العقل حتى يستطيع الإنسان أن يتلقى من ربه، وأن يفهم عن ربه، وأن يُعمّر كونه، وأن يُزكي نفسه، ثم حفظ الدين حتى تستقيم هذه الأمور؛ فالدين حكمة ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة:٢٦٩]، ثم حفظ كرامة الإنسان فالإنسان مصنوع الرب سبحانه وتعالى فكيف نُهينه؟ وكيف نعذّبه؟ والله يحبه، إنّ في ذلك عدوانًا على رب العباد، إنّ في ذلك فسادًا عريضًا في الأرض.

وعلى هذا فإنّ «مقاصد الشريعة» عند فضيلة الدكتور علي جمعة لها دور كبير

---

(١) المصدر السابق .

في حفظ الأمن المجتمعي، وهناك فرقٌ بين الأمن المجتمعي والأمن الاجتماعي، فالأمن الاجتماعي مرده إلى الأسرة، والأمن المجتمعي مرده إلى مجموع الناس، إلى الأمن والاستقرار، حتى تُهيأ لنا الأجواء للعمل، والانطلاق، والمشاركة في الحضارة العالمية، فالنفس ليست فردًا، بل هي جماعةٌ ومجتمع، بل وأمة؛ فهناك واجباتٌ علينا في حفظ نفس الأمة المحمدية إلى يوم الدين، يجب علينا أن ندافع عنها، وأن نحميها، وأن نحوطها بسياجٍ من التصرفات الرشيدة التي لا تُعطي صورةً سيئةً للإسلام والمسلمين عند العالمين، فقد أُمرتم بالدعوة إلى الله بالموعظة، والحكمة الحسنة، وعلى حد الأسوة الحسنة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

هذه رؤوس أقلام، نفهم من خلالها كيف فكّر المسلمون في قضية المقاصد، وكيف قاموا بتشغيلها في واقعهم، وكيف بحثوا في كتاب الله، وفي سنة سيدنا رسول الله ﷺ، حتى رأوا ذلك في كل آية، إما تصريحًا، وإما تلميحًا، فجمعوها حتى ألّف الشاطبي كتابه الماتع «الموافقات» في أربع مجلدات يجمع فيها تلك الكليّات، ويؤسس عليها فقهًا واضحًا، ويُكوّن بذلك عقليةً للمسلم واضحة، غابت عن كثيرٍ منا في عصرنا الحاضر.

ثانيًا: فروض الكفايات وأثرها في بناء المجتمع عند فضيلة الدكتور علي جمعة:

إنّ «مسألة فروض الكفايات» من المسائل المهمة في حياة الأمة، هذه المسألة التي غفل عنها كثير من المسلمين في الآونة الأخيرة، كما غاب عنهم ما لهذه المسألة من منزلة عظيمة ودور بارز في حياة الفرد والأمة؛ لذلك سوف نتعرف في السطور التالي رؤية فضيلة الدكتور علي جمعة في هذه المسألة مجالاتها وأثرها في حياة المجتمع، وفيما يلي بيان ذلك:

١ـ تعريف فرض الكفاية، وبيان الفرق بين فرض العين وفرض الكفاية :

تعريف فرض الكفاية: فرض الكفاية هو الذي إذا قام به بعض أفراد الأمة سقط الفرض عن الباقين.

ومعنى : «سقط الفرض عن الباقين»: سقط حرج الفرض وإثمه.

يقول الإسنوي – رحمه الله –: سمي فرض كفاية؛ لأن قيام بعض المكلفين به يكفي للوصول إلى مقصد الشارع في وجود الفعل، ويكفي في سقوط الإثم عن الباقي(١).

ويقول الرافعي: إنّ فروض الكفاية أمور كلية تتعلق بها مصالح دينية ودنيوية، لا ينتظم الأمر إلا بحصولها، فيقصد الشرع حصولها، ولا يقصد تكليف الواحد وامتحانه فيها، بخلاف فروض الأعيان؛ فإن الكل مكلفون بها، ممتحنون بتحصيلها، وهذا الحد يشمل سنة الكفاية، فإنه لم يقل: يقصد الشارع حصوله لزومًا(٢).

٢ـ الفرق بين فرض العينْ وفرض الكفاية:

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنه يمكن تلخيص وجوه الاختلاف بينهما في الآتي:

أ – أنّ فرض العين تتكرر مصلحته بتكرره ، كصلاة الظهر مثلا ، فإن مصلحتها الخضوع لله تعالى وتعظيمه ومناجاته والتذلل إليه والمثول بين يديه والتفهم لخطابه والتأدب بأدبه ، وهذه مصالح تتكرر كلما تكررت الصلاة فتجب على كل مكلف .

---

(١) انظر: « التمهيد في تخريج الفروع على الأصول » للإمام الإسنوي، صـــ ٧٤ ، طبعة مؤسسة الرسالة – بيروت .

(٢) انظر: «التحبير شرح التحرير» للشيخ علاء الدين المرداوي (٢/ ٨٧٥) ، طبعة مكتبة الرشد – الرياض .

أما فرض الكفاية فلا تتكرر مصلحته بتكرره كنزول البحر لإنقاذ الغريق ، فإن مصلحته لا تتكرر بنزول كل مكلف ، فإذا أنقذ الغريق إنسان تحققت المصلحة بنزوله ، والنازل بعد ذلك إلى البحر لا تحصل منه مصلحة إنقاذ ذلك الغريق ، فجعله صاحب الشرع على الكفاية نفيا للعبث في الأفعال(١) .

ب – فرض العين يقصد منه امتحان المكلفين به ،في حين أن المقصود من فرض الكفاية حصول الفعل دون النظر إلى الفاعل(٢) .

ج – فرض العين يؤدي إلى تحقيق مصلحة الفرد ورفع شأنه في مجال الأمر المطلوب منه ، في حين أن فرض الكفاية يؤدي إلى تحقيق مصلحة المجتمع ورفع شأنه(٣) .

د – فرض العين يطالب به جميع المكلفين ، ولا يسقط الإثم عن التاركين له بأداء البعض ، لبقاء التكليف به على التاركين له ، في حين أن فرض الكفاية يسقط عن التاركين له إذا قام به البعض وكان كافيًا(٤) .

٣ـ أهمية الفروض الكفائية عند فضيلة الدكتور علي جمعة:

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ أهمية الفروض الكفائية تأتي من خلال كونها تحقق أهدافًا عامة وفوائد متعدية إلى غير فاعلها، وهي تقف – أيضًا – أمام المفاسد والأخطار المحيطة بالأمة، فكيف يُتخيلُ مجتمعٌ بلا صناعات وبلا حرف مثل البَنَّاء والسائق والصانع والخبّاز والطبيب الماهر والمهندس الحاذق والمحاسب .. إلخ من الحرف التي تهم المصلحة العامة، وإن كانت كل حرفة على حدة تعود بالنفع على الفرد نفسه من خلال العائد المالي

(١) انظر :« الفروق للقرافي » للإمام القرافي(١/ ١٦٦)، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت .
(٢) كتاب «البحر المحيط» للإمام الزركشي(١/ ٢٤٢) طبعة دار الكتبي.
(٣) الدر المنتقى على هامش مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر(١ / ٦٣٢)، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت .
(٤) حاشية ابن عابدين ١ / ٥٣٨ ، طبعة دار الفكر ـ بيروت .

والمجتمعي الذي يتحقق له، ولما كانت فروض الكفايات تحتاج إلى همة وقدرات خاصة، لم يكلف الله سبحانه وتعالى كل فرد وكل عين على حدة، وإنما طلب الشرع وجودها على الإلزام، دون تحديد وتعيين المؤدي ؛ حتى يتقدم إلى أدائها من هو أهل للأداء، وفيه همة وبذل وتضحية وقدرة على القيام بأداء الفرض الكفائي عن باقي الأمة الإسلامية[١].

وعلى ذلك قد فَهِم المسلمون في الرعيل الأول من جيل الصحابة، ومن تبعهم بإحسان هذه الرسالة الإسلامية من خلال فهم الرسول ﷺ فكانت لهم الريادة والخيرية وقيادة العالم نحو البر والنور والأخلاق.

قد لا نجافي الحقيقة إذا رأينا أنّ سبب التخلّف الذي منيت به الأمة المسلمة – ولا تزال – يتمثّل في غياب مفهوم الفروض الكفائية عموماً ، أو انكماش هذا المفهوم في ذهنيّة المسلمين ، وعدم استشعار التكليف والمسؤولية تجاهه ، واقتصاره على ميادين تتناسب مع ذهنية التخلّف لأنها تقع على هامش الحياة ، أو تكاد تكون خارج حياة المجتمع ، فاقتصر مفهومها وميدانها على الصلاة على الميّت وتجهيزه وتكفينه ودفنه ، وكأن الأمة في حالة احتضار ؛ لا تبصر من الفروض الكفائية إلا أحكام الجنائز والموتى!

والإشكالية لم تقتصر على انكماش مدلول الفروض الكفائية أو غياب أبعادها ، وعدم الشعور بالمسؤولية الشرعية عنها ، والثواب العظيم على أدائها ؛ وإنما تجاوز الأمر ذلك إلى شيوع الروح السلبية التواكلية في فهمها وتعاطيها ، وأدى هذا الفهم القاصر إلى نتائج كارثية في واقعنا المعاصر .

كما يرى فضيلته أنّ في الأخذ بفروض الكفاية ترابط وتعضيد لأبناء المجتمع، فإنّ المجتمع إذا انعطف أوله على آخره، ارتبط آخره بأوله وصاروا جميعًا على قلب رجل واحد ، كيف لا وقويهم يحمي ضعيفهم ، وغنيهم يعطي فقيرهم، وكبيرهم يرحم صغيرهم .

(١) انظر: «فرض الكفاية وأثره في بناء المجتمع» بحث لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

وفي الأخذ بفروض الكفاية تقوية للأمة، إذ إن المتتبع لتفصيلات فروض الكفاية يري أنها تلك الأمور التي لا قوام للأمة إلا بها ، فأخذ الأمة بكل العلوم الحياتية إلي جانب العلوم الشرعية وتقوية صناعات الأمة وزراعتها وتسليحها والحرص علي استقلالها الاقتصادي وعدم تبعيتها للغير ، كل هذا يصنع أمة قوية يهابها العدو ويحتمي بها الصديق .

وعلى هذا فإنّ فضيلة الدكتور علي جمعة يسعى من خلال الاهتمام بالفروض الكفائية إلى إعادة وصل الدين بالحياة، والحضور الفعّال لقيم الدين في خضم الحياة : من إبصار دور الفروض الكفائية في بناء المجتمع وتنميته ، وتطوير الرؤية بحسب تطور الحياة ، لتبلغ آفاقًا جديدة متطوّرة[١] .

٤ـ المصالح التي تحقق بطريق الكفاية عند فضيلة الدكتور علي جمعة :

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ من مصالح الأمة ما يتحقق بطريق الكفاية وهو على أقسام[٢]:

أ ـ المصالح الدينية:

ومن تلك المصالح : الاشتغال بطلب العلم الشرعي وتصنيف كتبه ، وحفظ القرآن الكريم وحفظ السنة النبوية وإقامة الحجج والبراهين على العقيدة الإسلامية، ودفع الشبهات وحل المشكلات والاجتهاد في القضايا المستجدة .

ومنها : إقامة الشعائر الدينية كصلاة الجماعة، وصلاة التراويح في جماعة، والأذان وصلاة الجمعة وصلاة العيدين وصلاة الكسوف والخسوف، وصلاة الاستسقاء والاعتكاف وإحياء الكعبة بالحج والعمرة والصلاة والطواف والأضحية .

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

ومنها : الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستنقاذ أسرى المسلمين وإفشاء السلام ورده، وتشميت العاطس .

ب ـ المصالح الدنيوية:

ومنها : الاشتغال بالعلوم الحياتية وتعلم أصول الصناعات والحرف كالصناعة والزراعة .

ج ـ المصالح المشتركة:

بالإضافة إلى المصالح الدينية والدنيوية توجد مصالح مشتركة تجمع بين الدينية والدنيوية طلب الشرع من الأمة فعلها،ومنها : تحمل الشهادة وأداؤها، والتقاط اللقيط، وعيادة المريض، وغسل الميت وتكفينه، والقيام بالولايات والوظائف .

٥ـ أثر التقصير في فروض الكفايات على الواقع المُعاش عند فضيلة الدكتور علي جمعة :

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ التقصير في فروض الكفايات له أثر كبير على الواقع المُعاش، وفيما يلي بيان ذلك[١]:

أ ـ في ساحة العلوم الكونية :

إنّ قلة الاهتمام بالعلوم الكونية أبعدت الأمة عن فرص التسخير المتاحة للإمكانيات المكنونة تحت الأرض ، فصارت الأمة متطفّلة على الآخرين في مجال الصناعة ، رغم وفرة الأموال الإسلامية المودعة في المصارف الغربية ، وحتى وقت قريب ؛ كان بعض علماء الدين يرى أن العلوم التطبيقية البحتة لا تدخل في إطار الاهتمام الديني ، ومنهم من وصلت به السذاجة أن يقول : «إن الله قد سخّر لنا غيرنا ليتعب ويصنع ، فهم يصنعون السيارة ونحن نركبها ، وهم يصنعون الطائرة ونحن نسافر بها»، فقال فضيلة الدكتور علي جمعة معقبًا على هذا الكلام:«وهم يصنعون الصواريخ ويضربوننا بها فلم لا نرضى بذلك أيضًا ؟!!»

---

(١) المصدر السابق .

إنّ هذه العقليات الدينية – إنْ صحّ تسميتها عقليّات دينيّة – كان لها كبير الأثر في تخلّفنا عن القيام بفرض الكفاية في مجالات العلوم الكونية ، والإفادة منها لسدّ احتياجات الأمة بما يتناسب مع التحدي الحضاري الذي تواجهه ، وهذا ما أدّى إلى تأخّر أمّتنا عن الأمم.

فالأمة الإسلامية لم تتمكن من الاستفادة من طاقاتها في تكوين « مجتمع المعرفة»؛ الذي يوظّف المعرفة لإنتاج المعرفة ثم ترجمة ذلك إلى وسائل تقنية تساعد على الحفاظ على الأمة والترقي بها في مصاف الدول ذات الاستقلال والسيادة ، وهذا أمر في غاية الأهمية ، وهو من أهم الواجبات الكفائية في عصر المعرفة ووسائلها من التقنيات ، وهما عصب الحياة وسرّ البقاء .

ومجتمع المعرفة لا يقوم إلا على شيوعها بين أفراده بجنسيهم الذكور والإناث، أما إذا بقي التقصير في تعليم الإناث أو حصرهم في جوانب محدودة كالعلم الشرعي مثلاً – فهذا ما يؤخر من نهوض الأمة قرونًا لأننا بحاجة إلى كل جهد وإلى كل كفاءة يستوي فيها الذكر والأنثى مع العلم أن بعضاً من فروض الكفاية لا تقوم إلا بالإناث تحديدًا؛

لذلك لا بد من قيام نسق للابتكار يقوم على إدارة تتميز بالكفاءة ، لنقل مستجدات العلوم من خارج المجتمع ، واستيعابها في النسيج الاجتماعي ، وتنشيط إنتاج المعرفة المؤدي إلى توليد علوم وآليات جديدة تحقق التنمية المنشودة .

ب ـ في ساحة الفقه الإداري :

لم يكن اهتمام الأمة بالعلوم الإدارية بأحسن حالًا من سابقتيها ، فأصبحنا عاجزين عن الاستفادة من القدرات العقلية المتوفرة ، وتنظيمها في مؤسسة إنتاجية عالية ، وعاجزين عن أن نضع كل كفاءة في مكانها المناسب بعيداً عن مقتضى الولاءات العائلية والشخصية.

كما أصبحت دراسة العلوم الإدارية «وِرْدًا» يدرّس في الجامعات ، دون أن يساهم في حلّ المشكلات الإدارية للبلاد؛ التي تعاني من تناثر الكفاءات وهجرة بعضها ، وعدم تنظيمها في منظومة متكاملة بحيث يستفاد من طاقاتها ، ويأخذ كل واحد مكانه بقدر طاقته وعطائه، وتصبح قدرات الأمة وطاقاتها في نسيج متماسك، يدفع المجتمع إلى الأمام، وبذلك يتسنّى للأمة القيام بفرض الكفاية في هذا المجال .

ج ـ في ساحة الخطاب الدعوي :

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ ضمور الفهم في مجال الفروض الكفائية ، وقصر النظر عن إدراك آفاقها سببًا في تقليص خطاب حركات التجديد والإصلاح مما جعله يدور في فلك الواجبات العينية ، ولم يعط حيّزًا كافيًا للواجبات الكفائية ، وكانت اهتمامات معظم الحركات الإسلامية حزبيّة ضيّقة ، لم تصل إلى مستوى التصدي للمصالح العامة للأمة ، وتناولها من خلال نظرة كلّيّة شاملة .

ويقف وراء ذلك : الخلل في مناهج التعليم الدينية ، التي لا ترقى إلى مستوى تخريج فئة عالمة بمقاصد الدين في الحياة ، بل تخرّج حفظة لبعض المتون الفقهيّة والأصوليّة ، يتصدّرون للفتوى بعيداً عن معرفة الواقع وملابساته . بل زاد بعضهم على ذلك فصار ينصب العداء لمن ينصح ويوجه ويضع يده على مواطن الخلل في هذه المناهج والأساليب ويسعى إلى إقصائه بكلّ طريقة ويتوسل إلى ذلك بكلّ وسيلة .

تلك بعض الآثار المترتبة على قصور الفهم لأبعاد الواجبات الكفائية ، وتقصير الأمة في العمل بمقتضياتها في رؤية فضيلة الدكتور علي جمعة .

٦ـ مجالات فروض الكفاية عند فضيلة الدكتور علي جمعة :

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ لفروض الكفاية، مجالات كثيرة نحتاج إليها من أجل التنمية المجتمعية، وفيما يلي بيان لبعض هذه المجالات :

أ ـ الوقف: وهو سنة نبوية سبق فيها الإسلام جميع الأمم الحديثة، والوقف يعني: حبس الأصل وتسبيل المنفعة، مما يتيح الفرصة لاستمرار الموارد المالية التي تدعم الأعمال والمشاريع الخيرية الإنسانية في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والصحية والعلمية والإعلامية وغيرها إلى أكبر مدى زمني ممكن، وقد كان للوقف إسهام عظيم في نشر التعليم ودعم الدعوة ورعاية المحتاجين وتوفير الخدمات عبر تاريخ المسلمين الطويل، بل تجاوز الوقف ذلك إلى ميادين إنسانية تشمل رعاية الحيوانات وتوفير خدمات إنسانية متعددة لذوي الحاجات.

ب: إقامة مؤسسات للاجتهاد الجماعي : ومؤسسات إعداد المجتهدين والمفتيين بما يكفي لحاجات الأمة ورفع الجهل عن أبنائها وضبط حركتها علي أصول الشريعة.

ج: تحقيق الاكتفاء الذاتي : في جميع المجالات الاقتصادية بدءًا بالضرورات من زراعة وصناعة لمتطلبات الغذاء والملبس والمسكن والصحة والتعليم مما يكفل الاستقلال الاقتصادي للأمة الإسلامية وتيسير الضرورات مجانا لغير القادرين .

د ـ إقامة المعاهد التعليمية: إنّ مؤسسات البحث العلمي، ونظم التدريب، كفيلة بتقدم الأمة في جميع المجالات وتكوين العناصر المتخصصة والمدربة اللازمة لتغطية هذه المجالات ووضع النظم الكفيلة لتعبئة المدخرات والفوائض وتوجيهها للاستثمار في هذه المجالات ووضع الحوافز الربحية والضريبية المعينة علي ذلك.

و- التكافل الاجتماعي: والمعنى المقصود هنا ليس قاصرًا على ما يتبادر إلى بعض الأذهان من كون مساعدات مادية للأرامل والمطلقات ونحوه ، إنما يتعداه ليصل إلى معانٍ أخرى أكثر عمقا منها، وهي :

١- التكافل الدفاعي: المقصود بهذا النوع من التكافل مشاركة كل قادر في وجوب الدفاع والحماية لأرض الإسلام والمقدسات ليستمر شرع الله في أرضه وهذا هو

ميدان الجهاد الواسع قال الله تعالى ﴿ انفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُون ﴾ [التوبة:٤١] .

٢- **التكافل الجنائي**: المقصود به مسؤولية المجتمع متضامناً عما يقع فيه من جرائم القتل والسرقة والسطو والاعتداء، فالقاتل يقتص منه ،والسارق والذي يعتدي على الأموال والأعراض يحاسب وتنزل به العقوبة التي تردعه عن استحلال حقوق الآخرين بغير حق.

٣- **التكافل الاقتصادي**: اهتم الإسلام بالجانب الاقتصادي اهتمامًا بالغًا وندب إلى توجيه الثروة فيما يخدم مصلحة المسلمين؛ولهذا حرم الإسلام الاحتكار وطالب بالأخذ على أيدي المحتكرين لأنهم يضيقون على الناس معاشهم وأرزاقهم ،كما أن الإسلام منع من ترك الثروة في أيدي الناس العابثين سفهاء الأحلام الذين يتلاعبون بالثروات كيفما شاءوا قال تعالى: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً ﴾ [النساء:٥].

ثالثًا : أهمية الوقف و أثره على المجتمع عند فضيلة الدكتورعلي جمعة .

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ الحضارة الإسلامية اتسمت بخصائص عدة، تفردت بها عن باقي الحضارات الإنسانية، وقد رسم الطابع الخيري ركنًا أساسيًا لها، فقد حث الإسلام على التعاون على فعل الخيرات، وفتح قنوات عدة لإنفاق المال في صلاح المجتمع وإعمار نفوس الخلائق، فحين يقدم المسلم جزءا من ماله على سبيل التطوع فهو يتحرر بذلك من سلطان شهوة المال، وينفك أسره من قيود الفردية والأنانية، ليجسد التفاعل بين أبناء الأمة الإسلامية الذي ذكره رسول الله ﷺ حين قال: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى»(١) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٠١١) .

فيرى الدكتور علي جمعة أنّ «الوقف» من هذه القنوات التي شرعها الإسلام لإنفاق المال في صالح الأعمال، وهو من الخصائص التي انفرد بها الإسلام في مجال العمل الخيري، ودعا المسلمين إلى تطبيقها حرصا منه على ديمومة أعمال البر والإحسان بهدف التقرب إلى الله سبحانه وتعالى وتوثيقا للعلاقات بين أفراد المجتمع الواحد، ولذلك أجاز الشارع الحكيم الوقف على الفقراء والأغنياء، والأقرباء والغرباء، والمسلمين وغير المسلمين، الذين يعيشون في بلاد الإسلام.

ويعدُّ الوقف في نظر فضيلته أصدق تعبير وأوضح صورة للصدقة الجارية التي لا تنقطع بعد موت الإنسان، والتي ذكرها رسول الله ﷺ حين قال: « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ »[١].

ويرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ «الوقف الإسلامي» قد لعب دورًا تاريخيًا في دفع عجلة التنمية في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية والرعاية الصحية؛ حيث انتشرت الأوقاف على نطاق واسع في محيط العالم الإسلامي شرقًا وغربًا؛ حيث تبارى المسلمون في إنشاء الأسبلة باعتبارها نوعًا من الصدقة الجارية، ولم يتوقف المسلمون عند ذلك بل امتدّ الوقف الخيري إلى عمارة الأرض، فأوقفوا على المساجد والمدارس والمستشفيات، ثم تجاوز الوقف الإسلامي حاجات الناس إلى حاجات الدواب والحيوان، فوقفوا أوقافًا لها[٢]؛ لذلك سوف أتناول في السطور التالية أهمية الوقف وأثره التنموي، ومجالاته في الرؤية فضيلة الدكتور علي جمعة، وفيما يلي بيان ذلك :

١- أثر الوقف في التنمية عند فضيلة الدكتور علي جمعة:

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ «الوقف» كان على مر العصور الإسلامية

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٦٣١) .

(٢) انظر: « الوقف وأثره التنموي»، بحث لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

مصدرًا لحيوية وفاعلية المجتمع، ووسيلة للحفاظ على غايته ومنهجه؛ حيث حقق «الوقف» استقلال العالم في مواجهة السلطان، وحافظ على الكثير من الوظائف مستقلة لا ترتبط أو تخضع لأيِّ سلطان غير سلطان الشريعة، كما أن الوقف قد حافظ أيضًا على استمرار كثير من القيم الإسلامية في الواقع العملي؛ حيث وجد من وجوه الخير والبر إلا وكان له وقف(١).

وفي ذلك يقول أحد العلماء:«من مآثر الإسلام الفاضلة لإصلاح حياة المجتمع الوقف الخيري، إنه مصدر خير للمجتمع الإسلامي والدعوة الإسلامية، ولقد أدت الأوقاف الإسلامية الخيرة دورا هاما في نهضة الدعوة الإسلامية العلمية، وفي نهضة التعليم الاجتماعي الاقتصادي»(٢).

ولقد كان الوقف –وهو أحد المؤسسات الاقتصادية في الإسلام– من أهم المؤسسات التي كان لها دورها الفعال في عملية التطور والنمو الاقتصادي في مختلف عصور الإسلام، ولم يقتصر تأثير الوقف الإسلامي على المسجد وحده؛ إذ إن الروح الدينية لدى المسلمين عندما كان الإسلام مسيطرا على أذهان الناس ونابضًا بالحياة نجد أنها قد وسَّعت من هذه الأنشطة الاقتصادية، فقد أوقف المسلمون العديد من النشاطات الاقتصادية من أجل تطوير مجتمعهم بجعلها أموالا موقوفة، فأنشؤوا المستشفيات العديدة، والتي كانت هي المصدر الرئيسي للعناية بصحة الإنسان المسلم وتطوير أوضاعه الصحية، والتي فاقت في عنايتها ورعايتها للمرضى الكثير من المستشفيات الحديثة، فقد كانت رعاية الأمور الصحية حتى العصر الحديث في ديار المسلمين قد

---

(١) نظريات التنمية السياسية المعاصرة، نصر محمد عارف، ص٢٩٥، طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

(٢) انظر: «الأوقاف الخيرية ودورها في بناء المجتمع الإسلامي»، لفضيلة أ.د/ الحسيني هاشم، صـ ٣٧ ـ مجلة البنوك الإسلامية العدد ١٠/ ١٩٨٠.

اعتمدت كلية على ما خصص من أموال موقوفة على مختلف المستشفيات المتخصصة، وعلى التعليم الطبي الذي فاق ما قبله وبقي هاديًا ومرشدًا للنهضة الأوربية في نهضتها الحديثة(١).

كما يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ الوقف الإسلامي الخيري يعتبر وسيلة من وسائل علاج مشكلة الفقر في الإسلام؛ حيث إنّ المسلمين قد تتبعوا مواضع الحاجات مهما دقت وخفيت فوقفوا لها حتى إنهم عينوا أوقافًا لعلاج الحيوانات المريضة وأخرى لإطعام الكلاب الضالة.

٢ـ مجالات الوقف ودورها في خدمة المجتمع عند فضيلة الدكتور علي جمعة :

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنه يمكن القول بأنّ الأوقاف الإسلامية الخيرية قامت وتقوم بالكثير من الأدوار في مجالات عدة نتناولها في النقاط التالية(٢):

أ ـ مجال الدعوة الإسلامية:

أوقف المسلمون الدور والأرضين لبناء المساجد وصيانتها ودفع مرتبات الأئمة والوعاظ والعاملين بالمساجد، ونذكر أمثلة لذلك من حجة «وقف الأشرف برسباي» الذي كان سلطانًا على مصر في القرن التاسع الهجري، فنذكر من حجة وقف الجامع بـ«سرياقوس»: لرجل من أهل الخير والدين صالح للخطابة بالجامع الكائن بمنشأة «سرياقوس» في كل شهر من شهور الأهلة سبعمائة درهم، نصفها ثلاثمائة وخمسون درهمًا على أن يباشر وظيفة الخطابة في أيام الجمع والأعياد ويؤم بالمسلمين في صلاة الجمعة والعيدين، وفعل ما جرت العادة بفعله في مثل ذلك على الوجه الشرعي، ولرجل من أهل الخير والدين حافظ لكتاب الله العزيز يكون إمامًا بالجامع المذكور

(١) انظر: «الدور الاجتماعي للوقف» لفضيلة أ.د/ عبد الملك أحمد السيد، صـ٥٩٧.

(٢) انظر: « الوقف وأثره التنموي»، بحث لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

في كل شهر ما مبلغه ألف درهم، على أن يؤم بالمسلمين الصلوات المفروضات وصلاة التراويح في كل ليلة من شهر رمضان من كل سنة، وفعل ما جرت العادة به، ولستة نفر من أهل الخير والديانة حسان الأصوات في كل شهر بالسوية بينهم ألف درهم وثمانمائة درهم، على أن يعلن بالآذان المشروع في أوقات الصلوات في نوبته التي يقررها له الناظر وفعل ما جرت العادة به من تسبيح وتهليل وصلاة على النبي ﷺ، وغير ذلك، ولأربعة نفر من أهل الخير والديانة في كل شهر ألف درهم بالسوية بينهم على أن يكونوا فراشين بالجامع المذكور يفعلون ما جرت العادة به من كنس ومسح وبسط، وغير ذلك. ويصرف الرجل من أهل الخير والديانة والعفة والأمانة يكون خادمًا للمصاحف الشريفة والربعة الشريفة للجامع المذكور في كل شهر مائتي درهم على أن يتعاطى في كل يوم خدمة المصاحف والربعة الشريفة بالجامع على العادة في كل يوم من تجهيز المصاحف الشريفة للقراءة فيها وجمعها من أيدي القراء ووضعها في محلها[1].

ب ـ مجال التعليم:

قامت الأوقاف الإسلامية الخيرية ولا تزال بدور جليل في مجال العلم والتعليم، فقد ساهمت الأموال الوقفية في تنمية التعليم والدراسة، سواء في داخل المساجد أو في المدارس المنفصلة، إذ راعت الأموال الوقفية عملية التنمية هذه من مرحلة الطفولة حتى المراحل الدراسية العليا المتخصصة، ونجد أن نظام المدارس والتخصصات الذي انتشر بعد نمو المعرفة الإسلامية قد اعتمد كلية على الأموال الوقفية إذ لم يكن هنالك وزارة للتعليم أو تخصيصات في ميزانية الدولة، بل إنّ أغلب فقهاء المسلمين وعلماء دينهم ترعرعوا ونشئوا على ما وضعته أموال الوقف تحت تصرفهم وسهلت لهم حياتهم للتطور، ليس للعلوم الشرعية فحسب، بل للاندماج في كل فنون المعرفة التي يمكن تصورها في زمانهم.

---

(١) انظر: «حجة وقف الأشرف برسباي» لفضيلة أ.د/ أحمد دراج، نقلًا عن «استثمار أموال الوقف» لسعيد عبد العال،رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التجارة، جامعة الأزهر، صـ١٧.

فأول وقف في الإسلام هو المسجد الذي بناه رسول الله ﷺ عند دخوله المدينة، وهو مسجد قباء الذي بدأ فيه المسلمون تعلم القرآن وتعلم الكتابة والقراءة، كما ألحق بالمساجد وأسس إلى جانبها كتاتيب تشبه المدارس الابتدائية في العصر الحالي، لتعلم القراءة والكتابة واللغة العربية والعلوم الرياضية.

وقد بلغت الكتاتيب التي تم تمويلها بأموال الوقف عددا كبيرا، فمثلا عن ابن حوقل منها ثلاثمائة كُتَّاب في مدينة واحدة من مدن صقلية، كما أورد ذلك في كتابه «الجغرافي»، وذكر أن الكُتَّاب الواحد كان يتسع للمئات أو الآلاف من الطلبة.

وذكر أبو القاسم البلخي مدرسةً في ما وراء النهر كانت تسع ثلاثة آلاف طالب، ينفق عليهم وعلى الدراسة فيها من أموال موقوفة لذلك الغرض[١].

وعليه فإنّ الوقوف على التعليم والمدارس في نظر فضيلة الدكتور علي جمعة قد عضد المهن والتعليم ومد المجتمع بما يحتاج إليه من مؤهلين لكل احتياجات الإدارة من مؤهلات وظيفية مختلفة، أو لما احتاجه المجتمع من مهنيين في نشاطاته الاقتصادية والاجتماعية.

ومما يتصل بالحديث عن تأثير الأوقاف الإسلامية بمجال التعليم الإيقاف على المكتبات ودور المعرفة الأخرى المشابهة لها، إذ إن المؤسسات الوقفية التي خصصت للمكتبات قد تركت طابعها المميز العميق على مسار الحضارة الإسلامية، وعلى نشر المعرفة المتخصصة لدى العلماء المسلمين، كما ساهمت هذه الوقوف في نشر الكتاب العربي والإسلامي على نطاق واسع في وقت كانت الطباعة غير معروفة لبني الإنسان، وغير معروفة في أي مجتمع.

(١) انظر: «الدور الاجتماعي للوقف» لفضيلة أ.د/ عبد الملك أحمد السيد، صـــ٢٢٩ وما بعدها.

ج ـ مجال الصحة:

أوقف المسلمون دورًا وأرضًا لصالح علاج المرضى من المسلمين، كما وقفوا الوقوف الواسعة على إنشاء المستشفيات وعضدت أوقافهم مهنة الطب والتمريض، كما أوقفوا بسخاء على تطور الطب والصيدلة والعلوم الأخرى المرتبطة بالطب، فأنفق الوقف ليس على الإنسان ورعايته فقط، بل إنّ الحيوانات والرفق بها والعناية بصحتها قد كانت أحد مجالات اهتمامهم وإيقافهم؛ لأنّ الحيوان كان ضرورة لحياتهم، ولأنّ هذه العناية بالحيوان كانت تؤدي إلى المحافظة على الثروة الحيوانية التي اعتمدت حياة المسلمين عليها في حلهم وترحالهم، وفي أيام حروبهم وسلمهم.

ومن الشواهد التاريخية على ذلك تلك الأوقاف التي رصدت للبيمارستان المنصوري الذي أنشئ سنة ٦٨٢هـ لعلاج الملك والمملوك، والكبير والصغير، والحر والعبد، وكان هذا المستشفى الكبير الذي وصفه «ابن بطوطة» «بأنه يعجز الواصف عن محاسنه»، كان مُقسمًا إلى أربعة أقسام: للحميات، والرمد، والجراحة، والنساء، وخصص لكل مريض فرش كامل وعين له الأطباء والصيادلة والخدم، كما زود بمطبخ كبير، وكان المريض إذا ما برئ وخرج تلقى منحة وكسوة.

وقدرت الحالات التي يعالجها المستشفى في اليوم الواحد بعدة آلاف، وألحقت به مدرسة للطب يجلس فيها رئيس الأطباء لإلقاء درس طب ينتفع به الطلبة.

د ـ مجال الاقتصاد:

في الدور الاقتصادي لأموال الوقف الإسلامي الخيري ضمنت الأوقاف أن تظل مستغلة فيما عينت له ولا تباع ولا تتلف بشهوة عارضة أو سوء تصرف، وضمنت انتقال هذه الأموال إلى أجيال تتوارث المنفعة، وهكذا تظل الأوقاف الإسلامية ثروة ورأس مال يخدم مصالح عامة في كل الأحيان.

وقد كانت الأطيان الزراعية الموقوفة توزع على نظار الوقف ليقوموا بإدارتها وإصلاحها، فالقائم بشؤون الوقف كان يعمره من غلة الوقف، بل أجاز الفقهاء أن يستقرض من أجل تعميره، وبذلك راعوا مصلحة الأوقاف؛ لأنهم كانوا يأكلون من غلتها، ولأنهم كانوا مسؤولين عن تلف الأوقاف وعن غلتها، إلا إذا كان من غير تعدٍّ منهم ولا تقصير، فلا يضمنون شيئًا.

وبهذا فإنّ الأوقاف الإسلامية الخيرية تساهم في تحقيق التنمية الاقتصادية للمجتمع الإسلامي، وذلك بما تمثله من رأس مال عيني ونقدي، وبما تتميز به من وجوب البقاء والاستثمار ودوام النفع لهذا المجتمع.

وهناك العديد من الآثار الاقتصادية غير المباشرة للأوقاف، فهناك على سبيل المثال بعض مظاهر الخدمات والتسهيلات التي قدمتها آنذاك بعض الأوقاف بصورة أو بأخرى لتشجيع التجارة الداخلية، فمن ذلك إقامة أحواض المياه المخصصة للدواب، وأسبلة المياه المخصصة للإنسان، والتي تقع على طرق تجارية هامة، قدمتها الأوقاف كخدمة إنسانية مجانية، ولكن كان لها أثر هام في رواج النشاط الاقتصادي على هذه الطرق، إذ قدر لنا أن نتصور أهمية المياه بالنسبة لقوافل التجارة في هذا الزمان، ومن أمثلة ذلك أنّ محمد علي باشا قدّم في وقته الحوضين الكائنين في جرجا ودمنهور، فإنه وقفهما على أن يصب فيهما لسقي دواب المارين والمسافرين والمترددين، قاصدًا بذلك حصول الثواب المبين[١].

وعلى ذلك يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ الأوقاف كانت تعبيرًا قانونيًّا اقتصاديًّا مبكرًا في مجتمعنا عن الملكية العامة للجماعة، تعبيرًا يأتي بإرادة الفرد الحرة ووعيه الاجتماعي، فالوقف تضحية بصالح الفرد في سبيل المجموع، وهو بذلك يمثل دلالة واضحة للتكافل الاجتماعي والعمل الإسلامي المتكامل.

---

(١) انظر: «الوقف وأثره التنموي»، بحث لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

كما يرى فضيلته أنّ اهتمام الإسلام والمسلمين بوقف الأوقاف وجعلها في المجالات المختلفة، جعل منه وسيلة تنمية حقيقية للمجتمع وحل مشكلاته، يؤدي دوره في إعمار البلاد وخدمة العباد، وهذا الدور التاريخي للوقف الإسلامي يمكن له أن يتجدد في كل وقت إذا تحقق المناخ المناسب والنية الصادقة، والتخطيط السليم، ليعاود ممارسة دوره الفعال في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية في كل العالم الإسلامي.

ويرى فضيلته أيضًا أنّ القائمين على شؤون الأوقاف يمكنهم وضع الإستراتيجيات والآليات الكفيلة بجعل مؤسسة الوقف قاعدة لحلول الكثير من المشكلات الاجتماعية بدراسة آليات الأوقاف في الحضارة الإسلامية؛ ليفيد من تنوعها الكبير الذي يمثل تلمُّسًا حقيقيًّا لمواطن الحاجة في المجتمع، لتسد هذه الحاجة من خلال الأوقاف.

المطلب الثاني

محاور بناء المجتمع عند فضيلة الدكتور علي جمعة

إنّ المجتمع الإسلامي، مجتمع تسوده روح الإسلام وتعاليمه ونظمه، ويقوم على مبدأ العبودية الكاملة لله، وعلى هذا تقوم نظمه وبناءاته والذي يسعى إليه المجتمع المسلم وأفراده، هو تحقيق الصورة المثالية للإسلام، والتي هي قابلة للتطبيق الواقعي، وجهد المسلمين يتجه إلى تحقيقها في أرض الواقع، وهذا لا يكون إلا بتطبيق ما تركه لنا النبي ﷺ من كتاب وسنة وتحويلهما إلى برامج عمل يومية في مجتمعنا وواقعنا المُعاش .

ونحن في هذا المطلب نطرح سؤالًا، يجيب عنه فضيلة الدكتور علي جمعة ، وهو: كيف نحول ما تركه لنا ﷺ من كتاب وسنة إلى برامج عمل يومية وإلى سلوك يعيشه الفرد منا في حياته وفيمن حوله حتى تتطور مجتمعاتنا وتعود مرة أخرى إلى الأسوة الحسنة المتمثلة في رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، وهم خير سلف لنا؟

فكانت إجابة فضيلته على هذا السؤال: أنّ النبي ﷺ قد ترك لنا وصايا ونصائح جامعة لتكوين هذه البرامج وتطبيقها في واقعنا المعيشي.

ومن هذه الوصايا الجامعة، قوله ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[1].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٩٩) .

ويشمل هذا الحديث عدة وصايا جامعة تُكَوِّن منهجًا رصينًا ومحددًا لبناء الحضارة وتقوية أركان المجتمع، فيدعو النبي ﷺ من خلاله إلى العلم والتعلم، وإلى التكافل الاجتماعي، وإلى الانتماء الوطني، وإلى بناء الإنسان بتنميةٍ شاملة إذا أردنا أن نُعبِّر بألفاظ أدبيات العصر، ويتضمن الحديث محاور أخرى كثيرة ولكن يكفينا منها هذه المحاور الأربعة لنتدبرها ونتأملها ونحولها لواقع نبنى به حضارتنا ومجتمعنا(١):

المحور الأول: العلم:

يقول فضيلة الدكتور علي جمعة أَمَرنا النبي ﷺ بالعلم والتعلم، واستعمل الكلمة المنَكَّرة «علمًا»، والنكرة تفيد العموم لتشمل أي علم بمختلف مجالاته وغاياته، سواء لإدراك الحقيقة الكونية أو العقلية أو النقلية أو الشرعية، فالعلم هو القدر اليقيني من المعرفة، وهو إدراكٌ جازمٌ مطابقٌ للواقع ناشئٌ عن دليل، والعلم له طريقه، وإذا كان صحيحًا يُوصل إلى الله رب العالمين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨]. ونحن نحتاج إلى العلم في عصرنا هذا أشد الاحتياج، وهو في قائمة أولوياتنا الملحة، فليس هناك على خريطة وطننا في الأولويات ما هو قبل العلم، فبالعلم نستطيع أن نتحد، وبالعلم نستطيع أن نقوى ونصبح مجتمعًا قويًا، ويقول ﷺ: « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ »(٢)، وهذا التصوير لكل من ذهب يشتري كتابًا، أو كل من أراد أن يحضر مؤتمرًا، أو من كتب بحثًا يسهر فيه الليالي، أو يُجمِّع مادةً علمية من أجل أن يُدرِّس، أو أن يكتب، أو أن يُلقي محاضرة أنه يسير في طريق الجنة تشبيه إعجازي، يحث على العلم ويجعل منه هدفاً لكل مسلم فيربط الدنيا بالآخرة، ويرفع الحجاب الحاجز بين هذه الحياة، وبين مراد الله من خلقه.

---

(١) انظر: مقال بعنوان: «محاور بناء المجتمع» لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٦٤).

وكرر رسول الله ﷺ حثه على العلم في نهاية الحديث مؤكدًا محور حضارة الإسلام وهو القرآن الكريم، فعليه الخدمة، ومنه المنطلق، وإليه العودة، وبه التحاكم، فهو المعيار الذي جعله الله سبحانه وتعالى محفوظاً معجزًا ناطقًا باسم الرسالة الإسلامية إلى يوم الدين، ولذلك فلابد لكل حضارةٍ ولكل مجتمعٍ قوي أن يجعل لنفسه محورا يخدمه، والقرآن محور حضارة المسلمين فخدموه بالكتابة، وأنشأوا وأبدعوا الخط العربي، وخدموه بالتفسير، وخدموه بالفقه والإدراك، وخدموه بعلوم الحياة، لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالسعي في الأرض، وبالنظر فيها، وبمعرفة الحقيقة والبرهان، نجح المسلمون في خدمة هذا الكتاب وتحويله من نصه المسطور إلى واقع معيش وبرنامجٍ يومي.

المحور الثاني : التكافل الاجتماعي :

يقول فضيلة الدكتور علي جمعة لقد جعل رسول الله ﷺ أساس «التكافل الاجتماعي» مساعدة المعسر لتجاوز عسرته، وهو أمر يعود في النهاية بالخير على المجتمع ككل وليس مقتصرا على المعسر بتجاوز مشكلته أو المساعد بتحصيل الثواب، وإنما هي طريقة اقتصادية رشيدة يؤمن بها الاقتصاديون المعاصرون، ويسمونها التعويم: أي أننا نُعوِّم هذا الذي كاد أن يغرق، وبتعويمه يعود النفع والمصلحة على الفرد وعلى المجتمع.

المحور الثالث: الانتماء الوطني :

يقول فضيلة الدكتور علي جمعة لقد عبر النبي ﷺ بأن يكون العبد في عون أخيه، ولم يقل هنا المسلم، وإنما وسع الدائرة، وجعل الانتماء الوطني أساس التعامل، فأقر التعددية الدينية التي تندرج تحت قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٥]، وقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦]، وقوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وقوله: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا البَلَاغُ﴾ [المائدة:٩٩]، وقوله: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾[الغاشية:٢٢]، وقوله: ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾

[النساء:٨٠]، فجاء خطابه العام ﷺ تعبيرًا عن الاندماج الوطني رغم اختلاف الدين والتكاتف بين الناس رغم اختلاف العقيدة، في تعايش لم نر مثله طريقًا في الوصول إلى المجتمع القوي.

المحور الرابع: بناء الإنسان:

يقول فضيلة الدكتور علي جمعة إنّ بناء الإنسان من أهم محاور بناء المجتمعات، يقول ﷺ: «وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[1]، فالأمر ليس بالأنساب ولا الوجاهة ولا الأحساب، إنما بالعمل، فقيمة الإنسان في الوجود وفي المجتمع بعمله في عبادة الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وفي عمارة الأرض: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة:٣٠]، ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود:٦١]، يعني طلب منكم عمارها، وفي تزكية النفس: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس:٩-١٠].

هذه هي محاور بناء المجتمع الأربعة عند فضيلة الدكتور علي جمعة، والتي إذا تأملناها، وفهمناها، ثم بعد ذلك حولناها إلى برامج عمل نعيش فيها ونُفعّلها في حياتنا، لأصبح هذا المجتمع من خِيرة المجتمعات في أمور الدنيا وفي أمور الآخرة.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٩٩).

المبحث الثاني

العمل المجتمعي عند فضيلة الدكتور علي جمعة

إنّ العمل المجتمعي: هو كل مجهود بدني أو فكري أو عطاء مادي يقدّمه الفرد احتسابًا للأجر من الله تعالى دون انتظار مردود أو مصلحة شخصية، ولا يختلف اثنان حول أهمية العمل التطوعي بشتّى صوره وأشكاله ومجالاته، وهو يعتمد على روافد عدة من أهمها الرافد البشري، وليس التطوع مقصورًا على التبرع المادي بل هو مطلق، كل بحسب قدرته وجهده. وقد عقدتُ هذا المبحث لكي أتحدث فيه عن جهود فضيلة الدكتور علي جمعة المجتمعية، ومجالات العمل المجتمعي لديه، وريادته في خدمة المجتمع من خلال مؤسسة مصر الخير، وفيما يلي بيان ذلك :

المطلب الأول

معالم العلاقة مع الآخر عند فضيلة الدكتور علي جمعة

إنّ المسلمين اليوم قد بلغ تعدادهم ١٥٠٠ مليون نسمة تقريبًا، وأصبحوا يعيشون في عالم رفعت بين أقطاره السدود، وأصبح العالم قرية واحدة بموجب الاتصالات والمواصلات والتقنيات الحديثة، ولم يقتصر وجودهم في محور «طنجة-جاكرتا» «غانا-فرغانا»، بل أصبحوا في كل مكان، حتى إنّ الأقلية المسلمة في العديد من دول العالم نسبة كبيرة بالنسبة لإجمالي عدد المسلمين، وبالنسبة لعدد سكان العالم أيضًا؛ حيث يصل تعداد تلك الأقلية المسلمة - موزعة على قارات العالم ودوله- إلى ٤٠٠ مليون نسمة، بما يمثل أكثر من ٣١٪ من عدد المسلمين في العالم، وحوالي ٧٪ من إجمالي سكان العالم.

وتعني هذه الأرقام والنسب الكبيرة أن يهتم العالم بمطالب المسلمين، التي إذا ما تحققت نتج عن ذلك استقرارًا نفسيًا وفكريًا واجتماعيًا لدى المسلمين، مما يحقق الاندماج، والتضامن بين الأقليات المسلمة وبين شعوب العالم التي تعيش بينهم، والسلام بين المسلمين وبين العالم كله، حتى يشاركوا في الحضارة الإنسانية وبنائها؛ لذلك سوف أتناول في هذا المطلب الحديث عن معالم العلاقة مع الآخر عند الدكتور علي جمعة، و ضوابط هذه العلاقة، وما الوسائل المتاحة التي يمكن بها أن نصل إلى المقصود الأهم، وفيما يلي بيان ذلك :

أولًا. معالم العلاقة مع الآخر عند فضيلة الدكتور علي جمعة :

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ معالم علاقتنا مع الآخر تنقسم إلى قسمين: الطلبات التي نطلبها منهم، والمجهود الذي يجب علينا أن نبذله، وفيما يلي بيان ذلك[1] :

(١) انظر: « معالم العلاقة مع الآخر..... ضوابطها ووسائلها»، بحث لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

١ـ المطالب التي نطلبها من الآخر، وهي :

أ- تنقية مناهج التعليم :

التي تشوه صورة الإسلام والمسلمين، وتولد الكراهية لدى أطفالهم ضدنا، ولقد بذل في هذا المجال مجهود ضخم قامت به مجموعة علمية بجامعة كولن بألمانيا، وكان منهم البروفسور عبد الجواد فلاتوري، وهانس زركر، وهانس فوكنج، وزملائهم، وتتبعوا فيه بنوع من التحليل المناهج الألمانية، وما ذكر فيها من أمثال هذه الصور المشوهة، وبدأت طباعة هذه المجموعة ابتداء من سنة ١٩٨٦م، وحتى سنة ١٩٩٦ بمعهد جورج إيكرت، وترجم المرحوم فلاتوري ملخصًا لهذه الدراسة المطولة في كتيب باللغة العربية، وهي دراسة يمكن الاستفادة منها؛ حيث إن الصورة المُشَوِهَة والمُشَوَهَة، وإن كانت الدراسة قد اختصت بالمناهج بألمانيا، إلا أنه يمكن تطبيقها على باقي دول الغرب؛ وذلك لتشابه المناهج التعليمية في الغرب مع بعضها خاصة في النظر إلى المسلمين.

وفي أوائل التسعينيات قام المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن بتتبع المناهج الدراسية في أمريكا، وحصر هذه المعلومات المغلوطة، وعمل دورة للمدرسين الذين يقومون بتدريس تلك المناهج، وعرض المعلومات الصحيحة عليهم، وإرشادهم إلى مصادر المعلومات الصحيحة، والخروج من هذه الدورات بتوصية من أولئك المدرسين موجهة إلى دور النشر التي تقوم بنشر الكتب المقررة، بحذف هذه المعلومات المغلوطة، أو أن تستبدل بها الصحيح.

ولقد تم فعلا في بعض الولايات هذا الأمر، إلا إنه لم يستمر حتى نهايته، ولم تتم المتابعة عليه، ولكن هذه التجربة تبين إمكانية ذلك.

ب- تعديل القوانين سيئة السمعة :

هي تلك القوانين التي تحاصر المسلمين، وتضيق عليهم، أو تصطدم مع حريتهم في الحياة، أو في تطبيق أوامر دينهم على أنفسهم، وهذه القوانين، تخالف المفهوم العام للحرية ولحقوق الإنسان، وإن كانت لا تعدم عندهم من تبرير يمكن مناقشته والتغلب عليه، بل والطعن في دستوريته بالوسائل القانونية المختلفة، وبالقنوات السياسية المتعددة، وبالمفاوضات، وبإحداث الرأي العام عن طريق المؤسسات الإعلامية التي يمكن للمسلمين أن يستعملوها، وأيضا عن طريق مراكز البحث والتأثير والتتبع، والتي تكون جماعة مساعدة في بلادهم.

وقد يكون قانون الرموز الدينية في فرنسا مثالاً صالحا لهذه القوانين، وكذلك قانون جيسو الفرنسي أيضًا، والذي يستهدف تجريم كل من يشكك في واقعة الهولوكست ويفرض قدسية عليها، ويمنع أي بحث علمي بشأنها، وكذلك القانون الأمريكي الذي يجيز التجسس على المسلمين داخل أمريكا، الذي يتعارض مع ما قررته الأمم المتحدة في ميثاق حقوق الإنسان الصادر سنة ١٩٤٨ في مادته رقم ١٢، حيث نصت : « على حظر التدخل في حياة الفرد الخاصة وأسرته وبيته ومراسلاته، كما حظرت المادة أي اعتداء على شرف الإنسان وسمعته، وأن أي فرد له الحق في الحماية القانونية ضد هذا التدخل والاعتداء» وهذا ما يسمى بحق الخصوصية للفرد، وقانون الحرية الدينية الصادر في ٢٧ يناير ١٩٩٨م، وغيرها من القوانين التي تحتاج إلى دراسة واسعة تشريعية وسياسية، وإعداد طلبات واضحة بشأنها.

ج- تعديل صورة المسلمين في الإعلام :

لابد علينا من إيجاد مساحة في الإعلام تتاح لنا لشرح حقائق ديننا وهويتنا للآخر، وهذا المطلب يتم عن طريق وزارات الاندماج التي طالما يطالبون به. وعلينا أن نفرق بين حرية الرأي والاعتقاد، وحرية التعبير، فحرية الرأي والاعتقاد مكفولة لكل أحد منذ مذهب التجاريين، وكلام آدم سميث «دعه يعمل دعه يمر» وأن هذا يقتضي تلك القضية، وهو ما لا نجد فيه بأسًا في الدين الإسلامي، الذي قرر حرية العقيدة في أجلى صورها، وأخَّر المحاسبة عليها إلى يوم القيامة، وليس في الحياة الدنيا، فقال تعالى : ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف :٢٩]، وقال سبحانه : ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ﴾ [البقرة :٢٥٦]، وقال : ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء :٨٠].

أما حرية التعبير سوف تتقاطع مع عقائد الآخرين من جهة، ومع المساواة من جهة أخرى، وإذا كانت هذه مشكلة عند كهنة الديمقراطيين من أول القرن التاسع عشر، فالعجيب أنها ما زالت مشكلة ونحن في القرن الحادي والعشرين.

بالرغم من أنهم قرروا بوضوح في كتبهم فقالوا : أن هناك رؤيتان للحرية الأولى مرفوضة : وهي ترى التحرر من القيود والضوابط جميعها، بحيث يستطيع أن يفعل الإنسان كل ما يريد، وهو الأمر الذي يحول الاجتماع البشري إلى فوضى عارمة، لا يمكن تصورها فضلا عن قبولها. والثانية : ترى أن الحرية تعني استقلال الإرادة والحرية في التعبير بما يتلائم مع الاجتماع البشري، والالتزام بالضوابط التي يتفق عليها جماعة البشر كالضوابط الدينية والأخلاقية، والعرفية التي يتصالح عليها المجتمع، والحرية بهذا المنظور توجه على أنها الوجه الآخر من المسئولية، فقبل أن يعلم الإنسان حدود التمتع بالحرية، يعلم أنه مسئول عن تلك الحرية وتلك الاختيارات والأقوال والأفعال أمام المجتمع البشري الذي يعيش به.

وبذلك يتبين لنا أن تقييد حرية الفرد -بالضوابط التي يقرها العقل والمنطق- من مقتضيات قيام المجتمع الإنساني، خاصة مع تشابك المصالح واختلاف الأهواء، وتظل الحرية معنى نسبيا يتفاوت بتفاوت الزاوية التي ينظر منها إليها حتى لو تحدد نطاقها، وأعطيت وصفًا معينًا «سياسيا أو اقتصاديا أو دينيا .. إلخ»، فقد يكون المقصود الحرية من قيد معين بالمعنى السياسي أو الحرية بقصد تحقيق غرض معين بالمعنى الاجتماعي.

د- عدم التهميش :

ونطالب بعدم التهميش، سواء بالمسلمين وحضارتهم بصفة عامة، أو للجماعات والأقليات القائمة في بلاد غير المسلمين بصفة خاصة، وهذه الحالة من التهميش شائعة في الفكر، وفي الحياة عند الآخر، وذلك عن طريق التجاهل لدور المسلمين ومكانتهم في بناء الحضارة الإنسانية، واعتبار العالم الإسلامي، أرضًا لجلب الثروات والخامات، وسوقًا للاستهلاك، فلا يزال الفكر الاستعماري شائعًا عند كثيرين من الناس، وكذلك تهميش الجماعات المسلمة، والتمييز ضدهم، وعدم إتاحة فرصة العمل لهم، أو المساهمة الكاملة، لبناء الوطن.

ثانيًا : الجهود التي يجب علينا أن نبذلها :

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ الجهود التي يجب علينا أن نبذلها نحو الآخر تتمثل في وحدة المسلمين، الذين إذا نجحوا فيها رجعوا أمة وسطى، ليكونوا شهداء على الناس، وأنا أرى أنّ أحسن ما يقرب المسلمين على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم هو دعوتهم إلى العمل الجاد الذي نحتاجه وحينئذ سيرون بأنفسهم تفاهة الاختلاف ووجوب الوفاق والاتحاد، وقد دعا فضيلته إلى العمل على :

أ ـ التقريب والتحالف بين دول المنطقة : ولنبدأ باقتراح الطريق السريع الذي يربط بين طنجة وعمان، وشبكة الطرق السريعة هذه هي أول خطوة في ربط البلدان بعضها مع بعض، وفي إذابة الفوارق، بل والعوائق، وهي لا تتدخل في استقلال الدول، ولا في أنظمتها السياسية، ولا في شئونها الداخلية، وهي لا تحتاج إلا إلى قرار ومال وتنفيذ، بل جزء كبير من ذلك الطريق موجود بالفعل ويحتاج إلى تفعيل وأن يقوم بدوره في ربط الدول بعضها مع بعض.

ب ـ السعي إلى تفعيل السوق المشتركة والتجارة البينية والاكتفاء الذاتي : عن طريق المشروعات العملاقة كالتي بين مصر والسودان خاصة لزراعة القمح، فإذا كان طعامك من فأسك كان رأيك من رأسك، وأيضًا التخصص وتقسيم العمل بين الدول العربية للوصول إلى التكامل الاقتصادي.

ج ـ توحيد العملة المتداولة : هل نأمل في السعي الحثيث لتوحيد العملة بين الأقطار العربية، ثم الإسلامية ؟! ولتأخذ وقتها من التنفيذ، وهو مطلب قديم كنا نسمع عنه من التيار القومي حتى حققته أوربا في صورة اليورو.

د ـ أشكال سياسات الاتحاد بين الأنظمة : هناك أساليب للوحدة مع الاحتفاظ بالهوية والخصوصية كالاتحاد الفيدرالي، وهو أمر يحتاج أيضًا إلى رأي عام، وتوجه صادق، وخطوط كثيرة للوصول إلى التوائم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي بين الدول العربية، وهو أمر ليس بالمستحيل حتى لو اكتنفته بعض العقبات، أو احتاج إلى كثير من الجهد والترتيب والإجراءات.

و ـ إصلاح التعليم : بالاهتمام بمراكز البحث العلمي، وتشجيع الابتكار وحمايته والاهتمام بقضايا التدريب، وبالجانب التطبيقي.

المطلب الثاني

مجالات العمل الخيري عند فضيلة الدكتورعلي جمعة

إنّ الله ـ تعالى ـ يحب أن يكون القولُ مؤيَّدًا بالعمل، وأن يكون هذا القولُ طِبقًا للاعتقاد؛ فلا نكتفي بالكلام وحده، بل لا بد أن يصدِّقَ القولُ العملَ، وأن يصدِّقَ العملُ القولَ، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) [الصف: ٢ـ٣].

فكما نهانا ربُّنا –سبحانه وتعالى– عن الكذبِ والغيبةِ والنميمةِ والنفاقِ؛ نهانا كذلك عن الظاهرةِ الصوتيةِ التي لا يصدقها العمل؛ فتسمع الكلام يُعْجِبُك، ثُمَّ لا يكونُ هناك عمل مُؤَيِّد لهذا الكلام. وانطلاقًا من هذا، ومن قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [الحج:٧٧]، من هنا يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنَّ الإنسان لا بد أن يشارك في الحِرَاك الاجتماعي، وأن يذوب في الجماعة؛ فدين الله –سبحانه وتعالى– قد دَلَّنا على الجماعة.

كما يرى فضيلته أنّ الإنسان لا بد أن يعيش مجتمعَه، كما قال ﷺ: «وَلِينُوا فِي أَيْدِي إِخْوَانِكُمْ»[(١)]، وقال أيضًا: «وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا»[(٢)]، وشدد في الوصية على الجار، فقال: «وَالله لَا يُؤْمِنُ، وَالله لَا يُؤْمِنُ، وَالله لَا يُؤْمِنُ». قيل: وَمَنْ يَا رَسُولَ الله؟ قال: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»[(٣)]. وقال ﷺ: «مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ»[(٤)]، وعندما يقول: «ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥٧٤٢) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢٥٣)، ومسلم في صحيحه (٢٥٦٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٦٧٠).

(٤) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (٧٥١) .

يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»[١] هو يتكلم على عموم الناس، على المسلم وغير المسلم؛ ومن هنا كان لا بـد أن نعيش عصرَنا، وأن نرى مشكلاتِنا وقضايانا، وأن نندمج في مجتمعنا، وأن نُقدِّم العمل على القول، وأن نشارك في العمل الاجتماعي.

ونجد في سنة نبينا ﷺ هذا الأمر بالتكافل والاندماج في المجتمع؛ فلما جاءﷺالمدينـة آخى بين المهاجرين والأنصار؛ فجعل لكـل شخصٍ من المهاجرين أخًا من الأنصار، أحـبَّ بعضُهم بعضًا حُـبًّا شـديـدًا، حتى إنَّ بعضهم عـرض على أخيـه أن يتنازل عن جـزءٍ من ماله، أو عن ماله كله، وعليه فإنّ العمل الاجتماعي - مؤيدٌ في الإسلام بكثيرٍ من الصور- وله مجالات ينبغي أن نهتم بها على رأس اهتماماتنا؛لذلك سوف أتناول في هذا المطلب أهم هذه المجالات عند فضيلة الدكتور علي جمعة، وفيما يلي بيان ذلك[٢] :

المجال الأول: «مجالُ الصحةِ» :

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أننا لا نريد في يومٍ من الأيام أن يكون العلاج قاصرًا على الأغنياء، وأن تصل تكاليف العلاج إلى غير المقدور عليه، لا نريد أن يتحول الإنسان إلى شيء يُبَاع ويُشْتَرى، فيتحول مثلًا إلى قطع غيار كما نسمع عمَّن أراد أن يبيع كُلْـيَـتَـهُ من أجل أن ينفق على أبنائه، أو مثل هذه الحالة المزرية بالإنسان التي لا يستطيع معها أن يحصل على العلاج، فهذا أمرٌ لا يرضى عنه الله ولا رسوله: أن يتحـول الإنسان إلى شيءٍ يُهمَـل، أو إلى شيءٍ يبـاع ويشـترى، أو إلى شيءٍ منبـوذ، أو لا يكون له الحق فيما هو واجب على المجتمع كله من الصحة أو العلاج.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (١٩٢٤) .

(٢) انظر : « وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، صـــ ٢٩٥، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع.

المجال الثاني: «مجالُ التعليمِ» :

هذه أمة «اقرأ»، وأول ما نزل من القرآن: «اقرأ». هذه أمة قال لها ربُّها: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:٩]،قال لها ربها: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]، قال لها ربها -ما معناه-: إنَّ العلم مع المحبرة إلى المقبرة، من المهد إلى اللحد، فيقول: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦]، و«ذي علم»: تعني أنَّه عالم، وأما «عليم» فصيغة مبالغة، ومعنى هذا: أنَّ العلم لا يعرف الكلمة الأخيرة، وأنَّ العلم لا ينتهي، فلا يزال الإنسان يتعلم وتكون معه المحبرة يكتب بها إلى أن يصل إلى المقبرة، ومهما بلغ من العلم فهو ما زال يعلم بعض الشيء ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ معناها: استمرار العلم ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]، ومعنى هذا: أنَّ الإنسان كلما تعلَّم علمًا يوصل إلى الله -سبحانه وتعالى- في أي مجال كان -وهو المقام المستنير-، فإنَّه يتضاءل أمام نفسه؛ لأنَّه كلما اتسعت مساحة معرفته؛ فإنَّه يكتشف أنَّ الباقي له أكبر بكثير جدًّا مما عَلِم؛ ولذلك فهو متواضع لربه، لا عن دعوى، ولا عن مجرد إثبات حالة، ولا عن تمثيل ولا نفاق؛ بل شعور داخلي نابع من قلبه ووجدانه، فمثلًا هو يعرف الآن مليون معلومة، وعرف أيضًا أنَّ مليار معلومة من المعلومات المتاحة يجهلها، ثم إنَّه إذا عرف ذلك المليار علم أنَّ ما يجهله عدد لا نهاية له، كما قال ربنا: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥]، ومن أجل ذلك هو يخبت لربه ويخشع ويتواضع تواضعًا حقيقيًّا.

كما يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ التعليم أساسٌ من الأسس التي أتى بها الإسلام، لكن لو نظرنا إلى حال أمة «اقرأ» لوجدنا أنَّ الأمية الفعلية فيها تزيد على (٥٠ ٪)، والإحصاءات الرسمية تأتي فوق (٣٠ ٪). أمة «اقرأ» التعليم فيها أصبح تعليمًا روتينيًّا، وأصبحت جامعاتنا متأخرة عن جامعات العالم، بعد أن كانت هذه هي أرضًا للحضارة ومنبعًا للعلم.

المجال الثالث: «الْبَحْثُ الْعِلْمِيُّ»:

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ هذه القضية شأنها الآن في واقع المسلمين شأن الفروض المهِمَّات التي لا يمكن أن نقلل من شأنها أو نحطها عن مرتبة الفرض والواجب؛ فالبحث العلمي في غاية الأهمية، وهو يختلف تمامًا عن التعليم؛ فهو يحتاج إلى مراكز بحثية وإلى معامل، ونلاحظ أنَّ شركات الأدوية العالمية لا وجود لها في مصر؛ وذلك من أجل عدم وجود البيئة البحثية العلمية؛ فيجب علينا أن نهتم بالبحث العلمي لأنَّه سرُّ قوة الأمم، وهو الذي سيمكِّننا من المشاركة في بناء الحضارة العالمية، ونحن -بفضل الله- لا تنقصنا الكفاءات؛ فقد استطاع أربعة على الأقل أن يحصلوا على جائزة نوبل: «السَّادَات»حصل عليها في السياسة، و«نَجِيب مَحْفُوظ» في الأدب، و«أَحْمَد زُويل» في الكيمياء، كذلك لدينا علماء عالميون أمثال: «فاروق الباز»، أو «مجدي يعقوب»، أو غير ذلك ممن ساهموا في علوم الفضاء أو في الطب أو غير ذلك.

كُلُّ هذه أمورٌ تُبين لنا أَنَّا قادرون على أن نشارك في الحضارة العالمية، ولدينا الكوادر البشرية القادرة على الإبداع في شتى المجالات، ولكن تخلُّف البحث العلمي، وعدم تفعيله ووصله بالصناعة -يعد من الأسباب الرئيسية لما نحن فيه الآن من احتياج لنهضة، واحتياج لِأَنْ تُفيق الحضارةُ مرةً أخرى.

المجال الرابع: «التَّكَافُلُ الِاجْتِمَاعِيُّ»:

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أن التكافل مجال آخر مُهِمٌّ من مجالات العمل الخيري، مثل: إعالة اليتيم، والفقير، والأرامل، والمطلقات، ومَن لا مأوى لهم، ومشكلة أطفال الشوارع. هذه وأمثالها تدخل تحت مسمى: «التَّكَافُلُ الِاجْتِمَاعِيُّ».

كما يرى فضيلته أنه يجب على كل واحدٍ منَّا أن يؤدي في هذا المجال ما يستطيع

أن يؤديَهُ، وهو مجالٌ مُهِمٌّ متعلقٌ بالأمن الاجتماعي والاستقرار، ومتعلق أيضًا بمحو الأمية، ومتعلق أيضًا بقضيةِ البطالةِ؛ بل متعلق بكل حياة الإنسان؛ لذلك نحتاج إلى المشاركة الاجتماعية، وإلى الاهتمام بالتكافل الاجتماعي.

نجحنا والحمد لله في كثير من الجمعيات التي مارست هذا العمل، فاستطعنا أن نُعطي الإنسان صنارة نُـعَلِّمه الصيد لا أن نعطيه سمكة، لكن هناك أناس غير قادرين على الصيد، يده مقطوعة، فلا بد أن أُعْطِيَهُ سمكة. رأينا ذلك في «بنك الطعام»، ورأيناه في «دار الأورمان»، ورأيناه في مؤسسة «مصر الخير»؛ كل هذه الجمعيات نجحت كما نجح غيرها أيضًا، ونحن نريد تفعيل الجمعيات الخيرية في كل مكان؛ لأنَّ المسألة أكبر من أن تقوم بها جمعية واحدة، أو مؤسسة واحدة، وهناك طرق كثيرة للنجاح.

المجال الخامس: «الْحَيَاةُ»:

يرى فضيلة الدكتور علي جمعة أنّ مجال الحياة يشمل وجوهًا عديدة، منها: «الْفُنُون»؛ وقد نجد في بعض الأحيان من ينحرف بالفن ورسالتِه، وهذا الانحراف يكون في واقع الأمر من أجل المال، فهذا الذي انحرف يُفَرِّط في مبادئه، وقد لا يكون من أصحاب المبادئ أصلًا؛ فيتخذ الفن الرديء سبيلًا إلى المال. وهذا من المُؤَلَّفة قلوبهم ويحتاج إلى أن نُعطيَ له المال؛ من أجل أن يُـقَدِّم الفـنَّ الراقي المؤثر، وليس الفن الرديء السلبي الذي يَكِرُّ على المجتمع بالبطلان.

مجال الحياة أيضًا يشمل «الرِّياضَة»، ولا بد أن تكون الرياضة منضبطةً بما يفيد المجتمع؛ لكنَّا نجد من يطالب بإجراء المراهنات، كتلك المراهنات التي تكون في سباق الخيل... وغيرها؛ والمراهنات نوع من القمار، وهم يقولون إنهم يفعلون ذلك من أجل الرياضة، لكنا نقول لهم: لا، نحن ننفق على الرياضة، ونُعْلِي من شأنها من غير أن ننزلق إلى هذه المقامرات؛ فإنَّ الشعب الذي يتَعوَّد على المقامرة يكون هذا خللًا فيه:

١ـ من الناحية الشرعية، فهو محرم في الكتاب والسُّنَّة.

٢ـ من الناحية الاجتماعية؛ فالقمار يُسبب الإدمان كما هو مُشَاهَد، وبسببه يكون التخاصم والتناحر.

القمار مصيبة كبرى، حَرَّمَهُ الله، وهو جدير بالتحريم لأنَّه يُحَطِّم الإنسان.

مجال الحياة يشمل «الْعِمَارَة» كذلك، ويشمل أمورًا أخرى ليس هذا موضع بسط الحديث عنها.

وللعمل الخيري صورٌ ومظاهرُ كثيرة، فقد جاء الإسلام بصورٍ عديدة؛ فشرع لنا «الْوَقْف»: يمكننا أن نستمر فيه، يمكننا أن نطور قوانينه، يمكن أن نستفيد من تجارب الأمم الأخرى التي فتحت الـ Trust والـ Foundation، وهي أنواع وصور من مفهوم الوقف الإسلامي. نستفيد منهم في المحاسبة، في المراقبة، في الإدارة، في الاستثمار، في غير ذلك؛ لأنَّ الفكرة هي فكرتنا، وتلك بضاعتنا ردت إلينا.

وعليه فإنّ العمل الخيري جزأ لايتجزأ من شخصية فضيلة الدكتور علي جمعة؛ لأنّ فضيلته يرى أنّ العمل لا بد أن يؤكِّد القولَ، وألَّا نكتفي بالظاهرة الصوتية، وأنَّ العلمَ لا بد معه -والإيمان كذلك- من العمل الصالح: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة:٢٨] وأنَّ مَثَلَ الإيمان والعلم دون العمل الصالح كمَثَلِ رَجُلٍ أعرج برِجْلٍ واحدة يكون مُتألِّمًا، ويكون بطيئًا في سيره، وقد لا يُقْبَل عند ربه.

۞۞۞

المطلب الثالث

الريادة المجتمعية عند فضيلة الدكتورعلي جمعة

تعدُّ الريادة المجتمعية من أهم المداخل المعاصرة للتنمية الإنسانية؛ حيث ظهر مفهوم الريادة الاجتماعية عام «١٩٧٠م» كنوع من الحلول الاجتماعية لمشاكل التنمية، وقد استُخدم هذا المصطلح لأول مرة من قبل عالم الاجتماع جوزف بانك Joseph Banks في كتابة « علم اجتماع الحراك الانساني» وذلك عام «١٩٧٢م» ، وعبر بانكس بهذا المصطلح عن وظيفة احترافية بغايات اجتماعية ، ومع عام «١٩٨٠م» بدأت ممارسات الريادة الاجتماعي على أرض الواقع لأول مرة مع تأسيس مؤسسة أشوكا Ashoka، التي تم اعتبارها أول مؤسسة في العالم تتبني الأهداف الإنسانية في عملها، ومعها بدأت تتشكل الإرهاصات الأولي لإدارة المؤسسات الغير ربحية ذات الأهداف الاجتماعية الإنسانية. وبدأ الحديث عن«السلع الإجتماعية »، والتي اعتبرها علماء الإجتماع بمثابة رأس المال الحقيقي للمجتمع، الذي يسعي لتحقيق تغيير اجتماعي وانساني حقيقي يحسن من ثروات المجتمع ويصنع فارق انساني في جودة الحياة في المجتمعات(١).

وتطور هذا المفهوم نتيجة تراكم جهود مختلفة من أشخاص اهتموا بمجتمعاتهم وصرفوا من حياتهم من أجل فكرة فعلى سبيل المثال منظمة «أشوكا»التي أسسها «بيل درايتون» في « ١٩٨٠ م» لتقدم تمويل مبدأي للأشخاص الذين لديهم رؤية لمجتمعاتهم لمساعدتهم في تأسيس مشاريعهم الإجتماعية؛ هناك أيضًا بنك جرامين الذي أُسِس عام «١٩٧٦م » لإزاحة الفقر عن بنجلاديش وتمكين السيدات العاملات هناك؛ وكذلك

(1)- SOCIAL RESPONSIBILITY JOURNAL, VOL. 9 NO. 2 2013, Social entrepreneurship and social impact, Raghda El Ebrashi is a Lecturer of Strategic Management at the German University in Cairo.

استخدام الفنون لتوعية المجتمع كما فعل«بيل ستريكلاند» في أحد ضواحي ولاية بنسلفانيا بأمريكا في عام «١٩٨٦م»، من خلال مؤسسته «نقابة حرفيين مانشستر».

وتضمن الريادة الإجتماعية في هذا السياق تطوير مؤسسات فاعلة على أرض الواقع تمتلك درجة عالية من الحرفية في إدارة الأهداف الإنسانية والإجتماعية غير الربحية، من خلال الاستجابة للحاجات الإجتماعية من خلال توفير مصادر مالية غير تقليدية، وفي هذا السياق تتحول المؤسسة من مجرد ظاهرة أو حدث إلى ما يشبة «الكيان الاجتماعي» يحقق أهداف مستمرة علي أرض الواقع[١].

لذلك سوف أتناول في هذا المطلب الحديث عن الريادة المجتمعية في حياة فضيلة الدكتور علي جمعة، وأنها أحد مداخل التنمية الإنسانية في العصر الحديث، وفلسفة الريادة المجتمعية من تجربة فضيلة الدكتور علي جمعة في مؤسسة مصر الخير، وفيما يلي بيان ذلك:

أولًا. الريادة المجتمعية في حياة فضيلة الدكتورعلي جمعة:

تقول الدكتور رشا عبد الواحد إبراهيم: إنّ الريادة المجتمعية في حياة فضيلة الدكتور علي جمعة تعود إلى أكثر من عقد ونصف من الزمان؛ حيث دعا فضيلته في شهر نوفمبر«٢٠٠٣م» إلى إنشاء صناديق من أموال الوقف والصدقة والزكاة، تخصص لرعاية المرضى الفقراء، وهو في ذلك يقدم رؤية فقهية جديدة للدور الاجتماعي والإنساني للصدقات والأعمال الخيرة تركز علي أسلوب الاستدامة ومؤسسة العمل

(١)- Thierry Vanelslander University of Antwerp Antwerp United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland JacobDahlRendtorff Seaport CSR: .2016 . Roskilde University Roskilde Denmark innovation for economic, social and environmental objectives. Social Responsibility Journal

الخيري من أجل الارتقاء بالخدمة المقدمة للإنسان[١].

وقد سعى فضيلة الدكتور علي جمعة إلى لفت انتباه النظام الاقتصادي العالمي إلى هذا المفهوم الإنساني في عام«٢٠٠٩ م» في كلمته أمام الندوة الدينية في لندن؛ حيث قال: «يجب أن تشارك الدول الفقيرة في صياغة النظام الإقتصادي العالمي من أجل تفادي الأزمات المالية العالمية»، وفي ذات الندوة عرض فضيلته على رئيس الوزراء البريطاني جوردن براون في كاتدرائية القديس بولس بلندن وأكد له قدرة الإسلام على التغلب على كل الصعاب التي تقابل البشرية، من خلال تبني المسؤولية الإنسانية عن القرارات الإقتصادية.

كما استمرت جهود فضيلة الدكتور علي جمعة في تقديم رؤية إنسانية جديدة للزكاة وإدارتها بما يحقق أهدافها الشرعية بطريقة معاصرة؛ حيث أفتى في عام«٢٠٠٩ م» بجواز تقديم الزكاة لتزويج الشباب غير القادرين على الزواج، وتجهيز الفتيات للقضاء على العنوسة، وتأخر سن الزواج شرعًا، سواء أكانت الزكاة أموالًا أم سلعًا أم غيرها[٢].

وقد عبّر فضيلة الدكتور علي جمعة عن هذه الرؤية المعاصرة في مناهج الريادة المجتمعية لأموال الزكاة والصدقات والوقف عام «٢٠١٠م » عندما قام بمشاركة د. محمد أحمد سراج في تحقيق كتاب «قانون العدل والإنصاف في القضاء على مشكلات الأوقاف» تأليف محمد قدري باشا ضمن سلسلة تقنين أحكام الفقه الإسلامي.

كما جاء فضيلة علي جمعة في المرتبة الثانية على قائمة «أهل الخير»، بصفته رئيس مجلس أمناء مؤسسة «مصر الخير»، ومفتي الديار المصرية السابق، كأكثر الشخصيات

(١) انظر: «الريادة الاجتماعية في فكر الإمام د.علي جمعة ....نموذج مؤسسة مصر الخير»، بحث للدكتورة رشا عبد الواحد إبراهيم، صـــ٤ .

(٢) المصدر السابق .

تأثيرًا في العمل الاجتماعي، تقديرًا لمساهمته في مجال الصحة بإقامة مؤسسة «مصر الخير» لـ٧٧٠٠ عملية طبية، وإقامة ١٠٣ قوافل طبية لمرضى العيون، وإطلاق مبادرة «مصر خالية من فيروس سي»، ومشاركته في مبادرة «بيت العائلة» لترميم دور العبادة المتضررة من العمليات الإرهابية، وأيضًا للمشروعات المتميزة التي تبنتها المؤسسة، كرعاية الطلاب المغتربين في مشروع «ابن السبيل»، ورعاية الطلاب المكفوفين ضمن مشروع «المركز التعليمي لذوي الإعاقة البصرية»(١).

من خلال هذا العرض يتضح لك المنهج العام لفضيلة الدكتور علي جمعة ورؤيته لأهمية العمل الاجتماعي وتفعيله لخدمة الإنسان، وهو الأمر الذي يجعل فضيلته أحد رواد العمل الاجتماعي في العالم الإسلامي، وهو الذي ينبغي دراسته وتبيينه للاستفادة من هذا النموذج الرفيع في إثراء التجربة الإنسانية.

ثانيًا. رؤية المجتمع الدولي لشخصية فضيلة الدكتورعلي جمعة :

إنّ ما قام به فضيلة الدكتور علي جمعة من جهود مجتمعية، جعلت فضيلته محل أنظار المجتمع الدولي والإنساني، وفيما يلي عرض لبعض آراء المجتمع الدولي والإنساني لشخصية فضيلته وفكره وحركته المجتمعية، وهي كالتالي :

١- التقرير العالمي للسلام :

أشاد التقرير العالمي للسلام الصادر في عام «٢٠١١م » بفضيلة الدكتور علي جمعة، وبالجهود السلمية العالمية التي يبذلها في مجالات الدين والإعلام والثقافة والفكر، وحوار الأديان ونشر ثقافة التسامح بين شعوب الأرض. جاء ذلك خلال ندوة عقدها مركز دراسات السلام والاقتصاد «بأستراليا» على هامش اجتماع المنتدى الاقتصادي

---

(١) – انظر : مقال بعنوان: «السيسي، وجمعة، والأمين ...الأكثر تأثيرًا في مجال العمل الخيري لعام ٢٠١٣»ـ الوطن، نشر في ١٢ ديسمبر ٢٠١٣ .

العالمي «دافوس» للإعلان عن التقرير العالمي للسلام ٢٠١١م، وتكريم القيادات التي كان لها دور حيوي في نشر ثقافة السلام في العالم. ذكر التقرير حيثيات الإشادة بشخصية الشيخ علي جمعة والتي اعتمدت بالأساس على المخرجات الإعلامية وقياس تأثيرها في أكثر من ثمانين دولة حول العالم، وخلصت إلى سعيه الدائم في البحث عن المشترك بين الأديان وإعلانه الالتزام بتحسين العلاقات بين العالَمين الغربي والإسلامي في أكثر من منتدى ومؤتمر حواري لوضع أسس إيجابية للعمل المشترك(١).

٢ـ مؤسسة فوليام البريطانية :

وصفت مؤسسة فوليام البريطانية فضيلة الدكتور علي جمعة «بعملاق العلم» بسبب موقفه الجريء من التطرف، ولم لا وهو صاحب المواقف الرادعة على مستوي الفكر أو الممارسة في محاربة التطرف والإرهاب ونشر الفكر الوسطي المعتدل، والحفاظ علي التراث العلمي للأمة العربية والإسلامية.

٣ـ صحيفة التايمز البريطانية :

في عام «٢٠٠٨م» وصفت صحيفة التايمز البريطانية فضيلة الدكتور علي جمعة بـ «المفتي الحكيم»؛ حيث تمكن فضيلته من الجمع بين العقل والنقل، وقراءة الواقع بطريقة دقيقة والقدرة علي فهم النصوص الدينية المقدسة والجمع بين علوم العقل والنقل والتصوف والعلوم الاجتماعية.

٤ـ معهد السلام الأمريكي:

في عام«٢٠٠٩م » شهد له معهد السلام الأمريكي؛ حيث قالوا عنه: «شيخ نشيط في حوارات الأديان العالمية ويرى أن الحوار يزيل العوائق».

(١) -محيط. [http://www.moheet.com/٢٠١٢/ ٠١/ ٣٠/ ١٥٨٥١٩٣/ التقرير-العالمي-للسلام-يشيد-بجهود-

٥- صحيفة الواشنطن بوست:

وصفت صحيفة الواشنطن بوست فضيلة الدكتور علي جمعة بأنه «مفتي مصر، النجم الساطع في سماء الدعوة الإسلامية، وهو عالم فريد يسعى لإنقاذ الإسلام من التطرف»، وهذا ما شاهدناه جميعًا في كل حواراته، ولقاءاته المحلية والإقليمية والدولية.

٦- لجنة أيزو مصر:

قامت لجنة «أيزو مصر» في عام «٢٠١٠ م» باختيار فضيلة الدكتور علي جمعة؛ ليكون شخصية العام الدينية والفكرية؛ تقديرًا لجهوده ودوره المتميز والفعال في الارتقاء بالفكر الديني في مصر والعالم الإسلامي.

٧- من أهم ١٠٠ مفكر مؤثر عالميًا :

في عام ٢٠١٠ اختارته اليابان ضمن ١٠٠ عالم ومفكر هم الأكثر تأثيرًا على مستوى العالم.

٨- الدكتوراة الفخرية من جامعة ليفربول :

في عام «٢٠١١م» منحت جامعة ليفربول الدكتوراة الفخرية لفضيلة الدكتور علي جمعة؛ تقديرًا لجهوده الكبيرة كأحد أهم الشخصيات العالمية في نشر التسامح والتفاهم بين الأديان على مستوى العالم.

٩- منظمة التعاون الإسلامي :

منح مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة التعاون الإسلامي، ومؤسسة الشيخ زايد للأعمال الخيرية والإنسانية، شهادة شكر وتقدير لفضيلة الدكتور علي جمعة؛ تقديرًا لجهوده العلمية المتميزة، في دعم مشروعات البحث العلمي في مجال الفقه الإسلامي، والمساهمة في الإشراف على أكبر موسوعة علمية خاصة بالقواعد الفقهية

والأصولية وقواعد مقاصد التشريع الإسلامي.

١٠- ضمن قائمة الأفضل في العالم الإسلامي:

في عام ٢٠١٧ صدرت « The 500 Most Influential Muslims[(١)] »

أو ما يعرف بـ« قائمة الأفضل في العالم الإسلامي»، والتي تضم أكثر ٥٠٠ شخصية إسلامية تأثيرًا على مستوى العالم الإسلامي، وجاء ترتيب فضيلة الدكتور علي جمعة عضو هيئة كبار علماء الأزهر الشريف ومفتي الديار المصرية السابق ضمن قائمة العشرين شخصية الأكثر تأثيرا حيث احتل المركز الثامن عشر.

وهذه لم تكن المرة الأولي لفضيلة الإمام علي جمعة في قائمة الأكثر تأثيرًا في العالم منذ أن صدر التقرير، فقد استمر الإمام ضمن فئة العشرين الأكثر تأثيرا علي النحو التالي[(٢)]:

قائمة الأفضل في العالم الإسلامي – سنة الإصدار	ترتيب فضيلة الدكتور علي جمعة
عام ٢٠٠٩	احتل المرتبة رقم ١٠
عام ٢٠١٠	احتل المرتبة رقم ١٠
عام ٢٠١١	احتل المرتبة رقم ١٢
عام ٢٠١٢	احتل المرتبة رقم ١٤
عام٢٠١٣	احتل المرتبة رقم ١٢
عام ٢٠١٤	احتل المرتبة رقم ١٥
عام ٢٠١٦	احتل المرتبة رقم ١٦
عام ٢٠١٧	احتل المرتبة رقم ١٨

(١) «The Top 50 | The Muslim 50. themuslim500.com .

(٢) – THE 500 MOST INFLUENTIAL MUSLIMS، صفحة ٤٠، دخل في ١١ أكتوبر ٢٠١٦

THE 500 MOST INFLUENTIAL MUSLIMS، صفحة ٤٦ ، دخل في ١١ أكتوبر ٢٠١٦

THE 500 MOST INFLUENTIAL MUSLIMS، صفحة ٦٢ ، دخل في ١١ أكتوبر ٢٠١٦

THE 500 MOST INFLUENTIAL MUSLIMS، صفحة ٥٦، دخل في ١١ أكتوبر ٢٠١٦

THE 500 MOST INFLUENTIAL MUSLIMS، صفحة ٦٢، دخل في ١١ أكتوبر ٢٠١٦

ثالثًا: جهود فضيلة الدكتور علي جمعة المجتمعية «مؤسسة مصر الخير» نموذجًا:

لم تكن مؤسسة مصر الخير أول عمل إنساني مجتمعي يشارك فيه فضيلة الدكتور علي جمعة، فهناك «مشروع حفظ التراث الإسلامي» الذي يهدف إلى حفظ التراث الإسلامي من خلال نخبة من كبار العلماء في الأزهر الشريف يتناولون كتب التراث الإسلامي بالشرح والإيضاح ويتم تسجيل هذه الشروح بالصوت والصورة من خلال قناة «أزهر تي في».

كذلك «جمعية المكنز الإسلامي» وهي مؤسسة علمية غير هادفة للربح، أنشئت لدعم التراث الفكري والثقافي والفني الإسلامي، وحمايته ونشره بكل الطرق المناسبة، وتعمل جمعية المكنز الإسلامي على إصدار أجود الطبعات لأعمال التراث. كما كانت جمعية قوافل الخير أحد مؤسسات العمل الخيري التي أسسها الدكتور علي جمعة عام«١٩٩٦ م».

أنشئت مؤسسة مصر الخير عام«٢٠٠٧م » بهدف الاستمرار لأكثر من ٥٠٠ عام وذلك بالاستناد على هيكل مؤسسي لا يعتمد على الأشخاص بل على العمل المؤسسي؛ حيث تعمل بأحدث منهجيات العمل المؤسسي التنموي، والحرفية من أجل تنمية الإنسان في خمس مجالات أساسية، هي:«التعليم، والصحة، والتكافل الاجتماعي، والبحث العلمي، ومناحي الحياة» هذا كله تحت مظلة واحدة هي مؤسسة مصر الخير.

تعتبر مؤسسة مصر الخير مؤسسة أهلية غير هادفة للربح مشهرة تحت رقم ٥٥٥ لعام «٢٠٠٧م» طبقا لأحكام القانون رقم ٨٤ لسنة «٢٠٠٢م»، وتهدف إلى خدمة وتطوير وتمكين المجتمع المصري من أجل العودة للحياة الكريمة في جميع ربوع مصر.

ليس لمؤسسة مصر الخير أي توجه سياسي أو ديني أو حزبي، وتستقبل أموال

الزكاة والصدقات والتبرعات؛ حيث تقوم بصرف أموال الزكاة في مصارفها الشرعية، وتستثمر مؤسسة مصر الخير أموال الصدقات للحصول على عائد يتم إنفاقه على المشاريع التنموية.

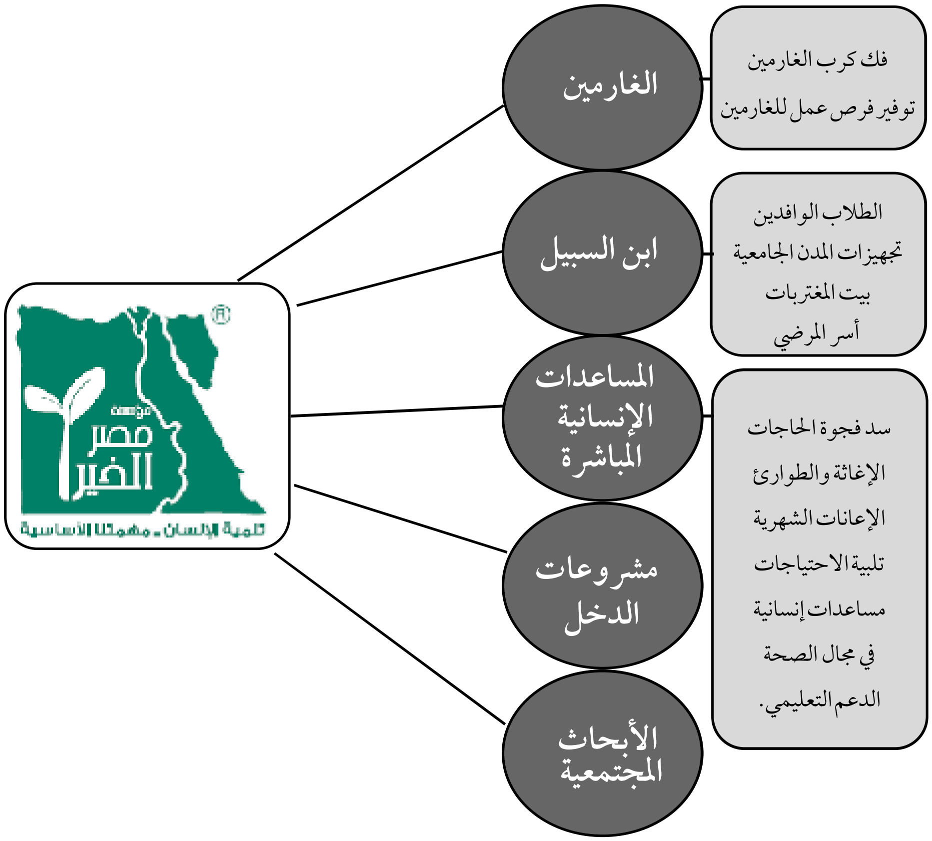
مجالات العمل التنموي الذي تتبناه مؤسسة مصر الخير:



وفيما يلي تفاصيل بعض المشاريع التي تقوم بها مؤسسة مصر الخير:

١- التكافل الاجتماعي كأحد مجالات التنمية في مؤسسة مصر الخير:

يعدُّ التكافل الاجتماعي من أهم المجالات التنموية في مؤسسة مصر الخير، وذلك للمساهمة في الارتقاء بالمجتمعات؛ لتكون قادرة على إدارة مواردها ذاتيًا، من خلال تقديم مساعدات عاجلة للمحتاجين، والغارمين، وأبناء السبيل، بالتوازي مع تنفيذ مشروعات غير تقليدية ومنتجة ومُوَلِّدة للدخل، فردية ومجمعة للأسر غير القادرة في صعيد مصر، والمناطق الحدودية للوصول بهم من حد الكفاية إلى الكفاءة.



مشاريع التكافل الاجتماعي

المشروع	الانجازات
فك كرب الغارمين	
مشروع سجاد أبيس	فرص عمل لعدد ٥٠٠ أسرة بإجمالي ٢٥٠٠ فرد
	فك كرب أكثر من ٤٤،٥٠٠ غارم وغارمة منذ بدء المشروع في ٢٠١٠ وحتى العام ٢٠١٧.
مشروع مصانع تعليم وإنتاج المفروشات اليدوية «سجن المنيا نساء»	١٢٤ أسرة، بإجمالي ٦٢٠ فرد
	تم فك كرب أكثر من ٤٤،٥٠٠ غارم وغارمة منذ بدء المشروع في ٢٠١٠ وحتى العام ٢٠١٧.

المشروع	الانجازات
مشروعات برنامج ابن السبيل	
إقامة الطلاب الوافدين	استضافة إجمالي ١١٦ طالب وافد.
	دعم إجمالي ٢٥٣ طالب و طالبة وافدين
	تم دعم ٤٢ طالب وطالبة من حلايب زشلاتين حتى الآن.
تجهيزات المدن الجامعية	تم دعم ١٢٢ مدينة جامعية.
	ويستفيد من هذه المدن الجامعية تقريباً ٧٣٤٥٥ طالب وطالبة.
بيت المغتربات	إفتتاح ثلاث دور للمغتربات في ٢٠١٦-٢٠١٧ بيت الطالبات بالتجمع الثالث بيت الطالبات بمحافظة المنوفية بيت الطالبات بمحافظة بني سويف
	تم إستضافة اجمالي ٩١٨ طالبة مغتربة حتى الآن
أسر المرضى	: تم دعم أسر المرضي بمعهد الاورام ومستشفى ٥٧٣٥٧٧ بتوفير الإقامة المناسبة لهم لإجمالي ٣٩٧ أسرة حتى الآن

المشروع	الانجازات
مشروعات برنامج المساعدات الإنسانية المباشرة.	
	توفير الملايين من وجبات الإفطار وكراتين المواد الغذائية للفقراء خلال شهري شعبان ورمضان. - وقد تم توفير افطار لأكثر من ٢،٥٠٠،٠٠٠ مليون صائم منذ بداية المشروع في ٢٠١٤، كما تم توزيع ٢٩٩،١٣١ كرتونة مواد غذائية. - حملة الشتاء: يتم توفير مجموعة متكاملة من الخدمات الأساسية من مآكل وملبس ومسكن آمن خلال كل فصل شتاء، وقد تم الوصول لـ ٦٤٤،٢٠٠٠ مستحق حتى الآن

-٢التعليم كأحد المجالات التي تقدمها مؤسسة مصر الخير

تقوم مصر الخير بدعم منظومة تعليمية متطورة تبني جيل مبتكر مبدع منتج قادر على المنافسة محليًا ودوليًا، ويسعى قطاع التعليم بمؤسسة مصر الخير إلى النهوض بعمليتي التعليم والتعلم في مصر، وذلك من خلال خلق حالة من تكامل الأدوار بين منظمات المجتمع المدني لتؤدي دورًا فاعلًا في زيادة كفاءة وفاعلية عملية التعليم وتطوير بنية وقدرات منظومة التعليم في مصر، وذلك من خلال الاهتمام بكافة عناصر العملية التعليمية بداية من الطالب، والمدرس، والمدرسة، والإدارة التعليمية، وحتى ولي الأمر وذلك في كافة مراحل العملية التعليمية، وأقسامها سواء التعليم العام أو الفني من خلال مشاريع علي مستويين:

أولًا ـ مستوى التعليم قبل الجامعي :



المشروعات التعليمية	إنجازاتها
أولا برنامح إتاحة التعليم	
بناء المدارس منخفضة التكاليف	بناء عدد (١٢) مدرسة تعليم أساسي. بواقع ١١٥ فصل تعليمي بإجمالي أعداد مستفيدين وصل إلى ٤٣٨٩ طالب وطالبة.

المشروعات التعليمية	إنجازاتها
دعم مدارس التعليم المجتمعي	يصل إجمالي المستفيدين من «دعم مدارس التعليم المجتمعي» خلال عام ٢٠١٥ إلى ٣٠٩ طالب وطالبة. تخريج عدد ٧٠٠٠ طالب وطالبة من المرحلة الابتدائية دعم وإدارة ٨٥٩ مدرسة للتعليم المجتمعي بإجمالي ٢٠٠ طالب وطالبة
التعليم الإلكتروني للأطفال في المناطق المحرومة والحدودية	يصل إجمالي المستفيدين من كوارد مهنية تعليمية وطلاب وطالبات من مشروع التعليم الالكتروني للأطفال تقريباً ٥٤١ مستفيد إفتتاح ٣٩ تجمع الكتروني يقدم فرص تعليمية لإجمالي ٤٨٤ طالب وطالبة بمحافظات مرسى مطروح والفيوم وقنا والأقصر وأسوان

المشروعات التعليمية	إنجازاتها
ثانيا : برنامج دعم التعليم الفني[1]	
مشروع تطوير مدارس التعليم الفندقي بالقاهرة	وصل عدد الطلاب المستفيدين من مشروع تطوير المدارس الفندقية خلال عام ٢٠١٥ إلى ٧٥٨ طالب فندقي توفير عدد ٢١٤ فرصة تدريبية بالفنادق لطلاب الصف الثاني بالمدارس المستهدفة تدريب عدد ١٢٠ طالب وطالبة على اللغة الإنجليزية المتخصصة بمجال السياحة والفنادق
مشروع تطوير مدارس البتروكيماويات وتطبيق منهجية STEM	استفاد من مشروع تطوير مدرسة الصناعات الفنية المتقدمة بمحافظة السويس منذ نشأته حوالي ٣٧١ طالب وطالبة ومعلم ومعلمة تجهيز كافة فصول قسم البتروكيماويات بالأجهزة والمعدات الحديثة فوز عدد ٩ طلاب (٦ طالبات و ٣ طلاب) في مسابقة انتل للعلوم بمنطقة القناة والتي تشمل ٣ محافظات أخرى كما فازوا بالمركز الثالث في نفس المسابقة على مستوي الجمهورية.

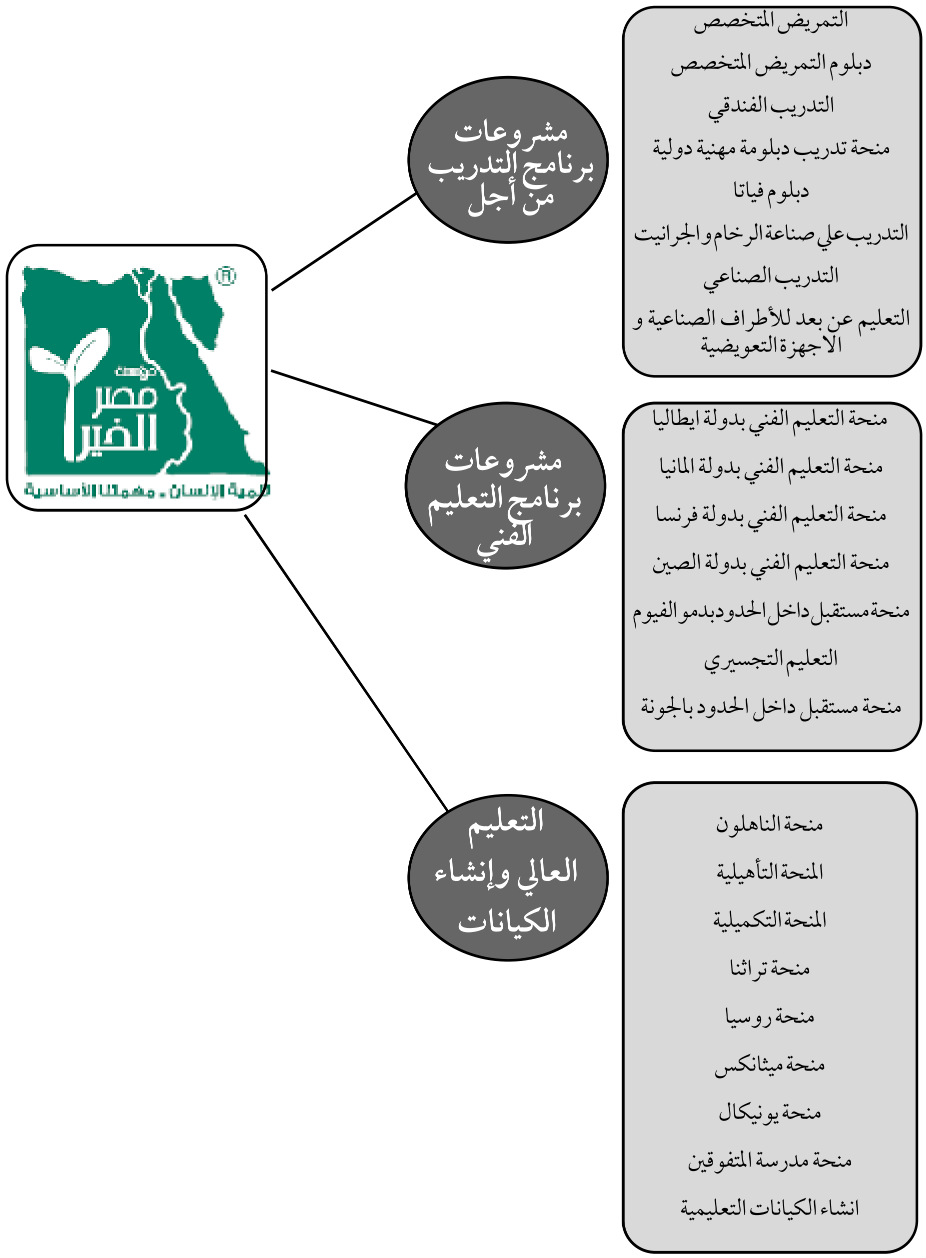
(١) للمزيد راجع: http: //www.misrelkheir.com

المشروعات التعليمية	إنجازاتها
مشروع تأهيل وتوظيف طلبة التعليم الفني الصناعي (دروسس)	اجمالي عدد المستفيدين في المشروع حتي ٣١ ديسمبر ٢٠١٥ هو ٢٢٨٥ مستفيد
ثالثًا: برنامج جودة العملية التعليمية[١]	
مشروع تنمية مهارات القراءة والكتابة لطلاب مدارس التعليم المجتمعي والمدارس الحكومية	بناء قدرات ٤٣١ معلم ومعلمة للغة العربية على البرنامج العلاجي مقسمين على محافظتي الفيوم وأسوان ٢٠٨ و ٢٢٣ على التوالي تطبيق البرنامج العلاجي للقرائية لعدد ٢٢،٢٦٧طالب وطالبة داخل ٦٥ مدرسة ابتدائية
مشروع تحسين بيئة التعليم بمدارس مصر الخير الاعدادية بسوهاج	بناء عدد ٣ مدارس بمراكز (ساقلتة – جهينة –دار السلام) وتجهيزهم بالأدوات التعليمية الضرورية مثل الأثاث والمكتبات ومعامل العلوم ومعامل الحاسب الآلي وذلك لضمان جودة الفرصة التعليمية التي يتلقاها الطلاب -بناء قدرات عدد ٦٩ معلم حول استراتيجيات التعلم النشط والوسائل التعليمية واستخدام السبورة الذكية وإدارة الصف -تنفيذ أنشطة رياضية واجتماعية وثقافية صيفية للدارسين.

(١) (١) للمزيد راجع: http: //www.misrelkheir.com

المشروعات التعليمية	إنجازاتها
مشروع التعليم الإعدادي لخريجي محو الامية	-دعم وإدارة ١٢٨ فصل بمحافظتي الجيزة والفيوم بواقع إجمالي ١٠٠٨ طالب وطالبة، و٢٣٥معلم ومعلمة وبلغت نسبة النجاح للسنوات الثلاثة السابقة ٢٥٪ بالصف الثالث الإعدادي -تخريج ٤٩٧ طالب وطالبة محو أمية
مشروع مركز رعاية المكفوفين	-نجح مركز الإعاقة البصرية بمحافظة سوهاج في تقديم خدماته التعليمية لعدد ١٣٢٦ طالب وطالبة من ذوي الإعاقة البصرية -تجهيز مركز ابصار جامعة الازهر بعدد ١٢ جهاز كمبيوتر وطابعة تحميل برنامج ابصار على كل جهاز.

ثانيًا ـ مستوى التعليم العالي:

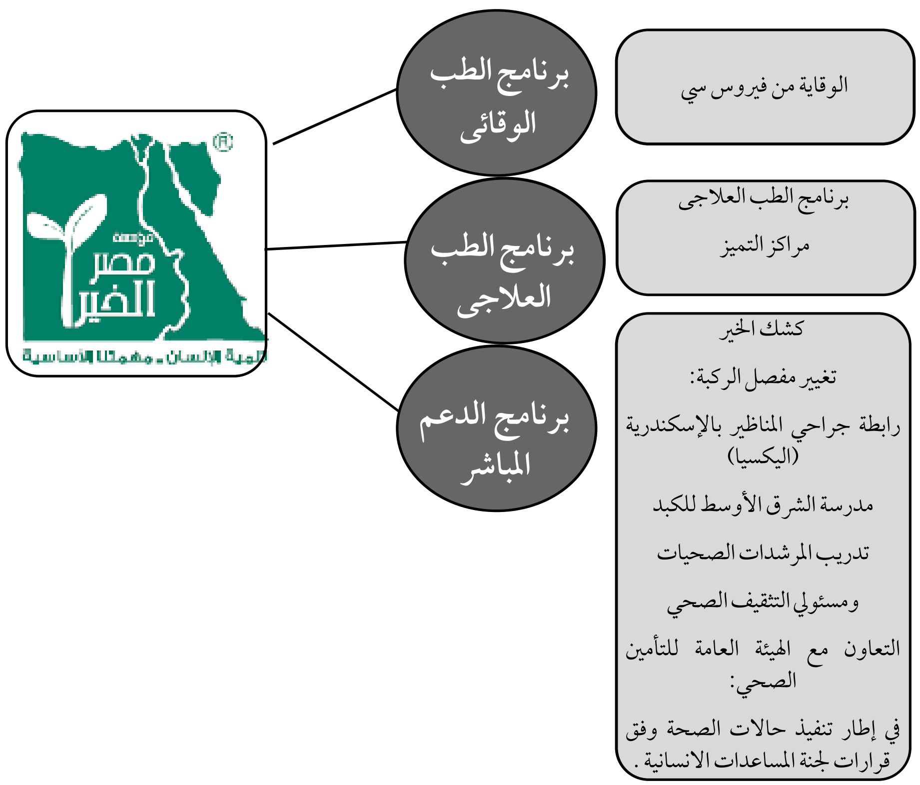


المشروعات	الانجازات
أولًا : مشروعات برنامج التدريب من أجل التشغيل	
التمريض المتخصص	في عام ٢٠١٣ و ٢٠١٤ تم تدريب ٦٥ ممرضات تدريب تقنى وتدريب بناء شخصية ودورات في اللغة الإنجليزية، وتدريب ٩٠ ممرضة على بناء الشخصية في محافظة أسيوط في يناير ٢٠١٥ تم تدريب عدد ٢٣ ممرضة وممرض في مستشفى أسوان العام و مستشفيي أبو الريش الياباني
دبلوم التمريض المتخصص	تم تخريج عدد ٣٤١ متدرب بكل من جامعة المنيا وأسوان وأسيوط وعين شمس بالقاهرة ليصبحوا حاصلين على شهادة مساعد خدمات صحيه وادراجهم للعمل داخل المستشفيات
التدريب الفندقي	-تخريج عدد ١٢٢ متدرب في مجالات الفندقة وهى (المطبخ – خدمه المطاعم والحفلات – الاشراف الداخلي – الاستيوارد) . - وتوفير فرص عمل لهم بنسبه ٨٠ ٪ تشغيل بالفنادق والمطاعم السياحية

المشروعات	الانجازات
الدبلومات الفنية المتخصصة	-بدأت الدفعة الأولي من المنحة لخدمة ٢٥٠ مستفيد من الشباب و الشابات في آخر ديسمبر ٢٠١٥
التعليم عن بعد للأطراف الصناعية و الاجهزة التعويضية	-التوقيع علي مذكرة تفاهم بين منظمة "سيقوى" ومؤسسة مصر الخير و شركة اورثوميديكس سفر عدد ٣ أفضل طلاب الي تركيا لحضور بعض التدريبات العملية
ثانيا: مشروعات برنامج التعليم الفني.	
منحة التعليم الفني بدولة ايطاليا	في هذا العام الأكاديمي ٢٠١٥/٢٠١٦، سوف يتم تخريج الدفعة الأولي من منحة ايطاليا والذين قد التحقوا بالمنحة في العام الأكاديمي ٢٠١١/ ٢٠١٢ وبذلك سوف يكونوا قد اكملوا ٥ سنوات دراسية في العام الأكاديمي ٢٠١٦/٢٠١٧، سوف يتم تخريج الدفعة الثانية من منحة ايطاليا والذين قد التحقوا بالمنحة في العام الأكاديمي ٢٠١٢/ ٢٠١٣ وبذلك سوف يكونوا قد اكملوا ٥ سنوات دراسية
منحة التعليم الفني بدولة الصين	تم ابتعاث عدد ٢٢ طالب و طالبة جدد لدراسة تخصص الاتصالات و الالكترونيات بمعهد بكين بجمهورية الصين الشعبية.

ثالثًاـ مجال الصحة :

يعدُّ قطاع الصحة بمؤسسة مصر الخير قطاع رائد في تعزيز صحة المواطن المصري، من خلال تطوير المنظومة الصحية لتقديم خدمة متميزة لعلاج ومكافحة الأمراض الأكثر انتشارا فى المجتمع المصري. وهذا المجال يرتكز علي عدد من البرامج نعرضها علي النحو التالي :



أولا : برنامج الطب الوقائي	
الوقاية من فيروس سي.	تم الانتهاء من أنشطة المرحلة الأولى للبرنامج القومي "مصر خالية من فيروس سي" في أربع محافظات وهى: الفيوم – المنيا – سوهاج وقنا
برنامج الطب العلاجي	قوافل (قرية خالية من فيروس سي) لعلاج مرضى فيروس سي بالقرى: قد تم العمل على ٧ قوافل طبية لعلاج فيروس سي حتى الآن. قوافل المسح الطبي لطلاب المدارس: تستهدف تلك القوافل المسح الشامل لطلاب المدارس بشكل خاص، وتقوم بتقديم خدمات الكشف والعلاج والتحاليل الشاملة والعمليات الجراحية لجميع الطلاب

مراكزالتميزالطبي	وحدة أمراض الدم وزرع النخاع – مستشفى أبو الريش: إجراء ٢٠ عملية زرع نخاع للأطفال مركز الدكتور ياسين عبد الغفار لبحوث وأمراض الكبد: إمداد المركز بأجهزة أشعة عالية التقنية مستشفى الراجحي للكبد: دعم إجراء عمليتين لزراعة الكبد لأول مرة في صعيد مصر توفير التدريب على "انعاش القلب" للمشروع القومي لمواجهة اخطار السكتة القلبية وحدة مناظير الجهاز الهضمي والكبد بمستشفيات جامعة اسيوط إمداد الوحدة بمناظير الجهاز الهضمي مستشفى ابو الريش الياباني "الاطفال الجامعي" تجهيز الرعاية القلبية الحرجة لخدمة الاطفال مرضى القلب مستشفى صدر العباسية: إمداد وحدة العناية المركزة بالمستشفى بجهاز تنفس صناعي مستشفى الحسين الجامعي: تسليم جهاز القسطرة البالونية لخدمة مرضى عمليات جراحة القلب توفير مناظير الجهاز الهضمي وجهاز الكي لوحدة مناظير الجهاز الهضمي – جامعة القاهرة

ثانيا: مشروعات برنامج الطب العلاجى	
قوافل مصر الخير الطبية	تقوم قوافل مصر الخير الطبية بتوصيل الخدمات الطبية للمرضى الأكثر استحقاقاً في المناطق ذات الاحتياج لذلك الدعم الطبي والخدمات التي يصعب على أهلها الوصول لمستشفيات أو مراكز طبية
القوافل الطبية الشاملة	تشمل عدد كبير من التخصصات الطبية مثل: الباطنة، والعظام، وطب النسا، وطب الأطفال، والأنف والأذن، والجراحة والمسالك، التحاليل المعملية، الجلدية، الباطنة. ويتم توفير العلاج بالكامل بالإضافة للتحاليل اللازمة والفحوصات والعمليات الجراحية إن استلزم ذلك لحالة المريض. وقد تم تنفيذ ٣٥ قافلة طبية شاملة حتى الآن
ثالثا: برنامج الدعم المباشر	
كشك الخير.	تم تقديم المساعدة العلاجية لعدد ١٨١٣ حاله. تم تنفيذ صرف علاج شهري لعدد ١١٢٠ حالة. تجديد العلاج لـ ١٧٠ مريض. عرض ٣٣٠ مريض على أخصائي.
تغيير مفصل الركبة	تم الانتهاء من إجراء إجمالي ٤٣ عملية تغيير مفصل الركبة
تدريب المرشدات الصحيات – ومسئولي التثقيف الصحي	: تم الانتهاء من تدريب عدد (٦٠٥) مرشده صحية و (٢٠٠) مشرفة بمحافظة أسيوط.

رابعًا ـ مناحي الحياة:

مشاريع توصيل مياة صالحة للشرب	
مشروع توصيل المياه الصالحة للشرب	- توصيل ٣٠٧ وصلة. - تطوير ١٧ قرية. - انشاء محطة مياة تخدم ٢٢,٠٠٠ مواطن.
	- توصيل ٢٤٠ توصيلة مياه من أجمالي ٢٦٩ توصيلة.
	- تجهيز الوحدة الصحية بالتجهيزات والمعدات اللازمة لخدمة أهالي القرية.
	الأقصر: تم تنفيذ ١٦٠ وصلة مياه في قري الضبعية وتوابعها–مركز القرنة–محافظة الأقصر،ذلك بالتعاون مع مصرف أبو ظبي الإسلامي،وبهدف تحسين المستوى المعيشي ل ٢٠٥ أسرة من غير القادرين بهذه القرى.
	إستكمالاً للتعاون مع بنك CREDIT AGRICOLE تم تنفيذ ١٠٧٩ وصلة مياه

ومن خلال ما سبق عرضه، تقول الدكتورة رشا عبد الواحد إبراهيم : بعد هذا العرض يتضح لك أن مؤسسة مصر الخير والتي تعمل في المجتمع المصري منذ عام «٢٠٠٧ م» إلى الآن أي ما يزيد على العشر سنوات حققت أرقامًا نعرضها في الشكل التالي:

عدد الخدمات التي تقدمها مصر الخير في مجالات متنوعة

المجال	عدد الخدمات
التكافل الإجتماعي	14,931,092
الصحة	4,618,027
التعليم	149,138
البحث العلمي	31,835
مناحي الحياة	861,631
مجموع الخدمات المقدمة	20,591,723

إنّ ركائز الفلسفة التنموية لفضيلة الدكتور علي جمعة من خلال تتبع الدكتورة رشا عبد الواحد في بحثها الماتع«**الريادة الاجتماعية في فكر الإمام د.علي جمعة ....نموذج مؤسسة مصر الخير**» لعمل مؤسسة مصر الخير، يقوم على ما يلي :

تحرير العمل الخيري من البراجماتية الدينية :

تحرير معنى العمل الخيري في عقول العاملين في مؤسساته؛ لئلا يختلط مع أية مفاهيم أخرى تؤثر فيه، أو تمكّن المتربصين به من الولوج إليه من خلال تلك الاجتهادات. ومن أخطر تلك المفاهيم في هذه المرحلة، الربط بين العمل الخيري والدعوة إلى تيار ديني بعينه، أو استخدام العمل الخيري كنوع من الدعاية السياسية لتيارات بعينها.

حرر فضيلة الدكتور علي جمعة العمل الخيري من كل هذه الغايات، وربطه فقط بالإنسانية وخدمة المجتمع.

استدامة العمل: «نهج دائم ومتوازن للنشاط الاقتصادي والمسئولية البيئية والمنفعة المجتمعية». الاستدامة تتعلق بتحقيق تحديات تمتع الأجيال القادمة بنفس أسلوب الحياة التي يتمتع بها الجيل الحالي. وهذا يقتضي بطبيعة الحال تبني منظور طويل المدى في أحداث توازن في التأثيرات الاقتصادية والبيئية و المجتمعة لنشاط الشركة.

تصحيح النظر للخدمات الإنسانية الخيرية «الكرامه في الأداء » العمل على تغيير نظرة الناس إلى العمل الخيري باعتباره عملية استجداء «شحاذة»، والنظر إليه ـ بدلًا من ذلك ـ باعتباره خدمة تقدمها الهيئات للمتبرعين متحملة مسؤولية وضع التبرعات حيث ينبغي أن توضع، وذلك من صميم تعاليم الاسلام فالمستحق للصدقات إذا لم يقبلها يعذر، فاعطاء الصدقات والذكاة عبادة وكذلك تلقيها.

التمسك بالقيم الانسانية في القيام بالعمل:

المقصود بأخلاقيات العمل «اتخاذ المسار الصحيح»،العمل بصورة اخلاقية يأخذ بعين الاعتبار كل العوامل الداخلة في ممارسة العمل التجاري، وهذه تتضمن الانتاج وعمليات الشركة و سلوكياتها مع عملائها ومع المجتمع الذي تعمل فيه. إنها تتعلق بفعل الشيء الصحيح في كل شيء تقوم به.

العمل على تغيير نظرة الناس إلى العمل الخيري باعتباره عملية استجداء «شحاذة»، والنظر إليه ـ بدلًا من ذلك ـ باعتباره خدمة تقدمها الهيئات للمتبرعين متحملة مسؤولية وضع التبرعات حيث ينبغي أن توضع.

البعد عن ربط العمل بأشخاص «تحويل العمل الخيري إلى مؤسسة احترافية»من خلال ثلاث مسارات رئيسية:

تحويل البيانات إلى معلومات

استخدمت مصر الخير أرقام الرياضيات، وأشخاصًا من ذوي المهارة التقنية والتحليلية ولو كانت بشكل بسيط. فالمهمة الرئيسية في هذه الخطوة هي تحويل أكوام من البيانات الخام إلى شيء يمكن للناس البسطاء فهمه. تحويل الأرقام والبيانات العشوائية إلى لغة مفهومة يستطيع الجميع التفاعل والتعامل معها.والمُخْرج النهائي من عملية التحويل هذه ستكون على أشكال عدة، مثل: تقارير موجزة، رسوم بيانية، جداول وغيرها.

تحويل المعلومات إلى معارف

إنّ «البيانات والمعلومات» توجد على الأوراق أو في الكمبيوتر، أما «المعرفة» فهي في الفكر الفردي للشخص.

قامت مصر الخير بتحويل المعلومات المفهومة إلى خطط ووسائل لتحقيق الأهداف، ويمكن في هذه الخطوة إقامة ورش عمل يحضرها أصحاب آراء مختلفة لمناقشة آليات تفعيل هذه المعلومات، وإن أول العمليات اللازمة لإدارة المعرفة، هي إستيقاء المعلومة الدقيقة والصحيحة وتوثيقها، ثم تبادلها عبر وسائل التفاعل المختلفة داخل المنظمة، عبر أي شبكة معلومات داخلية تتيح لكل عامل في المنظمة أن يتبادل المعرفة مع زملائه كل حسب احتياجاته.

تحويل المعارف إلى عمل

كما عرضنا في أنشطة مصر الخير نجد أنّ المؤسسة استخدمت المعلومات لاتخاذ قرارات واجراءات لتحسين الأداء، فالقرارات التي تصدر دون معلومات عادة تكون قرارات فاشلة. لأنها تقوم بمساعدة صاحب القرار في اختيار القرار الصحيح.

وعملت المؤسسة على جمع بيانات المتبرعين ليست إلا مثال ليتضح المقال، وإلا فالبيانات المهمة في المنظمة فكثيرة، ومنها:

بيانات الموظفين.

بيانات المتطوعين.

بيانات الشركات والمؤسسات.

بيانات الفقراء والمستفيدين.

بيانات الأنشطة والمشاريع.

البيانات المالية والحسابية.

البيانات التدريبية.

الخاتمة

بعد عرض الدراسة المتعلقة ببعض جوانب حياة الإمام المجدِّد فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة، وجهوده في الفقه وأصوله، والإفتاء، والحديث وعلومه، وجهوده في خدمة المجتمع، واستعراض أهم مؤلفاته وأبحاثه، نستطيع أن أوجز أهم ما انتهيتُ إليه في النقاط التالية :

١ـ لقد حظي فضيلة الدكتور علي جمعة بنشأة طيبة ؛ حيث ولد في أسرة كريمة عُرفت بالتدين والذكاء، وحب العلم والمعرفة، فوجهته إلى تحصيل علوم الدنيا والدين، مما مكنه من تولي أعلى المناصب، وفي مقدمتها التدريس الجامعي، وعضوية لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، وتوليه منصب الإفتاء، وعضوية هيئة كبار العلماء.

٢ـ يتمتع فضيلة الدكتور علي جمعة بشخصية قوية محببة جذَّابة، تنفذ إلى قلوب الآخرين بكل تقدير واحترام وإجلال وهيبة، سواء أكان الآخرون يخالفونه الرأي أم يوافقونه، وقد ساعده على ذلك تلك المواهب الفذَّة من حدة الذكاء، وقوة الحافظة والذاكرة، وحضور البديهة، ونفاذ البصيرة، وسعة الأفق، والقدرة على الكتابة بأسلوب أدبي راقٍ، كما ساعده على ذلك أيضًا أخلاقه الطيبة من إخلاص في العمل ، والحلم والأناة، والصبر على البلاء، والشكر على السراء، هذا بالإضافة إلى مواقفه في القضايا العامة .

٣ـ يتمتع فضيلة الدكتور علي جمعة في الأوساط العلمية بمكانة مرموقة، فهو أصولي بارع، وفقيه متكمن، وصاحب لسان بليغ.

٤ـ قام فضيلة الدكتور علي جمعة بجهد مشكور في تجديد الفقه الإسلامي وتطويره ومسايرته لمصالح الناس، ويتمثل هذا الجهد في تنظير الفقه الإسلامي والأصول، والدراسات الفقهية المقارنة بين المذاهب الإسلامية، والاجتهاد في القضايا المستجدة،

وصياغة الفقه الإسلامي في ثوب جديد، كما قام فضيلته باستصحاب ماقدَّمه الفقهاء القدامى كمناهج ومشارب لا كمسائل .

٥ـ لفضيلة الدكتور علي جمعة آراء فقهية واختيارات خاصة به في جميع أبواب الفقه الإسلامي، فأخذ فضيلته من كل رأي فقهي موقفًا يتبناه تبنِّيًا كاملًا، بحيث تمتزج شخصيته كلها بهذا الموقف، ويستمر في الدفاع عنه كل ما آتاه الله من قوة وحجة وصوت جهوري، وقلم مبدع، ولسان بليغ، ويعتبر دفاعه عن رأيه نضالًا وجهادًا بقدر ماهو اجتهاد واستنباط .

٦ـ لقد تسنى لفضيلة الدكتور علي جمعة أن يقدِّم إنتاجًا علميًا غزيرًا ومتنوعًا، في التفسير، والفقه ، والأصول، والحديث وعلومه، والعقيدة والدعوة والخطابة، وتاريخ التشريع وتراجم الفقهاء، والسيرة النبوية، ولقد لقيت مؤلفاته اهتمامًا كبيرًا من طلبة العلم الشرعي، وحرصوا على اقتنائها، وتُرجم الكثير منها إلى لغات أخرى غير العربية .

تم بحول الله وقوته وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

كتبه : الفقير إلى عفو ربه الغني

مصطفى رضا الأزهري

المراجع

(١) « المعجم الأوسط »لأبي القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، طبعة دار الحرمين – القاهرة.

(٢) « أثر ذهاب المحل» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، طبعة خاصة.

(٣) « إعلام الموقعين عن رب العالمين » للإمام ابن القيم، طبعة دار الكتب العلمية ـــ بيروت.

(٤) « اغتنام الفوائد شرح قواعد العقائد»للشيخ أحمد زروق ، طبعة دار الكراز ــ مصر .

« الإمام البخاري وجامعه الصحيح» لفضيلة أ.د / علي جمعة،دار الفاروق للنشر والتوزيع ـ القاهرة

(٥) « الأوامر والنواهي عند الأصوليين » لفضيلة أ.د/ علي جمعة، طبعة دار النهار للطبع والنشر والتوزيع ـ مصر .

(٦) « البداية والنهاية » للإمام ابن كثير، طبعة دار إحياء التراث .

(٧) « التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالقانون الوضعي » للدكتور/ عبد القادر عودة، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٨) « التقرير والتحبير شرح التحرير » لابن أمير الحاج، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت

(٩) « التقليد الشرعي في الأمور الفقهية وأهميته في الإسلام» لعبد الرحيم اللاجفوري ،طبعة مكتبة الحرمين للنشر والتوزيع ــ دبي.

(١٠) « التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة» ، للإمام جلال الدين السيوطي ، طبعة دار الكتب والوثائق القومية.

(١١) « الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري » محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، طبعة: دار طوق النجاة.

(١٢) « السنن الكبرى » أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، طبعة : دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات.

(١٣) « المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي » للإمام النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، طبعة : مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب.

(١٤) « المجموع شرح المهذب » للإمام النووي، طبعة دار الفكر ــ بيروت.

(١٥) « المحصول في علم الأصول » للإمام الرازي، تحقيق أ.د/ جابر طه العلواني ،طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض.

(١٦) « المستدرك على الصحيحين » لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ) ، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت.

(١٧) « المستصفى » للإمام الغزالي، طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت.

(١٨) « المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ» المعروف بـــ «صحيح مسلم» ،للإمام مسلم بن الحجاج (المتوفى: ٢٦١هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

(١٩) « تاج العروس من جواهر القاموس » للمرتضى الزبيدي،طبعة دار الهداية .

(٢٠) « تجديد علم أصول الفقه : الواقع والمقترح » لفضيلة أ.د/ علي جمعة، مجلة المسلم المعاصرـ العدد «١٢٥-١٢٦»

(٢١) « توالي التأسيس لمعالي محمد بن ادريس»،لابن حجر العسقلاني، ،طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٢٢) « جامع الأصول في أحاديث الرسول»لمجد الدين ابن الأثير ، طبعة دار البيان .

(٢٣) « جامع البيان في تأويل القرآن» المعروف بتفسير الإمام الطبري،طبعة دار مؤسسة الرسالة

(٢٤) « ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر »لابن خلدون، طبعة دار الفكر، بيروت .

(٢٥) « رؤية فقهية حضارية لترتيب المقاصد الشرعية » لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ــ مصر .

(٢٦) « سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصديق » للعلامة المحدِّث السيد عبد الله بن الصديق الغماري ، طبعة مكتبة القاهرةـ مصر .

(٢٧) « سنن ابن ماجة » ، للإمام محمد بن يزيد المعروف بـابن ماجة (المتوفى: ٢٧٣هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ،طبعة : دار إحياء الكتب العربية.

(٢٨) « سنن أبي داود » لأبي داود سليمان السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، طبعة : المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

(٢٩) « سنن الترمذي » لمحمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) ، تحقيق: بشار عواد ، طبعة : دار الغرب الإسلامي – بيروت.

(٣٠) « سير أعلام النبلاء » شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) ، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، طبعة : مؤسسة الرسالة.

(٣١) « صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان » للإمام محمد بن حبان (المتوفى: ٣٥٤هـ) ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ،طبعة: مؤسسة الرسالة – بيروت.

(٣٢) « عون المعبود شرح سنن أبي داود» للعظيم آبادي، طبعة المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة .

(٣٣) « فتح الباري شرح صحيح البخاري» للحافظ ابن حجر العسقلاني، طبعة دار المعرفة بيروت

(٣٤) « فيض القدير شرح الجامع الصغير » للإمام عبد الرؤوف المناوي ،طبعة المكتبة التجارية الكبرى ـــ مصر

(٣٥) « كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال »للإمام المتقي الهندي (المتوفى: ٩٧٥هـ) ، تحقيق: بكري حياني – صفوة السقا ، طبعة: مؤسسة الرسالة.

(٣٦) « لسان العرب » لابن منظور ،طبعة دار الكتب العصرية ـ بيروت

(٣٧) « مدى حجية الرؤيا عند الأصولين » لفضيلة أ.د/ الدكتور علي جمعة، طبعة دار الرسالة.

(٣٨) « مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح » لملا علي القاري، طبعة دار الفكرـــ بيروت.

(٣٩) « مسند الإمام أحمد بن حنبل » الإمام أحمد بن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ) ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، طبعة : دار الحديث – القاهرة.

(٤٠) « مسند الشافعي » للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (المتوفى: ٢٠٤هـ) ، طبعة : دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٤١) « نهاية السول شرح منهاج الوصول » للإمام الأسنوي، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان.

(٤٢) « وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع ـ مصر.

(٤٣) «آثار الحرب .... دراسة فقهية مقارنة » للدكتور/ وهبة الزحيلي، طبعة دار الفكر المعاصر .

(٤٤) «أدب المستفتي» لفضيلة أ.د / علي جمعة ، دار السلام للنشر والتوزيع ـ القاهرة .

(٤٥) «أسانيد المصريين» لفضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري ، طبعة دار الفقيه ـ الإمارات.

(٤٦) «أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، طبعة دارالرسالة للنشر والتوزيع ـ القاهرة .

(٤٧) «اعرف نبيكﷺ» لفضيلة أ.د / علي جمعة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة

(٤٨) «الإجماع عند الأصوليين» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، طبعة دار الرسالة ـ القاهرة .

(٤٩) «الإحياء الكبير لمعالم المنهج الأزهري المنير»، لفضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري .

(٥٠) «الآداب الشرعية» لابن مفلح، طبعة دار عالم الكتب ـ بيروت .

(٥١) «الاستعداد لرمضان» لفضيلة أ.د /علي جمعة، طبعة «مركز الدراسات المنهجية والمعرفية» ـ القاهرة .

(٥٢) «الإمام الشافعي ومدرسته الفقهية» لفضيلة أ.د / علي جمعة، دار الرسالة للنشر والتوزيع ـ القاهرة .

(٥٣) «البحر المحيط» للإمام الزركشي، طبعة دار الكتبي ـ القاهرة .

(٥٤) «البيان لما يشغل الأذهان» لفضيلة أ.د / علي جمعة، دار السلام للنشر والتوزيع ـ القاهرة.

(٥٥) «البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامي» لفضيلة أ.د / علي جمعة، دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشرـ القاهرة

(٥٦) «التجديد في أصول الفقه » للدكتورة جميلة بوحاتم، طبعة دار الفاروق ـ القاهرة

«التجربة المصرية » لفضيلة أ.د / علي جمعة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة.

(٥٧) «التربية والسلوك» لفضيلة أ.د / علي جمعة، دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشرـ القاهرة .

(٥٨) «الجهاد في الإسلام» لفضيلة أ.د / علي جمعة، مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة .

(٥٩) «الحج والعمرة أسرار وأحكام» لفضيلة أ.د /علي جمعة، طبعة «مركز الدراسات المنهجية والمعرفية» ـ بالقاهرة

(٦٠) «الحكم الشرعي عند الأصوليين» لفضيلة أ.د / علي جمعة، دار السلام للنشر والتوزيع ـ القاهرة .

(٦١) «الدعاء والذكر» لفضيلة أ.د / علي جمعة، دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر ـ القاهرة.

(٦٢) «الدين والحياة» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة .

(٦٣) «الطرق المنهجية في تحصيل العلوم الشرعية» لمصطفى رضا الأزهري ،دار الرافعي للنشر والتوزيع ـ القاهرة .

(٦٤) «الطريق إلى التراث الإسلامي» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة .

(٦٥) «الطريق إلى التراث الإسلامي» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، طبعة مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة .

(٦٦) «الطريق إلى الله» لفضيلة أ.د / علي جمعة، دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر ـ القاهرة

(٦٧) «العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب»، لمحمد حامد الناصر، طبعة دار الكوثر ـــ الرياض .

(٦٨) «العواصم من القواصم»، لابن العربي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت.

(٦٩) «الفتاوى الرمضانية» الفضيلة أ.د /علي جمعة، طبعة «مركز الدراسات المنهجية والمعرفية» ـ بالقاهرة

(٧٠) «الفتاوى العصرية لمفتي الديار المصرية» لفضيلة أ.د / علي جمعة، دار الفاروق للنشر والتوزيع ـ القاهرة .

(٧١) «الفروق» للإمام القرافي ،طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(٧٢) «القول المبين في أحكام الدنيا والدين» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، طبعة مكتبة الدار العربية للكتاب ـ مصر .

(٧٣) «القياس عند الأصوليين» لفضيلة أ.د / علي جمعة، دار الرسالة للنشر والتوزيع ـ القاهرة

(٧٤) «الكامن في الحضارة الإسلامية» لفضيلة أ.د / علي جمعة، دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشرـ القاهرة

(٧٥) «الكتب المكونة» لفضيلة أ.د / علي جمعة، دار الصالح للنشر والتوزيع ـ القاهرة .

(٧٦) «الكلم الطيب »لفضيلة أ.د / علي جمعة، دار السلام للنشر والتوزيع ـ القاهرة .

(٧٧) «المتشددون: منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، طبعة دار المقطم ـ القاهرة .

(٧٨) «المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع ـ القاهرة.

(٧٩) «المرأة بين إنصاف الإسلام وشبهات الآخر» لفضيلة أ.د / علي جمعة ـ العدد السابع من «سلسلة قضايا المرأة» التي أصدرتها وزارة الأوقاف المصرية

(٨٠) «المرأة في الحضارة الإسلامية «بين نصوص الشرع وتراث الفقه والواقع المعيش» أ.د / علي جمعة، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع ـ القاهرة .

(٨١) «المساوة الإنسانية في الإسلام» لفضيلة أ.د / علي جمعة، دار المعارف ـ القاهرة

(٨٢) «المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، طبعة دار الرسالة ـ القاهرة.

(٨٣) «المكاييل والموازين الشرعية» لفضيلة أ.د / علي جمعة، دار الرسالة للنشر والتوزيع ـ القاهرة .

(٨٤) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»،للإمام النووي ،طبعة دارإحياء التراث العربي ـــ بيروت .

(٨٥) «المنهج الفقهي للإمام اللكنوي» للأستاذ صلاح محمد سالم أبو الحاج، طـبعة دار النفائس ـ الأردن .

(٨٦) «المنهجية الإسلامية» لفضيلة أ.د / علي جمعة، دار السلام للنشر والتوزيع ـ القاهرة

(٨٧) «النبراس في تفسير القرآن الكريم» لفضيلة أ.د / علي جمعة، دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر ـ القاهرة

(٨٨) «النبي ﷺ» لفضيلة أ.د / علي جمعة، دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر ـ القاهرة

(٨٩) «النسخ عند الأصوليين» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة .

(٩٠) «النسخ في القرآن الكريم : دراسة تشريعية تاريخية نقدية» للدكتور مصطفى زيد، طـبعة دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.

(٩١) «النقاب عادة وليس عبادة» لفضيلة أ.د / علي جمعة، طُبع هذا الكتيب ضمن إصدارت وزارة الأوقاف المصرية.

(٩٢) «النماذج الأربعة من هدي النبيﷺ في التعايش مع الآخر» لفضيلة أ.د / علي جمعة، دار الفاروق للنشر والتوزيع ـ القاهرة

(٩٣) «الوجيز في أصول استنباط الأحكام في الشريعة الإسلامية» لفضيلة أ.د / محمد عبد اللطيف الفرفور، طبعة دار البشائر .

(٩٤) «الوحي والقرآن» لفضيلة أ.د / علي جمعة، دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر ـ القاهرة

(٩٥) «آليات الاجتهاد» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، طبعة دار الرسالة ـ القاهرة.

(٩٦) «أمن المجتمع واستقراره من المنظور الإسلامي» لفضيلة أ.د / علي جمعة، دار المعارف ـ القاهرة

(٩٧) «تاريخ أصول الفقه» لفضيلة أ.د / علي جمعة، دار المقطم للنشر والتوزيع ـ القاهرة

(٩٨) «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» للحافظ الذهبي،طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت

(٩٩) «تعارض الأقيسة عند الأصوليين» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، طبعة دارالرسالة للنشر والتوزيع

(١٠٠) «تكوين الملكة الفقهية» للدكتور/ محمد عثمان شبير، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ الدوحة عام ١٩٩٩م .

(١٠١) «تيسير النهج في شرح مناسك الحج» لفضيلة أ.د /علي جمعة، دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر ـ القاهرة

(١٠٢) «حاكموا الحب» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ـ مصر

(١٠٣) «حقائق الإسلام في مواجهة المشككين» لفضيلة أ.د / علي جمعة، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ مصر .

(١٠٤) «حكاية الإرهاب» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، طبعة دار النهار للنشر والتوزيع ـــ مصر .

(١٠٥) «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني ، طبعة دار الفكر ـــ بيروت .

(١٠٦) «خصائص الثقافة العربية والإسلامية «إشكالية الثابت والمتغير» لفضيلة أ.د / علي جمعة ومشاركة آخرين، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع ـ القاهرة

(١٠٧) «خطوات الخروج من المعاصي» لفضيلة أ.د /علي جمعة، طبعة «مركز الدراسات المنهجية والمعرفية» ـ القاهرة .

(١٠٨) «دستور العلماء» للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول ، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(١٠٩) «روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل»، لابن قدامة، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة .

(١١٠) «رؤية حضارية لترتيب المقاصد الشرعية» لفضيلة الدكتور علي جمعة ، طبعة دار نهضة مصر . للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة .

(١١١) «سبيل المبتدئين في شرح البدايات من منازل السائرين» أ.د / علي جمعة، دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر ـ القاهرة

(١١٢) «سمات العصر... «رؤية مهتم» لفضيلة أ.د / علي جمعة، دار الفاروق للنشر والتوزيع ـ القاهرة

(١١٣) «سنن الدارمي » لأبي محمد عبد الله الدارمي (المتوفى: ٢٥٥هـ) ، تحقيق : حسين سليم أسد الداراني ، طبعة: دار المغني للنشر والتوزيع ـ السعودية .

(١١٤) «سيدنا محمدﷺ رسول الله إلى العالمين» لفضيلة أ.د / علي جمعة، دار الفاروق للنشر والتوزيع ـ القاهرة

(١١٥) «صناعة الإفتاء» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ـــ مصر

(١١٦) «ضوابط التجديد الفقهي» لفضيلة أ.د / علي جمعة، طُبع هذا الكتيب في مجلة «الجمعية الخيرية الإسلامية» ـ القاهرة .

(١١٧) «عقيدة الدين الخالص» لفضيلة أ.د / علي جمعة،طبعة مكتبة الدار العربية للكتاب ـ القاهرة

(١١٨) «عقيدة أهل السنة والجماعة» لفضيلة أ.د / علي جمعة، طبعة دار المقطم للنشر والتوزيع ـ القاهرة .

(١١٩) «فتاوى البيت المسلم» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، طبعة دار الإمام الشاطبي ـ مصر .

(١٢٠) «فتاوى المرأة المسلمة » لفضيلة أ.د / علي جمعة، طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة

(١٢١) «فتاوى النساء» لفضيلة أ.د / علي جمعة، طبعة دار المقطم للنشر والتوزيع ـ القاهرة .

(١٢٢) «فقه حب الحياة» لفضيلة أ.د / علي جمعة، مكتبة النهار للنشر والتوزيع ـ القاهرة .

(١٢٣) «قضايا المرأة في الفقه الإسلامي» لفضيلة أ.د / علي جمعة، طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة .

(١٢٤) «قضية تجديد أصول الفقه» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ، طبعة دارالهداية ـ القاهرة .

(١٢٥) «قواعد التحديث» للشيخ جمال الدين القاسمي، طبعة مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

(١٢٦) «قواعد التصوف» للشيخ أحمد زروق ، طبعة دار البيروني ـ سوريا .

(١٢٧) «قول الصحابي عند الأصوليين» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، طبعة دارالرسالة للنشر والتوزيع ـ القاهرة .

(١٢٨) «كشف الغيوم عن رسالة مبادئ العلوم»لمصطفى رضا الأزهري، طبعة دار الرافعي للنشر والتوزيع ـ القاهرة .

(١٢٩) «كنز الراغبين شرح منهاج الطالبين» للإمام جلال المحلي ، طبعة دار الفكر ـــ بيروت

(١٣٠) «كيف تكتب بحثًا أو رسالة» لفضيلة أ.د/ أحمد شلبي ، طبعة مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة .

(١٣١) «مجالس الصالحين الرمضانية» لفضيلة أ.د /علي جمعة، طبعة «مركز الدراسات المنهجية والمعرفية» ـ القاهرة .

(١٣٢) «محاضرات في الفقه الصوفي للأحكام الشرعية » أ.د /علي جمعة، طُبع هذا الكتاب ضمن إصدارت أكاديمية الإمام الرائد محمد زكي الدين إبراهيم«العشيرة المحمدية».

(١٣٣) «مختار الصحاح »لمحمد ابن أبي بكر الرازي ، طبعة دار الكتب العصرية ـ بيروت .

(١٣٤) «مكونات العقل المسلم» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، طبعة دار الوابل الصيب ـ مصر .

(١٣٥) «ملحة الإعراب»، للإمام الحريري، طبعة مكتبة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر.

(١٣٦) «من دعا عليهم النبي ﷺ» لفضيلة أ.د /علي جمعة، دار الفاروق للنشر والتوزيع ـ القاهرة .

(١٣٧) «من نبيك ؟! هو سيدنا محمدﷺ» أ.د /علي جمعة، دار جوامع الكلم للنشر والتوزيع ـ القاهرة .

(١٣٨) «مناهج البحث العلمي وضوابطه في الإسلام»ـ للأستاذ الدكتور حلمي عبد المنعم النمر، طبعة مكتبة الإيمان ـ القاهرة.

(١٣٩) موسوعة «جمهرة أعلام الأزهر الشريف» لفضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري ، طبعة مكتبة الإسكندرية ـ مصر .

(١٤٠) « التمهيد في تخريج الفروع على الأصول » للإمام الإسنوي، طبعة مؤسسة الرسالة – بيروت .

(١٤١) «التحبير شرح التحرير» للشيخ علاء الدين المرداوي ، طبعة مكتبة الرشد – الرياض .

(١٤٢) « الفروق للقرافي » للإمام القرافي، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(١٤٣) «الدر المنتقى على هامش مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر»، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(١٤٤) «حاشية ابن عابدين » للإمام محمد أمين الشهير بــ«ابن عابدين»، طبعة دار الفكر ـ بيروت .

(١٤٥) «فرض الكفاية وأثره في بناء المجتمع» بحث لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

(١٤٦) « الوقف وأثره التنموي»، بحث لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

(١٤٧) « الوقف وأثره التنموي»، بحث لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

(١٤٨) «نظريات التنمية السياسية المعاصرة» للأستاذ نصر محمد عارف، طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي ـ مصر .

(١٤٩) «الأوقاف الخيرية ودورها في بناء المجتمع الإسلامي»، لفضيلة أ.د/ الحسيني هاشم، مجلة البنوك الإسلامية العدد العاشر .

(١٥٠) «استثمار أموال الوقف» لسعيد عبد العال،رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التجارة، جامعة الأزهر.

(١٥١) « معالم العلاقة مع الآخر..... ضوابطها ووسائلها»، بحث لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

(١٥٢) «الريادة الاجتماعية في فكر الإمام د.علي جمعة ....نموذج مؤسسة مصر الخير»، بحث للدكتورة رشا عبد الواحد إبراهيم .

فهرس المقالات

(١) « التأصيل الحضاري للتشريع الإسلامي..... تغير الفتوى»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

(٢) « المذهبية واللامذهبية »، موقع دار الإفتاء المصرية.

(٣) « بناء المنظومة الأخلاقية: خلق التواضع » لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

(٤) « حجية السنة النبوية»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

(٥) « حقيقة الوحي»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة

(٦) « خلق المسئولية » لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

(٧) « مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي» للأستاذ عبدالرحمن الحاج إبراهيم

(٨) « مقوِّمات بناء الحضارة: القواعد»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

(٩) « من أدوات بناء الحضارة: أن يصبح الإنسان إنساناً» لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

(١٠) « من عوامل بناء النفس » لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

(١١) «اختيار المنهج »، بقلم : فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة .

(١٢) «الحوزة الأزهرية»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

(١٣) «العقل العلمي عند المسلمين»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة ـ جريدة الأهرام «٢٠٠٧».

(١٤) «القدس في الحضارة الإسلامية ١ـ ١٠» سلسلة مقالات لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

(١٥) «النموذج المعرفي الاسلامي وتجديد الخطاب الديني ١ »، سلسلة مقالات لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

(١٦) «تجديد الخطاب الديني» لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

(١٧) «ضوابط تجديد الفكر الإسلامي» للدكتور/ يوسف على فرحات .

(١٨) «عوامل تغير الفتوى إجمالاً»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

(١٩) «مصادر التشريع الإسلامي ١» لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

(٢٠) «مصادر التشريع الاسلامي» سلسلة مقالات لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

(٢١) «مقوِّمات بناء الحضارة: القواعد» لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

(٢٢) «من أدوات بناء الحضارة: التوثيق»لفضيلة أ.د / علي جمعة .

(٢٣) «من أولويات الإفتاء التيسير ومراعاة أحوال المستفتي» لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

(٢٤) «محاور بناء المجتمع» لفضيلة أ.د/ علي جمعة .

(٢٥) « مقاصد الشريعة ودورها في بناء المجتمع» لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

فهرس المحتويات

الموضــوع الصفحة

تم بحمد الله